الجزء الأول

من

كتاب

الروض الأنف

« فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام »

للامام الفقيه المحدث أبى القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد بن أبى الحسن الخثعمى
السهيلى المولود بمدينة مالقة سنة ٥٠٨ والمتوفى بمراكش سنة ٥٨١

و بهامشه « السيرة النبوية » للامام أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى
الحميرى البصرى الاصل المتوفى بمصر ٢١٣ رحمهم الله أجمعين

طبع هذا الكتاب على نفقة سلطان المغرب الاقصى سابقا امام زمانه وفريد عصره
وأوانه قدوة الامراء وحجة العلماء العلامة المحقق والملاذ الاكبر المدقق فرع
الشجرة النبوية وخلاصة السلالة الطاهرة العلوية سيدنا ومولانا
ابن السلطان مولاى الحسن بن السلطان سيدى محمد رفع
الله قدره وأدامه وأودع فى القلوب محبته واحترامه آمين

بتوكيل الحاج محمد بن العباس بن شقرون خديم المقام العالى بالله
الآن بثغر طنجة ووكيل دولة المغرب الاقصى سابقا بمصر
على يد نجله الحاج « عبد السلام بن شقرون »

طبع بمطبعة الجمالية - بمصر

سنة ١٣٣٢ هجرية
١٩١٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمدا لله ﴾ المقدم على كل أمر ذى بال * وذكره سبحانه حرى ألا يفارق الخلد والبال * كما بدأنا جل وعلا بجميل عوارفه قبل الضراعة اليه والابتهال * فله الحمد تعالى حمداً لا يزال دائم الاقتبال * ضافى السربال * جديداً على مر الجديدين غير بال * على أن حمده سبحانه وشكره على نعمه وجميل بلائه * منة من منه وآلاء من آلائه * فسبحان من لا غاية لجوده ونعمائه * ولا حد لجلاله ولا حصر لاسمائه * [والحمد لله الذى ألحقنا بعصابة الموحدين * ووفقنا للاعتصام بعروة هذا الامر المتين * وخلقنا فى إبان الامامة الموعود ببركتها على لسان الصادق الامين * امامة سيدنا الخليفة أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين * الساطعة أنوارها فى جميع الآفاق * المتفقة بصوب سحائبها وجوب كتائبها جمرات الكفر والنفاق

فى دولة لحظ الزمان شعاعها * فارتد منتكصا بعينى أرمد
من كان مولده تقدم قبلها * أو بعدها فكأنه لم يولد

فلله الحمد تعالى على ذلك كله حمدا لا يزال يتجدد ويتوالى][1] * وهو المسؤل سبحانه أن يخص باشرف صلواته * وأكثف بركاته * المجتبى من خليقته * والمهتدى بطريقته * المؤدى الى اللقم[2] الافيح * والهادى الى معالم دين الله من أفلح * نبيه ﴿ محمدا ﴾ صلى الله عليه [وآله] وسلم كما قد أقام به الملة العوجاء * وأوضح بهديه الطريقة البلجاء * وفتح به آذانا صما وعيونا عميا وقلوبا غلفا * فصلى الله عليه وعلى آله صلاة

---

١) جميع الجمل التى بين هاتين [ ] الدائرتين من نسخة ثانية غير الاصل المطبوع منه فليتنبه
٢) اللقم : معظم الطريق وقيل واضحه . والافيح : الواسع

تحليه

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وبه نستعين ﴾
الحمد لله رب العالمين
وصلواته على سيدنا محمد
وآله أجمعين

تحله أعلامنازل الزلفى ﴿ و بعـد ﴾ فانى قد انتحيت فى هذا الاملاء بعد استخارة ذى الطول * والاستعانة بمن له القدرة والحول * الى ايضاح ماوقع فى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى سبق الى تأليفها أبو بكر محمد بن اسحق المطلبى ولخصها عبد الملك بن هشام المعافرى المصرى النسابة النحوى مما بلغنى علمه * و يسر لى فهمه * من لفظ غريب * أو اعراب غامض * أو كلام مستغلق * أو نسب عويص * أو موضع فقه ينبغى التنبيه عليه * أو خبر ناقص يوجد السبيل الى تتمته * مع الاعتراف بكلول الحد * عن مبلغ [ذلك] الحد * فليس الغرض المعتمد * ان استولى على ذلك الامد * ولكن لا ينبغى أن يدع الجحش من بذه الاعيار * ومن ساقرت فى العلم همته فلا يلق عصا التسيار * وقد قال الاول

[افعل الخير ما استطعت وان * كان قليلا فلن تحيط بكله]

ومتى تبلغ الكثير من الفضـ * ـل اذا كنت تاركا لاقله

نسأل الله التوفيق لما يرضيه * وشكرا يستجلب المزيد من فضله و يقتضيه (قال المؤلف) أبو القاسم قلت هذا لانى كنت حين شرعت فى املاء هذا الكتاب خيل الى ان المرام عسير * فجعلت أخطو خطو الحسير * وأنهض نهض البرق الكسير * وقلت كيف أرد مشرعا لم يسبقنى اليه فارط *[1] وأسلك سبيلا لم توطأ قبلى بخف ولا حافر * [فبينا أنا أردد تردد الحائر * اذ سنح لى هنالك خاطر * ان هذا الكتاب سيرد الحضرة العلية * المقدسة الامامية * وان الامامة ستلحظه بعين القبول * وانه سيكتتب للخزانة المباركة عمرها الله بحفظه وكلاءته * وأمد أمير المؤمنين بتأييده ورعايته * فينتظم الكتاب بسلك اعلاقها * و يتسق مع تلك الانوار فى مطالع اشراقها * فعند ذلك] امتطيت صهوة الجد * وهززت نبعة العزم * ومريت أخلاف الحفظ * واجتهرت ينابيع الفكر * وعصرت بلالة الطبع * فالفيت بحمد الله الباب فتحا * وسلكت سبل ربى ذللا * فتبجست لى [بمن الله تعالى] من المعانى الغريبة عيونها * وانثالت على من الفوائد اللطيفة أبكارها وعونها * وطفقت عقائل الكلم يزدلفن الى بأيتهن أبدأ * فأعرضت عن بعضها ايثارا للايجاز * ودفعت فى صدور أكثرها خشية الاطالة والاملال * لكن تحصل فى هذا الكتاب * من فوائد العلوم والآداب * وأسماء الرجال والانساب * ومن الفقه الباطن اللباب * وتعليل النحو وصنعة الاعراب * ماهو مستخرج من نيف على مائة وعشرين ديوانا * سوى ما أنتجه صدرى * ونقحه فكرى * ونتجه نظرى * ولقنته عن مشيختى * من نكت علمية لم أسبق اليها * ولم أزحم عليها * [كل ذلك بيمن الله و بركة هذا الامر المحيى لخواطر الطالبين * والموقظ لهمم المسترشدين * والمحرك للقلوب الغافلة الى الاطلاع على معالم الدين *] مع أنى قللت الفضول * وشذبت أطراف الفصول * ولم أتتبع شجون الاحاديث وللحديث شجون * ولا جمحت بى خيل الكلام الى غاية لم أردها وقد عنت لى منه فنون * فجاء الكتاب من أصغر الدواوين حجما * ولكنه كنيف ملىء علما * ولو ألفه غيرى لقلت فيه أكثر من قولى (هذا) وكان بدء املائى هذا الكتاب فى شهر المحرم من سنة تسع وستين وخمسمائة وكان الفراغ منه فى جمادى الاولى من ذلك العام

فالكتاب الذى تصدينا له من السير هو ما حدثنا به الامام الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربى سماعا عليه قال ثنا أبو الحسن القراق الشافعى قال ثنا أبو محمد بن النحاس قال ثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن الورد عن أبى سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم بن أبى زرعة[2] الزهرى البرقى عن أبى محمد

١) فى النسخة الثانية : لم يستقدمنى اليه فارها . ٢) فى الاصل المطبوع عنه هكذا : عبد الرحيم

عبد الملك بن هشام * وحدثنا به أيضاً سماعاً عليه أبو مروان عبد الملك بن سعيد بن بونة القرشي العبدري عن أبي بحر سفيان بن العاص الاسدي عن أبي الوليد هشام بن أحمد الكناني * وحدثني به أيضاً أبو مروان عن أبي بكر بن بُرّال عن أبي عمر أحمد بن محمد المقري الطلمنكي عن أبي جعفر أحمد بن عون الله بن حُدَير عن أبي محمد بن الورد عن البرقي عن ابن هشام * وحدثني به أيضاً سماعاً واجازة أبو بكر محمد بن طاهر الاشبيلي عن أبي علي الغساني عن أبي عمر النمري وغيره من أشياخه عن الطلمنكي بالاسناد المتقدم

﴿فصل﴾ ونبدأ بالتعريف بمؤلف الكتاب وهو أبو بكر محمد بن اسحق بن يسار المطلبي بالولاء لان ولاءه لقيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف وكان جده يسار من سبي عين التمر سباه خالد بن الوليد * ومحمد ابن اسحق هذا رحمه الله ثبت في الحديث عند أكثر العلماء وأما في المغازي والسير فلا تجهل امامته فيهما قال ابن شهاب الزهري من أراد المغازي فعليه بابن اسحق ذكره البخاري في التاريخ وذكر عن سفيان بن عيينة انه قال ما أدركت أحداً يتهم ابن اسحق في حديثه وذكر أيضاً عن شعبة بن الحجاج انه قال ابن اسحق أمير المؤمنين يعني في الحديث وذكر أبو يحيى الساجي رحمه الله باسناد له عن الزهري انه قال خرج الى قريته باذام فخرج اليه طلاب الحديث فقال لهم أين أنتم من الغلام الاحول [أو قد خلفت فيكم الغلام الاحول] يعني ابن اسحق وذكر الساجي أيضاً قال كان أصحاب الزهري يلجؤن الى محمد بن اسحق فيما شكوا فيه من حديث الزهري ثقة منهم بحفظه هذا معنى كلام الساجي نقلته من حفظي لا من كتاب وذكر عن يحيى بن معين وأحمد بن حنبل ويحيى بن سعيد القطان انهم وثقوا ابن اسحق واحتجوا بحديثه وذكر علي بن عمر الدارقطني في السنن حديث القلتين من جميع طرقه وما فيه من الاضطراب ثم قال في حديث جرى وهذا يدل على حفظ محمد بن اسحق وشدة اتقانه (قال المؤلف) وانما لم يخرج البخاري عنه وقد وثقه وكذلك [وثقه] مسلم بن الحجاج ولم يخرج عنه [أيضا] الا حديثا واحداً في الرجم عن سعيد المقبري عن أبيه من أجل طعن مالك فيه وانما طعن فيه مالك فيما ذكر أبو عمر رحمه الله عن عبد الله بن ادريس الاودي لانه بلغه ان ابن اسحق قال هاتوا حديث مالك فانا طبيب بعلله فقال مالك وما ابن اسحق انما هو دجال من الدجاجلة نحن أخرجناه من المدينة يشير والله أعلم الى أن الدجال لا يدخل المدينة قال ابن ادريس وما عرفت ان دجالا يجمع على دجاجلة حتى سمعتها من مالك وذكر ان ابن اسحق مات ببغداد سنة احدى وخمسين ومائة وقد أدرك من لم يدركه مالك روى حديثا كثيراً عن محمد بن ابراهيم [بن الحرث] التيمي ومالك انما روى عن رجل عنه وذكر الخطيب [أحمد بن] علي بن ثابت في تاريخه فيما ذكر لي [عنه] أنه يعني ابن اسحق رأى أنس بن مالك وعليه عمامة سوداء والصبيان خلفه يشتدون ويقولون هذا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت حتى يلقى الدجال وذكر الخطيب أيضا انه روى عن سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وأبي سلمة بن عبد الرحمن

ابن أبي زر   الزهري البرقي بوجود بياض يسع كلمة وفي الاصل الثاني: عبد الرحيم ابن أبي زرعة الزهري البرقي الخ. وفي مشيخة أبي بكر محمد بن خير الاموي الاشبيلي في أسانيد روايته لهذا الكتاب خلاف ذلك ونصه بعد أن ساق سنده لابي محمد بن الورد البغدادي قال: ثنا أبو سعيد عبد الرحيم بن عبيد الله بن عبد الرحيم البرقي عن عبد الملك بن هشام ثم ساقه من طريق آخر عن محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعد بن أبي زرعة الزهري عن عبد الملك فيكون البرقي غير الزهري فليحرر وقوله ابن حدير في مشيخة ابن خير بالجيم

وذكر أن يحيى بن سعيد الانصارى شيخ مالك روى عن ابن اسحق قال وروى عنه سفيان الثورى والحمادان حماد بن سلمة بن دينار وحماد بن زيد بن درهم وشعبة وذكر عن الشافعى [رضى الله عنه] انه قال من أراد أن يتبحر فى المغازى فهو عيال على محمد بن اسحق فهذا ما بلغنا عن محمد بن اسحق [رحمه الله] وأما الرواة الذين رووا هذا الكتاب عنه فكثير * منهم يونس بن بكير الشيبانى ومحمد بن فليح والبكائى وابراهيم بن سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن ادريس وسلمة بن الفضل [الاسدى] وغيرهم * ونذكر البكائى لانه شيخ ابن هشام وهو أبو محمد زياد بن عبد الله بن طفيل بن عامر القيسى العامرى من بنى عامر بن صعصعة ثم من بنى البكاء واسم البكاء ربيعة وسمى البكاء لخبر يسمج ذكره كذلك ذكر بعض النسابين والبكائى هذا ثقة خرج عنه البخارى فى كتاب الجهاد وخرج عنه مسلم فى مواضع من كتابه وحسبك بهذا تزكية وقد روى زياد عن حميد الطويل وذكر البخارى فى التاريخ عن وكيع قال زياد أشرف من أن يكذب فى الحديث ووهم الترمذى فقال فى كتابه عن البخارى قال قال وكيع زياد بن عبد الله على شرفه يكذب فى الحديث وهذا وهم ولم يقل وكيع فيه الا ما ذكره البخارى فى تاريخه ولو رماه وكيع بالكذب ما خرج البخارى عنه حديثا ولا مسلم كما لم يخرجا عن الحارث الاعور لما رماه الشعبى بالكذب ولا عن أبان بن أبى عياش لما رماه شعبة بالكذب وهو كوفى توفى سنة ثلاث وثمانين ومائة * وأما عبد الملك بن هشام فمشهور بحمل العلم متقدم فى علم النسب والنحو وهو حميرى معافرى من مصر وأصله من البصرة وتوفى بمصر سنة ثلاث عشرة ومائتين وله كتاب فى أنساب حمير وملوكها وكتاب فى شرح ما وقع فى أشعار السير من الغريب فيما ذكر لى [والحمد لله كثيرا وصلواته على نبيه محمد وسلامه]

﴿ تفسير نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

قد ذكرنا فى كتاب التعريف والاعلام بما أبهم فى القرآن من الاسماء الاعلام معانى بديعة وحكمة من الله بالغة فى تخصيص نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بهذين الاسمين محمد وأحمد فلتنظر هنالك ولعلنا أن نعود اليه فى باب مولده من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى * وأما جده [عبد المطلب] فاسمه عامر فى قول ابن قتيبة وشيبة فى قول ابن اسحق وغيره وهو الصحيح وقيل سمى شيبة لانه ولد وفى رأسه شيبة وأما غيره من العرب ممن اسمه شيبة فانما قصد فى تسميتهم بهذا الاسم التفاؤل لهم ببلوغ سن الحنكة والرأى كما سموا بهرم وكبير وعاش عبد المطلب مائة وأربعين سنة وكان لدة عبيد بن الابرص الشاعر غير أن عبيدا مات قبله بعشرين سنة قتله المنذر أبو النعمان بن المنذر ويقال ان عبد المطلب أول من خضب بالسواد من العرب والله أعلم وقد ذكر ابن اسحق سبب تلقيبه بعبد المطلب والمطلب مفتعل من الطلب * واما هاشم فعمرو كما ذكر وهو اسم منقول من أحد أربعة أشياء من العمر الذى هو العمر أو العمر الذى هو من عمور الاسنان وقاله القتبى أو العمر الذى هو طرف الكم يقال سجد على عمريه أى على كميه أو العمر الذى هو القرط كما قال التنوخى

وعمرو هند كأن الله صوره * عمرو بن هند يسوم الناس تعنيتا

وزاد أبو حنيفة وجها خامسا فقال فى العمر الذى هو اسم لنخل السكر ويقال فيه عمر أيضا قال يجوز ان يكون أحد الوجوه التى بها سمى الرجل عمرا وقال كان ابن أبى ليلى يستاك بعسيب العمر * وعبد مناف اسمه المغيرة

﴿ ذكر سرد النسب الزكى من محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى آدم عليه السلام ﴾

قال أبو محمد عبد الملك بن هشام هذا كتاب سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسم عبد المطلب شيبة بن هاشم واسم هاشم عمرو بن عبد مناف واسم عبد مناف المغيرة بن

قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن

كما ذكر وهو منقول من الوصف والهاء فيه للمبالغة أى انه مغير على الاعداء أو مغير من أغار الحبل اذا أحكمه ودخلته الهاء كما دخلت فى علامة ونسابة لانهم قصدوا قصد الغاية وأجروه مجرى الطامة والداهية وكانت الهاء أولى بهذا المعنى لان مخرجها غاية الصوت ومنتهاه ومن ثم لم يكسر ما كانت فيه هذه الهاء فيقال فى علامة علاليم وفى نسابة نساسيب كى لا يذهب اللفظ الدال على المبالغة كما لم يكسر الاسم المصغر كى لا تذهب بنية التصغير وعلامته ويجوز ان تكون الهاء فى مغيرة للتأنيث ويكون منقولا من وصف كتيبة أو خيل مغيرة كما سموا بعسكر وعبد مناف هذا [كان] يلقب قمر البطحاء فيما ذكر الطبرى وكانت أمه حبى قد أخدمته مناة وكان صنما عظيما لهم وكان سمى به عبد مناة ثم نظر قصى فرآه يوافق عبد مناة بن كنانة فحوله عبد مناف ذكره البرقى والزبير أيضا وفى المعيطى عن أبى نعيم قال قلت لمالك ما كان اسم عبد المطلب قال شيبة قلت فهاشم قال عمرو قلت فعبد مناف قال لا أدرى * وقصى اسمه زيد وهو تصغير قصى أى بعيد لانه بعد عن عشيرته فى بلاد قضاعة حين احتملته أمه فاطمة مع ربيعة بن حرام على ما سيأتى بيانه فى الكتاب ان شاء الله تعالى وصغر على فعيل وهو تصغير فعيل لانهم كرهوا اجتماع ثلاث ياآت فحذفوا احداهن وهى الياء الزائدة الثانية التى تكون فى فعيل نحو قضيب فبقى على وزن فعيل ويجوز ان يكون المحذوف لام الفعل فيكون وزنه فعيا وتكون ياء التصغير هى الباقية مع الزائدة فقد جاء ما هو أبلغ فى الحذف من هذا وهى قراءة قنبل يابنى ببقاء ياء التصغير وحدها وأما قراءة حفص يابنى فانما هى ياء التصغير مع ياء المتكلم ولام الفعل محذوفة فكان وزنه فعى ومن كسر الياء قال يابنى فوزنه يافعيل وياء المتكلم هى المحذوفة فى هذه القراءة * وأما كلاب فهو منقول اما من المصدر الذى هو معنى المكالبة نحو كالبت العدو مكالبة وكلابا وأما من الكلاب جمع كلب لانهم يريدون الكثرة كما سموا بسباع وأنمار وقيل لابى الرقيش الاعرابى لم تسمون أبناءكم بشر الاسماء نحو كلب وذئب وعبيدكم بأحسن الاسماء نحو مرزوق ورباح فقال انما نسمى أبناءنا لاعدائنا وعبيدنا لانفسنا يريد ان الابناء عدة الاعداء وسهام فى نحورهم فاختاروا لهم هذه الاسماء * ومرة منقول من وصف الحنظلة والعلقمة وكثيرا ما يسمون بحنظلة وعلقمة ويجوز ان تكون الهاء للمبالغة فيكون منقولا من وصف الرجل بالمرارة ويقوى هذا قولهم تميم بن مر وأحسبه من المسمين بالنبات لان أبا حنيفة ذكر ان المرة بقلة تقلع فتؤكل بالخل والزيت يشبه ورقها ورق الهندباء * وأما كعب فنقول أما من الكعب الذى هو قطعة من السمن أو من كعب القدم وهو عندى أشبه لقولهم ثبت ثبوت الكعب وجاء فى خبر ابن الزبير انه كان يصلى عند الكعبة يوم قتل وحجارة المنجنيق تمر باذنيه وهو لا يلتفت كانه كعب راتب وكعب ابن لؤى هذا أول من جمع يوم العروبة ولم تسم العروبة الجمعة الا مذ جاء الاسلام فى قول بعضهم وقيل هو أول من سماها الجمعة فكانت قريش تجتمع اليه فى هذا اليوم فيخطبهم ويذكرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم ويعلمهم انه من ولده ويأمرهم باتباعه والايمان به وينشد فى هذا أبياتا منها قوله

يا ليتنى شاهد نحواء دعوته * اذا قريش تبغى الحق خذلانا

وقد ذكر الماوردى هذا الخبر عن كعب فى كتاب الاحكام له * وأما لؤى فقال ابن الانبارى هو تصغير اللأى وهو الثور الوحشى وأنشد

يعتاد أدحية بقين بقفرة * ميثاء يسكنها اللأى والفرقد

قال أبو حنيفة اللأى هى البقرة قال وسمعت اعرابيا يقول بكم لاءك هذه وأنشد فى وصف فلاة

كظهر اللأى لو يبتغى رية بها * نهارا لاعيت فى بطون الشواجن

ـ الشواجن ـ شعب الجبال ـ والرية ـ مقلوب من ورى الزند وأصله ورية وهو الحراق الذى يشمل به الشررة من الزند وهو عندى تصغير لأى واللأى البطء كانهم يريدون معنى الاناة وترك العجلة وذلك انى ألفيته فى أشعار بدر مكبرا على هذا اللفظ فى شعر أبى أسامة حيث يقول

فدونكم بنى لأى أخاكم * ودونك مالكا يا أم عمرو

مع ماجاء فى بيت الحطيئة فى غيره

أتت آل شماس بن لأى وانما * أتاهم بها الاحلام والحسب العد

وقوله أيضا

فماتت أم جارة آل لأى * ولكن يضمنون لها قراها

و فى الحديث من قول أبى هريرة أحب الى من شاء ولاء فاللاء ههنا جمع اللأى وهو الثور مثل الباقر والجامل وتوهم ابن قتيبة ان قوله لاء مثل ماء فخطأ الرواية وقال انما هو ألآء مثل ألماع جمع لأى[1] وليس الصواب الا ماتقدم وانه لاء مثل جاء * * وأما فهر فقد قيل انه لقب والفهر من الحجارة الطويل واسمه قريش وقيل بل اسمه فهر وقريش لقب له على ماسيأتى الاختلاف فيه ان شاء الله تعالى ومالك والنضر وكنانة لا اشكال فيها * وخزيمة والدكنانة تصغير خزمة وهى واحدة الخزم ويجوز ان يكون تصغير خزمة وكلاهما موجود فى أسماء الانصار وغيرهم وهى المرة الواحدة من الخزم وهو شد الشىء واصلاحه وقال أبو حنيفة الخزم مثل الدوم تتخذ من سعفه الحبال و يصنع من أسافله خلايا للنحل وله ثمر لايأ كله الناس ولكن تألفه الغربان وتستطيبه * وأما مدركة فمذكور فى الكتاب والياس أبوه قال فيه ابن الانبارى الياس بكسر الهمزة وجعله موافقا لاسم الياس النبى صلى الله عليه وسلم وقال فى اشتقاقه أقوالا منها ان يكون فعيالا من الألس وهى الخديعة وأنشد *من فهة الجهل والألسه* ومنها ان الألس اختلاط العقل وأنشدوا * انى اذا الضعيف العقل مألوس * ومنها انه إفعال من قولهم رجل إليس وهو الشجاع الذى لا يفر قال العجاج * إليس عن حوبائه سخى * وقال آخر * إليس كالنشوان وهو صاح * و فى غريب الحديث للقتبى ان فلانا أليس أهيس ألد ملحس ان سئل أز ز وان دعى انتهز وقد فسره و زعم ان أهيس مقلوب الواو وانه من الهوس و جعلت واوه ياء لازدواج الكلام فالاليس الثابت الذى لا يبرح والذى قاله غير ابن الانبارى أصح وهو انه الياس سمى بضد الرجا واللام فيه للتعريف والهمزة همزة وصل وقاله قاسم بن ثابت فى الدلائل وأنشد أبياتا شواهد منها قول قصى

فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة واسم مدركة عامر بن الياس

انى لدى الحرب رخى اللبب * أمهتى خندف والياس أبى

و يقال انما سمى السل داء ياس وداء الياس لان الياس بن مضر مات منه قال ابن هرمة

يقول العاذلون اذا رأونى * أصبت بداء ياس فهو مودى

وقال ابن أبى عاصية

فلو كان داء الياس بى وأعاننى * طبيب بارواح العقيق شفانيا

وقال عروة بن حزام

بى الياس أوداء الهيام أصابنى * فاياك عنى لا يكن بك مابيا

---

١) فى الاصل نقص وصحح من لسان العرب فليتنبه

و يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا الياس فانه كان مؤمنا وذكر انه كان يسمع في صلبه تلبية النبي صلى الله عليه وسلم بالحج ينظر في كتاب المولد للواقدى والياس أول من أهدى البدن للبيت قاله الزبير وأم الياس الرباب بنت حيرة [1] بن معد بن عدنان قاله الطبرى وهو خلاف ما قاله ابن هشام في هـذا الكتاب * وأما مضر فقد قال القتبي هو من المضيرة أو من اللبن الماضر والمضـيرة شيء يصـنع من اللبن فسمى مضر لبياضـه والعرب تسمى الابيض أحمر فلذلك قيـل مضر الحمراء وقيل بل أوصى له أبوه بقبـة حمراء وأوصى لاخيه ربيعة بفرس فقيل مضر الحمراء وربيعة الفرس ومضر أول من سن للعرب حداء الابل وكان أحسن الناس صوتا فيما زعموا وسـنذكر سبب ذلك فيما بعد ان شاء الله تعالى وفي الحـديث المروى لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مؤمنين ذكره الزبير بن أبي بكر * وأما نزار فمن النزر وهو القليـل وكان أبوه حين ولد له ونظر الى النور بين عينيـه وهو نور النبوة الذي كان ينتقل في الاصـلاب الى محمد صلى الله عليه وسلم فرح فرحا شديدا به ونحر وأطعم وقال ان هذا كله نزر لحق هـذا المولود فسمى نزارا لذلك * وأما معد أبوه فقال ابن الانبارى فيه ثلاثة أقوال أحدها ان يكون مفعلا من العـد والثاني ان يكون مفعلا من معـد في الارض أي أفسد كما قال

وخارب بين خرب فمعدا * مايحسبان الله الا رقدا

ابن مضر بن نزار بن معـد
ابن عدنان بن أدد بن

وأن كان ليس في الاسماء ما هو على وزن فعل بفتح الفاء الا مع التضـعيف فان التضـعيف يدخـل في الاوزان ماليس فيها كما قالوا شمر وقشعريرة ولولا التضعيف ما وجد مثل هذا ونحو ذلك الثالث ان يكون من المعدّين وهما موضع عقبي الفارس من الفرس وأصله على القولين الاخيرين من المعد بسكون العين وهو القوة ومنه اشتقاق المعـدة * وأما عدنان ففعلان من عـدن اذا أقام ولعدنان اخوان نبت وعمرو فيما ذكر الطبرى * وأدد مصروف قال ابن السراج هو من الود وانصرف لانه مثـل ثقب وليس معـدولا كعمر وهو معنى قول سيبويه وقد قيل في عدنان هو ابن ميدعة وقيل ابن يحثم قاله القتبي وما بعد عدنان من الاسماء مضطرب فيه فالذى صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه انتسب الى عـدنان لم يتجاوزه بل قد روى من طريق ابن عباس انه لما بلغ عدنان قال كذب النسابون مرتين أو ثلاثا والاصح في هـذا الحـديث انه من قول ابن مسعود وروى عن عمر رضي الله عنـه انه قال انما ننتسب الى عـدنان وما فوق ذلك لا ندرى ماهو واصح شيء روى فيما بعد عدنان ما ذكره الدولابى أبو بشر من طريق موسى بن يعقوب عن عبد الله بن وهب بن زمعة الزمعى عن عمته عن أم سلمة عن النبي صـلى الله عليه وسـلم انه قال معد بن عـدنان بن أدد بن زند بالنون بن اليرى بن اعراق الثرى قالت أم سـلمة فزند هو الهميسع واليرى هو نبت واعراق الثرى هو اسماعيل لانه ابن ابراهـيم وابراهيم لم تأكله النار كما ان النار لا تأكل الثرى وقد قال الدارقطني لا نعرف زندا الا في هـذا الحديث و زند بن الجون وهو أبو دلامة الشاعر «قال المؤلف» وهذا الحـديث عنـدى ليس بمعارض لما تقدم من قوله كذب النسابون ولا لقول عمر رضي الله عنه لانه حديث متأول يحتمل أن يكون قوله ابن اليرى بن اعراق الثرى كما قال كلكم بنو آدم وآدم من تراب لا يريد ان الهميسع ومن دونه ابن لاسمعيل لصلبـه ولا بد من هـذا التأويل أو غيره لان أصحاب الاخبار لا يختلفون في بعد المدة ما بين عدنان وابراهيم و يستحيل في العادة ان يكون بينهما أربعة آباء أو سبعة كما ذكر ابن اسحق أو عشرة أو عشرون فان المدة أطول من ذلك كله وذلك ان معـد بن عدنان كان في مدة بخت نصر ابن ثنتى عشرة سـنة قاله الطبرى

---

١) في الثانية : حيدة .

وذكر ان الله تعالى أوحى فى ذلك الزمان الى إرمياء بن حلقيا ان اذهب الى بخت نصر فاعلمه انى قد سلطته على العرب وأحمل معدا على البراق كى لا تصيبه النقمة فيهم فانى مستخرج من صلبه نبيا كريما أختم به الرسل فاحتمل معدا على البراق الى أرض الشام فنشأ مع بنى اسرائيل وتزوج هناك امرأة اسمها مُعانة بنت جوشن من بنى دب بن جرهم ويقال فى اسمها ناعمة قاله الزبير ومن ثم وقع فى كتاب الاسرائيليين نسب معد ثابته فى كتبه رخيا وهو بورخ كاتب إرمياء كذلك ذكر أبو عمر النمرى حدثت بذلك عن الغسانى عنه وبينه وبين ابراهيم فى ذلك النسب نحو من أربعين جدا وقد ذكرهم كلهم أبو الحسن المسعودى على اضطراب فى الاسماء [ولذلك والله أعلم أعرض النبى صلى الله عليه وسلم عن رفع نسب عدنان الى اسماعيل لما فيه من التخليط وتغيير فى الالفاظ] وعواصة تلك الاسماء مع قلة الفائدة فى تحصيلها وقد ذكر الطبرى نسب عدنان الى اسمعيل من وجوه ذكر فى أكثرها نحوا من أربعين أبا ولكن باختلاف فى الالفاظ لانها نقلت من كتب عبرانية وذكر من وجه قوى فى الرواية عن نساب العرب ان نسب عدنان يرجع الى قيذر بن اسمعيل وان قيذر كان الملك فى زمانه وان معنى قيذر الملك اذا فسر وذكر الطبرى فى عمود هذا النسب ثور ابن شوحا وهو أول من عتر العتيرة وان شوحا هو سمدرجب وانه أول من سن رجبا للعرب والعتيرة هى الرجبية وذكر فى هذا النسب عبيد بن ذى يزن بن هماذا وهو الطعان واليه تنسب الرماح اليزنية وذكر فيهم أيضا دوس العُتُق وكان من أحسن الناس وجها وكان يقال فى المثل أعتق من دوس وهو الذى هزم جيش قطور ابن جرهم وذكر فيهم اسمعيل ذا الاعوج وهو فرسه واليه تنسب الخيل الاعوجية وهذا هو الذى يشبه فان بخت نصر كان بعد سليمان بمئين من السنين لانه كان عاملا على العراق لكى لهراسب ثم لابنه كى يستاسب الى مدة بهمن قبل غلبة الاسكندر على دارا بن دارا بن بهمن وذلك قريب من مدة عيسى ابن مريم فأين هذه المدة من مدة اسمعيل وكيف يكون بين معد وبينه مع هذا سبعة آباء فكيف أربعة والله أعلم وكان رجوع معد الى أرض الحجاز بعد ما رفع الله بأسه عن العرب ورجعت بقاياهم التى كانت فى الشواهق الى محالهم ومياههم بعد ان دوخ بلادهم بخت نصر وخرب المعمور واستاصل أهل حضور وهم الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله « وكم قصمنا من قرية » الآية وذلك لقتلهم شعيب بن ذى مهدم نبيا أرسله الله اليهم وقبره بصنين جبل باليمن وليس بشعيب الاول صاحب مدين ذلك شعيب بن عيفى ويقال فيه ابن صيفون وكذلك أهل عدن قتلوا نبيا أرسل اليهم اسمه حنظلة بن صفوان فكانت سطوة الله بالعرب لذلك نعوذ بالله من غضبه وأليم عقابه ثم نعود الى النسب * فاما مقوم بكسر الواو أو بو أدد فهو مفهوم المعنى * وتيرح فيعل من الترحة ان كان عربيا وكذلك ناحور من النحر ويشجب من الشجب وان كان المعروف ان يقال شجب بكسر الجيم يشجب بفتحها ولكن قد يقال فى المغالبة شاجبته فشجبته أشجبه بضم الجيم فى المستقبل وفتحها فى الماضى كما يقال من العلم عالمته فعلمته بفتح اللام أعلمه بضمها وقد ذكرهم أبو العباس الناشئ فى قصيدته المنظومة فى نسب النبى صلى الله عليه وسلم الى آدم كما ذكرهم ابن اسحق * وابراهيم معناه أب راحم وآزر قيل معناه يا أعوج وقيل هو اسم صنم وانتصب على اضمار الفعل فى التلاوة وقيل هو اسم لابيه كان يسمى تارح وآزر وهذا هو الصحيح لمجيئه فى الحديث منسوبا الى آزر وأمه نونا ويقال فى اسمها اليونى أو نحو هذا وما بعد ابراهيم أسماء سريانية فسر أكثرها بالعربية ابن هشام فى غير هذا الكتاب وذكر ان فالغ[1] معناه القسام وشالخ معناه الرسول أو الوكيل وذكر ان اسمعيل تفسيره مطيع الله وذكر الطبرى ان بين فالغ وعابر

مقوم بن ناحور بن تيرح بن
يعرب بن يشجب بن نابت
ابن اسمعيل بن ابراهيم
خليل الرحمن بن تارح وهو
آزر بن ناحور بن ساروح
ابن راعو بن فالغ بن عيبر
ابن شالخ بن

١) كذا فى النسختين بالغين المعجمة وهو الموافق لما فى الطبرى فليحرر

ارفخشذ بن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ وهو ادريس النبي صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون والله أعلم وكان أول بني آدم أعطى النبوة وخط بالقلم بن يرد بن مهليل بن قينن بن يانش بن شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم * قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي بهذا الذي ذكرت من نسب محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى آدم عليه السلام ومافيه من حديث ادريس وغيره «قال ابن هشام» وحدثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي عن شيبان بن زهير بن شقيق بن ثور عن قتادة بن دعامة انه قال اسمعيل بن ابراهيم خليل الرحمن بن تارح وهو آزر ابن ناحور بن اسرغ بن ارغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح بن لامك بن متوشلخ ابن اخنوخ بن يرد بن مهلاييل بن قاين بن أنوش ابن شيث بن آدم صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام» وأنا ان شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر اسمعيل ابن ابراهيم ومن ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من ولده وأولادهم لاصلابهم الاول فالاول من اسمعيل الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومايعرض من حديثهم وتارك ذكر غيرهم من ولد اسمعيل على هذه الجهة للاختصار الى حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتارك بعض ماذكره ابن اسحق في هذا الكتاب مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ذكر ولا نزل فيه من القرآن شيء وليس سببا لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيرا له ولا شاهدا عليه لما ذكرت من الاختصار وأشعارا ذكرها لم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرفها وأشياء بعضها يشنع الحديث به وبعض يسوء بعض الناس ذكره وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته ومستقص ان شاء الله تعالى ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به

أيا اسمه قينن اسقط اسمه في التوراة لانه كان ساحرا * وارفخشذ تفسيره مصباح مضيء وشاذ مخفف بالسريانية الضياء ومنه جمشاذ بالسريانية وهو رابع الملوك بعد جيومرث وهو الذي قتله الضحاك واسمه بيوراسب بن اندراسب والضحاك مغير من ازدهاق قال حبيب

وكأنه الضحاك في فتكاته * بالعالمين وانت افريذون

لان أفريذون هو الذي قتل الضحاك بعد ان عاش ألف سنة في جور وعتو وطغيان عظيم وذلك مذكور على التفصيل في تاريخ الطبري وغيره * وذكر نوحا عليه السلام واسمه عبد الغفار وسمي نوحا لنوحه على ذنبه وأخوه صابي بن لامك اليه ينسب دين الصابئين فيما ذكروا والله أعلم * وذكر ان لامك والد نوح عليه السلام ولامك أول من اتخذ العود للغناء بسبب يطول ذكره واتخذ مصانع الماء * وأبو متوشلخ وذكره الناشي في قصيدته فقال متوشلخ وتفسيره مات الرسول لان أباه كان رسولا وهو خنوخ وقال ابن اسحق وغيره هو ادريس النبي عليه السلام وروى ابن اسحق في الكتاب الكبير عن شهر بن حوشب عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أول من كتب بالقلم ادريس وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال أول من كتب بالعربية اسمعيل وقال أبو عمر وهذه الرواية أصح من رواية من روى أن أول من تكلم بالعربية اسمعيل والخلاف كثير في أول من تكلم بالعربية وفي أول من أدخل الكتاب العربي أرض الحجاز فقيل حرب بن أمية قاله الشعبي وقيل هو سفيان بن أمية وقيل عبد بن قصي تعلمه بالحيرة وتعلمه أهل الحيرة من أهل الانبار «قال المؤلف» ثم نرجع الآن الى ما كنا بصدده فنقول ان ادريس عليه السلام قد قيل انه الياس وانه ليس بجد لنوح ولا هو في عمود هذا النسب وكذلك سمعت شيخنا الحافظ أبا بكر رحمه الله يقول ويستشهد بحديث الاسراء فان النبي صلى الله عليه وسلم كلما لقي نبيا من الانبياء الذين لقيهم ليلة الاسراء قال مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح وقال له آدم مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح وكذلك قال له ابراهيم وقال له ادريس والاخ الصالح فلو كان في عمود نسبه لقال له كما قال له أبوه ابراهيم وأبوه آدم ولخاطبه بالبنوة ولم يخاطبه بالاخوة وهذا القول عندي أنبل والنفس اليه أميل لما عضده من هذا الدليل * وقال ادريس بن يرد وتفسيره الضابط ابن مهلاييل وتفسيره الممدح وفي زمنه كان بدء عبادة الاصنام ابن قينان وتفسيره المستوى ابن أنوش وتفسيره الصادق وهو بالعربية أنش وهو أول من غرس النخلة وبوب الكعبة وبذر الحبة فيما ذكروا ابن شيث وهو بالسريانية شاث وبالعبرانية شيث وتفسيره عطية الله ابن آدم وفيه ثلاثة أقوال قيل هو اسم سرياني وقيل هو أفعل من الادمة وقيل أخذ من لفظ الاديم لانه خلق من أديم الارض وروي ذلك عن ابن عباس وذكر قاسم بن ثابت في الدلائل عن محمد بن المستنير وهو قطرب انه قال لو كان من أديم الارض لكان على وزن فاعل وكانت الهمزة أصلية فلم يكن يمنعه من الصرف مانع وانما هو على وزن أفعل من الادمة ولذلك جاء غير مجرى «قال المؤلف» وهذا القول ليس بشيء لانه لا يمتنع أن يكون من الاديم ويكون على وزن أفعل تدخل الهمزة الزائدة على الهمزة الاصلية كما تدخل على همزة الادمة فاول الادمة

همزة

همزة أصلية فكذلك أول الاديم همزة أصلية فلا يمتنع أن يبنى منها افعل فيكون غير مجرى كما يقال رجل أعين وأرأس من العين والرأس وأسوق وأعنق من الساق والعنق مع ما فى هذا القول من المخالفة لقول السلف الذين هم أعلم منه لسانا وأذكى جنانا ﴿قال المؤلف﴾ وانما تكلمنا فى رفع هذا النسب على مذهب من رأى ذلك من العلماء ولم يكرهه كابن اسحق والطبرى والبخارى والزبيريين وغيرهم من العلماء وأما مالك [رحمه الله فقد] سئل عن الرجل يرفع نسبه الى آدم فكره ذلك قيل له فالى اسمعيل فانكر ذلك أيضا وقال ومن يخبره به وكره أيضا أن يرفع فى نسب الانبياء مثل أن يقال ابراهيم بن فلان بن فلان قال ومن يخبره به وقع هذا الكلام لمالك فى الكتاب الكبير المنسوب الى المعيطى وانما أصله لعبد الله بن محمد بن حنين وتممه المعيطى فنسب اليه وقول مالك هذا نحو مما روى عن عروة بن الزبير انه قال ما وجدنا أحدا يعرف ما بين عدنان واسمعيل وعن ابن عباس رضى الله عنه قال بين عدنان واسمعيل ثلاثون أبا لا يعرفون

﴿ذكر اسمعيل صلى الله عليه وبنيه﴾

وقد كان لابراهيم عليه السلام بنون سوى اسحق واسمعيل منهم ستة من قطورا بنت يقطر وهم مديان وزمران وسرج بالجيم ونقشان ومن ولد نقشان البربر فى احد الاقوال وأميم رغوة ومنهم نشق وله بنون آخرون من حجون بنت أهين وهم كيسان وسورج وأميم ولوطان ونافس هؤلاء بنو ابراهيم وقد ذكر ابن اسحق أسماء بنى اسمعيل ولم يذكر بنته وهى نسمة بنت اسمعيل وهى امرأة عيصو بن اسحق وولدت له الروم وفارس فيما ذكر الطبرى وقال أشك فى الاشبان هل هى أمهم أم لا وهم من ولد عيصو ويقال فيه أيضا عيصا وذكر فى ولد اسمعيل ظميا وقيده الدارقطنى ظميا بظاء منقوطة بعدها ميم كانها تانيث أظمى والظمى مقصور سمرة فى الشفتين وذكر دما ورأيت للبكرى ان دومة الجندل عرفت بدوما بن اسمعيل وكان نزلها فلعل دما مغير منه وذكر ان الطور سمى بيطور بن اسمعيل فلعله محذوف الياء أيضا ان كان صح ما قاله والله أعلم وأما الذى قاله أهل التفسير فى الطور فهو كل جبل ينبت الشجر فان لم ينبت شيأ فليس بطور وأما قيذر فتفسيره عندهم صاحب الابل وذلك انه كان صاحب ابل اسمعيل * قال وأمه هاجر ويقال فيها آجر وكانت سرية لابراهيم وهبتها له سارة بنت عمه وهى سارة بنت توبيل بن ناحور وقيل بنت هاران بن ناحور وقيل هاران بنت تارح وهى بنت أخيه على هذا وأخت لوط قاله القتبى فى المعارف وقاله النقاش فى التفسير وذلك ان نكاح بنت الاخ كان حلالا اذ ذاك فيما ذكر ثم نقض النقاش هذا القول فى تفسير قوله تعالى «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا» ان هذا يدل على تحريم بنت الاخ على لسان نوح عليه السلام وهذا هو الحق وانما توهموا انها بنت أخيه لان هاران أخوه وهو هاران الاصغر وكانت هى بنت هاران الاكبر وهو عمه وبهاران سميت مدينة حران لان الحاء هاء بلسانهم وهو سريانى وذكر الطبرى ان ابراهيم انما نطق بالعبرانية حين عبر النهر فارا من النمروذ وكان النمروذ قد قال للطلاب الذين أرسلهم فى طلبه اذا وجدتم فتى يتكلم بالسريانية فردوه فلما أدركوه استنطقوه فحول الله لسانه عبرانيا وذلك حين عبر النهر فسميت العبرانية بذلك وأما السريانية فيما ذكر ابن سلام فسميت بذلك لان الله سبحانه لما علم آدم الاسماء كلها علمه سرا من الملائكة وأنطقه بها حينئذ وكانت هاجر قبل ذلك لملك الاردن واسمه صادوق فيما ذكر القتبى دفعها الى سارة حين أخذها من ابراهيم عجبا منه بجمالها فصرع مكانه فقال ادعى الله أن يطلقنى الحديث وهو مشهور فى الصحاح فارسلها وأخدمها هاجر وكانت هاجر قبل ذلك الملك بنت ملك من ملوك القبط بمصر ذكره الطبرى من

﴿سياقة النسب من ولد اسمعيل عليه السلام﴾ «قال ابن هشام» حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال ولد اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام اثنى عشر رجلا نابتا وكان أكبرهم وقيذر واذبل ومنشا ومسمع وماشى ودما وأذر وظيما وتطور ونبش وقيذما وامهم بنت مضاض بن عمرو الجرهمى «قال ابن هشام» ويقال مضاض وجرهم بن قحطان وقحطان أبو اليمن كلها واليه يجتمع نسبها ابن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح * قال ابن اسحق جرهم بن يقطن ابن عيبر بن شالخ وقحطان بن عيبر بن شالخ * قال ابن اسحق وكان عمر اسمعيل فيما يذكرون مائة سنة وثلاثين سنة ثم مات رحمة الله وبركاته عليه ودفن فى الحجر مع أمه هاجر رحمهم الله تعالى «قال ابن هشام» يقول العرب هاجر وآجر فيبدلون الالف من الهاء كما قالوا هراق الماء وأراق الماء وغيره وهاجر من أهل مصر «قال ابن هشام» ثنا عبد الله بن وهب عن عبد الله بن لهيعة

عن عمر مولى غفرة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله الله فى أهل الذمة أهل المدرة السوداء السحم الجعاد فان لهم نسبا وصهرا قال عمر مولى غفرة نسبهم أن أم اسمعيل النبي صلى الله عليه وسلم منهم وصهرهم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسرر فيهم قال ابن لهيعة ام اسمعيل هاجر من أم العرب قرية كانت امام الفرما من مصر وأم ابراهيم مارية سرية النبي صلى الله عليه وآله وسلم التى أهداها له المقوقس من حفن من كورة انصنا * قال ابن اسحق حدثني محمد ابن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ان عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ابن مالك الانصاري ثم السلمي حدثه ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال اذا افتتحتم مصر فاستوصوا باهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما فقلت لمحمد بن مسلم ما الرحم التى ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لهم فقال كانت هاجر أم اسمعيل منهم

حديث سيف بن عمر أو غيره ان عمرو بن العاص حين حاصر مصر قال لاهلها ان نبينا عليه السلام قد وعدنا بفتحها وقد أمرنا أن نستوصي باهلها خيرا فان لهم نسبا وصهرا فقالوا له هذا نسب لا يحفظ حقه الا نبي لانه نسب بعيد وصدق كانت أمكم امرأة لملك من ملوكنا فخار بنا أهل عين الشمس فكانت لهم علينا دولة فقتلوا الملك واحتملوها فمن هناك تصيرت الى أبيكم ابراهيم أو كما قالوا وذكر الطبري ان الملك الذى أراد سارة هو سنان بن علوان وانه أخو الضحاك الذى تقدم ذكره وفى كتاب التيجان لابن هشام انه عمرو ابن امرئ القيس بن بابليون بن سبا وكان على مصر والله أعلم وهاجر أول امرأة ثقبت أذناها وأول من خفض من النساء وأول من جرت ذيلها وذلك ان سارة غضبت عليها فحلفت ان تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها فامرها ابراهيم عليه السلام أن تبر قسمها بثقب أذنيها وخفاضها فصارت سنة فى النساء وممن ذكر هذا الخبر ابن أبي زيد فى نوادره واسمعيل عليه السلام نبي مرسل أرسله الله تعالى الى أخواله من جرهم والى العماليق الذين كانوا بارض الحجاز فآمن بعض وكفر بعض (وقوله) وأمهم بنت مضاض ولم يذكر اسمها واسمها السيدة ذكره الدارقطني وقد كان له امرأة سواها من جرهم وهى التى أمره أبوه بتطليقها حين قال لها ابراهيم قولي لزوجك فليغير عتبة بيته يقال اسمها جدا بنت سعد ثم تزوج أخرى وهى التى قال لها ابراهيم فى الزورة الثانية قولي لزوجك فليثبت عتبة بيته الحديث وهو مشهور فى الصحاح أيضا يقال اسم هذه الآخرة سامة بنت مهلهل ذكرها وذكر التى قبلها الواقدي فى كتاب انتقال النور وذكرهما المسعودي أيضا وقد قيل فى الثانية عاتكة (وقوله) فى حديث عمر مولى غفرة وغفرة هذه هى أخت بلال بن رباح وقول مولى غفرة هذا ان صهرهم لكون رسول الله صلى الله عليه وسلم تسرر منهم يعني مارية بنت شمعون التى أهداها اليه المقوقس واسمه جريج بن ميناء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسل اليه حاطب بن أبي بلتعة وجبرا مولى أبي رهم الغفاري فقارب الاسلام وأهدى معهما الى النبي صلى الله عليه وسلم بغلته التى يقال لها دلدل والدلدل القنفذ العظيم وأهدى اليه مارية بنت شمعون والمارية بتخفيف الياء البقرة الفتية بخط ابن سراج يذكره عن أبي عمرو المطرز وأما المارية بالتشديد فيقال قطاة مارية أى ملساء قاله أبو عبيد فى الغريب المصنف وأهدى اليه أيضا قدحا من قوارير فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب فيه رواه ابن عباس فيقال ان هرقل عزله لما رأى من ميله الى الاسلام ومعنى المقوقس المطول للبناء والقوس الصومعة العالية يقال فى مثل أناك القوس وأنت فى القرقوس متى تجتمع وقول ابن لهيعة بالفرما من مصر الفرما مدينة كانت تنسب الى صاحبها الذى بناها وهو الفرما بن فيلقوس ويقال فيه ابن قليس ومعناه محب الفرس ويقال فيه ابن بليس ذكره المسعودي والاول قول الطبري وهو أخو الاسكندر بن فليس اليوناني وذكر الطبري ان الاسكندر حين بنى مدينة الاسكندرية قال أبني مدينة فقيرة الى الله غنية عن الناس وقال الفرما أبني مدينة فقيرة الى الناس غنية عن الله فسلط الله على مدينة الفرما الخراب سريعا فذهب رسمها وعفا أثرها وبقيت مدينة الاسكندر الى الآن وذكر الطبري ان عمرو بن العاص حين افتتح مصر وقف على آثار مدينة الفرما فسأل عنها فحدث بهذا الحديث والله أعلم وأما مصر فسميت بمصر بن النبيط ويقال ابن قبط بن النبيط من ولد كوش بن كنعان * وأما حفن التى ذكر انها قرية أم ابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم [فقرية بالصعيد معروفة وهى التى كلم الحسن بن علي رضي الله عنهما معاوية أن يضع الخراج عن أهلها ففعل معاوية ذلك] حفظا لوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم ورعاية لحرمة الصهر ذكره أبو عبيد فى كتاب الاموال * وذكر انصنا وهى قرية بالصعيد يقال انها كانت مدينة السحرة قال أبو حنيفة ولا

يتبت

ينبت اللبخ الا بانصنا وهوعود تنشرمنه ألواح للسفن و ربما أرعف ناشرها و يباع اللوح منها بخمسين دينارا أونحوها واذا شدلوح منها بلوح وطرح فى الماء سنة التأما وصارا لوحاواحدا

﴿فصل﴾ وذكرعك بن عدنان وأن بعض أهل اليمن يقول فيه عك بن عدنان بن عبدالله بن الازد وذكر الدارقطنى فى هذا الموضع عن ابن الحباب انه قال فيه عك بن عبدالله بن عُدثان بالثاء المثلثة ولا خلاف فى الاول انه بنونين كالم يختلف فى دوس بن عدثان انه بالثاء وهى قبيلة من الازد أيضا واسم عك عامر والديث الذى ذكره هو بالثاء وقاله الزبير الذيب بالذال والباء ولعدنان أيضا ابن اسمه الحارث وآخر يقال له المذهب ولذلك قيل فى المثل أجهل من المذهب وقد ذكر أيضا فى بنيه الضحاك وقيل فى الضحاك انه ابن معد لا ابن عدنان وقيل ان عدن الذى تعرف به مدينة عدن وكذلك أبين هما ابنا عدنان قاله الطبرى وامد نان بن اددا خوان نبت بن ادد وعمرو بن ادد قاله الطبرى ايضا

﴿ذكر قحطان والعرب العاربة﴾

أما قحطان فاسمه مهزم فيماذكرابن ماكولا وكانوا أربعة اخوة فيما روى عن ابن منبه قحطان وقاحط ومقحط وفالغ وقحطان أول من قيل له أبيت اللعن وأول من قيل له عم صباحا واختلف فيه فقيل هو ابن عابر بن شالخ وقيل هو ابن عبدالله أخو هود وقيل هو هود نفسه فهو على هذا القول من أرم بن سام ومن جعل العرب كلها من اسمعيل قال فيه هو ابن تيمن بن قيذر بن اسمعيل و يقال هو ابن الهميسع بن يمن و بيمن سميت اليمن فى قول وقيل بل سميت بذلك لانها عن يمين الكعبة وتفسير الهميسع الصراع وقال ابن هشام يمن هو يعرب بن قحطان سمى بذلك لان هودا عليه السلام قال له أنت أيمن ولدى نقيبة فى خبر ذكره قال وهو أول من قال القريض والرجز وهو الذى أجلى بنى حام الى بلاد المغرب بعد ان كانوا يأخذون الجزية من ولد قوط بن يافث قال وهى أول جزية وخراج أخذت فى بنى آدم وقد احتجوا لهذا القول أعنى ان قحطان من ولد اسمعيل عليه السلام بقول النبى صلى الله عليه وسلم ارموا يا بنى اسمعيل فان أباكم كان راميا قال هذا القول لقوم من أسلم بن أفصى وأسلم اخو خزاعة وهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر وهم من سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان ولا حجة عندى فى هذا الحديث لاهل هذا القول لان اليمن لو كانت من اسمعيل مع ان عدنان كلها من اسمعيل بلا شك لم يكن لتخصيص هؤلاء القوم بالنسب الى اسماعيل معنى لان غيرهم من العرب أيضا أبوهم اسمعيل ولكن فى الحديث دليل والله أعلم على ان خزاعة من بنى قمعة أخى مدركة بن الياس بن مضر كما سيأتى بيانه فى هذا الكتاب عند حديث عمرو بن لحى ان شاء الله وكذلك قول أبى هريرة رضى الله عنه هى أمكم يا بنى ماء السماء يعنى هاجر يحتمل أن يكون تأول فى قحطان ما تأوله غيره و يحتمل أن يكون نسبهم الى ماء السماء على زعمهم فانهم ينتسبون اليه كما ينتسب كثير من قبائل العرب الى حاضنتهم والى رابهم أى زوج أمهم كما سيأتى بيانه فى باب قضاعة ان شاء الله وسبا اسمه عبد شمس كما ذكر وكان أول من تتوج من ملوك العرب وأول من سبى فسمى سبأ ولست من هذا الاشتقاق على يقين لان سبا مهموز والسبى غير مهموز وذكر أميما ويقال فيه أميم ووجدت بخط أشياخ مشاهير أميم وأميم بفتح الهمزة وتشديد الميم مكسورة ولا نظيرله فى الكلام والعرب تضطرب فى هذه الاسماء القديمة قال المعرى:

يراه بنوالدهر الاخير بحاله * كما قد رأته جرهم وأميم

فجاء به على وزن فعيل وهو الاكثر وأميم فيما ذكروا أول من سقف البيوت بالخشب المنشور وكان ملكا

«قال ابن هشام» فالعرب كلها من اسمعيل وقحطان و بعض أهل اليمن يقول قحطان من ولد اسمعيل و يقول اسمعيل أبو العرب كلها * قال ابن اسحق عاد بن عوص بن أرم بن سام بن نوح وثمود وجديس ابنا عابر بن ارم بن سام بن نوح وطسم وعملاق وأميم بنو لاوذ بن سام بن نوح عرب كلهم فولد نابت بن اسمعيل يشجب بن نابت فولد يشجب يعرب بن يشجب فولد يعرب تيرح بن يعرب فولد تيرح ناحور بن تيرح فولد ناحور مقوم بن ناحور فولد مقوم ادد بن مقوم فولد أدد عدنان بن أدد «قال ابن هشام» و يقال عدنان بن أد * قال ابن اسحق فمن عدنان تفرقت القبائل من ولد اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام فولد عدنان رجلين معد بن عدنان وعك بن عدنان «قال ابن هشام» فصارت عك فى دار اليمن وذلك ان عكا تزوج فى الاشعريين فاقام فيهم فصارت الدار واللغة واحدة والاشعريون بنو اشعر بن نبت بن أدد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد

وكان يسمى آدم وهو عند الفرس آدم الاصغر وولده وبار وهم أمة هلكت فى الرمل هالت الرياح الرمل على فجاجهم ومناهلهم فهلكوا قال الشاعر

وكر دهر على وبار * فاهلكت عنوة وبار

والنسب اليه أبارى على غير قياس ومن العماليق ملوك مصر الفراعنة منهم الوليد بن مصعب صاحب موسى وقابوس بن مصعب بن عمرو بن معاوية بن اراشة بن معاوية بن عمليق أخو الاول ومنهم الريان بن الوليد صاحب يوسف عليه السلام ويقال فيه ابن دومع فيما ذكر المسعودى وأما طسم وجديس فافنى بعضهم بعضا قتلت طسم جديسا لسوء ملكتهم اياهم وجورهم فيهم فافلت منهم رجل اسمه رباح بن مرة فاستصرخ بتبع وهو حسان بن تبان أسعد وكانت أخته اليمامة واسمها عنز ناكحا فى طسم وكان هواها معهم فانذرتهم فلم يقبلوا فصبحتهم جنود تبع فافنوهم قتلا وصلبوا اليمامة الزرقاء بباب جو وهى المدينة فسميت جو باليمامة من هنالك الى اليوم وذلك فى أيام ملوك الطوائف وبقيت بعد طسم بابالا يأكل ثمرها الا عوافى الطير والسباع حتى وقع عليها عبيد بن ثعلبة الحنفى وكان رائدا لقومه فى البلاد فلما أكل التمر قال ان هذا لطعام وحجر بعصاه على موضع قصبة اليمامة فسميت حجرا وهى منازل حنيفة الى اليوم وخبر طسم وجديس مشهور اقتصرنا منه على هذه النبذة [لشهرته عند الاخباريين]

﴿ ذكر نسب الانصار ﴾

وهم الأوس والخزرج والأوس الذئب والعطية أيضا والخزرج الريح الباردة ولا أحسب الاوس فى اللغة الا العطية خاصة وهى مصدر أسته وأما أوس الذى هو الذئب فعلم كاسم الرجل وهو كقولك أسامة فى اسم الاسد وليس أوس اذا أردت الذئب كقولك ذئب وأسد ولو كان كذلك لجمع وعرف قال كما يفعل باسماء الاجناس ولقيل فى الانثى أوسة كما يقال ذئبة وفى الحديث ما يقوى هذا وهو قوله عليه السلام هذا أويس يسئلكم من أموالكم فقالوا لا تطيب له أنفسنا بشئ ولم يقل هذا الاوس فتأمله وليس أوس على هذا من المسمين بالسباع ولا منقولا من الاجناس الا من العطية خاصة *وفيه عمرو وهو مزيقياء لانه فيما ذكروا كان يمزق كل يوم حلة ابن عامر وهو ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس وهو البهلول بن ثعلبة الصنم ابن مازن السراج ابن الاسد ويقال لثعلبة أبيه الصنم وكان يقال لثعلبة ابن عمرو جد الاوس والخزرج ثعلبة العنقاء وكانهم ملوك متوجون ومات حارثة بن ثعلبة العنقاء والد الاوس والخزرج بالمدينة بعد ظهورهم على الروم بالشام ومصالحة غسان [1] لملك الروم وكان موت حارثة وجذع بن سنان من صيحة كانت بين السماء والارض سمع فيها صهيل الخيل وبعد موت حارثة كان ما كان من نكث يهود العهود حتى ظهرت الاوس والخزرج عليهم بمن استنصروا به من ملوك [جفنة] ويقال فى الاسد الازد بالسين والزاى واسمه الازدراء بن الغوث قاله وثيمة بن موسى بن الفرات وقال غيره سمى أسدا لكثرة ما أسدى الى الناس من الايادى ورفع فى النسب الى كهلان بن سبا وكهلان كان ملكا بعد حمير وعاش فيما ذكروا ثلاثمائة سنة ثم تحول الملك الى أخيه حمير ثم فى بنيهم وهم وائل ومالك وعمرو وعامر وسعد وعوف *وذكر لطمة ولد عمرو بن عامر لابيه وانه كان أصغر ولده قال المسعودى واسمه مالك وقال غيره ثعلبة وقال ويقال انه كان يتيما فى حجره وقول حسان

١) فى الثانية : بعد حربهم للروم وظهورهم على كل من حاربوه

ابن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان ويقال أشعر بن نبت بن أدد ويقال أشعر بن مالك ومالك مذحج بن أدد بن زيد بن مهسع ويقال اشعر ابن سبا بن يشجب (وأنشدنى) أبو محرز خلف الاحمر وابو عبيدة لعباس بن مرداس احد بنى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ابن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان يفخر بعك

وعك بن عدنان الذين تلعبوا
بغسان حتى طردوا كل مطرد

وهذا البيت فى قصيدة له وغسان ماء بسد مأرب باليمن كان شربا لولد مازن ابن الاسد بن الغوث فسموا به ويقال غسان ماء بالمشلل قريب من الجحفة والذين شربوا منه تحزبوا فسموا به قبائل من ولد مازن بن الاسد بن الغوث ابن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان قال حسان بن ثابت الانصارى والانصار بنو الاوس والخزرج بنى حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الاسد بن الغوث

أما سألت فانا معشر أنف * الاسد نسبتنا والماء غسان

وقبله يا أخت آل فراس انى رجل * من معشرهم فى المجد بنيان

واشتقاق غسان اسم ذلك الماء من الغسن وهو الضعيف كما قال * غس الامانة صنبور فصنبور * ويروى غسى ويقال للهر اذا زجر غس بتخفيف السين [قاله صاحب العين] والغسيسة من الرطب التى يبدأها الارطاب من قبل معلاقها ولا تكون الاضعيفة ساقطة

﴿ فصل ﴾ وذكر تفرق سبا والعرب تقول تفرقوا أيدى سبا وأيادى سبأ نصبا على الحال وان كان معرفة فى الظاهر لان معناه مثل أيدى سبا والياء ساكنة فيه فى موضع النصب لانه صار بمنزلة اسمين جعلا اسما واحداً مثل معدى كرب ولم يسكنوها فى ثمانى عشرة لانها متحركة فى ثمانية عشر

﴿ فصل ﴾ وذكر سيل العرم وفى العرم أقوال قيل هى المسناة أى السد وهو قول قتادة وقيل هو اسم للوادى وهو قول عطاء وقيل هو الجرذ الذى خرب السد وقيل هو صفة للسيل من العرامة وهو معنى رواية على بن أبى طلحة عن ابن عباس وقال البخارى العرم ماء أحمر حفر فى الارض حتى ارتفعت عنه الجنتان فلم يسقهما حتى يبست وليس الماء الاحمر من السد ولكنه كان عذابا أرسل عليهم انتهى كلام البخارى والعرب تضيف الاسم الى وصفه لانهما اسمان فتعرف أحدهما بالآخر وحقيقة اضافة المسمى الى الاسم الثانى أى صاحب هذا الاسم كما تقول ذو زيد أى المسمى بزيد ومنه سعد ناشرة وعمرو بطة وقول الاعشى * ومأرب عفى عليها العرم * يقوى انه السيل ومأرب بسكون الهمزة اسم لقصر كان لهم وقيل هو اسم لكل ملك كان يلى سبا كما ان تبعا اسم لكل من ولى اليمن وحضرموت والشحر قاله المسعودى وكان هذا السد من بناء سبا بن يشجب بن يعرب وكان ساق اليه سبعين واديا ومات قبل أن يستتمه فاتمته ملوك حمير بعده وقال المسعودى بناه لقمان بن عاد وجعله فرسخا فى فرسخ وجعل له ثلاثين مثقبا وقول الاعشى * اذا جاء موّاره لم يرم * من قوله تعالى «يوم تمور السماء موراً» فهو مفتوح الميم وبعضهم يرويه مضموم الميم والفتح أصح ومنه قولهم دم مائر أى سائل وفى الحديث أمر الدم بما شئت أى أسله ورواه أبو عبيد أمر بسكون الميم جعله من مريت الضرع والنفس الى الرواية الاولى أميل من طريق المعنى وكذلك رواه النقاش وفسره وقوله ــ لم يرم ــ أى [لم] يمسكه السد حتى يأخذوا منه ما يحتاجون اليه * وقوله فاروى الزروع وأعنابها أى أعناب تلك البلاد لان الزروع لا عنب لها وأنشد لامية بن أبى الصلت

من سبا الحاضرين مأرب إذ * يبنون من سيله العرما

وهذا أبين شاهد على أن العرم هو السد واسم أبى الصلت ربيعة بن وهب بن علاج الثقفى وأمه رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف

﴿ ذكر معد وولده ﴾

قوله وولد معد أربعة نفر أما نزار فمتفق على انه ابن معد وسائر ولد معد فمختلف فيه فمنهم جشم بن معد وسلهم ابن معد وجنادة بن معد وقناصة بن معد وقنص بن معد [وسنام بن معد] وعوف وقد انقرض عقبه وحيدان وهم الآن فى قضاعة وأود وهم فى مذحج ينسبون بنى أود بن عمرو ومنهم عبيد الرماح وحيدة وحيادة وجنيد وقحم فاما قضاعة فاكثر النسابين يذهبون الى ان قضاعة هو ابن معد وهو مذهب الزبيريين وابن هشام وقد روى من طريق هشام بن عروة عن عائشة عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن قضاعة فقال

اما سألت فانا معشر نجب الاسد نسبتنا والماء غسان وهذا البيت فى أبيات له فقالت اليمن وبعض عك وهم الذين بخراسان منهم عك بن عدنان بن عبد الله بن الاسد بن الغوث ويقال عدنان بن الديث بن عبد الله بن الاسد بن الغوث

هو ابن معد وكان بكره قال أبو عمر وليس دون هشام بن عروة من يحتج به فى هذا الحديث وقد عارضه حديث آخر عن عقبة بن عامر الجهنى وجهينة هو ابن [زيد بن ليث بن] سود بن أسلم بضم اللام ابن الحاف بن قضاعة انه قال يا رسول الله لمن نحن فقال أنتم بنو مالك بن حمير وقال عمرو بن مرة وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكنى أبا مريم

* يا أيها الداعى ادعنا وا [بشر] * وكن قضاعياً ولا تنزّر
نحن بنو الشيخ الهجان الازهر * قضاعة بن مالك بن حمير

[قال ذو الحسبين قال الزبير الشعر لافلح بن اليعبوب] وعمرو بن مرة هذا له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثان أحدهما فى اعلام النبوة والآخر من ولى أمر الناس فسد بابه دون ذوى الحاجة والخلة والمسكنة سد الله بابه دون حاجته وخلته ومسكنته يوم القيامة ومما احتج به أصحاب القول الاول أيضا قول زهير

قضاعية أو آختها مضرية * يحرق فى حافاتها الحطب الجزل

فجعل قضاعة ومضر أخوين وأشعار كثيرة للبيد وغيره وقد قال الكميت يعاتب قضاعة فى انتسابهم الى اليمن

علام نزلتم من غير فقر * ولا ضراء منزلة الحميل

والحميل ـ المسبي لانه يحمل من بلد الى بلد قال الاعمش كان أبى حميلا فورثه مسروق أراد أن مسروقا كان يرى التوارث بولادة الاعاجم وقال ابن الماجشون كان أبى ومالك وابن دينار والمغيرة يقولون فى الحميل وهو المسبي بقول ابن هرمز ثم رجع مالك قبل موته بيسير الى قول ابن شهاب وانهم يتوارثون بشهادة العدول ولما تعارض القولان فى قضاعة وتكافأت الحجاج نظرنا فاذا بعض النسابين وهو الزبير قد ذكر ما يدل على صدق الفريقين وذكر عن ابن الكلبي أو غيره ان امرأة مالك بن حمير واسمها عكبرة آمت منه وهى ترضع قضاعة فتزوجها معد فهو رابه فتبناه وتكنى به ويقال بل ولدته على فراشه فنسب اليه وهو قول الزبير كما نسب بنو عبد مناة بن كنانة الى على بن مسعود بن مازن بن الذئب الاسدى لانه كان حاضن أبيهم وزوج أمهم فيقال لهم بنو على الى الآن وكذلك عكل وهو حاضن بنى عوف بن ود بن طابخة ولكن لا يعرفون الا بعكل وكذلك سعد بن هذيم انما هم بنو سعد بن زيد من قضاعة وهذيم كان حاضن سعد فنسب اليه وهذا كثير فى قبائل العرب وسيأتى منه فى الكتاب زيادة ان شاء الله وتفسير قضاعة فيما ذكر صاحب العين كلب الماء فهو اسم منقول منه وهو لقب له [واسمه عمرو ويكنى أبا حسن وكنيته أبا حكم] (١) فيما ذكروا وقول ابن اسحق كان بكر معد فالبكر أول ولد الرجل وأبوه بكر والثنى ولده الثانى وأبوه ثنى والثالث ولده الثالث ولا يقال للاب ثلث ولا يقال فيما بعد الثالث شىء من هذا قاله الخطابى ومما عوتبت به قضاعة فى انتسابهم الى اليمن قول أعشى بنى تغلب (٢) وقيل هى لرجل من كلب وكلب من قضاعة

أزنيتمُ عجوزكم وكانت * قديما لا يشمّ لها خمار
عجوز لو دنا منها عمان * للاقى مثل ما لاقى يسار

يريد يسار الكواعب الذى هم بهن فخصينه وقال بعض شعراء حمير فى قضاعة

مررنا على حيّ قضاعة غدوة * وقد أخذوا فى الزفن والزّفنان
فقلت لهم ما بال زفنكم كذا * لعرس نرى ذا الزفن أو لختان

١) فى الاصل : «وكنيته أبو عمر فيما ذكر» وعلم فوقه بكذا اشارة يضعها كاتب النسخة فيما يشتبه عليه ولذلك وضعت فى المتن ما وجدته فى الثانية ٢) نسخه ثعلب

* قال ابن اسحق فولدمعد بن عدنان أربعة نفر نزار بن معدوقضاعة بن معدوكان قضاعة بكرمعد الذى به يكنى فيمايزعمون وقنص بن معدوايادبن معد فاما قضاعة فتيامنت الى حمير بن سبأوكان اسم سبأ عبدشمس وانما سمى سبألانه أول من سبى فى العرب ابن يعرب بن يشجب بن قحطان ﴿قال ابن هشام﴾ فقالت اليمن وقضاعة قضاعة بن مالك بن حمير وقال عمرو بن مرة الجهنى وجهينة بن زيد بن ليث بن سود بن اسلم بن الحاف بن قضاعة

نحن بنو الشيخ الهجان الازهر * قضاعة بن مالك بن حمير
النسب المعروف غير المنكر * فى الحجر المنقوش تحت المنبر

* قال ابن اسحق وأما قنص بن معد فهلكت بقيتهم فيما يزعم نساب معد وكان منهم النعمان بن المنذر ملك الحيرة * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى ان النعمان بن المنذر كان من ولد قنص بن معد «قال ابن هشام» ويقال قنص * قال ابن اسحق وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس عن شيخ من الانصار من بنى زريق انه حدثه ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أتى بسيف النعمان بن المنذر دعا جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبدمناف بن قصى وكان جبير من أنسب قريش لقريش وللعرب قاطبة وكان يقول انما أخذت النسب من أبى بكر الصديق رضى الله عنه وكان أبو بكر الصديق أنسب العرب فسلحه اياه ثم قال ممن كان ياجبير النعمان بن المنذر فقال كان من اشلاء قنص بن معد * قال بن اسحق فاما سائر العرب فيزعمون انه كان رجلا من لخم من ولد ربيعة بن نصر فالله أعلم أى ذلك كان «قال ابن هشام» لخم بن عدى بن الحرث بن مرة بن ادد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن يشجب بن زيد بن كهلان بن سبأ ويقال لخم بن عدى بن عمرو بن سبأ ويقال ربيعة بن نصر بن أبى حارثة بن عمرو بن عامر وكان تخلف باليمن بعد خروج عمرو بن عامر من اليمن

﴿ أمر عمرو بن عامر فى خروجه من اليمن وقصة سدمأرب ﴾

وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن فيما حدثنى أبو زيد الانصارى انه رأى جرذا يحفر فى سدمأرب الذى كان يحبس عليهم الماء فيصرفونه حيث شاؤا من أرضهم فعلم انه لا بقاء للسد على ذلك فاعتزم على النقلة عن اليمن فكاد قومه فامر أصغر ولده اذا أغلظ عليه ولطمه أن يقوم اليه فيلطمه ففعل ابنه ما أمره به فقال عمرو لا أقيم ببلد لطم وجهى فيه أصغر ولدى وعرض أمواله فقال أشراف من أشراف اليمن اغتنموا غضبة عمرو فاشتروا منه أمواله وانتقل فى ولده وولد ولده وقالت الازد لا نتخلف عن عمرو بن عامر فباعوا أموالهم وخرجوا معه فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان فحاربتهم عك فكانت حربهم سجالا ففى ذلك قال عباس بن مرداس البيت الذى كتبنا ثم ارتحلوا عنهم فتفرقوا فى البلدان فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام ونزلت الاوس والخزرج يثرب ونزلت خزاعة مرا ونزلت أزد السراة السراة

فقالوا ألا انا وجدنا لنا أبا * فقلت ليهنئكم بأى مكان
فقالوا وجدناه بجرعاء مالك * فقلت اذاً ما أمكم بحصان
فما مس خصيا مالك فرج أمكم * ولا بات منه الفرج بالمتدان
فقالوا بلى والله حتى كأنما * خصياه فى باب استها جعلان

ذكره أبو عمر رحمه الله فى كتاب الانباه وقال جميل بن معمر وهو من بنى حن بن ربيعة من قضاعة يصف بثينة وهى من حن أيضا

ربت الروابى من معد وفضلت * على المحصنات البيض وهى وليد

وقال جميل أيضا وهو يحدو بالوليد بن عبد الملك

أنا جميل فى السنام من معد * الضارب الناس فى الركن الاشد

﴿ ذكر قنص بن معد ﴾

وكان قنص بن معد قد انتشر ولده بالحجاز فوقعت بينهم وبين بنى أبيهم حرب وتضايقوا فى البلاد وأجدبت لهم الارض فساروا نحو سواد العراق وذلك أيام ملوك الطوائف فقاتلهم الاردانيون وبعض ملوك الطوائف وأجلوهم عن السواد وقتلوهم الا اشلاء لحقت بقبائل العرب ودخلوا فيهم وانتسبوا اليهم

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق حديث جبير بن مطعم حين أتى عمر بسيف النعمان بن المنذر وكان جبير أنسب الناس الحديث وذكر الطبرى أن سيف النعمان بن المنذر انما أتى به عمر حين افتتحت المدائن وكانت بها خزائن كسرى وذخائره فلما غلب عليها فر الى اصطخر فاخذت أمواله ونفائس عدده وأخذ له خمسة أسياف لم ير مثلها أحدها سيف كسرى أبرويز وسيف كسرى أنوشروان وسيف النعمان بن المنذر الذى كان استلبه منه حين قتله غضبا عليه وألقاه الى الفيلة فخبطته بأيديها حتى مات وقال الطبرى انما مات فى سجنه فى الطاعون الذى كان فى الفرس وسيف خاقان ملك الترك وسيف

ونزلت أزد عمان عمان ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه ففيه أنزل الله تبارك وتعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم «لقد كان لسبأ فى مساكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم» والعرم السد واحدته عرمة فيما حدثنى أبو عبيدة * قال الاعشى أعشى بنى قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد «قال ابن هشام» ويقال أفصى بن دعمى بن جديلة واسم الاعشى ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف بن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة وفى ذاك للمؤتسى أسوة * ومأرب عفى عليها العرم رخام بنته لهم حمير * اذا جاء موّاره لم يرم فأروى الزروع وأعنابها * على سعة ماؤهم اذ قسم فصاروا أيادى ما يقدرو * ن منه على شرب طفل فطم

وهذه الابيات فى قصيدة له * وقال أمية بن أبى الصلت الثقفى واسم ثقيف قسى بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان

من سبا الحاضرين مأرب اذ يبنون من دون سيله العرما

وهذا البيت فى قصيدة له * ويروى للنابغة الجعدى واسمه قيس بن عبد الله أحد بنى جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن وهو حديث طويل منعنى من استقصائه ماذكرت من الاختصار * قال ابن اسحق وكان ربيعة بن نصر ملك اليمن بين أضعاف ملوك التبابعة فرأى رؤيا هالته وفظع بها فلم يدع كاهنا ولا ساحرا ولا عائفا ولا منجما من أهل مملكته الا جمعه اليه فقال لهم انى قد رأيت رؤيا هالتنى وفظعت بها فأخبرونى بها وبتأويلها قالوا له اقصصها علينا نخبرك بتأويلها قال انى ان أخبرتكم بها لم أطمئن الى خبركم عن تأويلها فانه لا يعرف تأويلها الا من عرفها قبل أن أخبره بها فقال له رجل منهم فان كان الملك يريد هذا فليبعث الى سطيح وشق فانه ليس احد أعلم منهما فهما يخبرانه بما سال عنه واسم سطيح ربيع بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب بن عدى بن مازن غسان وشق بن صعب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن قيس بن عبقر بن أنمار بن نزار وانمار أبو بجيلة وخثعم «قال ابن هشام» وقالت اليمن وبجيلة أنمار بن أراش بن لحيان بن عمرو بن الغوث بن نابت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ويقال أراش بن عمرو بن لحيان بن الغوث ودار بجيلة وخثعم يمانية قال ابن اسحق فبعث اليهما فقدم عليه سطيح قبل شق فقال له انى قد رأيت رؤيا هالتنى بشق

هرقل وكان تصير الى كسرى أيام غلبته على الروم فى المدة التى ذكرها الله تعالى فى قوله «الم غلبت الروم فى أدنى الارض» الآية فهذا كان سبب تصير سيف النعمان الى كسرى أبرويز ثم الى كسرى يزدجرد ثم الى عمر رضى الله عنه وكان الذى قتل النعمان منهم أبرويز بن هرمز بن أنوشروان وكان لابرويز فيما ذكر ألف فيل وخمسون ألف فرس وثلاثة آلاف امرأة فيما ذكر الطبرى وتفسير أنوشروان بالعربية مجدد الملك فيما ذكروا والله أعلم وكذلك تفسير أبرويز المظفر قاله المسعودى والطبرى أيضا وزاد الطبرى فى حديث جبير حين سأله عمر عن نسب النعمان قال كانت العرب تقول انه من أشلاء قنص بن معد وهو من ولد عجم بن قنص الا أن الناس لم يدروا ما عجم فجعلوا مكانه لخما فقالوا هو من لخم [ونسبوا اليه] وأبرويز هو الذى كتب اليه النبى صلى الله عليه وسلم فمزق كتابه فدعا عليهم النبى صلى الله عليه وسلم أن يمزقوا كل ممزق

﴿ حديث ربيعة بن نصر ورؤياه ﴾

وبعضهم يقول فيه نصر بن ربيعة وهو فى قول نساب اليمن ربيعة بن نصر بن الحارث بن نمارة بن لخم وقال الزبير فى هذا النسب نصر بن مالك بن شعوذ بن مالك بن عجم بن عمرو بن نمارة بن لخم ولخم أخو جذام وسمى لخما لانه لخم أخاه أى لطمه فعضه الآخر فى يده فجذمها فسمى جذاما وقال قطرب اللخم سمكة فى البحر بها سمى الرجل لخما [وأكثر المؤرخين يقولون فيه نصر بن ربيعة] وقد تقدم ما قاله سعيد بن جبير فى نسب النعمان وهو من ولد ربيعة وان لخما فى نسبه تصحيف من عجم بن قنص وذكر رؤياه وسطيحا الكاهن ونسبه وقد خالفه محمد بن حبيب النسابة فى شئ من هذا النسب فى كتاب المحبر وكان سطيح جسدا ملقى لا جوارح له فيما يذكرون ولا يقدر على الجلوس الا اذا غضب انتفخ فجلس وكان شق شق انسان فيما يذكرون انما له يد واحدة ورجل واحدة وعين واحدة ويذكر عن وهب بن منبه انه قال قيل لسطيح انى لك هذا العلم فقال لى صاحب من الجن استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلم الله تعالى منه موسى عليه السلام فهو يؤدى الىّ من ذلك ما يؤديه وولد سطيح وشق فى اليوم الذى ماتت فيه طريفة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر وهى بنت الخير الحميرية ودعت بسطيح قبل أن تموت فأتيت به فتفلت فى فيه وأخبرت انه سيخلفها فى علمها وكهانتها وكان وجهه فى صدره لم يكن له رأس ولا عنق ودعت

وفظعت بها فاخبرنى بها فانك ان أصبتها أصبت تاويلها قال افعل رأيت حممة خرجت من ظلمة فوقعت بارض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة فقال له الملك ما أخطأت منها شيئا ياسطيح فما عندك فى تاويلها فقال أحلف بما بين الحرتين من حنش لتهبطن ارضكم الحبش فليملكن ما بين أبين الى جرش فقال له الملك وأبيك ياسطيح ان هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن أفى زمانى هذا أم بعده قال لا بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين يمضين من السنين قال أفيدوم ذلك من ملكهم أم ينقطع قال لا بل ينقطع لبضع وسبعين من السنين ثم يقتلون ويخرجون منها هاربين قال ومن يلى ذلك من قتلهم واخراجهم قال يليه إرم ذى يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك أحدا منهم باليمن قال أفيدوم ذلك من سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبى زكى يأتيه الوحى من قبل العلى قال وممن هذا النبى قال رجل من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر يكون الملك فى قومه الى آخر الدهر قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والآخرون يسعد فيه المحسنون ويشقى فيه المسيئون قال أحق ما تخبرنى قال نعم والشفق والغسق والفلق اذا اتسق ان ما أنبأتك به لحق ثم قدم عليه شق فقال له كقوله لسطيح وكتمه ما قال سطيح لينظر أيتفقان أم يختلفان قال نعم رأيت حممة خرجت من ظلمة فوقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة قال فلما قال له ذلك عرف انهما قد اتفقا وان قولهما واحد الا أن سطيحا قال وقعت بارض تهمة فأكلت منها كل ذات جمجمة وقال شق وقعت بين روضة وأكمة فأكلت منها كل ذات نسمة فقال له الملك ما أخطأت ياشق منها شيئا فما عندك فى تأويلها قال احلف بما بين الحرتين من انسان لينزلن أرضكم السودان فليغلبن على كل طفلة البنان وليملكن ما بين أبين الى نجران فقال له الملك وابيك ياشق ان هذا لنا لغائظ موجع فمتى هو كائن أفى زمانى أم بعده قال لا بل بعده بزمان ثم يستنقذكم منهم عظيم ذو شان ويذيقهم أشد الهوان قال ومن هذا العظيم الشان قال غلام ليس بدنى ولا مدن

بشق ففعلت به مثل ما فعلت بسطيح ثم ماتت وقبرها بالجحفة وذكر أبو الفرج ان خالد بن عبد الله القسرى كان من ولد شق هذا فهو خالد بن عبد الله بن أسد بن يزيد بن كرز وذكر ان كرزا كان دعيا وانه كان من اليهود فجنى جناية فهرب الى بجيلة فانتسب فيهم ويقال كان عبدا لعبد القيس وهو ابن عامر ذى الرقعة وسمى بذى الرقعة لانه كان أعور يغطى عينه برقعة ابن عبد شمس بن جوين بن شق الكاهن بن صعب * وقوله فى حديث الرؤيا أكلت منها كل ذات جمجمة وكل ذات نسمة نصب كل أصح فى الرواية وفى المعنى لان الحممة نار فهى تأكل ولا تؤكل على أن فى رواية الشيخ برفع كل ولها وجه لكن فى حاشية كتابه ان فى نسخة البرقى التى قرأها على ابن هشام كل ذات بنصب اللام * وقوله خرجت من ظلمة أى من ظلمة وذلك أن الحممة قطعة من نار وخروجها من ظلمة يشبه خروج عسكر الحبشة من أرض السودان والحممة الفحمة وقد تكون جمرة محرقة كما فى هذا الحديث فيكون لفظها من الحميم ومن الحمى أيضا لحرارتها وقد تكون منطفئة فيكون لفظها من الحمة وهى السواد يقال حممت وجهه اذا اسودته وكلا المعنيين حاصل فى لفظ الحممة هاهنا * وقوله بين روضة وأكمة لانها وقعت بين صنعاء وأحوازها * وقوله فى أرض تهمة أى منخفضة ومنه سميت تهامة * وقوله أكلت منها كل ذات جمجمة ولم يقل كل ذى جمجمة وهو من باب قوله تعالى سبحانه «ولا تزر وازرة وزر أخرى وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شىء» لان القصد الى النفس والنسمة فهو أعم ويدخل فيه جميع ذوات الارواح ولو جاء بالتذكير لكان اما خاصا بالانسان أو عاما فى كل شىء حى أو جماد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم كل نائلة تفيخ أى يكون منها افاخة وهى الحدث وقال النحاس هو تأنيث الصفة والخلقة * وقوله لتهبطن أرضكم الحبش هم بنو حبش بن كوش بن حام بن نوح وبه سميت الحبشة * وقوله ما بين أبين الى جرش ذكره سيبويه بكسر الهمزة على مثل اصبع ويجوز فيه الفتح وكذلك تقيد فى هذا الكتاب وقال ابن ماكولا هو أبين بن زهير بن أيمن بن الهميسع من حمير أو من ابن حمير سميت به البلدة وقد تقدم قول الطبرى ان أبين وعدن ابنا عدنان سميت بهما البلدتان * وقوله بغلام لا دنى ولا مدن الدنى معروف والمدن الذى جمع الضعيف مع الدناءة قاله صاحب العين * وقوله لحق ما فيه أمض أى ما فيه شك ولا مستراب وقد عمر سطيح زمانا طويلا بعد هذا الحديث حتى أدرك مولد النبى صلى الله عليه وسلم فرأى كسرى أنوشروان بن قباذ بن فيروز ما رأى من ارتجاس الايوان وخمود النيران ولم تكن خمدت قبل ذلك بالف عام وسقطت من قصره أربع عشرة شرفة وأخبره الموبذان ومعناه القاضى أو المفتى بلغتهم انه رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا فانتشرت فى بلادهم وغارت بحيرة ساوة فارسل كسرى عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن نفيلة الغسانى [الى سطيح] وكان سطيح من أخوال عبد المسيح ولذلك أرسله كسرى فيما ذكر الطبرى الى سطيح يستخبره علم ذلك ويستعبره رؤيا الموبذان فقدم عليه وقد أشفى على الموت فسلم عليه فلم يحر اليه سطيح جوابا فانشأ عبد المسيح يقول

أصم أم يسمع غطريف اليمن * أم فاد فازلم به شأو العنن
يافاصل الخطة أعيت من ومن * اتاك شيخ الحي من آل سنن
وأمه من آل ذئب بن حجن * أبيض فضفاض الرداء والبدن
رسول قيل العجم يسري للوسن * لا يرهب الرعد ولا ريب الزمن
تجوب بي الارض علنداة شزن * ترفعني وجن وتهوي بي وجن
حتى أتى عاري الجآجي والقطن * تلفه في الريح بوغاء الدمن
* كأنما حثحث من حضني ثكن *

— ثكن — اسم جبل فلما سمع سطيح شعره رفع رأسه فقال عبد المسيح على جمل مشيح جاء الى سطيح حين أوفى على الضريح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وظهر صاحب الهراوة وخمدت نار فارس وغارت بحيرة ساوة وفاض وادي السماوة فليست الشام لسطيح شاما يملك منهم ملوك وملكات على عدد الشرفات وكل ما هو آت آت ثم قضى سطيح مكانه وقوله — فازلم به — معناه قبض قاله ثعلب وقوله — شأو العنن — يريد الموت وما عن منه قاله الخطابي — وفاد مات يقال منه فاد يفود — واما يفيد فمعناه يتبختر * وقول ابن اسحق في خبر ربيعة بن نصر فجهز أهله وبنيه الى الحيرة وكتب لهم الى ملك يقال له سابور بن خرزاذ [قال المؤلف] الشيخ الحافظ أبو القاسم عفا الله عنه ولا يعرف خرزاذ في ملوك بني ساسان من الفرس وهم من عهد أزدشير بن بابك الى يزدجرد الذي قتل في أول خلافة عثمان رضي الله عنه معروفون مسمون بأسمائهم وبمقادير مددهم مشهور وذلك عند الاخباريين والمؤرخين ولكنه يحتمل ان يكون ابن خرزاذ هذا ملكا دون الملك الاعظم منهم أو يكون أحد ملوك الطوائف وهو الظاهر في مدة ربيعة [بن نصر] لانه جد عمرو بن عدي وابن أخت جذيمة الابرش وكان ملك جذيمة أوله فيما أحسب في مدة ملوك الطوائف وآخره في مدة الساسانيين وأول من ملك الحيرة من الساسانية سابور بن ازدشير وهو الذي خرب الحضر وكانت ملوك الطوائف متعادين يغير بعضهم على بعض قد تحصن كل واحد منهم في حصن وتحوز الى حيز منهم عرب ومنهم أشغانيون على دين الفرس وأكثرهم ينتسبون الى الفرس من ذرية دارا بن دارا وكان الذي فرقهم وشتت شملهم وأدخل بعضهم بين بعض لئلا يستوثق لهم ملك ولا يقوم لهم سلطان الاسكندر بن فيلبش اليوناني حين ظهر على دارا واستولى على بلاد مملكته وتزوج بنته روشنك بوصية أبيها دارا له بذلك حين وجده مثخنا في المعركة ولم يكن الاسكندر أراد قتله لانه كان أخاه لامه فيما زعموا فوضع الاسكندر رأسه على فخذه فيما ذكروا وقال ياسيد الناس لم أرد قتلك ولا رضيته فهل لك من حاجة قال نعم تزوج ابنتي روشنك وتقتل من قتلني ثم قضى دارا ففعل ذلك الاسكندر وفرق الفرس وأدخل بينهم العرب فتحاجزوا وسموا ملوك الطوائف لان كل واحد منهم كان على طائفة من الارض ثم دام أمرهم كذلك أربعمائة وثمانين سنة في قول الطبري وقد قيل أقل من ذلك وقال المسعودي خمسمائة وعشرين سنة وفي أيامهم بعث عيسى بن مريم عليه السلام وذلك بعد موت الاسكندر بثلاثمائة سنة فابن خرزاذ هذا والله أعلم من أولئك وبنو ساسان القائمون بعد ملوك الطوائف وبعد ملوك الاشغانيين هم بنو ساسان بن بهمن وهو من الكينية وانما قيل لهم الكينية لان كل واحد منهم يضاف الى كي وهو البهاء ويقال معناه ادراك الثار وأول من تسمى بكي أفريذون [بن أثفيان]

يخرج عليهم من بيت ذي يزن قال أفيدوم سلطانه أم ينقطع قال بل ينقطع برسول مرسل يأتي بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل يكون الملك في قومه الى يوم الفصل قال وما يوم الفصل قال يوم تجزى فيه الولاة يدعى فيه من السماء بدعوات يسمع منها الاحياء والاموات ويجمع فيه بين الناس للميقات يكون فيه لمن اتقى الفوز والخيرات قال أحق ما تقول قال أي ورب السماء والارض وما بينهما من رفع وخفض ان ما أنبأتك به لحق ما فيه امض

قاتل الضحاك بثار جده تجم ثم صار الملك فى عقبه الى منوشهر الذى بعث موسى عليه السلام فى زمانه الى كى قاوس وكان فى زمن سليمان عليه السلام وسيأتى طرف من ذكره فى الكتاب الى كى يستاسب الذى ولى بخت نصر وملكه و بخت نصر هو الذى حير الحيرة حين جعل فيها سبايا العرب فتحيروا هنالك فسميت الحيرة وأخذ اسمه من بوخت وهى النخالة لانه ولد فى أصل نخلة ثم كان بعد كى يستاسب بهمن بن اسبندياذ ابن يستاسب وكان له ابنان دارا وساسان وكان ساسان هو الاكبر فكان قد طمع فى الملك بعد أبيه فصرف بهمن الامر عنه الى دارا لخبر يطول ذكره حملته على ذلك خمانا أم دارا فخرج ساسان سائحا فى الجبال ورفض الدنيا وهانت عليه وعهد الى بنيه متى كان لهم الامر أن يقتلوا كل أشغانى وهم نسل دارا فلما قام أزدشير بن بابك وقيده الدارقطنى أردشير بالراء المهملة ودعا ملوك الطوائف الى القيام معه على من خالفه حتى ينتظم له ملك فارس وأجابه الى ذلك أكثرهم وكانوا ابدا على الاقل حتى أزالوه وجعل أزدشير يقتل كل من ظهر عليه من أولئك الاشغانيين فقتل ملكا منهم [يقال له الاردوان] واستولى على قصره فالفى فيه امرأة جميلة رائعة الحسن فقال لها ما أنت فقالت أمة من أماء الملك وكانت بنت الملك الاردوان لاذت بهذه الحيلة من القتل لانه كان لا يبقى منهم ذكرا ولا أنثى فصدق قولها واستمرها فحملت منه فلما أثقلت استبشرت بالامان منه فاقرت انها بنت الاشغانى الذى قتل واسمه اردوان فهاذكر وافدعا وزيرا له ناصحا وقد سماه الطبرى فى التاريخ فقال استودع هذه بطن الارض فكره الوزير أن يقتلها وفى بطنها ابن للملك وكره أن يعصى أمره فاتخذ لها قصرا تحت الارض ثم خصى نفسه وصير مذاكيره وجعلها فى حريرة ووضع الحريرة فى حق وختم عليه ثم جاء به الملك فاستودعه اياه وجعل لا يدخل الى المرأة فى ذلك القصر سواه ولا تراها الا عينه حتى وضعت المولود ذكرا فكره أن يسميه قبل أبيه فسماه شاهبور ومعناه ابن الملك فكان الصبى يدعى بهذا ولا يعرف لنفسه اسما غيره فلما قبل التعليم نظر فى تعليمه وتقويم أوده واجتهد فى كل ما يصلحه الى أن ترعرع الغلام فدخل الوزير يوما على أزدشير وهو واجم فقال لا يسوءك الله أيها الملك فقد ساءنى اطراقك ووجومك فقال كبرت سنى وليس لى ولد أقلده الامر بعدى وأخاف انتشار الامر بعدا نتظامه وافتراق الكلمة بعد اجتماعها فقال له ان لى عندك وديعة أيها الملك وقد احتجت اليها فاخرج اليه الحقة بخاتمها فقض الخاتم وأخرج المذاكير منها فقال له الملك ما هذا فقال كرهت ان أعصى الملك حين أمرنى فى الجارية بما أمر فاستودعتها بطن الارض حية حتى أخرج الله منها سليل الملك حيا وارضعته وحضنته وها هو ذا عندى فان أمر الملك جئته به فامر دازدشير باحضاره فى مائة غلام من ابناء فارس بايديهم الصوالج يلعبون بالكرة فلعبوا فى القصر فكانت الكرة تقع فى ايوان الملك فيتهيبون أخذها حتى طارت للغلام فوقعت فى سرير الملك فتقدم حتى أخذها ولم يهب ذلك فقال الملك ابنى والشمس متعجبا من عزة نفسه وصرامته ثم قال له ما اسمك يا غلام فقال له شاهبور فقال له صدقت أنت ابنى وقد سميتك بهذا الاسم و بور هو الابن وشاه هو الملك بلسانهم واضافتهم مقلوبة يقدمون المضاف اليه على المضاف كما تقدم فى الكى الكلمة التى كانت فى أوائل أسماء الملوك الكينية فكانوا يضافون الى الكى ثم ان أزدشير عهد الى ابنه شاهبور وسيأتى فى الكتاب فى قول الاعشى :

اقام به شاهبور الجنود * حولين يضرب فيه القُدُم

ثم غيرت العرب هذا الاسم فقالوا سابور وتسمى به ملوك بنى ساسان منهم سابور ذو الاكتاف الذى وطىء ارض العرب وكان يخلع اكتافهم حتى مرّ بارض بنى تميم ففروا منه وتركوا عمرو بن

تميم وهو ابن ثلاثمائة سنة لم يقدر على القرار وكان فى قفة معلقا من عمود الخيمة من الكبر فاخذ وجيء به الملك فاستنطقه سابور فوجد عنده رأيا ودهاء فقال له ايها الملك لم تفعل هـذا بالعرب فقال يزعمون ان ملكنا يصل اليهم على يد نبي يبعث فى آخر الزمان فقال عمرو فاين حلم الملوك وعقلهم ان يكن هـذا الامر باطلا فلا يضرك وان يكن حقا الفاك وقداتخذت عندهم يدا يكافئونك عليها ويحفظونك بها فى ذويك فيقال ان سابور انصرف عنهم واستبقى بقيتهم واحسن اليهم بعد ذلك والله اعلم واما ابرويز بن هرمز وتفسيره بالعربية مظفر فهو الذى كتب اليه النبي صلى الله عليه وسلم وسيأتى طرف من ذكره وهو الذى عرض على الله تعالى فى المنام فقيل له سلم مافى يديك الى صاحب الهراوة فلم يزل مذعورا من ذلك حتى كتب اليه النعمان بظهور النبي صلى الله عليه وسلم بتهامة فعلم أن الامر سيصير اليه حتى كان من امره ما كان وهو الذى سئل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حجة الله على كسرى فقال ان الله تعالى ارسل اليه ملكا فسلك يده فى جدار مجلسه حتى اخرجها اليه وهى تتلألأ نورا فارتاع كسرى فقال له الملك لم ترع يا كسرى ان الله قد بعث رسوله فاسلم تسلم فقال سانظر ذكره الطبرى فى اعلام كثيرة من النبوة عرضت على ابرويز اضربنا عن الاطالة بها فى هذا الموضع وتسمى ايضا سابور بعد هـذا سابور بن ابرويز اخو شيرويه وقد ملك نحوا من شهرين فى مدة النبي صلى الله عليه وسلم وملك اخوه شيرويه نحوا من ستة اشهر ثم ملكت بوران اختهما فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا يفلح قوم ملكتهم امرأة فملكت سنة وهلكت وتشتت امرهم كل الشتات ثم اجتمعوا على يزدجرد بن شهريار والمسلمون قد غلبوا على اطراف ارضهم ثم كانت حروب القادسية معهم الى ان قهرهم الاسلام وفتحت بلادهم على يدى عمر بن الخطاب رضى الله عنه واستؤصل امرهم والحمد لله وسابور تنسب اليه الثياب السابرية قاله الخطابى وزعم انه من النسب الذى غير فاذا نسبوا الى نيسابور المدينة قالوا نيسابورى على القياس وزعم بعضهم ان نى هى القصب وكانت مقصبة فبناها سابور مدينة فنسبت اليه والله اعلم

﴿ فصل ﴾ وقول سطيح فى حديث ربيعة ارم ذى يزن المعروف سيف بن ذى يزن ولكن جعله ارما لان الارم هو العلم فمدحه [بذلك] واما شبهه بعاد إرم فى عظم الخلق والقوة قال الله تبارك وتعالى «بعاد إرم ذات العماد» وربيعة بن نصر هذا هو أحد ملوك الحيرة وهم آل المنذر والمنذر هو ابن ماء السماء وهى أمه عرف بها وهى من النمر بن قاسط وابنه عمرو بن هند عرف بامه أيضاً وهى بنت الحارث آكل المرار جد امرىء القيس الشاعر ويعرف عمرو بمحرق لانه حرق مدينة يقال لها ملهم وهى عند اليمامة وقال المبرد والقتبي سمى محرقا لانه حرق مائة من بنى تميم وذكر خبرهم وولد نصر بن ربيعة هو عدى وكان كاتبا لجذيمة الابرش وابنه عمرو وهو ابن أخت جذيمة ويكنى جذيمة أبا مالك فى قول المسعودى وهو منادم الفرقدين واسم أخت جذيمة رقاش بنت مالك بن فهم بن غنم بن دوس وهو الذى اختطفته الجن وفيه جرى المثل شب عمرو عن الطوق وهو قاتل الزباء بنت عمرو واسمها نائلة فى قول الطبرى ويعقوب بن السكيت وميسون فى قول ابن دريد واستشهد الطبرى بقول الشاعر

أتعرف منزلا بين المنقى * وبين مجر نائلة القديم

وقد أملينا فى غير هـذا الموضع ذكر نسبها وطرفا من أخبارها وأخو عمرو بن هند النعمان بن المنذر وهو ابن مامة وكان ملكه بعد عمرو وفى ملك عمرو ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى زمن كسرى أنوشروان بن قباذ وأسقط ابن اسحاق من هـذا النسب رجلين وهما النعمان بن امرىء القيس

(قال ابن هشام) امض يعنى شكا هذا بلغة حمير وقال أبو عمرو امض أى باطل فوقع فى نفس ربيعة بن نصر ما قالا فجهز بنيه واهل بيته الى العراق بما يصلحهم وكتب لهم الى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ فاسكنهم الحيرة فمن بقية ولد ربيعة بن نصر النعمان بن المنذر فهو فى نسب اليمن وعلمهم النعمان ابن المنذر بن النعمان بن المنذر بن عمرو بن عدى ابن ربيعة بن نصر ذلك الملك (قال ابن هشام) النعمان ابن المنذر بن المنذر فيما أخبرنى خلف الاحمر

* قال ابن اسحق فلما هلك ربيعة بن نصر رجع ملك اليمن كله الى حسان ابن تبان اسعد أبى كرب وتبان أسعد تبع الآخر ابن كلكيكرب ابن زيد وزيد تبع الاول ابن عمرو ذى الاذعار بن ابرهة ذى المنار بن الريش (قال ابن هشام) ويقال الرائش * قال ابن اسحق بن عدى بن صيفى بن سبأ الاصغر بن كعب كهف الظلم بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم ابن عبدشمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب ابن زهير بن أنس بن الهميسع بن العرنجج والعرنجج حمير ابن سبا الاكبر ابن يعرب ابن يشجب بن قحطان «قال ابن هشام» يشجب بن يعرب بن قحطان * قال ابن اسحق وتبان أسعد أبو كرب الذى قدم المدينة وساق الحبرين من يهود الى اليمن وعمر البيت الحرام وكساه وكان ملكه قبل ملك ربيعة بن نصر «قال ابن هشام» وهو الذى يقال له

ليت حظى من أبى كرب * ان يسد خيره خبله

قال ابن اسحق وكان قد جعل طريقه حين أقبل من المشرق على المدينة وكان قد مر بها فى بدأته فلم يهج أهلها وخلف بين أظهرهم ابناله فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع لاخرابها واستئصال أهلها وقطع نخلها فجمع له هذا الحى من الانصار و رئيسهم عمرو بن طلة أخو بنى

وأبوه امرؤ القيس بن عمرو بن عدى وقد قيل ان النعمان هذا هو أخو امرئ القيس وملك بعده وسيأتى ذكر النعمان بعد هذا عند ذكر صاحب الحضر ان شاء الله تعالى وانه الذى بنى الخورنق والسدير

﴿ فصل ﴾ وقوله فى نسب حسان بن تبان أسعد هو تبان أسعد اسمان جعلا اسما واحدا وان شئت أضفت كما تضيف معدى كرب وان شئت جعلت الاعراب فى الاسم الآخر وتبان من التبانة وهى الذكاء والفطنة يقال رجل تبن وطبن وكلكى كرب اسم مركب أيضا وسيأتى معنى الكرب فى لغة حمير عند ذكر معدى كرب ان شاء الله تعالى وكان ملك كلكى كرب خمسا وثلاثين سنة وكان مضعفا ساقط الهمة لم يغز قط «وقوله» فى نسب حسان بن تبان أسعد [وتبان أسعد تبع الآخر] وهو تبع نقص من النسب أسماء كثيرة وملوكا فان عمرا ذا الاذعار كان بعده ناشر بن عمرو ويقال له ناشر النعم وانما قيل له ناشر لانه نشر الملك واسمه مالك ملك بعد قتل رجعيم بن سليمان عليه السلام بالشام وهو الذى انتهى الى وادى الرمل ومات فيه طائفة من جنده جرت عليهم الرمال و بعده تبع الاقرن وأفريقيس بن قيس الذى بنى أفريقية وبه سميت وساق اليها البربر من أرض كنعان وتبع بن الاقرن وهو التبع الاوسط وشمر بن مالك الذى سميت به مدينة سمرقند ومالك هو الاملوك وفى بنى الاملوك يقول الشاعر

فنقب عن الاملوك واهتف بيعفر * وعش جار عز لا يغالبه الدهر

وقد قيل ان الاملوك كان على عهد منوشهر وذلك فى زمن موسى عليه السلام كل هؤلاء مذكورون باخبارهم فى غير هذا الكتاب وعمرو ذو الاذعار كان على عهد سليمان أو قبله بقليل وكان أوغل فى ديار المغرب وسبا أمة وجوهها فى صدورها فذعر الناس منهم فسمى ذا الاذعار و بعده ملكت بلقيس بنت هداهد بن شرحبيل[1] صاحبة سليمان عليه السلام واسم أمها يلمقة بنت جنى وقيل رواحة بنت سكين قاله ابن هشام وزعم أيضا انها قتلت عمرا ذا الاذعار بحيلة ذكرها وانه سمى ذا الاذعار لكثرة ما ذعر الناس منه لجوره وانه ابن أبرهة ذى المنار بن الصعب وهو ذو القرنين بن ذى مرائد الحميرى وأبوه ابرهة ذو المنار سمى بذلك لانه رفع نيرانا فى جبال ليهتدى بها واما حسان الذى ذكر فهو الذى استباح طسما وصلب اليمامة الزرقاء وذلك حين استصرخه عليهم رباح بن مرة اخو الزرقاء وهو من فل جديس وقد تقدم الايماء الى خبرهم ومعنى تبع فى لغة اليمن الملك المتبوع وقال المسعودى لا يقال للملك تبع حتى يغلب اليمن والشحر وحضرموت وأول التبابعة الحارث الرائش وهو ابن همال بن ذى شدد وسمى الرائش لانه راش الناس بما أوسعهم من العطاء وقسم فيهم من الغنائم وكان أول من غنم فيما ذكروا واما العرنجج الذى ذكر انه حمير بن سبا فمعناه بالحميرية العتيق قاله ابن هشام وفى عهد زمن تبع الاوسط وهو حسان بن تبان أسعد كان خروج عمرو بن عامر من اليمن من أجل سيل العرم فيما ذكر القتبى واما عمرو أخو حسان الذى ذكر ابن اسحق قصته وقتله لاخيه فهو الموثبان وفى عوثبان سمى بذلك للزومه الوثاب وهو الفراش وقلة غزوه قاله القتبى * واما ما ذكره من غزو تبع المدينة فقد ذكر القتبى انه لم يقصد غزوها وانما قصد قتل اليهود الذين كانوا فيها وذلك أن الاوس والخزرج كانوا نزلوها معهم حين خرجوا من اليمن على شروط وعهود كانت بينهم فلم يف لهم بذلك يهود واستضاموهم فاستغاثوا بتبع فعند ذلك قدمها وقد قيل بل كان هذا الخبر لابى جبيلة الغسانى وهو الذى استصرخته الاوس والخزرج على يهود فالله أعلم والرجل الذى عدا على عذق الملك وجده من بنى النجار هو مالك بن

---

(١) فى الثانية: هدهاد بن شرحبيل.

العجلان فيما قال القتبي ولا يصح هذا عندي في القياس لبعد عهد تبع من مدة مالك بن العجلان وخبر مالك ابن العجلان انما هو مع أبي جبيلة الغساني حين استصرخت به الانصار على اليهود فجاء حتى قتل وجوها من يهود واما تبع فحديثه أقدم من ذلك يقال كان قبل الاسلام بسبعمائة عام والصحيح في اسم أبي جبيلة جبيلة غير مكنى ابن عمرو بن جبيلة بن جفنة وجفنة هو غلبة بن عمرو بن عامر ماء السماء وجبيلة هو جد جبلة بن الايهم آخر ملوك بني جفنة ومات جبيلة الغساني من علقة شربها في ماء وهو منصرف عن المدينة * وذكر ان تبعا أراد تخريب المدينة واستئصال اليهود فقال له رجل منهم له مائتان وخمسون سنة الملك أجل من أن يطير به نزق أو يستخفه غضب وأمره أعظم من ان يضيق عنا حلمه أو نحرم صفحه مع ان هذه البلدة مهاجر نبي يبعث بدين ابراهيم وهذا اليهوي هو أحد الحبرين الذين ذكر ابن اسحق واسم أحد الحبرين سحيت والآخر منبه ذكر ذلك قاسم بن ثابت في الدلائل وفي رواية يونس عن ابن اسحق قال واسم الحبر الذي كلم الملك بليامين وذكر ان امرأة اسمها فكيهة من بني زريق كانت تحمل له الماء من بئر رومة بعد ما قال له الحبران ما قالا وكف عن قتال أهل المدينة ودخلوا عسكره فاعطى فكيهة حتى أغناها فلم تزل هي وعشيرتها من أغنى الانصار حتى جاء الاسلام ولما آمن الملك بمحمد صلى الله عليه وسلم واعلم بخبره قال

شهدت على أحمد انه * نبي من الله باري النسم
فلو مد عمري الى عمره * لكنت وزيراً له وابن عم
وجاهدت بالسيف أعداءه * وفرجت عن صدره كل هم

وذكر ابن أبي الدنيا في كتاب القبور وذكره أيضاً ابي اسحاق الزجاج في كتاب المغازي له ان قبراً حفر بصنعاء فوجد فيه امرأتان معهما لوح من فضة مكتوب بالذهب وفيه هذا قبر لميس وحبي ابنتي تبع ماتا وهما تشهدان لا اله الا الله وحده لا شريك له وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أدري ا تبع لعين أم لا وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا تبعا فانه كان مؤمنا فان صح هذا الحديث الاخير فانما هو بعد ما أعلم بحاله ولا ندري اي التبابعة أراد غير ان في حديث معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا أسعد الحميري فانه أول من كسى الكعبة فهذا أصح من الحديث الاول وأبين حيث ذكر فيه أسعد وتبان أسعد الذي تقدم ذكره وقد كان تبع الاول مؤمنا أيضاً بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو الرائش وقد قال شعرا ينبيء فيه بمبعث النبي صلى الله عليه وسلم يقول فيه

ويأتي بعدهم رجل عظيم * نبي لا يرخص في الحرام

وقد قيل انه القائل

منع البقاء تصرف الشمس * وطلوعها من حيث لا تمسي
اليوم أعلم ما يجيء به * ومضى بفصل قضائه أمس
وطلوعها بيضاء مشرقة * وغروبها صفراء كالورس
تجري على كبد السماء كما * يجري حمام الموت في النفس

وقد قيل ان هذا الشعر لتبع الآخر فالله أعلم ومن هذا أخذ أبو تمام قوله

الق الى كعبة الرحمن أرحله * والشمس قد نقضت ورساً على الاصل

النجار ثم أحد بني عمرو بن مبذول واسم مبذول عامر بن مالك بن النجار واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة عمرو بن عامر « قال ابن هشام » عمرو بن طلة عمرو بن معاوية بن عمرو ابن عامر بن مالك بن النجار وطلة أمه وهي بنت عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج

قال ابن اسحق وقد كان رجل من بنى عدى بن النجار يقال له أحمر عدا على رجل من أصحاب تبع حين نزل بهم فقتله وذلك انه وجده فى عذق له يجده فضربه بمنجله فقتله وقال انما الثمر لمن ابره فزاد ذلك تبعاً حنقا عليهم قال فاقتتلوا فتزعم الانصار انهم كانوا يقاتلونه بالنهار و يقرونه بالليل فيعجبه ذلك منهم و يقول والله ان قومنا لكرام فبينا تبع على ذلك من قتالهم اذ جاءه حبران من أحبار يهود من بنى قريظة وقريظة والنضير والنحام وعمرو وهو هدل بنو الخزرج ابن الصريح بن التومان بن السبط بن اليسع بن سعد بن لاوى بن خير بن النحام بن تنحوم بن عازر بن عزرى بن هرون بنى عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وهو اسرائيل الله ابن اسحق ابن ابراهيم خليل الرحمن صلى الله عليهم عالمان راسخان فى العلم حين سمعا بما يريد من اهلاك المدينة وأهلها فقالا له أيها الملك لا تفعل فانك ان أبيت الا ما تريد حيل بينك و بينها ولم نأمن عليك عاجل العقوبة فقال لهما ولم ذلك فقالا هى مهاجر نبى يخرج من هذا الحرم من قريش فى آخر الزمان تكون داره وقراره فتناهى عن ذلك و رأى ان لهما علما وأعجبه ما سمع منهما فانصرف عن المدينة واتبعهما على دينهما فقال خالد بن عبد العزى بن غزية بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار يفخر بعمرو بن طلة

(٤ – روض ل)

أصحى أم قد نهى ذكره * أم قضى من لذة وطره
أم تذكرت الشباب وما * ذكرك الشباب أو عصره
انها حرب رباعية * مثلها أتى الفتى عبره
فاسألا عمران أو أسدا * اذ أتت عدوا مع الزهره
فيلق فيها أبو كرب * سبغ أبدانها ذفره
ثم قالوا من نؤم بها * ابنى عوف أم النجره
بل بنى النجار ان لنا * فيهم قتلى وان تره
فتلقتهم مسايفة *

﴿ غريب حديث تبع ﴾

ذكر فيه نجد عذق الملك العذق النخلة بفتح العين والعذق بالكسر الكباسة بما عليها من التمر وذكر فى نسب قريظة والنضير عمرا وهو هدل بفتح الدال والهاء كانه مصدر هدل هدلا اذا استرخت شفته وذكره الامير ابن ماكولا عن أبى عبدة النسابة فقال فيه هدل بسكون الدال وذكر فيه بن التومان على وزن فعلان كانه من لفظ التوم وهو الدر أو نحوه وفيه ابن السبط بكسر السين وفيه بن تنحوم بفتح التاء وسكون النون والحاء المهملة وهو عبرانى وكذلك عازر وعزرى بكسر العين من عزرى وقاهث و بالثاء المنقوطة باثنتين وهكذا وقع فى نسخة الشيخ أبى بحر وفى غيرها بالثاء المثلثة وكلها عبرانية وكذلك اسرائيل وتفصيله بالعربية سرى الله * وقوله فى شعر خالد بن عبد العزى * أصحى أم قد نهاه ذكره * الذكر جمع ذكرة كما تقول بكرة و بكر والمستعمل فى هذا المعنى ذكرى بالالف وقلما يجمع فعلى على فعل وانما يجمع على فعال فان كان أراد فى هذا البيت جمع ذكرى وشبه ألف التانيث بهاء التانيث فله وجه قد يحملون الشىء على الشىء اذا كان فى معناه * وقوله ذكرك الشباب أو عصره أراد أو عصره والعصر والعُصر لغتان وحرك الصاد بالضم قال ابن جنى ليس شىء على وزن فعل بسكون العين يمتنع فيه فعل * وقوله انها حرب رباعية مثل أى ليست بصغيرة ولا جذعة بل هى فوق ذلك وضرب سن الرباعية مثلا كما يقال حرب عوان لان العوان أقوى من الفتية وأدرب * وقوله عدوا مع الزهره يريد صبحهم بغلس قبل مغيب الزهرة * وقوله أبدانها ذفره يعنى الدروع وذفرة من الذفر وهى سطوع الرائحة طيبة كانت أو كريهة واما الدفر بالدال المهملة فانما هو فيما كره من الروائح ومنه قيل للدنيا أم دفر وذكره القالى فى الامالى بتحريك الفاء وغلّط فى ذلك والدفر بالسكون أيضاً الدفع * وقوله أم النجره جمع ناجر والناجر والنجار بمعنى واحد وهذا كما قيل المناذرة فى بنى المنذر والنجار وهم تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج وسمى النجار لانه نجر وجه رجل بقدوم فيما ذكر بعض أهل النسب * وقوله فيهم قتلى وان تره أظهر ان بعد الواو أراد ان لنا قتلى وترة والترة الوتر فأظهر المضمر وهذا البيت شاهد على ان حروف العطف يضمر بعدها العامل المتقدم نحو قولك ان زيدا وعمرا فى الدار فالتقدير ان زيدا وان عمرا فى الدار ودلت الواو على ما أردت وان احتجت الى الاظهار أظهرت كما فى هذا البيت الا أن تكون الواو الجامعة فى نحو اختصم زيد وعمرو فليس ثم اضمار لقيام الواو مقام صيغة التثنية كانك قلت اختصم هذان وعلى هذا تقول طلع الشمس والقمر فتغلب المذكر كانك قلت طلع هذان النيران فان جعلت الواو هى التى تضمر بعدها الفعل قلت طلعت الشمس والقمر وتقول فى نفى المسئلة الاولى ما طلع الشمس والقمر وفى نفى المسئلة الثانية ما طلعت الشمس ولا القمر تعيد حرف النفى ليتنفى به الفعل المضمر و يتفرع من هذا الاصل فى النحو مسائل كثيرة لا نطول بذكرها * وقوله فتلقتهم مسايفة بكسر الياء أى كتيبة مسايفة ولو فتحت الياء فقلت مسايفة لكان حالا من المصدر التى تكون أحوالا مثل كلمته مشافهة ولعل

مدها كالغبية النثره   فيهم عمرو بن طلة ملا * ى الاله قومه عمره   سيد سام الملوك ومن * رام عمرا لا يكن قدره

وهذا الحى من الانصار يزعمون انه انما كان حنق تبع على هذا الحى من يهود الذين كانوا بين أظهرهم وانما أراد هلاكهم فمنعوهم منه حتى انصرف عنهم ولذلك قال فى شعره

حنقا على سبطين حلا يثربا * أولى لهم بعقاب يوم مفسد

« قال ابن هشام » الشعر الذى فيه هذا البيت مصنوع فذلك الذى منعنا من اثباته * قال ابن اسحق وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها فتوجه الى مكة وهى طريقه الى اليمن حتى اذا كان بين عفان وامج أتاه نفر من هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد فقالوا له أيها الملك ألا ندلك على بيت مال داثر أغفلته الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة قال بلى قالوا بيت بمكة يعبده أهله ويصلون عنده وانما أراد الهذليون هلاكه بذلك لما عرفوا من هلاك من أراده من الملوك وبغى عنده فلما أجمع لما قالوا أرسل الى الحبرين فسألهما عن ذلك فقالا له ما أراد القوم الا هلاكك وهلاك جندك ما نعلم بيتا لله اتخذه فى الارض لنفسه غيره ولئن فعلت ما دعوك اليه لتهلكن وليهلكن من معك جميعا قال فماذا تأمرانى أن أصنع اذا أنا قدمت عليه قالا تصنع عنده ما يصنع أهله تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق رأسك عنده وتذلل له حتى تخرج من عنده قال فما يمنعكما أنتما من ذلك   اخرابه قالا أما والله انه لبيت أبينا ابراهيم وانه لكما أخبرناك ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالاوثان التى نصبوها حوله وبالدماء التى يهريقون عنده وهم نجس أهل شرك أو كما قالا له فعرف نصحهما وصدق حديثهما فقرب النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام فيما يذكرون ينحر بها للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل وأرى فى المنام أن يكسو البيت فكساه

هذه الحال ان يكون لها ذكر فى الكتاب فنكشف عن سرها ونبين ما خفى على الناس من أمرها وفى غير نسخة الشيخ فتاقتهم مسابقة بالباء والقاف والغبية الدفعة من المطر * وقوله النثره أى المنتثرة وهى التى لا تمسك ماء * وقوله الاله من قولهم تمليت حينا أى عشت معه حينا وهو مأخوذ من الملاوة والملوين قال ابن أحمر

ألا يا ديار الحى بالسبعان * أمل عليها بالبلى الملوان
ألا يا ديار الحى لا هجر بيننا * ولا كن روعات من الحدثان
نهار وليل دائب ملواهما * على كل حال الناس يختلفان

معنى قول الشاعر دائب ملواهما والملوان الليل والنهار وهو مشكل لان الشىء لا يضاف الى نفسه لكنه جاز هنا لان الملا هو المتسع من الزمان والمكان وسمى الليل والنهار ملوين لاتساحهما فكأنه وصف لهما لا عبارة عن ذاتيهما ولذلك جازت اضافته اليهما فقال دائب ملواهما أى مداهما واتساحهما وقد رأيت معنى هذا الكلام فى هذا البيت بعينه لابى على الفسوى فى بعض مسائله الشيرازية * وقوله لا يكن قدره دعاء عليه والهاء عائدة على عمرو أراد لا يكن قدر عليه وحذف حرف الجر فتعدى الفعل فنصب ولا يجوز حذف حرف الجر فى كل فعل وانما جاز فى هذا لانه فى معنى استطاعه أو أطاعه فحمل على ما هو فى معناه ونظائره كثيرة * والبيت الذى أنشده

ليت حظى من أبى كرب * ان يسد خيره خبله

قال البرقى نسب هذا البيت الى الاعشى ولم يصح قال وانما هو لعجوز من بنى سالم أحسبه قال فى اسمها جميلة قالته حين جاء مالك بن العجلان يخبر تبع فدخل سرا فقال لقومه قد جاء تبع فقالت العجوز البيت * وقوله فى حديث تبع وقوم يزعمون ان حنقه انما كان على هذين السبطين من يهود يقوى ما ذكرناه قبل هذا عنه * والشعر الذى زعم ابن هشام انه مصنوع قد ذكره فى كتاب التيجان وهو قصيد مطول أوله

ما بال عينك لا تنام كأنما * كحلت مآقيها بسم الاسود
حنقا على سبطين حلا يثربا * أولى لهم بعقاب يوم مفسد

وذكر فى القصيدة ذا القرنين وهو الصعب بن ذى مرائد فقال فيه

ولقد أذل الصعب صعب زمانه * وأناط عروة عزه بالفرقد
لم يدفع المقدور عنه قوة * عند المنون ولا سمو المحتد

والصنعة بادية فى هذا البيت وفى أكثر شعره وفيه يقول

فأتى مغار الشمس عند غروبها * فى عين ذى خلب وثاط حرمد

والخلب الطين والثاط الحرمد وهو الحمأ الاسود وروى نقلة الاخبار ان تبعا لما عمد الى البيت يريد

الخصف ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعافر ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصائل وكان تبع فيما يزعمون أول من كسا البيت وأوصى به ولاته من جرهم وأمرهم بتطهيره وأن لا يقربوه دما ولا ميتة ولا مئلاتا وهي المحائض وجعل له بابا ومفتاحا فقالت سبيعة بنت الاحب بن زبينة بن جذيمة بن عوف بن نصر بن معاوية بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان وكانت عند عبد مناف بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة لابن لها منه يقال له خالد تعظم عليه حرمة مكة وتنهاه عن البغي فيها وتذكر تبعا وتذللـه لها وماصنع بها

أبني لا تظلم بمكـ * ـة لا الصغير ولا الكبير

واحفظ محارمها بـ * ـني ولا يغرنك الغرور

أبني من يظلم بمـ * ـكة يلق أطراف الشرور

أبني يضرب وجهه

ويلح بخديه السعير

أبني قد جربتها

فوجدت ظالمها يبور

الله آمنها وما

بنيت بعرصتها قصور

والله آمن طيرها

والعصم تأمن في ثبير

ولقد غزاها تبع

فكسا بنيتها الحبير

واذل ربي ملكه

فيها فاوفى بالنذور

يمشي اليها حافيا

بفنائها ألفا بعير

ويظل يطعم أهلها

لحم المهاري والجزور

يسقيهم العسل المصفى

والرحيض من الشعير

والفيل أهلك جيشه

يرمون فيها بالصخور

والملك في أقصى البلا

دوفي الاعاجم والخزير

فاسمع اذا حدثت وا

فهم كيف عاقبة الامور

«قال ابن هشام» يوقف على قوافيها لا تعرب ثم خرج منها متوجها الى اليمن بمن معه من جنوده وبالحبرين حتى اذا دخل اليمن دعا قومه الى الدخول فيما دخل فيه فابوا عليه حتى يحاكموه الى النار التي كانت باليمن * قال ابن اسحق حدثني أبو مالك بن ثعلبة بن أبي مالك القرظي قال سمعت ابراهيم بن محمد بن طلحة بن عبيد الله يحدث أن تبعا لما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا لاتدخلها علينا وقد فارقت ديننا فدعاهم الى دينه وقال انه خير من دينكم فقالوا لها كنا الى النار قال نعم قال وكانت باليمن فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه تاكل الظالم ولا تضر المظلوم فخرج قومه باوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما متقلديها حتى قعدوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه فخرجت النار اليهم فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها فذمرهم من حضرهم من الناس

اخرابه رمي بداء تمخض منه رأسه قيحا وصديدا أثبج نجا وأنتن حتى لا يستطيع أحد ان يدنو منه قيد الرمح وقيل بل أرسلت عليه ريح كنعت منه يديه ورجليه وأصابتهم ظلمة شديدة حتى دفت خيلهم فسمي ذلك المكان الدف فدعا بالحزاة والاطباء فسألهم عن دائه فهالهم ما رأوا منه ولم يجد عندهم فرجا فعند ذلك قال له الحبران لعلك هممت بشيء في أمر هذا البيت فقال نعم أردت هدمه فقالا له تب الى الله مما نويت فانه بيت الله وحرمه وأمراه بتعظيم حرمته ففعل فبرئ من دائه وصح من وجعه وأخلق بهذا الخبر أن يكون صحيحا فان الله سبحانه يقول ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم أي ومن يهم فيه بظلم والباء في قوله بظلم تدل على صحة المعنى وان من هم فيه بالظلم وان لم يفعل عذب تشديدا في حقه وتعظيما لحرمته وكما فعل الله باصحاب الفيل أهلكهم قبل الوصول اليه * وقوله فكسى البيت الخصف جمع خصفة وهي شيء ينسج من الخوص والليف والخصف أيضا ثياب غلاظ والخصف لغة في الخزف في كتاب العين والخصف بضم الخاء وسكون الصاد هو الجوز ويروى ان تبعا لما كسى البيت المسوح والانطاع انتفض البيت فزال ذلك عنه وفعل ذلك حين كساه الخصف فلما كساه الملاء والوصائل قبلها وممن ذكر هذا الخبر قاسم في الدلائل واما الوصائل فثياب موصلة من ثياب اليمن واحدتها وصيلة * وقوله ولا تقربوه مئلات وهي المحائض لم يرد النساء الحيض لان حائضا لا يجمع على محائض وانما هي جمع محيضة وهي خرقة الحيض ويقال للخرقة أيضا مئلاة وجمعها المآلي قال الشاعر

كأن مصفحات في ذراه * وأنواحا عليهن المآلي

وهي هنا خرق تمسكهن النواحات بايديهن فكان المئلات كل خرقة دنسة لحيض كانت أو لغيره وزنها مفعلة من ألوت اذا قصرت وضيعت وجعلها صاحب العين في باب الالية والالية فلام الفعل عنده ياء على هذا والله أعلم ويروى في هذا الموضع مئلاثا بثاء مثلثة ومن قوله حين كسى البيت

وكسونا البيت الذي حرم الله * ملاء معضدا وبرودا

فاقمنا به من الشهر عشرا * وجعلنا لبابه اقليدا

ونحرنا بالشعب ستة الف * فترى الناس نحوهن ورودا

ثم سرنا عنه نؤم سهيلا * فرفعنا لواءنا معقودا

وقال القتبي كانت قصة تبع قبل الاسلام بسبعمائة عام * وقوله بنت الاحب بالحاء المهملة ابن زبينة

وأمروهم بالصبر لها انصبر واحتى غشيتهم فأكلت الاوثان وماقربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما تعرق جباههما لم تضرهما فاصفقت عند ذلك حمير على دينه فمن هنالك وعن ذلك كان أصل اليهودية باليمن * قال ابن اسحق وقد حدثنى محدث ان الحبرين ومن خرج من حمير انما اتبعوا النار ليردوها وقالوا من ردها فهو أولى بالحق فدنا منها رجال من حمير بأوثانهم ليردوها فدنت منهم لتأكلهم فحادوا عنها ولم يستطيعوا ردها ودنا منها الحبران بعد ذلك وجعلا يتلوان التوراة وتنكص عنهما حتى رداها الى مخرجها الذى خرجت منه فاصفقت عند ذلك حمير على دينهما والله أعلم أى ذلك كان * قال ابن اسحق وكان رئام بيتا لهم يعظمونه وينحرون عنده ويكلمون اذ كانوا على شركهم فقال الحبران لتبع انما هو شيطان يفتنهم بذلك فخل بيننا وبينه قال فشأنكما به فاستخرجا منه فيما يزعم أهل اليمن كلبا اسود فذبحاه ثم هدما ذلك البيت فبقاياه اليوم كما ذكر لى بها آثار الدماء التى كانت تهراق عليه فلما ملك ابنه حسان بن تبان أسعد أبى كرب سار باهل اليمن يريد أن يطأ بهم أرض العرب وأرض الاعاجم حتى اذا كانوا ببعض أرض العراق «قال ابن هشام» بالبحرين فيما ذكر لى بعض أهل العلم كرهت حمير وقبائل اليمن المسير معه وأرادوا الرجعة الى بلادهم وأهلهم فكلموا أخاله يقال له عمرو وكان معه فى جيشه فقالوا له اقتل أخاك حسان وتملك علينا وترجع بنا الى بلادنا فاجابهم فاجتمعوا على ذلك الا ذا رعين الحميرى فانه نهاه عن ذلك فلم يقبل منه فقال ذو رعين

ألا من يشترى سهراً بنوم * سعيد من يبيت قرير عين
فاما حمير غدرت وخانت * فمعذرة الاله لذى رعين

ثم كتبهما فى رقعة وختم عليها ثم أتى بها عمراً فقال له ضع لى هذا الكتاب عندك ففعل ثم قتل عمرو أخاه حسان ورجع بمن معه الى اليمن

بالزاى والباء والنون قبيلة من الازبن والنسب اليه زبانى على غير قياس ولو سمى به رجل لقيل فى النسب اليه زبنى على القياس قال سيبويه الاحب بالحاء المهملة يقوله أهل النسب وأبو عبيدة يقوله بالجيم وانما قالت بنت الاحب هذا الشعر فى حرب كانت بين بنى السباق بن عبد الدار وبين بنى على بن سعد بن تميم حتى تفانوا واحتاجت طائفة من بنى السباق بعك فهم فيهم قال وهو أول بغى كان فى قريش وقد قيل أول بغى كان فى قريش بغى الا قايش وهم بنو اقيش من بنى سهم بغى بعضهم على بعض فلما كثر بغيهم على الناس أرسل الله عليهم فأرة تحمل فتيلة فاحرقت الدار التى كانت فيها مساكنهم فلم يبق لهم عقب وقولها وكسى بنيتها الحبير تريد الحبرات والرحيض من الشعير أى المنقى والمصفى منه وقال ابن اسحق فى غير هذا الموضع أول من كسى الكعبة الديباج الحجاج وذكر جماعة سواه منهم الدارقطنى تنيلة بنت جناب أم العباس بن عبد المطلب كانت قد اضلت العباس صغيرا فنذرت ان وجدته ان تكسو الكعبة الديباج ففعلت ذلك حين وجدته وكانت من بيت مملكة وسيأتى ذكر نسبها فيما بعد ان شاء الله وقال الزبير النسابة بل أول من كساها الديباج عبد الله بن الزبير وذكر البيت الذى كان لهم يقال له رئام وهو فعال من رأمت الانثى ولدها ترأمه رئما ورئاما اذا عطفت عليه ورحمته فاشتقوا لهذا البيت اسما لموضع الرحمة التى كانوا يلتمسون فى عبادته والله أعلم وفى رواية يونس عن ابن اسحق ان رئاما كان فيه شيطان وكانوا يملؤن له حياضا من دماء القربان فيخرج فيصيب منها ويكلمهم وكانوا يعبدونه فلما جاء الحبران مع تبع نشرا التوراة عنده وجعلا يقرآنها فطار ذلك الشيطان حتى وقع فى البحر وقوله فى حديث عمر وأخى حسان وهو الذى كان يقال له موثبان وقد تقدم لقب بذلك وقول ذى رعين له فى البيتين

ألا من يشترى سهرا بنوم * سعيد من يبيت قرير عين

معناه أمن يشترى وحسن حذف الف الاستفهام ههنا لتقدم همزة الا كما حسن فى قول أمرىء القيس . أحار ترى برقا أريك وميضه . أراد أترى وفى البيت حذف تقديره بل من يبيت قرير عين هو السعيد فحذف الخبر لدلالة أول الكلام عليه وفى كتاب ابن دريد سعيد أم يبيت بحذف من وهذا من باب حذف الموصوف واقامة الصفة مقامه لان من ههنا نكرة موصوفة ومثله قول الراجز

لو قلت ما فى قومها لم تيثم * يفضلها فى حسب وميسم

أى من يفضلها وهذا انما يوجد فى الكلام اذا كان الفعل مضارعا لا ماضيا قاله ابن السراج وغيره وذو رعين تصغير رعن والرعن أنف الجبل ورعين جبل باليمن قاله صاحب العين واليه ينسب ذو رعين وقوله فى الابيات بعد هذا لاه من رأى مثل حسان أراد لله وحذف لام الجر واللام الاخرى مع الف الوصل وهذا حذف كثير ولكنه جاز فى هذا الاسم خاصة لكثرة دوره على الالسنة ومثل قول الفراء . لهنك من برق على كريم أراد والله انك وقال بعضهم أراد لانك وابدل الهمزة هاء وهذا بعيد لان اللام

لا

فقال رجل من حمير

لاه عينا الذى رأى مثل حسا * ن قتيلا فى سالف الاحقاب
قتلته مقاول خشية الحبـ * ـس غداة قالوا لباب لباب
ميتكم خيرنا وحيكم * رب علينا وكلكم أرباب

قال ابن اسحق وقوله لباب لباب لا باس لا باس بلغة حمير «قال ابن هشام» ويروى لباب لباب * قال ابن اسحق فلما نزل عمرو بن تبان اليمن منع منه النوم وسلط عليه السهر فلما جهده ذلك سال الاطباء والحزاة من الكهان والعرافين عما به فقال له قائل منهم انه والله ما قتل رجل قط أخاه أو ذا رحمه بغيا على مثل ما قتلت أخاك عليه الا ذهب نومه وسلط عليه السهر فلما قيل له ذلك جعل يقتل كل من أمره بقتل أخيه حسان من أشراف اليمن حتى خلص الى ذى رعين فقال له ذو رعين ان لى عندك براءة فقال وما هى قال الكتاب الذى دفعت اليك فاخرجه فاذا فيه البيتان فتركه ورأى أنه قد نصحه وهلك عمرو فمرج أمر حمير عند ذلك وتفرقوا فوثب عليهم رجل من حمير لم يكن من بيوت المملكة يقال له لخنيعة ينوف ذو شناتر فقتل خيارهم وعبث ببيوت أهل المملكة منهم فقال قائل من حمير للخنيعة

تقتل ابناها وتنفى سراتها * وتبنى بايديها لها الذل حمير
تدمر دنياها بطيش حلومها * وما ضيعت من دينها فهو أكثر
كذاك القرون قبل ذاك بظلمها * واسرافها تأتى الشرور فتخسر

وكان لخنيعة امرأ فاسقا يعمل عمل قوم لوط فكان يرسل الى الغلام من أبناء الملوك فيقع عليه فى مشربة له قد صنعها لذلك لئلا يملك بعد ذلك ثم يطلع من مشربته تلك الى حرسه ومن حضر من جنده قد أخذ مسواكا فجعله فى فيه ليعلمهم انه قد فرغ منه حتى بعث الى زرعة ذى نواس بن تبان أسعد أخى حسان وكان صبيا صغيرا حين قتل حسان ثم شب غلاما جميلا وسيما ذا هيئة وعقل فلما أتاه رسوله عرف ما يريد منه فاخذ سكينا جديدا لطيفا فخبأه بين قدمه ونعله ثم أتاه فلما اخلا معه وثب اليه فواثبه ذو نواس فوجأه حتى قتله ثم حز رأسه فوضعه فى الكوة التى كان يشرف منها ووضع مسواكه فى فيه ثم خرج على الناس فقالوا له ذا نواس أرطب أم يباس فقال سل نحماس استرطبان ذو نواس استرطبان لا باس

لا تجمع مع ان الا ان تؤخر اللام الى الخبر لانهما حرفان مؤكدان وليس انقلاب الهمزة هاء بمزيل العلة المانعة من اجتماعهما وقوله قتلته المقاول يريد الاقيال وهم الذين دون التبابعة واحدهم قيل وأصله قيل مثل سيد ثم خفف واستعمل بالياء فى افراده وجمعه وان كان أصله الواو لان معناه الذى يقول يسمع قوله ولكنهم كرهوا ان يقولوا أقوال فيلتبس بجمع قول كما قالوا عيد وأعياد وان كان من عاد يعود لكن اماتوا الواو فيه اماتة كى لا يشبه جمع العود واذا أرادوا احياء الواو فى جمع قيل قالوا مقاول كانه جمع مقول أو جمع مقال ومقالة فلم يبعدوا من معنى القول وأمنوا اللبس وقد قالوا محاسن ومذاكر لا واحد لها من لفظها وكانهم ذهبوا أيضا فى مقاول مذهب المرازب وهم ملوك العجم والله أعلم على انهم قالوا أقيال وأقوال ولم يقولوا فى جمع عيد الا أعياد ومثل عيد وأعياد ريح وارياح فى لغة بنى أسد وقد صرفوا من القيل فعلا وقالوا قال علينا فلان أى ملك والقيالة الامارة ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى تسبيحه الذى رواه الترمذى سبحان الذى لبس العز وقال به أى ملك به وقهر كذا فسره الهروى فى الغريبين

﴿ خبر لخنيعة وذى نواس ﴾

وقال فيه ابن دريد لخيعة وقال هو من اللخع وهو استرخاء فى الجسم وذو شناتر الشناتر الاصابع بلغة حمير واحدها شنترة وذو نواس اسمه زرعة وهو من قولهم للغلام زرعك الله أى أنبتك وسموا زارعا كما سموا نابتا وقال الله تعالى «أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون» أى تنبتونه وفى مسند وكيع بن الجراح عن أبى عبد الرحمن الحبلى انه كان يكره ان يقول الرجل زرعت فى أرضى كذا وكذا الا ان الله هو الزارع وفى مسند البزار مرفوعا الى النبى صلى الله عليه وسلم النهى عن ذلك أيضا وقد تكلمنا على وجه هذا الحديث فى غير هذا الاملاء فقد جاء فى الصحيح ما من مسلم يغرس غرسا أو زرع زرعا الحديث وفى كتاب الله تعالى أيضا قال «تزرعون سبع سنين دأبا» وسمى ذا نواس بغديرتين كانتا له تنوسان أى ظفيرتان من شعر والنوس الحركة والاضطراب فيما كان متعلقا قال الراجز

لو رأتنى والنعاس غالبى * على البعير نائسا ذباذبى

يريد ذباذب القميص وقال ابن قتيبة أراد بالذباذب مذاكيره والاول أشبه بالمعنى وذكر قول ذى نواس للحرس حين قالوا له أرطب أم يباس واليباس واليبس مثل الكبار والكبير فقال لهم سل نحماس والنحماس فى لغتهم هو الرأس كما ذكر ووقع فى نسخة أبى بحر التى قيدها على أبى الوليد الوقشى نخماس بنون وخاء منقوطة ولعل هذا هو الصحيح اذ يحتمل ان يكون النخماس فى لغتهم هو الرأس ثم صحف وقيده كراع بالتاء المنقوطة باثنتين من فوق والحاء المهملة فيما ذكر لى وقوله استرطبان الى آخر الكلام مشكل يفسره ما ذكره أبو

«قال ابن هشام» هذا كلام حمير وتحماس الرأس فنظروا الى الكوة فاذا رأس لخنيعة مقطوع فخرجوا في أثر ذي نواس حتى أدركوه فقالوا ما ينبغي أن يملكنا غيرك اذ أرحتنا من هذا الخبيث فملكوه واجتمعت عليه حمير وقبائل اليمن فكان آخر ملوك حمير وتسمى يوسف فاقام في ملكه زمانا وبنجران بقايا من أهل دين عيسى بن مريم عليه السلام على الانجيل أهل فضل واستقامة من أهل دينهم لهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر وكان موقع أصل ذلك الدين بنجران وهي باوسط أرض العرب في ذلك الزمان وأهلها وسائر العرب كلها أهل أوثان يعبدونها وذلك ان رجلا من بقايا أهل ذلك الدين يقال له فيميون وقع بين أظهرهم فحملهم عليه فدانوا منه * قال ابن اسحق فحدثني المغيرة بن أبي لبيد مولى الاخنس عن وهب بن منبه اليماني انه حدثهم ان موقع ذلك الدين بنجران كان ان رجلا من بقايا أهل دين عيسى بن مريم يقال له فيميون وكان رجلا صالحا مجتهدا زاهدا في الدنيا مجاب الدعوة وكان سائحا ينزل بين القرى لا يعرف بقرية الا خرج منها الى قرية لا يعرف بها وكان لا يأكل الا من كسب يديه وكان بناء يعمل الطين وكان يعظم الاحد فاذا كان يوم الاحد لم يعمل فيه شيئا وخرج الى فلاة من الارض فصلى بها حتى يمسي قال وكان في قرية من قرى الشام يعمل عمله ذلك مستخفيا ففطن لشأنه رجل من أهلها يقال له صالح فاحبه صالح حبا لم يحبه شيئا كان قبله فكان يتبعه حيث ذهب ولا يفطن له فيميون حتى خرج مرة في يوم الاحد الى فلاة من الارض كما كان يصنع وقد أتبعه صالح وفيميون لا يدري فجلس صالح منه منظر العين مستخفيا منه لا يحب أن يعلم بمكانه وقام فيميون يصلي فبينما هو يصلي اذ اقبل نحوه التنين الحية ذات الرؤس السبعة فلما رآها فيميون دعا عليها فماتت ورآها صالح ولم يدر ما أصابها فخافها عليه فعيل عوله فصرخ يا فيميون التنين قد أقبل نحوك فلم يلتفت اليه وأقبل على صلاته حتى فرغ منها وأمسى فانصرف وعرف انه قد عرف وعرف صالح انه قد رأى مكانه فقال فيميون تعلم والله اني ما أحببت شيأ قط حبك وقد أردت صحبتك والكينونة معك حيث كنت فقال ما شئت أمري كما ترى فان علمت انك تقوى عليه فنعم فلزمه صالح وقد كاد أهل القرية يفطنون لشأنه وكان اذا فاجأه العبد به الضر دعا له فشفي واذا دعي الى أحد به ضر لم يأته وكان لرجل من أهل القرية ابن ضرير فسأل عن شأن فيميون فقيل له انه لا يأتي أحدا دعاه ولكنه رجل يعمل للناس البنيان بالاجر فعمد الرجل الى ابنه ذلك فوضعه في حجرته وألقى عليه ثوبا ثم جاءه فقال له يا فيميون اني قد أردت ان أعمل في بيتي عملا فانطلق معي اليه حتى تنظر اليه فاشارطك عليه فانطلق معه حتى دخل حجرته ثم قال له ما تريد أن تعمل من بيتك هذا قال كذا وكذا ثم انتشط الرجل الثوب عن الصبي ثم قال له يا فيميون عبد من عباد الله أصابه ما ترى فادع الله له فدعا له فيميون فقام الصبي ليس به بأس وعرف فيميون انه قد عرف فخرج من القرية وأتبعه صالح فبينما هو يمشي في بعض الشام اذ مر بشجرة عظيمة فناداه منها رجل فقال يا فيميون قال نعم قال ما زلت أنظرك وأقول متى هو جاء حتى سمعت صوتك فعرفت انك هو لا تبرح حتى تقوم علي فاني ميت الآن قال فمات وقام عليه حتى واراه ثم انصرف وتبعه صالح حتى وطئا بعض أرض العرب فعدوا عليهما فاختطفتهما سيارة من بعض العرب فخرجوا بهما حتى باعوهما بنجران وأهل نجران يومئذ على دين العرب يعبدون نخلة طويلة بين أظهرهم لها عيد في كل سنة اذا كان ذلك العيد علقوا عليها كل ثوب حسن وجدوه وحلي النساء ثم خرجوا اليها فعكفوا عليها يوما فابتاع فيميون رجل من أشرافهم وابتاع صالحا آخر فكان فيميون اذا قام من الليل يتهجد في بيت له أسكنه اياه سيده يصلي استسرج له البيت نورا حتى يصبح من غير مصباح فرأى ذلك سيده فاعجبه ما يرى منه فسأله عن دينه فأخبره به وقال له فيميون انما أنتم في باطل ان هذه النخلة لا تضر ولا تنفع ولو دعوت عليها إلهي الذي أعبده أهلكها وهو الله وحده لا شريك له قال فقال له سيده فافعل فانك ان فعلت دخلنا في دينك وتركنا ما نحن عليه قال فقام فيميون فتطهر وصلى ركعتين ثم دعا الله عليها فارسل الله عليها ريحا فجعفتها من أصلها فالقتها فاتبعه عند ذلك أهل نجران على دينه فحملهم على الشريعة من دين عيسى ابن مريم عليه السلام ثم دخلت عليهم الاحداث التي دخلت على أهل دينهم بكل أرض

الفرج في الاغاني قال كان الغلام اذا خرج من عند لخنيعة وقد لاط به قطعوا مشافر ناقته وذنبها وصاحوا به أرطب أم يباس فلما خرج ذو نواس من عنده وركب ناقة له يقال لها السراب قالوا ذا نواس أرطب أم يباس فقال ستعلم الاحراس است ذي نواس است رطبان أم يباس فهذا اللفظ مفهوم والذي وقع في الاصل هذا معناه ولفظه قريب من هذا ولعله تغيير في اللفظ والله أعلم وكان ملك لخنيعة سبعا وعشرين سنة وملك ذو نواس بعده ثمانيا وستين سنة قاله ابن قتيبة

﴿حديث فيمؤن﴾

ويذكر عن الطبري انه قال فيه قيمؤن بالقاف وشك فيه وقال القتبي فيه رجل من آل جفنة من غسان جاءهم من الشام فحملهم على دين عيسى عليه السلام ولم يسمه وقال فيه النقاش اسمه يحيى وكان أبوه ملكا فتوفي وأراد قومه ان يملكوه بعد أبيه ففر من الملك ولزم السياحة وذكر الطبري قصة الرجل الذي دعا لابنه فشفي

ذن هنالك كانت النصرانية بنجران فى أرض العرب * قال ابن اسحاق فهذا حديث وهب بن منبه عن أهل نجران * قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى وحدثنى أيضا بعض أهل نجران عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الاوثان وكان فى قرية من قراها قريبا من نجران ونجران القرية العظمى التى اليها جماع أهل تلك البلاد ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر فلما نزلها فيميون ولم يسموه لى باسمه الذى سماه به وهب بن منبه قالوا رجل نزلها ابتنى خيمة بين نجران و بين تلك القرية التى بها الساحر فجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم الى ذلك الساحر يعلمهم السحر فبعث اليه الثامر ابنه عبد الله بن الثامر مع غلمان أهل نجران فكان اذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى منه من صلاته وعبادته فجعل يجلس اليه ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعبده وجعل يسأله عن شرائع الاسلام حتى اذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الاعظم وكان يعلمه فكتمه اياه فقال يا ابن أخى انك لن تحمله أخشى عليك ضعفك عنه والثامر أبو عبد الله لا يظن الا أن ابنه يختلف الى الساحر كما يختلف الغلمان فلما رأى عبد الله ان صاحبه قد ضن به عنه وتخوف ضعفه فيه عمد الى قداح فجمعها ثم لم يبق لله اسما يعلمه الا كتبه فى قدح لكل اسم قدح حتى اذا أحصاها أوقد لها نارا ثم جعل يقذفها فيها قدحا قدحا حتى اذا مر بالاسم الاعظم قذف به فيها بقدحه فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شيئا فاخذه ثم أتى صاحبه فاخبره بأنه قد علم الاسم الذى كتمه فقال وما هو قال هو كذا وكذا قال وكيف علمته فاخبره بما صنع قال أى ابن اخى قد أصبته فامسك على نفسك وما أظن أن تفعل فجعل عبد الله بن الثامر اذا دخل نجران لم يلق أحدا به ضر الا قال يا عبد الله أتوحد الله وتدخل فى دينى وادعو الله فيعافيك مما انت فيه من البلاء فيقول نعم فيوحد الله ويسلم ويدعو له فيشفى حتى لم يبق بنجران احد به ضر الا أتاه فاتبعه على أمره ودعا له فعوفى حتى رفع شانه الى ملك نجران فدعاه فقال أفسدت

بأتم مما ذكرها ابن اسحق قال فيمؤن حين دخل مع الرجل وكشف له عن ابنه اللهم عبد من عبادك دخل عليه عدوك فى نعمتك ليفسدها عليه فاشفه وعافه وامنعه منه فقام الصبى ليس به باس فتبين من هذا ان الصبى كان مجنونا لقوله دخل عليه عدوك يعنى الشيطان وليس هذا فى حديث ابن اسحق وذكر ابن اسحق فى الرواية الاخرى عن محمد بن كعب القرظى وعن بعض أهل نجران وماذكروه من خبر فيمؤن قال ولم يسموه لى بالاسم الذى سماه ابن منبه «قال المؤلف رحمه الله» يحتمل انهم سموه يحيى وهو الاسم الذى تقدم ذكره وما قاله النقاش والقتبى وفيه ذكر قرية نجران فى هذا الحديث ونجران اسم رجل كان أول من نزلها فسميت به وهو نجران بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان قاله البكرى وذكر أصحاب الاخدود وما أنزل الله تعالى فيهم وقد روى ابن سنجر عن جبير بن نفير قال الذين خددوا الاخدود ثلاثة تبع صاحب اليمن وقسطنطين بن هلانى وهى أمه حين صرف النصارى عن التوحيد ودين المسيح الى عبادة الصليب وبخت نصر من أهل بابل حين أمر الناس ان يسجدوا اليه فامتنع دانيال وأصحابه فالقاهم فى النار فكانت بردا وسلاما عليهم وحرق الذين بغوا عليهم

﴿خبر ابن الثامر﴾

وذكر فيه الاسم الاعظم وقول الراهب له انك لن تطيقه أى لن تطيق شروطه والانتهاض بما يجب من حقه وقد قيل فى قول الله تعالى « وقال الذى عنده علم من الكتاب » انه أوتى الاسم الاعظم الذى اذا دعى الله به أجاب وهو آصف بن برخيا فى قول أكثرهم وقيل غير ذلك وأعجب ما قيل فيه انه ضبة بن أد بن طابخة قاله النقاش ولا يصح وهى مسئلة اختلف فيها العلماء فذهبت طائفة الى ترك التفضيل بين أسماء الله تعالى وقالوا لا يجوز ان يكون اسم من أسمائه أعظم من الاسم الآخر وقالوا اذا أمر فى خبر أو أثر ذكر الاسم الاعظم فمعناه العظيم كما قالوا انى لاوجل أى وجلا وكما قال بعضهم فى أكبر من قولك الله أكبر ان أكبر بمعنى كبير وان لم يكن قول سيبويه وذكروا ان أهون بمعنى هين من قوله عز وجل وهو أهون عليه وأكثروا الاستشهاد على هذا ونسب أبو الحسن بن بطال هذا القول الى جماعة منهم ابن أبى زيد والقابسى وغيرهما ومما احتجوا به أيضاً ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن ليحرم العلم بهذا الاسم وقد علمه من هو دونه من ليس بنبى ولم يكن ليدع وحين اجتهد فى الدعاء لامته ألا يجعل باسهم بينهم وهو رؤف بهم عزيز عليه عنتهم الا بالاسم الاعظم ليستجاب له فيه فلما منع ذلك علمنا انه ليس اسم من اسماء الله الا وهو كسائر الاسماء فى الحكم والفضيلة يستجيب الله اذا دعى ببعضها ان شاء ويمنع اذا شاء وقال الله سبحانه «قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى» وظاهر هذا الكلام التسوية بين اسمائه الحسنى وكذلك ذهب هؤلاء وغيرهم من العلماء الى انه ليس شىء من كلام الله تعالى افضل من شىء لانه كلام واحد من رب واحد فيستحيل التفاضل فيه « قال الشيخ الفقيه الحافظ ابو القاسم عفا الله عنه » وجه استفتاح الكلام معهم ان يقال هل

يستحيل هذا عقلا أم يستحيل شرعا ولا يستحيل عقلا ان يفضل الله سبحانه عملا من البر على عمل وكلمة من الذكر على كلمة فان التفضيل راجع الى زيادة الثواب ونقصانه وقد فضلت الفرائض على النوافل باجماع وفضلت الصلاة والجهاد على كثير من الاعمال والدعاء والذكر عمل من الاعمال فلا يبعد ان يكون بعضه اقرب الى الاجابة من بعض واجزل ثوابا فى الآخرة من بعض والاسماء عبارة عن المسمى وهى من كلام الله سبحانه القديم ولا نقول فى كلام الله هو هو ولا هو غيره كذلك لا نقول فى اسمائه التى تضمنها كلامه انها هو ولا هى غيره فان تكلمنا نحن [بها] بالسنتنا المخلوقة والفاظنا المحدثة فكلامنا عمل من اعمالنا والله سبحانه وتعالى يقول «والله خلقكم وما تعملون» وقبح الله المعتزلة فانهم زعموا ان كلامه مخلوق فاسماؤه على أصلهم الفاسد محدثة غير المسمى بها وسووا بين كلام الخالق وكلام المخلوق فى الغيرية والحدوث واذا ثبت هذا وصح جواز التفضيل بين الاسماء اذا دعونا بها فكذلك القول فى تفضيل السور والآى بعضها على بعض فان ذلك راجع الى التلاوة التى هى عملنا لا الى المتلو الذى هو كلام ربنا وصفة من صفاته القديمة وقد قال صلى الله عليه وسلم لابى أى آية معك فى كتاب الله أعظم فقال «الله لا اله الا هو الحى القيوم» فقال ليهنك العلم أبا المنذر ومحال ان يريد بقوله أعظم بمعنى عظيم لان القرآن كله عظيم فكيف يقول له أى آية فى القرآن عظيمة وكل آية فيه عظيمة كذلك وكل ما استشهدوا به من قولهم أكبر بمعنى كبير وأهون بمعنى هين باطل عند حذاق النحاة ولولا ان نخرج عما نحن بصدده لاوضحنا بطلانه بما لا قبل لهم به ولو كان صحيحا فى العربية ما جاز ان يحمل عليه قوله أى آية معك فى كتاب الله أعظم لان القرآن كله عظيم وانما سأله عن الاعظم منه والافضل فى ثواب التلاوة وقرب الاجابة وفى هذا الحديث دليل أيضا على ثبوت الاسم الاعظم وان لله اسما هو أعظم أسمائه ومحال ان يخلو القرآن عن ذلك الاسم والله تعالى يقول «ما فرطنا فى الكتاب من شىء» فهو فى القرآن لا محالة وما كان الله ليحرمه محمدا وأمته وقد فضله على الانبياء وفضلهم على الامم فان قلت فاين هو فى القرآن فقد قيل انه أخفى فيه كما أخفيت الساعة فى يوم الجمعة وليلة القدر فى رمضان ليجتهد الناس ولا يتكلوا قال الفقيه الحافظ أبو القاسم رضى الله عنه» فى قول النبى صلى الله عليه وسلم لابى أى آية معك فى كتاب الله أعظم ولم يقل أفضل اشارة الى الاسم الاعظم انه فيها اذ لا يتصور ان تكون هى أعظم آية ويكون الاسم الاعظم فى أخرى دونها بل انما صارت أعظم الآيات لان الاسم الاعظم فيها الا ترى كيف هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أبيا بما أعطاه الله تعالى من العلم وما هناه الا بعظيم بان عرف الاسم الاعظم والآية العظمى التى كانت الامم قبلنا لا يعلمه منهم الا الافراد عبد الله بن الثامر وآصف صاحب سليمان عليه السلام وبلعوم قبل ان يتبعه الشيطان فكان من الغاوين وقد جاء منصوصا فى حديث أم سلمة رضى الله عنها الذى خرجه الترمذى وأبو داود وروى أيضا عن اسماء بنت يزيد وكنيتها أم سلمة فلعل الحديث واحد انها سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الاسم الاعظم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فى هاتين الآيتين «الله لا اله الا هو الحى القيوم» و «الم الله لا اله الا هو الحى القيوم[1]» . وقال سبحانه «هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له الدين» الآية أى فادعوه بهذا الاسم ثم قال «الحمد لله رب العالمين» تنبيها لنا على حمده وشكره اذ علمنا من هذا الاسم العظيم ما لم نكن نعلم فان قلت فقد روى أبو داود والترمذى أيضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا وهو [زيد] ابو عياش الزرقى ذكر اسمه الحرث بن أبى اسامة فى مسنده يقول اللهم انى أسالك بان لك الحمد لا اله الا أنت المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام فقال لقد دعا

١) فى الثانية هكذا : والهكم إله واحد . والله لا إله الا هو الحى القيوم .

على أهل قريتى وخالفت دينى ودين آبائى لامثلن بك قال لا تقدر على ذلك قال فجعل يرسل به الى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع الى الارض ليس به بأس وجعل يبعث به الى مياه بنجران بحور لا يقع فيها شىء الا هلك فيلقى فيها فيخرج ليس به بأس فلما غلبه قال له عبد الله بن الثامر انك والله لن تقدر على قتلى حتى توحد الله فتؤمن بما آمنت به فانك ان فعلت ذلك سلطت على فقتلتنى قال فوحد الله تعالى ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن الثامر ثم ضربه بعصا فى يده فشجه شجة غير كبيرة فقتله ثم هلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن الثامر وكان على ما جاء به عيسى صلى الله عليه وسلم من الانجيل وحكمه ثم أصابهم مثل ما أصاب اهل دينهم من الاحداث فمن هنالك كان اصل النصرانية بنجران والله أعلم بذلك * قال ابن اسحق فهذا حديث محمد بن كعب القرظى وبعض اهل نجران عن عبد الله بن الثامر والله اعلم اى ذلك كان فسار

الله باسمه الاعظم و يروى انه قال له فى هذا الحديث غفر الله له غفر الله له و روى الترمذى نحو هذا فيمن قال اللهم انى أسالك فانك الله الذى لا اله الا أنت الاحد الصمد الذى لم تلد ولم تولد وهذا معارض لحديث أم سلمة قلنا لا معارضة بين هذا و بين ما تقدم فانا لم نقل ان الاسم الاعظم هو الحى القيوم بل الحى القيوم صفتان تابعتان للاسم الاعظم وتتميم لذكره وكذلك المنان وذو الجلال والاكرام فى حديث أبى داوود وقد خرجه الترمذى أيضا فى الدعوات وكذلك الاحد الصمد فى حديث الترمذى وقولك الله لا اله الا هو هو الاسم لانه لا سمى له ولم يتسم به غيره وقد قال بعض العلماء فى التسعة والتسعين اسما انها كلها تابعة للاسم الذى هو الله وهو تمام المائة فهى مائة على عدد درج الجنة اذ قد ثبت فى الصحيح انها مائة درجة بين كل درجتين مسيرة مائة عام وقال فى الاسماء من أحصاها دخل الجنة فهى على عدد درج الجنة واسماؤه تعالى لا تحصى وانما هذه الاسماء هى المفضلة على غيرها والمذكورة فى القرآن يدل على ذلك قوله فى الصحيح أسالك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم و وقع فى جامع ابن وهب سبحانك لا أحصى أسماءك ومما يدل على انه الاسم الاعظم انك تضيف جميع الاسماء اليه ولا تضيفه اليها تقول العزيز اسم من أسماء الله ولا تقول الله اسم من أسماء العزيز وفخمت اللام من اسمه وان كانت لا تفخم لام فى كلام العرب الا مع حروف الاطباق نحو الطلاق ولا تفخم لام فى شىء من أسمائه ولا شىء من الحروف الواقعة فى أسمائه التى ليست بمستعلية الا فى هذا الاسم العظيم المنتظم من الف ولامين وهاء فالالف من مبدأ الصوت والهاء راجعة الى مخرج الالف فشا كل اللفظ المعنى وطابقه لان المسمى بهذا الاسم منه المبدأ واليه المعاد والاعادة أهون من الابتداء عند المخاطبين فكذلك الهاء أخف وألين فى اللفظ من الهمزة التى هى مبدأ الاسم أخبرت بهذا الكلام أو نحوه فى الاسم وحروفه عن ابن فورك رحمه الله ذكره أبو بكر شيخنا فى كتاب شرح الاسماء الحسنى له (فان قيل) فاين ما ذكروه عن الاسم الاعظم وانه لا يدعى الله به الا أجاب ولا يسئل به شيئاً الا أعطاه (قلنا) عن ذلك جوابان أحدهما ان هذا الاسم كان عند من كان قبلنا اذا علمه مصونا غير مبتذل معظما لا يمسه الا طاهر ولا يلفظ به الا طاهر ويكون الذى يعرفه عاملا بمقتضاه متألها مخبتا قد امتلأ قلبه بعظمة المسمى به لا يلتفت الى غيره ولا يخاف سواه فلما ابتذل وتكلم به فى معرض البطالات والهزل ولم يعمل بمقتضاه ذهبت من القلوب هيبته فلم يكن فيه من سرعة الاجابة وتعجيل قضاء الحاجة للداعى ما كان قبل ألا ترى قول أيوب عليه السلام فى بلائه قد كنت أمر بالرجلين يتنازعان فيذكران الله يعنى فى تنازعهما أى تخاصمهما فارجع الى بيتى فا كفر عنهما كراهة ان يذكر الله الا فى حق وفى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم كرهت ان أذكر الله الا على طهر فقد لاح لك تعظيم الانبياء له (والجواب الثانى) ان الدعاء به اذا كان من القلب ولم يكن بمجرد اللسان استجيب للعبد غير ان الاستجابة تنقسم كما قال عليه السلام اما ان يعجل له ما سأل واما ان يدخر له وذلك خير مما طلب واما ان يصرف عنه من البلاء بقدر ما سأل من الخير واما دعاء النبى صلى الله عليه وسلم لامته الا يجعل بأسهم بينهم فمنعها فقد أعطى عوضا لهم من ذلك الشفاعة لهم فى الآخرة وقد قال أمتى هذه أمة مرحومة ليس عليها فى الآخرة عذاب عذابها فى الدنيا الزلازل والفتن خرجه أبو داود فاذا كانت الفتن سببا لصرف عذاب الآخرة عن الامة فما خاب دعاؤه لهم على انى تاملت هذا الحديث وتاملت حديثه الآخر حين نزلت «قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم» فقال أعوذ بوجهك فلما سمع «أو من تحت أرجلكم» قال أعوذ بوجهك فلما سمع «أو يلبسكم شيعا و يذيق بعضكم باس بعض» قال هذه أهون فمن

اليهم ذو نواس بجنوده فدعاهم الى اليهودية وخيرهم بين ذلك والقتل فاختاروا القتل فخدلهم الاخدود فحرق من حرق بالنار وقتل من قتل بالسيف ومثل بهم حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفا فى ذى نواس

هاهنا والله أعلم أعيذت أمته من الاولى والثانية ومنع الثالثة حين سألها بعد وقد عرضت هذا الكلام على رجل من فقهاء زماننا فقال هذا حسن جدا غير أنا لا ندرى أكانت مسألته بعد نزول الآية أم لا فان كان بعد نزول الآية فاخلق بهذا النظر أن يكون صحيحا قلت له أليس فى الموطأ أنه دعا بها فى مسجد بنى معاوية وهو فى المدينة ولا خلاف ان سورة الانعام مكية فقال نعم وسلم واذعن للحق واقر به رحمه الله ﴿فصل﴾ وذكر من وجدان عبد الله فى خربة من خرب نجران يصدقه قوله تعالى «ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء» الآية وما وجد فى صدر هذه الامة من شهداء أحد وغيرهم على هذه الصورة لم يتغيروا بعد الدهور الطويلة كحمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فانه وجد حين حفر معاوية العين صحيحا لم يتغير وأصابت الفأس أصبعه فدميت وكذلك أبو جابر عبد الله بن حرام [وعمرو بن الجموح] وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهم استخرجته بنته عائشة [من قبره] حين رأته فى المنام فأمرها أن تنقله من موضعه فاستخرجته من موضعه بعد ثلاثين سنة لم يتغير ذكره ابن قتيبة فى المعارف والاخبار بذلك صحيحة وقد قال عليه السلام ان الله حرم على الارض ان تأكل أجساد الانبياء خرجه سليمان بن الاشعث وذكر أبو جعفر الداوودى فى كتاب الناسى (١) هذا الحديث بزيادة ذكر الشهداء والعلماء والمؤذنين وهى زيادة غريبة لم تقع [لى] فى مسند غير ان الداودى من أهل الثقة والعلم وفى المسند من طريق أنس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء أحياء يصلون فى قبورهم انفرد به ثابت البنانى عن أنس وقد روى ان ثابتا التمس فى قبره بعد ما دفن فلم يوجد فذكر ذلك لبنته فقالت كان يصلى فلم تروه لانى كنت أسمعه اذا تهجد بالليل يقول اللهم اجعلنى ممن يصلى فى قبره بعد الموت وفى الصحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مررت بموسى عليه السلام وهو يصلى فى قبره وحديث عبد الله بن الثامر اغار واه ابن اسحاق موقوفا على محمد بن كعب القرظى عن بعض أهل نجران ليصل به حديث فيمؤن وهو حديث ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من طريق ابن أبى ليلى عن صهيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أولى أن يعتمد عليه وهو يخالف حديث ابن اسحاق فى ألفاظ كثيرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حدث بهذا الحديث يعنى حديثا تقدم قبل هذا الحديث يحدث بهذا الحديث الآخر قال كان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن يكهن له فقال الكاهن انظروا الى غلاما فهما او قال فطنا لقنا فاعلمه علمى هذا فانى أخاف أن أموت فينقطع منكم هذا العلم ولا يكون فيكم من يعلمه [قال فنظروا له غلاما] على ما وصف فأمروه أن يحضر ذلك الكاهن وأن يختلف اليه فجعل يختلف اليه وكان على طريق الغلام راهب فى صومعة قال معمر أحسب أن أصحاب الصوامع يومئذ كانوا مسلمين قال فجعل الغلام يسأل ذلك الراهب كل ما مر به فلم يزل به حتى أخبره فقال انما أعبد الله قال فجعل الغلام يمكث عند الراهب ويبطىء على الكاهن فارسل الكاهن الى أهل الغلام انه لا يكاد يحضرنى فاخبر الغلام الراهب بذلك فقال له الراهب اذا قال لك الكاهن أين كنت فقل كنت عند أهلى فاذا قال لك أهلك أين كنت فاخبرهم انك كنت عند الكاهن قال فبينما الغلام على ذلك اذ مر بجماعة من الناس كثير قد حبستهم دابة فقال بعضهم ان تلك الدابة كانت أسدا فاخذ الغلام حجرا فقال اللهم ان كان ما يقول الراهب حقا فاسئلك أن تقتله قال ثم رمى فقتل الدابة فقال الناس من قتلها فقالوا الغلام ففزع الناس وقالوا لقد علم هذا الغلام علما لم يعلمه أحد قال فسمع به أعمى فقال له ان أنت رددت بصرى فلك كذا وكذا فقال له لا أريد منك هذا ولكن أرأيت ان رجع اليك بصرك أتؤمن بالذى رده قال نعم قال فدعا الله فرد عليه بصره فآمن الاعمى فبلغ الملك أمرهم فبعث اليهم فأتى بهم فقال

وجنده ذلك أنزل الله تعالى على رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذهم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد

---

(١) فى الثانية : النامى ولم أقف له على ذكر فليحرر

لاقتلن

(قال ابن هشام) الاخدود الحفر المستطيل فى الارض كالخندق والجدول ونحوه وجمعه أخاديد ، قال ذو الرمة واسمه غيلان بن عقبة أحد بنى عدى بن عبد مناف بن اد بن طابخة بن الياس بن مضر

من العراقية اللاتى يحيل لها * بين الفلاة وبين النخل أخدود

يعنى جدولا وهذا البيت فى قصيدة له قال ويقال لاثر السيف والسكين فى الجلد وأثر السوط ونحوه أخدود وجمعه أخاديد (قال ابن اسحق) ويقال كان فيمن قتل ذو نواس عبد الله بن الثامر رأسهم وامامهم (قال ابن اسحق) وحدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم انه حدث أن رجلا من اهل نجران كان فى زمان عمر بن الخطاب رضى الله عنه حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته فوجدوا عبد الله بن الثامر تحت دفن منها قاعدا واضعا يده على ضربة فى رأسه ممسكا عليها بيده فاذا أخرت يده عنها تنبعث دما واذا أرسلت يده ردها عليها فامسكت دمها وفى يده خاتم مكتوب فيه ربى الله فكتب فيه الى عمر بن الخطاب يخبر بامره فكتب اليهم عمر رضى الله عنه أن أقروه على حاله وردوا عليه الدفن الذى كان عليه ففعلوا (قال ابن اسحق) وأفلت منهم رجل من سبأ يقال له دوس ذو ثعلبان على فرس له فسلك الرمل فاعجزهم فمضى على وجهه ذلك حتى أتى قيصر ملك الروم فاستنصره على ذى نواس وجنوده فاخبره بما بلغ منهم فقال له بعدت بلادك منا ولكن سأكتب لك الى ملك الحبشة فانه على هذا الدين وهو أقرب الى بلادك وكتب اليه يأمره بنصره والطلب بثاره فقدم دوس على النجاشى بكتاب قيصر فبعث معه سبعين ألفا من الحبشة وأمر عليهم رجلا منهم يقال له ارياط ومعه فى جنده أبرهة الاشرم فركب ارياط البحر حتى نزل بساحل اليمن ومعه دوس ذو ثعلبان وسار اليه ذو نواس فى حمير ومن أطاعه من قبائل اليمن فلما التقوا انهزم ذو نواس وأصحابه فلما رأى ذو نواس ما نزل به وبقومه وجه فرسه فى البحر ثم ضربه فدخل به

لاقتلن كل واحد منكم قتلة لا أقتل بها صاحبه فأمر بالراهب وبالرجل الذى كان أعمى فوضع المنشار على مفرق أحدهما فقتله ثم قتل الآخر بقتلة أخرى ثم أمر بالغلام فقال انطلقوا به الى جبل كذا وكذا فالقوه من رأسه فانطلقوا به الى ذلك الجبل فلما انتهوا الى ذلك المكان الذى أرادوا أن يلقوه منه جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ويتردون منه حتى لم يبق منهم الا الغلام قال ثم رجع فامر به الملك أن ينطلقوا به الى البحر فيلقونه فيه فانطلق به الى البحر فغرق الله الذين كانوا معه وأنجاه فقال الغلام للملك انك لا تقتلنى حتى تصلبنى وترمينى وتقول اذا رميتنى بسم الله رب هذا الغلام قال فامر به فصلب ثم رماه فقال بسم الله رب هذا الغلام قال فوضع الغلام يده على صدغه حين رمى ثم مات فقال الناس لقد علم هذا الغلام علما ما علمه أحد فانا نؤمن برب هذا الغلام قال فقيل للملك أجزعت ان خالفك ثلاثة فهذا العالم كلهم قد خالفوك قال فخد أخدودا ثم ألقى فيه الحطب والنار ثم جمع الناس فقال من رجع عن دينه تركناه ومن لم يرجع ألقيناه فى هذه النار فجعل يلقيهم فى ذلك الاخدود قال يقول الله سبحانه «قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود حتى بلغ العزيز الحميد» قال فاما الغلام فانه دفن قال فيذكر انه أخرج فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل رواه الترمذى عن محمود بن غيلان عن عبد الرزاق عن معمر ورواه مسلم عن هداب بن خالد عن حماد بن سلمة ثم اتفقا عن ثابت عن ابن أبى ليلى عن صهيب غير أن فى حديث مسلم ان الاعمى الذى شق كان جليسا للملك وانه جاءه بعد ما شفى فجلس من الملك كما كان يجلس فقال من رد عليك بصرك قال ربى قال وهل لك رب غيرى فقال الله ربى وربك فامر بالمنشار فجعل على رأسه حتى وقع شقاه وأمر بالراهب ففعل به مثل ذلك وزاد مسلم فى آخر الحديث قال فاتى بامرأة لتلقى فى النار ومعها صبى يرضع فقال لها الغلام يا أمه لا تجزعى فانك على الحق وذكر ابن قتيبة ان الغلام الرضيع كان من سبعة أشهر

﴿ حديث الحبشة ﴾

وذكر فيه دوسا ذا ثعلبان الذى أتى قيصر ودوس هو ابن تبع الذى قتله أخوه قاله ابن اسحاق فى غير رواية ابن هشام * وذكر فيه قيصر وكتابه للنجاشى وقيصر اسم علم لكل من ولى الروم وتفسيره بلسانهم البقير الذى بقر بطن أمه عنه وكان أول من تسمى به بقيرا ثم ملك وعرف به تسمى به كل من ملك بعده قاله المسعودى وانما كتب (بذلك) الى النجاشى لانه على دينه وكان أقرب الى اليمن منه وذكر غير ابن اسحاق ان ذا نواس أدخل الحبشة صنعاء اليمن حين رأى أن لا قبل لهم به بعد أن استنفر جميع المقاول ليكونوا معه يدا واحدة عليهم فابوا الا أن يحمى كل واحد منهم حوزته على حدته فخرج اليهم ومعه مفاتيح خزائنه وأمواله على أن يسالموه ومن معه ولا يقتلوا أحدا فكتبوا الى النجاشى بذلك فامرهم أن يقبلوا ذلك منهم فدخلوا صنعاء ودفع اليهم المفاتيح وأمرهم أن يقبضوا ما فى بلاده من خزائن أمواله ثم كتب هو الى كل موضع من أرضه أن اقتلوا كل ثور أسود فقتل أكثر الحبشة فلما بلغ ذلك النجاشى وجه جيشا الى ابرهة

[وعليهم ارياط] وأمره أن يقتل ذا نواس ويخرب ثلث بلاده ويقتل ثلث الرجال ويسبي ثلث النساء والذرية ففعل ذلك ابرهة وابرهة بالحبشة هو الابيض الوجه وفي هذا قوة لقول من قال ان ابرهة هذا هو ابرهة بن الصباح الحميري وليس بابي يكسوم الحبشي وان الحبشة كانوا قد أمروا ابرهة بن الصباح على اليمن وهذا القول ذكره ابن سلام في تفسيره واقتحم ذو نواس البحر فهلك وقام بامره من بعده ذو جدن واسمه علس بن الحارث أخو سبيع بن الحرث والجدن حسن الصوت يقال انه أول من أظهر الغناء باليمن فسمي به وجدن أيضا مفازة باليمن زعم البكري ان ذا جدن اليها ينسب فحارب الحبشة بعد ذي نواس فكسر واجنده وغلبوه على أمره ففر الى البحر كما فعل ذو نواس فهلك فيه وذكروا سبب منازعة ابرهة لارياط وان ذلك انما كان لان ابرهة بلغ النجاشي انه استبد بنفسه ولم يرسل اليه من جباية اليمن شيئا فوجه ارياطا الى خلعه فعند ذلك دعاه ابرهة الى المبارزة كما ذكر ابن اسحاق وذكر الطبري ان عتودة الغلام الذي قتل ارياطا والعتودة الشدة وقد قيل في اسمه ارتجدة قال له ابرهة احتكم علي قال أحتكم أن لا تزف امرأة الى بعلها حتى أكون أنا الذي ابدأ بها قبله ففعل ذلك ابرهة وغبر العبد زمانا يفعل ذلك فلما اشتد الغيظ باهل اليمن قتلوا عتودة غيلة فقال لهم الملك قد آن لكم يا أهل اليمن أن تفعلوا فعل الاحرار وأن تغضبوا لحرمكم ولو علمت ان هذا العبد يسألني هذا الذي سأل ما حكمته ولكن والله لا يؤخذ منكم فيه دية ولا تطلبون بذحل وحيثما وقع اسم ارياط في رواية يونس لم يسمه بهذا الاسم انما سماه روزبة أو نحو هذا وذكر الطبري أن سيف بن ذي يزن لما فعل ذو نواس بالحبشة ما فعل ثم ظفر وابه بعث عظيمهم الى أبي مرة سيف بن ذي يزن فانتزع منه ريحانة بنت علقمة بن مالك وكانت قد ولدت له معدي كرب فملكها أبرهة وأولدها مسروق بن أبرهة وعند ذلك توجه سيف الى كسرى أنوشروان يطلب منه الغوث على الحبشة فوعده بذلك وأقام عنده سنين ثم مات وخلفه ابنه معدي كرب في طلب الثار فادخل على كسرى فقال له من أنت فقال رجل يطلب ارث أبيه وهو وعد الملك الذي وعده به فسأل عنه كسرى أهو من بيت مملكة أم لا فاخبر انه من بيت ملك فوجه معه وهرز الفارسي في سبعة آلاف وخمسمائة من الفرس وقال ابن اسحاق في ثمانمائة غرق منهم مائتان وسلم ستمائة والقول الاول قول ابن قتيبة وهو أشبه بالصواب اذ يبعد مقاومة الحبشة بستمائة وان كان قد جمع اليهم من العرب كما ذكر ابن اسحاق ما جمع ثم ان معدي كرب بن سيف لما قتل الحبشة وملك هو ووهرز اليمن أقام في ذلك نحو أربع سنين ثم قتلته عبيد له كان قد اتخذهم من أولئك الحبشة خرج بهم الى الصيد فزرقوه بحرابهم ثم هربوا فاتبعوا فقتلوا وتفرق أمر اليمن بعده الى مخالف عليها مقاول كملوك الطوائف لا يدين بعضهم لبعض الا ما كان من صنعاء وكون الابناء فيها حتى جاء الاسلام

﴿ فصل ﴾ واستشهد ابن هشام في هذا الخبر على الاخدود ببيت ذي الرمة وهو غيلان بن عقبة بن بهيش بضم الباء والشين وسمي ذا الرمة ببيت قاله في الوتد * أشعث باقي رمة التقليد * وقيل ان مية سمته بذلك وكان قد قال لها اصلحي لي هذا الدلو فقالت له اني خرقاء فولى وهي على عنقه برمتها فنادته يا ذا الرمة ان كنت خرقاء فان لي أمة صناعا فلذلك سماها بخرقاء كما سمته بذي الرمة

﴿ فصل ﴾ وقوله فخاض ضحضاح البحر الى غمره الضحضاح من الماء الذي يظهر منه القمر وكان أصله من الضح وهو حر الشمس كان الشمس تداخله لقلته فقلبت فيه احدى الحاءين ضادا كما قالوا في ثرة ثرثارة وفي تلل تلمل وهو قول الكوفيين من النحويين ولست أعرف أصلا يدفعه ولا دليلا يرده ويقال له أيضا

فخاض به ضحضاح البحر حتى أفضى به الى غمره فادخله فيه وكان آخر العهد به ودخل ارياط اليمن فملكها فقال رجل من أهل اليمن وهو يذكر ما ساق اليهم دوس من أمر الحبشة * لا كدوس ولا كاعلاق رحله * فهي مثل باليمن الى هذا اليوم

الرقراق والضهل وقد يستعار في غير الماء كقول النبي صلى الله عليه وسلم في عمه أبي طالب حين سئل عنه فقال هو في ضحضاح من النار ولولا مكاني لكان في الطمطام وفي البخاري وجدته في غمرة من النار فاخرجته الى الضحضاح والغمر هو الطمطام وأما قول ذي جدن * هونك لن يرد الدمع مافاتا * هكذا روى هذا القسيم ناقصا قاله البرقي وقد روى عن ابن اسحاق من غير رواية ابن هشام هونك لن يرد قال وهو من باب قول العرب للواحد افعلا وهو كثير في القرآن والكلام وفيه

أبعد بينون لاعين ولا أثر * وبعد سلحين يبني الناس أبياتا

فبينون وسلحين مدينتان خربهما ارياط كما ذكر قال البكري في كتاب معجم ما استعجم سميت بينون لانها كانت بين عمان والبحرين فهي اذاً على قوله فعلون من البين والياء أصلية وقياس النحويين يمنع من هذا لان الاعراب اذا كان في النون لزمت الاسم الياء في جميع أحواله كقنسرين وفلسطين ألا ترى كيف قال في آخر البيت وبعد سلحين فكذلك كان القياس أن يقول على هذا أبعد بينين وعلى مذهب من جعله من العرب بالواو في الرفع وبالياء في الخفض والنصب يقول أيضا أبعد بينين وليس للعرب فيه مذهب ثالث فثبت انه ليس من البين انما هو فيعول والواو زائدة من ابن بالمكان وبن اذا أقام فيه لكنه لا ينصرف للتعريف والتأنيث غير ان أبا سعيد السيرافي ذكر وجها ثالثا للعرب في تسمية الاسم بالجمع المسلم فاجاز أن يكون الاعراب في النون وتثبت الواو وقال في زيتون انه فعلون من الزيت وأجاز أبو الفتح بن جني أن يكون الزيتون فيعولا من الزيت ولكن من قولهم زتن المكان اذا أنبت الزيتون فان صحت هذه الحكاية عن العرب والا فالظاهر انه من الزيت وانه فعلون وقد كثر هذا في كلام الناس غير انه ليس في كلام العرب القدماء فني المعروفين من أسماء الناس سحنون وعبدون قال الشاعر وهو ابن المعتز

سقى الجزيرة ذات الظل والشجر * ودير عبدون هطال من المطر

ودير عبدون معروف بالشام وكذلك دير فينون غير ان فينون يحتمل أن يكون فيعولا فلا يكون من هذا الباب كما قلنا في بينون وهو الاظهر * وأما حلزون وهو دود يكون بالعشب وأكثر ما يكون في الرمث فليس من باب فلسطين وقنسرين ولكن النون فيه أصلية كزرجون ولذلك أدخله أبو عبيد في باب فعلول وكذلك فعل صاحب كتاب العين أدخله في باب الرباعي فدل على ان النون عنده فيه أصلية وانه فعلول بلامين * وقول ذي جدن وبعد سلحين يقطع على ان بينون فيعول على كل حال لان الذي ذكره السيرافي من المذهب الثالث ان صح فانما هي لغة أخرى غير لغة ذي جدن الحميري اذ لو كان من لغته لقال سلحون وأعرب النون مع بقاء الواو فلما لم يفعل علمنا أن المعتقد عندهم في بينون زيادة الياء وان النونين أصليتان كما تقدم * وقوله دعيني لا أبالك لن تطيقي أي لن تطيقي صرفي بالعذل عن شاني وحذف النون من تطيقين للنصب أو للجزم على لغة من جزم بان ان كان ذلك من لغته والياء التي بعد القاف اسم مضمر في قول سيبويه وحرف علامة تأنيث في قول الاخفش وللحجة لهما وعليهما موضع غير هذا * وقوله قد أنزفت ريقي أي أكثرت علي من العذل حتى أيبست ريقي في في وقلة الريق من الحصر وكثرته من قوة النفس وثبات الجأش قال الراجز

اني اذا زبت الاشداق * وكثر اللجاج واللقلاق * ثبت الجنان مرجم وداق

زبت الاشداق من الزبيبتين وهو ما ينعقد من الريق في جانبي الفم عند كثرة الكلام * وقوله وداق أي يسيل كالودق يريد سيلان الريق وكثرة القول كما قال أبو المخش في ابنه كان اشدق خرطمانيا اذا تكلم سال

وقال ذو جدن الحميري

هونك ليس يرد الدمع مافاتا * لا تهلكي أسفا في أثر من ماتا

أبعد بينون لاعين ولا أثر * وبعد سلحين يبني الناس أبياتا

بينون وسلحين وغمدان من حصون اليمن التي هدم ارياط ولم يكن في الناس مثلها وقال ذو جدن أيضاً

دعيني لا أبالك لن تطيقي
لحاك الله قد أنزفت ريقي
لدى عزف القيان اذا انتشينا
واذ نسقى من الخمر الرحيق
وشرب الخمر ليس علي عارا
اذا لم يشكني فيها رفيقي
فان الموت لا ينهاه ناه

لعابه * وقوله ولو شرب الشفاء مع النشوق أى لو شرب كل دواء يستشفى به وتنشق كل نشوق يجعل فى الانف للتداوى به مانهى ذلك الموت عنه * وقوله ولا مترهب يجوز ان يكون رفعه عطفا على ناه أى لا يرد الموت ناه ولا مترهب أى دعاء مترهب يدعولك و يجوز أن يكون مترهب رفعا على معنى ولا ينجومنه مترهب كما قال تالله يبقى على الايام ذو حيد . البيت والاسطوان أقوال النون أصلية لان جمعه أساطين وليس فى الكلام أفاعين * وقوله يناطح جدره بيض الانوق * جدره جمع جدار وهو مخفف من جدور وفى التنزيل «أو من وراء جدر» هكذا تقيد بضم الجيم والجدر أيضا بفتح الجيم الحائط ولكن الرواية فى الكتاب كما ذكرنا والانوق الانثى من الرخم يقال فى المثل اعزمن بيض الانوق اذا أراد مالا يوجد لانها تبيض حيث لا يدرك بيضها من شواهق الجبال هذا قول المبرد فى الكامل ولا يوافق عليه فقد قال الخليل الانوق الذكر من الرخم وهذا أشبه بالمعنى لان الذكر لا يبيض فمن أراد بيض الانوق فقد أراد المحال كمن أراد الابلق العقوق وقد قال القالى فى الامالى الانوق يقع على الذكر والانثى من الرخم * وقوله وغمدان الذى حدث عنه هو الحصن الذى كان لهوذة بن على ملك اليمامة وسيأتى طرف من ذكره ومسمكا من فعامن قوله سمك السماء والنيق أعلى الجبل * وقوله بمنهمة هو موضع الرهبان والراهب يقال له النهامى و يقال للنجار أيضا نهامى فتكون المنهمة أيضا على هذا موضع نجر * وقوله وأسفله جرون جمع جرن وهو النقير [من جرن الثوب اذا لان] ورواية أبى الوليد الوقشى جروب بالباء وكذلك ذكره الطبرى بالباء أيضا وفى حاشية كتاب الوقشى الجروب حجارة سود كذا نقل أبو بحر عنه فى نسخة كتابه فان صح هذا فى اللغة والا فالجروب جمع جريب على حذف الياء من جريب فقد يجمع الاسم على حذف الزوائد كما جمعوا اصاحبا على أصحاب وقالوا اطوى واطواء وغير ذلك والجريب والجربة المزرعة * وقوله وحر الموحل بفتح الحاء وهو القياس لانه من وحل يوحل ولو كان الفعل منه وحل على مثال وعد لكان القياس فى الموحل الكسر لا غير وقد ذكر القتبى فيه اللغتين الكسر والفتح والاصل ما قدمناه * وقوله وحر بضم الحاء وهو خالص كل شئ وفى كتاب أبى بحر عن الوقشى وحر الموجل بفتح الحاء والجيم من الموجل مفتوحة وفسر الموجل فقال حجارة ملس لينة والذى أذهب اليه ان الموجل هاهنا واحد المواجل وهى مناهل الماء وفتحت الجيم لان الاصل ماجل كذلك قال أبو عبيد هى المآجل وواحدها ماجل وفى آثار المدونة سئل مالك رحمه الله عن مواجل برقة يعنى المناهل فلو كانت الواو فى الكلمة أصلا لقيل فى الواحد موجل مثل موضع الا ان يراد به معنى الوجل فيكون الماضى من الفعل مكسور الجيم والمستقبل مفتوحا فيفتح الموجل حينئذ ولا معنى له فى هذا الموضع * وقوله اللثق الزليق اللثق من اللثق وهو ان يختلط الماء بالتراب فيكثر منه الزلق قال بعض الفصحاء غاب الشفق وطال الارق وكثر اللثق فلينطق من نطق وفى حاشية كتاب أبى بحر اللبق بالباء المنقوطة بواحدة وذكر انه هكذا وجد فى أصل ابن هشام ولا معنى للبق ههنا واظنه تصحيفا من الراوى والله أعلم * وقوله فى الشعر . يكاد البسر يهصر بالعذوق . أى يميل بها وهو جمع عذق بكسر العين وهى الكباسة أو جمع عذق بفتح العين وهى النخلة وهو أبلغ فى وصفها بالايقار ان يكون جمع عذق بالفتح * وقوله . واسلم ذو نواس مستكينا . أى خاضعا ذليلا وفى التنزيل «فما استكانوا لربهم» قال ابن الانبارى فيه قولان أحدهما أن يكون من السكون و يكون الاصل استكن على وزن افتعل ومكنوا الفتحة فصارت ألفا كما قال الشاعر

وانى حيثما يثنى الهوى بصرى * من حيث ماسلكوا أدنوا فانظور

وقال آخر . ياليتها جرت على الكلكال . أراد الكلكل والقول الآخر أن يكون استفعل من كان

ولو شرب الشفاء مع السويق
ولا مترهب فى اسطوان
يناطح جدره بيض الانوق
وغمدان الذى حدثت عنه
بنوه مسمكا فى رأس نيق
بمنهمة وأسفله جرون
وحر الموحل اللثق الزليق
مصابيح السليط تلوح فيه
اذا يمسى كتوماض البروق
ونخلته التى غرست اليه
يكاد البسر يهصر بالعذوق
فاصبح بعد جدته رمادا
وغير حسنه لهب الحريق
وأسلم ذو نواس مستكينا
وحذر قومه ضنك المضيق

يكون مثل استقام من قام يقوم ﴿ قال المؤلف رحمه الله ﴾ هذا القول الاخير جيد فى التصريف مستقيم فى القياس لكنه بعيد فى المعنى من باب الخضوع والذلة والقول الاول قريب فى المعنى لكنه بعيد عن قياس التصريف اذ ليس فى الكلام فعل على وزن افتعال بالف ولكن وجدت لغير ابن الانبارى قولا ثالثا انه استفعل من السكين وكين الانسان عجزه ومؤخره وكان المستكين قد حنا ذلك منه كما يقال صلى أى حنا صلاه والصلى أسفل الظهر وهذا القول جيد فى التصريف قريب المعنى من الخضوع * وذكر قول ابن الذئبة واسمه وهو ربيعة بن عبد ياليل وقال فيه لعمرك ما للفتى صحرة وهو المتسع أخذ من لفظ الصحراء والوزر الملجا ومنه اشتق الوزير لان الملك يلجأ الى رأيه وقد قيل من الوزر لانه يحمل عن الملك أثقالا والوزر الثقل ولا يصح قول من قال هو من آزره اذا أعانه لان فاء الفعل فى الوزير واو وفى الازر الذى هو العون همزة * وذات العبر أى ذات الحزن يقال عبر الرجل اذا حزن ويقال لامه العبر كما يقال لامه الثكل * والمقربات الخيل العتاق التى لا تسرح فى المرعى ولكن تحبس قرب البيوت معدة للعدو * وقوله ينفون من قاتلوا بالذفر . أى بريحهم وأنفاسهم ينفون من قاتلوا وهذا افراط فى وصفهم بالكثرة قال البرقى أراد ينفون من قاتلوا بذفر آباطهم أى بنتنها والذفر بالذال المعجمة تستعمل فى قوة الريح الطيبة والخبيثة ﴿ قال المؤلف رحمه الله ﴾ فان كان أراد هذا فانما قصده لان السودان أنتن الناس آباطا وأعراقا * وقوله سعالى شبههم بالسعالى من الجن جمع سعلاة ويقال بل هى الساحرة من الجن * وقوله كمثل السماء أى كمثل السحاب لا سواد السحاب وظلمته قبيل المطر

﴿ فصل ﴾ وقوله عمرو بن معدى كرب ومعدى كرب بالحميرية وجه الفلاح المعدى هو الوجه بلغتهم والكرب هو الفلاح وقد تقدم أبو كرب فمعناه على هذا أبو الفلاح قاله ابن هشام فى غير هذا الكتاب وكذلك تقدم كلكى كرب ولا أدرى ما كلكى * وقوله قيس بن مكشوح المرادى انما هو حليف لمراد واسم مراد يحابر بن سعد العشيرة بن مذحج ونسبه فى بجيلة ثم فى بنى أحمس وأبو مكشوح اسمه هبيرة بن هلال ويقال عبد يغوث بن هبيرة بن الحرث بن عمرو بن عامر بن على بن أسلم بن أحمس بن الغوث بن أنمار وأنمار هو والد بجيلة وخثعم وسمى أبوه مكشوحا لانه ضرب بسيف على كشحه ويكنى قيس أبا شداد وهو قاتل الاسود العنسى الكذاب هو وذادويه وفيروز وكان قيس بطلا بئيسا قتل مع على رضى الله عنه يوم صفين وله فى ذلك اليوم مواقف لم يسمع بمثلها عن بهمة من البهم وكذلك له فى حروب الشام مع الروم وقائع ومواقف لم يسمع بمثلها عن أحد بعد خالد بن الوليد وعمرو بن معدى كرب رضى الله عنه يكنى أبا ثور تضرب الامثال بفروسيته وبسالته وفيه يقول الشاعر حين مات

فقل لزبيد بل لمذحج كلها * رزيتم أبا ثور قريعكم عمرا

وصمصامته المشهورة كانت من حديدة وجدت عند الكعبة مدفونة فى الجاهلية فصنع منها ذو الفقار والصمصامة ثم تصيرت الى خالد بن سعيد بن العاصى يقال ان عمرا وهبها له ليد كانت له عليه وذلك ان ريحانة أخت عمرو التى يقول فيها عمرو

أمن ريحانة الداعى السميع * [يؤرقنى وأصحابى هجوع]

كان أصابها خالد بن سعيد فى سبى سباه فمن عليها وخلى سبيلها فشكر ذلك له عمرو وأخوها وفى آخر الكتاب من خبر قيس بن مكشوح وعمرو بن معدى كرب اكثر مما وقع ههنا والشعر السينى الذى ذكره ابن اسحاق وأوله . أتوعدنى كانك ذو رعين . ذكر المسعودى ان عمرا قاله لعمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أراد ضربه بالدرة فى حديث ذكره وفى الشعر زيادة لم تقع فى السيرة وهو قوله

وقال عبد الله بن الذئبة الثقفى فى ذلك (قال ابن هشام) الذئبة أمه واسمه ربيعة بن عبد ياليل بن سالم ابن مالك بن حطيط بن جشم بن قسى

لعمرك ما للفتى من مفر
مع الموت يلحقه والكبر
لعمرك ما للفتى صحرة
لعمرك ما ان له من وزر
أبعد قبائل من حمير
أبيدوا صباحا بذات العبر
بالف ألوف وحرابة
كمثل السماء قبيل المطر
يصم صياحهم المقربات
وينفون من قاتلوا بالذفر
سعالى مثل عديد التراب
تيبس منهم رطاب الشجر

وقال عمرو بن معد يكرب الزبيدى فى شئ كان بينه وبين قيس بن مكشوح المرادى فبلغه انه يتوعده فقال يذكر حمير وعزها وما زال من ملكها عنها

أتوعدنى كانك ذو رعين
بافضل عيشة أو ذو نواس
وكائن كان قبلك من نعيم
وملك ثابت فى الناس راسى
قديم عهده من عهد عاد
عظيم قاهر الجبروت قاسى
فامسى أهله بادوا وأمسى
يحول من أناس فى أناس

(قال ابن هشام) زبيد بن سلمة بن مازن بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة ابن مذحج ويقال زبيد بن منبه بن صعب بن سعد العشيرة ويقال زبيد بن صعب بن سعد ومراد يحابر ابن مذحج

(قال ابن هشام) وحدثنى أبو عبيدة قال كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى سلمان بن ربيعة الباهلى وباهلة بن يعصر بن سعد بن قيس بن عيلان وهو بارمينية يامره أن يفضل اصحاب الخيل العراب على أصحاب الخيل المقارف فى العطاء فعرض الخيل فمر به فرس عمرو بن معديكرب فقال له سلمان فرسك هذا مقرف فغضب عمرو فقال هجين عرف هجينا مثله فوثب اليه قيس فتوعده فقال عمرو هذه الابيات (قال ابن هشام) وهذا الذى عنى سطيح الكاهن بقوله ليهبطن أرضكم الحبش فليملكن ما بين أبين الى جرش والذى عنى شق الكاهن بقوله لينزلن أرضكم السودان فليغلبن على كل طفلة البنان وليملكن ما بين أبين الى نجران (قال ابن اسحق) فاقام ارياط بارض اليمن سنين فى سلطانه ذلك ثم نازعه فى أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشى حتى تفرقت الحبشة عليهما فانحاز الى كل واحد منهما طائفة منهم ثم سار أحدهما الى الآخر فلما تقارب الناس أرسل أبرهة الى ارياط انك لا تصنع بان تلقى الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها شيئا فابرز الى وأبرز اليك فاينا أصاب صاحبه انصرف اليه جنده فارسل اليه ارياط أنصفت فخرج اليه أبرهة وكان رجلا قصيرا لحيما وكان ذادين فى النصرانية وخرج اليه ارياط وكان رجلا جميلا عظيما طويلا وفى يده حربة له وخلف أبرهة غلام له يقال له عتودة يمنع ظهره فرفع ارياط الحربة فضرب أبرهة يريد يافوخه فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفته فبذلك سمى أبرهة الاشرم وحمل عتودة على ارياط من خلف أبرهة فقتله وانصرف جند ارياط الى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة باليمن وودى أبرهة ارياط فلما بلغ ذلك النجاشى غضب غضبا شديدا وقال عدا على أميرى فقتله بغير أمرى ثم حلف لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ويجز ناصيته فحلق أبرهة رأسه وملأ جرابا من تراب اليمن ثم بعث به الى النجاشى ثم كتب اليه أيها الملك انما كان ارياط عبدك وأنا عبدك فاختلفنا فى أمرك وكل طاعته لك الا أنى كنت أقوى على أمر الحبشة وأضبط لها وأسوس منه وقد حلقت رأسى كله حين بلغنى قسم الملك وبعثت اليه بجراب تراب من أرضى ليضعه تحت قدمه فيبر قسمه فى فلما انتهى ذلك الى النجاشى رضى عنه وكتب اليه أن اثبت بارض اليمن حتى يأتيك أمرى فاقام أبرهة باليمن * ثم ان أبرهة بنى القليس بصنعاء فبنى كنيسة لم ير مثلها فى زمانها بشئ من الارض ثم كتب الى النجاشى انى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يبن مثلها لملك كان قبلك ولست بمنته حتى أصرف اليها حج العرب فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك

فلا يغررك ملكك كل ملك * يصير لذلة بعد الشماس

وذكر سلمان بن ربيعة حين هجن فرس عمرو ونسبه الى باهلة بن أعصر وكذلك هو عند أهل النسب باهلى ثم أحد بنى قتيبة بن معن وباهلة أمهم وهى بنت صعب بن سعد العشيرة بن مذحج وأبوهم يعصر وهو منبه بن سعد بن قيس بن غيلان وسمى يعصر لقوله

أعمير ان أباك غير لونه * مر الليالى واختلاف الاعصر

فيقال له أعصر ويعصر وكان سلمان بن ربيعة قاضيا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه على الكوفة ويقال سلمان الخيل لانه كان يتولى النظر فيها وقال أبو وائل اختلفت الى سلمان بن ربيعة أربعين صباحا وهو قاض فما وجدت عنده أحدا يختصم اليه واستشهد سلمان بارمينية سنة تسع وعشرين * وذكر خبر عتودة غلام ابرهة وقد فرغنا من حديثه فيما مضى وما زاد فيه الطبرى وغيره وان العتودة الشدة فى الحرب وذكر ان ارياطا علا بالحربة ابرهة فاخطأ يافوخه واليافوخ وسط الرأس ويقال له من الطفل غاذية بالذال فاذا اشتد وصلب سمى يافوخا بالهمز على وزن يفعول وجمعه يآفيخ قال العجاج * ضرب اذا اصاب اليآفيخ حفر * وقوله شرم انفه وشفته أى شقهما

﴿ خبر القليس مع الفيل وذكر بنيان ابرهة للقليس ﴾

وهى الكنيسة التى أراد ان يصرف اليها حج العرب وسميت هذه الكنيسة القليس لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلانس لانها فى أعلى الرؤوس ويقال تقلنس الرجل وتقلس اذا لبس القلنسوة وقلس طعاما أى ارتفع من معدته الى فيه وكان ابرهة قد استذل أهل اليمن فى بنيان هذه الكنيسة وجشمهم فيها أنواعا من السخر وكان ينقل اليها العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام وكان من موضع هذه الكنيسة على فراسخ وكان فيه بقايا من آثار ملكها فاستعان بذلك على ما أراده فى هذه الكنيسة من بهجتها وبهائها ونصب فيها صلبانا من الذهب والفضة ومنابر من العاج والآبنس وكان أراد أن يرفع فى بنائها حتى يشرف منها على عدن وكان حكمه فى العامل اذا طلعت عليه الشمس قبل أن يأخذ فى عمله أن يقطع يده فنام رجل منهم ذات يوم حتى طلعت الشمس فجاءت معه أمه وهى امرأة عجوز فتضرعت اليه تستشفع لابنها فأبى الا أن يقطع يده فقالت اضرب بمعولك اليوم فاليوم لك وغدا لغيرك فقال ويحك ما قلت فقالت نعم كما صار هذا الملك من غيرك اليك فكذلك يصير منك الى غيرك

الى النجاشي غضب رجل من النسأة أحد بنى فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر والنسأة الذين كانوا ينسؤن الشهور على العرب فى الجاهلية فيحلون الشهر من الاشهر الحرم و يحرمون مكانه الشهر من أشهر الحل ليواطئوا عدة ما حرم الله و يؤخرون ذلك الشهر ففيه أنزل الله تبارك وتعالى انما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما و يحرمونه عاما (قال ابن هشام) ليواطؤا ليوافقوا والمواطاة الموافقة تقول العرب واطأتك على هذا الامر أى وافقتك عليه والايطاء فى الشعر الموافقة وهو اتفاق القافيتين من لفظ واحد وجنس واحد نحو قول العجاج واسم العجاج عبد الله ابن رؤبة أحد بنى سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر ابن نزار * فى اثعبان المنجنون المرسل * ثم قال * مد الخليج فى الخليج المرسل * وهذان البيتان فى أرجوزة له * قال ابن اسحق وكان أول من نسأ الشهور على العرب فاحلت منها ما أحل وحرمت منها ما حرم القلمس وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة ابن خزيمة ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد بن حذيفة ثم قام بعد عباد قلع بن عباد ثم قام بعد قلع أمية بن قلع ثم قام بعد أمية عوف بن أمية ثم قام بعد عوف أبو ثمامة جنادة بن عوف وكان آخرهم وعليه قام الاسلام وكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليه فحرم الاشهر الحرم الاربعة رجبا وذا القعدة وذا الحجة والمحرم فاذا أراد أن يحل منها شيئا أحل المحرم فاحلوه وحرم مكانه صفر فحرموه ليواطئوا عدة الاربعة الاشهر الحرم فاذا أرادوا الصدر قام فيهم فقال اللهم انى قد أحللت لهم أحد

فاخذته موعظتها وأعفى الناس من العمل فيها بعد فلما هلك ومزقت الحبشة كل ممزق وأقفر ما حول هذه الكنيسة فلم يعمرها أحد وكثرت حولها السباع والحيات وكان كل من أراد أن يأخذ شيئا منها أصابته الجن فبقيت من ذلك العهد بما فيها من العدد والخشب المرصع بالذهب والآلات المفضضة التى تساوى قناطير من المال لا يستطيع أحد أن يأخذ منها شيئا الى زمن أبى العباس فذكر له أمرها وما يتهيب من جنها وحياتها فلم يرعه ذلك و بعث اليها ابن الربيع عامله على اليمن معه أهل الحزم والجلادة فخربها وحصلوا منها مالا كثيرا ببيع ما أمكن بيعه من رخامها وآلاتها فعفى بعد ذلك رسمها وانقطع خبرها ودرست آثارها وكان الذى يصيبهم من الجن ينسبونه الى كعيب وامرأته صنمين كانت الكنيسة عليهما فلما كسر كعيب وامرأته أصيب الذى كسره بجذام فافتتن بذلك رعاع اليمن وطغامهم وقالوا أصابه كعيب وذكر أبو الوليد الازرقى أن كعيبا كان من خشب طوله ستون ذراعا * وذكر النسأة والنسيء من الاشهر فاما النساة فأولهم القلمس واسمه حذيفة بن عبد بن فقيم وقيل له القلمس لجوده اذ القلمس من أسماء البحر وانشد قاسم بن ثابت

الى نضد من عبد شمس كانهم * هضاب اجا أركانه لم تقصف

قلامسة ساموا الامور فاحكمت * سياستها حتى أقرت لمردف

وذكر أبو على القالى فى الامالى ان الذى نسأ الشهور منهم نعيم بن ثعلبة وليس هذا بمعروف وأما نسؤهم للشهر فكان على ضربين . أحدهما ما ذكر ابن اسحاق من تأخير شهر المحرم الى صفر لحاجتهم الى شن الغارات وطلب الثارات . والثانى تأخيرهم الحج عن وقته تحريا منهم للسنة الشمسية فكانوا يؤخرونه فى كل عام أحد عشر يوما أو أكثر قليلا حتى يدور الدور الى ثلاث وثلاثين سنة فيعود الى وقته ولذلك قال عليه السلام فى حجة الوداع ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وكانت حجة الوداع فى السنة التى عاد فيها الحج الى وقته ولم يحج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة غير تلك الحجة وذلك لاخراج الكفار الحج عن وقته وطوافهم بالبيت عراة والله أعلم اذ كانت مكة بحكمهم حتى فتحها الله على نبيه صلى الله عليه وسلم (قال شيخنا أبو بكر) نرى ان قول الله سبحانه «يسئلونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس والحج» وخص الحج بالذكر دون غيره من العبادات المؤقتة بالاوقات تأكيدا لاعتباره بالاهلة دون حساب الاعاجم من أجل ما كانوا أحدثوا فى الحج من الاعتبار بالشهور العجمية والله أعلم * وذكر ابن هشام قول العجاج * فى أثعبان المنجنون المرسل * الاثعبان ما يندفع من الماء من شعبه والمنجنون اداة السانية والميم فى المنجنون أصلية فى قول سيبويه وكذلك النون لانه يقال فيه منجنين مثل عرطليل وقد ذكر سيبويه أيضا فى موضع آخر من كتابه ان النون زائدة الا ان بعض رواة الكتاب قال فيه منحنون بالحاء فعلى هذا لم يتناقض كلامه رحمه الله وفى اداة السانية الدولاب بضم الدال وفتحها والشهرق وهو الذى يلقى عليه حبل الاقداس واحدها قدس والعامة تقول قادوس والعصامير عيدان السانية قاله أبو حنيفة وقال صاحب العين العصمور دولاب السانية * وقوله من الخليج الخليج الجبل والخليج أيضا خليج الماء * وذكر اسم

االصفر بن الصفر الاول ونسات الآخر للعام المقبل فقال فى ذلك عمير بن قيس جذل الطعان أحد بنى فراس بن غنم بن مالك بن كنانة يفخر بالنسأة على العرب

لقد علمت معدان قومى * كرام الناس ان لهم كراما
فأى الناس فاتونا بوتر * وأى الناس لم نعلك لجاما
ألسنا الناسئين على معد * شهور الحل نجعلها حراما

(قال ابن هشام) أول الاشهر الحرم المحرم * قال ابن اسحق فخرج الكنانى حتى أتى القليس فقعد فيها (قال ابن هشام) يعنى أحدث فيها * قال ابن اسحق ثم خرج فلحق بارضه فاخبر بذلك أبرهة فقال من صنع هذا فقيل له صنع هذا رجل من العرب من اهل هذا البيت الذى تحج العرب اليه بمكة لما سمع قولك أصرف اليها حج العرب غضب فجاء فقعد فيها اى انها ليست لذلك باهل فغضب عند ذلك أبرهة وحلف ليسيرن الى البيت حتى يهدمه ثم امر الحبشة فتهيأت وتجهزت ثم سار وخرج معه بالفيل وسمعت بذلك العرب فاعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقا عليهم حين سمعوا بانه يريد هدم الكعبة بيت الله الحرام فخرج اليه رجل كان من اشراف أهل اليمن وملوكهم يقال له ذو نفر فدعا قومه ومن اجابه من سائر العرب الى حرب أبرهة وجهاده عن بيت الله الحرام وما يريد من هدمه واخرابه فاجابه الى ذلك من اجابه ثم عرض له فقاتله فهزم ذو نفر واصحابه واخذ له ذو نفر فاتى به اسيرا فلما اراد قتله قال له ذو نفر ايها الملك لا تقتلنى فانه عسى ان يكون بقائى معك خيرا لك من قتلى فتركه من القتل وحبسه عنده فى وثاق وكان ابرهة رجلا حليما ثم مضى ابرهة على وجهه ذلك يريد ما خرج له حتى اذا كان بارض خثعم عرض له نفيل بن حبيب الخثعمى فى قبيلى خثعم شهران وناهس ومن تبعه من قبائل العرب فقاتله فهزمه ابرهة واخذ له نفيل اسيرا فاتى به فلما هم بقتله قال له نفيل ايها الملك لا تقتلنى فانى دليلك بارض العرب وهاتان يداى لك على قبيلى خثعم شهران وناهس بالسمع والطاعة فخلى سبيله وخرج به معه يدله حتى اذا مر بالطائف

فلو

العجاج ولم يكنه وكنيته أبو الشعثاء وسمى العجاج بقوله * حتى يعج عندها من عججا * وقال عمير بن قيس كرام الناس ان لهم كراما * أى آباء كراما وأخلاقا كراما * وقوله وأى الناس لم نعلك لجاما أى لم نقدعهم ونكفهم كما يقدع الفرس باللجام تقول أعلكت الفرس لجامه اذا رددته عن تزعه فمضغ اللجام كالعلك من نشاطه فهو مقدوع قال الشاعر

واذا احتبى قربوسه بعنانه * علك اللجام الى انصراف الزائر

وكان عمير هذا من أطول الناس وهو مذكور فى مقبلى الظعن وسمى جذل الطعان لثباته فى الحرب كانه جذل شجرة واقف وقيل لانه كان يستشفى برأيه ويستراح اليه كما تستريح البهيمة الجرباء الى الجذل تحتك به ونحو منه قول الحباب انا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب وقول الاعرابى يصف ابنه انه لجذل حكاك ومدره لكاك والملكاك الزحام

﴿ فصل ﴾ وذكر جنادة بن عوف من النسأة وعليه قام الاسلام ولم يذكر هل أسلم أم لا وقد وجدت له خبرا يدل على اسلامه حضر الحج فى زمن عمر فرأى الناس يزدحمون على الحج فنادى أيها الناس انى قد أجرته منكم فخفقه عمر بالدرة وقال ويحك ان الله قد أبطل أمر الجاهلية وذكر البرقى عن ابن الكلبى قال فنسأ قلع بن عباد سبع سنين ونسأ بعده أمية بن قلع احدى وعشرين سنة ثم نسأ من بعده جنادة وهو أبو امامة وهو القلمس أربعين سنة وقول ابن هشام أول الاشهر الحرم المحرم قول وقد قيل أولها ذو القعدة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأ به حين ذكر الاشهر الحرم ومن قال المحرم أولها احتج بانه أول السنة وفائدة هذا الخلاف ان من نذر صيام الاشهر الحرم فيقال له على الاول ابدأ بالمحرم ثم برجب ثم بذى القعدة وذى الحجة وعلى القول الآخر يقال له ابدأ بذى القعدة حتى يكون آخر صيامك فى رجب من العام الثانى * وقوله خرج الكنانى حتى قعد فى القليس أى أحدث فيها وفيه شاهد لقول مالك وغيره من الفقهاء فى تفسير القعود على المقابر المنهى عنه وان ذلك المذاهب كما قال مالك والله أعلم * وذكر قول نفيل الخثعمى وهاتان يداى لك على شهران وناهس * وهما قبيلا خثعم أما خثعم فاسم جبل سمى به بنو عفرس ابن خلف بن أفتل بن أنمار لانهم نزلوا عنده وقيل انهم تخثعموا بالدم عند حلف عقدوه بينهم أى تلطخوا وقيل بل خثعم ثلاث شهران وقامس وأكلب غير ان أكلب عند أهل النسب هو ابن ربيعة بن نزار ولكنهم دخلوا فى خثعم وانتسبوا اليهم والله أعلم قال رجل من خثعم

ما أكلب منا ولا نحن منهم * وما خثعم يوم الفخار وأكلب
قبيلة سوء من ربيعة أصلها * فليس لها عم لدينا ولا أب

فاجابه الاكلبى فقال

انى من القوم الذين تسبنى * اليهم كريم الجد والعم والاب

خرج اليه مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن ثقيف في رجال ثقيف واسم ثقيف قسي بن النبيت بن منبه بن منصور بن يقدم بن أفصى بن دعمي بن اياد بن معد بن عدنان * قال أمية بن أبي الصلت الثقفي

قومي اياد لو أنهم أمم * أو لو أقاموا فتهزل النعم
قوم لهم ساحة العراق اذا * ساروا جميعا والقط والقلم

وقال أمية بن أبي الصلت أيضاً

فاما تسألي عني لبيني * وعن نسبي أخبرك اليقينا
فانا للنبيت أبي قسي * لمنصور بن يقدم الاقدمينا

(قال ابن هشام) ثقيف قسي بن منبه بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ابن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان والبيتان الاولان والآخران في قصيدتين لامية * قال ابن اسحق فقالوا له أيها الملك انما نحن عبيدك سامعون لك مطيعون ليس عندنا لك خلاف وليس بيتنا هذا البيت الذي تريد يعنون اللات انما تريد البيت الذي بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فتجاوز عنهم واللات بيت لهم بالطائف كانوا يعظمونه نحو تعظيم الكعبة (قال ابن هشام) وأنشدني أبو عبيدة النحوي لضرار بن الخطاب الفهري

وفرت ثقيف الى لاتها * بمنقلب الخائب الخاسر

وهذا البيت في أبيات له * قال ابن اسحق فبعثوا معه ابا رغال يدله على الطريق الى مكة فخرج أبرهة ومعه ابو رغال حتى أنزله به فلما أنزله به مات أبو رغال هنالك فرجمت قبره العرب فهو القبر الذي ترجم الناس بالمغمس فلما نزل ابرهة المغمس بعث رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على خيل له حتى انتهى الى مكة فساق اليه أموال تهامة من قريش وغيرهم فاصاب فيها مائتي بعير

فلو كنت ذا علم بهم ما نفيتني * اليهم ترى اني بذلك أثلب
فان لا يكن عماي خلفا وناهسا * فاني امرؤ عماي بكر وتغلب
أبونا الذي لم تركب الخيل قبله * ولم يدر مرء قبله كيف يركب

يريد انه من ربيعة وربيعة كان يقال له ربيعة الفرس * وأما ثقيف وماذكر من اختلاف النسابين فيهم فبعضهم ينسبهم الى اياد وبعضهم ينسبهم الى قيس وقد نسبوا الى ثمود أيضاً * وقد روى في ذلك حديث عنه عليه السلام رواه معمر بن راشد في جامعه وكذلك أيضاً روى في الجامع ان أبا رغال من ثمود وانه كان بالحرم حين أصاب قومه الصيحة فلما خرج من الحرم أصابه من الهلاك ما أصاب قومه فدفن هنالك ودفن معه غصنان من ذهب * وذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بالقبر وأمر باستخراج الغصنين منه فاستخرجا وقال جرير أو غيره

اذا مات الفرزدق فارجموه * كرجمكم لقبر أبي رغال

ووقع في هذه النسخة في نسب ثقيف الاول ابن اياد بن معد * وفي الحاشية ان القاضي أبا الوليد غيره فجعل مكان ابن معد من معد وذلك والله أعلم لان اياد هذا هو بن نزار وليس بابن معد لصلبه ولمعد ابن اسمه اياد وهو ابنه لصلبه وقد ذكره ابن اسحق وقد قدمنا ذكره مع بني معد في أول الكتاب وهو عم اياد والاياد في اللغة التراب الذي يضم الى الخباء ليقيه من السيل ونحوه وهو مأخوذ من الايد وهي القوة لان فيه قوة للخباء وهو بين النؤي والخباء والنؤي يشتق من النائي لانه حفير ينأى به المطر أي يبعد عن الخباء وأنشد لامية بن أبي الصلت واسم أبي الصلت ربيعة بن وهب في قول الزبير

قومي اياد لو أنهم أمم * أو لو أقاموا فتهزل النعم

يريد أي لو أقاموا بالحجاز وان هزلت نعمهم لانهم انتقلوا عنها لانها ضاقت عن مسارحهم فصاروا الى ريف العراق ولذلك قال والقط والقلم والقط ما قط من الكاغد والرق ونحوه وذلك ان الكتابة كانت في تلك البلاد التي ساروا اليها وقد قيل لقريش ممن تعلمتم القط فقالوا تعلمناه من أهل الحيرة وتعلمه أهل الحيرة من اهل الانبار ونصب قوله فتهزل النعم بالفاء على جواب التمني المضمن في لو نحو قوله تعالى « فلو ان لنا كرة فنكون من المؤمنين » * وأما تسمية قصي بثقيف فسيأتي سبب ذلك في غزوة الطائف ان شاء الله تعالى وقوله فلما نزل ابرهة المغمس هكذا ألفيته في نسخة الشيخ أبي بحر المقيدة على أبي الوليد القاضي بفتح الميم * الآخرة من المغمس * وذكر البكري في كتاب المعجم عن ابن دريد وعن غيره من أئمة اللغة انه المغمس بكسر الميم الآخرة وانه أصح ما قيل فيه وذكر أيضاً انه روى بالفتح فعلى رواية الكسر هو مغمس مفعل من غمست كانه اشتق من الغميس وهو الغمير وهو النبات الاخضر الذي ينبت في الخريف تحت اليابس يقال غمس المكان وغمر اذا نبت فيه ذلك كما يقال صوح وشجر وأما على رواية الفتح فكانه من غمست

لعبد المطلب بن هاشم وهو يومئذ كبير قريش وسيدها فهمت قريش وكنانة وهذيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله ثم عرفوا أنهم لا طاقة لهم به فتركوا ذلك و بعث أبرهة حناطة الحميرى الى مكة وقال له سل عن سيد اهل هذا البلد وشريفها ثم قل ان الملك يقول لك انى لم آت لحربكم انما جئت لهدم هذا البيت فان لم تعرضوا النادونه بحرب فلا حاجة لى فى دمائكم فان هو لم يرد حربى فائتنى به فلما دخل حناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها فقيل له عبد المطلب بن هاشم فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة فقال له عبد المطلب والله ما نريد حربه ومالنا بذلك منه طاقة هذا بيت الله الحرام و بيت خليله ابراهيم عليه السلام أو كما قال فان يمنعه منه فهو بيته وحرمته وان يخل بينه و بينه فوالله ما عندنا دفع عنه فقال حناطة فانطلق معى اليه فانه قد أمرنى أن آتيه بك فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر فسأل عن ذى نفر وكان له صديقا حتى دخل عليه وهو فى محبسه فقال له يا ذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال له ذو نفر وما غناء رجل أسير بيدى ملك ينتظر أن يقتله غدوا أو عشيا ما عندى غناء فى شىء مما نزل بك الا ان أنيسا سائس الفيل صديق لى وسأرسل اليه فاوصيه بك وأعظم عليه حقك وأسأله ان يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدالك و يشفع لك عنده بخير ان قدر على ذلك فقال حسبى فبعث ذو نفر الى أنيس فقال له ان عبد المطلب سيد قريش وصاحب عين مكة يطعم الناس بالسهل والوحوش فى رؤس الجبال وقد (٤٤) أصاب له الملك مائتى بعير فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت فقال أفعل فكلم أنيس أبرهة فقال له أيها الملك هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك وهو صاحب عين مكة وهو يطعم الناس فى السهل والوحوش فى رؤس الجبال فاذن له عليك فليكلمك فى حاجته قال فاذن له ابرهة قال وكان عبد المطلب أوسم الناس واجملهم واعظمهم فلما رآه أبرهة اجله واعظمه واكرمه عن أن يجلسه تحته وكره ان تراه الحبشة يجلس معه على سرير ملكه فنزل ابرهة عن سريره فجلس على بساطه واجلسه معه عليه الى جنبه ثم قال لترجمانه قل له حاجتك فقال له ذلك الترجمان فقال حاجتى ان يرد على الملك مائتى بعير أصابها لى فلما قال له ذلك قال ابرهة لترجمانه قل له قد كنت أعجبتنى حين رأيتك ثم قد زهدت فيك حين كلمتنى أتكلمنى فى مائتى بعير أصبتها لك وتترك بيتا هو دينك ودين آبائك قد جئت لهدمه لا تكلمنى فيه قال له عبد المطلب انى أنا رب الابل وان للبيت ربا سيمنعه قال ما كان ليمتنع منى قال أنت وذاك وكان فيما يزعم بعض اهل العلم قد ذهب مع عبد المطلب الى أبرهة حين بعث اليه حناطة يعمر بن نفاثة بن عدى بن الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد بنى بكر وخويلد بن وائلة الهذلى وهو يومئذ سيد هذيل فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة على ان يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى عليهم والله اعلم كان ذلك أم لا فرد ابرهة على عبد المطلب الابل التى أصاب له فلما انصرفوا عنه انصرف عبد المطلب الى قريش فاخبرهم الخبر وأمرهم بالخروج من مكة والتحرز فى شعف الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الجيش ثم قام عبد المطلب فاخذ بحلقة باب الكعبة وقام معه نفر من قريش يدعون الله و يستنصرونه على أبرهة وجنده فقال عبد المطلب وهو آخذ بحلقة باب الكعبة

لاهم ان العبد يمـ * ـنع رحله فامنع حلالك
لا يغلبن صليبهم * ومحالهم غدوا محالك
ان كنت تاركهم وقبـ * ـلتنا فامر ما بدالك

الشىء اذا غطيته وذلك انه مكان مستور إما بهضاب واما بعضاه وانما قلنا هذا الان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان بمكة كان اذا أراد حاجة الانسان خرج الى المغمس وهو على ثلث فرسخ منها كذلك رواه على ابن السكن فى كتاب السنن له . وفى السنن لابى داود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أراد البراز أبعد ولم يبين مقدار البعد وهو مبين فى حديث ابن السكن كما قدمنا ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليأتى مكانا للمذهب الا وهو مستور منخفض فاستقام المعنى فيه على الروايتين جميعا * وقوله فى صفة عبد المطلب أوسم الناس واجمله ذكر سيبويه هذا الكلام محكيا عن العرب ووجهه عندهم انه محمول على المعنى فكأنك قلت أحسن رجل وأجمله فافرد الاسم المضمر التفاتا الى هذا المعنى وهو عندى محمول على الجنس كانه حين ذكر الناس قال هو أجمل هذا الجنس من الخلق وانما عدلنا عن ذلك التقدير الاول لان فى الحديث الصحيح خير نساء ركبن الابل صوالح نساء قريش أحناه على ولده فى صغره وأرعاه على زوج فى ذات يده ولا يستقيم ههنا حمله على الافراد لان المفرد ههنا امرأة فلو نظر الى واحد النساء لقال أحناها على ولدها فاذا التقدير أحنى هذا الجنس الذى هو النساء وهذا الصنف ونحو هذا * وذكر قول عبد المطلب

لاهم ان المرء يمـ * ـنع رحله فامنع حلالك

العرب تحذف الالف واللام من اللهم وتكتفى بما بقى وكذلك تقول لاه أبوك تريد لله أبوك وقد تقدم

قول

« قال ابن هشام » هــذا ماصح له منهـا * قال ابن اسحق وقال عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبـد مناف بن عبـد الدار بن قصى

اللهـم اخز الاسـود بن مقصود
الآخـذ الهجمة فيها التقليد
بين حراء وثبير فالبيد *
يحبسـها وهى أولات التطريد
فضمها الى طماطم سود
اخفره يارب وأنت محمود

(قال ابن هشام) هـذا ماصح له منهـا والطماطم الاعلاج قال ابن اسحق ثم أرسل عبد المطلب حلقة باب الكعبة وانطلق هـو ومن معـه من قريش الى شعف الجبال فتحرزوا فيها ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة اذا دخلها فلما أصبح أبرهـة تهيأ لدخـول مكة وهيأ فيله وعبى جيشه وكان اسم الفيل محمودا وأبرهـة مجمع لهـدم البيت ثم الانصراف الى اليمـن فلما وجهوا الفيل الى مكة أقبل نفيـل بن حبيب حتى قام الى جنب الفيل ثم أخذ باذنه فقال ابرك محمود وارجع راشـدا من حيث جئت فانك فى بلد الله الحـرام ثم أرسل اذنه فبرك الفيـل وخرج نفيـل بن حبيب يشتد حتى أصعد فى الجبل وضربوا الفيل ليقوم فابى فضربوا رأسـه بالطبرزين ليقوم فابى فادخلوا محاجن لهـم فى مراقه

قول من قال فى لاهنك وان المنى والله انك وهـذا لكثرة دور هذا الاسم على الالسنة وقد قالوا فيما هو دونه فى الاستعمال أجنك تفعل كذا وكذا أى من اجـل انك تفعل كذا وكذا والحلال فى هـذا البيت القوم الحلول فى المكان والحـلال مركب من مراكب النساء قال الشاعر * بغير حلال غادرته بجحفل * والحلال أيضا متاع البيت وجائز أن يستعيره ههنا وفى الرجز بيت ثالث لم يقع فى الاصل وهو قوله

وانصر على آل الصليب * وعابديه اليـوم آلك

وفيه حجة على النحاس والزبيدى حيث زعما ومن قال بقولهما انه لا يقال اللهم صلى على محمد وعلى آله لان المضمر يرد المعتل الى أصله وأصله أهل فلا يقال الا وعلى أهله وبهذه المسـئلة ختم النحاس كتابه الكافى وقولهما خطأ من وجوه وغير معروف فى قياس ولا سماع وما وجد ناقط مضمرا يرد معتلا الى أصله الا قولهم أعطيتكموه برد الواو وليس هو من هذا الباب فى ورد ولا صدر (ولا نقول) أيضا ان آلا أصله أهل ولا هو فى معناه (ولا نقول) ان أهيلا تصغير آل كما ظن بعضهم ولتوجيه الحجاج عليهم موضع غير هذا وفى الكامل من قول الكتابى لمعاوية حين ذكر عبد الملك من آلك وليس منك وقول عكرمة بن عامر الآخذ الهجمة فيها التقليد الهجمة هى ما بين التسعين الى المائة والمائة منها هنيدة والمائتان هند وقال بعضهم والثلاثمائة امامة وانشدوا * تبين رويدا اما أمامة من هند * وكان اشتقاق الهجمة من الهجيمة وهو الثخين من اللبن لانه لما كثر لبنها لكثرتها لم يمزج بماء وشرب صرفا ثخينا ويقال للقدح الذى يحلب فيه اذا كان كبيرا هجم * وقوله اخفره يارب أى انقض عزمه وعهده فلا تؤمنه يقال أخفرت الرجل اذا نقضت عهـده وخفرته أخفره اذا أجرته فينبغى ان لا يضبط هذا الا بقطع الهمزة وفتحها لئلا يصـير الدعاء عليـه دعاء له * وقوله الى طماطم سود يعنى العلوج ويقال لكل أعجمى طمطمانى وطمطم ويذكر عن الاخفش طمطم بفتح الطاء * وقوله عبى جيشه يقال عبيت الجيش بغير همز وعبأت المتاع بالهمز وقد حكى عبأت الجيش بالهمز وهو قليـل * وقوله فبرك الفيل فيه نظر لان الفيل لا يبرك فيحتمل أن يكون بروكه سـقوطه الى الارض لما جاءه من أمر الله سبحانه ويحتمل أن يكون فعل فعل البارك الذى يلزم موضعه ولا يبرح فعبر بالبروك عن ذلك وقـد سمعت من يقول ان فى الفيلة صنفا منها يبرك كما يبرك الجمل فان صح والا فتأويله ما قدمناه والاسود بن مقصود صاحب الفيل هو الاسود بن مقصود بن الحارث بن منبه بن مالك بن كعب بن الحارث بن كعب بن عمرو ابن علة ويقال فيه علة على وزن عمر بن خالد بن مذحج وكان الاسود قد بعثه النجاشى مع الفيـلة والجيش وكانت الفيلة ثلاثة عشر فيلا فهلكت كلها الا محموداً وهو فيل النجاشى من أجل انه ابى من التوجه الى الحرم والله أعلم * ونفيل الذى ذكره هو نفيل بن عبد الله بن جزء بن عامر بن مالك بن واهب بن جليحة بن أكلب ابن ربيعة بن عفرس بن جلف بن أفتل وهو خثعم كذلك نسبه البرقى * وفى الكتاب نفيل بن حبيب ونفيل من المسمين بالنبات قاله ابو حنيفة وقال هو تصغير نفل وهو نبت مسلنطح على الارض * وذكر النقاش ان الطير كانت أنيابها كانياب السبع وأكفها كاكف الكلاب وذكر البرقى ان ابن عباس قال أصغر الحجارة كرأس الانسان وكبارها كالابل وهذا الذى ذكره البرقى ذكره ابن اسحق فى رواية يونس عنـه * وفى تفسير النقاش ان السيل احتمل جثثهم فألقاها فى البحر وكانت قصة الفيل أول المحرم من سنة ثنتين وثمانين وثمانمائة من تاريخ ذى القرنين * وقوله فضربوا رأسه بالطبرزين هكذا تقيدفى

فبزغوه بها ليقوم فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام ففعل مثل ذلك ووجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك ووجهوه الى مكة فبرك فارسل الله تعالى عليهم طيرا من البحر أمثال الخطاطيف والبلسان مع كل طائر منها ثلاثة أحجار يحملها حجر فى منقاره وحجران فى رجليه أمثال الحمص والعدس لا تصيب منهم أحدا الا هلك وليس كلهم أصابت وخرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى منه جاؤا ويسألون عن نفيل بن حبيب ليدلهم على الطريق الى اليمن فقال نفيل حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته

أين المفر والاله الطالب
والاشرم المغلوب ليس الغالب

قال ابن هشام قوله ليس الغالب عن غير ابن اسحق قال ابن اسحق وقال نفيل أيضا

الا حييت عنا يا ردينا * نعمنا كم مع الاصباح عينا
ردينة لو رأيت فلا تريه * لدى جنب المحصب ما رأينا
اذا لعذرتنى وحمدت امرى * ولم تأسى على ما فات بينا
حمدت الله اذ أبصرت طيرا * وخفت حجارة تلقى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل * كأن على للحبشان دينا

فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك على كل منهل واصيب أبرهة فى جسده وخرجوا به معهم يسقط أنملة أنملة كلما سقطت أنملة اتبعتها منه مدة تمث قيحا ودما حتى قدموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه فيما يزعمون

نسخة الشيخ أبى بحر بسكون الباء وذكره البكرى فى المعجم وان الاصل فيه طبرزين بفتح الباء وقال طبرهو الفاس * وذكر طبرستان بفتح الباء وقال معناه شجر قطع بفاس لانها قبل ان تبنى كانت شجراء فقطعت ولم يقل فى طبرية مثل هذا قال ولكنها نسبت الى طباراء وهو اسم الملك الذى بناها وقد ألفيته فى شعر قديم طبرزين بفتح الباء كما قال البكرى وجائز فى طبرزين وان كان ما ذكر ان تسكن الباء لان العرب تتلاعب بالاسماء الاعجمية تلاعبا لا يقرها على حال قاله ابن جنى * وقوله فبزغوه أى ادموه ومنه سمى المبزغ وفى رواية يونس عن ابن اسحق ان الفيل ربض فجعلوا يقسمون بالله انهم رادوه الى اليمن فحرك لهم أذنيه كانه يأخذ عليهم عهدا بذلك فاذا أقسموا له قام يهرول فيردونه الى مكة فيربض فيحلفون له فيحرك لهم أذنيه كالمؤكد عليهم ففعلوا ذلك مرارا * وقوله أمثال الحمص والعدس يقال حمص وحمص كما يقال جلق وجلق قاله الزبيدى ولم يذكر أبو حنيفة فى الحمص الا الفتح وليس لهما نظير فى الابنية الا الحلزة وهو القصير وقال ابن الانبارى الحلز البخيل بتشديد الزاى وصوب القالى هذه الرواية فى الغريب المصنف لان فعلا بالتشديد ليس فى الصفات عند سيبويه ويعنى بمماثلة الحجارة للحمص انها على شكلها والله أعلم لانه قد روى انها كانت ضخاما تكسر الرؤس وروى ان مخالب الطير كانت كاكف الكلاب والله أعلم وفى رواية يونس عن ابن اسحق قال جاءتهم طير من البحر كرجال الهند وفى رواية أخرى عنه انهم استشعروا العذاب فى ليلة ذلك اليوم لانهم نظروا الى النجوم كالحة اليهم تكاد تكلمهم من اقترابها منهم ففزعوا لذلك * وقول نفيل * ولم تأسى على ما فات بينا * نصب بينا نصب المصدر المؤكد لما قبله اذ كان فى معناه ولم يكن على لفظه لان فات معنى فارق وبان كانه قال على ما فات فوتا أو بان بينا ولا يصح لان يكون مفعولا من أجله يعمل فيه تأسى لان الاسى باطن فى القلب والبين ظاهر ولا يجوز أن يكون المفعول من أجله الا بعكس هذا تقول بكى أسفا وخرج خوفا وانطلق حرصا على كذا ولو عكست الكلام كان خلفا من القول وهذا أحد شروط المفعول من أجله ولعل له موضعا من الكتاب فنذكره فيه * وقوله * نعمنا كم مع الاصباح عينا * دعاء أى نعمنا بكم فعدى الفعل لما حذف حرف الجر وهذا كما تقول أنعم الله بك عينا * وقوله فى أول البيت * الا حييت عنا يا ردينا * هو اسم امرأة كانها سميت بتصغير ردنة وهى القطعة من الردن وهو الحرير ويقال لمقدم الكم ردن ولكنه مذكر واما درينة بتقديم الدال على الراء فهو اسم للاحمق قاله الخليل * وقوله فى خبر ابرهة تبعتها مدة تمث قيحا ودما ألفيته فى نسخة الشيخ تمث وتمث بالضم والكسر فعلى رواية الضم يكون الفعل متعديا وتصب قيحا على المفعول وعلى رواية الكسر يكون غير متعد وانصب قيحا على التمييز فى قول أكثرهم وهو عندنا على الحال وهو من باب تصبب عرقا وتفقأ شحما وكذلك كان يقول شيخنا ابو الحسين فى مثل هذا وقد أفصح سيبويه فى لفظ الحال فى ذهبن كلا كلا وصدورا وأشرق كاهلا وهذا مثله ولكشف القناع عن حقيقة هذا موضع غير هذا واعاقلنا ان من رواه تمث بضم الميم فهو متعد كانه مضاعف والمضاعف اذا كان متعديا كان فى المستقبل مضموما نحو رده يرده الا ما شذ منه نحو عل يعل ويعل وهر الكاس يهر ويهر واذا كان غير متعد كان مكسورا فى المستقبل نحو خف يخف وفر يفر الا ستة أفعال جاءت فيها اللغتان جميعا وهى فى أدب الكتاب وغيره فغنينا بذلك عن ذكرها على انهم قد أغفلوا هب يهب وخب يخب وأج يؤج اذا أسرع وشك فى الامر يشك ومعنى تمث قيحا أى تسيل يقال فلان يمث كما يمث الزق * وقوله يسقط أنملة أنملة أى ينتثر جسمه والانملة

* قال ابن اسحق حدثني يعقوب بن عتبة انه حدث ان أول مارؤيت الحصبة والجدري بارض العرب ذلك العام وانه أول مارؤى بها مرائر الشجر الحرمل والحنظل والعشر ذلك العام * قال ابن اسحق فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم كان مما يعد الله على قريش من نعمته عليهم وفضله ماردعنهم من أمر الحبشة لبقاء أمرهم ومدتهم فقال الله تبارك وتعالى ألم تركيف فعل ربك باصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل وارسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول وقال لايلاف قريش ايلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف أى لئلا يغير شيئا من حالهم التى كانوا عليها لما أراد الله بهم من الخير لو قبلوه (قال ابن هشام) الابابيل الجماعات ولم تتكلم لها العرب بواحد علمناه وأما السجيل فاخبرني يونس النحوى وابو عبيدة انه عند العرب الشديد الصلب * قال رؤبة بن العجاج

ومسهم مامس اصحاب الفيل
ترميهم حجارة من سجيل
* ولعبت طير بهم ابابيل *

وهذه الابيات فى أرجوزة له وذكر بعض المفسرين انهما كلمتان بالفارسية جعلتهما العرب كلمة واحدة وانما هو سنج وجل يعنى بالسنج الحجر والجل الطين يقول الحجارة من هذين الجنسين الحجر والطين والعصف ورق الزرع الذى لم يقصب وواحدته عصفة (حدثنا ابن هشام) قال وأخبرني أبو عبيدة النحوى انه يقال له العصافة والعصيفة وأنشدني لعلقمة بن عبدة أحد بني ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم

يسقى مذانب قد مالت عصيفتها * حدورها من أتى الماء مطموم

وهذا البيت فى قصيدة له وقال الراجز

والانملة طرف الاصبع ولكن قد يعبر بها عن طرف غير الاصبع والجزء الصغير ففى مسند الحرث بن أبى أسامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الشجرة شجرة هى مثل المؤمن لا تسقط لها أنملة ثم قال هى النخلة وكذلك المؤمن لا تسقط له دعوة * وقوله مرائر الشجر يقال شجرة مرة ثم تجمع على مرائر كما تجمع حرة على حرائر ولا نعرف فعلة تجمع على فعائل الا فى هذين الحرفين وقياس جمعهما فعل نحو درة ودرر ولكن الحرة من النساء فى معنى الكريمة والعقيلة ونحو ذلك فاجروها مجرى ما هو فى معناها من الفعيلة وكذلك المر قياسه ان يقال فيه مرير لان المرارة فى الشىء طبيعة فقياس فعله أن يكون فعل كما تقول عذب الشىء وقبح وعسر اذا صار عسيرا واذا كان قياسه فعل فقياس الصفة منه ان تكون على فعيل والانثى فعيلة والشىء المر عسير أكله شديد فجروا الجمع مجرى هذه الصفات التى هى على فعيل لانها طباع وخصال وأفعال الطباع والخصال كلها تجرى هذا المجرى * وذكر العشر وهو شجر مر يحمل ثمرا كالاترج وليس فيه منتفع ولبن العشر تعالج به الجلود قبل ان تجعل فى المنيئة وهى المدبغة كما تعالج بالعلقة وهى شجرة وفى العشر الخرفع والخرفع وهو شبه القطن ويجنى من العشر المغافير واحدها مغفور ومغافر وواحدها مغفر ويقال لها سكر العشر ولا تكون المغافير الا فيه وفى الرمث وفى الثمام والثمام أكثرها لثى وفى المثل هذا الجنى لا ان يكن المغفر من كتاب أبى حنيفة وذكر ابن هشام الابابيل وقال لم يسمع لها بواحد وقال غيره واحدها ابالة وأبول وزاد ابن عزيز وأبيل وأنشد ابن هشام لرؤبة * وصيروا مثل كعصف مأكول * وقال وهذا البيت تفسير فى النحو وتفسيره ان الكاف تكون حرف جر وتكون اسما بمعنى مثل ويدلك انها حرف وقوعها صلة للذى لانك تقول رأيت الذى كزيد ولو قلت الذى مثل زيد لم يحسن ويدلك انها تكون اسما دخول حرف الجر عليها كقوله * ورحنا بكابن الماء [ينفض رأسه] * ودخول الكاف عليها وأنشدوا * وصاليات ككما يؤثفين * واذا دخلت على مثل كقوله تعالى «ليس كمثله شىء» فهى اذا حرف اذ لا يستقيم ان يقال مثل مثله وكذلك هى حرف فى بيت رؤبة مثل كعصف لكنها مقحمة لتاكيد التشبيه كما أقحموا اللام من قوله يا بؤس للحرب ولا يجوز أن يقحم حرف من حروف الجر سوى اللام والكاف أما اللام فلانها تعطى بنفسها معنى الاضافة فلم تغير معناها وكذلك الكاف تعطى معنى التشبيه فاقحمت لتاكيد معنى المماثلة غير ان دخول مثل عليها كما فى بيت رؤبة قبيح ودخولها على مثل كما فى القرآن أحسن شىء لانها حرف جر تعمل فى الاسم والاسم لا يعمل فيها فلا يتقدم عليها الا ان يقحمها كما أقحمت اللام وأنشد شاهدا على العصيفة قول علقمة وآخره * جدورها من أتى الماء مطموم * وهذا البيت أنشده أبو حنيفة فى النبات جدورها وهو جمع جدر بالجيم وهى الحواجز التى تحبس الماء ويقال للجدر حباس أيضا وفى الحديث امسك الماء حتى يبلغ الجدر ثم أرسله وقد ذكر غيره رواية الجيم وقال انما قال جدورها من أتى الماء مطموم وأفرد الخبر لانه رده على كل واحد من الجدر كما قال الآخر * ترى جوانبها بالشحم مفتوقا * أى ترى كل جانب منها

﴿ فصل ﴾ ويقال للعصيفة أيضا أذنة ولما تحيط به الجدور التى تمسك الماء دبرة وحبس ومشارة ولقتح

* فصيروا مثل كعصف مأ كول * (قال ابن هشام) ولهذا البيت تفسير فى النحو وايلاف قريش الفهم الخروج الى الشام فى تجارتهم وكانت لهم خرجتان خرجة فى الشتاء وخرجة فى الصيف (أخبرنا) ابن هشام قال اخبرنى أبو زيد الانصارى ان العرب تقول ألفت الشىء الفا وآلفته ايلافا فى معنى واحد وأنشدنى لذى الرمة   من المؤلفات الرمل ادماء حرة * شعاع الضحى فى لونها يتوضح   وهذا البيت فى قصيدة له وقال مطرود بن كعب الخزاعى   المنعمين اذا النجوم تغيرت * والظاعنين لرحلة الايلاف   وهذا البيت فى أبيات له سأذكرها فى موضعها ان شاء الله تعالى والايلاف أيضا ان يكون للانسان ألف من الابل أو البقر أو الغنم او غير ذلك يقال آلف فلان ايلافا * قال الكميت ابن زيد أحد بنى اسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس ابن مضر بن نزار بن معد   بعام يقول له المؤلفو * ن هذا المعيم لنا المرجل   وهذا البيت فى قصيدة له والايلاف أيضا ان يصير القوم ألفا يقال آلف القوم ايلافا قال الكميت بن زيد   وآل مزيقياء غداة لاقوا * بنى سعد بن ضبة مؤلفينا   وهذا البيت فى قصيدة له والايلاف أيضا أن يؤلف الشىء الى الشىء فيألفه ويلزمه يقال آلفته اياه ايلافا والايلاف أيضا أن تصير مادون الالف ألفا يقال آلفته ايلافا * قال ابن اسحق حدثنى عبد الله بن ابى بكر عن عمرة ابنة عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عائشة رضى الله عنها قالت لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان الناس * قال ابن اسحق فلما رد الله الحبشة عن مكة وأصابهم بما أصابهم به من النقمة أعظمت العرب قريشا وقالوا أهل الله قاتل الله عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم فقالوا فى ذلك أشعارا يذكرون فيها ما صنع الله بالحبشة وما رد عن قريش من كيدهم فقال عبد الله بن الزبعرى بن عدى بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم ابن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر   تنكلوا عن بطن مكة انها * كانت قديما لا يرام حريمها   وهو

الماء منها أغية بالتخفيف والتثقيل * وذكر ايلاف قريش للرحلتين وقال هو مصدر ألفت الشىء وألفته فجعله من الالف للشىء وفيه تفسير آخر أليق بالمعنى لان السفر قطعة من العذاب ولا تألفه النفس انما تألف الدعة والكينونة مع الاهل قال الهروى هى حبال أى عهود كانت بينهم و بين ملوك العجم فكان هاشم يؤالف الى ملك الشام وكان المطلب يؤالف الى كسرى والآخران يؤالفان أحدهما الى ملك مصر والآخر الى ملك الحبشة وهما عبد شمس ونوفل قال ومعنى يؤالف يعاهد و يصالح ونحو هذا فيكون الفعل منه أيضا آلف على وزن فاعل والمصدر الافا بغير ياء مثل قتالا و يكون الفعل منه أيضا آلف على وزن افعل مثل آمن و يكون المصدر ايلافا بالياء مثل ايمانا وقد قرئ لإلاف قريش بغير ياء ولو كان من ألفت الشىء على وزن أفعلت اذا ألفته لم تكن هذه القراءة صحيحة وقد قرأها ابن عامر فدل هذا على صحة ما قاله الهروى وقد حكاه عمن تقدمه وظاهر كلام ابن اسحق ان اللام من قوله تعالى لإيلاف قريش متعلقة بقوله سبحانه فجعلهم كعصف مأ كول وقد قاله غيره ومذهب الخليل وسيبويه انها متعلقة بقوله فليعبدوا رب هذا البيت أى فليعبدوه من أجل ما فعل بهم وقال قوم هى لام التعجب وهى متعلقة بمضمر كانه قال أعجب لايلاف قريش كما قال صلى الله عليه وسلم فى سعد بن معاذ رضى الله عنه حين دفن سبحان الله لهذا العبد الصالح ضم فى قبره حتى فرّج الله عنه وقال فى عبد حبشى مات بالمدينة لهذا العبد الحبشى جاء من أرضه وسمائه الى الارض الذى خلق منها أى اعجبوا لهذا العبد الصالح وأنشد للكميت

بعام يقول له المؤلفو * ن أهذا المعيم لنا المرجل

المؤلف صاحب الالف من الابل كما ذكر والمعيم بالميم من العيمة أى تجعل تلك السنة صاحب الالف من الابل يعام الى اللبن وترجله فيمشى راجلا لعجف الدواب وهزالها وذكر قول ابن الزبعرى

* تنكلوا عن بطن مكة * البيت ونسبه الى عدى بن سعيد بن سهم وكرر هذا النسب فى كتابه مرارا وهو خطأ والصواب سعد بن سهم وانما سعيد أخو سعد وهو فى نسب عمرو بن العاص بن وائل وقد أنشد فى الكتاب ما يدل على خلاف قوله وهو قول المبرق وهو عبد الله بن الحرث بن عدى بن سعد

فان تك كانت فى عدى أمانة * عدى بن سعد فى الخطوب الاوائل

فقال عدى بن سعد ولم يقل سعيد وكذلك ذكره الواقدى والزبيريون وغيرهم * وقوله * تنكلوا عن بطن مكة انها * وهذا خرم فى الكامل وقد وجد فى غير هذا البيت فى أشعار هذا الكتاب الخرم فى الكامل ولا يبعد ان يدخل الخرم فى متفاعل فيحذف من السبب حرف كما حذف من الوتد فى الطويل حرف واذا وجد حذف السبب الثقيل كله فاحرى أن يجوز حذف حرف منه وذلك فى قول ابن مفرغ

هامة تدعو اصدى * بين المشقر واليمامه

لم تخلق الشمس ليالي حرمت * اذ لاعزيز من الانام يرومها — سائل أمير الجيش عنها ما رأى * ولسوف ينبي الجاهلين عليمها
ستون ألفا لم يؤبوا أرضهم * بل لم يعش بعد الاياب سقيمها — كانت بها عاد وجرهم قبلهم * والله من فوق العباد يقيمها

قال ابن اسحق يعني ابن الزبعرى بقوله بعد الاياب سقيمها أبرهة اذ حملوه معهم حين أصابه ما اصابه حتى مات بصنعاء وقال أبو قيس ابن الاسلت الانصاري ثم الخطمي واسمه صيفي (قال ابن هشام) أبو قيس صيفي بن الاسلت بن جشم بن وائل بن زيد بن قيس بن عامر بن مرة بن مالك بن الاوس

ومن صنعه يوم فيل الحبو * ش اذ كل ما بعثوه رزم
محاجنهم تحت أقرابه * وقد شرموا أنفه فانخرم
وقد جعلوا سوطه مغولا * اذا يمموه قفاه كلم
فولى وأدبر أدراجه * وقد باء بالظلم من كان ثم
فأرسل من فوقهم حاصباً * فلفهم مثل لف القزم
تحض على الصبر أحبارهم * وقد ثأجوا كثؤاج الغنم

(قال ابن هشام) وهذه الابيات في قصيدة له والقصيدة أيضا تروى لامية بن أبي الصلت * قال ابن اسحق وقال أبو قيس ابن الاسلت

فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا * بأركان هذا البيت بين الاخاشب
فعندكم منه بلاء مصدق * غداة أبي يكسوم هادي الكتائب
كتيبته بالسهل تمشي ورجله * على القاذفات في رؤس المناقب
فلما أتاكم نصر ذي العرش ردهم * جنود المليك بين ساف وحاصب
فولوا سراعا هاربين ولم يؤب * الى أهله ملحبش غير عصائب

(قال ابن هشام) أنشدني أبو زيد الانصاري قوله على القاذفات في رؤس المناقب وهذه الابيات في قصيدة لابي قيس سأذكرها في موضعها ان شاء الله وقوله غداة أبي يكسوم يعني أبرهة كان يكنى أبا يكسوم * قال ابن اسحق وقال طالب بن أبي طالب بن عبد المطلب

ألم تعلموا ما كان في حرب داحس * وجيش أبي يكسوم اذ ملؤا الشعبا
فلولا دفاع الله لا شيء غيره * لاصبحتم لا تمنعون لكم سربا

وهو من المرفل والمرفل من الكامل ألا ترى أن قبله

وشربت برداً ليتني * من بعد برد كنت هامه

فالمحذوف من الطويل اذا خرم حرف من وتد مجموع والمحذوف من الكامل اذا خرم حرف من سبب ثقيل بعده سبب خفيف ولما كان الاضمار فيه كثيرا وهو اسكان التاء من متفاعلن فمن ثم قال أبو علي لا يجوز فيه الخرم لان ذلك يؤول الى الابتداء بساكن وهذا الكلام لمن تدبره بارد غث لان الكلمة التي يدخلها الخرم لم يكن قط فيها اضمار نحو تنكاوا عن بطن مكة والتي يدخلها الاضمار لا يتصور فيها الخرم نحو لا يبعدن قومي ونحو قوله * لم تخلق الشمس ليالي حرمت * فتعليله في هذا الشعر اذاً لا يفيد شيئا وما أبعد العرب من الالتفات الى هذه الاغراض التي يستعملها بعض النحاة وهي أوهى من نسج الخدرنق * وقوله * لم تخلق الشمس ليالي حرمت * ان كان ابن الزبعرى قال هذا في الاسلام فهو منتزع من قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم مكة ولم يحرمها الناس ومن قوله في حديث آخر ان الله حرمها يوم خلق السموات والارض والتربة خلقت قبل خلق الكواكب وان كان ابن الزبعرى قال هذا في الجاهلية فانما أخذه والله أعلم من الكتاب الذي وجدوه في الحجر بالخط المسند حين بنوا الكعبة وفيه أنا الله رب بكة خلقتها يوم خلقت السموات والارض الحديث * وقوله * ولم يعش بعد الاياب سقيمها * هكذا في النسخة المقيدة على أبي الوليد المقابلة بالاصلين اللذين كانا عنده وقابلها أبو بحر رحمه الله بهما مرتين وحسب بعضهم أنه كسر في البيت فزاد من قبل نفسه فقال بل لم يعش فأفسد المعنى وانما هو خرم في أول القسيم من عجز البيت كما كان في الصدر من أول بيت منها * وقول قيس بن الاسلت مثل لف القزم القزم صغار الغنم ويقال رذال المال ورزم ثبت ولزم موضعه وأرزم من الرزيم وهو صوت ليس بالقوي وكذلك صوت الفيل ضئيل على عظم خلقته ويفرق من الهر وينفر منه وقد احتيل على الفيلة في بعض الحروب مع الهند أحضرت لها الهرة فذعرت وولت وكان سببا لهزيمة القوم ذكره المسعودي ونسب هذه الحيلة الى هرون بن موسى حين غزا بلاد الهند وأول من ذلل الفيلة فيما قال الطبري أفريدون بن أثفيان ومعنى أثفيان صاحب البقر وهو اول من نتج البغال واتخذ للخيل السروج والوكف فيما ذكروا وأما أول من سخر الخيل وركبها فطمهورث وهو الثالث من ملوك الارض فيما زعموا وثؤاج الغنم صوتها ووقع في النسخة نجوا وعليه مكتوب الصواب ثأجوا كثؤاج الغنم * وقول ابن الاسلت فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا سيأتي شرح هذه الابيات في القصيدة حيث يذكرها ابن اسحاق بكمالها ان شاء الله * وذكر قول طالب بن أبي طالب * فاصبحتم لا تمنعون لكم سربا * ويروى سربا بالكسر والسرب بالفتح المال الراعي والسرب

(قال ابن هشام) هــذان البيتان فى قصيدة له فى يوم بدر سأذكرها فى موضعها ان شاء الله تعالى * قال ابن اسحق وقال أبو الصلت ابن أبى ربيعة الثقفى فى شأن الفيل ويذكر الحنيفية دين ابراهيم عليه السلام (قال ابن هشام) يروى لامية بن أبى الصلت بن أبى ربيعة الثقفى

ان آيات ربنا ثاقبات * لا يمارى فيهن الا الكفور

خلق الليـل والنهار فكل * مستبين حسابه مقدور

ثم يجلو النهار رب رحيم * بمهاة شـعاعها منشور

حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كأنه معقور

لازما حلقة الجران كما قطـ(٥٠)ـر من صخر كبكب محدور

حوله من ملوك كندة أبطا * ل ملاويث فى الحروب صقور

خلفوه ثم ابذعروا جميعا * كلهم عظم ساقه مكسور

كل دين يوم القيامـة عنـد الله * الا دين الحنيفة بور

(قال ابن هشام) وقال الفرزدق واسمه همام بن غالب أحد بنى مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة ابن مالك بن زيد منـاة بن تميم يمدح سليمان بن عبد الملك بن مروان ويهجـو الحجاج بن يوسـف ويذكر الفيل وجيشه

فلما طغى الحجاج حـين طغى به * غنا قال انى مرتق فى السلالم

فـكان كما قال ابن نوح سارتقى * الى جبل من خشـية الماء عاصم

رمى الله فى جثمانه مثـــل مارمى * عن القبـلة البيضاء ذات المحارم

جنودا تسوق الفيل حتى أعادهم * هباء وكانوا مطرخمى الطراخم

نصرت كنصر البيت اذ ساق فيله * اليه عظيم المشركين الاعاجم

بالمرجوم

وهذه الابيات فى قصيدة له (قال ابن هشام) وقال عبد الله بن قيس الرقيات أحد بنى عامر بن لؤى بن غالب يذكر أبرهة وهو الاشرم والفيل

كاده الاشرم الذى جاء بالفيـــل فولى وجيشه مهزوم

واستهلت عليهم الطير بالجنـدل حتى كأنه مرجوم

ذاك من يغزه من الناس يرجع * وهو فل من الجيوش ذميم

وهذه الابيات فى قصيدة له * قال ابن اسحق فلما هلك ابرهة ملك الحبشة ابنه يكسوم بن ابرهة وبه كان يكنى فلما هلك يكسوم ابن ابرهة ملك اليمن فى الحبشة أخوه مسروق بن

بالكسر القطيع من البقر والظباء ومن النساء أيضا قال الشاعر

فلم ترعينى مثل سرب رأيته * خرجن علينا من زقاق ابن واقف

وطالب بن أبى طالب كان أسن من عقيل بعشرة أعوام وكان عقيل أسن من جعفر بعشرة أعوام وجعفر أسن من على رضى الله عنه بمثل ذلك وذكروا ان طالبا اختطفته الجن فذهب ولم يذكر انه أسـلم * وذكر شعر أبى الصلت واسمه ربيعة بن وهب بن علاج وفيه حبس الفيـل بالمغمس وقد تقدم الكلام على المغمس وان كسر الميم الآخرة أشهر فيه وفيه * بمهاة شعاعها منشور * والمهاة الشمس سميت بذلك لصـفائها والمها من الاجسام الصافى الذى يرى باطنـه من ظاهره والمهاة البلورة والمهاة الظبية ومن أسماء الشمس الغزالة اذا ارتفعت فهـذا فى معـنى المهاة ومن أسمائها البتيراء سئل على بن أبى طالب رضوان الله عليـه عن وقت صـلاة الضحى فقال حتى ترتفع البتيراء ذكره الهروى والخطابى ومن أسمائها حناذ وبراح والضح وذكاء والجارية والبيضاء وبوح ويقال يوح بالياء وهو قول الفارسى وبالباء ذكره ابن الانبارى والشرق والسراج * وقوله حلقـة الجران الجران العنق يريد ألقى بجرانه الى الارض وهـذا يقوى انه برك كما تقدم ألا تراه يقول كما قطر من صخر كبكب وهو جبل محدور أى محجر حدر حتى بلغ الارض * وقوله ابذعروا تفرقوا من ذعر وهى كلمة منحوتة من أصلين من البـذر والذعر * وقوله الا دين الحنيفة يريد بالحنيفة الامة الحنيفة أى المسلمة التى على دين ابراهيم الحنيف صلى الله عليه وسلم وذلك انه حنف عن اليهودية والنصرانية أى عـدل عنها فسمى حنيفا أو حنف عما كان يعبد آباؤه وقومه * وقوله فى شعر الفرزدق كما قال ابن نوح اسمه يام وقيل كنعان * وقوله مطرخمى الطراخم المطرخم الممتلئ كبرا أو غضبا والطراخم جمع مطرخم على قياس الجمع فان المطرخم اسم من سـتة أحرف فيحذف منه فى الجمع والتصغير ما فيه من الزوائد وفيه زائدتان الميم الاولى والميم المدغمة فى الميم الآخرة لان الحرف المضاعف حرفان يقال فى تصـغيره طريخم وفى جمعه طراخم وفى مسيطر سياطر وذكره يعقوب فى الالفاظ بالغين فقال اطرغم الرجل ولم يذكر الخاء * وذكر عبد الله بن قيس الرقيات واختلف فى تلقيبه قيس الرقيات فقيل كان له ثلاث جدات كلهن رقية [فمن قال فيه ابن الرقيات فانه نسـبه الى جداته ومن قال قيس الرقيات دون ذكر ابن فانه نسبة] وقيل بل شبب بثلاث نسوة كلهن تسمى رقية وقيل بل ببيت قاله وهو * رقية مارقية ما رقية أيها الرجل * وقال الزبير كان يشبب برقية بنت عبد الواحد بن أبى السرح من بنى ضباب بن حجير بن عبد ابن معيص وبابنة عم لها اسمها رقية وهو ابن قيس بن شريح من بنى حجير أيضا وحجير أخو حجر بن عبد ابن معيص بن عامر رهط عمرو بن أم مكتوم الاعمى * وقوله حتى كأنه مرجوم وهو قد رجم فكيف شبهه

ابرهة فلما طال البلاء على أهل اليمن خرج سيف بن ذى يزن الحميرى وكان يكنى بأبى مرة حتى قدم على قيصر ملك الروم فشكا اليه ماهم فيه وسأله أن يخرجهم عنه و يليهم هو و يبعث اليهم من شاء من الروم فيكون له ملك اليمن فلم يشكه فخرج حتى أتى النعمان بن المنذر وهو عامل كسرى على الحيرة وما يليها من أرض العراق فشكا اليه أمر الحبشة فقال له النعمان ان لى على كسرى وفادة فى كل عام فاقم حتى يكون ذلك ففعل ثم خرج معه فادخله على كسرى وكان كسرى يجلس فى ايوان مجلسه الذى فيه تاجه وكان تاجه مثل القنقل العظيم فيما يزعمون يضرب فيه الياقوت واللؤلؤ والزبرجد بالذهب والفضة معلقا بسلسلة من ذهب فى رأس طاقة فى مجلسه ذلك وكانت عنقه لا تحمل تاجه انما يستر عليه بالثياب حتى يجلس فى مجلسه ذلك ثم يدخل رأسه فى تاجه فاذا استوى فى مجلسه كشفت عنه الثياب فلا يراه رجل لم يره قبل ذلك الا برك هيبة له فلما دخل عليه سيف ابن ذى يزن برك (قال ابن هشام) حدثنى أبو عبيدة ان سيفا لما دخل عليه طأطأ رأسه فقال الملك ان هذا الاحمق يدخل على من هذا الباب الطويل ثم يطأطئ رأسه فقيل ذلك لسيف فقال انما فعلت هذا لهمى لانه يضيق عنه كل شي ﷺ قال ابن اسحق ثم قال له أيها الملك غلبتنا على بلادنا الاغربة فقال له كسرى أى الاغربة الحبشة أم السند فقال بل الحبشة فجئتك لتنصرنى ويكون ملك بلادى لك قال بعدت بلادك مع قلة خيرها فلم أكن لاورط جيشا من فارس بارض العرب لا حاجة لى بذلك ثم أجازه بعشرة آلاف درهم واف وكساه كسوة حسنة فلما قبض ذلك منه سيف خرج فجعل ينثر تلك الورق للناس فبلغ ذلك الملك فقال ان لهذا لشأنا ثم بعث اليه فقال عمدت الى حباء الملك تنثره للناس فقال وما أصنع بهذا ماجبال أرضى التى جئت بها الا ذهب وفضة يرغبه فيها فجمع كسرى مرازبته فقال لهم ماذا ترون فى أمر هذا الرجل وما جاء له فقال قائل أيها الملك ان فى سجونك رجالا قد حبستهم للقتل فلو أنك بعثتهم معه فان يهلكوا كان ذلك الذى اردت بهم وان ظفروا كان ملكا أردته فبعث معه كسرى من كان فى سجونه وكانوا ثمانمائة رجل واستعمل عليهم رجلا منهم يقال له وهرز وكان ذا سن فيهم وأفضلهم حسبا و بيتا فخرج فى ثمان سفائن فغرقت سفينتان و وصل الى ساحل عدن ست سفائن فجمع سيف الى وهرز من استطاع من قومه وقال له رجلى مع رجلك حتى نموت جميعا او نظفر جميعا قال له وهرز أنصفت وخرج اليه مسروق بن ابرهة ملك اليمن وجمع اليه جنده فارسل اليهم وهرز ابناله ليقاتلهم فيختبر قتالهم فقتل ابن وهرز فزاده ذلك حنقا عليهم فلما تواقف الناس على مصافهم قال وهرز أرونى ملكهم فقالوا له أترى رجلا على الفيل عاقدا تاجه على رأسه بين عينيه ياقوتة حمراء قال نعم قالوا ذاك ملكهم فقال اتركوه قال فوقفوا طويلا ثم قال علام هو قالوا قد تحول على الفرس قال اتركوه فوقفوا طويلا ثم

بالمرجوم وهو مرجوم بالحجارة وهل يجوز أن يقال فى مقتول كانه مقتول فتقول لما ذكر استهلال الطير وجعلها كالسحاب يستهل بالمطر والمطر ليس برجم وانما الرجم بالاكف ونحوها شبهه بالمرجوم الذى يرجمه الآدميون أو من يعقل و يتعمد الرجم من عدو ونحوه فعند ذلك يكون المقتول بالحجارة مرجوما على الحقيقة ولما لم يكن جيش الحبشة كذلك وانما أمطروا حجارة فمن ثم قال كانه مرجوم ﷺ وذكر سيف بن ذى يزن وخبره مع النعمان وكسرى وقد ذكرنا قصته فى أول حديث الحبشة وانه مات عند كسرى وقام ابنه مقامه فى الطلب وهو سيف بن ذى يزن بن ذى أصبح بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن العرنجج وهو حمير بن سبأ وكسرى هذا هو أنوشروان بن قباذ ومعناه مجدد الملك لانه جمع ملك فارس بعد شتات والنعمان اسم منقول من النعمان الذى هو الدم قاله صاحب العين والقنقل الذى شبه به التاج هو مكيال عظيم قال الراجز يصف الكماة

مالك لا تجرفها بالقنقل ﷺ لا خير فى الكماة ان لم تفعل

وفى الغريبين للهروى القنقل مكيال يسع ثلاثة وثلاثين منا ولم يذكر كم المن وأحسبه وزن رطلين وهذا التاج قد أتى به عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين استلب من يزدجرد بن شهريار تصير اليه من قبل جده أنوشروان المذكور فلما أتى به عمر رضى الله عنه دعا سراقة بن مالك المدلجى فحلاه باسورة كسرى وجعل التاج على رأسه وقال له قل الحمد لله الذى نزع تاج كسرى ملك الاملاك من رأسه ووضعه فى رأس اعرابى من بنى مدلج وذلك بعز الاسلام و بركته لا بقوتنا وانما خص عمر سراقة بهذا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قال له ياسراق كيف بك اذا وضع تاج كسرى على رأسك واسواره فى يديك أو كما قال صلى الله عليه وسلم وذكر قدوم سيف مع وهرز على صنعاء فى ستمائة وقد قدمنا قول ابن قتيبة انهم كانوا سبعة آلاف وخمسمائة وانضافت اليهم قبائل من العرب ﷺ وذكر دخول وهرز صنعاء وهدمه بابها وانما كانت تسمى قبل ذلك أوال

قال على ماهو قالوا قد تحول على البغلة قال وهرز بنت الحمار ذل وذل ملكه انى سأرميه فان رأيتم أصحابه لم يتحركوا فاثبتوا حتى اوذنكم فانى قد أخطأت الرجل وان رأيتم القوم قد استداروا ولاثوابه فقد أصبت الرجل فاحملوا عليهم ثم وتر قوسه وكانت فيما يزعمون لايوترها غيره من شدتها وأمر بحاجبيه فعصباله ثم رماه فصك الياقوتة التى بين عينيه فتغلغلت النشابة فى رأسه حتى خرجت من قفاه ونكس عن دابته واستدارت الحبشة ولاثت به وحملت عليهم الفرس وانهزموا فقتلوا وهربوا فى كل وجه وأقبل وهرز ليدخل صنعاء حتى اذا أتى بابها قال لاتدخل رايتى (٥٢) منكسة أبدا اهدموا الباب فهدم ثم دخلها ناصبا رايته فقال سيف بن ذى يزن الحميرى

يظن الناس بالملكـ
ـين انهما قد التأما
ومن يسمع بلأمهما
فان الخطب قد فقما
قتلنا القيل مسروقا
وروينا الكثيب دما
وان القيل قيل النا
س وهرز مقسم قسما
يذوق مشعشعا حتى
يفىء السبى والنعما

(قال ابن هشام) وهذه الابيات فى أبيات له وأنشدنى خلاد بن قرة السدوسى آخرها بيتا لاعشى بنى قيس بن ثعلبة فى قصيدة له وغيره من اهل العلم بالشعر ينكرها له * قال ابن اسحق وقال أبو الصلت بن أبى ربيعة الثقفى (قال ابن هشام) ويروى لامية ابن أبى الصلت

ليطلب الوتر أمثال بن ذى يزن
ريم فى البحر للاعداء أحوالا
يمم قيصر لما حان رحلته * فلم يجد عنده بعض الذى سالا
ثم انثنى نحو كسرى بعد عاشرة * من السنين يهين النفس والمالا
حتى أتى ببنى الاحرار يحملهم * انك عمرى لقد أسرعت قلقالا
لله درهم من عصبة خرجوا * ماان أرى لهم فى الناس أمثالا
بيضا مرازبة غلبا أساورة * أسدا تربب فى الغيضات أشبالا
يرمون عن شدف كأنها غبط * بزمجر يعجل المرمى اعجالا
أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد * أضحى شريدهم فى الارض فلالا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفقا *

[بفتح الهمزه وكسرها] قال ابن الكلبى وسميت صنعاء اول وهرز حين دخلها صنعة صنعة يريد أن الحبشة أحكمت صنعها قال ابن مقبل يذكر أوال

عمد الحداة بها لعارض قرية * وكأنها سفن بسيف أوال

وقال جرير

وشبهت الحدوج غداة قو * سفين الهند روح من أوالا

وقال الاخطل

خوص كأن شكيمهن معلق * بقنار دينة أو جذوع أوال

وقد قيل ان صنعاء اسم الذى بناها وهو صنعاء بن أوال بن عبير بن عابر بن شالخ فكانت تعرف تارة باوال وتارة بصنعاء * وقوله فى شعر أمية ابن ابى الصلت ريم فى البحر أى أقام فيه ومنه الروايم وهى الاثافى كذلك وجدته فى حاشية الشيخ التى عارضها بكتابى أبى الوليد الوقشى وهو عندى غلط لان الروايم من رأمت اذا عطفت وريم ليس من رأم وانما هو من الريم وهو الدرج أو من الريم الذى هو الزيادة والفضل أو من رام يريم اذا برح كأنه يريد غاب زمانا وأحوالا ثم رجع للاعداء وارتقى فى درجات المجد احوالا ان كان من الريم الذى هو الدرج ووجدته فى غير هذا الكتاب خيم مكان ريم فهذا معناه اقام * وقوله عمرى أراد لعمرى وقد قال الطائى

عمرى لقد نصح الزمان وانه * لمن العجائب ناصح لا يشفق

وقوله اسرعت قلقالا بفتح القاف وكسرها وكقول الآخر * وقلقل يبغى العز كل مقلقل * وهى شدة الحركة وقوله يرمون عن شدف كأنها غبط الشدف الشخص ويجمع على شدوف ولم يردها هنا الا القسى وليس شدوف جمع الشدف وانما هو جمع شدوف وهو النشيط المرح يقال شدف فهو شدف ثم تقول شدوف كما تقول مروح وقد يستعار المرح والنشاط للقسى لحسن تأتيها وجودة رميها واصابتها وانما احتجنا الى هذا التأويل لان فعلا لايجمع على فعل الا وثن ووثن (فان قلت) فيجمع على فعول مثل اسود فتقول شدوف ثم تجمع الجمع فتقول شدف (قلنا) الجمع الكثير لايجمع وانما يجمع منه ابنية القليل نحو افعال وافعل وافعلة واشبه مايقال فى هذا البيت انه جمع على غير قياس هذا ان كان الشدوف القسى ويجوز ان يكون جمع شدفا على شدف مثل اسد وأسد ثم حرك الدال وجائز ان يكون أراد المرح من الخيل كما تقدم وجعلها كالغبط لاشراف ظهورها وعلوها * وقوله يرمون عن شدف أى يدفعون عنها بالرمى ويكون الزمجر القسى أو النبل والغبط

فى رأس غمدان دارامنك محلالا ... واشرب هنيئاً فقد شالت نعامتهم * واسبل اليوم فى برديك اسبالا

تلك المكارم لاقعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

(قال ابن هشام) هذا ماصح له مما روى ابن اسحق منها الا آخرها بيتا تلك المكارم لاقعبان من لبن فانه للنابغة الجعدى واسمه عبدالله بن قيس أحد بنى جعدة بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن فى قصيدة له * قال ابن اسحق وقال عدى بن زيد الحيرى وكان أحد بنى تميم (قال ابن هشام) ثم أحد بنى امرئ القيس بن زيدمناة بن تميم ويقال عدى من العباد من أهل الحيرة

مابعد صنعاء كان يعمرها ... ولاة ملك جزل مواهبها

رفعها من بنى لدى قزع الـ ... ـمزن وتندى مسكا محاربها

محفوفة بالجبال دون عرى الـ ... ـكائد ماترتقى غواربها

يأنس فيها صوت النهام اذا ... جاوبها بالعشى قاصبها

ساقت اليه الاسباب جند بنى الاحـ ... ـرار فرسانها مواكبها

وفوزت بالبغال توسق بالـ ... ـحتف وتسعى بها توالبها

حتى رآها الاقوال من طرف الـ ... ـمنقل مخضرة كتائبها

يوم ينادون آل بربر واليكسوم لايفلحن هاربها

وكان يوما باقى الحديث وزا * لت أمة ثابت مراتبها

وبدل الفيج بالزرافة والايـ ... ـام جون جم عجائبها

والنبط الهوادج والزمخر القصب الفارسى * وقوله فى رأس غمدان ذكر ابن هشام ان غمدان أسسه يعرب بن قحطان وأكمله بعده واحتله وائل بن حمير بن سبأ وكان ملكا متوجا كابيه وجده * وقوله شالت نعامتهم أى هلكوا والنعامة باطن القدم وشالت ارتفعت ومن هلك ارتفعت رجلاه وانتكس رأسه فظهرت نعامة قدمه تقول العرب تنعمت اذا مشيت حافيا قال الشاعر

تنعمت لما جاء فى سوء فعلهم * الا انما الباساء للمتنعم

والنعامة أيضا الظلمة والنعامة الدعامة التى تكون عليها البكرة والنعامة الجماعة من الناس وابن النعامة عرق فى باطن القدم * وذكر النابغة الجعدى واسمه قيس بن عبدالله وقيل ان اسمه حيان بن قيس بن عبد الله بن وحوح والوحوح فى اللغة وسط الوادى قاله أبو عبيد وأبو حنيفة وهو أحد النوابغ وهم ثمانية ذكرهم البكرى وذكر الاعاشى وهم خمسة عشر والنابغة شاعر معمر عاش مائتين وأربعين سنة أكثرها فى الجاهلية وقدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانشاده اياه ودعاء النبى صلى الله عليه وسلم ألا يفضض الله فاه مشهور وفى كتب الادب والخبر مسطور فلامعنى للاطالة به * وذكر شعر عدى بن زيد العبادى نسب الى العباد وهم من عبد القيس ابن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة قيل انهم انتسلوا من أربعة عبد المسيح وعبد كلال وعبدالله وعبد ياليل وكذلك سائرهم فى اسم كل واحد منهم عبد وكانوا قدموا على ملك فتسموا له فقال أنتم العباد فسموا بذلك وقد قيل غير هذا وفى الحديث المسند أبعد الناس عن الاسلام الروم والعباد وأحسبهم هؤلاء لانهم تنصروا وهم من ربيعة ثم من بنى عبد القيس والله أعلم والذى ذكره الطبرى فى نسب عدى بن زيد انه ابن زيد ابن حماد بن أيوب بن مجروف بن عامر بن عصية بن امرئ القيس بن زيدمناة بن تميم وقد دخل بنو امرئ القيس بن زيدمناة فى العباد فلذلك ينسب عدى اليهم * وقوله صوت النهام يريد ذكر البوم وقاصبها الذى يزمر فى القصب * وقوله فيها دون عرى الكائد يريد عرى السماء وأسبابها * ووقع فى نسخة الشيخ عرى بفتح العين وهى الناحية وأضافها الى الكائد وهو الذى كادهم والبارى سبحانه وتعالى كيده متين * وقوله فوزت بالبغال أى ركبت المفاوز * وقوله توسق بالحتف أى وسق البغال الحتوف وتوالبها جمع تولب وهو ولد الحمار والتاء فى تولب بدل من واو كاهى فى تؤم وتولج وفى توراة على أحد القولين لان اشتقاق التولب من الوالبة وهى مايولده الزرع وجمعها والب * وقوله من طرف المنقل أى من أعالى حصونها والمنقال الخرج ينقل الى الملوك من قرية الى قرية فكان المنقل من هذا والله أعلم * وقوله مخضرة كتائبها يعنى من الحديد ومنه الكتيبة الخضراء * وقوله ينادون آل بربر لان البربر والحبشة من ولد حام وقد قيل انهم من ولد جالوت من العماليق * وقد قيل فى جالوت انه من الخزر وأن افريقس لما خرج من أرض كنعان سمع لهم بربرة وهى اختلاط الاصوات فقال ما أكثر بربرتهم فسموا بذلك وقيل غير هذا * وقوله والغرب أراد الغرب بضم الراء جمع غراب [والاغرب هى الرواية وبه يكمل الوزن] وان كان المعروب أغربة وغربان ولكن القياس لايدفعه وعنى بهم السودان * وقوله و بدل الفيج بالزرافة وهو المنفرد فى مشيته والزرافة الجماعة وقيل فى الزرافة التى هى حيوان طويل العنق انه اختلط فيها النسل بين الابل الوحشية والبقر الوحشية والنعام وانها متولدة من هذه الاجناس الثلاثة وكذلك ذكر الزبيدى وغيره وأنكر الجاحظ هذا فى كتاب الحيوان له وقال انما دخل هذا الغلط عليهم من تسمية الفرس لها اشتركا وماه

بعد بنى تبع نخاورة * قد اطمانت بها مرازبها (قال ابن هشام) وهذه الابيات فى قصيدة له وأنشدنى أبو زيد ورواه لى عن المفضل الضبى قوله يوما ينادون آل بربر واليكسوم وهذا الذى عنى سطيح بقوله يليه ارم ذى يزن يخرج عليهم من عدن فلا يترك احدا منهم باليمن والذى عنى شق بقوله غلام ليس بدنى ولا مدن يخرج عليهم من بيت ذى يزن * قال ابن اسحق فاقام وهرز والفرس باليمن فمن بقية ذلك الجيش من الفرس الابناء الذين باليمن اليوم وكان ملك الحبشة باليمن فيما بين ان دخلها ارياط الى أن قتلت الفرس مسروق بن أبرهة وأخرجت الحبشة اثنين وسبعين سنة توارث ذلك منهم أربعة ارياط ثم أبرهة ثم يكسوم بن أبرهة ثم مسروق بن ابرهة

﴿ذكر ما انتهى اليه أمر الفرس باليمن﴾

(قال ابن هشام) ثم مات وهرز فامر كسرى ابنه المرزبان بن وهرز على اليمن ثم مات المرزبان فامر كسرى ابنه التينجان بن المرزبان على اليمن ثم مات التينجان فامر كسرى ابن التينجان على اليمن ثم عزله وأمر باذان فلم يزل باذان عليها حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فبلغنى عن الزهرى أنه قال كتب كسرى الى باذان انه بلغنى أن رجلا من قريش خرج بمكة يزعم انه نبى فسر اليه فاستتبه فان تاب والا فابعث الى برأسه فبعث باذان بكتاب كسرى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد وعدنى أن يقتل كسرى فى يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا فلما أتى باذان الكتاب توقف لينظر وقال ان كان نبيا فسيكون ما قال فقتل الله كسرى فى اليوم الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال ابن هشام) قتل على يدى ابنه شيرويه (وقال) خالد بن حق الشيبانى

وكسرى اذ تقسمه بنوه * باسياف كما اقتسم اللحام
تمخضت المنون له بيوم * أنى ولكل حاملة تمام

(قال الزهرى) فلما بلغ ذلك باذان بعث باسلامه واسلام من معه من الفرس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الرسل من الفرس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الى من نحن يا رسول الله قال أنتم منا والينا أهل البيت (قال ابن هشام) فبلغنى عن الزهرى انه قال فمن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت (قال ابن هشام) فهو الذى عنى سطيح بقوله نبى زكى يأتيه الوحى من قبل العلى والذى عنى شق بقوله بل ينقطع برسول مرسل يأتى بالحق والعدل بين أهل الدين والفضل يكون الملك فى قومه الى يوم الفصل

والفرس انما سمته بذلك لان فى خلقتها شبها من جمل ونعامة و بقرة فاشترهوا الجمل وكاو النعامة وماه البقرة والفرس تركب الاسماء وتمزج الالفاظ اذا كان فى المسمى شبه من شيئين أو أشياء ويقال زرافة بتشديد الفاء حكاه أبو عبيد عن القنانى * وقوله * بعد بنى تبع بجاورة * هكذا فى نسخة سفيان بن أبى العاص الاسدى مصححا عليه وقد كتب فى الحاشية نخاورة فى الامين وفى الحاشية النخاورة الكرام وكذلك فى المسموعة على ابن هشام يعنى نسختى أبى الوليد الوقشى اللتين قابل بهما متين و يعنى بالحاشية حاشية تينك الامين وان فيهما نخاورة بالنون والخاء المنقوطة وهم الكرام كما ذكر * وذكر قصة باذان وما كتب به الى كسرى وكسرى هذا هو أبرويز بن هرمز بن أنوشروان ومعنى أبرويز بالعربية المظفر وهو الذى غلب الروم حين أنزل الله «الم غلبت الروم فى أدنى الارض» وهو الذى عرض على الله فى المنام فقال له سلم ما فى يديك الى صاحب الهراوة فلم يزل مذعورا من ذلك حتى كتب اليه النعمان بن المنذر بظهور النبى صلى الله عليه وسلم بتهامة فعلم أن الامر سيصير اليه حتى كان من أمره ما كان وهو الذى كتب اليه النبى صلى الله عليه وسلم وحفيده يزدجرد بن شهريار بن أبرويز وهو آخر ملوك الفرس وكان سلب ملكه وهدم سلطانه على يدى عمر بن الخطاب ثم قتل هو فى أول خلافة عثمان وجد مستخفيا فى رحى فقتل وطرح فى قناة الرحى وذلك بمرو من أرض فارس * وذكر حديث باذان ومقتل كسرى وكان مقتل كسرى حين قتله بنوه ليلة الثلاثاء لعشر من جمادى الاولى سنة سبع من الهجرة وأسلم باذان باليمن فى سنة عشر وفيها بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الابناء يدعوهم الى الاسلام فمن الابناء وهب بن منبه بن سيج بن ذكبار وطاووس وذاذويه وفيروز اللذان قتلا الاسود العنسى الكذاب وقد قيل فى طاووس انه ليس من الابناء وانه من حمير وقد قيل من فارس واسمه ذكوان بن كيسان وهو مولى بحير بن ريسان وقد قيل مولى الجعد وكان يقال لطاووس القراء الجمال * وقول خالد بن حق

تمخضت المنون له بيوم * أنى ولكل حاملة تمام

المنون المنية وهو أيضا من أسماء الدهر وهو من مننت الحبل اذا قطعته وفعول اذا كان بمعنى فاعل لم تدخل التاء فى مؤنثه لسر بديع ذكرناه فى غير هذا الكتاب فيقال امرأة صبور وشكور فمعنى المنون المقطوع وتمخضت أى حملت والمخاض الحمل ووزنه فعال ومخاضة الماء ومخاضة وزنه مفعل من الخوض * وقوله أنى أى حان

وقد قلبوه فقالوا آن يئين والدليل على أن آن يئين مقلوب من أنى يأنى قوله آناء الليل وواحدها أنى وإنى وإنى فالنون مقدمة على الياء فى كل هذا وفى كل ماصرف منه نحو الاناء والآنى الذى بلغ اناه أى منتهى وقته فى التسخين وهذا المعنى كقولهم فى المثل الدهر حبلى لا يدرى ما تضع ان كان أراد بالمنون فى البيت الدهر وان كان أراد بالمنون المنية فبعيد ان يقال تمخضت المنون له بهذا اليوم الذى مات فيه فان موته منيته فكيف تمخض المنية بالمنية الا أن يريد أسبابها وما منى له أى قدر من وقتها فتصح الاستعارة حينئذ ويستقيم التشبيه *وقول ابن حق *وكسرى اذ تقسمه بنوه* وانما كان قتله على يدى ابنه شيرويه لكن ذكر بنيه لان بدء السير بينه وبينهم ان ابنه فرخان رأى فى النوم انه قاعد على سرير الملك فى موضع أبيه فبلغ أباه ذلك فكتب الى ابنه شهريار وكان واليا له على بعض البلاد أن اقتل أخاك فرخان فاخفى شهريار الكتاب من أخيه فكتب اليه مرة أخرى فابى من ذلك فعزله وولى فرخان وأمره بقتل شهريار فعزم على ذلك فاراه شهريار الكتاب الذى كتب له أبوه فيه فتواطئا عند ذلك على القيام على أبيهما وأرسلا الى ملك الروم يستعينان به فى خبر طويل فكان هذا بدء الشر ثم ان الفرس خلعت كسرى لاحداث أحدثها وولت ابنه شيرويه فكان كسرى ابرويز ربما أشار برأى من محبسه فقالت المرازبة اشير وبه لا يستقيم لك الملك الا ان تقتل أباك فارسل اليه من يقتله فيقال انه كان يضرب بالسيف فما يعمل فيه شيئا ففتش فوجد على عضده حجر معلق كالخزيرة فنزع فعملت فيه السلاح وكان قبل يقول لابنه يا قصير العمر فلم يدم أمره بعده الا أقل من ستة أشهر فيما ذكروا والله أعلم* وقوله وجد بحجر باليمن لمن ملك ذمار وحكى ابن هشام عن يونس ذمار بفتح الذال فدل على أن رواية ابن اسحق بالكسر فاذا كان بكسر الذال فهو غير مصروف لانه اسم لمدينة والغالب عليه التأنيث ويجوز صرفه أيضا لانه اسم بلد واذا فتحت الذال فهو مبنى مثل رقاش وحذام وبنو تميم يعربون مثل هذا البناء فيقولون رقاش فى الرفع ورقاش وحذام فى النصب والخفض يعربونه ولا يصرفونه فاذا كان لام الفعل راء اتفقوا مع أهل الحجاز على البناء والكسر وذمار من ذمرت الرجل اذا حرضته على الحرب *وقوله لحمير الاخيار لانهم كانوا أهل دين كما تقدم فى حديث فيمون وابن الثامر *وقوله لفارس الاحرار فلان الملك فيهم متوارث من أول الدنيا من عهد جيومرت فى زعمهم الى أن جاء الاسلام لن يدينوا الملك من غيرهم ولا أدوا الاتاوة لذى سلطان من سواهم فكانوا أحرارا لذلك *وأما قوله للحبشة الاشرار فلما أحدثوا فى اليمن من العيث والفساد واخراب البلاد حتى هموا بهدم بيت الله الحرام وسيهدمونه فى آخر الزمان اذا رفع القرآن وذهب من الصدور الايمان وهذا الكلام المسجع ذكره المسعودى منظوما

حين شدت ذمار قيل لمن أنـ * ـت فقالت لحمير الاخيار

ثم سيلت من بعد ذاك فقالت * انا للحبش أخبث الاشرار

ثم قالوا من بعد ذاك لمن أنـ * ـت فقالت لفارس الاحرار

ثم قالوا من بعد ذاك لمن أنـ * ـت فقالت الى قريش التجار

وهذا الكلام الذى ذكر انه وجد مكتوبا بالحجر هو فيما زعموا من كلام هود عليه السلام وجد مكتوبا فى منبره وعند قبره حين كشفت الريح العاصفة عن منبره الرمل حتى ظهر وذلك قبل ملك بلقيس بيسير وكان خطه بالمسند ويقال ان الذى بنى ذمار هو شمر بن الاملوك والاملوك هو مالك بن ذى المنار ويقال ذمار وظفار ومنه المثل من دخل ظفار حمر أى تكلم بالحميرية *وذكر قول الاعشى

*قال ابن اسحق وكان فى حجر باليمن فيما يزعمون كتاب بالزبور كتب فى الزمان الاول لمن ملك ذمار لحمير الاخيار لمن ملك ذمار للحبشة الاشرار لمن ملك ذمار لفارس الاحرار لمن ملك ذمار لقريش التجار وذمار اليمن أو صنعاء (قال ابن هشام) ذمار بالفتح فيما أخبرنى يونس * قال ابن اسحق وقال الاعشى أعشى بنى قيس بن ثعلبة فى وقوع ما قال سطيح وصاحبه

ما نظرت ذات أشفار كنظرتها * حقا كما صدق الذئبي اذ سجعا وكانت العرب تقول لسطيح الذئبي لانه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب «قال ابن هشام» وهذا البيت فى قصيدة للاعشى واسم الاعشى ميمون بن قيس

﴿ قصة ملك الحضر ﴾

«قال ابن هشام» وحدثنى خلاد بن قرة بن خالد السدوسى عن جناد أو عن بعض علماء أهل الكوفة بالنسب أنه يقال ان النعمان بن المنذر من ولد ساطرون ملك الحضر والحضر حصن عظيم كالمدينة كان على شاطئ الفرات وهو الذى ذكر عدى بن زيد فى قوله

وأخو الحضر اذ بناه واذ دجـ * ـلة تجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلـ * ـسا فللطير فى ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فبان الـ * ـملك عنه فبابه مهجور

(قال ابن هشام) وهذه الابيات فى قصيدة له والذى ذكره أبو داود الايادى فى قوله

وأرى الموت قد تدلى من الحضـ * ـر على رب أهله الساطرون

وهذا البيت فى قصيدة له ويقال انها لخلف الاحمر ويقال انها لحماد الراوية وكان كسرى سابور ذو الاكتاف غزا ساطرون ملك الحضر فحصره سنتين فاشرفت بنت ساطرون يوما فنظرت الى سابور وعليه ثياب ديباج وعلى رأسه تاج من ذهب مكلل بالزبرجد والياقوت واللؤلؤ وكان جميلا فدست اليه أتتزوجنى ان فتحت لك باب الحضر فقال نعم فلما أمسى ساطرون شرب حتى سكر وكان لا يبيت الاسكران فاخذت مفاتيح باب الحضر من تحت رأسه فبعثت بها مع مولى لها ففتح الباب فدخل سابور فقتل ساطرون واستباح الحضر وخربه وسار بها معه فتزوجها فبينا هى نائمة على فراشها ليلا اذ جعلت تململ لا تنام فدعا لها بشمع ففتش فراشها فوجد عليه ورقة آس فقال لها سابور أهذا الذى أسهرك قالت نعم قال فما كان أبوك يصنع بك قالت كان يفرش لى الديباج ويلبسنى الحرير

اسحق

* ما نظرت ذات اشفار كنظرتها * البيت يريد زرقاء اليمامة وكانت تبصر على مسيرة ثلاثة أيام وقد تقدم طرف من ذكرها فى خبر جديس وطسم وقبل البيت

قالت أرى رجلا فى كفه كتف * أو يخصف النعل لهفى أية صنعا
فكذبوها بما قالت فصبحهم * ذو آل حسان يزجى الموت والسلعا

وكان جيش حسان هذا قد أمروا أن يخيلوا عليها بان يمسك كل واحد منهم نعلا كانه يخصفها وكتفا كانه يأكلها وأن يجعلوا على أكتافهم أغصان الشجر فلما أبصرتهم قالت لقومها قد جاءتكم الشجر أو قد غزتكم حمير فقالوا قد كبرت وخرفت فكذبوها فاستبيحت بيضتهم وهو الذى ذكر الاعشى

﴿ خبر الحضر والساطرون ﴾

ذكر فيه قول من قال ان النعمان من ولد الساطرون وهو صاحب الحضر (قال المؤلف) فنذكر شرح قصة الحضر وصاحبه وما قيل فى ذلك ملخصا بعون الله الساطرون بالسريانية هو الملك واسم الساطرون الضيزن ابن معاوية قال الطبرى هو جرمقانى وقال ابن الكلبى هو قضاعى من العرب الذين تنخوا بالسواد فسموا تنوخ أى أقاموا بها وهم قبائل شتى ونسبه ابن الكلبى فقال هو ابن معاوية بن عبيد ووجدته بخط أبى بحر عبيد بضم العين بن أجرم ممن بنى سليح بن حلوان بن الحاف بن قضاعة وأمه جيهلة وبها كان يعرف وهى أيضا قضاعية من بنى تزيد الذين تنسب اليهم الثياب التزيدية وذكر قول أبى دواد

وأرى الموت قد تدلى من الحضـ * ـر على رب أهله الساطرون

واسم أبى دواد جارية بن حجاج وقيل حنظلة بن شرقى وبعد هذا البيت

صرعته الايام من بعد ملك * ونعيم وجوهر مكنون

وكان الضيزن من ملوك الطوائف وكان يقدمهم اذا اجتمعوا لحرب عدو من غيرهم وكانت الحضر بين دجلة والفرات وكان ملكه يبلغ أطرار الشام وكان سابور قد تغيب عن العراق الى خراسان فاغار الضيزن على بلاده فى من معه من العرب فلما قفل سابور وأخبر بصنع الضيزن نهد اليه وأقام عليه أربع سنين وذكر الاعشى فى شعره حولين لا يقدر على فتح الحصن وكان للضيزن بنت اسمها النضيرة وفيها قيل

أقفر الحضر من نضيرة فالمر * باع منها فجانب الثرثار

وكانت سنتهم فى الجارية اذا عركت أى حاضت أخرجوها الى ربض المدينة فعركت النضيرة فاخرجت الى ربض الحضر فاشرفت ذات يوم فابصرت سابور وكان من أجمل الناس فهويته فارسلت اليه أن يتزوجها وتفتح له الحضر واشترطت عليه والتزم لها ما أرادت ثم اختلف فى السبب الذى دلت عليه * فقال ابن

اسحق ما فى الكتاب وقال المسعودى دلته على نهر واسع كان يدخل منه الماء الى الحضر فقطع لهم الماء ودخلوا منه * وقال الطبرى دلته على طلسم كان فى الحضر وكان فى علمهم انه لا يفتح حتى تؤخذ حمامة ورقاء وتخضب رجلاها بحيض جارية بكر زرقاء ثم ترسل الحمامة فتنزل على سور الحضر فيقع الطلسم فيفتح الحضر ففعل سابور ذلك فاستباح الحضر وأباد قبائل من قضاعة كانوا فيه منهم بنو عبيد رهط الضيزن لم يبق منهم عقب وحرق خزائن الضيزن وا كتسح ما فيها ثم قتل بنضيرة معه وذكر الطبرى فى قتله اياها حين تململت على الفراش الوتير ولين الحرير انه قال لها ما كان يصنع بك أبوك فقالت كان يطعمنى المخ والزبد وشهد أبكار النحل وصفو الخمر وذكر انه كان يرى مخها من صفاء بشرتها وأن ورقة الآس أدمتها فى عكنة من عكنها وان الفراش الذى نامت عليه كان من حرير حشوه القز * وقال المسعودى كان حشوه زغب الطير ثم اتفقوا فى صورة قتلها كما ذكر ابن اسحق غير أن ابن اسحق قال كان المستبيح للحضر سابور ذو الاكتاف وجعله غير سابور بن ازدشير بن بابك وقد تقدم ان ازدشير هو أول من جمع ملك فارس وأذل ملوك الطوائف حتى دان الملك له والضيزن كان من ملوك الطوائف فيبعد ان تكون هذه القصة لسابور ذى الاكتاف وهو سابور بن هرمز وهو ذو الاكتاف لانه كان بعد سابور الاكبر بدهر طويل وبينهم ملوك مسمون فى كتب التاريخ وهم هرمز بن سابور وبهرام بن هرمز وبهرام بن بهرام وبهرام الثالث ونرسى بن بهرام وبعده كان ابنه سابور ذو الاكتاف والله أعلم * وقول الاعشى شاهبور الجنود بخفض الدال يدل على انه ليس بشاهبور ذى الاكتاف وأما انشاده لابيات عدى بن زيد

وأخو الحضر اذ بناه واذ * دجلة تجبى اليه والخابور

ففيه يقول أعشى بن قيس ابن ثعلبة

ألم تر للحضر اذ أهله
بنعمى وهل خالد من نعم

فللشعر خبر عجيب * حدثنا اجازة القاضى الحافظ أبو بكر عن ابن أيوب عن البرقانى عن أبى الحسن على بن عمر قال حدثنا أبو بكر الازرق يوسف بن يعقوب بن اسحق بن البهلول قال حدثنى جدى قال حدثنى أبى عن اسحق بن زياد من بنى سلمة بن لؤى عن شبيب بن شيبة عن خالد بن صفوان بن الاهتم قال أوفدنى يوسف بن عمر الى هشام بن عبد الملك فى وفد العراق قال فقدمت عليه وقد خرج متبديا بقرابته وأهله وحشمه وغاشيته من جلسائه فنزل فى أرض قاع صحصح متنايف أفيح فى عام بكر وسميه وتتابع وليه وأخذت الارض زينتها من اختلاف أنوار نبتها من نور ربيع مونق فهو أحسن منظرا وأحسن مستنظرا وأحسن مختبرا بصعيد كان ترابه قطع الكافور حتى لو ان قطعة ألقيت فيه لم تترب قال وقد ضرب له سرادق من حبرة كان صنعه له يوسف بن عمر باليمن فيه فسطاط فيه أربعة أفرشة من خز أحمر مثلها مرافقها وعليه دراعة من خز أحمر مثلها عمامتها قال وقد أخذ الناس مجالسهم فأخرجت رأسى من ناحية الطاق فنظر الى شبه المستنطق فقلت أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمة سوغكها بشكر وجعل ما قلدك من هذا الامر رشدا وعاقبة ما تؤول اليه حمد أخلصه لك بالتقى وكثره لك بالنماء ولا كدر عليك منه ما صفا ولا خالط مسروره الردى فقد أصبحت للمسلمين ثقة ومستراحا اليك يقصدون فى أمورهم واليك يفزعون فى مظالمهم وما أجد يا أمير المؤمنين شيأ جعلنى الله فداءك هو أبلغ فى قضاء حقك وتوقير مجلسك مما من الله به على من مجالستك والنظر الى وجهك من ان اذكرك نعم الله عليك وأنبهك لشكرها وما أجد يا أمير المؤمنين شيئا هو أبلغ من حديث من سلف قبلك من الملوك فان أذن لى أمير المؤمنين أخبرته عنه قال فاستوى جالسا وكان متكئا ثم قال هات يا ابن الاهتم فقلت يا أمير المؤمنين ان ملكا من الملوك قبلك خرج فى عام مثل عامنا هذا الى الخورنق والسدير فى عام قد بكر وسميه وتتابع وليه وأخذت الارض فيه زينتها من نور ربيع مونق فهو فى أحسن منظر

ويطعمنى المخ ويسقينى الخمر قال وكان جزاء أبيك ما صنعت به أنت الى بذلك أسرع ثم أمر بها فربطت قرون رأسها بذنب فرس ثم ركض الفرس حتى قتلها

وأحسن مستنظر وأحسن مختبر بصعيد كان ترابه قطع الكافور حتى لوان قطعة ألقيت فيه لم تترب قال وقد كان اعطى فتاء السن مع الكثرة والغلبة والقهر قال فنظر فابعد النظر فقال لجلسائه لمن هذا هل رأيتم مثل ما أنا فيه هل أعطى احد مثل ما أعطيت قال وعنده رجل من بقايا حملة الحجة والمضى على أدب الحق ومنهاجه قال ولن تخلو الارض من قائم لله بحجته فى عباده فقال أيها الملك انك قد سألت عن أمر أفتأذن فى الجواب عنه قال نعم قال أرأيت ما أنت فيه أشىء لم تزل فيه ام شىء صار اليك ميراثا من غيرك وهو زائل عنك وصائر الى غيرك كما صار اليك ميراثا من لدن غيرك قال فكذلك هو قال فلا أراك أعجبت بشىء يسير تكون فيه قليلا وتغيب عنه طويلا وتكون غدا بحسابه مرتهنا قال ويحك فأين المهرب وأين المطلب قال اما ان تقيم فى ملكك تعمل فيه بطاعة ربك على ما ساءك وسرك ومضك وأرمضك واما ان تضع تاجك وتضع أطمارك وتلبس أمساحك وتعبد ربك فى هذا الجبل حتى يأتيك أجلك قال فاذا كان فى السحر فاقرع على بابى فانى مختار أحد الرأيين فان اخترت ما أنا فيه كنت وزيرا لا تعصى وان اخترت خلوات الارض وقفر البلاد كنت رفيقا لا تخالف قال فقرع عليه بابه عند السحر فاذا هو قد وضع تاجه ولبس أمساحه وتهيأ للسياحة قال فلزما والله الجبل حتى أتتهما آجالهما وهو حيث يقول أحد بنى تميم عدى بن سالم المرى العدوى

أيها الشامت المعير بالد * هر هاأنت المبرء الموفور
أم لديك العهد الوثيق من الايا * م بل أنت جاهل مغرور
من رأيت المنون خلدن أم * من ذا عليه من أن يضام خفير
أين كسرى كسرى الملوك أنو * شروان أم أين قبله سابور
وبنو الاصفر الكرام ملوك الر * وم لم يبق منهم مذكور
وأخو الحضر اذ بناه واذ دجـ * ـلة تجبى اليه والخابور
شاده مرمرا وجلله كلـ * ـسا فللطير فى ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فبا * ن الملك عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق اذ * أشرف يوما وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة مايمـ * ـلك والبحر معرضا والسدير
فارعوى قلبه وقال وما غبـ * ـطة حى الى الممات يصير
~~ثم أصبحوا كأنهم ورق جف~~ * فألوت به الصبا والدبور
ثم بعد الفلاح والملـ * ـك والامة وارتهم هناك القبور

قال فبكى هشام حتى اخضل لحيته وبل عمامته وأمر بنزع أبنيته وبنقلان قرابته وأهله وحشمه وغاشيته من جلسائه ولزم قصره قال فاقبلت الموالى والحشم على خالد بن صفوان بن الاهتم وقالوا ما أردت الى أمير المؤمنين أفسدت عليه لذته ونغصت عليه باديته قال اليكم عنى فانى عاهدت الله عهدا أن لا أخلو بملك الا ذكرته الله عز وجل والذى ذكره عدى بن زيد فى هذا الشعر هو النعمان بن امرىء القيس جد النعمان ابن المنذر وأول هذا الشعر

أرواح مودع أم بكور * فانظر لاى ذاك تصير

قاله عدى وهو فى سجن النعمان بن المنذر وفيه قتل وهو عدى بن زيد بن حماد بن زيد بن أيوب بن محروب ابن عامر بن عصية بن أمرىء القيس بن زيد بن مناة بن تميم وقال عمرو بن آلة بن الخنساء

الم ينبئك والانباء تنمى * بما لاقت سراة بنى العبيد
ومصرع ضيزن و بنى أبيه * وأحلاس الكتائب من شريد
أتاهم بالفيول مجللات * وبالابطال سابور الجنود
فهدم من أواسى الحضر صخرا * كان ثقاله زبر الحديد

وقال الاعشى

أقام به شاهبور الجنو * دحولين تضرب فيه القدم

وقد قدمنا أن شاهبور معناه ابن الملك وان بورهو الابن بلسانهم وفى هذا البيت دليل على ماقلناه من أن سابور مغير بن شاهبور والقدم جمع قدوم وهو الفأس ونحوه والقدوم اسم موضع ايضا اختتن فيه ابراهيم عليه السلام الذى جاء فى الحديث ان ابراهيم اختتن بالقدوم مخفف أيضاً وقد روى فيه التشديد وبعده

فهل زاده ربه قوة * ومثل مجاوره لم يقم
وكان قد دعا قومه * هلموا الى أمركم قد صرم
فموتوا كراما باسيافكم * أرى الموت يجشمه من جشم

وفى الشعر وهل خالد من نعم يقال نعم ينعم وينعم مثل حسب يحسب ويحسب * وفى أدب الكتاب انه يقال نعم ينعم مثل فضل يفضل حكى ذلك عن سيبويه وهو غلط من القتبى ومن تأمله فى كتاب سيبويه تبين له غلط القتبى وان سيبويه لم يذكر الضم الا فى فضل يفضل * وقول عدى بن زيد ربية لم توق والدها يحتمل ان تكون فعيلة من ربيت الا ان القياس فى فعيلة بمعنى مفعولة ان تكون بغير هاء ويحتمل انه أراد معنى الربو والنماء لانها ربت فى نعمة فتكون بمعنى فاعلة ويكون البناء موافقا للقياس وأصح من هذين الوجهين أن يكون أراد ربيئة بالهمز وسهل الهمزة فصارت ياء وجعلها ربيئة لانها كانت طليعة حيث اطلعت حتى رأت سابور وجنوده ويقال للطليعة ذكرا كان أو أنثى ربيئة ويقال له رباء على وزن فعال وانشدوا * رباء شماء لا يأوى لقلتها * البيت وقوله أضاع راقبها أى أضاع المربئة الذى يرقبها ويحرسها ويحتمل أن تكون الهاء عائدة على الجارية أى أضاعها حافظها * وقوله والخمر وهل يقال وهل الرجل وهلا ووهلا اذا أراد شيئاً فذهب وهمه الى غيره ويقال فيه وهم أيضا بفتح الهاء واما وهم بالكسر فمعناه غلط وأوهم بالالف معناه أسقط * وقوله سبائبها السبائب جمع سبيبة وهى كالعمامة أو نحوها ومنه السبب وهو الخمار * وقوله فى خدرها مشاجبها المشاجب جمع شجب وهو ما تعلق منه الثياب ومنه قول جابر وان ثيابى لعلى المشجب وكانوا يسمون القربة مشجبا لانها جلد ماء قد شجب أى عطب وكانوا لا يمسكون القربة وهى الشجب الا معلقة فالعود الذى تعلق به هو المشجب حقيقة ثم اتسعوا فسموا ما تعلق به الثياب مشجبا تشبيها به وفى شعر عدى المتقدم ذكر الخابور وهو واد معروف وهو فاعول من خبرت الارض اذا حرثتها وهو واد عظيم عليه مزارع قالت ليلى أخت الوليد بن طريف الخارجى الشيبانى حين قتل أخوها الوليد قتله يزيد بن مزيد الشيبانى أيام الرشيد فلما قتل قالت أخته

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كانك لم تحزن على ابن طريف
فقدناه فقدان الربيع وليتنا * فديناه من ساداتنا بالوف

واما الخافور بالفاء فنبات تخفر ريحه أى تقطع شهوة النساء كما يفعل الحبق ويقال له المرو وبهذا الاسم يعرفه الناس وهو الزغبر أيضا

أقام به شاهبور الجنو
دحولين تضرب فيه القدم
فلما دعا ربه دعوة
أناب اليه فلم ينتقم
وهذه الأبيات فى قصيدة له * وقال عدى بن زيد فى ذلك
والحضر صابت عليه داهية
من فوقه أيد مناكبها
ربية لم توق والدها
لحينها اذ أضاع راقبها
اذ غبقته صهباء صافية
والخمر وهل يهيم شاربها
فاسلمت أهلها بليلتها
تظن ان الرئيس خاطبها
فكان حظ العروس اذ جشر ال
صبح دماء تجرى سبائبها
وخرب الحضر واستبيح وقد
أحرق فى خدرها مشاجبها
وهذه الابيات فى قصيدة له

﴿ذكر ولد نزار بن معد﴾ قال ابن اسحق فولد نزار بن معد ثلاثة نفر مضر بن نزار وربيعة بن نزار وأنمار بن نزار (قال ابن هشام) واياد بن نزار قال الحرث بن دوس الايادى ويروى لابى دؤاد الايادى واسمه حارثة بن الحجاج

وفتو حسن أوجههم
من اياد بن نزار بن معد

وهذا البيت فى أبيات له فأم مضر واياد سودة بنت عك بن عدنان وأم ربيعة وانمار شقيقة بنت عك بن عدنان ويقال جمعة بنت عك بن عدنان * قال ابن اسحق فانمار أبو خثعم وبجيلة قال جرير بن عبد الله البجلى وكان سيد بجيلة وهو الذى يقول له القائل

لولا جرير هلكت بجيله
نعم الفتى وبئست القبيله

وهو ينافر الفرافصة الكلبى الى الاقرع بن حابس التميمى

ياأقرع بن حابس ياأقرع
انك ان تصرع أخاك تصرع

وقال

ابنى نزار انصرا اخاكما
ان أبى وجدته أبا كما
لن يغلب اليوم أخ والاكما *

وقد تيامنت فلحقت باليمن (قال ابن هشام) قالت اليمن وبجيلة انمار بن أراش بن لحيان بن عمرو ابن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ويقال اراش بن عمرو بن لحيان بن الغوث ودار بجيلة وخثعم يمانية * قال ابن اسحق فولد مضر بن نزار رجلين الياس بن مضر وعيلان بن مضر

﴿ذكر نزار بن معد ومن تناسل منهم﴾

قد ذكرنا أولاد معد العشرة فيما تقدم فاما مضر فقد تقدم ذكره فى عمود نسب النبى صلى الله عليه وسلم وذكرنا انه أول من سن حداء الابل وسببه فيما ذكروا انه سقط عن بعير فوثبت يده وكان أحسن الناس صوتا فكان يمشى خلف الابل ويقول وايدياه وايدياه يترنم بذلك فاعنقت الابل وذهب كلالها فكان ذلك أصل الحداء عند العرب وذلك انها تنشط بحدائها الابل فتسرع واما انمار بن نزار وهو أبو بجيلة وخثعم فسمى بالانمار جمع نمر كما سموا بسباع وكلاب وأم بنيه بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ولده من غيرها أفتل وهو خثعم وولدت له عبقر فى خمسة عشر سماهم أبو الفرج عنهم تناسلت قبائل بجيلة وهم وداعة وخزيمة وصحيم والحارث ومالك وشيبة وطريفة وفهم والغوث وسهل وعبقر وأشهل كلهم بنو انمار ويقال ان بجيلة حبشية حضنت أولاد أنمار الذين سمينا ولم تحضن أفتل وهو خثعم فلم ينسب اليها وروى الترمذى من طريق فروة بن مسيك انه لما أنزل الله فى سبا ما أنزل قال رجل يارسول الله ماسبأ امرأة أم أرض قال ليس بامرأة ولا أرض ولكنه رجل ولد عشرة من العرب فتيامن منهم ستة وتشاءم أربعة فاما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان واما الذين تيامنوا فالازد والاشعرون وحمير ومذحج وكندة وأنمار قال الرجل ومن أنمار قال الذين منهم خثعم وبجيلة * وقوله

لولا جرير هلكت بجيلة * نعم الفتى وبئست القبيلة

قال لما سمع هذا مامدح رجل هجى قومه وجرير هذا هو ابن عبد الله بن جابر وهو السليل بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جشم بن عويف بن جذيمة [قبيلة من الجذم عن ابن دريد قاله أبو على البغدادى بن حرب] بن عدى بن مالك بن سعد بن زيد بن قصر وهو مالك بن عبقر بن انمار بن أراش بن عمرو بن الغوث يكنى أبا عمرو وقيل أبا عبد الله وفيه قال النبى صلى الله عليه وسلم يطلع عليكم خير ذى يمن عليه مسحة ملك وكان عمر يسميه يوسف هذه الامة وكان من مقبلى الظعن وكانت نعله طولها ذراع فيما ذكروا ومن النذير بن قصر العرنيون الذين قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتووا المدينة وحديثهم مشهور وهم بنو عرينة بن النذير أو بنو عرينة بن ربيعة بن نذير لانهما عرينتان وأحدهما عم الآخر وقال ابن اسحق فى السيرة من بنى قيس كبة من بجيلة * وقوله وهو ينافر الفرافصة الكلبى الى الاقرع بن حابس التميمى ينافر أى يحاكم قال قاسم بن ثابت لفظ المنافرة مأخوذ من النفر وكانوا اذا تنازع الرجلان وادعى كل واحد منهم انه أعز نفرا من صاحبه تحاكموا الى العلامة فمن فضل منهما قيل نفره عليه أى فضل نفره على نفر الآخر فمن هذا أخذت المنافرة وقال زهير

فان الحق مقطعه ثلاث * يمين أو نفار أو جلاء

والفرافصة بالضم اسم الاسد وبالفتح اسم الرجل وقد قيل كل فرافصة فى العرب بالضم الا الفرافصة أبا نائلة صهر عثمان بن عفان فانه بالفتح * وقوله ذلك أن تصرع أخاك تصرع * وجدت فى حاشية أبى بحر قال الاشهر فى الرواية ان يصرع أخوك وانما لم ينجزم الفعل الآخر على جواب الشرط لانه فى نية التقديم عند سيبويه وهو على اضمار الفاء عند المبرد وماذكر فى انمار من قول أهل اليمن يشهد له حديث الترمذى المتقدم وذكر أم الياس وقال فيها امرأة من جرهم ولم يسمها وليست من جرهم وانما هى الرباب بنت حيدة بن معد بن عدنان فيما ذكر الطبرى وقد قدمنا ذلك فى نسب النبى صلى الله عليه وسلم * وأما عيلان أخو الياس فقد قيل انه قيس

تقسمه

(قال ابن هشام) وأمهما جرهمية * قال ابن اسحق فولد الياس بن مضر ثلاثة نفر مدركة بن الياس وطابخة بن الياس وقمعة بن الياس وامهم خندف امرأة من اليمن (قال ابن هشام) خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة * قال ابن اسحق وكان اسم مدركة عامرا واسم طابخة عمرا وزعموا انهما كانا في ابل لهما يرعيانها فاقتنصا صيدا فقعدا عليه يطبخانه وعدت عادية على ابلهما فقال عامر لعمرو أتدرك الابل أم تطبخ هذا الصيد فقال عمرو بل اطبخ فلحق عامر بالابل فجاء بها فلما راحا على أبيهما حدثاه بشأنهما فقال لعامر أنت مدركة وقال لعمرو وأنت طابخة وأما قمعة فيزعم نساب مضر أن خزاعة من ولد عمرو بن لحي بن قمعة بن الياس

﴿قصة عمرو بن لحي وذكر أصنام العرب﴾

* قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن ابى بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم عن أبيه قال حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عمرو بن لحي يجر قصبه في النار فسألته عمن بيني وبينه من الناس فقال هلكوا * قال ابن اسحق وحدثني محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمي ان ابا صالح السمان حدثه انه سمع أباهريرة (قال ابن هشام) واسم أبي هريرة عبد الله بن عامر ويقال اسمه عبد الرحمن بن صخر يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاكثم بن الجون الخزاعي يا أكثم رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار فما رأيت رجلا

نفسه لأبوه وسمي بفرس له اسمه عيلان وكان يجاوره قيس كبة من بجيلة عرف بكبة اسم فرسه فرق بينهما بهذه الاضافة وقيل عيلان اسم كلب له وكان يقال له الياس ولاخيه الياس وقد تقدم في أول الكتاب القول في عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما فيه غنية من شرح تلك الاسماء * وذكر مدركة وطابخة وقمعة وسبب تسميتهم بهذه الاسماء وفي الخبر زيادة وهو ان الياس قال لامهم واسمها ليلى وأمها ضرية بنت ربيعة بن نزار التي ينسب اليها حمى ضرية وقد أقبلت تخندف في مشيتها مالك تخندفين فسميت خندف والخندفة سرعة في مشي وقال لمدركة * وأنت قد أدركت ما طلبتا * وقال لطابخة * وأنت قد أنضجت ما طبختا * وقال لقمعة وهو عمير * وأنت قد قعدت فانقمعتا * وخندف التي عرف بها بنو الياس وهي التي ضربت الامثال بحزنها على الياس وذلك انها تركت بنيها وساحت في الارض تبكيه حتى ماتت كمدا وكان مات يوم خميس وكانت اذا جاء الخميس بكت من أول النهار الى آخره فمما قيل من الشعر في ذلك

اذا مؤنس لاحت خراطيم شمسه * بكت به حتى ترى الشمس تغرب
فما رد بأسا حزنها وعويلها * ولم يغنها حزن ونفس تعذب

وكانوا يسمون الخميس مؤنسا قال الزبير وانما نسب بنو الياس لامهم لانها حين تركتهم شغلا لحزنها على أبيهم رحمهم الناس فقالوا هؤلاء أولاد خندف الذين تركتهم وهم صغار أيتام حتى عرفوا ببني خندف وأما عوانة بنت سعد بن قيس عيلان فسميت العوانة وهي الناقة الطويلة * وذكر حديث عمرو بن لحي بن قمعة ابن الياس وقد تقدم في نسب خزاعة وأسلم انهما ابنا حارثة بن ثعلبة وان ربيعة بن حارثة هو أبو خزاعة من بني أبي حارثة بن عامر لا من حارثة وسيأتي ذلك وقول النبي صلى الله عليه وسلم لاسلم ارموا يابني اسمعيل فان أباكم كان راميا وهو معارض لحديث أكثم بن الجون في الظاهر الا ان بعض أهل النسب ذكر أن عمرو بن لحي كان حارثة قد خلف على أمه بعد أن أيمت من قمعة ولحي صغير ولحي هو ربيعة فتبناه حارثة وانتسب اليه فيكون النسب صحيحا بالوجهين جميعا الى حارثة بالتبني والى قمعة بالولادة وكذلك أسلم بن أفصى بن حارثة فانه أخو خزاعة والقول فيه كالقول في خزاعة وقيل في أسلم بن أفصى انهم من بني أبي حارثة ابن عامر لا من بني حارثة فعلى هذا لا يكون في الحديث حجة لمن نسب قحطان الى اسمعيل والله أعلم * ومن حجة من نسب خزاعة الى قمعة مع الحديث المذكور في ذلك قول المعطل يخاطب قوما من خزاعة

لعلكم من أسرة قمعية * اذا حضروا لا يشهدون المعرفا

* وقوله في حديث أكثم الذي يرويه أبو هريرة اسم أبي هريرة عبد الله بن عمرو وقيل عبد الرحمن بن صخر وقيل هو الذي ذكره ابن هشام وقال البخاري اسمه عبد شمس بن عبد نهم وقيل اسمه عبد غنم ويحتمل أن يكون هذا اسمه في الجاهلية فبدله رسول الله صلى الله عليه وسلم كما بدل كثيرا من الاسماء وقد قيل اسمه يزيد بن عشرقة وقيل كردوس وقيل سكين قاله النفسوي وقيل غير هذا وكناه أباهريرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهرة رآها معه وقد ذكر أن الهرة كانت وحشية * واما أكثم الذي ذكره فقد صرح في حديثه بنسب عمرو والد خزاعة وذكره لقوة الشبه بين أكثم وبينه يدل على انه نسب ولادة كما تقدم لاسيما على رواية الزبير فان فيها انه قال رأيت عمرو بن لحي والد خزاعة يجر قصبه في النار * وقوله لا كثم انك مؤمن وهو كافر قد روى الحديث الحارث بن أبي أسامة في مسنده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذه المقالة في حديث الدجال لعبد العزى بن قطن وان عبد العزى قال أيضرني شبهي به يارسول الله يعني

الدجال فقال له كما قال لا كثم انك مؤمن وهو كافر وأحسب هـذا وهما فى الحـديث والله أعلم كما ذكره البخارى عن الزهرى قال ابن قطن رجل من خزاعة هلك فى الجاهلية ولاكثم عن رسول الله صـلى الله عليه وسلم حديثان . أحدهما خير الرفقاء أربعة وقد تـكلمنا على معناه فى كتاب التعريف والاعلام . والآخر اغز مع غـير قومك تحسن خلقك قال الاسكاف فى كتاب فوائد الاخبار معنى هذا الان الرجل اذا غزى مع غير قومه تحفظ ولم يسترسل وتـكلف من رياضة نفسه مالا يتـكلفه فى صحبة من يثق باحتماله لنظرهم اليه بعين الرضى ولصحة ادلاله فلذلك تحسن خلقه لرياضة نفسه على الصبر والاحتمال فهذا احسن من التأويل غـير ان الحديث مختلف فى لفظه فقد روى فيه سافر مع قومـك وذكر الروايتين أبو عمر رحـمـه الله * وذكر فى الحديث عمرو بن لحى وأنه أول من بحر البحيرة * وقد روى أيضاً أن أول من بحر البحيرة رجل من بنى مدلج كانت له ناقتان فجدع آذانهمـا وحرم ألبانهما قال رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم فرأيته فى النار يخبطانه باخفافهمـا ويعضانه بافواههما وقال عليه السلام قد عرفت أول من سيب السائبة ونصب النصب عمرو ابن لحى رأيته يؤذى أهل النار بريح قصبه رواه ابن اسحق عن عبـد الله بن أبى بـكر مرسـلا ولم يقع فى رواية البكائى عنه

أشبه برجل منك به ولا بك منه فقال أكثم عسى أن يضرنى شبهه يا رسول الله قال لا انك مؤمن وهو كافر انه كان أول من غير دين اسمعيل فنصب الاوثان وبحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصـيلة وحمى الحامى (قال ابن هشام) حدثنى بعض أهل العـلم ان عمـرو بن لحى خرج من مكة الى الشام فى بعض امـوره فلما قدم مآب مـن أرض البلقاء وبها يومئـذ العماليق وهم ولد عملاق ويقال عمليق ابن لاوذ بن سام بن نوح رآهم يعبدون الاصـنام فقال لهم ما هذه الاصـنام التى أراكم تعبدون قالوا له هذه أصـنام نعبدها فنسـتمطرها فتمطـرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال لهم أفلا تعطونى منها صنما فأسير به الى أرض العرب

﴿ أصل عبادة الاوثان ﴾

يقال لـكل صنم من حجر أو غيره صنم ولا يقال وثن الا لما كان من غـير صخرة كالنحاس ونحوه وكان عمرو ابن لحى حين غلبت خزاعة على البيت ونفت جرهم عن مكة قد جعلته العرب ربا لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعـة لانه كان يطعم النـاس ويكسو فى الموسم فربما نحر فى الموسم عشرة آلاف بدنة وكسى عشرة آلاف حلة حتى انه اللات الذى يلت السويق للحجيج على صخرة معروفة تسمى صخرة اللات ويقال ان الذى يلت كان من ثقيف فلما مات قال لهم عمرو انه لم يمت ولـكن دخل فى الصخرة ثم أمرهم بعبادتها وان يبنوا عليها بيتا يسمى اللات ويقال دام أمره وأمر ولده على هذا بمكة ثلاثمائة سنة فلما هلك سميت تلك الصخرة اللات مخففة التاء واتخذ صنما يعبد * وقد ذكر ابن اسحق انه أول من أدخل الاصنام الحرم وحمل الناس على عبادتها وسيأتى ذكر اساف ونائلة وما كان منه فى أمرهما وذكر أبو الوليد الازرقى فى أخبار مكة ان عمرو بن لحى فقأ أعين عشرين بعيرا وكانوا يفقؤن عين الفحل اذا بلغت الابل الفا فاذا بلغت الفين فقؤا العين الاخرى قال الراجز

وكان شكر القوم عند المن * كى الصحيحات وفقأ الاعين

وكانت التلبية من عهد ابراهيم لبيك لا شريك لك لبيك حتى كان عمرو بن لحى فبيناه ويلبى تمثل له الشيطان فى صورة شيخ يلبى معه فقال عمرو لبيك لا شريك لك فقال الشيخ الا شريكا هو لك فانكر ذلك عمرو وقال وما هذا فقال الشيخ قل تملـكه وما ملك فانه لا بأس بهـذا فقالها عمرو فدانت بها العرب وذكر ابن اسحق ما كان فى قوم نوح ومن قبلهم من عبادة الاصنام وتلك هى الجاهليـة الاولى التى ذكر الله فى القرآن فى قوله «ولا تبرجن تبرج الجاهليـة الاولى» وكان بدؤ ذلك فى عهـد مهلاييل بن قينان فيما ذكروا وقد ذكر البخارى عن ابن عباس قال صارت الاوثان التى كانت فى قوم نوح فى العرب بعد وهى أسماء قوم صالحين من قوم نوح فلما هلـكوا أوحى الشيطان الى قومهـم ان أنصبوا فى مجالسهم التى كانوا يجلسونها انصابا وسموها باسمائهم ففعلوا فلم تعبد حتى اذا هلك أولائك وتنوسخ العـلم عبدت وذكر الطبرى هـذا المعنى وزاد أن سواعا كان ابن شيث وان يغوث كان ابن سواع وكذلك يعوق ونسر كلما هلك الاول صورت صورته

وعظمت

فيعبدونه فاعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وامر الناس بعبادته وتعظيمه * قال ابن اسحق ويزعمون ان اول ما كانت عبادة الحجارة فى بنى اسمعيل انه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح فى البلاد الا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه فطافوا به كطوافهم بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم الى أن كانوا يعبدون ما استحسنوا من الحجارة وأعجبهم حتى خلفت الخلوف ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسمعيل غيره فعبدوا الاوثان وصاروا الى ما كانت عليه الامم قبلهم من الضلالات وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم يتمسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة وهدى البدن والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه ما ليس منه فكانت كنانة وقريش اذا أهلوا قالوا لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك فيوحدونه بالتلبية ثم يدخلون معه أصنامهم ويجعلون ملكها بيده يقول الله تبارك وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون أى ما يوحدونني لمعرفة حقى الا جعلوا معى شريكا من خلقى وقد كانت لقوم نوح اصنام قد عكفوا عليها قص الله تبارك وتعالى خبرها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وقالوا لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا فكان الذين اتخذوا تلك الاصنام من ولد اسمعيل وغيرهم وسموا باسمائهم حين فارقوا دين اسمعيل هذيل بن مدركة ابن الياس بن مضر اتخذوا سواعا وكان لهم برهاط وكلب بن وبرة من قضاعة اتخذوا ودا بدومة الجندل * قال ابن اسحق وقال كعب بن مالك الانصارى

ونسى اللات والعزى وودا * ونسلبها القلائد والشنوفا

(قال ابن هشام) وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها ان شاء الله (قال ابن هشام) وكلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان ابن عمران بن الحاف بن قضاعة * قال ابن اسحق وأنعم من طيئ واهل جرش من مذحج اتخذوا يغوث بجرش (قال ابن هشام) ويقال بل أنعم وطيئ ابن أدد بن مالك ومالك مذحج بن أدد ويقال طيئ بن ادد بن زيد بن كهلان بن سبأ * قال ابن اسحق وخيوان بطن من همدان اتخذوا يعوق بارض همدان من أرض اليمن (قال ابن هشام) اسم همدان أوسلة بن مالك بن زيد بن ربيعة بن أوسلة بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا ويقال أوسلة بن زيد بن أوسلة بن الخيار (قال ابن هشام) وقال مالك بن نمط الهمدانى

يريش الله فى الدنيا ويبرى * ولا يبرى يعوق ولا يريش

وهذا البيت فى أبيات له ويقال همدان بن أوسلة ابن ربيعة بن مالك بن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ * قال ابن اسحق وذو الكلاع من حمير اتخذوا نسرا بأرض حمير وكان لخولان صنم يقال له عم أنس بأرض خولان يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما بينه وبين الله بزعمهم فما دخل فى حق عم أنس من حق الله تعالى الذى سموه له تركوه له وما دخل فى حق الله تعالى من حق عم أنس ردوه عليه وهم بطن من خولان يقال لهم الاديم وفيهم أنزل الله تبارك وتعالى فيما يذكرون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا

وعظمت لموضعه من الدين ولما عهدوا فى دعائه من الاجابة فلم يزالوا هكذا حتى خلفت الخلوف وقالوا ما عظم هؤلاء آباؤنا الا لانها ترزق وتنفع وتضر واتخذوها آلهة وهذه أسماء سريانية وقعت الى الهند فسموا بها أصنامهم التى زعموا انها صور الدرارى السبعة وربما كلمتهم الجن من جوفها ففتنتهم ثم أدخلها الى العرب عمرو بن لحى كما ذكر أو غيره وعلمهم تلك الاسماء والقاها الشيطان على ألسنتهم موافقة لما كانوا عليه فى عهد نوح * وذكر ابن اسحق ان كلب بن وبرة من قضاعة ووبرة بسكون الباء تقيد فى نسخة الشيخ وهى الانثى من الوبر اتخذوا ودا فى دومة الجندل ودومة هذه بضم الدال ذكروا انها سميت بدومى بن اسمعيل كان نزلها ودومة أخرى بضم الدال عند الكوفة ودومة بفتح الدال أخرى مذكورة فى أخبار الردة كذا وجدته للبكرى مقيدا فى أسماء هذه المواضع وذكر طيئ بن أدد أو ابن ملك بن أدد على الخلاف وملك هو مذحج وسموا مذحجا بأكمة نزلوا اليها من الطأة وهى بعد الذهاب فى الارض قاله ابن جنى ولم يرض قول القتبى انه أول من طوى المناهل لان طيئا مهموز وطويت غير مهموز * وذكر جرش فى مذحج والمعروف أنهم فى حمير وأن مذحج من كهلان بن سبأ ويقال ان الملك كان لكهلان بعد حمير وان ملكه دام ثلثمائة سنة ثم عاد فى بنى حمير قاله المسعودي * وذكر الدارقطنى ان جرش وحرش بالحاء اخوان وانهما ابنا عليم بن جناب الكلبى فهما قبيلان من كلب والله أعلم * وذكر مالك بن نمط الهمدانى وهو أبو ثور يلقب ذا المعشار وهو من بنى خارف وقد قيل انه من يام بن أصى وكلاهما من همدان * وقوله يريش الله فى الدنيا ويبرى هو من رشت السهم وبريته ثم استعير فى النفع والضر قال سويد

فرشنى بخير طال ما قد بريتنى * وخير الموالى من يريش ولا يبرى

فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون (قال ابن هشام) خولان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ويقال خولان بن عمرو بن مرة بن أدد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ ويقال خولان بن عمرو بن سعد العشيرة بن مذحج * قال ابن اسحق وكان لبنى ملكان بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر صنم يقال سعد صخرة بفلاة من أرضهم طويلة فاقبل رجل من بنى ملكان بابل له مؤبلة ليقفها عليه التماس بركته فيما يزعم فلما رأته الابل وكانت مرعية لا تركب وكان يهراق عليه الدماء نفرت منه فذهبت فى كل وجه وغضب ربها الملكانى فاخذ حجرا فرماه به ثم قال لا بارك الله فيك نفرت على ابلى ثم خرج فى طلبها حتى جمعها فلما اجتمعت له قال

أتينا الى سعد ليجمع شملنا * فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد الا صخرة بتنوفة * من الارض لا يدعو لغى ولا رشد

وكان فى دوس صنم لعمرو بن حممة الدوسى (قال ابن هشام) ساذكر حديثه فى موضعه ان شاء الله ودوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحرث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الاسد بن الغوث ويقال دوس بن عبد الله بن زهران بن الاسد بن الغوث * قال ابن اسحق وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر فى جوف الكعبة يقال له هبل (قال ابن هشام) ساذكر حديثه ان شاء الله فى موضعه. قال ابن اسحق واتخذوا اسافا ونائلة على موضع زمزم ينحرون عندهما وكان اساف ونائلة رجلا وامرأة من جرهم هو اساف بن بغى ونائلة بنت ديك فوقع اساف على نائلة فى الكعبة فمسخهما الله حجرين * قال ابن اسحق حدثنى عبد الله بن أبى بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة انها قالت سمعت عائشة رضى الله عنها تقول مازلنا نسمع ان اسافا ونائلة كانا رجلا وامرأة من جرهم أحدثا فى الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين والله أعلم * قال ابن اسحق وقال أبو طالب

وحيث ينيخ الاشعرون ركابهم * بمفضى السيول من اساف ونائل

(قال ابن هشام) وهذا البيت فى قصيدة له ساذكرها فى موضعها ان شاء الله تعالى * قال ابن اسحق واتخذ أهل كل دار فى دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد الرجل منهم سفرا تمسح به حين يركب فكان ذلك آخر ما يصنع حين يتوجه الى سفره واذا قدم من سفره تمسح به فكان ذلك أول ما يبدأ به قبل أن يدخل على أهله فلما بعث الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالتوحيد قالت قريش أجعل الآلهة إلها واحدا ان هذا الشىء عجاب وكانت العرب قد اتخذت مع الكعبة طواغيت وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة لها سدنة وحجاب وتهدى اليها كما تهدى للكعبة وتطوف بها كطوافها بها وتنحر عندها وهى تعرف فضل الكعبة عليها لانها كانت قد عرفت أنها بيت ابراهيم الخليل ومسجده وكانت لقريش وبنى كنانة العزى بنخلة

وذكر حديث الملكانى وقوله * فشتتنا سعد فلا نحن من سعد * ويمتنع فى العربية دخول لا على الابتداء المعرفة والخبر الا مع تكرار لا مثل ان تقول لا زيد فى الدار ولا عمرو وذكر سيبويه قولهم لا نولك ان تفعل وقال انما جاز هذا لان معناه معنى الفعل أى لا ينبغى لك أن تفعل وكذلك ينبغى ان يقال فى بيت الملكانى اى لم يقلها على جهة الخبر ولكن على قصد التبرى منه فكان معنى الكلام فلا نتولى سعدا ولا ندين به فهذا المعنى حسن دخول لا على الابتداء كما حسن لا نولك * وقوله الا صخرة بتنوفة التنوفة القفر وجمعها تنائف بالهمز ووزنها فعولة ولو كانت تفعلة من النوف وهو الارتفاع لجمعت تناوف ولكنه لا يجوز ان يكون تفعلة الا ان تحرك الواو بالضم لئلا يشبه بناء الفعل ولو قيل فيها تنوفة بضم التاء لاحتمل حينئذ أن تكون فعولة أو تفعلة على مثال تنفلة اذ ليس فى الافعال تفعل بالضم وهذا من دقيق علم التصريف * واما ملكان بن كنانة فبكسر الميم قال أبو جعفر بن حبيب النسابة كل شىء فى العرب فهو ملكان بكسر الميم ساكن اللام غير ملكان فى قضاعة وملكان فى السكون فانهما بفتح الميم واللام فملكان قضاعة هو ابن جرم بن زبان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وملكان السكون هو ابن عباد بن عياض بن عقبة بن السكون بن اشرس من كندة وكذلك قال الهمدانى فى ملكان بن جرم وقال مثل غطفان وقال ابن حبيب مشايخ خزاعة يقولون ملكان بفتح اللام قال أبو الوليد يعنى ابن حبيب ملكان بن أفصى بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر وذكر أبو على القالى فى أماليه عن أبى بكر بن الانبارى عن أبيه عن أشياخه ان كل ملكان فى العرب فهو ملكان بكسر الميم الا ملكان فى جرم بن زبان (قال المؤلف) وابن حبيب النسابة مصروف اسم أبيه ورأيت لابن المغربى قال انما هو ابن حبيب بفتح الباء غير مجرى لانها أمه وأنكر ذلك عليه غيره وقالوا هو حبيب بن المحبر معروف غير منكر وانما ذكرناه ها هنا لما حكينا قوله فى ملكان

﴿فصل﴾ وذكر اسافا ونائلة وانهما رجل وامرأة من جرهم وان اسافا وقع عليها فى الكعبة فمسخا وذكر رزين فى فضائل مكة عن بعض السلف قال ما أمهلهما الله الى أن يفجر فيها ولكنه قبلها فمسخا حجرين

وكانت سدنتها وحجابها بنى شيبان من سليم حلفاء بنى هاشم (قال ابن هشام) حلفاء أبى طالب خاصة وسليم سليم بن منصور بن عكرمة بن
خصفة بن قيس بن عيلان * قال ابن اسحق فقال شاعر من العرب   لقد أنكحت أسماء رأس بقيرة * من الادم أهداها امرؤ من بنى غنم
رأى قدعا فى عينها اذ يسوقها * الى غبغب العزى فوسع فى القسم   وكذلك كانوا يصنعون اذا نحروا هديا قسموه فيمن حضرهم
والغبغب المنحر مهراق الدماء (قال ابن هشام) وهذان البيتان لابى خراش (٦٥) الهذلى واسمه خويلد بن مرة فى أبيات
له والسدنة الذين يقومون بامر الكعبة قال رؤبة بن العجاج

فلا ورب الآمنات القطن
بمحبس الهدى و بيت المسدن

وهذان البيتان فى أرجوزة له وسأذكر حديثها ان شاء الله تعالى فى موضعه * قال ابن اسحق وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان سدنتها وحجابها بنى معتب من ثقيف (قال ابن هشام) وسأذكر حديثها ان شاء الله تعالى فى موضعه * قال ابن اسحق وكانت مناة للاوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرب على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد (قال ابن هشام) وقال الكميت بن زيد احد بنى أسد بن خزيمة بن مدركة

وقد آلت قبائل لا تولى * مناة ظهورها متحرفينا

وهذا البيت فى قصيدة له (قال ابن هشام) فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم اليها أبا سفيان بن حرب فهدمها ويقال على بن أبى طالب * قال ابن اسحق وكان ذو الخلصة لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة (قال ابن هشام) ويقال ذو الخلصة قال رجل من العرب

لو كنت يا ذا الخلص الموتورا * مثلى وكان شيخك المقبورا * لم تنه عن قتل العداة زورا

قال وكان أبوه قتل فاراد الطلب بثاره فاتى ذا الخلصة فاستقسم عنده بالازلام فخرج السهم بنهيه عن ذلك فقال هذه الابيات ومن الناس من ينحلها امرأ القيس بن حجر الكندى

(٩ ـ روض ل)

فأخرجا الى الصفا والمروة فنصبا عليهما ليكونا عبرة وموعظة فلما كان عمرو بن لحى نقلهما الى الكعبة ونصبهما على زمزم فطاف الناس بالكعبة وبهما حتى عبدا من دون الله • وأما هبل فان عمرو بن لحى جاء به من هيت وهى من أرض الجزيرة حتى وضعه فى الكعبة • وذكر الواقدى ان نائلة حين كسرها النبى صلى الله عليه وسلم عام الفتح خرجت منها سوداء شمطاء تخمش وجهها وتنادى بالويل والثبور وذكر باقى الحديث وقول عائشة أحدثا فى الكعبة أرادت الحدث الذى هو الفجور كما قال عليه السلام من أحدث حدثا أوآوى محدثا فعليه لعنة الله • وقال عمر حين كانت الزلزلة بالمدينة أحدثتم والله لئن عادت لاخرجن من بين أظهركم وقول أبى طالب من اساف ونائل هو ترخيم فى غير النداء للضرورة كما قال أمال بن حنظل وذكر قول الشاعر * رأى قدعا فى عينها * والقدع ضعف البصر من ادمان النظر * وقوله فى الغبغب وهو المنحر ومراق الدم كانه سمى بحكاية صوت الدم عند انبعاثه ويجوز ان يكون مقلوبا من قولهم بئر بغبغ وبغيبغ اذا كانت كثيرة الماء قال الراجز * بغيبغ قصيرة الرشاء * ومنه قيل لعين أبى نيزر البغيبغة ومعنى هذا البيت الذم وتشبيه هذا المهجو برأس بقرة قد قاربت أن يذهب بصرها فلا تصلح الا للذبح والقسم * وذكر قلسا فى بلاد طيئ بين أجا وسلمى • ويذكر عن ابن الكلبى أو غيره ان أجا اسم رجل بعينه وهو أجا بن عبد الحى وكان فجر بسلمى بنت حام أواتهم بذلك فصلبا فى ذينك الجبلين وعندهما جبل يقال له العرجاء وكانت العرجاء حاضنة سلمى فيما ذكر وكانت السفير بينها وبين اجا فصلبت فى الجبل الثالث فسمى بها * وذكر ذا الخلصة وهو بيت دوس والخلص فى اللغة نبات طيب الريح يتعلق بالشجر له حب كعنب الثعلب وجمع الخلصة خلص وان الذى استقسم بالازلام هو امرؤ القيس بن حجر ووقع فى كتاب أبى الفرج أن امرىء القيس بن حجر حين وترته بنو أسد بقتل أبيه استقسم عند ذى الخلصة بثلاثة أزلام وهى الزاجر والآمر والمتربص فخرج له الزاجر فسب الصنم ورماه بالحجارة وقال له اعضض ببظر أمك * وقال الرجز الذى ذكره ابن اسحق * لو كنت يا ذا الخلص الموتورا * الى آخره ولم يستقسم أحد عند ذى الخلصة بعد حتى جاء الاسلام وموضعه اليوم مسجد جامع لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم ذكره المبرد عن أبى عبيدة واسم امرئ القيس حندج والحندج بقلة تنبت فى الرمل والقيس الشدة والنجدة قال الشاعر

وأنت على الاعداء قيس ونجدة * وأنت على الادنى هشام ونوفل

والنسب اليه مرقسى والى كل امرىء القيس سواه مرئى وقد قيل ان حندجا اسم امرئ القيس بن عابس وله صحبة وهو كندى مثل الاول فوقع الغلط من ههنا * وقوله * لم تنه عن قتل العداة زورا * نصب زورا على الحال من المصدر الذى هو النهى أراد نهيا زورا وانتصاب المصدر على هذه الصورة انما هو حال أو مفعول مطلق فاذا حذفت المصدر وأقمت الصفة مقامه لم تكن الا حالا والدليل على ذلك انك تقول سار روا شديدا

فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم جرير بن عبد الله البجلي فهدمه * قال ابن اسحق وكانت قلس لطيء ومن يليها بجبلي طيء بين سلمى وأجا (قال ابن هشام) فحدثني بعض اهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث اليها علي بن أبي طالب فهدمها فوجد فيها سيفين يقال لاحدهما الرسوب وللآخر المخذم فأتى بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فوهبهما له فهما سيفا علي رضي الله عنه * قال ابن اسحق وكان لحمير واهل اليمن بيت بصنعاء يقال له رئام (قال ابن هشام) قد ذكرت حديثه فيما مضى * قال ابن اسحق وكانت رضاء بيتا لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ولها يقول المستوغر بن ربيعة بن كعب بن سعد حين هدمها في الاسلام

ولقد شددت على رضاء شدة * فتركتها قفرا بقاع أسحما

(قال ابن هشام) قوله فتركتها قفرا بقاع أسحما عن رجل من بني سعد ويقال ان المستوغر عمر ثلثمائة سنة وثلاثين سنة وكان أطول مضر كلها عمرا وهو الذي يقول

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وعمرت من عدد السنين مئينا

مائة حدتها بعدها مائتان لي * وازددت من عدد الشهور سنينا

هل ما بقي الا كما قد فاتنا * يوم يمر وليلة تحدونا

وبعض الناس يروي هذه الابيات لزهير بن جناب الكلبي

وساروا رويدا فان رددته الى ما لم يسم فاعله لم يجز رفعه لانه حال ولو لفظت بالمصدر فقلت ساروا سيرا رويدا لجاز أن تقول فيما لم يسم فاعله سير عليه سير رويد هذا كله معنى قول سيبويه فدل على أن حكمه اذا لفظ به غير حكمه اذا حذف والسر في ذلك ان الصفة لا تقوم مقام المفعول اذا حذف لا تقول كلمت شديدا ولا ضربت طويلا يقبح ذلك اذا كانت الصفة عامة والحال ليست كذلك لانها تجري مجرى الظرف وان كانت صفة فموصوفها معها وهو الاسم الذي هي حال له ومن هذا الباب قوله تعالى «أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا» وذكر بعث جرير البجلي الى هدم ذي الخلصة وذلك قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بشهرين أو نحوهما قال جرير بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم في مائة وخمسين راكبا من أحمس الى ذي الخلصة فقلت يا رسول الله اني لا أثبت على الخيل فدعا لي وقال اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا وفي كتاب مسلم في هذا الحديث وكان يقال له الكعبة اليمانية والشامية وهذا مشكل ومعناه كان يقال الكعبة اليمانية والشامية يعنون بالشامية البيت الحرام فزيادة له سهو وباسقاطه يصح المعنى قاله بعض المحدثين والحديث في جامع البخاري بزيادة له كما في صحيح مسلم وليس هذا عندي بسهو وانما معناه كان يقال له أي يقال من أجله الكعبة الشامية للكعبة وهو الكعبة اليمانية وله بمعنى من أجله لا تنكر كما قال ابن أبي ربيعة

وقميرٌ بدا ابن خمس وعشرين * له قالت الفتاتان قوما

وذو الخلصة بضم الخاء واللام في قول ابن اسحق وبفتحهما في قول ابن هشام وهو صنم سيعبد في آخر الزمان ثبت في الحديث انه لا تقوم الساعة حتى تصطفق أليات نساء دوس وخثعم حول ذي الخلصة

﴿فصل﴾ وذكر المستوغر بن ربيعة واسمه كعب قال ابن دريد سمي مستوغرا بقوله

ينش الماء في الربلات منه * نشيش الرضف في اللبن الوغير

والوغير فعيل من وغرة الحر وهي شدته وذكر القتبي أن المستوغر حضر سوق عكاظ ومعه ابن ابنه وقد هرم والجد يقوده فقال له رجل ارفق بهذا الشيخ فقد طال ما رفق بك فقال ومن تراه فقال هو أبوك أو جدك فقال ما هو الا ابن ابني فقال ما رأيت كاليوم ولا المستوغر بن ربيعة فقال أنا المستوغر والابيات التي أنشدها له

ولقد سئمت من الحياة وطولها * وعمرت من عدد السنين مئينا

الى آخرها ذكر انها تروى لزهير بن جناب الكلبي وهو زهير بن جناب بن هبل بن عبد الله بن كنانة بن بكر ابن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة وزهير هذا من المعمرين وهو الذي يقول

أبني ان أهلك فاني * قد بنيت لكم بنيه

وتركتكم أولاد سادا * ت زنادهم وريه

من كل ما نال الفتى * قد نلته الا التحيه

يريد بالتحية البقاء وقيل الملك وأعقب هو واخوته قبائل في كلب وهم زهير وعدي وحارثة ومالك ويعرف مالك هذا بالاصم لقوله

أصم عن الخنا ان قيل يوما * وفي غير الخنا ألفى سميعا

وأخوه حارثة بن جناب وعليم بن جناب ومن بني عليم بنو زيد غير مصروف عرفوا بأمهم زيد بنت مالك وهم بنو كعب بن عليم منهم الرباب بنت امرئ القيس أم سكينة امرأة الحسين بن علي وفيها يقول

أحب

أحب لحبها زيدا جميعا * ونثلة كلها و بنى الرباب
وأخرى لانها من آل لام * أحبهم وطرّ بنى جناب

فمن المعمرين من العرب سوى المستوغر ممازادوا على المائتين والثلاثمائة زهير هذا وعبيد بن شرية ودغفل بن حنظلة النسابة والربيع بن ضبع الفزارى وذو الاصبع العدوانى ونصر بن دهمان بن أشجع ابن ريث بن غطفان وكان قد اسود رأسه بعد ابيضاضه وتقوم ظهره بعد انحنائه وفيه يقول القائل

لنصر بن دهمان الهنيدة عاشها * وتسعين حولا ثم قوم فانصاتا
وعاد سواد الرأس بعد ابيضاضه * ولا كنه من بعد ذلك قد ماتا

وأمره عند العرب من أعجب العجب ومن أطول المعمرين عمرا ذويد واسمه زيد بن نهد من قضاعة وأبوه نهد اليه ينسب الحى المعروفون من قضاعة بنو نهد بن زيد عاش ذويد أربعمائة عام فيما ذكروا وكان له آثار فى العرب ووقائع وغارات فلما جاء الموت قال

اليوم يبنى لذويد بيته * ومغنم يوم الوغا حويته
ومعصم موشم لويته * لو كان للدهر بلى أبليته
* أو كان قرنى واحدا كفيته *

وقول المستوغر

ولقد شددت على رضاء شدة * فتركتها قفرا بقاع أسحما

يريد تركتها سحما من آثار النار وبعده

وأعان عبد الله فى مكروهها * وبمثل عبد الله أغشى المحرما

ذكرذا الكعبات بيت وائل وأنشد للاسود بن يعفر

أرض الخورنق والسدير ودارم * والبيت ذى الشرفات من سنداد

والخورنق قصر بناه النعمان الاكبر ملك الحيرة لسابور ليكون ولده فيه عنده وبناه بنيانا عجيبا لم تر العرب مثله واسم الذى بناه له سنمار وهو الذى ردى من أعلاه حتى قالت العرب جزانى جزاء سنمار وذلك انه لما تم الخورنق وعجب الناس من حسنه قال سنمار أما والله لو شئت حين بنيته جعلته يدور مع الشمس حيث دارت فقال له الملك أانك لتحسن أن تبنى أجمل من هذا وغارت نفسه أن يبتنى لغيره مثله وأمر به فطرح من أعلاه وكان بناه فى عشرين سنة قال الشاعر

جزانى جزاه الله شر جزائه * جزاء سنمار وما كان ذا ذنب
سوى رصفه البنيان عشرين حجة * يعد عليه بالقراميد والسكب
فلما انتهى البنيان يوما تمامه * وآض كمثل الطود والباذخ الصعب
رمى بسنمار على حق رأسه * وذاك لعمر الله من أقبح الخطب

ذكر هذا الشعر الجاحظ فى كتاب الحيوان والسنمار من أسماء القمر وأول شعر الاسود

* ذهب الرقاد فما أحس رقادى * وفيها يقول

ولقد عمرت وان تطاول فى المدى * ان السبيل سبيل ذى الاعواد

قيل يريد بالاعواد النعش وقيل أراد عامر بن الظرب الذى قرعت له العصا بالعود من الهرم والخرف وفيها يقول

* قال ابن اسحق وكان ذو الكعبات لبكر وتغلب بنى وائل واياد بسنداد وله يقول أعشى بنى قيس بن ثعلبة

بين الخورنق والسدير وبارق
والبيت ذى الشرفات من سنداد

(قال ابن هشام) وهذا البيت للاسود بن يعفر النهشلى نهشل بن دارم ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم فى قصيدة له وأنشدنيه ابو محرز خلف الاحمر

أهل الخورنق والسدير وبارق * والبيت ذى الشرفات من سنداد

﴿أمر البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى﴾

* قال ابن اسحق فاما البحيرة فهى بنت السائبة والسائبة الناقة اذا تابعت بين عشر اناث ليس بينهن ذكر سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف فما نتجت بعد ذلك من أنثى شقت اذنها ثم خلى سبيلها مع أمها فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الا ضيف كما فعل بامها فهى البحيرة بنت السائبة * والوصيلة الشاة اذا أتأمت عشر اناث متتابعات فى خمسة أبطن ليس بينهن ذكر جعلت وصيلة قالوا قد وصلت فكان ماولدت بعد ذلك للذكور منهم دون اناثهم الا أن يموت منها شىء فيشتركوا فى أكله ذكورهم واناثهم (قال ابن هشام) ويروى فكان ماولدت بعد ذلك لذكور بنيهم دون بناتهم * قال ابن اسحق والحامى الفحل اذا انتج له عشر اناث متتابعات ليس بينهن ذكر حمى ظهره فلم يركب ظهره ولم يجز وبره وخلى فى ابله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك (قال ابن هشام) وهذا عند العرب على غير هذا الا الحامى فانه عندهم على ماقال ابن اسحق * والبحيرة عندهم الناقة تشق اذنها فلا يركب ظهرها ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها الا ضيف أو يتصدق به ونهمل لآلهتهم والسائبة التى ينذر الرجل أن يسيبها ان برئ من مرضه أو ان أصاب أمرا يطلبه فاذا كان ذلك أساب ناقة من ابله أو جملا لبعض آلهتهم فسابت فرعت لا ينتفع بها * والوصيلة التى تلد أمها اثنين فى كل بطن فيجعل صاحبهما لآلهته الاناث منها ولنفسه الذكور فتلدها أمها ومعها ذكر فى بطن فيقولون وصلت أخاها فيسيب أخوها معها فلا ينتفع به (قال ابن هشام) حدثنى به يونس بن حبيب النحوى وغيره روى الرواية بعض * قال ابن اسحق فلما بعث الله تبارك وتعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم أنزل عليه ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون وأنزل الله تعالى وقالوا مافى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم وأنزل عليه قل أرأيتم ماأنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون وأنزل عليه من الضأن اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين نبئونى بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الانثيين أما اشتملت عليه أرحام الانثيين أم كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدى القوم الظالمين (قال ابن هشام) قال الشاعر

ماذا أؤمل بعد آل محرق * تركوا منازلهم وبعد اياد

نزلوا بانقرة يسيل عليهم * ماء الفرات يجىء من أطواد

أرض الخورناق والسدير وبارق * والبيت ذى الكعبات من سنداد

جرت الرياح على محل ديارهم * فكانما كانوا على ميعاد

وأرى النعيم وكل مايلهى به * يوما يصير الى بلى ونفاد

ومعنى السدير بالفارسية بيت الملك يقولون له سهدلى أى له ثلاث شعب وقال البكرى سمى السدير لان الاعراب كانوا يرفعون أبصارهم اليه فتسدر من علوه يقال سدر بصره اذا تحير

﴿فصل﴾ وذكر البحيرة والسائبة وفسر ذلك وفسره ابن هشام بتفسير آخر وللمفسرين فى تفسيرهما أقوال منها مايقرب ومنها مايبعد من قولهما وحسبك منها ماوقع فى الكتاب لانها أمور كانت فى الجاهلية قد أبطلها الاسلام فلا تمس الحاجة الى علمها * وذكر ماأنزل الله فى ذلك منها قوله تعالى «خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا» وفيه من الفقه الزجر عن التشبه بهم فى تخصيصهم الذكور دون الاناث بالهبات روت عمرة عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يعمد أحدكم الى المال فيجعله عند ذكور ولده ان هذا الا كما قال الله تعالى «وقالوا مافى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا» رواه البخارى فى التاريخ من حديث سليمان بن حجاج وأنشد فى البحيرة

فيه من الاخرج المرباع قرقرة * هدر الديافى وسط الهجمة البحر

هكذا الرواية المرباع بالباء من الربيع والمرباع هو الفحل الذى يبكر بالالقاح ويقال للناقة أيضا مرباع اذا بكرت بالنتاج والروضة اذا بكرت بالنبات يصف فى هذا البيت حمار وحش يقول فيه من الاخرج وهو الظليم الذى فيه بياض وسواد أى فيه منه قرقرة أى صوت وهدر مثل هدر الديافى أى الفحل المنسوب الى دياف بلد بالشام والهجمة من الابل دون المائة وجعلها بحرا لانها تأمن من الغارات يصفها بالمنعة والحماية كما تأمن البحيرة من أن تذبح أو تنحر ورأيت فى شعر ابن مقبل من الاخرج المرياع بالياء أخت الواو وفسره فى الشرح من راع يريع اذا أسرع الاجابة كما قال طرفة * تريع الى صوت المهيب وتتقى * والنفس الى

حول الفصائل فى شريف حقة * والحاميات ظهورها والسيب وقال تميم بن مقبل أحد بنى عامر بن صعصعة

فيه من الاخرج المرباع قرقرة * هدر الديانى وسط الهجمة البحر وهذا البيت فى قصيدة له وجمع بحيرة بحائر وبحر وجمع وصيلة

وصائل ووصل وجمع سائبة الاكثر سوائب وسيب وجمع حام الاكثر حوام * قال ابن اسحق وخزاعة تقول نحن بنو عمرو بن عامر من

اليمن « قال ابن هشام » وتقول خزاعة نحن بنو عمرو بن ربيعة بن حارثة بن (٦٩) عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس

ابن ثعلبة بن مازن بن الاسد بن الغوث وخندف أمنا فيما حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم ويقال خزاعة بنو حارثة بن عمرو ابن عامر وانما سميت خزاعة لانهم تخزعوا من ولد عمرو بن عامر حين أقبلوا من اليمن يريدون الشام فنزلوا بمر الظهران فأقاموا بها * قال عوف ابن أيوب الانصارى أحد بنى عمرو بن سواد ابن غنم بن كعب بن سلمة ابن الخزرج فى الاسلام

فلما هبطنا بطن مر تخزعت
خزاعة منا فى خيول كراكر

حمت كل واد من تهامة واحتمت
بصم القنا والمرهفات البواتر

وهذان البيتان فى قصيدة له * وقال أبو المطهر اسمعيل بن رافع الانصارى أحد بنى حارثة بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الاوس

فلما هبطنا بطن مكة أحمدت * خزاعة دار الآكل المتحامل

فحلت أكاريسا وشتت قنابلا * على كل حى بين نجد وساحل

نفوا جرهما عن بطن مكة واحتبوا * بعز خزاعى شديد الكواهل

(قال ابن هشام) وهذه الابيات فى قصيدة له وأنا ان شاء الله أذكر نفيها جرهم فى موضعه * قال ابن اسحق فولد مدركة بن الياس رجلين خزيمة بن مدركة وهذيل بن مدركة وأمهما امرأة من قضاعة فولد خزيمة بن مدركة أربعة نفر كنانة بن خزيمة وأسد بن خزيمة وأسدة بن خزيمة والهون بن خزيمة فأم كنانة عوانة

الرواية الاولى أسكن وحكى عن ابن قتيبة انه قال فى البحر هى الغزيرات اللبن لا جمع بحيرة كانها جمع بحور عنده فظن هذا يذهب المعنى الذى ذكرنا من أمنها ومنعتها اذ ليس هذا المعنى فى الغزيرات اللبن لكنه أظهر فى العربية لان بحيرة فعيلة وفعيلة لا تجمع على فعل الا أن تشبه بسفينة وسفن وخريدة وخرد وهو قليل وقبل البيت فى وصف روض

بعازب النبت يرتاح الفؤاد له * رأد النهار لاصوات من النغر

وبعد البيت الواقع فى السيرة

والازرق الاخضر السربال منتصب * قيد العصا فوق ذبال من الزهر

يعنى بالازرق ذباب الروض وكذلك النغر * وقوله فى البيت الآخر حول الوصائل جمع حائل ويقال فى جمعها أيضا حوال ومثله عائط وعوطط على غير قياس والشريف اسم موضع * وقوله فى نسب خزاعة تقول خزاعة نحن بنو عمرو بن عامر الى آخر النسب وقد تقدم أن عمرا يقال له مزيقياء * وأما عامر فهو ماء السماء سمى بذلك لجوده وقيامه عندهم مقام الغيث وحارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة وهو الغطريف وقول عون لما هبطنا بطن مر يريد مر الظهران وسمى مرا لان فى عرق من الوادى من غير لون الارض شبه الميم الممدودة وبعدها راء خلقت كذلك ويذكر عن كثير انه قال سميت مر لمرارتها ولا أدرى ما صحة هذا فلما هبطنا بطن مر البيتين وبعدهما

خزاعتنا أهل اجتهاد وهجرة * وأنصارنا جند النبى المهاجر

وسرنا الى أن قد نزلنا بيثرب * بلا وهن منا وغير تشاجر

وسارت لنا سيارة ذات منظر * بكوم المطايا والخيول الجماهر

يؤمون أهل الشام حين تمكنوا * ملوكا بارض الشام فوق البرابر

أولاك بنو ماء السماء توارثوا * دمشقا بملك كابرا بعد كابر

الحلول جمع حال والكراديس جمع كردوس الخيل(1) * وقوله دمشقا سميت مدينة الشام باسم الرجل الذى هاجر اليها مع ابراهيم وهو دامشق بن النمروذ بن كنعان أبوه الملك الكافر عدو ابراهيم وكان ابنه دامشق قد آمن بابراهيم وهاجر معه الى الشام كذلك ذكر بعض النساب وذكره البكرى فى كتاب المعجم والدمشق فى اللغة الناقة المسنة فيما ذكر بعضهم وكان يقال لدمشق أيضا جيرون سميت باسم الذى بناها وهو جيرون بن سعد وفيها يقول أبو ذهبل

صاح حيا الاله حيا ودارا * عند شرق القناة من جيرون

* وذكر بنى كنانة الاربعة مالكا وملكان والنضر وعبد مناة وزاد الطبرى فى ولد كنانة عامرا والحارث والنضير وغنما وسعدا وعوفا وجرول والجرال وغزوان كلهم بنو كنانة

(1) كذا وقع فى الاصل وكانه فسر به شيئا تقدم فليحرر

بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر « قال ابن هشام » ويقال الهون بن خزيمة * قال ابن اسحق فولد كنانة بن خزيمة أربعة نفر النضر بن كنانة ومالك بن كنانة وعبد مناة بن كنانة وملكان بن كنانة فأم النضر برة بنت مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وسائر بنيه لامرأة أخرى « قال ابن هشام » أم النضر ومالك وملكان برة بنت مر وأم عبد مناة هالة بنت سويد بن الغطريف من أزدشنوءة وشنوءة عبد الله بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الاسد بن الغوث وانما سموا شنوءة لشنآن كان بينهم والشنآن البغض « قال ابن هشام » النضر قريش فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي وقال جرير بن عطية أحد بني كليب بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة ابن تميم يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان

فما الام التى ولدت قريشا بمقرفة النجار ولا عقيم

وما قرم بأنجب من أبيكم وما خال بأكرم من تميم

يعنى برة بنت مر أخت تميم ابن مر أم النضر وهذان البيتان فى قصيدة له ويقال فهر بن مالك قريش فمن كان من ولده فهو قرشي ومن لم يكن من ولده فليس بقرشي وانما سميت قريش قريشا من التقرش والتقرش التجارة والاكتساب قال رؤبة بن العجاج

قد كان يغنيهم عن الشغوش والخشل من تساقط القروش * شحم ومحض ليس بالمغشوش *

« قال ابن هشام » والشغوش قمح يسمى الشغوش والخشل رؤس الخلاخيل والاسورة ونحوه والقروش التجارة والاكتساب يقول قد كان يغنيهم عن هذا شحم ومحض والمحض اللبن الحليب الخالص وهذه الابيات فى أرجوزة له وقال أبو جلدة اليشكرى ويشكر بن بكر ابن وائل

اخوة قرشوا الذنوب علينا * فى حديث من عمرنا وقديم

وهذا البيت فى أبيات له * قال ابن اسحق ويقال انما سميت قريش قريشا لتجمعها من بعد تفرقها يقال للتجمع التقرش * فولد النضر بن كنانه رجلين مالك بن النضر ويخلد بن النضر فأم مالك

﴿ فصل ﴾ وذكر النضر بن كنانة وقول من قال انه قريش والقول الآخر فى أن فهرا هو قريش وقد قيل ان فهرا لقب واسمه الذى سمى به قريش * وأما مخلد بن النضر فذكر أبو عبد الله الزبير بن بكار فى أنساب قريش له قال قال عمى وأما بنو يخلد بن النضر فذكر فى بنى عمرو بن الحارث بن مالك بن كنانة ومنهم قريش ابن بدر بن يخلد بن النضر وكان دليل بنى كنانة فى تجاراتهم فكان يقال قدمت عير قريش فسميت قريش به وأبوه بدر بن يخلد صاحب بدر الموضع الذى لقى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشا وقال عن غير عمه قريش بن الحارث بن يخلد وابنه بدر الذى سميت به بدر وهو احتفرها قال وقد قالوا اسم فهر بن ملك قريش ومن لم يلده فهر فليس من قريش وذكر عن عمه ان فهرا هو قريش . وقال أبو عبد الله حدثنى عمرو بن أبى بكر المؤملى عن جدى عبد الله بن مصعب رحمه الله انه سمعه يقول اسم فهر بن مالك قريش وانما فهر لقب وكذلك حدثه المؤملى عن عثمان بن أبى سليمان فى اسم فهر بن مالك انه قريش ومثل ذلك ذكر عن المؤملى عن أبى عبيدة بن عبد الله فى اسم فهر بن مالك انه قريش قال وحدثنى ابراهيم بن المنذر وقال حدثنا أبو البخترى وهب بن وهب قال حدثنى ابن أخى ابن شهاب عن عمه ان اسم فهر بن مالك الذى أسمته أمه قريش وانما نبزته فهرا كما يسمى الصبي غرارة وشملة وأشباه ذلك قال قال وقد اجتمع النساب من قريش وغيرهم ان قريشا انما تفرقت عن فهر والذى عليه من أدركته من نساب قريش وغيرهم ان ولد فهر بن مالك قريش وان من جاوز فهر بن مالك بنسبة فليس من قريش * وذكر عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى فيما حدثه أبو الحسن الاثرم عنه ان النضر بن كنانة هو قريش * وذكر عنه انه قال فى موضع آخر ولد مالك بن النضر فهرا وهو جماع قريش وقال قال محمد بن حسن عن نصر بن مزاحم عن عمرو بن محمد عن الشعبى قال النضر بن كنانة هو قريش وانما سمى قريشا لانه كان يقرش عن خلة الناس وحاجتهم فيسدها بماله والتقريش هو التفتيش وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيرفدونهم بما يبلغهم فسموا بذلك من فعلهم وقرشهم قريشا . وقد قال الحارث بن حلزة فى بيان القرش

أيها الناطق المقرش عنا * عند عمرو فهل له انقاء

وحدثه أبو الحسن الاثرم عن أبى عبيدة معمر بن المثنى قال منتهى من وقع عليه اسم قريش النضر وكنانة فولده قريش دون سائر بنى كنانة بن خزيمة بن مدركة وهو عامر بن الياس بن مضر فأما من ولد كنانة سوى النضر فلا يقال لهم قريش وانما سمى بنو النضر قريشا لتجمعهم لان التقرش هو التجمع قال وقال بعضهم التجار يتقارشون يتجرون والدليل على اضطراب هذا القول ان قريشا لم يجتمعوا حتى جمعهم قصى بن كلاب فلم يجمع الا ولد فهر بن مالك لا مرية عند أحد فى ذلك وبعد هذا فنحن أعلم بامورنا وأرعى لمآثرنا وأحفظ لاسمائنا لم نعلم ولم ندع قريشا ولم تهمم الا ولد فهر بن مالك (قال المؤلف) فى جميع هذا الكلام من قول الزبير وما حكاه عن النسابين نقلته من كتاب الشيخ أبى بحر رحمه الله ثم ألفيته فى كتاب الزبير كما ذكر

عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان ولا أدرى أهى أم بخلد أم لا « قال ابن هشام » والصلت بن النضر فيما قال أبو عمرو المدنى وأمهم جميعا بنت سعد بن ظرب العدوانى وعدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان قال كثير بن عبد الرحمن وهو كثير عزة أحد بنى مليح بن عمرو من خزاعة

أليس أبى بالصلت أم ليس اخوتى * لكل هجان من بنى النضر أزهرا
رأيت ثياب العصب مختلط السدى * بناو بهم والحضرمى المخصرا
فان لم تكونوا من بنى النضر فاتركوا * أرا كا بأذناب الفوائج أخضرا

قال وهذه الابيات فى قصيدة له والذين يعزون الى الصلت بن النضر من خزاعة بنو مليح بن عمرو رهط كثير عزة * قال ابن اسحق فولد مالك بن النضر فهر بن مالك وأمه جندلة بنت الحرث بن مضاض الجرهمى « قال ابن هشام » وليس بابن مضاض الاكبر * قال ابن اسحق فولد فهر ابن مالك أربعة نفر غالب ابن فهر ومحارب بن فهر والحرث بن فهر وأسد بن فهر وأمهم ليلى بنت سعد ابن هذيل بن مدركة « قال ابن هشام » وجندلة بنت فهر وهى أم يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد بن مناة بن تميم وأمها ليلى بنت سعد قال جرير بن عطية بن الخطفى واسم الخطفى حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع بن حنظلة

واذا غضبت رمى ورائى بالحصا * ابناء جندلة كخير الجندل

وهذا البيت فى قصيدة له * قال ابن اسحق فولد غالب بن فهر رجلين لؤى ابن غالب وتيم بن غالب وأمهما سلمى بنت عمرو الخزاعى وتيم بن غالب الذين يقال لهم بنو الادرم « قال ابن هشام » وقيس ابن غالب وأمه سلمى بنت كعب بن عمرو الخزاعى وهى أم لؤى وتيم بنى غالب * قال ابن اسحق فولد لؤى بن غالب أربعة نفر كعب بن لؤى وعامر بن لؤى وسامة بن لؤى وعوف بن لؤى فأم كعب وعامر وسامة ماوية بنت كعب بن القين بن جسر من قضاعة « قال ابن هشام » ويقال والحرث بن لؤى وهم جشم بن الحرث فى هزان من ربيعة قال جرير

بنى جشم لستم لهزان فانتموا * لأعلى الروابى من لؤى بن غالب
ولا تنكحوا فى آل ضور نساءكم * ولا فى شكيس بئس مثوى الغرائب

ورأيت لغيره أن قريشا تصغير القرش وهو حوت فى البحر يأكل حيتان البحر سميت به القبيلة أو سمى به أبو القبيلة والله أعلم ورد الزبير على ابن اسحق فى انها سميت قريشا لتجمعها وانه لا يعرف قريش الا فى بنى فهر ردا لا يلزم لان ابن اسحق لم يقل انهم بنو قصى خاصة وانما أراد انهم سموا بهذا الاسم مذ جمعهم قصى وكذا قال المبرد فى المقتضب ان هذه التسمية انما وقعت لقصى والله أعلم غير أنا قدمنا فى قول كعب بن لؤى ما يدل على انها كانت تسمى قريشا قبل مولد قصى وهو قوله * اذا قريش تبغى الحق خذلانا * وذكر قول رؤبة * قد كان يغنيهم عن الشغوش * وفسره ضرب من القمح وفسر الخشل رؤس الخلاخيل . وفى حاشية الشيخ عن أبى الوليد قال انما الخشل المقل والقروش ما تساقط من حتاته وتقشر منه وأنشد لكثير بن عبد الرحمن * أليس أبى بالصلت أم ليس اخوتى * البيت وبعده

رأيت ثياب العصب مختلط السدى * بناو بهم والحضرمى المخصرا

والعصب برود اليمن لانها تصبغ بالعصب ولا ينبت العصب ولا الورس الا باليمن وكذلك اللبان قاله أبو حنيفة يريد أن قدودنا من قدودهم فسدى أثوابنا تختلط بسدى أثوابهم والحضرمى النعال المخصرة التى تضيق من جانبيها كانها ناقصة الخصرين كما يقال رجل مبطن أى ضامر البطن وجاء فى صفة نعل النبى صلى الله عليه وسلم انها كانت معقبة مخصرة ملسنة مخزمة والمخزمة التى لها خزمة وهو كالتحدير فى مقدمها وكانت نعله عليه السلام من سبت ولا يكون السبت الا من جلد بقر مدبوغ * قاله أبو حنيفة عن الاصمعى وأبى زيد * وذكر قول جرير بن الخطفى

يرفعن بالليل اذا ما أسدفا * أعناق جنان وهاما رجفا * وعنقا باقى الرسيم خيطفا

والخيطفة سرعة فى العدو فاذا وصفت به العنق والجرى قلت عنق خيطف واذا سميت به الرجل قلت خطفى وكذلك ان جعلته اسما للمشية فهو مثل الجمزى والبشكى * وقوله وتيم بن غالب وهم بنو الادرم والادرم المدفون الكعبين من اللحم يقال امرأة درماء وكعب أدرم قال الراجز

قامت تريه خشية ان تصرما * ساقا بخنداة وكعبا أدرما
* وكفلا مثل النقا أو أعظما *

والادرم أيضا المنقوض الذقن وكان تيم بن غالب كذلك فسمى الادرم قاله الزبير وبنو الادرم هؤلاء هم أعراب مكة وهم من قريش الظواهر لا من قريش البطاح وكذلك بنو محارب بن فهر وبنو معيص بن عامر * وذكر بنى لؤى فقال أم عامر ماوية بنت كعب بن القين سميت بالماوية وهى المرآة كانها نسبت الى الماء لصفائها وقلبت همزة الماء واوا وكان القياس أن تقلب هاء فيقال ماهية ولكن شبهوها بالهمزة فيه منقلبة عن ياء أو واو لما كان حكم الهاء أن لا تهمز فى هذا الموضع فلما شابهت بحروف المد واللين

وسعد بن لؤى وهما بنانة فى شيبان بن (٧٢) ثعلبة بن عكامة بن صعب بن على بن بكر بن وائل من ربيعة و بنانة حاضنة لهم من بنى القين

ابن جسر بن شيع الله ويقال سبيع الله بن الاسد ابن وبرة بن ثعلبة بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة ويقال بنت النمر بن قاسط من ربيعة ويقال بنت جرم بن ربان ابن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وخزيمة ابن لؤى بن غالب وهم عائذة فى شيبان بن ثعلبة وعائذة امرأة من اليمن وهى أم بنى عبيد بن خزيمة بن لؤى وأم بنى لؤى كلهم الا عامر بن لؤى ماوية بنت كعب بن القين بن جسر وأم عامر بن لؤى مخشية بنت شيبان بن محارب بن فهر ويقال ليلى بنت شيبان بن محارب بن فهر

﴿ أمر سامة ﴾

* قال ابن اسحق فأما سامة بن لؤى فخرج الى عمان وكان بها ويزعمون ان عامر بن لؤى أخرجه وذلك انه كان بينهما شئ ففقأ سامة عين عامر فأخافه عامر فخرج الى عمان فيزعمون ان سامة بن لؤى بينا هو يسير على ناقته اذ وضعت رأسها ترتع فأخذت حية بمشفرها فهصرتها حتى وقعت الناقة لشقها ثم نهشت سامة فقتلته فقال سامة حين أحس بالموت فيما يزعمون

عين فابكى لسامة بن لوى * علقت مابسامة العلاقه لا أرى مثل سامة بن لؤى

فهمزوها لذلك اطرد فيها ذلك الشبه ويحتمل اسم المرأة ان يكون من أويته اذا ضممته اليك يقال أويت مثل ضممت وأويته مثل أذيته ثم يقال فى المفعول من أويته على وزن فعلت مأوى والمرأة مأوية ثم تسهل الهمزة فتكون ألفا ساكنة وخالفه ابن هشام فى أم عامر فقال مخشية بنت شيبان بن محارب بن فهر وماوية أم سائر بنيه غير عامر * وذكر سعد بن لؤى وانهم بنانة فى شيبان عرفوا بحاضنة لهم اسمها بنانة وكان بنو ضبيعة قد ادعوهم وهو ضبيعة أضجع بن ربيعة لا ضبيعة بن أقيش بن ثعلبة فلما كان زمن عمر قدموا عليه وفيهم سيد لهم يقال له أبو الدهماء فكلم أبو الدهماء عمر أن يلحقهم بقريش فانكر عمر ذلك فاخبره عثمان عن أبيه عفان انه حدثه بصحة نسبهم الى قريش وسبب خروجهم عنهم فواعدهم ان يأتوا العام القابل فيلحقهم فقتل أبو الدهماء عند انصرافه وشغلوا بأمره حتى مات عمر فالحقهم عثمان بقريش فلما كان على نفاهم عن قريش وردهم الى شيبان فقال شاعر

ضرب التجيبى المضلل ضربة * ردت بنانة فى بنى شيبانا
والعائذى لمثلها متوقع * لما يكن وكأنه قد كانا

لخصت هذا الخبر من حديث ذكره البرقى عن ابن الكلبى والبنانة فى اللغة الرائحة الطيبة . وقال أبو حنيفة البنانة الروضة المعشبة الحالية أى قد حليت بالزهر وذكر خزيمة بن لؤى وانهم انتسبوا فى شيبان ويعرفون بامهم عائذة قال وعائذة من اليمن وقال غيره هى بنت الخمس بن قحافة من خثعم ولدت لعبيد بن خزيمة مالكا وحارثا فهم بنو خزيمة عائذة ومن بنى خزيمة أيضا بنو حرب بن خزيمة قتلتهم المسودة فى قريتهم بالشام وهم يحسبونهم بنى حرب بن أمية * وذكر بنت جرم بن زبان وبنت جرم هى ناجية واسمها ليلى وجرم أبو جدة الذى نزل جدة من ساحل الحجاز فعرفت به كما عرفت كثير من البلاد بمن نزلها من الرجال وقد تقدم طرف من ذلك وسيأتى فى الكتاب كثير ان شاء الله تعالى وربان هو علاف الذى تنسب اليه الرحال العلافية * وذكر سعد بن ذبيان وقصته مع عوف بن لؤى وذبيان بن بغيض بكسر الذال وضمها والكسر أفصح وهم أربعة أحياء من العرب ذبيان بن بغيض فى قيس وذبيان بن ثعلبة فى بجيلة وذبيان فى قضاعة وذبيان فى الازد . وذكر ابن دريد فى كتاب اشتقاق الاسماء له ان ذبيان فعلان من ذبى العود يذبى يقال ذبى العود وذوى بمعنى واحد * وذكر حديث سامة بن لؤى حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد بنيه فانتسب له الى سامة فقال له عليه السلام ألشاعر بخفض الراء من ألشاعر كذا قيده أبو بحر على أبى الوليد بالخفض وهو الصحيح لانه مردود على ما قبله كانه مقتضب من كلام المخاطب وان كان الاستفهام لا يعمل ما قبله فيما بعده ولكن العامل مقدر بعد الالف فاذا قال لك القائل قرأت على زيد مثلا فقلت ألعالم بالاستفهام كانك قلت له أعلى العالم ونظيره هذا الف الانكار اذا قال القائل مررت بزيد فانكرت عليه فقلت أزيدنيه بخفض الدال وبالنصب اذا قال رأيت زيدا قلت أزيدنيه وكذلك الرفع ومن بنى سامة هذا محمد بن عرعرة بن اليزيد شيخ البخارى وبنو سامة بن لؤى زعم بعض النساب انهم أدعياء وان سامة لم يعقب وقال الزبير ولد سامة غالبا والنبيت والحارث وأم غالب ناجية بنت جرم بن زبان واسمها ليلى سميت ناجية لانها عطشت بارض فلاة فجعل زوجها يقول لها انظرى الى الماء وهو يريها السراب حتى نجت فسميت ناجية واليها ينسب أبو الصديق الناجى الذى يروى عن أبى سعيد الخدرى وأبو المتوكل الناجى وكثيرا ما يخرج عنه الترمذى وكان بنو سامة بالعراق أعداء لعلى رحمه الله والذين خالفوا عليا منهم بنو عبد البيت ومنهم على بن الجهم الشاعر قيل انه كان يلعن أباه لما سماه عليا بغضا منه فى على رحمه الله ذكره المسعودى

يوم حلوا به قبيلا لناقه بلغا عامراً وكعباً رسولا * أن نفسي إليهما مشتاقه ان تكن في عمان داري فاني * غالبي خرجت من غير فاقه رب كأس هرقت يا ابن لؤي * حذر الموت لم تكن مهراقه رمت دفع الحتوف يا ابن لؤي * مالمن رام ذاك بالحتف طاقه وخروس السرى تركت رزيا * بعد جد وحدة ورشاقه «قال ابن هشام» وبلغني أن بعض ولده أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتسب الى سامة بن لؤي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أالشاعر فقال له بعض أصحابه كانك يا رسول الله أردت قوله

رب كأس هرقت يا ابن لؤي * حذر الموت لم تكن مهراقه قال أجل

﴿ أمر عوف بن لؤي ونقلته ﴾

* قال ابن اسحق وأما عوف بن لؤي فانه خرج فيما يزعمون في ركب من قريش حتى اذا كان بارض غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان أبطئ به فانطلق من كان معه من قومه فأتاه ثعلبة بن سعد وهو أخوه في نسب بني ذبيان بن ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان وعوف بن سعد ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان فحبسه وزوجه والتاطه وآخاه فشاع نسبه في بني ذبيان وثعلبة فيما يزعمون الذي يقول لعوف حين أبطئ به فتركه قومه

احبس على ابن لؤي جملك * تركك القوم ولا مترك لك

* قال ابن اسحق وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير أو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين ان عمر ابن الخطاب قال لو كنت مدعيا حيا من العرب أو ملحقهم بنا لادعيت بني مرة بن عوف انا لنعرف منهم الاشباه مع ما نعرف من موقع ذلك الرجل حيث وقع يعني عوف بن لؤي * قال ابن اسحق فهو في نسبه غطفان مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان وهم يقولون اذا ذكر لهم هذا النسب ما ننكره وما نجحده وانه لاحب النسب الينا * وقال الحرث بن ظالم بن جذيمة بن يربوع «قال ابن هشام» أحد بني مرة بن عوف حين هرب من النعمان بن المنذر فلحق بقريش

فما قومي بثعلبة بن سعد * ولا بفزارة الشعر الرقابا
وقومي ان سألت بني لؤي * بمكة علموا مضر الضرابا

* وقوله * بلغا عامراً وكعباً رسولا * يجوز ان يكون رسولا مفعول ببلغا اذا جعلت الرسول بمعنى الرسالة كما قال الشاعر

لقد كذب الواشون ما بحت عندهم * بليلى ولا أرسلتهم برسول

اي برسالة وانما سموا الرسالة رسولا اذا كانت كتابا أو ما يقوم مقام الكتاب من شعر منظوم كانهم كانوا يقيمون الشعر مقام الكتاب فيبلغه الركبان كما يبلغ الكتاب يعرب عن ضمير الكاتب كما يعرب الرسول وكذلك الشعر المبلغ فسمي رسولا وبين الرسول والمرسل معنى دقيق ينتفع به في فهم قول الله عز وجل «وأرسلناك للناس رسولا» فانه لا يحسن في مثل هذا أن يقال أرسلناك مرسلا ولا نبأناك تنبيئا كما لا يحسن ضربناك مضروبا ولكشف هذا المعنى وايضاحه موضع غير هذا واختصار القول فيه أن ليس كل مرسل رسولا فالرياح مرسلات والحاصب مرسل وكذلك كل عذاب أرسله الله وانما الرسول اسم للمبلغ عن المرسل ويجوز أن يكون رسولا حالا من قوله بلغا عامراً وكعباً رسولا اذ قد يعبر بالواحد عن الاثنين والجماعة في مثل هذا اللفظ تقول أنتم رسولي وهي رسولي تستوي الجماعة والواحد والمذكر والمؤنث وفي التنزيل «انا رسول رب العالمين» فيكون المفعول على هذا ان نفسي اليهما مشتاقة ويكون ان على القول الاول بدلا من رسول أي رسالة * وقوله * وخروس السرى تركت رزيا * ان خفضت فمعناه رب خروس السرى تركت فتركت في موضع الصفة لخروس وان نصبت جعلتها مفعولا بتركت ولم يكن تركت في موضع صفة لان الصفة لا تعمل في الموصوف والسرى في موضع خفض لخروس على المجاز كما تقول نام ليلك يريد ناقة صموتا صبورا على السرى لا تضجر منه فسراها كالاخرس ومنه قول الكميت

كتوم اذا ضج المطي كانما * تكرم عن أخلاقهن وترغب

وقول الاعشى

كتوم الرغاء اذا هجرت * وكانت بقية ذود كتم

وانما قال خروس في معنى الاخرس لانه أراد كتوم فجاء به على وزنه قال البرقي وكانت ماوية بنت كعب تحب سامة أكثر من اخوته وكانت تقول وهي ترقصه صغيرا

وان ظني ببني ان كبن * أن يشتري الحمد ويغلي بالثمن
ويهزم الجيش اذا الجيش ارجحن * ويروي العيمان من محض اللبن

يقال كبن وأكبن اذا اشتد * وذكر قول جرير لبني جشم بن لؤي

بني جشم لستم لهزان فانتموا * لاعلا الروابي من لؤي بن غالب

سفهنا باتباع بنى بغيض * وترك الأقربين لنا انتسابا
سفاهة مخلف لما تروى * هراق الماء واتبع السرابا
فلو طووعت عمرك كنت فيهم * وما ألفيت أنتجع السحابا
وخش رواحة القرشى رحلى * بناجية ولم يطلب ثوابا

«قال ابن هشام» هذا ما أنشدنى أبو عبيدة منها * قال ابن اسحق فقال الحصين بن الحمام المرى ثم أحد بنى سهم بن مرة يرد على الحرث بن ظالم وينتمى الى غطفان

الا لستم منا ولسنا اليكم * برئنا اليكم من لؤى بن غالب
أقمنا على عز الحجاز وأنتم * بمعتلج البطحاء بين الاخاشب

يعنى قريشا ثم ندم الحصين على ما قال وعرف ما قال الحرث بن ظالم فانتمى الى قريش وأكذب نفسه فقال

ندمت على قول مضى كنت قلته * تبينت فيه انه قول كاذب
فليت لسانى كان نصفين منهما * بكيم ونصف عند مجرى الكواكب
أبونا كنانى بمكة قبره * بمعتلج البطحاء بين الاخاشب
لنا الربع من بيت الحرام وراثة * وربع البطاح عند دار ابن حاطب

أى ان بنى لؤى كانوا أربعة كعبا وعامرا وسامة وعوفا * قال ابن اسحق وحدثنى من لا أتهم ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لرجال من بنى مرة ان شئتم أن ترجعوا الى نسبكم فارجعوا اليه * قال ابن اسحق وكان القوم أشرافا فى غطفان هم سادتهم وقادتهم منهم هرم بن سنان بن أبى حارثة وخارجة بن سنان بن أبى حارثة والحرث بن عوف والحصين بن الحمام وهاشم بن حرملة الذى يقول له القائل وانه

أحيا أباه هاشم بن حرمله * يوم الهباآت ويوم اليعمله
ترى الملوك عنده مغربله * يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له

«قال ابن هشام» أنشدنى أبو عبيدة هذه الابيات لعامر الخصفى خصفة بن قيس بن عيلان

أحيا أباه هاشم بن حرمله * يوم الهباآت ويوم اليعمله
ترى الملوك عنده مغربله * يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له
ورمحه للوالدات مثكله

«قال ابن هشام» وحدثنى ان هاشما قال لعامر قل فى بيتا جيدا أثبك عليه فقال عامر البيت الاول فلم يعجب هاشما ثم قال الثانى فلم يعجبه ثم قال الثالث فلم يعجبه فلما قال الرابع يقتل ذا الذنب

يقال انهم أعطوا جريرا على هذا الشعر ألف بعير ربى وكانوا ينتسبون الى ربيعة فما انتسبوا بعد الا لقريش وذكر شعر الحارث بن ظالم * وقوله سفاهة مخلف وهو المستقى وفيه ثم يذكر

لعمرك اننى لاحب كعبا * وسامة اخوتى حبى الشرابا

وقوله * وخش رواحة القرشى رحلى * بناجية أى بناقة مسرعة يقال خش السهم بالريش اذا راشه به فاراد راشنى وأصلح رحلى بناجية ولم يطلب ثوابا يمدحه بذلك ورواحة هذا هو رواحة بن منقذ بن معيص بن عامر كان قد ربع فى الجاهلية أى رأس وأخذ المرباع * وقوله * ولو طووعت عمرك كنت فيهم ونصب عمرك على الظرف * وقوله وما ألفيت أنتجع السحابا أى كانوا يعنوننى بسيبهم ومعروفهم عن انتجاع السحاب وارتياد المراعى فى البلاد * وقول الحصين بمعتلج البطحاء أى حيث تعتلج السيول والاعتلاج عمل بقوة قال الشاعر

لو قلت للسيل دع طريقك والـ * ـسيل كمثل الهضاب يعتلج

وفى الحديث انكما علجان فعالجا عن دينكما * وفى الحديث ان الدعاء ليلقى البلاء نازلا من السماء فيعتلجان الى يوم القيامة أى يتدافعان بقوة * وقوله لنا الربع بضم الراء يريد أن بنى لؤى كانوا أربعة أحدهم أبوهم وهو عوف وبنو لؤى هم أهل الحرم ولهم وراثة البيت والاخاشب جبال مكة وقد يقال لكل جبل أخشب أنشد أبو عبيد * كأن فوق منكبيه أخشبا * وذكر خارجة بن سنان الذى تزعم قيس أن الجن اختطفته لتستفحله نساؤها لبراعته ونجدته ونجابة نسله وقد قدمت بنته على عمر فقال لها ما كان أبوك أعطى زهيرا حين مدحه فقالت أعطاه مالا ورقيقا وأثاثا أفناه الدهر فقال لكن ما أعطاكم زهير لم يفنه الدهر وكان خارجة بقيرا أمرت أمه عند موتها أن يقر بطنها عنه ففعلوا فخرج حيا فسمى خارجة ويقال للبقير خشمة قال الحطيئة يعنى خارجة بن سنان

لقد علمت خيل ابن خشمة انها * متى ما يكن يوما جلاد تجالد

وقول عامر ترى الملوك حوله مغربله قيل معناه منتفخة وذكروا انه يقال غربل القتيل اذا انتفخ وهذا غير معروف وان كان أبو عبيد قد ذكره فى الغريب المصنف وأيضا فان الرواية بفتح الباء مغربلة وقال بعضهم معناه يتخير الملوك فيقتلهم والذى أراد فى ذلك انه تريد بالغربلة استقصاءهم وتتبعهم كما قال مكحول الدمشقى ودخلت الشام فغربلتها غربلة حتى لم أدع علما الا حويته فى كل ذلك أسئل عن النفل وذكر الحديث فمعنى هذا التتبع والاستقصاء وكأنه من غربلت الطعام اذا تتبعته بالاستخراج حتى لا تبقى الا الحثالة * وقوله * يقتل ذا الذنب ومن لا ذنب له * انما أعجب هاشما هذا البيت لانه وصفه فيه بالعز والامتناع

ومن لاذنب له أعجبه فانابه عليه « قال ابن هشام » وذلك الذى أراد الكميت بن زيد فى قوله وهاشم مرة المفنى ملوكا * بلا ذنب اليه ومذنبينا وهذا البيت فى قصيدة له وقول عامر يوم الهباآت عن غير أبى عبيدة * قال ابن اسحق قوم لهم صيت وذكر فى غطفان وقيس كلها فأقاموا على سنتهم وفيهم كان البسل ﴿أمر البسل﴾ والبسل فيما يزعمون نسيئهم ثمانية أشهر حرم لهم من كل سنة من بين العرب قد عرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونه ولا يدفعونه يسيرون به الى أى بلاد العرب شاؤا لا يخافون منهم شيئاً قال زهير بن أبى سلمى يعنى بنى مرة « قال ابن هشام » زهير أحد بنى مزينة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر ويقال زهير بن أبى سلمى من غطفان ويقال حليف فى غطفان

تأمل فان تقو المرورات منهم * وداراتها لا تقو منهم اذا نخل

بلاد بها نادمتهم وألفتهم * فان تقويا منهم فانهم بسل

أى حرام يقول ساروا فى حرمهم « قال ابن هشام » وهذان البيتان فى قصيدة له * قال ابن اسحق * وقال أعشى بنى قيس ابن ثعلبة

أجارتكم بسل علينا محرم * وجارتنا حل لكم وحليلها

« قال ابن هشام » وهذا البيت فى قصيدة له * قال ابن اسحق فولد كعب بن لؤى ثلاثة نفر مرة بن كعب وعدى بن كعب وهصيص بن كعب وأمهم وحشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر فولد مرة بن كعب ثلاثة نفر كلاب بن مرة وتيم بن مرة ويقظة بن مرة فأم كلاب هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحرث بن مالك بن كنانة بن خزيمة وأم يقظة البارقية امرأة من بارق من الاسد من اليمن ويقال هى أم تيم ويقال تيم لهند بنت سرير أم كلاب « قال ابن هشام » بارق بنو عدى بن حارثة بن عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن مازن بن الاسد بن الغوث وهم فى شنوءة * قال الكميت بن زيد

وأزد شنوءة اندرؤا علينا * بجم يحسبون لها قرونا

فما قلنا لبارق قد أسأتم * وما قلنا لبارق أعتبونا

قال وهذان البيتان فى قصيدة له وانما سموا ببارق لانهم تبعوا البرق

وانه لا يخاف حاكما يعدى عليه ولا ترة من طالب ثار وهاشم بن حرملة هذا هو جد منظور بن زبان بن سيار الذى كانت بنته زجلة عند ابن الزبير فهو جد منظور لامه واسمها قهطم بنت هاشم كانت قهطم قد حملت بمنظور أربع سنين وولدته باضراسه فسمى منظورا لطول انتظارهم اياه وفى زبان بن سيار والد منظور يقول الحطيئة

وفى آل زبان بن سيار فتية * يرون ثنايا المجد سهلا صعابها

ولم يصرف سياراً لما سنذكره بعد ان شاء الله وذكر زهيرا ونسبه الى مزينة وهم بنو عثمان بن عمرو بن الاطم بن أد بن طابخة قال حسان بن ثابت

فانك خير عثمان بن عمرو * وأسناها اذا ذكر السناء

يمدح رجلا من مزينة ومزينة أمهم وهى بنت كلب بن وبرة وأختها الحوأب بنت كلب التى يعرف بها ماء الحوأب المذكور فى حديث عائشة أيتكن صاحبة الجمل الادبب تنبحها كلاب الحوأب وذكر البسل وهو الحرام والبسل أيضا الحلال فهو من الاضداد ومنه بسلة الراقى أى ما يحل له أن يأخذه على الرقية وبسل فى الدعاء بمعنى آمين قال الراجز

لا خاب من نفعك من رجاك * بسلا وعادى الله من عاداك

وكان عمر بن الخطاب يقول فى أثر الدعاء آمين وبسلا أى استجابة * وقول زهير فان تقو المروراة منهم * البيت وقع فى بعض النسخ المرورات بتاء ممدودة كانه جمع مرور وليس فى الكلام مثل هذا البناء وانما هو المروراة بهاء مما ضوعفت فيه العين واللام فهو فعلعلة مثل صمحمحة والالف فيه منقلبة عن واو أصلية وهذا قول سيبويه جعله مثل شجوجاة وأبطل ان يكون من باب عثوثل وقال ابن السراج فى قطوطاة وهو مثل مروراة هو فعوعل مثل عثوثل وقال سيبويه فيه انه من باب صمحمحة فالواو زائدة على قول ابن السراج ووزنه عنده فعوعلة * وذكر هصيص بن كعب وهو فعيل من الهص وهو القبض بالاصابع من كتاب العين * وذكر يقظة بن مرة بفتح القاف وقد وجدته بسكون القاف فى أشعار مدح بها خالد بن الوليد فنها قول الشاعر

وأنت لمخزوم بن يقظة جنة * كلا اسميك فيها ماجد وابن ماجد

وأم مخزوم بن يقظة جد بنى مخزوم كلبة بنت عامر بن لؤى قاله الزبير * وذكر بارق وهم بنو عدى من الازد وقال سموا بارق لانهم اتبعوا البرق وقد قيل انهم نزلوا عند جبل يقال له بارق فسموا به * وقول الكميت بجم يحسبون لها قرونا أى يناطحون بلا عدة ولا منة كالكباش الجم التى لا قرون لها ويحسبون أن لهم قوة

* قال ابن اسحق فولد كلاب بن مرة رجلين قصى بن كلاب وزهرة بن كلاب وأمهما فاطمة بنت سعد ابن سيل أحد الجدرة من جعثمة الازد من اليمن حلفاء فى بنى الديل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة «قال ابن هشام» ويقال جعثمة الاسد وجعثمة الأزد وهو جعثمة بن يشكر بن مبشر بن صعب بن دهمان بن نصر بن زهران بن الحرث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الاسد بن الغوث ويقال جعثمة بن يشكر بن مبشر بن صعب بن نصر بن زهران بن الاسد بن الغوث وانما سموا الجدرة لان عامر بن عمرو ابن خزيمة بن جعثمة تزوج بنت الحرث بن مضاض الجرهمى وكانت جرهم أصحاب الكعبة فبنى للكعبة جدارا فسمى عامر بذلك الجادر فقيل لولده الجدرة لذلك * قال ابن اسحق ولسعد بن سيل يقول الشاعر

ماترى فى الناس شخصا واحدا * من علمناه كسعد بن سيل
فارسا أضبط فيه عسرة * واذا ماواقف القرن نزل
فارسا يستدرج الخيل كما * استدرج الحر القطامى الحجل

«قال ابن هشام» قوله كما استدرج الحر عن بعض أهل العلم بالشعر «قال ابن هشام» ونعم بنت كلاب وهى أم أسعد وسعيد ابنى سهم بن عمرو بن هصيص ابن كعب بن لؤى وأمها فاطمة بنت سعد بن سيل * قال ابن اسحق فولد قصى بن كلاب أربعة نفر وامرأتين عبد مناف بن قصى وعبد الدار بن قصى وعبد العزى بن قصى وعبد بن قصى وتخمر بنت قصى وبرة بنت قصى وأمهم حبى بنت حليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى «قال ابن هشام» ويقال حبشية ابن سلول «قال ابن هشام» فولد عبد مناف بن قصى أربعة نفر هاشم بن عبد مناف وعبد شمس بن عبد مناف والمطلب بن عبد مناف وأمهم عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالج ولدن

والكميت هذا هو ابن زيد أبو المستهل من بنى أسد * وفى أسد الكميت بن معروف كان قبل هذا وفيهم أيضا الكميت بن ثعلبة وهو أقدم الثلاثة وابن معروف هو الذى يقول

ولا تكثروا فيه الضجاج فانه * محا السيف ما قال ابن دارة أجمعا

وذكر الجدرة وقال هم بنو عامر بن عمرو بن خزيمة بن جعثمة * وفى حاشية الشيخ ابى بحر زيادة خزيمة خطأ انما هو عمرو بن جعثمة * وذكر غير ابن اسحق ان السيل ذات مرة دخل الكعبة وصدع بنيانها ففزعت لذلك قريش وخافوا انهدادها ان جاء سيل آخر وان يذهب شرفهم ودينهم فبنى عامر لها جدارا فسمى الجادر * وقوله فى الجدرة حلفاء بنى الدئل المعروف عند أهل النسب ان الدئل فى عبد القيس وهو الدئل بن عمرو بن وديعة والدئل أيضا فى الازد وهو ابن هداد بن زيد مناة والدئل أيضا فى تغلب وهو ابن زيد بن عمرو بن غنم بن تغلب والديل أيضا فى اياد وهو ابن أمية بن حذافة بن زهير بن اياد واما الذى فى كنانة وهم الذين ينسب اليهم أبو الاسود الدؤلى وهو ظالم بن عمرو وهم حلفاء الجدرة فابن الكلبى ومحمد ابن حبيب وغيرهما من أهل النسب يقولون فيه الدئل بضم الدال وهمزة مكسورة وينسبون اليه دؤلى وطائفة من أهل اللغة منهم الكسائى ويونس بن حبيب والاخفش يقولون فيه الديل بكسر الدال وينسبون اليه الدئلى واختاره أبو عبيدة قال محمد بن حبيب ابن الكلبى وغيره من أهل النسب أقعد بهذا واليهم يرجع فيما أشكل من هذا الباب (قال المؤلف) واما الدؤل فالدؤل بن حنيفة واسم حنيفة أثال بن لجيم بن صعب بن على بن بكر بن وائل وهم رهط مسيلمة الكذاب وفى ربيعة أيضا نمر فى عمرة الدؤل بن صباح وفى الرباب الدؤل بن جل من عدى بن عبد مناة بن أد بن طابخة وفى الاسد الدؤل بن سعد مناة بن غامد والذى تقيد عن ابن اسحق فى الديل بن بكر بكسر الدال والياء الساكنة وقد وافقه على ذلك من النساب العدوى وابن سلام الجمحى ومن تقدم ذكره من أهل اللغة والدئل على وزن فعل من دأل يدأل اذا مشى بعجلة واما الديل بغير همز فكأنه سمى بالفعل من ديل عليهم من الدولة على وزن ما لم يسم فاعله وقد قيل ان الدئل بن بكر سمى بالدئل وهى دويبة صغيرة وأنشدوا لكعب بن مالك

جاءوا بجيش لو قيس معرسه * ما كان الا كمعرس الدئل

* وأنشد فى سعد بن سيل واسم سيل خير بن جمالة قاله الطبرى والسيل هو السنبل وهو أول من حلى السيوف بالذهب والفضة فارسا أضبط فيه عسرة الاضبط الذى يعمل بكلتى يديه وهو من صفة الاسد أيضا قال الجميح * ضبطاء تسكن غيلا غير مقروب * وقوله فيه عسرة من هذا المعنى أيضا والاسم منه أعسر * وذكر حليل بن حبشية والحبشية نملة كبيرة سوداء وان قصيا تزوج ابنته حبى فولدت له عبد مناف واخوته وقال غيره بل أم عبد مناف عاتكة بنت هلال بن بالج بن ذكوان وأم هاشم عاتكة بنت مرة فالاولى عمة الثانية وأم وهب جد النبى عليه السلام لامه عاتكة بنت الاوقص بن مرة بن هلال فهن عواتك

ابن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم بن منصور بن عكرمة ونوفل بن عبد مناف وأمه واقدة بنت عمرو المازنية مازن بن منصور بن عكرمة « قال ابن هشام » فبهذا النسب خالفهم عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن سيب بن مالك بن الحرث بن مازن بن منصور ابن عكرمة « وقال ابن هشام » وأبو عمرو وتماضر وقلابة وحية وريطة وأم الاخثم وأم سفيان بنو عبد مناف فأم أبي عمرو ريطة امرأة من ثقيف وأم سائر النساء عاتكة بنت مرة بن هلال أم هاشم بن عبد مناف وأمها صفية بنت حوزة بن عمرو بن سلول بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن وأم صفية بنت عائذ الله بن سعد العشيرة ابن مذحج « قال ابن هشام » فولد هاشم بن عبد مناف أربعة نفر وخمس نسوة عبد المطلب بن هاشم وأسد بن هاشم وأبا صيفي ابن هاشم ونضلة بن هاشم والشفا وخالدة وضعيفة ورقية وحية فأم عبد المطلب ورقية سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر وأمها عميرة بنت صخر بن الحرث بن ثعلبة بن مازن ابن النجار وأم عميرة سلمى بنت عبد الاشهل النجارية وأم أسد قيلة بنت عامر ابن مالك الخزاعى وأم أبي صيفي وحية هند بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجية وأم نضلة والشفا امرأة من قضاعة وأم خالدة وضعيفة واقدة بنت أبي عدى المازنية

﴿ أولاد عبد المطلب بن هاشم ﴾

« قال ابن هشام » فولد عبد المطلب ابن هشام عشرة نفر وست نسوة العباس وحمزة وعبد الله وأبا طالب واسمه عبد مناف والزبير والحرث وحجلا والمقوم وضرارا وأبا لهب واسمه عبد العزى وصفية وأم حكيم البيضاء وعاتكة وأميمة وأروى وبرة فأم العباس وضرار نتيلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد بن مناة بن عامر بن سعد بن الخزرج بن تيم اللات بن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ويقال أفصى بن

ولدن النبي عليه السلام ولذلك قال انا ابن العواتك من سليم وقد قيل في تأويل هذا الحديث ان ثلاث نسوة من سليم أرضعنه كلهن تسمى عاتكة والاول أصح وأم عاتكة بنت مرة ماوية بنت حورة بن عمرو بن مرة أخي عامر بن صعصعة وهم بنو اسلول وأم ماوية أم أناس المذحجية * وقال في أمهات بني عبد مناف واما صفية فامها بنت عبد الله بن سعد العشيرة بن مذحج وهو وهم لان سعد العشيرة بن مذحج هو أبو القبائل المنسوبة الى مذحج الا أقلها فيستحيل ان يكون في عصر هاشم من هو ابن له لصلبه ولكن هكذا رواه البرقي عن ابن هشام كما قلنا ورواه غيره بنت عبد الله من سعد العشيرة وهي رواية الغسانى وقد قيل فيه عائذ الله وهو أقرب الى الصواب ولسعد العشيرة ابن لصلبه واسمه عيذ الله وهي قبيلة من قبائل جنب من مذحج وقد ذكرت بطون جنب واسماء ولد سعد العشيرة أو أكثرهم في هذا الكتاب ولم سميت تلك القبائل بجنب وأحسب الوهم في رواية البرقي انما جاء من اشتراك الاسم لان أم صفية المذكورة بنت عيذ الله ولكن ليس بعيذ الله الذى هو ابن سعد العشيرة لصلبه ولكنه من سعد العشيرة * وذكر عبد شمس بن عبد مناف وكان تلو الهاشم ويقال كانا توأمين فولد هاشم ورجله في جبهة عبد شمس ملتصقة فلم يقدر على نزعها الا بدم فكانوا يقولون سيكون بين ولدهما دماء فكان تلك الدماء ما وقع بين بني هاشم وبين بني أمية بن عبد شمس واما سلمى أم عبد المطلب فقد ذكر نسبها وأمها عمرة بنت صخر المازنية وابنها عمرو بن أحيحة بن الجلاح وأخوه معبد ولدتهما الاحيحة بعد هاشم وكان عمرو من أجمل الناس وأنطقهم بحكمة وقال رجل من بني هاشم للمنصور رأيت ان اتسعنا في البنين وضقنا في البنات قال من تدفعنا يعني في المصاهرة فانشد

عبد شمس كان يتلو هاشما * وهما بعد لام ولأب

* وذكر الدارقطني ان الحارث بن حبش السلمى كان أخا هاشم وعبد شمس والمطلب لامهم وانه رثى هاشما لهذه الاخوة وهذا يقوى ان أمهم عاتكة السلمية

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق ان أم حية بنت هاشم وأم أبي صيفي هند بنت ثعلبة والمعروف عند أهل النسب ان أم حية جحل بنت حبيب بن الحارث بن مالك بن حطيط الثقفية وحية بنت هاشم كانت تحت الاجحم بن دندنة الخزاعى ولدت له أسيدا وفاطمة بنت الاجحم التي تقول

قد كنت لى جبلا ألوذ بظله * فتركتني أضحى باجرد ضاح

وقع هذا الشعر لها في الحماسة وغيرها * وذكر أم العباس وهي نتيلة بنت جناب بن كليب وهي من بني عامر الذي يعرف بالضحيان وكان من ملوك ربيعة وقد ذكرنا في خبر تبع انها أول من كسى البيت الديباج وذكرنا سبب ذلك ونزيدها هنا ما ذكره الماوردي قال أول من كسى البيت الديباج خالد بن جعفر بن كلاب أخذ لطيمة من البر وأخذ فيها أنماطا فعلقها على الكعبة وأم نتيلة أم حجر أو أم كرز بنت الازب من بني بكيل من همدان وهي نتيلة بتاء منقوطة باثنتين وهي تصغير نتلة واحدة النتل وهم بيض النعام وبعضهم يصحفها بثاء

دعمى بن جديلة وأم حمزة والمقوم وحجل وكان يلقب بالغيداق لكثرة خيره وسعة ماله وأم صفية هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى وأم عبد الله وأبى طالب والزبير و جميع النساء غير صفية فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران ابن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وأمها صخرة بنت عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وأم صخرة تخمر بنت عبد بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك ابن النضر وأم الحرث ابن عبد المطلب سمراء بنت جندب بن حجير بن رئاب بن حبيب بن سواءة بن عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة وأم أبى لهب لبنى بنت هاجر بن عبد مناف ابن ضاطر بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى «قال ابن هشام» فولد عبد الله بن عبد المطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم (محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب) صلوات الله وسلامه ورحمته وبركاته عليه وعلى آله * وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى بن غالب ابن فهر بن مالك بن النضر ابن كنانة وامها برة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وأم برة أم حبيب بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر وأم أم حبيب برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر « قال ابن هشام » فرسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف ولد آدم حسبا وأفضلهم نسبا من قبل أبيه وأمه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم ومجد وعظم

مثلثة * وذكر فى بنى عبد المطلب جحلا بتقديم الجيم على الحاء هكذا رواية الكتاب وقال الدارقطنى هو حجل بتقديم الحاء وقال جحل بتقديم الجيم هو الحكم بن جحل يروى عن على ومن حديثه عنه انه قال من فضلنى على أبى بكر جلدته حد الفرية والجحل السقاء الضخم والجحل الحرباء وذكر ابن دريد ان اسم جحل مصعب وقال غيره كان اسمه مغيرة وجحل لقب له والجحل ضرب من اليعاسيب قاله صاحب العين وقال أبو حنيفة كل شىء ضخم فهو جحل وجحل هو الغيداق والغيداق ولد الضب وهو أكبر من الحسل ولم يعقب وكذا المقوم لم يعقب الا بنتا اسمها هند وأم الغيداق فيما ذكر القتبى ممنعة بنت عمرو الخزاعية وهذا خلاف قول ابن اسحق وذكر فى أعمامه أيضا الزبير وهو أكبر أعمام النبى صلى الله عليه وسلم وهو الذى كان يرقص النبى صلى الله عليه وسلم وهو طفل ويقول

محمد بن عبدم * عشت بعيش أنعم في دولة ومغنم * دام سجيس الازلم

وبنته ضباعة كانت تحت المقداد وعبد الله ابنه مذكور فى الصحابة رضى الله عنهم وكان الزبير رضى الله عنه يكنى أبا الطاهر بابنه الطاهر وكان من أظرف فتيان قريش وبه سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه الطاهر وأخبر الزبير عن ظالم كان بمكة انه مات فقال باى عقوبة كان موته فقيل مات حتف أنفه فقال وان فلابد من يوم ينصف الله فيه المظلومين ففى هذا دليل على اقراره بالبعث * وذكر أبا طالب واسمه عبد مناف وله يقول عبد المطلب

أوصيك يا عبد مناف بعدى * بمؤتم بعد أبيه فرد
مات أبوه وهو حلف المهد

* وذكر أبا لهب واسمه عبد العزى وكنى أبا لهب لاشراق وجهه وكان تقدمة من الله تعالى لما صار اليه من اللهب وأمه لبنى بنت هاجر بكسر الجيم من بنى ضاطرة بضاد منقوطة واللبنى فى اللغة شىء يميع من بعض الشجر قاله أبو حنيفة ويقال لبعضه الميعة والدودم مثل اللبنى يسيل من السمر غير انه أحمر فيقال حاضت السمرة اذا رشح ذلك منها

﴿ أمهات النبى صلى الله عليه وسلم ﴾

ذكر فى آخرهن برة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى وهن كلهن قرشيات ولذلك وقف فى برة وان كان قد ذكر أهل النسب بعد هذا أم برة وأم أمها وأم أم الام ولكنهن من غير قريش قال محمد بن حبيب وأم برة قلابة بنت الحرث بن مالك بن طابخة بن صعصعة بن غادية بن كعب بن طابخة بن لحيان بن هذيل وأم قلابة أميمة بنت مالك بن غنم بن لحيان بن غادية بن كعب [وأم أميمة دبة بنت الحرث بن لحيان بن غادية] وأمها بنت كهف الظلم من ثقيف وذكر الزبير قلابة بنت الحرث وزعم ان أباها الحرث كان يكنى أبا قلابة وانه أقدم شعراء هذيل وذكر من قوله

لا تامـنن وان أمسيت فى حرم * ان المنايا بجنبى كل انسان
واسلك طريقك تمشى غير مختشع * حتى تلاقى ما منى لك المانى
فالخـير والشر مقرونان فى قرن * بكل ذلك يأتيك الجديدان

﴿ باب مولد النبى صلى الله عليه وسلم ﴾

ذكر نسب أمه آمنة بنت وهب بن عبـد مناف بن زهرة وان زهرة هو ابن كلاب وفى المعارف لا بن قتيبة ان زهرة اسم امرأة عرف بها بنو زهرة وهذا منكر غير معروف وانما هو اسم جدهم كما قال ابن اسـحاق والزهرة فى اللغة اشراق فى اللون أى لون كان من بياض أو غيره وزعم بعضهم أن الازهر هو الابيض خاصـة وان الزهر اسم للابيض من النوّار وخطأ أبو حنيفة من قال بهذا القول وقال انما الزهرة اشراق فى الالوان كلها وأنشد فى نور الحوذان وهو أصفر

ترى زهر الحوذان حول رياضه * يضىء كلون الاتحمى المورس

وفى حديث يوم أحد نظرت الى رسول الله صـلى الله عليه وسـلم وعيناه تزهران تحت المغفر وذكر فيه خبر اسمعيل وأمه وقد تقـدم طرف منه * وذكر ان جبريل عليه السلام همز بعقبه فى موضع زمزم فنبع الماء وكذلك زمزم تسمى همزة جبريل بتقديم الميم على الزاى ويقال فيها أيضا هزمة جبريل لانها هزمة فى الارض وحكى فى اسمها زمازم وزمزم حكى ذلك عن المطرز وتسمى أيضا طعام طعم وشفاء سقم وقال الحربى سميت زمزم بزمزمة الماء وهى صوته وقال المسـعودى سميت زمزم لان الفرس كانت تحج اليها فى الزمن الاول فزمزمت عليها والزمزمة صوت يخرجه الفرس من خياشيمها عند شرب الماء وقد كتب عمر رضى الله عنه الى عماله ان انهوا الفرس عن الزمزمة وأنشد المسعودى

زمزمت الفرس على زمزم * وذاك فى سالفها الاقدم

وذكر البرقى عن ابن عباس رضى الله عنه انها سميت زمزم لانها زمت بالتراب لئلا يأخـذ الماء يمينا وشمالا ولو تركت لساحت على الارض حتى تمـلأ كل شىء وقال ابن هشام والزمزمـة عنـد العـرب الـكثرة والاجتماع قال الشاعر

وباشرت معطنها المدهشما * ويممت زمزومها المزمزما

المدهشم اللين وكان سبب انزال هاجر وابنها اسماعيل بمكة ونقلها اليها من الشام ان سارة بنت عم ابراهـيم عليه السلام شجر بينها وبين هاجر أمر وساء ما بينهما فامر ابراهيم أن يسـير بها الى مكة فاحتملها على البراق واحتمل معه قربة بماء ومزود تمر وسار بها حتى أنزلها بمكة فى موضـع البيت ثم ولى راجعا عوده على بدئه وتبعته هاجر وهى تقول آلله أمرك ان تدعنى وهذا الصبى فى هذا البلد الموحش وليس معنا أنيس فقال نعم فقالت اذا لا يضيعنا فجعلت تأكل من التمر وتشرب من ماء القربة حتى نفد الماء وعطش الصبى وجعل ينشغ للموت وجعلت هى تسعى من الصفا الى المروة ومن المروة الى الصفا ترى أحدا حتى سمعت صوتا عند الصبى فقالت قد أسمعت ان كان عندك غوث ثم جاءت الصبى فاذا الماء ينبع من تحت خده فجعلت تغرف بيديها وتجعل فى القربة قال النبى صلى الله عليه وسلم لو تركته لكانت عينا او قال نهرا معينا وكلمها الملك وهو جبريل عليه السلام وأخبرها انها مقر ابنها وولده الى يوم القيامة وانها موضع بيت الله الحرام ثم ماتت هاجر واسماعيل عليه السلام ابن عشرين سـنة وقبرها فى الحجر وثم قبر اسماعيل عليـه السـلام وكان الحجر قبل بناء البيت زربا للغنم اسماعيل صلى الله عليه وسـلم ويقال ان أول بلد ميرت منه أم اسماعيل عليه السـلام وابنها التمر

﴿ حديث مولد رسول الله صـلى الله عليه وسلم ﴾
قال حدثنا أبو محمد عبد الملك ابن هشام قال وكان من حـديث رسـول الله صلى الله عليه وسلم ما حدثنا به زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال بينا عبد المطلب بن هاشم نائم فى الحجـر اذ أتى فأمر بحفـر زمزم وهى دفن بين صـنمى قريش اساف ونائلة عنـد منحر قريش وكانت جرهم دفنتها حين ظعنوا مـن مكة وهى بئر اسمعيل بن ابراهـيم الـتى سقاه الله حين ظمىء وهو صغير فالتمست له أمه ماء فلم تجـده فقامت على الصـفا تدعو الله وتسـتغيثه لاسمعيل ثم أتت المـروة ففعلت مثـل ذلك وبعث الله تعالى جـبريل عليـه السـلام فهمز له بعقبه فى الارض فظهـر لهـا الماء وسمعت أمه اصوات السباع فخافتها عليه فجاءت تشـتد نحـوه فوجـدته يفحص بيده عن الماء من تحت خـده ويشرب فجعلته حسيا

القربة التي كانت تعرف بالفرع من ناحية المدينة والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وذكر نزول جرهم وقطورا على أم اسماعيل هاجر وجرهم هو قحطان بن عامر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح ويقال جرهم بن عابر وقد قيل انه كان مع نوح عليه السلام في السفينة وذلك انه من ولد ولده وهم من العرب العاربة ومنهم تعلم اسماعيل العربية • وقيل ان الله تعالى أنطقه بها انطاقا وهو ابن أربع عشرة سنة * وأما قطورا فهو قطورا ابن كركر * وأما السميدع الذي ذكره فهو السميدع بن هوثر بثاء مثلثة قيدها البكري بن لاى بن قطورا بن كركر بن عملاق ويقال ان الزباء الملكة كانت من ذريته وهي بنت عمرو بن أذينة بن ظرب بن حسان وبين حسان وبين السميدع آباء كثيرة ولا يصح قول من قال ان حسان ابنه لصلبه لبعد زمن الزباء من السميدع وقد ذكرنا الاختلاف في اسمها في غير هذا الموضع * [وذكر الحرث ابن مضاض الاكبر بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هيّ بن بنت جرهم]

﴿ فصل ﴾ وذكر ولاية جرهم البيت الحرام دون بني اسماعيل الى ان بغوا في الحرم وكان أول بغي في الحرم ما ذكر من حرب جرهم لقطورا * وأما اجياد فلم يسم باجياد من اجل جياد الخيل كما ذكر لان جياد الخيل لا يقال فيها أجياد وانما أجياد جمع جيد * وذكر أصحاب الاخبار ان مضاضا ضرب في ذلك الموضع أجياد مائة رجل من العمالقة فسمي الموضع باجياد وهكذا ذكر ابن هشام في غير هذا الكتاب ومن شعب أجياد تخرج دابة الارض التي تكلم الناس قبل يوم القيامة كذلك روى عن صالح مولى التوءمة عن عبد الله بن عمرو بن العاص وذكر غيره في اخبار مكة ان قعيقعان سمي بهذا الاسم حين نزل تبع مكة ونحر عندها وأطعم ووضع سلاحه وأسلحة جنده بهذا المكان فسمي قعيقعان بقعقعة السلاح فيه والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وذكر استحلال جرهم لحرمة الكعبة فمن ذلك ان ابراهيم عليه السلام كان احتفر بئرا قريبة القعر عند باب الكعبة كان يلقى فيها ما يهدى اليها فلما فسد أمر جرهم سرقوا مال الكعبة مرة بعد مرة فيذكر ان رجلا منهم دخل البئر ليسرق مال الكعبة فسقط عليه حجر من شفير البئر فحبسه فيها ثم أرسلت على البئر حية لها رأس كرأس الجدي سوداء المتن بيضاء البطن فكانت تهيب من دنا من بئر الكعبة وأقامت في البئر فيما ذكر وانحوا من خمسمائة عام وسنذكر قصة رفعها عند بنيان الكعبة ان شاء الله

﴿ فصل ﴾ فلما كان من بني جرهم ما كان وافق تفرق سبأ من أجل سيل العرم ونزول حارثة بن ثعلبة ابن عمرو بن عامر أرض مكة وذلك بامر طريفة الكاهنة وهي امرأة عمرو بن مزيقياء وهي من حمير وبامر عمران بن عامر أخي عمرو وكان كاهنا أيضا فنزلها هو وقومه فاستأذنوا جرهما ان يقيموا بها أياما حتى يرسلوا الرواد ويرتادوا منزلا حيث رأوا من البلاد فأبت عليهم جرهم وأغضبوهم حتى أقسم حارثة الا يبرح مكة الا عن قتال وغلبة فثار بينهم جرهم فكانت الدولة لبني حارثة عليهم واعتزلت بنو اسماعيل فلم تكن مع أحد من الفريقين فعند ذلك ملكت خزاعة وهم بنو حارثة مكة وصارت ولاية البيت لهم وكان رئيسهم عمرو بن لحي الذي تقدم ذكره قبل فشرّد بقية جرهم فسار فلهم في البلاد وسلط عليهم الذر والرعاف وأهلك بقيتهم السيل باضم حتى كان آخرهم موتا امرأة رئيت تطوف بالبيت بعد خروجهم منها بزمان فعجبوا من طولها وعظم خلقتها حتى قال لها قائل أجنية انت أم انسية فقالت بل انسية من جرهم وأنشدت رجزا في معنى حديثهم واستكرت بعيرا من رجلين من جهينة فاحتملاها على البعير الى أرض خيبر فلما أنزلاها بالمنزل الذي رسمت لهما سألاها عن الماء فأشارت لهما الى موضع الماء فوليا عنها واذا الذرقد تعلق بها حتى بلغ خياشيمها وعينيها وهي تنادي بالويل والثبور حتى دخل حلقها وسقطت لوجهها وذهب الجهنيان الى الماء

﴿ أمر جرهم ودفن زمزم ﴾

« قال ابن هشام » وكان من حديث جرهم ودفنها زمزم وخروجها من مكة ومن ولي أمر مكة بعدها الى أن حفر عبد المطلب زمزم ما حدثنا به زياد بن عبد الله البكائي عن محمد ابن اسحق قال لما توفي اسمعيل بن ابراهيم ولي البيت بعده ابنه نابت بن اسمعيل ما شاء الله ان يليه ثم ولي البيت بعده مضاض ابن عمرو الجرهمي « قال ابن هشام » ويقال مضاض بن عمرو الجرهمي * قال ابن اسحق وبنو اسمعيل وبنو نابت مع جدهم مضاض بن عمرو وأخوالهم من جرهم وجرهم وقطوراء يومئذ أهل مكة وهما ابنا عم وكانا ظعنا من اليمن فأقبلا سيارة وعلى جرهم مضاض بن عمرو وعلى قطوراء السميدع رجل منهم وكانوا اذا خرجوا من اليمن لم يخرجوا الا ولهم ملك يقيم أمرهم فلما نزلا مكة رأيا بلدا ذا ماء وشجر فأعجبهما فنزلا به

فاستوطناه

فنزل مضاض بن عمرو ومن معه من جرهم باعلى مكة بقعيقعان فما حاز ونزل السميدع بقطوراء أسفل مكة باجياد فما حاز فكان مضاض يعشر من دخل مكة من أعلاها وكان السميدع يعشر من دخل مكة من أسفلها وكل فى قومه لا يدخل واحد منهما على صاحبه ثم ان جرهم وقطوراء بغى بعضهم على بعض وتنافسوا الملك بها ومع مضاض يومئذ بنو اسمعيل وبنو نابت واليه ولاية البيت دون السميدع فسار بعضهم الى بعض فخرج مضاض بن عمرو من قعيقعان فى كتيبته سائرا الى السميدع ومع كتيبته عدتها من الرماح والدرق والسيوف والجعاب يتقعقع بذلك معه فيقال ماسمى قعيقعان بقعيقعان الا لذلك وخرج السميدع من أجياد ومعه الخيل والرجال فيقال ماسمى أجياد أجيادا الا لخروج الجياد من الخيل مع السميدع منه فالتقوا بفاضح واقتتلوا قتالا شديدا فقتل السميدع وفضحت قطوراء فيقال ماسمى فاضح فاضحا الا لذلك ثم ان القوم تداعوا الى الصلح فساروا حتى نزلوا المطابخ شعبا باعلى مكة واصطلحوا به وأسلموا الامر الى مضاض فلما جمع اليه أمر مكة فصار ملكها له نحر للناس فاطعمهم فاطبخ الناس وأكلوا فيقال ماسميت المطابخ المطابخ الا لذلك وبعض أهل العلم يزعم انها انما سميت المطابخ لما كان تبع نحر بها وأطعم وكانت منزله فكان الذى كان بين مضاض والسميدع أول بغى كان بمكة فيما يزعمون * ثم نشر الله ولد اسمعيل بمكة وأخوالهم من جرهم ولاة البيت والحكام بمكة

لا ينازعهم ولد اسمعيل فى ذلك لخؤلتهم وقرابتهم واعظاما للحرمة ان يكون بها بغى أو قتال فلما ضاقت مكة على ولد اسمعيل انتشروا فى البلاد فلا يناوون قوما الا أظهرهم الله عليهم بدينهم فوطئوهم ثم ان جرهما بغوا بمكة واستحلوا خلالا من الحرمة فظلموا من دخلها من غير أهلها وأكلوا مال الكعبة الذى يهدى لها فرق أمرهم فلما رأت بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة وغبشان من خزاعة ذلك أجمعوا لحربهم واخراجهم من مكة فآذنوهم بالحرب فاقتتلوا فغلبتهم بنو بكر وغبشان فنفوهم من مكة وكانت مكة فى الجاهلية لا تقر فيها ظلما ولا بغيا ولا يبغى فيها أحد الا أخرجته

فاستوطناه فمن هنالك صار موضع جهينة بالحجاز وقرب المدينة وأتاهم من قضاعة وقضاعة من ريف العراق

﴿ فصل ﴾ رجع الحديث وكان الحرث بن مضاض بن عمرو بن سعد بن الرقيب بن هى بن نبت بن جرهم الجرهمى قد نزل بقنونا من أرض الحجاز فضلت له ابل فبغاها حتى أتى الحرم فأراد دخوله ليأخذ ابله فنادى عمرو بن لحى من وجد جرهميا فلم يقتله قطعت يده فسمع بذلك الحرث وأشرف على جبل من جبال مكة فرأى ابله تنحر ويتوزع لحمها فانصرف يائسا خائفا ذليلا وأبعد فى الارض وهى غربة الحرث بن مضاض التى تضرب بها المثل حتى قال الطائى

غربة تقتدى بغربة قيـ * ـس بن زهير والحارث بن مضاض

وحينئذ قال الحرث الشعر الذى رسمه ابن اسحق وهو قوله * كان لم يكن بين الحجون الى الصفا * الشعر وفيه

ونبكى لبيت ليس يؤذى حمامه * تظل به أمنا وفيه العصافر

أراد العصافير وحذف الياء ضرورة ورفع العصافير على المعنى أى وتأمن فيه العصافير وتظل به أمنا أى ذات أمن ويجوز أن يكون أمنا جمع آمن مثل ركب جمع راكب وفيه ولم يسمر بمكة سامر السامر اسم الجماعة يتحدثون بالليل وفى التنزيل «سامرا تهجرون» والحجون بفتح الحاء على فرسخ وثلث من مكة قال الحميدى كان سفيان ربما أنشد هذا الشعر فزاد فيه بعد قوله فليست تغادر

ولم يتربع واسطا وجنوبه * الى السر من وادى الاراكة حاضر

وأبدلنى ربى بها دار غربة * بها الجوع باد والعدو المحاصر

قال الحميدى واسط الجبل الذى يجلس عنده المساكين اذا ذهبت الى منى وقوله فيه

* لا يبعد سهيل وعامر * عامر جبل من جبال مكة يدل على ذلك قول بلال رضى الله عنه * وهل يبدون لى عامر وطفيل * على رواية من رواه هكذا وجرهم هذا هو الذى تتحدث بها العرب فى أكاذيبها وكان من خرافاتها فى الجاهلية ان جرهما ابن ملك أهبط من السماء لذنب أصابه [فغضب عليه من أجله] كما أهبط هاروت وماروت ثم ألقيت فيه الشهوة فتزوج امرأة فولدت له جرهما وقال قائلهم

لاهم ان جرهما عبادكا * الناس طرف وهم تلادكا

من كتاب الامثال للاصبهانى

﴿ فصل ﴾ وذكر مكة وبكة وقد قيل فى بكة ماذكر من انها تبك الجبابرة أى تكسرهم وتقدعهم وقيل من التباك وهو الازدحام ومكة من تمككت العظم اذا اجتذبت ما فيه من المخ وتمكك الفصيل ما فى ضرع

فكانت تسمى الناسة ولا يريدها ملك يستحل حرمتها الا هلك مكانه فيقال انها ما سميت ببكة الا أنها كانت تبك اعناق الجابرة اذا أحدثوا فيها شيئاً «قال ابن هشام» أخبرني أبوعبيدة ان بكة اسم لبطن مكة لانهم يتباكون فيها أي يزدحمون وأنشدني اذا الشريب أخذته أكه * فخله حتى يبك بكه أي فدعه حتى يبك ابله أي يخليها الى الماء فتزدحم عليه وهو موضع البيت والمسجد وهذان البيتان لعامان بن كعب بن عمرو بن سعد بن زيد مناة بن تميم * قال ابن اسحق فخرج عمرو بن الحرث بن مضاض الجرهمي بغزالي الكعبة وبحجر الركن فدفنهما في زمزم وانطلق هو ومن معه من جرهم الى اليمن فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة وملكها حزناً شديداً فقال عمرو بن الحرث بن مضاض في ذلك وليس بمضاض الاكبر

وقائلة والدمع سكب مبادر * وقد شرقت بالدمع منها المحاجر
كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا * أنيس ولم يسمر بمكة سامر
فقلت لها والقلب مني كأنما * يلجلجه بين الجناحين طائر
بلى نحن كنا أهلها فأزالنا * صروف الليالي والجدود العواثر
وكنا ولاة البيت من بعد نابت * نطوف بذاك البيت والخير ظاهر
ونحن ولينا البيت من بعد نابت * بعز فما يحظى لدينا المكاثر
ملكنا فعززنا فاعظم بملكنا * فليس لحي غيرنا ثم فاخر
ألم تنكحوا من خير شخص علمته * فابناؤه منا ونحن الاصاهر
فان تنثني الدنيا علينا بحالها * فان لها حالا وفيها التشاجر
فاخرجنا منها المليك بقدرة * كذلك يا للناس تجري المقادر
أقول اذا نام الخلي ولم أنم * اذا العرش لا يبعد سهيل وعامر
وبدلت منها أوجها لا أحبها * قبائل منها حمير ويحابر
وصرنا أحاديثا وكنا بغبطة * بذلك عضتنا السنون الغوابر
فسحت دموع العين تبكي لبلدة * بها حرم أمن وفيها المشاعر
ونبكي لبيت ليس يؤذى حمامه * يظل به أمنا وفيه العصافر
وفيه وحوش لا ترام أنيسة * اذا خرجت منه فليست تغادر

«قال ابن هشام» قوله فابناؤه منا عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال عمرو بن الحرث أيضا يذكر بكرا وغبشان وساكني مكة الذين خلفوا فيها بعدهم

يا أيها الناس سيروا أن قصركم * ان تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا

الناقة فكأنها تجتذب الى نفسها ما في البلاد من الناس والاقوات التي تأتيها في المواسم وقيل لما كانت في بطن واد فهي تمكك الماء من جبالها وأخاشبها عند نزول المطر وتنجذب اليها السيول واما قول الراجز الذي أنشده ابن هشام

اذا الشريب أخذته أكه * فخله حتى تبك بكه

فالاكة الشدة وأكاك الدهر شدائده * وذكر انه كان يقال لها الناسة وهو من نست الشيء اذا أذهبته والرواية في الكتاب بالنون وذكر الخطابي انه يقال لها الباسة أيضا بالباء وهو من بست الجبال بسا أي فتت وثريت كما يثرى السويق قال الراجز * لا تخبزا خبزا وبسا بسا * يقول لا تشتغلا بالخبز وثريا الدقيق والتقماه يقال ان هذا البيت للص أعجله الهرب * وذكر أبوعبيدة ان الخبز شدة السوق والبس ألين منه وبعده * ماترك السير لهن نسا * ومن أسماء مكة أيضا الرأس وصلاح وأم رحم وكوثا واما التي يخرج منها الدجال فهي كوثاربا ومنها كانت أم ابراهيم عليه السلام وقد تقدم اسمها وأبوها هو الذي احتفر نهر كوثا قاله الطبري

﴿فصل﴾ وذكر قول الحرث بن مضاض

يا أيها الناس سيروا ان قصركم * ان تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا

وذكر ابن هشام انها وجدت بحجر باليمن ولا يعرف قائلها والفيت في كتاب [أبي بحر] سفيان بن العاصي خبر الهذه الابيات وسنده أبو الحرث محمد بن أحمد الجعفي عن عبدالله بن عبدالسلام البصري قال حدثنا اسحق بن ابراهيم بن سليمان التمار قال أخبرني ثقة عن رجل من أهل اليمامة قال وجدت بقرب اليمامة ثلاثة أحجار وهي بأرض طسم وجديس في قرية يقال لها معنق بينها وبين الحجر ميل وهم من بقايا عاد غزاهم تبع فقتلهم فوجدوا في حجر من الثلاثة الاحجار مكتوبا

يا أيها الملك الذي * بالملك ساعده زمانه
ما أنت أول من علا * وعلا شؤن الناس شانه
أقصر عليك مراقبا * فالدهر مخذول أمانه
كم من أشم مصعب * بالتاج مرهوب مكانه
قد كان ساعده الزما * ن وكان ذا خفض جنانه
تجري الجداول حوله * للجند مترعة جفانه
قد فاجأته منية * لم ينجه منها اكتنانه
وتفرقت أجناده * عنه وناح به قيانه
والدهر من يعلق به * يطحنه مفترشا جرانه

والناس شتى فى الهوى * كالمرء مختلف بنانه
والصدق أفضل شيمة * والمرء يقتله لسانه
والصمت أسعد للفتى * ولقد يشرفه بيانه

ووجد فى الحجر الثانى مكتوبا أبيات

كل عيش تعله * ليس للدهر خله
يوم بؤس ونعمى * واجتماع وقله
حبنا العيش والتكا * ثر جهل وضله
بينما المرء ناعم * فى قصور مظله
فى ظلال ونعمة * ساحبا ذيل حله
لا يرى الشمس مائضا * رة اذ زال زله
لم يقلها وبدات * عزة المرء ذله
آفة العيش والنعـ * ـيم كرور الأهله
وصل يوم بليلة * واعتراض بعله
والمنايا جوائم * كالصقور المدله
بالذى تكره النفـ * ـوس عليها مطله

وفى الحجر الثالث مكتوبا

يا أيها الناس سيروا ان قصركم * ان تصبحوا ذات يوم لا تسيرونا
حثوا المطى وارخوا من أزمتها * قبل الممات وقضوا ما تقضونا
كنا أناسا كما كنتم فغيرنا * دهر فانتم كما كنا تكونونا

وذكر أبو الوليد الازرقى فى كتابه فى فضائل مكة زيادة فى هذه الابيات وهى

قد مال دهر علينا ثم أهلكنا * بالبغى فيناو بز الناس ناسونا
ان التفكر لا يجدى بصاحبه * عند البديهة فى علم له دونا
قضوا أموركم بالحزم ان لها * أمور رشد رشدتم ثم مسنونا
واستخبروا فى صنيع الناس قبلكم * كما استبان طريق عنده الهونا
كنا زمانا نملوك الناس قبلكم * بمسكن فى حرام الله مسكونا

ووجد على حائط قصر بدمشق لبنى أمية مكتوبا

يا أيها القصر الذى كانت * تحف به المواكب
اين المواكب والمضا * ارب والنجائب والجنائب
أين العساكر والدسا * كر والمقانب والكتائب
ما بالهم لم يدفعوا * لما أتت عنك النوائب
ما بال قصرك واهيا * قد عاد متهدم الجوانب

ووجد فى الحائط الآخر من حيطانها جوابها

يا سائلى عما مضى * من دهرنا ومن العجائب

حثوا المطى وأرخوا من أزمتها قبل الممات وقضوا ما تقضونا كنا أناسا كما كنتم فغيرنا دهر فانتم كما كنا تكونونا «قال ابن هشام» هذا ما صح له منها «قال ابن هشام» وحدثنى بعض أهل العلم بالشعر أن هذه الابيات أول شعر قيل فى العرب وأنها وجدت فى حجر باليمن ولم يسم لى قائلها قال ابن اسحاق ثم ان غبشان من خزاعة وليت البيت دون بنى بكر بن عبد مناة وكان الذى يليه منهم عمرو بن الحرث الغبشانى وقريش اذ ذاك حلول وصرم وبيوتات متفرقون فى قومهم من بنى كنانة فوليت خزاعة البيت يتوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى كان آخرهم حليل ابن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى

« قال ابن هشام » يقال حبشية بن سلول * قال ابن اسحق ثم ان قصي بن كلاب خطب الى حليل بن حبشية بنته حبي فرغب فيه حليل فزوجه فولدت له عبد الدار وعبد مناف وعبد العزى وعبدا فلما انتشر ولد قصي وكثر ماله وعظم شرفه هلك حليل فرأى قصي انه أولى بالكعبة وبامر مكة من خزاعة وبني بكر وان قريشا قرعة اسمعيل بن ابراهيم وصريح ولده فكلم رجالا من قريش وبني كنانة ودعاهم الى اخراج خزاعة وبني بكر من مكة فاجابوه وكان ربيعة بن حرام من عذرة بني سعد بن زيد قد قدم مكة بعد ما هلك كلاب فتزوج فاطمة بنت سعد بن سيل وزهرة يومئذ رجل وقصي فطيم فاحتملها الى بلاده فحملت قصيا امها وأقام زهرة فولدت لربيعة رزاحا فلما بلغ قصي وصار رجلا أتى مكة فأقام بها فلما أجابه قومه الى ما دعاهم اليه كتب الى أخيه من أمه رزاح بن ربيعة يدعوه الى نصرته والقيام معه فخرج رزاح ابن ربيعة ومعه اخوته حن ابن ربيعة ومحمود بن ربيعة وجلهمة بن ربيعة وهم لغير أمه فاطمة فيمن تبعهم من قضاعة في حاج العرب وهم مجمعون لنصرة قصي وخزاعة تزعم ان حليل بن حبشية أوصى بذلك قصيا وأمره به حين انتشر له من ابنته من الولد ما انتشر وقال أنت أولى بالكعبة وبالقيام عليها وبأمر مكة من خزاعة فعند ذلك طلب قصي ما طلب ولم نسمع ذلك من غيرهم فالله أعلم أي ذلك كان

﴿ ما كان يليه الغوث بن مر من الاجازة للناس بالحج ﴾ وكان الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر يلي الاجازة للناس بالحج من عرفة وولده من بعده وكان يقال له ولولده صوفة وانما ولي ذلك الغوث بن مر لان أمه كانت امرأة من جرهم وكانت لا تلد فنذرت لله ان هي ولدت رجلا أن تصدق به على الكعبة عبدا لها يخدمها ويقوم عليها فولدت الغوث فكان يقوم على الكعبة في الدهر الاول مع أخواله من جرهم فولي الاجازة بالناس من عرفة لمكانه الذي كان به من الكعبة وولده من بعده حتى انقرضوا فقال مر بن أد لوفاء نذر أمه

اني جعلت رب من بنيه * ربيطة بمكة العليه
فباركن لي بها أليه * واجعله لي من صالح البريه

فصل

والقصر اذ أودى فاضحى * بعد منهد الجوانب
وعن الجنود أولي العقو * د ومن بهم كنا نحارب
وبهم قهرنا عنوة * من بالمشارق والمغارب
وتقول لم لم يدفعوا * لما اتت عنك النوائب
هيهات لا ينجي من المو * ت الكتائب والمقانب

﴿ فصل ﴾ في حديث قصي ذكر فيه أن قريشا قرعة ولد اسمعيل هكذا بالقاف هي الرواية الصحيحة وفي بعض النسخ فرعة بالفاء والقرعة بالقاف هي نخبة الشيء وخياره وقريع الابل فحلها وقريع القبيلة سيدها ومنه اشتق الاقرع بن حابس وغيره ممن سمي من العرب بالاقرع * وذكر انتقال ولاية البيت من خزاعة اليه ولم يذكر من سبب ذلك أكثر من أن قصيا رأى نفسه أحق بالامر منهم وذكر غيره أن حليلا كان يعطي مفاتيح البيت ابنته حبي حين كبر وضعف فكانت بيدها وكان قصي ربما أخذها في بعض الاحيان ففتح البيت للناس وأغلقه ولما هلك حليل أوصى بولاية البيت الى قصي فأبت خزاعة أن تمضي ذلك لقصي فعند ذلك هاجت الحرب بينه وبين خزاعة وأرسل الى رزاح أخيه يستنجده عليهم ويذكر أيضا أن أبا غبشان من خزاعة واسمه سليم وكانت له ولاية الكعبة باع مفاتيح الكعبة من قصي بزق خمر فقيل أخسر من صفقة أبي غبشان ذكره المسعودي والاصبهاني في الامثال وكان الاصل في انتقال ولاية البيت من ولد مضر الى خزاعة ان الحرم حين ضاق عن ولد نزار وبغت فيه اياد أخرجتهم بنو مضر بن نزار وجلوهم عن مكة فعمدوا في الليل الى الحجر الاسود فاقتلعوه واحتملوه على بعير فرزح البعير به وسقط الى الارض وجعلوه على آخر فرزح أيضا وعلى الثالث ففعل مثل ذلك فلما رأوا ذلك دفنوه وذهبوا فلما أصبح أهل مكة ولم يروه وقعوا في كرب عظيم وكانت امرأة من خزاعة قد بصرت به حين دفن فأعلمت قومها بذلك فحينئذ أخذت خزاعة على ولاة البيت أن يتخلوا لهم عن ولاية البيت ويدلوهم على الحجر ففعلوا ذلك فمن هنالك صارت ولاية البيت لخزاعة الى أن صيرها أبو غبشان الى عبد مناف هذا معنى قول الزبير

﴿ فصل ﴾ وذكر أن قصيا نشأ في حجر ربيعة بن حرام ثم ذكر رجوعه الى مكة وزاد غيره في شرح الخبر فقال وكان قصي رضيعا حين احتملته أمه مع بعلها ربيعة فنشأ ولا يعلم لنفسه أبا الا ربيعة ولا يدعى الا له فلما كان غلاما يفعة أو حزورا سابه رجل من قضاعة فعيره بالدعوة وقال لست منا وانما أنت فينا ملصق فدخل على أمه وقد وجم لذلك فقالت له يا بني صدق انك لست منهم ولكن رهطك خير من رهطه وآباؤك أشرف من آبائه وانما أنت قرشي وأخوك وبنو عمك بمكة وهم جيران بيت الله الحرام فدخل في سيارة حتى أتى مكة وقد ذكرنا أن اسمه زيد وانما كان قصيا أي بعيدا عن بلده فسمي قصيا

﴿ فصل ﴾ وذكر قصة الغوث بن مر ودفعه بالناس من عرفة وقال بعض نقلة الاخبار ان ولاية الغوث

وكان الغوث بن مر فيما زعموا اذا دفع بالناس قال لاهم انى تابع تباعه * ان كان اثم فعلى قضاعه * قال ابن اسحق حدثنى يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير عن أبيه قال كانت صوفة تدفع بالناس من عرفة وتجيز بهم اذا نفروا من منى فاذا كان يوم النفر أتوا لرمى الجمار ورجل من صوفة يرمى للناس لا يرمون حتى يرمى فكان ذو والحاجات المتعجلون يأتونه فيقولون له قم فارم حتى نرمى معك فيقول لا والله حتى تميل الشمس فيظل ذو والحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة ويستعجلونه بذلك ويقولون له ويلك قم فارم فيأبى عليهم حتى اذا مالت الشمس قام فرمى ورمى الناس معه * قال ابن اسحق فاذا فرغوا من رمى الجمار وأرادوا النفر من منى أخذت صوفة بجانبى العقبة فحبسوا الناس وقالوا أجيزى صوفة فلم يجز أحد من الناس حتى يمروا فاذا نفرت صوفة ومضت خلى سبيل الناس فانطلقوا بعدهم فكانوا كذلك حتى انقرضوا فورثهم ذلك من بعدهم بالقعدد بنو سعد بن زيد مناة بن تميم وكانت من بنى سعد فى آل صفوان بن الحرث بن شجنة «قال ابن هشام» صفوان بن جناب بن شجنة بن عطارد ابن عوف بن كعب بن سعد ابن زيد مناة بن تميم * قال ابن اسحق وكان صفوان هو الذى يجيز للناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام كرب بن صفوان «وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدى»

لا يبرح الناس ما حجوا معرفهم * حتى يقال أجيزوا آل صفوانا

«قال ابن هشام» هذا البيت فى قصيدة لاوس بن مغراء وأما قول ذى الاصبع العدوانى واسمه حرثان بن عمرو وانما سمى ذا الاصبع لانه كان له أصبع فقطعها

عذير الحى من عدوا * ن كانوا حية الارض
بغى بعضهم ظلما * فلم يرع على بعض
ومنهم كانت السادا * ت والموفون بالقرض
ومنهم من يجيز النا * س بالسنة والفرض
ومنهم حكم يقضى * فلا ينقض ما يقضى

ابن مر كانت من قبل ملوك كندة * وقوله ان كان اثم فعلى قضاعة انما خص قضاعة بهذا لان منهم محلين يستحلون الاشهر الحرم كما كانت خثعم وطيئ تفعل وكذلك كانت النسأة تقول اذا احرمت صفرا أو غيره من الاشهر بدلا من الشهر الحرام يقول قائلهم قد حرمت عليكم الدماء الا دماء المحلين

﴿ فصل ﴾ وأما تسمية الغوث وولده صوفة فاختلف فى سبب ذلك فذكر أبو عبيدالله الزبير بن أبى بكر القاضى فى أنساب قريش له عند ذكر صوفة البيت الواقع فى السيرة لاوس بن مغراء السعدى وهو

* لا يبرح الناس ما حجوا معرفهم * البيت وبعده

مجد بناه لنا قدما أوائلنا * وأورثوه طوال الدهر أخرانا

ومغراء تأنيث أمغر وهو الاحمر ومنه قول الاعرابى للنبى صلى الله عليه وسلم أهو هذا الرجل الامغر ثم قال قال أبو عبيدة وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت شيئا من غير أهله أو قام بشئ من خدمة البيت أو بشئ من أمر المناسك يقال لهم صوفة وصوفان قال أبو عبيدة لانه بمنزلة الصوف فيهم القصير والطويل والاسود والاحمر ليسوا من قبيلة واحدة وذكر أبو عبدالله انه حدثه أبو الحسن الاثرم عن هشام بن محمد بن السائب الكلبى قال انما سمى الغوث بن مر صوفة لانه كان لا يعيش لامه ولد فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيطا للكعبة ففعلت فقيل له صوفة ولولده من بعده وهو الربيط وحدث ابراهيم ابن المنذر عن [عمر بن] عبدالعزيز بن عمران قال أخبرنى عقال بن شبة قال قالت أم تميم بن مر وولدت نسوة فقالت لله على لئن ولدت غلاما لاعبدنه للبيت فولدت الغوث وهو أكبر ولد مر فلما ربطته عند البيت أصابه الحر فمرت به وقد سقط وذوى واسترخى فقالت ما صار ابنى الا صوفة فسمى صوفة

﴿ فصل ﴾ وذكر وراثة بنى سعد اجازة الحاج بالقعدد من بنى الغوث بن مر وذلك ان سعدا هو ابن زيد مناة بن تميم بن مر وكان سعد أقعد بالغوث بن مر من غيره من العرب وزيد مناة بن تميم يقال فيه مناة ومناءة بالهمز وتركه ويجوز أن يكون اذا همز مفعلة من ناء ينوء ويجوز أن يكون فعالة من المنيئة وهى المدبغة كما قالت امرأة من العرب لاخرى اعطنى نفسا أو نفسين أمعس بها منيئتى فانى أفدة * النفس قطعة من الدباغ والمنيئة الجلد فى الدباغ وأفدة مقاربة لاستتمام ما تريد صلاحه وتمامه من ذلك الدباغ وأنشد أبو حنيفة

اذا أنت باكرت المنيئة باكرت * قضيب أراك بات فى المسك منقعا

وأنشد يعقوب

اذا أنت باكرت المنيئة باكرت * مدا كالهامن زعفران واثمد

وهذه الابيات فى قصيدة له فلأن الافاضة من المزدلفة كانت فى عدوان فيما حدثنى زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق يتوارثون ذلك كابرا عن كابر حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام أبو سيارة عميلة بن الاعزل ففيه يقول شاعر من العرب

نحن دفعنا عن أبى سياره
وعن مواليه بنى فزاره
حتى أجاز سالما حماره
مستقبل القبلة يدعو جاره

قال وكان أبو سيارة يدفع بالناس على أتان له فلذلك يقول سالما حماره * قال ابن اسحق وقوله حكم يقضى يعنى عامر بن ظرب ابن عمرو بن عياذ بن يشكر ابن عدوان العدوانى وكانت العرب لا يكون بينها نائرة ولا عضلة فى قضاء الا أسندوا ذلك اليه ثم رضوا بما قضى فيه فاختصم اليه فى بعض ما كانوا يختلفون فيه فى رجل خنثى له ما للرجل وله ما للمرأة فقالوا أتجعله رجلا أو امرأة ولم يأتوه بأمر كان أعضل منه فقال حتى أنظر فى أمركم فوالله ما نزل بى مثل هذه منكم يا معشر العرب فاستأخروا عنه فبات ليلته ساهرا يقلب أمره وينظر فى شأنه لا يتوجه له منه وجه وكانت له جارية يقال لها سخيلة ترعى عليه غنمه وكان يعاتبها اذا سرحت فيقول صبحت والله يا سخيل واذا راحت عليه قال مسيت والله يا سخيل وذلك أنها كانت تؤخر السرح حتى يسبقها بعض الناس وتؤخر الاراحة حتى يسبقها بعض الناس فلما رأت سهره وقلقه وقلة قراره على فراشه قالت مالك الذئب

﴿ فصل ﴾ وأما قوله فلأن الافاضة من المزدلفة كانت فى عدوان فالمزدلفة مفتعلة من الازدلاف وهو الاجتماع وفى التنزيل « وأزلفنا ثم الآخرين » وقيل بل الازدلاف هو الاقتراب والزلفة القربة فسميت مزدلفة لان الناس يزدلفون فيها الى الحرم وفى الخبر ان آدم عليه السلام لما هبط الى الارض لم يزل يزدلف الى حواء وتزدلف اليه حتى تعارفا بعرفة واجتمعا بالمزدلفة فسميت جمعا وسميت المزدلفة * وأما ذو الاصبع الذى ذكره فهو حرثان بن عمرو ويقال فيه حرثان بن الحرث بن محرث بن ربيعة بن هبيرة بن ثعلبة بن ظرب وظرب هو والد عامر بن الظرب الذى كان حكم العرب وذكر ابن اسحاق قصته فى الخنثى وفيه يقول الشاعر

لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا * وما علم الانسان الا ليعلما

وكان قد خرف حتى تفلّت ذهنه فكانت العصا تقرع له اذا تكلم فى نادى قومه تنبيها له لئلا تكون له السقطة فى قول أو حكم وكذلك كان ذو الاصبع كان حكما فى زمانه وعمر ثلاثمائة سنة وسمى ذا الاصبع لان حية نهشته فى أصبعه وجدهم ظرب هو عمرو بن عياذ بن يشكر بن بكر بن عدوان واسم عدوان تيم وأمه جديلة بنت أد بن طابخة وكانوا أهل الطائف وكثر عددهم فيها حتى بلغوا زهاء سبعين ألفا ثم هلكوا ببغى بعضهم على بعض وكان ثقيف وهو قسى بن منبه صهرا لعامر بن الظرب كانت تحته زينب بنت عامر وهى أم أكثر ثقيف وقيل هى أخت عامر وأختها ليلى بنت الظرب هى أم دوس بن عدثان وسيأتى طرف من خبره فيما بعد ان شاء الله فلما هلكت عدوان وأخرجت بقيتهم ثقيف من الطائف صارت الطائف بأسرها لثقيف الى اليوم * وقوله حية الارض يقال فلان حية الارض وحية الوادى اذا كان مهيبا يذعر منه كما قال حسان

يا لحكم بن طفيل قد أتيح لكم * لله در أبيكم حية الوادى

يعنى بحية الوادى خالد بن الوليد رضى الله عنه

﴿ فصل ﴾ وقوله عذيرا لحى من عدوان نصب عذيرا على الفعل المتروك اظهاره كأنه يقول هاتوا عذيره أى من يعذره فيكون العذير بمعنى العاذر ويكون أيضا بمعنى العذر مصدرا كالحديث ونحوه * وذكر أبا سيارة وهو عميلة بن الاعزل فى قول ابن اسحاق وقال غيره اسمه العاصى قاله الخطابى واسم الاعزل خالد ذكره الاصبهانى وكانت له أتان عوراء خطامها ليف يقال انه دفع عليها فى الموقف أربعين سنة واياها يعنى الراجز فى قوله * حتى يجيز سالما حماره * وكانت تلك الاتان سوداء ولذلك يقول

لاهم مالى فى الحمار الاسود * أصبحت بين العالمين أحسد
فق ابا سيارة المحسد * من شر كل حاسد اذ يحسد

وأبو سيارة هذا هو الذى يقول أشرق ثبير كيما نغير وهو الذى يقول * لاهم انى تابع تباعه * وكان يقول فى دعائه اللهم بغض بين رعائنا وحبب بين نسائنا واجعل المال فى سمحائنا وهو أول من جعل الدية مائة من الابل فيما ذكر أبو اليقظان [حكاه عنه حمزة بن الحسن الاصبهانى] * وقوله وعن مواليه بنى فزارة يعنى بمواليه بنى عمه لانه من عدوان وعدوان وفزارة من قيس عيلان * وقوله * مستقبل القبلة يدعو جاره * أى يدعو الله عز وجل يقول اللهم كن لنا جارا مما نخافه أى مجيرا

﴿ فصل ﴾ وذكر عامر بن الظرب وحكمه فى الخنثى وما أفتته به جاريته سخيلة وهو حكم معمول به فى الشرع وهو من باب الاستدلال بالامارات والعلامات وله أصل فى الشريعة قال الله سبحانه « وجاؤا على قميصه بدم كذب » وجه الدلالة على الكذب فى الدم ان القميص المدمى لم يكن فيه خرق ولا أثر لنياب

لا أبالك ماعراك فى ليلتك هـذه قال ويلك دعينى أمر ليس من شأنك ثم عادت له بمثل قولها فقال فى نفسه عسى أن تأتى مما أنا فيه بفرج فقال ويحك اختصم الى فى ميراث خنثى أأجعله رجلا أو امرأة فوالله ما أدرى ما أصنع وما يتوجه لى فيه وجه فقالت سبحان الله لا أبالك أتبع القضاء المبال أقعده فان بال من حيث يبول الرجـل فهو رجل وان بال من حيث تبول المرأة فهى امرأة قال مسى سخيل بعدها أو صبحى فرجتها والله ثم خرج على الناس حين أصبح فقضى بالذى أشارت عليه به

﴿ غلب قصى بن كلاب على أمر مكة وجمعه أمر قريش ومعونة قضاعـة له ﴾

* قال ابن اسحق فلما كان ذلك العام فعلت صوفة كما كانت تفعل وقد عرفت ذلك لها العرب وهو دين فى أنفسـهم فى عهد جرهم وخزاعة وولايتهم فأتاهم قصى بن كلاب بمن معه من قومه من قريش وكنانة وقضاعة عند العقبة فقال لنحن أولى بهذا منكم فقاتلوه فاقتتل الناس قتالا شديدا ثم انهزمت صوفه وغلبهم قصى على ما كان بأيديهم من ذلك وانحازت عند ذلك خزاعة وبنو بكر عـن قصى وعرفوا أنه سيمنعهم كما منع صوفة وأنه سيحول بينهم و بين الكعبة وأمر مكة فلما انحازوا عنه باداهم وأجمع لحربهم وخرجت له خزاعة وبنو بكر فالتقوا فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثرت القتلى فى الفريقين جميعا ثم انهم تداعوا الى الصلح والى أن يحكموا بينهم رجـلا من العـرب فحكموا يعمر بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة ابن كنانة فقضى بينهم بأن قصيا أولى بالكعبة وأمر مكة مـن خزاعة وان كل دم أصابه قصى من خزاعة وبنى بكر موضوع يشدخه تحت قدميه وان ما أصابت خزاعة وبنو بكر من قريش وكنانة وقضاعة ففيه الدية مؤداة وان يخلى بين قصى و بين الكعبة ومكة فسمى يعـمر بن عوف يومئذ الشداخ لما شدخ من الدماء ووضع منها «قال ابن هشـام» ويقـال الشداخ * قال ابن اسحق فولى قصى البيت وأمر مكة وجمع قومه من منازلهم الى مكة وتملك على قومه وأهل مكة فملكوه الا انه قد أقر للعرب ما كانوا عليه وذلك انه كان يراه دينا فى نفسه لا ينبغى تغييره فأقر آل صفوان وعدوان والنسأة ومرة بن عوف على ما كانوا عليه حتى جاء الاسلام فهدم الله به ذلك كله فكان قصى أول بنى كعب بن لؤى أصاب ملكا أطاع له به قومه

الذئب وكذلك قوله «ان كان قميصه قد من قبل» الآية وقول النبى صلى الله عليه وسلم [فى المولود] ان جاءت به أورق جعدا جماليا فهو للذى رميت به فالاستدلال بالامارات أصل ينبنى عليه كثير من الاحكام فى الحدود والميراث وغير ذلك والحكم فى الخنثى أن يعتبر المبال و يعتبر بالحيض فان أشكل من كل وجه حكم بأن يكون له فى الميراث سهم امرأة ونصف وفى الدية كذلك وأكثر أحكامه مبنية على الاجتهاد

﴿ فصـل ﴾ وذكر يعمر الشداخ بن عوف حين حكموه وانه سمى بالشداخ لما شـدخ من دماء خزاعة و يعمر الشداخ هو جد بنى دأب الذين أخذ عنهم كثير من علم الاخبار والانساب وهم عيسى بن يزيد بن دأب وأبوه يزيد وحذيفة بن دأب ودأب هو بن كرز بن أحمر من بنى يعمر بن عوف الذى شدخ دماء خزاعة أى أبطلها وأصل الشدخ الكسر والفضخ ومنه الغرة الشادخة شبهت بالضربة الواسـعة والشداخ بفتح الشـين كما قال ابن هشام والشداخ بضمها انما هو جمع وجائز أن يسمى هو و بنوه الشـداخ كما يقال المناذرة فى المنذر و بنيه والاشعرون فى بنى الاشعر من سبا وهو باب يكثر و يطول وأم يعمر الشداخ اسمها السوءم بنت حامر ابن جرة بضم الجيم وسيأتى ذكر جرة بالكسر ذكره ابن ماكولا ومن بنى الشداخ بلعاء بن قيس بن عبد الله ابن يعمر الشداخ الشاعر المذكور فى شعر الحماسة اسمه حميضة ولقب بلعاء لقوله

أنا ابن قيس سبعا وابن سبع * أبار من قيس قبيلا فالتمع

* كأنما كانوا طعاما فابتلع *

﴿ ولاية قصى البيت ﴾

ذكر فيه أمر قصى وما جمع من أهل مكة وأنشد * قصى امرى كان يدعى مجمعا * البيت و بعده

هم واملؤا البطحاء مجدا وسوددا * وهم طردوا عنا غواة بنى بكر

و يذكر ان هذا الشعر لحذافة بن جمح * وذكر ان قصيا قطع مكة رباعا وأن أهلها ابو اقطع شجر الحرم للبنيان وقال الواقدى الاصح فى هذا الخبر ان قريشا حين أرادوا البنيان قالوا لقصى كيف تصنع فى شجر الحرم فحذرهم قطعها وخوفهم العقوبة فى ذلك فكان أحدهم يحوف بالبنيان حول الشجرة حتى تكون فى منزله قال فاول من ترخص فى قطع شجر الحرم للبنيان عبد الله بن الزبير حين ابتنى دورا بقعيقعان لكنه جعل دية كل شجرة بقرة وكذلك يروى عن عمر رضى الله عنـه انه قطع دوحة كانت فى دار أسـد بن عبد العزى وكانت تنال أطرافها ثياب الطائفين بالكعبة وذلك قبل أن يوسع المسجد فقطعها عمر رضى الله عنه ووداها بقرة ومذهب مالك رحمه الله فى ذلك أن لا دية فى شجر الحرم قال ولم يبلغنى فى ذلك شئ وقد أساء من فعل ذلك وأما الشافعى رحمه الله فجعل فى الدوحة بقرة وفيما دونها شاة وقال أبو حنيفة رحمه الله ان كانت الشجرة التى فى الحرم مما يغرسها

فكانت اليه الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء فحاز شرف مكة كله وقطع مكة رباعا بين قومه فانزل كل قوم من قريش منازلهم من مكة التى أصبحوا عليها و يزعم الناس ان قريشاهابوا قطع شجر الحرم فى منازلهم فقطعها قصى بيده وأعوانه فسمته قريش مجمعا لما جمع من أمرها وتيمنت بامره فما تنكح امرأة ولا يتزوج رجل من قريش وما يتشاورون فى أمر نزل بهم ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم الا فى داره يعقده لهم بعض ولده وما تدرع جارية اذا بلغت ان تدرع من قريش الا فى داره يشق عليها فيها درعها ثم تدرعه ثم ينطلق بها الى أهلها فكان أمره فى قومه من قريش فى حياته ومن بعد موته كالدين المتبع لا يعمل بغيره واتخذ لنفسه دار الندوة وجعل بابها الى مسجد الكعبة ففيها كانت قريش تقضى أمورها «قال ابن هشام» وقال الشاعر

قصى لعمرى كان يدعى مجمعا * به جمع الله القبائل من فهر

* قال ابن اسحق حدثنى عبد الملك بن راشد عن أبيه قال سمعت السائب بن خباب صاحب المقصورة يحدث انه سمع رجلا يحدث عمر بن الخطاب وهو خليفة حديث قصى ابن كلاب وما جمع من أمر قومه واخراجه خزاعة و بنى بكر من مكة وولايته البيت وأمر مكة فلم يرد ذلك عليه ولم ينكره * قال ابن اسحق فلما فرغ قصى من حربه انصرف أخوه رزاح بن ربيعة الى بلاده بمن معه من قومه * وقال رزاح فى اجابته قصيا

لما أتى من قصى رسول * فقال الرسول أجيبوا الخليلا
نهضنا اليه نقود الجيا * د وتطرح عنا الملول الثقيلا
تسير بها الليل حتى الصبا * ح ونكمى النهار لئلا نزولا   روايتين
فهن سراع كورد القطا * يجبن بنا من قصى رسولا
جمعنا من السر من اشمذين * ومن كل حى جمعنا قبيلا
فيالك حلبة ماليلة * تزيد على الالف سيبا رسيلا
فلما مررن على عسجر * وأسهلن من مستناخ سبيلا
وجاوزن بالركن من ورقا * ن وجاوزن بالعرج حيا حلولا
مررن على الحلى ماذقنه * وعالجن من مر ليلا طويلا
ندنى من العوذ أفلاءها * ارادة أن يسترقن الصهيلا
فلما انتهينا الى مكة * أبحنا الرجال قبيلا قبيلا

الناس و يستنبتونها فلا فدية على من قطع شيئاً منها وان كان من غيرها ففيه القيمة بالغا ما بلغت * وذكر أبو عبيد أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أفتى فيها بعتق رقبة وذكر ان قصيا اتخذ دار الندوة وهى الدار التى كانوا يجتمعون فيها للتشاور ولفظها مأخوذ من لفظ الندى والنادى والمنتدى وهو مجلس القوم الذى يندون حوله أى يذهبون قريبا منه ثم يرجعون اليه والتندية فى الخيل ان تصرف عن الورد الى المرعى قريبا ثم تعاد الى الشرب وهو المندى وهذه الدار تصيرت بعد بنى عبد الدار الى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى فباعها فى الاسلام بمائة ألف درهم وذلك فى زمن معاوية فلامه معاوية فى ذلك وقال أبعت مكرمة آبائك وشرفهم فقال حكيم ذهبت المكارم الا التقوى والله لقد اشتريتها فى الجاهلية بزق خمر وقد بعتها بمائة ألف درهم واشهدكم ان ثمنها فى سبيل الله فأينا المغبون ذكر خبر حكيم هذا الدارقطنى فى أسماء رجال الموطا له

﴿ فصل ﴾ وذكر شعر رزاح وفيه ونكمى النهار أى نكمن ونستتر والكمى من الفرسان الذى تكمى بالحديد وقيل الذى يكمى شجاعته أى يسترها حتى يظهرها عند الوغى وفيه مررنا بعسجر وهو اسم موضع وكذلك و رقان اسم جبل و وقع فى نسخة سفيان ورقان بفتح الراء وقيده أبو عبيد البكرى ورقان بكسر الراء وأنشد للاحوص

وكيف ترجى الوصل منها وأصبحت * ذرى ورقان دونها وحفير

و يخفف فيقال و رقان قال جميل

ياخليلى ان بثنة بانت * يوم ورقان بالفؤاد سبيا

وذكر انه من أعظم الجبال وذكر ان فيه أوشالا وعيونا عذابا وسكانه بنو أوس بن مزينة * وذكر أيضا الحديث وهو قول النبى صلى الله عليه وسلم ضرس الكافر فى النار مثل أحد وفخذه مثل و رقان * وفى حديث آخر انه عليه السلام ذكر آخر من يموت من هذه الامة فقال رجلان من مزينة ينزلان جبلا من جبال العرب يقال له و رقان كل هذا من قول البكرى فى كتاب معجم ما استعجم

﴿ فصل ﴾ وذكر اشمذين بكسر الذال وفى حاشية كتاب سفيان بن العاص الاشمذان جبلان و يقال اسم قبيلتين ثم قال فى الحاشية فعلى هذا تكون الرواية بفتح الذال وكسر النون من اشمذين (قال المؤلف رحمه الله) فان صح انهما اسم قبيلتين فلا يبعد ان تكون الرواية كما فى الاصل اشمذين بكسر الذال لانه جمع فى المعنى واشتقاق الاشمذ من شمذت الناقة بذنبها أى رفعته و يقال للنحل شمذ لانها ترفع أعجازها وفيه مررن على الجبل وفسره الشيخ فى حاشية الكتاب فقال هو الماء المستنقع فى بطن واد و وجدت فى غير أصل الشيخ

نماورهم ثم حدالسيوف * وفى كل أوب خلسنا العقولا   نخبزهم بصلاب النسو * رخبز القوى العزيز الذليلا
قتلنا خزاعة فى دارها * وبكرا قتلنا وجيلا فجيلا   نفيناهم من بلاد المليك * كما لايحلون أرضا سهولا
فاصبح سبيهم فى الحديد * ومن كل حى شفينا الغليلا

وقال ثعلبة بن عبدالله بن ذبيان بن الحرث بن سعد بن هذيم القضاعى فى ذلك من أمر قصى حين دعاهم فاجابوه

جلبنا الخيل مضمرة تغالى * من الاعراف اعراف الجناب   الى غورى تهامة فالتقينا * من الفيفاء فى قاع بباب
فأما صوفة الخنثى فخلوا * منازلهم محاذرة الضراب   وقام بنو على اذرأونا * الى الاسياف كالابل الطراب

﴿وقال قصى بن كلاب﴾

أنا ابن العاصمين بنى لؤى * بمكة منزلى وبها ربيت   الى البطحاء قد علمت معد * ومروتها رضيت بها رضيت
فلست لغالب ان لم تأثل * بها أولاد قيذر والنبيت   رزاح ناصرى وبه أسامى * فلست أخاف ضيما ماحييت

فلما استقر رزاح بن ربيعة فى بلاده نشره الله ونشر حنا فهما قبيلا عذرة اليوم وقد كان بين رزاح بن ربيعة حين قدم بلاده وبين نهد بن زيد وحوتكة بن أسلم وهما بطنان من قضاعة شئ فاخافهم حتى لحقوا باليمن وأجلوا من بلاد قضاعة فهم اليوم باليمن فقال قصى بن كلاب وكان يحب قضاعة ونماءها واجتماعها ببلادها لما بينه وبين رزاح من الرحم ولبلائهم عنده اذ أجابوه (٨٩) اذ دعاهم الى نصرته وكره ماصنع بهم رزاح

ألا من مبلغ عنى رزاحا * فانى قد لحيتك فى اثنتين
لحيتك فى بنى نهد بن زيد * كما فرقت بينهم وبينى
وحوتكة بن أسلم ان قوما * عنوهم بالمساءة قد عنونى

«قال ابن هشام» وتروى هذه الابيات لزهير بن جناب الكلبى * قال ابن اسحق فلما كبر قصى ورق عظمه وكان عبدالدار بكره وكان عبد مناف قد شرف فى زمان أبيه وذهب كل مذهب وعبدالعزى وعبد قال قصى لعبد الدار أما والله يابنى لالحقنك بالقوم وان كانوا قد شرفوا عليك لايدخل رجل منهم الكعبة حتى تكون أنت تفتحها له ولا يعقد لقريش لواء لحربها الا أنت بيدك ولا يشرب أحد بمكة الا من سقايتك ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاما الا من طعامك ولا تقطع قريش أمرا من أمورها الا فى دارك فأعطاه داره دار الندوة التى لاتقضى قريش أمرا من أمورها الا فيها وأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفادة وكانت الرفادة خرجا تخرجه قريش فى كل موسم من أموالها الى قصى بن كلاب فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وذلك ان قصيا فرضه على قريش فقال لهم حين أمرهم به يامعشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم وان الحجاج ضيف الله وأهله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدروا عنكم ففعلوا فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجا فيدفعونه اليه فيصنعه طعاما للناس أيام منى فجرى ذلك من أمره فى الجاهلية على قومه حتى قام الاسلام ثم جرى فى الاسلام الى يومك هذا فهو الطعام الذى يصنعه السلطان كل عام بمنى للناس حتى ينقضى الحج * قال ابن اسحق حدثنى بهذا من أمر قصى بن كلاب وما قال لعبد الدار فيما دفع اليه مما كان بيده أبى اسحق بن يسار عن الحسن بن محمد بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم قال سمعته يقول ذلك لرجل من بنى عبد الدار يقال له نبيه بن وهب بن عامر بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى قال الحسن فجعل اليه قصى كل ما كان بيده من أمر قومه وكان قصى لايخالف ولا يرد عليه شئ صنعه

روايتين احداهما مررن على الحل والاخرى مررن على الحلى فاما الحل فجمع حلة وهى بقلة شاكة ذكره ابن دريد فى الجمهرة وأما الحلى فيقال انه ثمر القلقلان وهو نبت * وقوله فيها نخبزهم أى نسوقهم سوقا شديدا وقد تقدم قول الراجز * لاتخبزا خبزا وبسابسا * وذكر شعر رزاح الآخر وفيه من الاعراف اعراف الجناب بكسر الجيم وهو موضع من بلاد قضاعة وفيه وقام بنو على وهم بنو كنانة وانما سموا بنى على لان عبد مناة بن كنانة كان ربيبا لعلى بن مسعود بن مازن من الازد جد سطيح الكاهن فقيل لبنى كنانة بنو على وأحسبه أراد فى هذا البيت بنى بكر بن عبد مناة لانهم قاموا مع خزاعة * وذكر شعر قصى * أنا ابن العاصمين بنى لؤى * الابيات وليس فيها مايشكل وذكر ان رزاحا حين استقر فى بلاده نشر الله ولده وولد حن ابن ربيعة فهما حيا عذرة (قال المؤلف) فى قضاعة عذرتان عذرة بن رفيدة وهم من بنى كلب بن وبرة وعذرة بن سعد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة وأسلم هذا هو بضم اللام من ولد حن بن ربيعة أخى رزاح بن ربيعة جد جميل بن عبدالله بن معمر صاحب بثينة ومعمر هو ابن الحرث بن خيبرى بن ظبيان وهو الضبيس بن حن وبثينة أيضا من ولد حن وهى بنت حبان بن ثعلبة بن الهوذى بن عمرو بن الاحب بن حن * وذكر حوتكة بن أسلم وبنى نهد بن زيد واجلاء رزاح لهم وحوتكة هو عم نهد بن زيد بن أسلم وليس فى العرب أسلم بضم اللام الا ثلاثة اثنان منهما فى قضاعة وهما أسلم بن الحاف هذا وأسلم بن تدول بن تيم اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب والثالث فى عك أسلم بن القيافة بن غافق بن الشاهد بن عك وما عدا هؤلاء فاسلم بفتح اللام ذكره ابن حبيب فى المؤتلف والمختلف

﴿ ذكر ماجرى من اختلاف قريش بعد قصي وحلف المطيبين ﴾ * قال ابن اسحق ثم ان قصي بن كلاب هلك فاقام أمره في قومه وفي غيرهم بنوه من بعده فاختطوا مكة رباعا بعد الذي كان قطع لقومه بها فكانوا يقطعونها في قومهم وفي غيرهم من حلفائهم ويبيعونها فاقامت على ذلك قريش معهم ليس بينهم اختلاف ولا تنازع ثم ان بني عبد مناف بن قصي عبد شمس وهاشما والمطلب ونوفلا أجمعوا على ان يأخذوا ما بأيدي بني عبد الدار بن قصي مما كان قصي جعل الى عبد الدار من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة ورأوا انهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم فتفرقت عند ذلك قريش فكانت طائفة مع بني عبد مناف على رأيهم يرون انهم أحق به من بني عبد الدار لمكانهم في قومهم وكانت طائفة مع بني عبد الدار يرون أن لا ينزع منهم ما كان قصي جعل اليهم فكان صاحب أمر بني عبد مناف عبد شمس بن عبد مناف وذلك انه كان أسن بني عبد مناف وكان صاحب أمر بني عبد الدار عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار وكان بنو أسد بن عبد العزى بن قصي وبنو زهرة بن كلاب وبنو تيم بن مرة بن كعب وبنو الحرث بن فهر بن مالك بن النضر مع بني عبد مناف وكان بنو مخزوم بن يقظة بن مرة وبنو سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب وبنو جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب وبنو عدي بن كعب مع بني عبد الدار وخرجت عامر بن لؤي ومحارب بن فهر فلم يكونوا مع واحد من الفريقين فعقد كل قوم على أمرهم حلفا مؤكدا على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا ما بل بحر صوفة فاخرج بنو عبد مناف جفنة مملوأة طيبا فيزعمون أن بعض نساء بني عبد مناف أخرجتها لهم فوضعوها لاحلافهم في المسجد عند الكعبة ثم غمس القوم أيديهم فيها فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيدا على أنفسهم فسموا المطيبين وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفا مؤكدا على ان لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضا فسموا الاحلاف ثم سوند بين القبائل ولز بعضها ببعض فعبيت بنو عبد مناف لبني سهم وعبيت بنو أسد لبني عبد الدار وعبيت زهرة لبني جمح وعبيت بنو تيم لبني مخزوم وعبيت بنو الحرث بن فهر لبني عدي بن كعب ثم قالوا لتفن كل قبيلة من أسند اليها فبينا الناس على ذلك قد أجمعوا للحرب اذ تداعوا الى الصلح على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة وأن يكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت ففعلوا ورضي كل واحد من الفريقين بذلك وتحاجز الناس عن الحرب وثبت كل قوم مع من حالفوا فلم يزالوا على ذلك حتى جاء الله تعالى بالاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان من حلف في الجاهلية فان الاسلام لم يزده الا شدة ﴿ حلف الفضول ﴾ «قال ابن هشام» وأما حلف الفضول فحدثني زياد بن عبد الله عن محمد بن اسحق قال تداعت قبائل من قريش الى حلف فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي لشرفه وسنه فكان حلفهم عنده بنو هاشم وبنو المطلب وأسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس الا قاموا معه وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول

﴿فصل﴾ وذكر تنازع بني عبد مناف وبني عبد الدار فيما كان قصي جعل اليهم وذكر في ذلك حلف المطيبين وسماهم وذكر ان امرأة من نساء عبد مناف هي التي أخرجت لهم جفنة من طيب فغمسوا أيديهم فيها ولم يسم المرأة وقد سماها الزبير في موضعين من كتابه فقال هي أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتوأمة أبيه قال وكان المطيبون يسمون الدافة جمع دائف بتخفيف الفاء لانهم دافوا الطيب * وذكر ان القبائل سوند بعضها الى بعض لتكفي كل قبيلة ما سوند اليها فسوند من السناد وهي مقابلة في الحرب بين كل فريق وما يليه من عدوه ومنه أخذ سناد الشعر وهو أن يتقابل المصراعان من البيت فيكون قبل حرف الروي حرف مد ولين ويكون في آخر البيت الثاني قبل حرف الروي حرف لين وهي ياء أو واو مفتوح ما قبلها كقول عمرو بن كلثوم * ألا هبي بصحنك فاصبحينا * ثم قابله في بيت آخر بقوله * تصفقها الرياح اذا جرينا * فكان الياء المفتوح ما قبلها قد سوندت بها الى الياء المكسور ما قبلها فتقابلتا وهما غير متفقتين في المد كما يتقابل القبيلتان وهما مختلفتان متماديتان وأما الاقواء فهو أن ينقص قوة من المصراع الاول كما تنقص قوة من قوى الحبل وذلك أن ينقص من آخر المصراع الاول حرف من الوتد كقوله

أفبعد مقتل مالك بن زهير * ترجو النساء عواقب الاطهار

وكقول الآخر

لما رأت ماء السلا مشروبا * والفرث يعصر في الاناء أرنت

وكان الاصمعي يسمي هذا الاقواء المقعد ذكره عنه أبو عبيد وقال عدي بن الرقاع في السناد

وقصيدة قد بت أجمع بينها * حتى أثقف ميلها وسنادها

﴿ حلف الفضول ﴾

وذكر ابن هشام الحلف الذي عقدته قريش بينها على نصرة كل مظلوم بمكة قال ويسمى حلف الفضول ولم

يذكر

يذكر سبب هذه التسمية وذكرها ابن قتيبة فقال كان قد سبق قريشا الى مثل هذا الحلف جرهم فى الزمن الاول فتحالف منهم ثلاثة هم ومن تبعهم أحدهم الفضل بن فضالة والثانى الفضل بن وداعة والثالث فضيل ابن الحرث هذا قول القتبى وقال الزبير الفضيل بن شراعة والفضل بن وداعة والفضل بن قضاعة فلما أشبه حلف قريش الآخر فعل هؤلاء الجرهميين سمى حلف الفضول والفضول جمع فضل وهى أسماء أولئك الذين تقدم ذكرهم وهذا الذى قاله ابن قتيبة حسن ولكن فى الحديث ما هو أقوى منه وأولى روى الحميدى عن سفيان عن عبد الله عن محمد وعبد الرحمن بنى أبى بكر قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا لو دعيت به فى الاسلام لاجبت تحالفوا أن ترد الفضول على أهلها والا يعز ظالم مظلوما ورواه فى مسند الحرث بن عبد الله بن أبى أسامة التميمى فقد بين هذا الحديث لم سمى حلف الفضول وكان حلف الفضول بعد الفجار وذلك ان حرب الفجار كانت فى شعبان وكان حلف الفضول فى ذى القعدة قبل المبعث بعشرين سنة وكان حلف الفضول أكرم حلف سمع به وأشرفه فى العرب وكان أول من تكلم به ودعا اليه الزبير بن عبد المطلب وكان سببه أن رجلا من زبيد قدم مكة ببضاعة فاشتراها منه العاصى بن وائل وكان ذا قدر بمكة وشرف فحبس عنه حقه فاستعدى عليه الزبيدى الاحلاف عبد الدار ومخزوما وجمح وسهما وعدى بن كعب فابوا أن يعينوه على العاصى بن وائل وزبروه أى انتهروه فلما رأى الزبيدى الشر أوفى على أبى قبيس عند طلوع الشمس وقريش فى أنديتهم حول الكعبة فصاح بأعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعته * ببطن مكة نائى الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته * ياللرجال وبين الحجر والحجر
ان الحرام لمن تمت كرامته * ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب وقال ما لهذا مترك فاجتمعت هاشم وزهرة وتيم بن مرة فى دار ابن جدعان فصنع لهم طعاما وتحالفوا فى ذى القعدة فى شهر حرام قياما فتعاقدوا وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة مع المظلوم على الظالم حتى يؤدى اليه حقه ما بل بحر صوفة وما رسى حراء وثبير مكانهما وعلى التأسى فى المعاش فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول وقالوا لقد دخل هؤلاء فى فضل من الامر ثم مشوا الى العاصى ابن وائل فانتزعوا منه سلعة الزبيدى فدفعوها اليه وقال الزبير رضى الله عنه

حلفت لنعقدن حلفا عليهم * وان كنا جميعا أهل دار
نسميه الفضول اذا عقدنا * يعز به الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالى البيت أنا * أباة الضيم نمنع كل عار

وقال الزبير بن عبد المطلب

ان الفضول تحالفوا وتعاقدوا * ألا يقيم ببطن مكة ظالم
أمر عليه تعاهدوا وتواثقوا * فالجار والمعتر فيهم سالم

وذكر قاسم بن ثابت فى غريب الحديث أن رجلا من خثعم قدم مكة معتمرا أو حاجا ومعه بنت له يقال لها القتول من أوضأ نساء العالمين فاغتصبها منه نبيه بن الحجاج وغيبها عنه فقال الخثعمى من يعدينى على هذا الرجل فقيل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى يا لحلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد انتضوا أسيافهم يقولون جاءك الغوث فما لك فقال أن نبيها ظلمنى فى ابنتى وانتزعها منى قسرا

فساروا معه حتى وقفوا على باب الدار فخرج اليهم فقالوا له أخرج الجارية ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه فقال افعل ولكن متعونى بها الليلة فقالوا له لا والله ولا شجت لقحة فاخرجها اليهم وهو يقول

راح صحبى ولم أحيى القتولا * لم أودعهم وداعا جميلا
اذ أجد الفضول أن يمنعوها * قد أرانى ولا أخاف الفضولا
لا تخالى أنى عشية راح الركب هنتم على ان لا أقولا

فى أبيات غير هذه ذكرها الزبير وذكر من قوله فيها أيضا

حلت تهامة حلة * من بيتها ووطائها
ولها بمكة منزل * من سهلها وحرائها
أخذت بشاشة قلبه * ونأت وكيف بنائها

﴿فصل﴾ وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لى به حمر النعم ولو دعيت اليه فى الاسلام لاجبت وعبد الله بن جدعان هذا تيمى هو ابن جدعان بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم يكنى أبا زهير ابن عم عائشة رضى الله عنها ولذلك قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابن جدعان كان يطعم الطعام ويقرى الضيف فهل ينفعه ذلك يوم القيامة فقال لا انه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين خرجه مسلم ومن غريب الحديث لابن قتيبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمى يعنى فى الهاجرة وسميت الهاجرة صكة عمى لخبر ذكره أبو حنيفة فى الانواء ان عميا رجل من عدوان وقيل من اياد وكان فقيه العرب فى الجاهلية فقدم فى قوم معتمرا أو حاجا فلما كان على مرحلتين من مكة قال لقومه وهم فى نحر الظهيرة من أتى مكة غدا فى مثل هذا الوقت كان له أجر عمرتين فصكوا الابل صكة شديدة حتى أتوا مكة من الغد فى مثل ذلك الوقت وأنشد

وصك بها نحر الظهيرة صكة * عمى وما يبقين الا ظلالها

فى أبيات وعمى تصغير اعمى على الترخيم فسميت الظهيرة صكة عمى به وقال البكرى فى شرح الامثال عمى رجل من العماليق أوقع بالعدو فى مثل ذلك الوقت فسمى ذلك الوقت صكة عمى والذى قاله أبو حنيفة أولى وقائله أعلى وقال يعقوب عمى الظبى يتحير بصره فى الظهيرة من شدة الحر قال ابن قتيبة وكانت جفنته يأكل منها الراكب على البعير وسقط فيها صبى فغرق أى مات وكان أمية بن أبى الصلت قبل أن يمدحه قد أتى بنى الديان من بنى الحرث بن كعب فرأى طعام بنى عبد المدان منهم لباب البر والشهد والسمن وكان ابن جدعان يطعم التمر والسويق ويسقى اللبن فقال أمية

ولقد رأيت الفاعلين وفعلهم * فرأيت أكرمهم بنى الديان
البر يلبك بالشهاد طعامهم * لا ما يعللنا بنو جدعان

فبلغ شعره عبد الله بن جدعان فارسل ألفى بعير الى الشام تحمل اليه البر والشهد والسمن وجعل مناديا ينادى على الكعبة ألا هلموا الى جفنة عبد الله بن جدعان فقال أمية عند ذلك

له داع بمكة مشمعل * وآخر فوق كعبتها ينادى
الى ردح من الشيزى عليها * لباب البر يلبك بالشهاد

وكان ابن جدعان فى بدء أمره صعلوكا ترب اليدين وكان مع ذلك شريرا فاتكا لا يزال يجنى الجنايات فيعقل عنه أبوه وقومه حتى أبغضته عشيرته ونفاه أبوه وحلف الا يؤويه أبدا لما أثقله به من الغرم وحمله من الديات

* قال ابن اسحق فحدثنى محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمى انه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهرى يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب ان لى به حمر النعم ولو ادعى به فى الاسلام لاجبت

فخرج

فخرج فى شعاب مكة حائرا بائرا يتمنى الموت أن ينزل به فرأى شقا فى جبل فظن فيه حية فتعرض للشق يرجو أن يكون فيه ما يقتله فيستريح فلم ير شيئا فدخل فيه فاذا فيه ثعبان عظيم له عينان تقدان كالسراجين فحمل عليه الثعبان فأفرج له فانساب عنه مستديرا بدارة عندها بيت فخطا خطوة أخرى فصفر به الثعبان وأقبل عليه كالسهم فأفرج عنه فانساب عنه قدما لا ينظر اليه فوقع فى نفسه انه مصنوع فامسكه بيده فاذا هو مصنوع من ذهب وعيناه ياقوتتان فكسره وأخذ عينيه ودخل البيت فاذا جثث على سرر طوال لم ير مثلهم طولا وعظما وعند رؤوسهم لوح من فضة فيه تاريخهم واذا هم رجال من ملوك جرهم وآخرهم موتا الحرث بن مضاض صاحب الغربة الطويلة واذا عليهم ثياب لا يمس منها شئ الا انتثر كالهباء من طول الزمن وشعر مكتوب فى اللوح فيه عظات آخر بيت منه

صاح هل رأيت أوسمعت براع ردّ فى الضرع ماقرى فى الحلاب

وقال ابن هشام كان اللوح من رخام وكان فيه أنا نفيلة بن عبد المدان بن خشرم بن عبد ياليل بن جرهم بن قحطان بن هود نبى الله عشت خمسمائة عام وقطعت غور الارض باطنها وظاهرها فى طلب الثروة والمجد والملك فلم يكن ذلك ينجينى من الموت وتحته مكتوب

قد قطعت البلاد فى طلب الثر * وه والمجد قالص الأثواب
وسريت البلاد قفرا لقفر * بقناتى وقوتى واكتسابى
فاصاب الردى بنات فؤادى * بسهام من المنايا صياب
فانقضت شرتى وأقصر جهلى * واستراحت عواذلى من عتابى
ودفعت السفاه بالحلم لما * نزل الشيب فى محل الشباب
صاح هل رأيت أوسمعت براع * رد فى الضرع ماقرى فى الحلاب

واذا فى وسط البيت كوم عظيم من الياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة والزبرجد فاخذ منه ما أخذ ثم علم على الشق بعلامة وأغلق بابه بالحجارة وأرسل الى أبيه بالمال الذى خرج به يسترضيه ويستعطفه ووصل عشيرته كلهم فسادهم وجعل ينفق من ذلك الكنز ويطعم الناس ويفعل المعروف ذكر حديث كنز ابن جدعان موصولا بحديث الحرث بن مضاض بن هشام فى غير هذا الكتاب ووقع أيضا فى كتاب رى العاطش وأنس الواحش لاحمد بن عمار وابن جدعان ممن حرم الخمر فى الجاهلية بعد أن كان مغرى بها وذلك انه سكر فتناول القمر ليأخذه فاخبر بذلك حين صحا فحلف لا يشربها أبدا ولما كبر وهرم أراد بنو تيم أن يمنعوه من تبديد ماله ولاموه فى العطاء فكان يدعو الرجل فاذا دنا منه لطمه لطمة خفيفة ثم يقول له قم فانشد لطمتك واطلب ديتها فاذا فعل ذلك أعطته بنو تيم من مال ابن جدعان حتى يرضى وهو جد عبيد الله بن أبى مليكة الفقيه [والذى وقع فى هذا الحديث من ذكر نفيلة أحسبه نفيلة بالنون والفاء لان بنى نفيلة كانوا ملوك الحيرة وهم من غسان لا من جرهم والله أعلم]

﴿ فصل ﴾ وذكر خبر الحسين مع الوليد بن عتبة وقوله لاخذن سيفى ثم لادعون بحلف الفضول الى آخر القصة وفيه من الفقه تخصيص أهل هذا الحلف بالدعوة واظهار التعصب اذا خافوا ضيما وان كان الاسلام قد رفع ما كان فى الجاهلية من قولهم يالفلان عند التحزب والتعصب وقد سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم المريسيع رجلا يقول يالمهاجرين وقال آخر ياللانصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوها فانها منتنة وقال صلى الله عليه وسلم من ادعى بدعوى الجاهلية فاعضوه بهن أبيه ولا تكنوا ونادى رجل

*قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن عبد الله بن اسامة ابن الهاد الليثى ان محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمى حدثه انه كان بين الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهما وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفيان والوليد يومئذ أمير على المدينة أمره عليها عمه معاوية بن أبى سفيان منازعة فى مال كان بينهما بذى المروة فكان الوليد تحامل على الحسين فى حقه لسلطانه فقال له حسين احلف بالله لتنصفنى من حقى أو لآخذن سيفى ثم لاقومن فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لادعون بحلف الفضول قال فقال عبد الله بن الزبير وهو عند الوليد حين قال حسين ماقال وأنا أحلف بالله لئن دعا به لآخذن سيفى ثم لاقومن معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعا قال وبلغت المسور ابن مخرمة بن نوفل الزهرى فقال مثل ذلك وبلغت عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمى فقال مثل ذلك فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى

* قال ابن اسحق وحدثني يزيد بن عبدالله بن اسامة بن الهاد الليثي عن محمد بن ابراهيم بن الحرث التيمي قال قدم محمد ابن جبير بن مطعم بن عدى ابن نوفل بن عبـد مناف وكان محمـد بن جبير أعلم قريش فدخـل على عبد الملك بن مروان بن الحـكم حين قتل ابن الزبير واجتمع الناس على عبـد الملك فلما دخل عليه قال له يا أباسعيد ألم نكن نحن وأنتم يعني بني عبد شمس بن عبد مناف وبني نوفل بن عبـد مناف في حلف الفضـول قال أنت أعلم قال عبد الملك لتخبرني يا أباسـعيد بالحق من ذلك فقال لا والله لقـد خرجنا نحن وأنتم منه قال صدقت * قال ابن اسحـق فولى الرفادة والسـقاية هاشم بن عبد مناف وذلك أن عبـد شمس كان رجلا سـفارا قلما يقيم بمكة وكان مقلا ذا ولد وكان هاشم مـوسرا فكان فيما يزعمون اذا حضر الحج قام في قريش فقـال يا معشر قريش انكم جيران الله وأهل بيته وانه يأتيكم في هـذا المـوسم زوار الله وحجاج بيته وهم ضيف الله وأحق الضيف بالـكرامة ضيفه فاجمعوا له ما تصنعون لهم به طعاما أيامهم هذه التي لا بد لهم من الاقامة بها فانه والله لو كان مالي يسع لذلك ما كلفتكموه فيخرجـون لذلك خرجا من أموالهم كل امرىء بقدر ما عنده فيصنع به للحجاج طعام حتى يصدروا منها وكان هـاشم فيما يزعمون أول من سن الرحلتين لقريش رحلة الشتاء والصيف وأول من أطعم الثريد للحجاج بمكة وانما كان اسمه عمـرا فما سمي هاشما الا بهشمه الخبز بمكة لقومه فقال شاعر من قريش أو من بعض العرب

(فصل)

بالبصرة يا لعامر فجاء النابغة الجعدي بعصية له فضربه أبوموسى الاشـعري رضي الله عنـه خمسـين جلدة وذلك أن الله عز وجل جعل المؤمنين اخوة ولا يقال الا كما قال عمر رضي الله عنه يا لله ويا للمسلمين لانهم كلهم حزب واحـد واخوة في الدين الا ما خص الشرع به أهل حلف الفضول والاصل في تخصيصه قوله صـلى الله عليه وسلم ولو دعيت به اليوم لاجبت يريد لو قال قائل من المظلومين يا لحلف الفضول لاجبت وذلك أن الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلومين فلم يزدد به هذا الحلف الا قوة وقوله عليه السلام وما كان من حلف في الجاهلية فلن يزيده الاسـلام الا شـدة ليس معناه أن يقول الحليف يا لفلان لحلفائه فيجيبوه بل الشدة التي عنى رسول الله صـلى الله عليه وسلم انما هي راجعة الى معنى التواصل والتعاطف والتآلف وأما دعوى الجاهليـة فقد رفعها الاسـلام الا ما كان من حلف الفضول كما قدمنا فحكمه باق والدعوة به جائزة وقد ذهبت طائفة من الفقهاء الى أن الحليف يعقل مع العاقلة اذا وجبت الدية لقوله صـلى الله عليه وسـلم وما كان من حلف في الجاهلية فلم يزده الاسـلام الا شـدة ولقوله أيضا للذي حبسه في المسجد انما حبستك بجريرة حلفائك

﴿فصل﴾ وذكر بني عبد مناف الاربعة وقد كان له ولد خامس وهو أبو عمرو واسمه عبيد درج ولا عقب له ذكره البرقي والزبير وكذلك ذكر البرقي أن قصيا كان سمى ابنـه عبـد قصي وقال سميته بنفسي وسميت الآخر بدار الـكعبة يعني عبد الدار ثم ان الناس حولوا اسم عبد قصي فقالوا عبـد بن قصي وقال الزبير أيضا كان اسم عبـد الدار عبد الرحمن * وذكر هاشما وما صنع في أمر الرفادة واطعام الحجيج وانه سمي هاشما لهشمه الثريد لقومه والمعروف في اللغة أن يقال ثردت الخبز فهو ثريد ومثرود فلم يسم ثاردا وسمي هاشما وكان القياس كما لا يسمى الثريد هشيما بل يقال فيه ثريد ومثرود أن يقال في اسم الفاعل أيضا كذلك ولـكن سبب هـذه التسمية يحتاج الى زيادة بيان ذكر أصحاب الاخبار أن هاشما كان يستعين على اطعام الحاج بقريش فيرفدونه بأموالهم ويعينونه ثم جاءت أزمة شـديدة فكره أن يكلف قريشا أمر الرفادة فاحتمل الى الشام بجميع ماله واشـترى به أجمع كعكا ودقيقا ثم أتى الموسم فهشم ذلك الـكعك كله هشما ودقه دقا ثم صنع للحاج طعاما شـبه الثريد فبذلك سمي هاشما لان الـكعك اليابس لا يثرد وانما يهشم هشما فبذلك مدح حتى قال شاعرهم فيه وهو عبدالله بن الزبعرى

كانت قريش بيضة فتفقأت * فالمخ خالصه لعبـد مناف
الخالطـين فقـيرهم بغنيهم * والظاعنين لرحلة الاضياف
والرائشين وليس يوجد رائش * والقائلين هـلم للاضـياف
عمرو العلى هشم الثريد لقومـه * قوم بمكة مسـنتين عجـاف

وكان سبب مـدح ابن الزبعرى بهذه الابيات وهو سهمي لبني عبـد مناف فيما ذكره ابن اسحق في رواية يونس انه كان قد هجا قصيا بشعر كتبه في أستار الـكعبة أوله

ألهى قصيا عن المجد الاساطير * ومشية مثل ما تمشي الشقارير

فاستعدوا عليه بني سهم فاسلموه اليهم فضربوه وحلقوا شـعره وربطوه الى صخرة بالحجون فاستغاث قومه فلم يغيثوه فجعل يمدح قصيا ويسترضيهم فاطلقه بنو عبـد مناف منهم وأكرموه فمدحهم بهذا الشعر وباشعار كثيرة ذكرها ابن اسحق في رواية يونس

عمرو الذى هشم الثريد لقومه * قوم بمكة مسنتين عجاف سنت اليه الرحلتان كلاهما * سفر الشتاء و رحلة الايلاف « قال ابن هشام » أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر من أهل الحجاز قوم بمكة مسنتين عجاف * قال ابن اسحق ثم هلك هاشم بن عبدمناف بغزة من أرض الشام تاجرا فولى السقاية والرفادة من بعده المطلب بن عبدمناف وكان أصغر من عبدشمس وهاشم وكان ذا شرف فى قومه وفضل وكانت قريش انما تسميه الفيض لسماحته وفضله وكان هاشم بن عبدمناف قدم المدينة فتزوج سلمى بنت عمرو أحد بنى عدى ابن النجار وكانت قبله عند أحيحة بن الجلاح بن الحريش (قال ابن هشام) ويقال الحريش بن جحجبى بن كلفة ابن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس فولدت له عمرو بن أحيحة وكانت لا تنكح الرجال لشرفها فى قومها حتى يشترطوا لها ان أمرها بيدها اذا كرهت رجلا فارقته فولدت لهاشم عبدالمطلب فسمته شيبة فتركه هاشم عندها حتى كان وصيفا أوفوق ذلك ثم خرج اليه عمه المطلب ليقبضه فيلحقه ببلده وقومه فقالت له سلمى لست بمرسلته معك فقال لها المطلب انى غير منصرف حتى أخرج به معى ان ابن أخى قد بلغ وهو غريب فى غير قومه ونحن أهل بيت شرف فى قومنا (٩٥) نلى كثيرا من أمرهم وقومه و بلده وعشيرته خير له من الاقامة فى غيرهم أو كما قال وقال شيبة لعمه المطلب فيما يزعمون لست بمفارقها الا أن تاذن لى فاذنت له ودفعته اليه فاحتمله فدخل به مكة مردفه معه على بعيره فقالت قريش عبدالمطلب ابتاعه فبها سمى شيبة عبدالمطلب فقال المطلب ويحكم انما هو ابن أخى هاشم قدمت به من المدينة ثم هلك المطلب بردمان من أرض اليمن فقال رجل من العرب يبكيه

قد ظمىء الحجيج بعد المطلب

بعد الجفان والشراب المنثعب

ليت قريشا بعده على نصب

(وقال مطرود بن كعب الخزاعى يبكى المطلب و بنى عبدمناف جميعا حين أتاه نعى نوفل بن عبدمناف وكان نوفل آخرهم هلكا)

ياليلة هيجت ليلات * احدى ليالى القسيات

وما أقاسى من هموم وما * عالجت من رزء المنيات

اذا تذكرت أخى نوفلا * ذكرنى بالاوليات

ذكرنى بالازر الحمر والا * ردية الصفر القشيبات

أربعة كلهم سيد * أبناء سادات لسادات

ميت بردمان وميت بسلمان وميت بين غزات

وميت أسكن لحدا لدى الـ * محجوب شرقى البنيات

أخلصهم عبدمناف فهم * من لوم من لام بمنجات

ان المغيرات وأبناءها * من خير أحياء وأموات

وكان اسم عبدمناف المغيرة وكان أول بنى عبدمناف هلكا هاشم بغزة من أرض الشام ثم شمس بمكة ثم المطلب بردمان من ناحية أرض اليمن ثم نوفلا بسلمان من ناحية العراق فقيل لمطرود فيما يزعمون لقد قلت فاحسنت ولو كان أفحل مما قلت كان أحسن فقال أنظرونى ليالى فمكث أياما ثم قال

ياعين جودى وأذرى الدمع وانهمرى * وأبكى على السر من كعب المغيرات

ياعين واسحنفرى بالدمع واحتفلى * وأبكى خبيئة نفسى فى الملمات

﴿ فصل ﴾ وذكر نكاح هاشم سلمى بنت عمرو النجارية وولادتها له عبدالمطلب بن هاشم ومن أجل هذه الولادة قال سيف بن ذى يزن أو ابنه معدى كرب بن سيف ملك اليمن لعبد المطلب حين وفد عليه فى ركب من قريش مرحبا بابن اختنا لان سلمى من الخزرج وهم من اليمن من سبا وسيف من حمير بن سبا ثم قال له مرحبا وأهلا وناقة ورحلا ومناخا سهلا وملكا سبحلا يعطى عطاء جزلا ثم بشره بالنبى صلى الله عليه وسلم وانه من ولده فقال له عبد المطلب مثلك أيها الملك سر و بر ثم أجزل الملك حباءه وفضله على أصحابه وانصرف مغبوطا على ما أعطاه الملك فقال والله لما بشرنى به أحب الىّ من كل ما أعطانى فى خبر فيه طول * وذكر نسب أحيحة ابن الجلاح بن الحريش بن جحجبى وقال ابن هشام هو الحريس يعنى بالسين المهملة وقال الدارقطنى عن الزبير بن أبى بكر أن كل ما فى الانصار فهو حريس بالسين غير معجمة الا هذا ووجدت فى حاشية كتاب أبى بحر رحمه الله صواب هذا الاسم يعنى فى نسب أحيحة بن الجلاح بن الحريش بالشين المعجمة على لفظ الحريس بن كعب البطن الذى فى عامر بن صعصعة

﴿ فصل ﴾ وأنشد لمطرود بن كعب ياليلة هيجت ليلاتى * احدى ليالى القسيات أى انت احدى ليالى القسيات فعيلات من القسوة أى لا لين عندهن ولا رأفة فيهن ويجوز أن يكون عندهم من الدرهم القسى وهو الزائف وقد قيل فى الدرهم القسى انه أعجمى معرب وقيل هو من القساوة لان الدرهم الطيب ألين من الزائف والزائف أصلب منه ونصب ليلة على التمييز كذلك قال سيبويه فى قول الصلتان العبدى * أياشاعر الاشاعر اليوم مثله * وذلك أن فى الكلام معنى التعجب وقوله وميت بغزات هى غزة ولكنهم يجعلون لكل ناحية أولكل ربض من البلدة اسم البلدة فيقولون غزات فى غزة ويقولون فى بغدان بغادين كما قال بعض المحدثين

عض الضريبة عالى الهم مختلق * جلد النحيزة ناب بالمظنات
وأبكى على كل فياض أخى ثقة *
ضخم الدسيعة وهاب الجزيلات
صعب البديهة لا نكس ولا وكل
ماض العزيمة متلاف الكريمات
صقر توسط من كعب اذا نسبوا
بحبوحة المجد والشم الرفيعات
ثم اندبى الفيض والفياض مطلبا
واستخرطى بعد فيضات بجمات
أمسى بردمان عنا اليوم مغتربا
يالهف نفسى عليه بين أموات
وأبكى لك الويل اما كنت باكية
لعبد شمس بشرق الثنيات
وهاشم فى ضريح وسط بلقعة
تسفى الرياح عليه بين غزات
ونوفل كان دون القوم خالصتى
أمسى بسلمان فى رمس بمومات
لم ألق مثلهم عجما ولا عربا
اذا استقلت بهم أدم المطيات
أمست ديارهم منهم معطلة * وقد يكونون زينا فى السريات

شربنا فى بغادين * على تلك الميادين

ولهذا نظائر ستمر فى الكتاب ان شاء الله ومن هذا الباب حكمهم للبعض بحكم الكل كما سموه باسمه نحو قولهم شرقت صدر القناة من الدم . وذهبت بعض أصابعه . وتواضعت سور المدينة . وقد تركبت على هذا الاصل مسئلة من الفقه قال الفقهاء أوأ كثرهم من حلف الايأ كل هذا الرغيف فأكل بعضه فقد حنث فحكموا للبعض بحكم الكل وأطلقوا عليه اسمه * وفيه

ان المغيرات وأبناؤها * من خير أحياء وأموات

فالمغيرات بنوا المغيرة وهو عبد مناف كما قالوا المناذرة فى بنى المنذر والاشعرون فى بنى أشعر بن ادد كما قال على بن عبد الله بن عباس فى ابن الزبير آثر على الحميدات والتويتات والاسامات يعنى بنى حميد وبنى تويت وبنى أسامة وهم من بنى أسد بن عبد العزى * وفيه شرق البنيات يعنى البنية وهى الكعبة وهو نحو مما تقدم فى غزات وأنشده له فى القصيدة التاوية عض الضريبة عالى الهم مختلق أى عظيم الخلق جلد النحيزة ناء بالمظنات ليس قوله ناء من النأى فتكون الهمزة فيه عين الفعل وانما هو من ناء ينوء اذا نهض فالهمزة فيه لام الفعل كما هو فى جاء عند الخليل فانه عنده مقلوب ووزنه فالع والياء التى بعد الهمزة هى عين الفعل فى جاء يجىء * وفيه الشعث الشجيات فشدد ياء الشجى وان كان أهل اللغة قد قالوا ياء الشجى مخففة وياء الخلى مشددة وقد اعترض ابن قتيبة على أبى تمام الطائى فى قوله

أيا ويح الشجى من الخلى * وويح الدمع من احدى بلى

واحتج بقول يعقوب فى ذلك فقال له الطائى ومن أفصح عندك ابن الجرمقانية يعقوب أم أبو الاسود الدؤلى حيث يقول

ويل الشجى من الخلى فانه * وصب الفؤاد بشجوه مغموم

(قال المؤلف) وبيت مطرود أقوى فى الحجة من بيت أبى الاسود الدؤلى لانه جاهلى محكك وأبو الاسود أول من صنع النحو فشعره قريب من التوليد ولا يمتنع فى القياس أيضا أن يقال شج وشجى لانه فى معنى حزن وحزين وقد قيل من شدد الياء فهو فعيل بمعنى مفعول * وفيه بعد قوله أبا الشعث الشجيات * يبكينه حسرا مثل البليات البلية الناقة التى كانت تعقل عند قبر صاحبها اذا مات حتى تموت جوعا وعطشا ويقولون انه يحشر راكبا عليها ومن لم يفعل معه هذا حشر راجلا وهذا على مذهب من كان منهم يقول بالبعث وهم الاقل ومنهم زهير فانه قال

يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر * ليوم الحساب أو يعجل فينقم

وقال الشاعر فى البلية

والبلايا رءوسها فى الولايا * مانحات السموم حر الخدود

والولايا هى البراذع وكانوا يثقبون البرذعة فيجعلونها فى عنق البلية وهى معقولة حتى تموت وأوصى رجل ابنه عند الموت بهذا

لا تتركن أباك يحشر مرة * عدوا يخر على اليدين وينكب

فى أبيات ذكرها الخطابى * وقوله قياما كالحميات أى محترقات الاكباد كالبقر والظباء التى حميت الماء وهى عاطشة فحمية بمعنى محمية لكنها جاءت بالتاء لانها أجريت مجرى الاسماء كالرمية والضحية والطريدة وفى معنى الحمى قول رؤبة * قواطنا مكة من ورق الحمى * يريد الحمام الحمى أى الممنوع * وقوله فى رمس بموماة

الاظهر

أفناهم الدهر أم كلت سيوفهم * أم كل مـن عاش أزواد المنيات   أصبحت أرضى مـن الاقوام بعدهم * بسـط الوجـوه والقـاء التحيات   ياعين فابكى أبا الشـعث الشجيات * يبكينه حسرا مثل البليات   يبكين أكرم من يمشى عـلى قدم * يعولنه بدموع بعد عبرات   يبكين شخصا طويل الباع ذا فجر * آبى الهضيمة فراج الجليلات   يبكين عمرو العـلا اذ حان مصرعه * سمح السجية بسام العشيات   يبكينه مستكينات عـلى حزن * ياطول ذلك مـن حزن وعولات   يبكين لما جلاهن الزمان له * خضر الخدود كأمثال الحميات   محتزمات على أوساطهن لما * جر الزمان من احداث المصيبات   أبيت ليلى أراعى النجم من ألم * أبكى وتبكى مع شجوى بنياتى   مافى القروم لهـم عدل ولا خطر * (٩٧) ولا لمن تركوا شروى بقيات

أبناؤهم خير أبناء وأنفسهم * خير النفوس لدى جهـد الآليات
كم وهبـوا من طمر سابح أرن
ومـن طمرة نهب فى طمرات
ومن سيوف من الهندى مخلصة
ومـن رماح كأشـطان الركيات
ومن توابع مما يفضلون بها * عنـد المسائل مـن بذل العطيات
فـلو حسـبت وأحصى الحاسبون معى
لم أقض أفعالهـم تلك الهنيات
هم المـدلون ما معشر فخروا
عنـد الفخـار بأنسـاب نقيات

 زين البيوت التى حلوا مساكنها * فاصبحت منهم وحشا خليات   أقول والعين لا ترقا مدامعها * لايبعد الله أصحاب الرزيات   « قال ابن هشام » الفجر العطاء قال أبو خراش الهـذلى

عجف أضيافى جميـل بن معمر * بذى فجـر تأوى اليـه الارامل   * قال ابن اسـحق أبو الشعث الشجيات هاشم ابن عبـد مناف قال ثم ولى عبـد المطلب بن هاشم السقاية والرفادة بعـد عمه المطلب فاقامها للنـاس وأقام لقومه ما كان آباؤه يقيمون قبـله لقومهم مـن أمرهم وشرف فى قومـه شرفا لم يبلغه أحد من آبائه وأحبه قومه وعظم خطـره فيهـم

﴿ ذكر حفر زمزم ﴾

ثم ان عبد المطلب بينما هو نائم فى الحجـر اذ أتى فاتى بحفـر زمزم

الاظهر فيـه أن تـكون الميم أصليـة ويكون مما ضوعفت فاؤه وعينه وحمله على هذا الاصل أولى لكثرته فى الـكلام وان كان أصل الميم أن تـكون زائدة اذا كانت أول الكلمة الرباعية أو الخماسية الا أن يمنع من ذلك اشـتقاق ولا اشـتقاق ههنا أو يمنع من ذلك دخوله فيما قل من الكلام نحو قلق وسلس قال أبو على فى المرمر حمله على باب قرقر وبربر أولى من حمـله على باب قلق وسلس يريد انك ان جعلت الميم زائدة كانت فاء الفعل وهى الراء مضاعفة دون عين الفعل وهى الميم واذا جعلت الميم الاولى فى مرمر أصلية وكان من باب ماضوعفت فيه الفاء والعين وهذا معنى قول سيبويه فى المرمر وهو القياس المستتب والطريق المهيع دون ماضوعفت فيـه الفاء وحدها فتأمله * وقوله * طويل الباع ذا فجر * الفجر الجود شـبه بانفجار الماء ويروى ذا فنع والفنع كثرة المال وقد قال أبو محجن الثقفى

وقد أجود وما مالى بذى فنع * وأكتم السر فيه ضربة العنق

وقوله بسام العشيات يعنى انه يضحك للاضياف ويبسم عند لقائهم كما قال الآخر وهو حاتم الطائى

أضاحك ضـيفى قبـل انزال رحله * ويخصب عندى والمحل جديب
وما الخصب للاضياف أن يكثر القرى * ولـكنما وجه الـكريم خصيب

﴿ حديث زمزم ﴾

وكانت زمزم كما تقدم سقيا اسماعيل عليه السلام فجرها له روح القدس بعقبه وفى تفجيره اياها بالعقب دون أن يفجرها باليد أو غيره اشارة الى أنها لعقبه وراثة وهو محمد صلى الله عليه وسلم وأمته كما قال سبحانه « وجعلها كلمة باقية فى عقبه » أى فى أمة محمد عليه السلام ثم ان زمزم لما أحدثت جرهم فى الحرم واستخفوا بالمناسك والحرم وبغى بعضهم على بعض واجترموا تغور ماء زمزم واكتتم فلما أخرج الله جرهم من مكة بالاسباب التى تقدم ذكرها عمد الحرث بن مضاض الاصغر الى ماكان عنده من مال الكعبة وفيه غزالان من ذهب وأسياف قلعية كان ساسان ملك الفرس قد أهداها الى الكعبة وقيل سابور وقد قدمنا ان الاوائل من ملوك الفرس كانت تحجها الى عهد ساسان أو سابور فلما علم ابن مضاض أنه مخرج منها جاء تحت جنح الليـل حتى دفن ذلك فى زمزم وعفى عليها ولم تزل دارسة عافيا أثرها حتى آن مولد المبارك الذى كان يستسقى بوجهه غيث السماء وتتفجر من بنانه ينابيع الماء صاحب الكوثر والحوض الرواء فلما آن ظهوره أذن الله تعالى لسـقيا أبيه

* قال ابن اسحق وكان أول ما ابتدئ به عبد المطلب من حفرها كما حدثني يزيد بن أبي حبيب المصرى عن مرثد بن عبد الله اليزني عن عبد الله بن زرير الغافقي انه سمع على بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه يحدث حديث زمزم حين أمر عبد المطلب بحفرها قال قال عبد المطلب انى لنائم فى الحجر اذ أتانى آت فقال احفر طيبة قال قلت وما طيبة قال ثم ذهب عنى فلما كان من الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال احفر برة قال فقلت وما برة قال ثم ذهب عنى فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال احفر المضنونة قال فقلت وما المضنونة قال ثم ذهب عنى فلما كان الغد رجعت الى مضجعى فنمت فيه فجاءنى فقال احفر زمزم قال قلت وما زمزم قال لا تنزف أبدا ولا تذم تسقى الحجيج الاعظم وهى بين الفرث والدم عند نقرة الغراب الاعصم عند قرية النمل * قال ابن اسحق فلما بين له شانها ودل على موضعها وعرف انه قد صدق غدا بمعوله ومعه ابنه الحرث بن عبد المطلب ليس له يومئذ ولد غيره فحفر فيها فلما بدا لعبد المطلب الطى كبر فعرفت قريش انه قد أدرك حاجته فقاموا اليه فقالوا يا عبد المطلب انها بئر أبينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فأشركنا معك فيها قال ما أنا بفاعل ان هذا الأمر قد خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم فقالوا له فأنصفنا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها قال فاجعلوا بينى وبينكم من أحاكمكم اليه قالوا كاهنة بنى سعد بن هذيم قال نعم قال وكانت بأشراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى أبيه من بنى عبد مناف وركب من كل قبيلة من قريش نفر قال والارض اذ ذاك مفاوز قال فخرجوا حتى اذا   أراد كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز والشام فنى ماء عبد المطلب وأصحابه فظمئوا حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فابوا عليهم فقالوا انا بمفازة ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم وما يتخوف على نفسه وأصحابه قال ماذا ترون قالوا ما رأينا الا تبع لرأيك فمرنا بما شئت قال فانى أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرته لنفسه بما بكم الآن من القوة فكلما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرته ثم واروه حتى يكون آخركم رجلا واحدا فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعا قالوا نعم ما أمرت به

أن تظهر ولما اندفن من مائها أن تجتهر فكان صلى الله عليه وسلم قد سقت الناس بركته قبل أن يولد وسقوا بدعوته وهو طفل حين أجدبت البلد وذلك حين خرج به جده مستسقيا لقريش وسيأتى بيان ذلك فيما بعد ان شاء الله وسقيت الخليقة كلها غيوث السماء فى حياته القينة بعد القينة والمرة بعد المرة وتارة بدعائه وتارة من بنانه وتارة بالقاء سهمه ثم بعد موته عليه السلام استشفع عمر بعمه رضى الله عنهما عام الرمادة وأقسم عليه به وبنبيه فلم يبرح حتى قلصوا المآزر واعتلقوا الحذاء وخاضوا الغدران وسمعت الرفاق المقبلة الى المدينة فى ذلك اليوم صائحا يصيح فى السحاب أتاك الغوث أبا حفص أتاك الغوث أبا حفص كل هذا ببركة المبتعث بالرحمتين والداعى الى الحياتين الموعود بهما على يديه فى الدارين صلى الله عليه وسلم صلاة تصعد ولا تنفد وتتصل ولا تنفصل وتقيم ولا تريم انه منعم كريم

﴿ فصل ﴾ فأرى عبد المطلب فى منامه ان احفر طيبة فسميت طيبة لانها للطيبين والطيبات من ولد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام وقيل له احفر برة وهو اسم صادق عليها أيضا لانها فاضت للابرار وغاضت عن الفجار وقيل له احفر المضنونة قال وهب بن منبه سميت زمزم المضنونة لانها ضن بها على غير المؤمنين فلا يتضلع منها منافق وروى الدارقطنى ما يقوى ذلك مسندا عن النبى صلى الله عليه وسلم من شرب من زمزم فليتضلع فانه فرق ما بيننا وبين المنافقين لا يستطيعون أن يتضلعوا منها أو كما قال وفى تسميتها بالمضنونة رواية أخرى رواها الزبير أن عبد المطلب قيل له احفر المضنونة ضننت بها على الناس الا عليك أو كما قال ودل عليها بعلامات ثلاث بنقرة الغراب الاعصم وانها بين الفرث والدم وعند قرية النمل ويروى انه لما قام ليحفرها رأى ما رسم له من قرية النمل ونقرة الغراب ولم ير الفرث والدم فبينا هو كذلك ندت بقرة بجازرها فلم يدركها حتى دخلت المسجد الحرام فنحرها فى الموضع الذى رسم لعبد المطلب فسال هناك الفرث والدم فحفر عبد المطلب حيث رسم له ولم تخص هذه العلامات الثلاث بان تكون دليلا عليها الا لحكمة إلهية وفائدة مشاكلة فى علم التعبير والتوسم الصادق لمعنى زمزم ومائها أما الفرث والدم فان ماءها طعام طعم وشفاء سقم وهى لما شربت له وقد تموت من مائها أبو ذر رضى الله عنه ثلاثين بين يوم وليلة فسمن حتى تكسرت عكنه فهى اذا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اللبن اذا شرب أحدكم اللبن فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه فانه ليس شئ يسد مسد الطعام والشراب الا اللبن وقد قال الله تعالى فى اللبن « من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين » فظهرت هذه السقيا المباركة بين الفرث والدم وكانت تلك من دلائلها المشاكلة لمعناها * وأما قوله الغراب الاعصم قال القتبى الاعصم من الغربان التى فى جناحيه بياض وحمل على أبى عبيد قوله فى شرح الحديث الاعصم الذى فى يديه بياض وقال كيف يكون للغراب يدان وانما

فقام كل واحد منهم فحفر حفرته ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشا ثم ان عبد المطلب قال لاصحابه والله ان القاءنا بايدينا هكذا للموت لا نضرب فى الارض ولا نبتغى لانفسنا لعجز فعسى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد ارتحلوا فارتحلوا حتى اذا فرغوا ومن معهم من قبائل قريش ينظرون اليهم ما هم فاعلون تقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين من ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب وشرب أصحابه واستقوا حتى ملؤا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلم الى الماء فقد سقانا الله فاشربوا واستقوا فجاؤا فشربوا واستقوا ثم قالوا قد والله قضى لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك فى زمزم أبدا ان الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذى سقاك زمزم فارجع الى سقايتك راشدا فرجع ورجعوا معه ولم يصلوا الى الكاهنة وخلوا بينه وبينها * قال ابن اسحق فهذا الذى بلغنى من حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه فى زمزم * وقد سمعت من يحدث عن عبد المطلب انه قيل له حين أمر بحفر زمزم

ثم ادع بالماء الروى غير الكدر

يسقى حجيج الله فى كل مبر * ليس يخاف منه شىء ما عمر

فخرج عبد المطلب حين قيل له ذلك الى قريش فقال تعلموا انى قد أمرت ان أحفر لكم زمزم فقالوا فهل بين لك أين هى قال لا قالوا فارجع الى مضجعك الذى رأيت فيه ما رأيت فان يك حقا من الله يبين لك وان يك من الشيطان فلن يعود اليك فرجع عبد المطلب الى مضجعه فنام فيه فأتى فقيل له احفر زمزم انك ان حفرتها لم تندم وهى تراث من أبيك الاعظم لا تنزف أبدا ولا تذم تسقى الحجيج الاعظم مثل نعام جافل لم يقسم ينذر فيها ناذر لمنعم يكون ميراثا وعقدا محكم ليست كبعض ما قد تعلم وهى بين الفرث والدم (قال ابن هشام) هذا الكلام والكلام الذى قبله من حديث على فى حفر زمزم من قوله لا تنزف أبدا ولا تذم الى قوله عند قرية النمل عندنا سجع وليس شعرا

أراد أبو عبيد ان هذا الوصف لذوات الاربع ولذلك قال ان هذا الوصف فى الغربان عزيز وكأنه ذهب الى الذى أراد ابن قتيبة من بياض الجناحين ولولا ذلك لقال انه فى الغربان محال لا يتصور وفى مسند ابن أبى شيبة من طريق أبى أمامة عن النبى صلى الله عليه وسلم ما يغنى عن قولهما وفيه الشفاء انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة الصالحة فى النساء كالغراب الاعصم قيل يا رسول الله وما الغراب الاعصم قال الذى احدى رجليه بيضاء فالغراب فى التأويل فاسق وهو أسود فدلت نقرته عند الكعبة على نقرة الاسود الحبشى بمعوله فى أساس الكعبة يهدمها فى آخر الزمان فكان نقر الغراب فى ذلك المكان يؤذن بما يفعله الفاسق الاسود فى آخر الزمان بقبلة الرحمن وسقيا أهل الايمان وذلك عندما يرفع القرآن وتحيا عبادة الاوثان وفى الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخربن الكعبة ذو السويقتين من الحبشة وفى الصحيح أيضا من صفته أنه أفحج وهذا أيضا ينظر الى كون الغراب أعصم اذ الفحج تباعد فى الرجلين كما أن العصم اختلاف فيهما والاختلاف تباعد وقد عرف بذى السويقتين كما نعت الغراب بصفة فى ساقيه فتأمله وهذا من خفى علم التأويل لانها كانت رؤيا وان شئت كان من باب الزجر والتوسم الصادق والاعتبار والتفكر فى معالم حكمة الله تعالى فهذا سعيد بن المسيب وهو من هو علما وورعا حين حدث بحديث البئر فى البستان وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قعد على قفها ودلى رجليه فيها ثم جاء أبو بكر رضى الله عنه ففعل مثل ذلك ثم جاء عمر رضى الله عنه ففعل مثل ذلك ثم جاء عثمان فانتبذ منهم ناحية وقعد تجرة قال سعيد ابن المسيب فأولت ذلك قبورهم اجتمعت قبور الثلاثة وانفرد قبر عثمان رضى الله عنه والله سبحانه يقول «ان فى ذلك لآيات للمتوسمين» فهذا من التوسم والفراسة الصادقة واعمال الفكر فى دلائل الحكمة واستنباط الفوائد اللطيفة من اشارات الشريعة * وأما قرية النمل ففيها من المشاكلة أيضا والمناسبة أن زمزم هى عين مكة التى يردها الحجيج والعمار من كل جانب فيحملون اليها البر والشعير وغير ذلك وهى لا تحرث ولا تزرع كما قال سبحانه خبرا عن ابراهيم عليه السلام «ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع : الى قوله وارزقهم من الثمرات» وقرية النمل كذلك لان النمل لا تحرث ولا تبذر وتجلب الحبوب الى قريتها من كل جانب وفى مكة قال الله سبحانه «قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان» مع أن لفظ قرية النمل مأخوذ من قريت الماء فى الحوض اذا جمعته والرؤيا تعبر على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى فقد اجتمع اللفظ والمعنى فى هذا التأويل والله أعلم وقد قيل لعبد المطلب فى صفة زمزم لا تنزف أبدا ولا تذم وهذا برهان عظيم لانها لم تنزف من ذلك الحين الى اليوم قط وقد وقع فيها حبشى فنزحت من أجله فوجدوا ماءها يثور من ثلاثة أعين أقواها وأكثرها ماء من ناحية الحجر الاسود وذكر هذا الحديث الدارقطنى * وقوله ولا تذم فيه نظر وليس هو على ما يبدو من ظاهر اللفظ من أنها لا يذمها أحد ولو كان من الذم لكان ماؤها أعذب المياه ولتضلع منه كل من يشربه وقد تقدم فى الحديث انه لا يتضلع منها منافق

* قال ابن اسحق فزعموا أنه حين قيل له ذلك قال وأين هي قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب غدا والله أعلم أي ذلك كان

فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحرث وليس له يومئذ ولد غيره فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عندها بين الوثنين اساف ونائلة اللذين كانت قريش تنحر عندهما ذبائحها فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر فقامت اليه قريش حين رأوا جده فقالوا والله لا نتركك تحفر بين وثنينا هذين اللذين ننحر عندهما فقال عبد المطلب لابنه الحرث ذدعني حتى أحفر فوالله لامضين لما أمرت به فلما عرفوا أنه غير نازع خلوا بينه وبين الحفر وكفوا عنه فلم يحفر الا يسيرا حتى بدا له الطى فكبر وعرف أنه قد صدق فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنت جرهم فيها حين خرجت من مكة ووجد فيها أسيافا قلعية وادراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك في هذا شرك وحق قال لا ولكن هلموا الى أمر نصف بيني وبينكم نضرب عليها بالقداح قالوا وكيف تصنع قال أجعل للكعبة قدحين ولي قدحين ولكم قدحين فمن خرج له قدحاه على شيء كان له ومن تخلف قدحاه

فلا شيء له قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ثم أعطوا من

صاحب القداح الذي يضرب بها عند هبل وهبل صنم في جوف الكعبة وهو أعظم أصنامهم وهو الذي يعني أبو سفيان بن حرب يوم أحد

فاؤها اذا مذموم عندهم وقد كان خالد بن عبد الله القسري أمير العراق يذمها ويسميها أم جعلان واحتفر بئرا خارج مكة باسم الوليد بن عبد الملك وجعل يفضلها على زمزم ويحمل الناس على التبرك بها دون زمزم جرأة منه على الله عز وجل وقلة حياء منه وهو الذي يعلن ويفصح بلعن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه على المنبر وانما ذكرناه هذا لتعلم انها قد ذمت فقوله اذا لا تذم من قول العرب بئر ذمة أي قليلة الماء فهو من أذممت البئر اذا وجدتها ذمة كما تقول أجبنت الرجل اذا وجدته جبانا وأكذبته اذا وجدته كاذبا وفي التنزيل فانهم لا يكذبونك وقد فسر أبو عبيد في غريب الحديث قوله حتى مررنا ببئر ذمة وأنشد

مخيسة خزرا كان عيونها * ذمام الركايا أنكرتها المواتح

فهذا أولى ما حمل عليه معنى قوله ولا تذم لانه نفي مطلق وخبر صادق والله أعلم وحديث البئر الذمة التي ذكرها أبو عبيد حدثنا به أبو بكر بن العربي الحافظ قال أخبرنا القاضي أبو المطهر سعيد بن عبد الله بن أبي الرجاء قال أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال أخبرنا أبو بكر [أحمد] بن يوسف بن خلاد قال حدثنا الحرث بن أبي اسامة قال حدثنا أبو النضر قال حدثنا سليمان عن حميد عن يونس عن البراء قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فأتينا على ركي ذمة يعني قليلة الماء قال فنزل فيها ستة أنا سادسهم ماحة فادليت الينا دلو قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم على الركي فجعلنا فيها نصفها أو قريب ثلثيها فرفعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فجئت باناء هل أجد شيأ أجعله في حلقي فما وجدت فرفعت الدلو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فغمس يده فيها فقال ما شاء الله أن يقول قال فاعيدت الينا الدلو بما فيها قال فلقد رأيت أحدنا اخرج بثوب خشية الغرق قال ثم ساحت يعني جرت نهرا * وذكر حديث عبد المطلب في مسيره مع قريش الى الكاهنة وذكر المفاوز التي عطشوا فيها المفاوز جمع مفازة وفي اشتقاق اسمها ثلاثة أقوال روي عن الاصمعي انها سميت مفازة على جهة التفاؤل لراكبها بالفوز والنجاة ويذكر عن ابن الاعرابي انه قال سألت أبا المكارم لم سميت الفلاة مفازة فقال لان راكبها اذا قطعها وجاوزها فاز وقال بعضهم مفازة مهلكة لانه يقال فاز الرجل وفوز وفاد وفطس اذا هلك وذكر في غير رواية علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ثم ادع بالماء الروي غير الكدر يقال ماء روي بالكسر والقصر ورواء بالفتح والمد وفيه * يسقي حجيج الله في كل مبر * الحجيج جمع حاج وفي الجموع على وزن فعيل كثير كالعبيد والبقير والمعيز والابيل وأحسبه اسما للجمع لانه لو كان جمعا له واحد من لفظه لجرى على قياس واحد كسائر الجموع وهذا مختلف واحده فحجيج واحده حاج وعبيد واحد عبد وبقير واحده بقرة الى غير ذلك فجائز أن يقال انه اسم للجمع غير انه موضوع للكثرة ولذلك لا يصغر على لفظه كما تصغر اسماء الجموع فلا يقال في العبيد عبيد ولا في النخيل نخيل بل يرد الى واحده كما ترد الجموع في التصغير فيقال نخيلات وعبيدون واذا قلت نخيل أو عبيد فهو اسم يتناول الصغير والكبير من ذلك الجنس قال الله سبحانه «وزرع ونخيل» وقال «وما ربك بظلام للعبيد» وحين ذكر المخاطبين منهم قال العباد وكذلك قال حين ذكر المثمر من النخيل «والنخل باسقات» وقال «اعجاز نخل منقعر» فتأمل الفرق بين الجمعين في حكم البلاغة واختيار الكلام وأما في مذهب اهل اللغة فلم يفرقوا هذا التفريق ولا نبهوا على هذا الغرض الدقيق * وقوله في كل مبر هو مفعل من البر يريد في مناسك الحج ومواضع الطاعة * وقوله * مثل نعام جافل لم يقسم * الجافل من جفلت الغنم اذا انقلعت بجملتها ولم يقسم أي لم يتوزع ولم يتفرق * وقوله * ليس يخاف منه شيء ما عمر * أي ما عمر هذا الماء فانه لا يؤذي ولا يخاف منه ما يخاف

حين قال اعل هبل أى أظهر دينك وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل فضرب صاحب القداح فخرج الاصفران على الغزالين وخرج الاسودان على الاسياف والادراع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الاسياف بابا للكعبة وضرب فى الباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حليته الكعبة فيما يزعمون ثم ان عبد المطلب أقام سقاية زمزم للحجاج «قال ابن هشام» وكانت قريش قبل حفر زمزم قد احتفرت بئارا بمكة فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق قال حفر عبد شمس بن عبد مناف الطوى وهى البئر التى باعلى مكة عند البيضاء دار محمد بن يوسف * وحفر هاشم بن عبد مناف بذر وهى البئر التى عند المستنذر خطم الخندمة على فم شعب أبى طالب وزعموا أنه قال حين حفرها لاجعلنها بلاغا للناس «قال ابن هشام» وقال الشاعر

سقى الله أمواها عرفت مكانها
جرابا وملكوما وبذر والغمرا

* قال ابن اسحق وحفر سجلة وهى بئر المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف التى يسقون عليها اليوم ويزعم بنو نوفل ان المطعم ابتاعها من أسد ابن هاشم ويزعم بنو هاشم انه وهبها له حين ظهرت زمزم فاستغنوا بها عن تلك الآبار * وحفر أمية بن عبد شمس الحفر لنفسه * وحفرت بنو أسد بن عبد العزى سقية وهى بئر بنى أسد * وحفرت بنو عبد الدار أم أحراد * وحفرت بنو جمح السنبلة وهى بئر خلف بن وهب * وحفرت بنو سهم الغمر وهى بئر بنى سهم وكانت آبار حفائر خارجا من مكة قديمة من عهد مرة بن كعب وكلاب بن مرة وكبراء قريش الاوائل منها يشربون

من المياه اذا أفرط فى شربها بل هو بركة على كل حال وعلى هذا يجوز أن يحمل قوله لا تنزف ولا تذم عاقبة شربها وهذا تأويل سائغ أيضا الى ما قدمناه من التأويل وكلاهما صحيح فى صفتها * وقوله وضرب الغزالين حلية الكعبة وهو أول ذهب حليت به الكعبة وقد قدمنا ذكر الغزالين ومن أهداهما الى الكعبة ومن دفنهما من جرهم وتقدم أن أول من كسى الكعبة تبع وانه أول من اتخذ لها غلقا الى ان ضرب لها عبد المطلب باب حديد من تلك الاسياف واتخذ عبد المطلب حوض الزمزم يسقى منه فكان يخرب له بالليل حسدا له فلما غمه ذلك قيل له فى النوم قل لا أحلها لمغتسل وهى لشارب حل وبل وقد كفيتهم فلما اصبح قال ذلك فكان بعد من أرادها بمكروه رمى بداء فى جسده حتى انتهوا عنه ذكره الزهرى فى سيره * وقوله وكانت قريش قبل حفر زمزم قد اتخذت بئارا بمكة ذكروا أن قصيا كان يسقى الحجيج فى حياض من أدم وكان ينقل الماء اليها من آبار خارجة من مكة منها بئر ميمون الحضرمى وكان ينبذ لهم الزبيب ثم احتفر قصى العجول فى دار أم هانىء بنت أبى طالب وهى أول سقاية احتفرت بمكة وكانت العرب اذا استقوا منها ارتجزوا فقالوا

نروى على العجول ثم ننطلق * ان قصيا قدوفى وقد صدق

فلم تزل العجول قائمة حياة قصى وبعد موته حتى كبر عبد مناف بن قصى فسقط فيها رجل من بنى جعيل فعطلوا العجول واندفنت واحتفرت كل قبيلة بئرا واحتفر قصى سجلة وقال حين حفرها

أنا قصى وحفرت سجلة * تروى الحجيج زغلة فزغلة

وقيل بل حفرها هاشم ووهبها أسد بن هاشم لعدى بن نوفل وفى ذلك تقول خلدة بنت هاشم

نحن وهبنا لعدى سجلة * تروى الحجيج زغلة فزغلة

وأما أم أحراد التى ذكرها فاحراد جمع حرد وهى قطعة من انسنام فكأنها سميت بهذا الاسم لانها تنبت الشحم أو تسمن الابل أو نحو هذا والحرد القطا الواردة للماء فكأنها تردها القطا والطير فيكون أحراد جمع حرد بالضم على هذا وقالت أميمة بنت عميلة بن السباق بن عبد الدار امرأة العوام بن خويلد حين حفرت بنو عبد الدار أم أحراد

نحن حفرنا البحر أم احراد * ليست كبذر البرور الجماد

فاجابتها ضرتها صفية بنت عبد المطلب أم الزبير بن العوام رضى الله عنه

نحن حفرنا بذر * نسقى الحجيج الاكبر من مقبل ومدبر * وأم أحراد شر

وأما جراب فيحتمل أن يكون بمعنى جريب نحو كبار وكبير والجريب الوادى والجريب أيضا مكيال كبير والجريب أيضا المزرعة * وأما ملكوم فهو عندى مقلوب والاصل ممكول من مكلت البئر اذا استخرجت ماءها والمكلة ماء الركية وقد قالوا بئر عميقة ومعيقة فلا يبعد أن يكون هذا اللفظ كذلك يقال فيه ممكول وملكوم والملكوم فى اللغة المظلوم اذا لم يكن مقلوبا * وأما بذر فمن التبذير وهو التفريق ولعل ماءها كان يخرج متفرقا من غير مكان واحد وهذا البناء فى الاسماء قليل نحو شلم وخضم وبذر وهى أسماء اعلام وشلم اسم بيت المقدس واما فى غير الاعلام فلا يعرف الا البقم ولعل أصله ان يكون أعجميا فعرب * وأما خم وهى بئر مرة فهى

وهى رم • ورم بئر مرة بن كعب بن لؤى * وخم وخم بئر بنى كلاب بن مرة * والحفر قال حذيفة بن غانم أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى

وقد ماغنينا قبل ذلك حقبة * ولا نستقى الا بخم أو الحفر

« قال ابن هشام » وهو أبو أبى جهم بن حذيفة « قال ابن هشام » وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها ان شاء الله فى موضعها * قال ابن اسحق فعفت زمزم على المياه التى كانت قبلها يسقى عليها الحاج وانصرف الناس اليها لمكانها من المسجد الحرام ولفضلها على ماسواها من المياه ولانها بئر اسمعيل ابن ابراهيم عليهما السلام وافتخرت بها بنو عبد مناف على قريش كلها وعلى سائر العرب * فقال مسافر بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف وهو يفخر على قريش بما ولوا عليهم من السقاية والرفادة وما أقاموا للناس من ذلك وبزمزم حين ظهرت لهم وانما كان بنو عبد مناف أهل بيت واحد شرف بعضهم لبعض شرف وفضل بعضهم لبعض فضل

ورثنا المجد من آبا * ئنا فنمى بنا صعدا
ألم نسق الحجيج وننـ * ـحر الدلاقة الرفدا
ونلقى عند تصريف الـ * ـمنايا شددا رفدا
فان نهلك فلم نملك * ومن ذا خالد أبدا
وزمزم فى أرومتنا * ونفقأ عين من حسدا

« قال ابن هشام » وهذه الابيات فى قصيدة له * قال ابن اسحق وقال حذيفة بن غانم أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى

وساقى الحجيج ثم للخبز هاشم * وعبد مناف ذلك السيد الفهرى
طوى زمزما عند المقام فاصبحت * سقايته فخرا على كل ذى فخر

(قال ابن هشام) يعنى عبد المطلب بن هاشم وهذان البيتان فى قصيدة لحذيفة بن غانم سأذكرها فى موضعها ان شاء الله تعالى ابن

من خممت البيت اذا كنسته ويقال فلان مخموم القلب أى نقيه فكانها سميت بذلك لنقائها * وأما غدير خم الذى عند الجحفة فسميت بغيضة عنده يقال لها خم فيما ذكروا * وأما رم بئر بنى كلاب بن مرة فمن رممت الشىء اذا جمعته وأصلحته ومنه الحديث كنا أهل ثمه ورمه ومنه الرمان فى قول سيبويه لانه عنده فعلان وأما الاخفش فيقول فيه فعال فيجعل فيه النون أصلية ويقول ان سميت به رجلا صرفته ومن قول عبد شمس بن قصىّ

حفرت رما وحفرت خما * حتى ترى المجد بها قد تما

وأما شفية بئر بنى أسد فقال فيها الحويرث بن أسد

ماء شفية كماء المزن * وليس ماؤها بطرق أجن

واما سنبلة بئر بنى جمح وهى بئر بنى خلف بن وهب فقال فيها شاعرهم

نحن حفرنا للحجيج سنبله * صوب سحاب ذو الجلال أنزله
ثم تركناها برأس القنبله * تصب ماء مثل ماء المعبله
* نحن سقينا الناس قبل المسئله *

وأما الغمر بئر بنى سهم فقال فيها بعضهم

نحن حفرنا الغمر للحجيج * تثج ماء أيما ثجيج

ذكر أكثره أبو عبيد البكرى وبعض هذه الارجاز أو أكثره فى كتاب الزبير بن أبى بكر رحمة الله عليه

﴿ فصل ﴾ وذكر شعر مسافر بن أبى عمرو بن أمية واسم أبى عمرو ذكوان وهو الذى يقول فيه أبو سفيان

ليت شعرى مسافر بن أبى عمـ * ـرو وليت يقولها المحزون
بورك الميت الغريب كما بو * رك نضح الرمان والزيتون

فى شعر يرثيه به وكان مات من حبّ صعبة بنت الحضرمى وفى الشعر * وننحر الدلاقة الرفدا * الرفد جمع رفود من الرفد وهى التى تملأ اناءين عند الحلب * وقوله * ونلقى عند تصريف المنايا شددا رفدا هو جمع رفود أيضا من الرفد وهو العون والاول من الرفد بفتح الراء وهو اناء كبير قال الشاعر

رب رفد هرقته ذلك اليو * م وأسرى من معشر اقتال

وذكر أم عبد الله بن عبد المطلب وهى فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران هكذا قال ابن هشام وقال ابن اسحق عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم والصحيح ماقاله ابن هشام لان الزبيريين ذكروا أن عبداً هو أخو عائذ بن عمران وان بنت عبد هى صخرة امرأة عمرو بن عائذ على قول ابن اسحق لانها كانت له عمة لا بنت عم فتأمله فقد تكرر هذا النسب فى السيرة مرارا وفى كل ذلك يقول ابن اسحق عائذ بن عبد بن عمران ويخالفه ابن هشام وصخرة بنت عبد أم فاطمة أمها تخمر بنت عبد بن قصى وأم تخمر سلمى بنت عميرة

* قال ابن اسحق وكان عبد المطلب بن هاشم فيما يزعمون والله أعلم قد نذر حين لقي من قريش ما لقي عند حفر زمزم لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه لينحرن أحدهم لله عند الكعبة فلما توافى بنوه عشرة وعرف انهم سيمنعونه جمعهم ثم أخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء لله بذلك فاطاعوه وقالوا كيف نصنع قال ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم يكتب فيه اسمه ثم ائتوني ففعلوا ثم أتوه فدخل بهم على هبل في جوف الكعبة وكان هبل على بئر في جوف الكعبة وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة وكان عند هبل قداح سبعة كل قدح منها فيه العقل اذا اختلفوا في العقل من يحمله منهم ضربوا بالقداح السبعة فان خرج العقل فعلى من خرج حمله وقدح فيه نعم للامر اذا أرادوه يضرب به في القداح فان خرج قدح نعم عملوا به وقدح فيه لا اذا أرادوا أمرا ضربوا به في القداح فان خرج ذلك القدح لم يفعلوا ذلك الامر وقدح فيه منكم وقدح فيه ملصق وقدح فيه من غيركم وقدح فيه المياه اذا أرادوا أن يحفروا للماء ضربوا بالقداح وفيها ذلك القدح فحيثما خرج عملوا به وكانوا اذا أرادوا أن يختنوا غلاما أو ينكحوا منكحا أو يدفنوا ميتا أو شكوا في نسب أحدهم ذهبوا به الى هبل وبمائة درهم وجزور فأعطوها صاحب القداح الذي يضرب بها ثم قربوا صاحبهم الذي يريدون به ما يريدون ثم قالوا يا الهنا هذا فلان بن فلان قد أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه ثم يقولون لصاحب القداح اضرب فان خرج عليه منكم كان منهم وسيطا وان خرج عليه من غيركم كان (١٠٣) حليفا وان خرج عليه ملصق كان على منزلته فيهم لا نسب له ولا حلف وان خرج فيه شيء مما سوى هذا مما يعملون به نعم عملوا به وان خرج لا أخروه عامه ذلك حتى يأتوه به مرة اخرى ينتهون في أمورهم الى ذلك مما خرجت به القداح فقال عبد المطلب لصاحب القداح اضرب على بني هؤلاء بقداحهم هذه وأخبره بنذره الذي نذر فأعطاه كل رجل منهم قدحه الذي فيه اسمه وكان عبد الله بن عبد المطلب أصغر بني أبيه كان هو والزبير وأبو طالب لفاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر «قال ابن هشام» عائذ بن عمران بن مخزوم * قال ابن اسحق وكان عبد الله فيما يزعمون أحب ولد عبد المطلب اليه وكان عبد المطلب يرى أن السهم اذا أخطأه فقد أشوى وهو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما أخذ صاحب القداح القداح ليضرب بها قام عبد المطلب عند هبل يدعو الله ثم ضرب صاحب القداح فخرج القدح على عبد الله فاخذه عبد المطلب بيده وأخذ الشفرة ثم أقبل به الى اساف ونائلة ليذبحه فقامت اليه قريش من أنديتها فقالوا ماذا تريد يا عبد المطلب قال أذبحه فقالت له قريش وبنوه والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه فما بقاء الناس على هذا وقال له المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة وكان عبد الله ابن أخت القوم والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه فان كان فداؤه باموالنا فديناه وقالت له قريش وبنوه لا تفعل وانطلق الى الحجاز فان به عرافة لها تابع فسلها وأنت على رأس أمرك ان أمرتك بذبحه ذبحته وان أمرتك بامر لك وله فيه فرج قبلته فانطلقوا حتى قدموا المدينة فوجدوها فيما يزعمون بخيبر فركبوا حتى جاؤها فسألوها وقص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه وما أراد به ونذره فيه فقالت لهم ارجعوا عني اليوم حتى يأتيني تابعي فاسأله فرجعوا من عندها فلما خرجوا عنها قام عبد المطلب يدعو الله ثم غدوا عليها فقالت لهم قد جاءني الخبر كم الدية فيكم قالوا عشر من الابل وكانت كذلك قالت فارجعوا الى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرا من الابل ثم اضربوا عليها وعليه القداح فان خرجت على صاحبكم فزيدوا من الابل حتى يرضى ربكم فان

ابن وديعة بن الحرث بن فهر قاله الزبير

《فصل》 وذكر نذر عبد المطلب أن ينحر ابنه الى آخر الحديث وفيه أن عبد الله يعني والد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصغر بني أبيه وهذا غير معروف ولعل الرواية أصغر بني أمه والا فحمزة كان أصغر من عبد الله والعباس أصغر من حمزة وروى عن العباس رضي الله عنه أنه قال أذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن ثلاثة أعوام أو نحوها فجيء بي حتى نظرت اليه وجعل النسوة يقلن لي قبل أخاك [قبل أخاك] فقبلته فكيف يصح أن يكون عبد الله هو الاصغر مع هذا ولكن رواه البكائي كما تقدم ولروايته وجه وهو أن يكون أصغر ولد أبيه حين أراد نحره ثم ولد له بعد ذلك حمزة والعباس وسائر حديث عبد المطلب ليس فيه ما يشكل وفيه أن الدية كانت بعشر من الابل قبل هذه القصة وأول من ودى بالمائة اذا عبد الله وقد قدمنا ما ذكره الاصبهاني عن أبي اليقظان ان أبا سيارة هو أول من جعل الدية مائة من الابل وأما أول من ودى بالابل من العرب فزيد بن بكر بن هوازن قتله أخوه معاوية جد بني عامر بن صعصعة وأما الكاهنة التي تحاكموا اليها بالمدينة فاسمها قطبة ذكرها عبد الغني في كتاب الغوامض والمبهمات وذكر ابن اسحق في رواية يونس ان اسمها سجاح

خرجت على الابل فانحروها عنه فقد رضى بكم ونجا صاحبكم فخرجوا حتى قدموا مكة فلما أجمعوا على ذلك من الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشرا من الابل وعبد المطلب قائم عند هبل يدعو الله عز وجل ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل عشرين وقام عبد المطلب يدعو الله عز وجل ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل ثلاثين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل أربعين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل خمسين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل ستين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل سبعين وقام عبد المطلب يدعو الله (١٠٤) ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل ثمانين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل تسعين وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا من الابل فبلغت الابل مائة وقام عبد المطلب يدعو الله ثم ضربوا فخرج القدح على الابل فقالت قريش ومن حضر قد انتهى رضا ربك يا عبد المطلب فزعموا أن عبد المطلب قال لا والله حتى أضرب عليها ثلاث مرات فضربوا على عبد الله وعلى الابل وقام عبد المطلب يدعو الله فخرج القدح على الابل ثم عادوا الثانية وعبد المطلب قائم يدعو الله فضربوا فخرج القدح على الابل ثم عادوا الثالثة وعبد المطلب قائم يدعو الله فضربوا فخرج القدح على الابل فنحرت ثم تركت لا يصد عنها انسان انى ولا يمنع «قال ابن هشام» ويقال انسان ولا سبع «قال ابن هشام» وبين اضعاف هذا الحديث رجز لم يصح عندنا عن أحد من أهل العلم بالشعر

* قال ابن اسحق ثم انصرف عبد المطلب آخذا بيد عبد الله فمر به فيما يزعمون على امرأة من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر وهى أخت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وهى عند الكعبة فقالت له حين نظرت الى وجهه أين تذهب يا عبد الله قال مع أبى قالت لك مثل الابل التى نحرت عنك وقع على الآن قال أنا مع أبى ولا أستطيع خلافه ولا فراقه فخرج به عبد المطلب حتى أتى به وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر وهو يومئذ سيد بنى زهرة نسبا وشرفا فزوجه ابنته آمنة بنت وهب وهى يومئذ أفضل امرأة فى قريش نسبا وموضعا وهى لبرة بنت عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر • وبرة لام حبيب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن

﴿فصل﴾ وذكر تزويج عبد الله بن عبد المطلب آمنة بنت وهب وذكر البرقى فى سبب تزويج عبد الله آمنة أن عبد المطلب كان يأتى اليمن وكان ينزل فيها على عظيم من عظمائهم فنزل عنده مرة فاذا عنده رجل ممن قرأ الكتب فقال له ائذن لى أقس منخرك فقال دونك فانظر فقال أرى نبوة وملكا وأراهما فى المنافين عبد مناف بن قصى وعبد مناف بن زهرة فلما انصرف عبد المطلب انطلق بابنه عبد الله فتزوج عبد المطلب هالة بنت وهيب وهى أم حمزة رضى الله عنه وزوج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب فولدت له رسول الله صلى الله عليه وسلم * وذكر أمها وأم أمها والثالثة وهى برة بنت عوف وقد قدمنا فى أول المولد ذكر أم الثالثة والرابعة والخامسة ونسبهن فلينظر هنالك * وأما أم هالة فهى العبلة بنت المطلب وأمها خديجة بنت سعيد بن سهم وقد أشكل على بعض الناس فى هذا الخبر أن عبد المطلب نذر نحر أحد بنيه اذا بلغوا عشرة ثم ذكر ابن اسحاق أن تزويجه هالة أم ابنه حمزة كان بعد وفائه بنذره فحمزة والعباس رضى الله عنهما انما ولدا بعد الوفاء بنذره وانما كان جميع أولاده عشرة ولا اشكال فى هذا فان جماعة من العلماء قالوا كان أعمامه عليه السلام اثنى عشر وقاله أبو عمر فان صح هذا فلا اشكال فى الخبر وان صح قول من قال كانوا عشرة بلا مزيد فالولد يقع على البنين وبنيهم حقيقة لا مجازا فكان عبد المطلب قد اجتمع له من ولده وولد ولده عشرة رجال حين وفى بنذره ويروى أن عبد الله بن عبد المطلب حين دعته المرأة الاسدية الى نفسها لما رأت فى وجهه من نور النبوّة ورجت أن تحمل بهذا النبي فتكون أمه دون غيرها فقال عبد الله حينئذ فيما ذكروا

أما الحرام فالحمام دونه * والحل لا حل فأستبينه
فكيف بالأمر الذى تبغينه * يحمى الكريم عرضه ودينه

واسم هذه المرأة رقية بنت نوفل أخت ورقة بن نوفل تكنى أم قتال وبهذه الكنية وقع ذكرها فى رواية يونس عن ابن اسحاق وذكر البرقى عن هشام بن الكلبى قال انما مر على امرأة اسمها فاطمة بنت مر كانت من أجمل النساء وأعفه وكانت قرأت الكتب فرأت نور النبوة فى وجهه فدعته الى نكاحها فأبى فلما أبى قالت

غالب بن فهر وأم حبيب لبرة بنت عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر فزعموا أنه دخل عليها حين أملكها مكانه فوقع عليها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج من عندها فأتى المرأة التى عرضت عليه ما عرضت فقال لها مالك لا تعرضين على اليوم ما كنت عرضت على بالامس قالت له فارقك النور الذى كان معك بالامس فليس بك اليوم حاجة وقد كانت تسمع من أخيها ورقة ابن نوفل وكان تنصر واتبع الكتب أنه كائن فى هـذه الامة نبي * قال ابن اسحق وحدثنى أبى اسحق بن يسار أنه حدث أن عبد الله إنما دخل على امرأة كانت له مع آمنة بنت وهب وقد عمل فى طين له وبه آثار من الطين فدعاها الى نفسه فابطأت عليه لما رأت به من أثر الطين فخرج من عندها فتوضأ وغسل ما كان به من ذلك الطين ثم خرج عامدا الى آمنة فمر بها فدعته الى نفسها فأبى عليها وعمد الى آمنة فدخل عليها فأصابها فحملت بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم مر بامرأته تلك فقال لها هل لك . قالت مررت بى وبين عينيك غرة بيضاء فدعوتك فأبيت على ودخلت على آمنة فذهبت بها * قال ابن اسحق فزعموا أن امرأته تلك كانت تحدث انه مر بها وبين عينيه غرة مثل غرة الفرس قالت فدعوته رجاء أن تكون تلك بى فأبى على ودخل على آمنة فأصابها فحملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أوسط قومه نسبا وأعظمهم شرفا من قبل أبيه وأمه صلى الله عليه وسلم ويزعمون فيما يتحدث الناس والله أعلم أن آمنة ابنة وهب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت تحدث انها أتيت حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك قد حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع الى الارض فقولى أعيذه بالواحد من شر كل حاسد ثم سميه محمدا ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من أرض الشام ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هلك وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم حامل به

﴿ ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

انى رأيت مخيلة نشأت * فتلألأت بحناتم القطر

فلمأتها نوراً يضىء به * ما حوله كاضاءة الفجر

ورأيت سقياها حيا بلد * وقعت به وعمارة القفر

ورأيته شرفا أبوء به * ما كل قادح زنده يورى

لله ما زهرية سلبت * منك الذى استلبت وما تدرى

وفى غريب ابن قتيبة أن التى عرضت نفسها عليه هى ليلى العدوية

﴿ فصل فى المولد ﴾

فى تفسير بقى بن مخلد ان ابليس لعنه الله رن أربع رنات رنة حين لعن ورنة حين أهبط ورنة حين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب قال والرنين والنخار من عمل الشيطان قال ويكره أن يقال أم الكتاب ولكن فاتحة الكتاب وروى عن عثمان بن أبى العاص امه عن أم عثمان الثقفية واسمها فاطمة بنت عبد الله قالت حضرت ولادة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت البيت حين وضع قد امتلأ نورا ورأيت النجوم تدنوا حتى ظننت أنها ستقع على ذكره أبو عمر فى كتاب النساء وذكره الطبرى أيضا فى التاريخ وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم معذورا مسرورا أى مختونا مقطوع السرة يقال عذر الصبى وأعذر اذا ختن وكانت أمه تحدث أنها لم تجد حين حملت به ما تجده الحوامل من ثقل ولا وحم ولا غير ذلك ولما وضعته صلى الله عليه وسلم وقع الى الارض مقبوضة أصابع يديه مشيرا بالسبابة كالمسبح بها وذكر ابن دريد أنه ألقيت عليه جفنة لئلا يراه أحد قبل جده فجاء جده والجفنة قد انفلقت عنه ولما قيل له ما سميت ابنك فقال محمدا فقيل له كيف سميت باسم ليس لاحد من آبائك وقومك فقال انى لارجو أن يحمده أهل الارض كلهم وذلك لرؤيا كان رآها عبد المطلب وقد ذكر حديثها على القيروانى العابر فى كتاب البستان قال كان عبد المطلب قد رأى فى منامه كأن سلسلة من فضة خرجت من ظهره لها طرف فى السماء وطرف فى الارض وطرف فى المشرق وطرف فى المغرب ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة منها نور واذا أهل المشرق والمغرب كأنهم يتعلقون بها فقصها فعبرت له بمولود يكون من صلبه يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والارض فلذلك سماه محمدا مع ما حدثته به أمه حين قيل لها انك حملت بسيد هذه الامة فاذا وضعتيه فسميه محمدا الحديث (قال المؤلف) لا يعرف فى العرب من تسمى بهذا الاسم قبله صلى الله عليه

وسلم الا ثلاثة طمع آباؤهم حين سمعوا بذكر محمد صلى الله عليه وسلم و بقرب زمانه وأنه يبعث فى الحجاز ان يكون ولدا لهم ذكرهم ابن فورك فى كتاب الفصول وهم محمد بن سفيان بن مجاشع جد جد الفرزدق الشاعر والآخر محمد بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش بن جحجبى بن كلفة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس والآخر محمد بن حمران بن ربيعة وكان آباء هؤلاء الثلاثة قد وفدوا على بعض الملوك وكان عنده علم من الكتاب الاول فأخبرهم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم و باسمه وكان كل واحد منهم قد خلف امرأته حاملا فنذر كل واحد منهم ان ولد له ذكر أن يسميه محمدا ففعلوا ذلك (قال المؤلف) وهذا الاسم منقول من الصفة فالمحمد فى اللغة هو الذى يحمد حمدا بعد حمد ولا يكون مفعل مثل مضرب وممدح الا لمن تكرر فيه الفعل مرة بعد مرة * وأما أحمد فهو اسمه صلى الله عليه وسلم الذى سمى به على لسان عيسى وموسى عليهما السلام فانه منقول أيضا من الصفة التى معناها التفضيل فمعنى أحمد أى أحمد الحامدين لربه وكذلك هو فى المعنى لانه تفتح عليه فى المقام المحمود محامد لم تفتح على أحد قبله فيحمد ربه بها ولذلك يعقد له لواء الحمد * وأما محمد فمنقول من صفة أيضا وهو فى معنى محمود ولكن فيه معنى المبالغة والتكرار فالمحمد هو الذى حمد مرة بعد مرة كما أن المكرم من أكرم مرة بعد مرة وكذلك الممدح ونحو ذلك فاسم محمد مطابق لمعناه والله سبحانه وتعالى سماه به قبل أن يسمى به نفسه فهذا علم من أعلام نبوته اذ كان اسمه صادقا عليه فهو محمود عليه السلام فى الدنيا بما هدى اليه ونفع به من العلم والحكمة وهو محمود فى الآخرة بالشفاعة فقد تكرر معنى الحمد كما يقتضى اللفظ ثم انه لم يكن محمدا حتى كان أحمد حمد ربه فنبأه وشرفه فلذلك تقدم اسم أحمد على الاسم الذى هو محمد فذكره عيسى صلى الله عليه وسلم فقال اسمه أحمد وذكره موسى صلى الله عليه وسلم حين قال له ربه تلك أمة أحمد فقال اللهم اجعلنى من أمة أحمد فبأحمد ذكر قبل أن يذكر بمحمد لأن حمده لربه كان قبل حمد الناس له فلما وجد و بعث كان محمدا بالفعل وكذلك فى الشفاعة يحمد ربه بالمحامد التى يفتحها عليه فيكون أحمد الحامدين لربه ثم يشفع فيحمد على شفاعته فانظر كيف ترتب هذا الاسم قبل الاسم الآخر فى الذكر والوجود وفى الدنيا والآخرة تلح لك الحكمة الالهية فى تخصيصه بهذين الاسمين وانظر كيف أنزلت عليه سورة الحمد وخص بها دون سائر الانبياء وخص بلواء الحمد وخص بالمقام المحمود وانظر كيف شرع لنا سنة وقرآنا أن نقول عند اختتام الافعال وانقضاء الامور الحمد لله رب العالمين قال الله سبحانه وتعالى « وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » وقال أيضا « وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » تنبيها لنا على أن الحمد مشروع لنا عند انقضاء الامور وسن صلى الله عليه وسلم الحمد بعد الاكل والشرب وقال عند انقضاء السفر آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون ثم انظر لكونه عليه السلام خاتم الانبياء ومؤذنا بانقضاء الرسالة وارتفاع الوحى ونذيرا بقرب الساعة وتمام الدنيا مع أن الحمد كما قدمنا مقرون بانقضاء الامور مشروع عنده تجد معانى اسميه جميعا وما خص به من الحمد والمحامد مشاكلا لمعناه مطابقا لصفته وفى ذلك برهان عظيم وعلم واضح على نبوته وتخصيص الله له بكرامته وأنه قدم له هذه المقدمات قبل وجوده تكرمة له وتصديقا لأمره صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم * وذكر أن عبد المطلب دخل به الكعبة وعوذه ودعا له وفى غير رواية ابن هشام أن عبد المطلب قال وهو يعوذه

الحمد لله الذى أعطانى * هذا الغلام الطيب الاردان
قد ساد فى المهد على الغلمان * أعيذه بالبيت ذى الاركان
حتى يكون بلغة الفتيان * حتى أراه بالغ البيان

قال حدثنا أبو محمد عبدالملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبدالله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبي قال ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول عام الفيل * قال ابن اسحق وحدثنى المطلب بن عبدالله بن قيس ابن مخرمة عن أبيه عن جده قيس بن مخرمة قال ولدت أنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل فنحن لدتان * قال ابن اسحق وحدثنى صالح بن ابراهيم بن عبدالرحمن بن عوف عن يحيى بن عبدالله بن عبدالرحمن بن سعد بن زرارة الانصارى قال حدثنى من شئت من رجال قومى عن حسان بن ثابت قال والله انى لغلام يفعة ابن سبع سنين أو ثمان أعقل كل ما سمعت اذ سمعت يهوديا يصرخ بأعلى صوته على أطمة بيثرب يامعشر يهود حتى اذا اجتمعوا اليه قالوا له ويلك مالك قال طلع الليلة نجم أحمد الذى ولد به * قال محمد بن اسحق فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقلت ابن كم كان حسان ابن ثابت مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فقال ابن ستين وقدمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فسمع حسان ما سمع وهو ابن سبع سنين * قال ابن اسحق فلما وضعته أمه صلى الله عليه وسلم أرسلت الى جده عبدالمطلب أنه قد ولد لك غلام فأته فانظر اليه فأتاه فنظر اليه وحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت به أن تسميه فيزعمون أن عبدالمطلب أخذه فدخل به الكعبة فقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه ثم خرج به الى أمه فدفعه اليها * والتمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرضعاء (قال ابن هشام) المراضع وفى كتاب الله تبارك وتعالى فى قصة موسى عليه السلام وحرمنا عليه المراضع * قال ابن اسحق فاسترضع له من امرأة من بنى سعد بن بكر يقال لها حليمة ابنة أبى ذؤيب وأبو ذؤيب عبدالله بن الحرث بن شجنة بن جابر بن رزام بن ناصرة بن قصية

أعيذه من كل ذى شنآن * من حاسد مضطرب العنان

ذى همة ليس له عينان * حتى أراه رافع اللسان

أنت الذى سميت فى القرآن * فى كتب ثابتة المثانى

* أحمد مكتوب على البيان *

﴿ فصل ﴾ وذكر أن مولده عليه السلام كان فى ربيع الاول وهو المعروف وقال الزبير كان مولده فى رمضان وهذا القول موافق لقول من قال ان أمه حملت به فى أيام التشريق والله أعلم * وذكروا أن الفيل جاء مكة فى المحرم وانه صلى الله عليه وسلم ولد بعد مجىء الفيل بخمسين يوما وهو الاكثر والاشهر وأهل الحساب يقولون وافق مولده من الشهور الشمسية نيسان فكانت لعشرين مضت منه وولد بالغفر من المنازل وهو مولد النبيين ولذلك قيل خير منزلتين فى الابد بين الزبانا والاسد لان الغفر يليه من العقرب زباناها ولا ضرر فى الزبانا انما تضر العقرب بذنبها ويليه من الاسد أليته وهو السماك والاسد لا يضر بأليته انما يضر بمخلبه ونابه وولد بالشعب وقيل بالدار التى عند الصفا وكانت بعد لمحمد بن يوسف أخى الحجاج ثم بنتها زبيدة مسجدا حين حجت وذكر أنه مات أبوه وهو حمل وأكثر العلماء على انه كان فى المهد ذكره الدولابى وغيره قيل ابن شهرين ذكره ابن أبى خيثمة وقيل أكثر من ذلك ومات أبوه عند أخواله بنى النجار ذهب يمتار لاهله تمرا وقد قيل مات أبوه وهو ابن ثمان وعشرين شهرا وأنشدوا رجز العبد المطلب يقوله لابنه أبى طالب

أوصيك ياعبدمناف بعدى * بمؤتم بعد أبيه فرد

* فارقه وهو ضجيع المهد *

وكان بينه وبين أبيه عليه السلام فى السن ثمانية عشر عاما * وذكر الحرث بن عبد العزى أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ولم يذكر له اسلاما ولا ذكره كثير ممن ألف فى الصحابة وقد ذكره يونس بن بكير فى روايته فقال حدثنا ابن اسحق قال حدثنى والدى اسحق بن يسار عن رجال من بنى سعد بن بكر قال قدم الحرث بن عبدالعزى أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة حين أنزل عليه القرآن فقالت له قريش ألا تسمع ياحار ما يقول ابنك هذا فقال وما يقول قالوا يزعم ان الله يبعث بعد الموت وان لله دارين يعذب فيهما من عصاه ويكرم فيهما من أطاعه فقد شتت أمرنا وفرق جماعتنا فأتاه فقال أى بنى مالك ولقومك يشكونك ويزعمون انك تقول ان الناس يبعثون بعد الموت ثم يصيرون الى جنة ونار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا أزعم ذلك ولو قد كان ذلك اليوم ياأبت لقد أخذت بيدك حتى أعرفك حديثك اليوم فأسلم الحرث بعد ذلك وحسن اسلامه وكان يقول حين أسلم لو قد أخذ ابنى بيدى فعرفنى ما قال لم يرسلنى ان شاء الله حتى يدخلنى الجنة * وذكر ناصرة بن قصية فى نسب حليمة

ابن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان واسم أبيه الذى أرضعه صلى الله عليه وسلم الحرث بن عبد العزى بن رفاعة بن ملان بن ناصرة بن فصية بن نصر بن سعد بن بكر بن هوازن « قال ابن هشام » ويقال هلال بن ناصرة * قال ابن اسحق واخوته من الرضاعة عبدالله بن الحرث وأنيسة بنت الحرث وخذامة بنت الحرث وهى الشيماء غلب ذلك على اسمها فلا تعرف فى قومها الا به وهم لحليمة بنت أبى ذؤيب عبدالله بن الحرث أم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكرون أن الشيماء كانت تحضنه مع أمه اذا كان عندهم * قال ابن اسحق وحدثنى جهم بن أبى جهم مولى الحرث بن حاطب الجمحى عن عبدالله ابن جعفر بن أبى طالب أو عمن حدثه عنه قال كانت حليمة بنت أبى ذؤيب السعدية أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أرضعته تحدث أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه فى نسوة من بنى سعد بن بكر تلتمس الرضعاء قالت وهى فى سنة شهباء لم تبق لنا شيئا قالت فخرجت على أتان لى قمراء معنا شارف لنا والله ما تبض بقطرة وما ننام ليلنا أجمع من صبينا الذى معنا من بكائه من الجوع ما فى ثديى ما يغنيه وما فى شارفنا ما يغديه « قال ابن هشام » ويقال يغذيه ولكنا كنا نرجو الغيث والفرج فخرجت على أتانى تلك فلقد أذمت بالركب حتى شق ذلك عليهم ضعفا وعجفا حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء فما منا امرأة الا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتأباه اذا قيل معه لها انه يتيم وذلك أنا انما كنا نرجو المعروف من أبى الصبى فكنا نقول يتيم وما عسى أن تصنع أمه وجده فكنا نكرهه لذلك فما بقيت امرأة قدمت معى الا أخذت رضيعا غيرى فلما أجمعنا الانطلاق قلت لصاحبى والله انى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ولم آخذ رضيعا والله لاذهبن الى ذلك اليتيم فلآخذنه قال لا عليك أن تفعلى عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة قال فذهبت اليه فاخذته وما حملنى على أخذه الا أنى لم أجد غيره قالت فلما أخذته رجعت به الى رحلى فلما وضعته فى حجرى أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن فشرب حتى

وهو عندهم فصية بالفاء تصغير فصاة وهى النواة ووقع فى الاصل فى جميع النسخ قصية بالقاف وقال أبو حنيفة أيضا القصاحب الزبيب وهو من هذا المعنى * وذكر الشيماء أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة وقال فى اسمها خدامة بكسر الخاء المنقوطة وقال غيره حذافة بالحاء المضمومة وبالفاء مكان الميم وكذلك ذكره يونس فى روايته عن ابن اسحق وكذلك ذكره أبو عمر فى كتاب النساء

﴿شرح ما فى حديث الرضاع﴾

قال ابن اسحق فالتمس لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرضعاء قال ابن هشام انما هو المراضع قال وفى كتاب الله سبحانه «وحرمنا عليه المراضع» والذى قاله ابن هشام ظاهر لان المراضع جمع مرضع والرضعاء جمع رضيع ولكن لرواية ابن اسحق مخرج من وجهين أحدهما حذف المضاف كانه قال ذوات الرضعاء والثانى أن يكون أراد بالرضعاء الاطفال على حقيقة اللفظ لانهم اذا وجدوا له مرضعة ترضعه فقد وجدوا له رضيعا يرضع معه فلا يبعد أن يقال التمسوا له رضيعا علما بان الرضيع لا بد له من مرضع وأرضعته عليه السلام ثويبة قبل حليمة أرضعته وعمه حمزة وعبدالله بن جحش وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف ذلك لثويبة ويصلها من المدينة فلما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها مسروح فاخبر انهما ماتا وسأل عن قرابتهما فلم يجد أحدا منهم حيا وثويبة كانت جارية لابى لهب وسنذكر بقية حديثها ان شاء الله عند وفاة أبى لهب * وذكر قول حليمة وليس فى شارفنا ما يغديه وقال ابن هشام ما يغذيه بالذال المنقوطة وهو أتم فى المعنى من الاقتصار على ذكر الغداء دون العشاء وليس فى أصل الشيخ رواية ثالثة وعند بعض الناس رواية غيرهاتين وهى يعذبه بعين مهملة وذال منقوطة وباء معجمة بواحدة ومعناها عندهم ما يقنعه حتى يرفع رأسه وينقطع عن الرضاع يقال منه عذبته وأعذبته اذا قطعته عن الشرب ونحوه والعذوب الرافع رأسه عن الماء وجمعه عذوب بالضم ولا يعرف فعول جمع على فعول غيره قاله أبو عبيد والذى فى الاصل أصح فى المعنى والنقل * وذكر قولها حتى أذممت بالركب تريد أنها حبستهم وكانه من الماء الدائم وهو الواقف ويروى حتى أذمت اى أذمت الاتان أى جاءت بما تذم عليه أو يكون من قولهم بئر ذمة أى قليلة الماء وليست هذه عند أبى الوليد ولا فى أصل الشيخ أبى بحر وقد ذكرها قاسم فى الدلائل ولم يذكر رواية أخرى وذكر تفسيرها عن أبى عبيدة أذم بالركب اذا ابطا حتى حبسهم من البئر الذمة وهى القليلة الماء * وذكر قول حليمة فلما وضعته فى حجرى أقبل عليه ثدياى بما شاء من لبن فشرب حتى روى وشرب أخوه حتى روى * وذكر غير ابن اسحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يقبل الا على ثديها الواحد وكانت تعرض عليه الثدى الآخر فيأباه كانه قد أشعر عليه السلام ان

روى وشرب معه أخوه حتى روى ثم ناما وما كنا ننام معه قبل ذلك وقام زوجي الى شارفنا تلك فاذا انها لحافل فحلب منها ماشرب وشربت معه حتى انتهينا ريا وشبعا فبتنا بخير ليلة قالت يقول صاحبي حين أصبحنا تعلمي والله ياحليمة لقد أخذت نسمة مباركة قالت فقلت والله انى لارجو ذلك قالت ثم خرجنا وركبت أتانى وحملته عليها معى فوالله لقطعت بالركب مايقدر عليها شيء من حمرهم حتى ان صواحبي ليقلن لى ياابنة أبى ذؤيب ويحك اربعى علينا أليست هذه أتانك التى كنت خرجت عليها فأقول لهن بلى والله انها لهى هى فيقلن والله ان لها لشأنا قالت ثم قدمنا منازلنا من بلاد بنى سعد وما أعلم أرضا من أرض الله أجدب منها فكانت غنمى تروح على حين قدمنا به معنا شباعا لبنا فنحلب ونشرب وما يحلب انسان قطرة لبن ولا يجدها فى ضرع حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعى بنت أبى ذؤيب فتروح أغنامهم جياعا ماتبض بقطرة لبن وتروح غنمى شباعا لبنا فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير حتى مضت سنتاه وفصلته وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمان فلم يبلغ سنتيه حتى كان غلاما جفرا قالت فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما كنا نرى من بركته فكلمنا أمه وقلت لها لو تركت بني عندى حتى يغلظ فانى أخشى عليه وباء مكة قالت فلم نزل بها حتى ردته معنا قالت فرجعنا به فوالله انه بعد مقدمنا بأشهر مع أخيه لفى بهم لنا خلف بيوتنا اذ أتانا أخوه يشتد فقال لى ولابيه ذاك أخى القرشى قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعاه فشقا بطنه فهما يسوطانه قالت فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائما منتقعا وجهه قالت فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له مالك يابنى

معه شريكا فى لبانها وكان مفطورا على العدل مجبولا على جميل المشاركة والفضل صلى الله عليه وسلم (قال المؤلف) والتماس الاجر على الرضاع لم يكن محمودا عند أكثر نساء العرب حتى جرى المثل تجوع المرأة ولا تأكل بثدييها وكان عند بعضهن لا بأس به فقد كانت حليمة وسيطة فى بنى سعد كريمة من كرائم قومها بدليل اختيار الله تعالى اياها لرضاع نبيه صلى الله عليه وسلم كما اختار له أشرف البطون والاصلاب والرضاع كالنسب لانه يغير الطباع فى المسند عن عائشة رضى الله عنها ترفعه لا تسترضعوا الحمقا فان اللبن يورث ويحتمل أن تكون حليمة ونساء قومها طلبن الرضعاء اضطرارا للازمة التى أصابتهم والسنة الشهباء التى اقتحمتهم * وأما دفع قريش وغيرهم من أشراف العرب أولادهم الى المراضع فقد يكون ذلك لوجوه أحدها تفريغ النساء الى الازواج كما قال عمار بن ياسر لام سلمة رضى الله عنها وكان أخاها من الرضاعة حين انتزع من حجرها زينب بنت أبى سلمة فقال دعى هذه المقبوحة المشقوحة التى آذيت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد يكون ذلك منهم أيضا لينشأ الطفل فى الاعراب فيكون أفصح للسانه وأجلد لجسمه وأجدر أن لا يفارق الهيئة المعدية كما قال عمر رضى الله عنه تمعددوا وتمعززوا واخشوشنوا وقد قال عليه السلام لابى بكر رضى الله عنه حين قال له مارأيت أفصح منك يارسول الله فقال وما يمنعنى وأنا من قريش وأرضعت فى بنى سعد فهذا ونحوه كان يحملهم على دفع الرضعاء الى المراضع الاعرابيات وقد ذكر أن عبد الملك بن مروان كان يقول أضر بنا حب الوليد لان الوليد كان لحانا وكان سليمان فصيحا لان الوليد أقام مع أمه وسليمان وغيره من اخوته سكنوا البادية فتعربوا ثم أدبوا فتأدبوا وكان من قريش أعراب ومنهم حضر فالاعراب منهم بنو الادرم وبنو محارب وأحسب بنى عامر بن لؤى كذلك لانهم من أهل الظواهر وليسوا من أهل البطاح * وذكر قول أخيه من الرضاعة نزل عليه رجلان أبيضان فشقا عن بطنه وهما يسوطانه يقال سطت اللبن أو الدم أو غيرهما أسوطه اذا ضربت بعضه ببعض والمسوط عود يضرب به وفى رواية أخرى عن ابن اسحاق انه نزل عليه كركيان فشق أحدهما بمنقاره جوفه ومج الآخر بمنقاره فيه ثلجا أو بردا أو نحو هذا وهى رواية غريبة ذكرها يونس عنه واختصر ابن اسحاق حديث نزول الملكين عليه وهو أطول من هذا وروى ابن أبى الدنيا وغيره باسناد يرفعه الى أبى ذر رضى الله عنه قال قلت يارسول الله كيف علمت أنك نبى وبم علمت حتى استيقنت قال ياأبا ذر أتانى ملكان وأنا ببطحاء مكة فوقع أحدهما بالارض وكان الآخر بين السماء والارض فقال أحدهما لصاحبه أهو هو قال هو هو قال فزنه برجل فوزننى برجل فرجحته ثم قال زنه بعشرة فوزننى فرجحتهم ثم قال زنه بمائة فوزننى فرجحتهم ثم قال زنه بالف فوزننى فرجحتهم حتى جعلوا يتناثرون على من كفة الميزان فقال أحدهما لصاحبه شق بطنه فشق بطنى فاخرج قلبى فاخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فطرحهما فقال أحدهما لصاحبه اغسل بطنه غسل الاناء واغسل قلبه غسل الملاء ثم قال أحدهما لصاحبه خط بطنه فخاط بطنى وجعل الخاتم بين كتفى كما هو الآن ووليا عنى فكأنى أعاين الامر معاينة ففى هذا الحديث بيان لما أبهم فى الاول لانه قال فاخرج منه مغمز الشيطان وعلق الدم فبين أن الذى التمس فيه هو الذى يغمزه الشيطان من كل مولود الا عيسى بن مريم وأمه عليهما السلام لقول أمها حنة «انى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم» فلم يصل اليه لذلك ولانه لم يخلق من منى الرجال

فاعيذه من مغمز وانما خلق من نفخة روح القدس ولا يدل هذا على فضل عيسى عليه السلام على محمد صلى الله عليه وسلم لان محمدا صلى الله عليه وسلم قد نزع منه ذلك المغمز وملئ قلبه حكمة وايمانا بعد أن غسله روح القدس بالثلج والبرد وانما كان ذلك المغمز فيه لموضع الشهوة المحركة للمنى والشهوات يحضرها الشياطين لا سيما شهوة من ليس بمؤمن فكان ذلك المغمز راجعا الى الاب لا الى الابن المطهر صلى الله وسلم عليه وفى الحديث فائدة أخرى وهى من نفيس العلم وذلك أن خاتم النبوة لم يدر هل خلق به أم وضع فيه بعد ماولد أو حين نبئ فبين فى هذا الحديث متى وضع وكيف وضع ومن وضعه زادنا الله علما وأوزعنا شكر ما علم وفيه البيان لما سأل عنه أبو ذر رضى الله عنه حين قال كيف علمت أنك نبى فأعلمه بكيفية ذلك غير أن فى هذا الحديث وهما من بعض النقلة وهو قوله بينما أنا ببطحاء مكة وهذه القصة لم تعرض له الا وهو فى بنى سعد مع حليمة كما ذكر ابن اسحق وغيره وقد رواه البزار من طريق عروة عن أبى ذر رضى الله عنه فلم يذكر فيه ببطحاء مكة * وذكر فيه أنه قال وأوتيت بالسكينة كأنها رهرهة فوضعت فى صدرى قال ولا أعلم لعروة سماعا من أبى ذر وذكر من طريق آخر عن أبى ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ياأباذر وزنت بار بعين أنت فيهم فرجحتهم والرهرهة بصيص البشرة فهذا بيان وضع الخاتم متى وضع * وأما متى وجبت له النبوة فروى عن ميسرة أنه قال له متى وجبت لك النبوة يارسول الله فقال وآدم بين الروح والجسد وروى وآدم مجندل فى طينته وهذا الخبر روى عنه عليه السلام على وجهين أحدهما انه شق عن قلبه وهو مع رابته ومرضعته فى بنى سعد وانه جئ بطست من ذهب فيه ثلج فغسل به قلبه والثانى فيه انه غسل بماء زمزم وأن ذلك كان ليلة الاسراء حين عرج به الى السماء بعد ما بعث باعوام وفيه انه أتى بطست من ذهب ممتلئ حكمة وايمانا فافرغ فى قلبه وذكر بعض من ألف فى شرح الحديث انه تعارض فى الروايتين وجعل يأخذ فى ترجيح الرواة وتغليط بعضهم وليس الامر كذلك بل كان هذا التقديس وهذا التطهير مرتين * الاولى فى حال الطفولية لينقى قلبه من مغمز الشيطان وليطهر ويقدس من كل خلق ذميم حتى لا يتلبس بشئ مما يعاب على الرجال وحتى لا يكون فى قلبه شئ الا التوحيد ولذلك قال فوليا عنى يعنى الملكين وكأنى أعاين الامر معاينة * والثانية فى حال الاكتهال وبعد ما نبئ وعندما أراد الله أن يرفعه الى الحضرة المقدسة التى لا يصعد اليها الا مقدس وعرج به هنالك لتفرض عليه الصلاة وليصلى بملائكة السموات ومن شأن الصلاة الطهور فقدس ظاهرا وباطنا وغسل بماء زمزم وفى المرة الاولى بالثلج لما يشعر الثلج من ثلج اليقين وبرده على الفؤاد وكذلك هنالك حصل له اليقين بالامر الذى يراد به وبوحدانية ربه وأما فى الثانية فقد كان موقنا منبئا فانما طهر لمعنى آخر وهو ما ذكرناه من دخول حضرة القدس والصلاة فيها ولقاء الملك القدوس فغسله روح القدس بماء زمزم التى هى هزمة روح القدس وهمزة عقبه لابيه اسماعيل عليه السلام وجئ بطست ممتلئ حكمة وايمانا فأفرغ فى قلبه وقد كان مؤمنا ولكن الله تعالى قال «ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم» وقال «ليزداد الذين آمنوا ايمانا» (فان قيل) وكيف يكون الايمان والحكمة فى طست من ذهب والايمان عرض والاعراض لا يوصف بها الا محلها الذى تقوم به ولا يجوز فيه الانتقال لان الانتقال من صفة الاجسام لا من صفة الاعراض (قلنا) انما عبر عما كان فى الطست بالحكمة والايمان كما عبر عن اللبن الذى شربه وأعطى فضله عمر رضى الله عنه بالعلم فكان تأويل ما أفرغ فى قلبه حكمة وايمانا ولعل الذى كان فى الطست كان ثلجا وبردا كما ذكر فى الحديث الاول فعبر عنه فى المرة الثانية بما يؤول اليه وعبر عنه فى المرة الاولى بصورته التى رآها لانه فى المرة الاولى كان طفلا فلما رأى الثلج فى طست الذهب اعتقده ثلجا حتى عرف تأويله بعد وفى المرة الثانية كان نبيا فلما رأى طست الذهب مملوأ ثلجا علم التأويل لحينه

واعتقده فى ذلك المقام حكمة وايمانا فكان لفظه فى الحديثين على حسب اعتقاده فى المقامين وكان الذهب فى الحالتين جميعا مناسبا للمعنى الذى قصد به فان نظرت الى لفظ الذهب فمطابق للاذهاب فان الله عز وجل أراد ان يذهب عنه الرجس و يطهره تطهيرا وان نظرت الى معنى الذهب وأوصافه وجدته أنقى شىء وأصفاه يقال فى المثل أنقى من الذهب . وقالت بريرة فى عائشة رضى الله عنهما ما أعلم عليها الا ما يعلم الصائغ على الذهب الاحمر وقال حذيفة فى صلة بن أشيم رضى الله عنهما انما قلبه من ذهب وقال جرير بن حازم فى الخليل بن أحمد انه لرجل من ذهب يريدون النقاء من العيوب فقد طابق طست الذهب ما أريد بالنبى صلى الله عليه وسلم من نقاء قلبه ومن أوصاف الذهب أيضاً المطابقة لهذا المقام ثقله ورسوبه فانه يجعل فى الزيبق الذى هو أثقل الاشياء فيرسب والله تعالى يقول «انا سنلقى عليك قولا ثقيلا» وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه انما ثقلت موازين المحقين يوم القيامة لاتباعهم الحق وحق لميزان لا يوضع فيه الا الحق أن تكون ثقيلا وقال فى أهل الباطل بعكس هذا وقد روى انه أنزل عليه الوحى وهو على ناقته فثقل عليها حتى ساخت قوائمها فى الارض فقد تطابقت الصفة المعقولة والصفة المحسوسة ومن أوصاف الذهب أيضا انه لا تأكله النار وكذلك القرآن لا تأكل النار يوم القيامة قلبا وعاه ولا بدنا عمل به قال النبى صلى الله عليه وسلم لو كان القرآن فى اهاب ثم طرح فى النار ما احترق ومن أوصاف الذهب المناسبة لاوصاف القرآن والوحى أن الارض لا تبليه وأن الثرى لا يذريه وكذلك القرآن لا يخلق على كثرة الرد ولا يستطاع تغييره ولا تبديله ومن أوصافه أيضا نفاسته وعزته عند الناس وكذلك الحق والقرآن عزيز قال سبحانه «وانه لكتاب عزيز» فهذا اذا نظرت الى أوصافه ولفظه واذا نظرت الى ذاته وظاهره فانه زخرف الدنيا وزينتها وقد فتح بالقرآن والوحى على محمد صلى الله عليه وسلم وأمته خزائن الملوك وتصير الى أيديهم ذهبها وفضتها وجميع زخرفها وزينتها ثم وعدوا باتباع القرآن والوحى قصور الذهب والفضة فى الجنة قال صلى الله عليه وسلم جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما من ذهب و فى التنزيل «يطاف عليهم بصحاف من ذهب . ويحلون فيها من أساور من ذهب» فكان ذلك الذهب يشعر بالذهب الذى يصير اليه من اتبع الحق والقرآن وأوصافه تشعر باوصاف الحق والقرآن ولفظه يشعر باذهاب الرجس كما تقدم فهذه حكم بالغة لمن تأمل واعتبار صحيح لمن تدبر والحمد لله وفى ذكر الطست وحروف اسمه حكمة تنظر الى قوله تعالى «طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين» ومما يسئل عنه هل خص هو صلى الله عليه وسلم بغسل قلبه فى الطست أم فعل ذلك بغيره من الانبياء قبله ففى خبر التابوت والسكينة انه كان فيه الطست التى غسلت فيها قلوب الانبياء عليهم السلام ذكره الطبرى وقد انتزع بعض الفقهاء من حديث الطست حيث جعل محلا للايمان والحكمة جواز تحلية المصحف بالذهب وهو فقه حسن ففى حديث أبى ذر رضى الله عنه هذا الذى قدمناه متى علم أنه نبىّ والحكمة فى خاتم النبوة على جهة الاعتبار انه لما ملئ قلبه حكمة ويقينا ختم عليه كما يختم على الوعاء المملوء مسكا أو درا وأما وضعه عند نغض كتفه فلانه معصوم من وسوسة الشيطان وذلك الموضع منه يوسوس الشيطان لابن آدم روى ميمون بن مهران عن عمر بن عبد العزيز أن رجلا سأل ربه أن يريه موضع الشيطان منه فارى جسدا ممهى يرى داخله من خارجه والشيطان فى صورة ضفدع عند نغض كتفه حذاء قلبه له خرطوم كخرطوم البعوضة وقد أدخله الى قلبه يوسوس فاذا ذكر الله تعالى العبد خنس

﴿ فصل ﴾ وكان ردّ حليمة اياه الى أمه وهو ابن خمس سنين وشهر فيما ذكر أبو عمر و ثم لم تره بعد ذلك الا مرتين احداهما بعد تزويجه خديجة رضى الله عنها جاءته تشكو اليه السنة وأن قومها قد أسنتوا فكلم لها خديجة فاعطتها عشرين رأسا من غنم و بكرات والمرة الثانية يوم حنين وسيأتى ذكرها ان شاء الله

﴿ فصل ﴾ وذكر النور الذى رأته آمنة حين ولدته عليه السلام فضاءت لها قصور الشام وذلك بما

قال جاءنى رجلان عليهما ثياب بيض فاضجعانى وشقا بطنى فالتمسا شيئا لا أدرى ما هو قالت فرجعنا الى خبائنا قالت وقال لى أبوه يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فالحقيه باهله قبل أن يظهر ذلك به قالت فاحتملناه فقدمنا به على أمه فقالت ما أقدمك به يا ظئر وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك قالت فقلت نعم قد بلغ الله بابنى وقضيت الذى على وتخوفت الاحداث عليه فاديته عليك كما تحبين قالت ما هذا شأنك فاصدقينى خبرك قالت فلم تدعنى حتى أخبرتها قالت أفتخوفت عليه الشيطان قالت قلت نعم قالت كلا والله ما للشيطان عليه من سبيل وان لبنيى لشأنا أفلا أخبرك خبره قالت بلى قالت رأيت حين حملت به انه خرج منى نور أضاء لى به قصور بصرى من أرض الشام ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف ولا أيسر منه ووقع حين ولدته وانه لواضع يديه بالارض

رافع رأسه الى السماء دعيه عنك وانطلق راشدة * قال ابن اسحق وحدثني ثور بن يزيد عن بعض أهل العلم ولا أحسبه الا عن خالد ابن معدان الكلاعي أن نفرا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا له يارسول الله أخبرنا عن نفسك قال نعم أنا دعوة أبي ابراهيم وبشرى عيسى ورأت أمي حين حملت بي انه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ أتاني رجلان عليهما ثياب بيض بطست من ذهب مملوءة ثلجا فأخذاني فشقا بطني واستخرجا قلبي فشقاه فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي و بطني بذلك الثلج حتى أنقياه قال ثم قال أحدهما لصاحبه زنه بعشرة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بمائة من أمته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من أمته فوزنني بهم فوزنتهم فقال دعه عنك فوالله لو وزنته بامته لوزنها * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن نبي الا وقد رعى الغنم قيل وأنت يارسول الله قال وأنا * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاصحابه أنا أعربكم أنا قرشي واسترضعت في بني سعد ابن بكر * قال ابن اسحق وزعم الناس فيما يتحدثون والله اعلم أن أمه السعدية لما قدمت به مكة أضلها في الناس وهي مقبلة به نحو أهله فالتمسته فلم تجده فاتت عبد المطلب فقالت له انى قد قدمت بمحمد هذه الليلة فلما كنت باعلى مكة أضلني فوالله ماادرى أين هو فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده فيزعمون أنه وجده ورقة بن نوفل بن اسد و رجل آخر من قريش فاتيا به عبد المطلب فقالا له هذا ابنك وجدناه باعلى مكة فاخذه عبد المطلب فجعله على عنقه وهو يطوف بالكعبة يعوذه و يدعو له ثم أرسل به الى أمه آمنة * قال ابن اسحق وحدثني بعض أهل العلم أن مما هاج أمه السعدية على رده الى أمه مع ماذكرت لامه مما أخبرتها عنه أن نفرا من الحبشة نصارى رأوه معها حين رجعت به بعد فطامه فنظروا اليه وسالوها عنه وقلبوه ثم قالوا لها لنأخذن هذا الغلام فلنذهبن به الى ملكنا و بلدنا فان هذا غلام كائن له شأن نحن نعرف أمره فزعم الذي حدثني أنها لم تكد تنفلت به منهم * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أمه آمنة بنت وهب وجده عبد المطلب بن هاشم في كلاءة الله وحفظه ينبته الله نباتا حسنا لما يريد به من كرامته فلما

فتح الله عليه من تلك البلاد حتى كانت الخلافة فيها مدة بني أمية واستضاءت تلك البلاد وغيرها بنوره صلى الله عليه وسلم وكذلك رأى خالد بن سعيد بن العاصي قبل المبعث بيسير نورا يخرج من زمزم حتى ظهرت له البسر في نخيل يثرب فقصها على أخيه عمرو فقال له انها حفيرة عبد المطلب وان هذا النور منهم فكان ذلك سبب مبادرته الى الاسلام

﴿ فصل ﴾ وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم مامن نبي الا وقد رعى الغنم قيل وأنت يارسول الله قال وأنا وانما أراد ابن اسحق بهذا الحديث رعايته الغنم في بني سعد مع أخيه من الرضاعة وقد ثبت في الصحيح انه رعاها بمكة أيضا على قراريط لاهل مكة ذكره البخاري وذكر البخاري عنه أيضا أنه قال ماهممت بشيء من أمر الجاهلية الا مرتين و روى ان احدى المرتين كان في غنم يرعاها هو وغلام من قريش فقال لصاحبه اكفني أمر الغنم حتى آتي مكة وكان بها عرس فيها لهو و زمر فلما دنى من الدار ليحضر ذلك القى عليه النوم فنام حتى ضربته الشمس عصمة من الله له و في المرة الآخرة قال لصاحبه مثل ذلك وألقى عليه النوم فيها كما ألقى في المرة الاولى ذكر هذا المعنى ابن اسحق في غير رواية البكائي و في غريب الحديث للقتبي بعث موسى صلى الله عليه وسلم وهو راعي غنم و بعث داود صلى الله عليه وسلم وهو راعي غنم و بعثت وأنا راعي غنم اهلي باجياد وانما جعل الله هذا في الانبياء تقدمة لهم ليكونوا رعاة الخلق ولتكون أممهم رعايا لهم وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ينزع على قليب وحولها غنم سود وغنم عفر قال ثم جاء أبو بكر رضي الله عنه فنزع نزعا ضعيفا والله يغفر له ثم جاء عمر فاستحالت غربا يعني الدلو فلم أر عبقريا يفري فريه فاولها الناس في الخلافة لابي بكر وعمر رضي الله عنهما ولولا ذكر الغنم السود والعفر لبعدت الرؤيا عن معنى الخلافة والرعاية اذ الغنم السود والعفر عبارة عن العرب والعجم وأكثر المحدثين لم يذكروا الغنم في هذا الحديث ذكره البزار في مسنده وأحمد بن حنبل أيضا وبه يصح المعنى والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وذكر كون النبي صلى الله عليه وسلم في كفالة عمه يكلؤه و يحفظه فمن حفظ الله له في ذلك انه كان يتيما ليس له أب يرحمه ولا أم ترأمه لانها ماتت وهو صغير وكان عيال أبي طالب ضففا وعيشهم شظفا فكان يوضع الطعام له وللصبية من أولاد أبي طالب فيتطاولون اليه و يتقاصر هو وتمتد أيديهم وتنقبض يده تكرما منه واستحياء ونزاهة نفس وقناعة قلب فيصبحون غمصا رمصا مصفرة ألوانهم و يصبح هو عليه السلام صقيلا دهينا كانه في أنعم عيش وأعز كفاية لطفا من الله عز وجل به كذلك ذكره القتبي في غريب الحديث

(فصل)

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ست سنين توفيت أمه آمنة بنت وهب * قال ابن اسحق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ان أم رسول الله صلى الله عليه وسلم آمنة توفيت ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ست سنين بالابواء بين مكة والمدينة كانت قد قدمت به على أخواله من بني عدي بن النجار تزيره اياهم فماتت وهي راجعة به الى مكة «قال ابن هشام» أم عبد المطلب بن هاشم سلمى بنت عمرو النجارية فهذه الخؤلة التي ذكر ابن اسحق لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جده عبد المطلب بن هاشم وكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج اليه لا يجلس عليه أحد من بنيه اجلالا له قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي وهو غلام جفر حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ليؤخروه عنه فيقول عبد المطلب اذا رأى ذلك منهم دعوا ابني فوالله ان له لشأنا ثم يجلسه معه عليه ويمسح ظهره بيده ويسره ما يراه يصنع

﴿وفاة عبد المطلب وما رثي به من الشعر﴾

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثماني سنين هلك عبد المطلب بن هاشم وذلك بعد الفيل بثماني سنين * قال ابن اسحق وحدثني العباس ابن عبد الله بن معبد بن عباس عن بعض أهله أن عبد المطلب توفي ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن ثماني سنين * قال ابن اسحق حدثني محمد بن سعيد بن المسيب أن عبد المطلب لما حضرته الوفاة وعرف انه ميت جمع بناته وكن ست نسوة صفية وبرة وعاتكة وأم حكيم البيضاء وأميمة وأروى فقال لهن ابكين علي حتى أسمع ما تقلن قبل أن أموت «قال ابن هشام» ولم أر أحدا من أهل العلم بالشعر يعرف هذا الشعر الا انه لما رواه عن محمد بن سعيد بن المسيب كتبناه فقالت صفية ابنة عبد المطلب تبكي أباها

أرقت لصوت نائحة بليل * على رجل بقارعة الصعيد
ففاضت عند ذلكم دموعي * على خدي كمنحدر الفريد

﴿فصل﴾ وذكر موت أمه آمنة بالابواء وهو موضع معروف بين مكة والمدينة وهو الى المدينة أقرب كأنه سمي بجمع بو وهو جلد الحوار المحشو بالتبن وغيره وقيل سمي بالابواء لتبوء السيول فيه وكذلك ذكر عن كثير ذكره قاسم بن ثابت وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زار قبر أمه بالابواء في ألف مقنع فبكى وأبكى وهذا حديث صحيح وفي الصحيح أيضا أنه قال استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فأذن لي واستأذنته أن أستغفر لها فلم يأذن لي وفي مسند البزار من حديث بريدة أنه صلى الله عليه وسلم حين أراد أن يستغفر لامه ضرب جبريل عليه السلام في صدره وقال له لا تستغفر لمن كان مشركا فرجع وهو حزين وفي الحديث زيادة في غير الصحيح انه سئل عن بكائه فقال ذكرت ضعفها وشدة عذاب الله ان كان صح هذا وفي حديث آخر ما يصححه وهو أن رجلا قال له يا رسول الله أين أبي فقال في النار فلما ولى الرجل قال عليه السلام ان أبي وأباك في النار وليس لنا أن نقول نحن هذا في أبويه صلى الله عليه وسلم لقوله عليه السلام لا تؤذوا الاحياء بسب الاموات والله عز وجل يقول «ان الذين يؤذون الله ورسوله» الآية وانما قال النبي صلى الله عليه وسلم لذلك الرجل هذه المقالة لانه وجد في نفسه وقد قيل انه قال أين أبوك أنت فحينئذ قال ذلك وقد رواه معمر بن راشد بغير هذا اللفظ فلم يذكر أنه قال له ان أبي وأباك في النار ولكن ذكر أنه قال له اذا مررت بقبر كافر فبشره بالنار وروى حديث غريب لعله أن يصح وجدته بخط جدي أبي عمران أحمد ابن أبي الحسن القاضي رحمه الله بسند فيه مجهولون ذكر أنه نقله من كتاب انتسخ من كتاب معوذ بن داود بن معوذ الزاهد يرفعه الى أبي الزناد عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أخبرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يحيي أبويه فأحياهما له وآمنا به ثم أماتهما والله قادر على كل شيء وليس تعجز رحمته وقدرته عن شيء ونبيه عليه السلام أهل أن يخصه بما شاء من فضله وينعم عليه بما شاء من كرامته صلوات الله عليه وآله وسلم قال القرطبي في تذكرته جزم أبو بكر الخطيب في كتاب السابق واللاحق وأبو حفص عمر بن شاهين في كتاب الناسخ والمنسوخ له في الحديث باسناديهما عن عائشة رضي الله عنها قالت حج بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع فمر على قبر أمه وهو باك حزين مغتم فبكيت لبكائه صلى الله عليه وسلم ثم انه نزل فقال يا حميراء استمسكي فاستندت الى جنب البعير فمكث عني طويلا مليا ثم انه عاد الي وهو فرح متبسم فقلت له بأبي أنت وأمي يا رسول الله نزلت من عندي وأنت باك حزين مغتم فبكيت لبكائك ثم عدت الي وأنت فرح متبسم فمم ذا يا رسول الله فقال ذهبت لقبر آمنة أمي فسألت أن يحييها فأحياها فآمنت بي أو قال فآمنت وردها الله عز وجل

﴿وفاة عبد المطلب﴾

قول صفية

ففاضت عند ذلكم دموعي * على خدي كمنحدر الفريد

على رجـل كريم غـير وغل * له الفضـل المبين على العبيد
على الفياض شيبة ذى المعالى * أبيك الخير وارث كل جود
صدوق فى المواطن غير نـكس * ولا شخت المقام ولا سنيـد
طويل الباع أروع شـيظمى * مطاع فى عشـيرته حميـد
رفيع البيت أبلج ذى فضول * وغيث الناس فى الزمن الحرود
كريم الجد ليس بذى وصوم * يروق على المسوّد والمسود
عظيم الحـلم من نفر كـرام * خضارمة ملاوثة أسـود
فلو خـلد امرؤ لقـديم مجد * ولـكن لا سبيل الى الخلود
لكان مخـلداً أخرى الليالى * لفضل المجد والحسب التليد

﴿ وقالت برة بنت عبد المطلب تبكى أباها ﴾

أعينىّ جودا بدمع درر * عـلى طيب الخيم والمعتصر
عـلى ماجـد الجد وارى الزناد
جميـل المحيا عظيم الخطـر
عـلى شـيبة الحـمد ذى المكرما
ت وذى المجد والعز والمفتخر
وذى الحـلم والفضـل فى النائبا
ت كثير المكارم جم الفجر
له فضل مجد عـلى قومه * منير يلوح كضـوء القـمر
أتتـه المنايا فلم تشـوه * بصرف الليالى وريب القمر

﴿ وقالت عاتكة بنت عبـد المطلب تبكى أباها ﴾

أعينى جودا ولا تبخلا
بدمعكما بعـد نوم النيام
أعينى واسحنفرا واسكبا
وشوبا بكاء كما بالتدام
أعينى واستخرطا واسجما
على رجل غير نكس كهام
عـلى الجحفل الغـمر فى النائبا
ت كريم المساعى وفىّ الذمام
على شيبة الحمد وارى الزنا * دوذى مصدق بعد ثبت المقام
وسيف لدى الحرب صمصامة * ومردى المخاصم عند الخصام
وسهل الخليقة طلق اليديـ ـن وف عدملى صميم لهام
تبنـك فى باذخ بيتـه * رفيع الذؤابة صعب المرام

﴿ وقالت أم حكيم البيضاء بنت عبد المطلب تبكى أباها ﴾

ألا يا عين جودى واستهلى * وبكى ذا الندى والمكرمات
يا عـين لا ويحك أسعفينى * بدمع من دموع هاطلات
وبكى خير من ركب المطايا * أباك الخـير تيار الفـرات
طويل الباع شيبة ذى المعالى * كريم الخيم محمود الهبات
وصولا للقرابة هـبرزيا * وغيثا فى السـنين الممحلات

وهو

يروى كمنحدر بكسر الدال أى كالدر المنحدر ومنحدر بفتح الدال فيكون التشبيه راجعا للفيض فعلى رواية الـكسر شبهت الدمع بالدر الفريد وعلى روايه الفتح شبهت الفيض بالانحدار * وقولها أبيك الخير أرادت الخير فخففت كما يقال هين وهين وفى التنزيل «خيرات حسان» وكان اسم أم الدرداء خيرة بنت أبى حدرد وكذلك أم الحسن بن أبى الحسن البصرى اسمها خيرة فهذا من المخفف ويجوز أن يكون الخـير هاهنا هو ضد الشر جعلته كله خيرا على المبالغة كما تقول ما زيد الا علم أو حسن وما أنت الا سير وهو مجاز حسن فعلى هذا الوجـه لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث فيقال خيرة * وقولها * ولا شخت المقام ولا سنيد * الشخت ضـد الضخم تقول ليس كذلك ولـكنه ضخم المقام ظاهره والسنيد الضعيف الذى لا يستقل بنفسه حتى يسند رأيه الى غيره * وقولها خضارمة ملاوثة ملاوثة جمع ملواث من اللوثة وهى القوة كما قال المكبر * عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا * وقد قيل ان اسم الليث منه أخذ الا أن واوه انقلبت ياء لانه فيعل تخفف كما تقدم فى هين وهين ولين ولين * وقول برة * أتته المنايا فلم تشوه * أى لم تصب الشوى بل أصابت المقتل وقد تقدم فى حديث عبد المطب وضربه بالقداح على عبد الله وكان يرى أن السـهم اذا خرج على غيره انه قد أشوى أى قد أخطأ مقتـله أى مقتل عبـد المطلب وابنه ومن رواه أشوى بفتح الواو فالسهم هو الذى أشوى وأخطأ وبكلا الضبطين وجـدته ويقال أيضا أشوى الزرع اذا أفرك فالاول من الشوى وهـذا من الشى بالنار قاله أبو حنيفـة * وقول عاتكة ومردى المخاصم المردى مفـعل من الردى وهو الحجر الذى يقتـل من أصيب به وفى المثل كل ضب عند مرداته * وقولها وف أى وفى وخفف للضرورة * وقولها عدملى العدملى الشـديد واللهام فعـال من لهمت الشىء ألهمه اذا ابتلعته قال الراجز

كالحوت لا يرويه شىء يلهمه * يصبح عطشانا وفى البحر فمه

ومنه سمى الجيش لهاما * وقولها على الجحفل جعلته كالجحفل أى يقوم وحـده مقامه والجحفل لفظ منحوت من أصلين من جحف وجفل وذلك أنه يجحف ما يمر عليه أى يقشره ويجفل أى يقلع ونظيره نهشل الذئب هو عندهم منحوت من أصلين أيضا من نهشت اللحم ونشلته وعاتكة اسم منقول من الصـفات يقال امرأة عاتكة وهى المصفرة لبدنها بالزعفران والطيب وقال القتبى عاتكت القوس اذا قدمت وبه سميت المرأة والقول الاول قول أبى حنيفة * وقول أروى * ومعقل مالك وربيع فهر * تريد بنى مالك بن النضر بن كنانة وقولها بذى ربد تريد سـيفا ذا طرائق والربد الطرائق وقال صـخر الغى

وصارم أخلصت خشيشته * أبيض مهو فى متنه ربد

وقول عاتكة * تبنك فى باذخ بيتـه * أى تبنك بيته فى باذخ من الشرف ومعنى تبنـك تأصـل من البنك

وليثا حين تشتجر العوالي * تروق له عيون الناظرات

عقيل بني كنانة والمرجى * اذا ما الدهر أقبل بالهنات

ومفزعها اذا ما هاج هيج * بداهية وخصم المعضلات

فبكيه ولا تسمى بحزن * وبكي ما بقيت الباكيات

﴿ وقالت أميمة بنت عبد المطلب تبكى أباها ﴾

ألا هلك الراعي العشيرة ذو الفقد * وساقي الحجيج والمحامي عن المجد

ومن يؤلف الضيف الغريب بيوته * اذا ما سماء الناس تبخل بالرعد

كسبت وليدا خير ما يكسب الفتى * فلم تنفكك تزداد يا شيبة الحمد

أبو الحارث الفياض خلى مكانه * فلا تبعدن فكل حي الى بعد

فاني لباك ما بقيت وموجع * وكان له أهلا لما كان من وجدي

سقاك ولي الناس في القبر ممطرا * فسوف أبكيه وان كان في اللحد

فقد كان زينا للعشيرة كلها * وكان حميدا حيثما كان من حمد

﴿ وقالت أروى بنت عبد المطلب تبكى أباها ﴾

بكت عيني وحق لها البكاء * على سمح سجيته الحياء

على سهل الخليقة أبطحي * كريم الخيم نيته العلاء

على الفياض شيبة ذي المعالي * أبيك الخير ليس له كفاء

طويل الباع أملس شيظمي * أغر كأن غرته ضياء

أقب الكشح أروع ذي فضول * له المجد المقدم والسناء

أبي الضيم أبلج هبرزي * قديم المجد ليس به خفاء

ومعقل مالك وربيع فهر * وفاصلها اذا التمس القضاء

وكان هو الفتى كرما وجودا * وبأسا حين تنسكب الدماء

اذا هاب الكماة الموت حتى * كأن قلوب أكثرهم هواء

مضى قدما بذي ربد خشيب * عليه حين تبصره البهاء

* قال ابن اسحق فزعم لي محمد بن سعيد بن المسيب انه أشار برأسه وقد أصمت أن هكذا فابكيني «قال ابن هشام» المسيب ابن حزن بن أبي وهب بن عمرو ابن عائذ بن عمران بن مخزوم * قال ابن اسحق وقال حذيفة بن غانم أخو بني عدي بن كعب بن لؤي يبكي عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف ويذكر فضله وفضل قصي على قريش وفضل ولده من بعده عليهم وذلك أنه أخذ بغرم أربعة آلاف درهم بمكة فوقف بها فمر به أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب فافتكه

أعيني جودا بالدموع على الصدر * ولا تسأما أسقيتما سبل القطر

وجودا بدمع واسفحا كل شارق * بكاء امرئ لم يشوه نائب الدهر

على رجل جلد القوى ذي حفيظة * جميل المحيا غير نكس ولا هذر

على الماجد البهلول ذي الباع واللها * ربيع لؤي في القحوط وفي العسر

على خير حاف من معد وناعل * كريم المساعي طيب الخيم والنجر

وخيرهم أصلا وفرعا ومعدنا * وأحظاهم بالمكرمات وبالذكر

وأولاهم بالمجد والحلم والنهى * وبالفضل عند المجحفات من الغبر

على شيبة الحمد الذي كان وجهه * يضيء سواد الليل كالقمر البدر

وساقي الحجيج ثم للخبز هاشم * وعبد مناف ذلك السيد الفهري

طوى زمزما عند المقام فأصبحت * سقايته فخرا على كل ذي فخر

ليبك عليه كل عان بكربة * وآل قصي من مقل وذي وفر

بنوه سراة كهلهم وشبابهم * تفلق عنهم بيضة الطائر الصقر

قصي الذي عادى كنانة كلها * ورابط بيت الله في العسر واليسر

فان تك غالته المنايا وصرفها * فقد عاش ميمون النقيبة والامر

وأبقى رجالا سادة غير عزل * مصاليت أمثال الردينية السمر

أبو عتبة الملقي الي حباءه * أغر هجان اللون من نفر غر

وحمزة مثل البدر يهتز للندى * نقي الثياب والذمام من الغدر

وعبد مناف ماجد ذو حفيظة * وصول لذي القربى رحيم لذي الصهر

وهو الاصل والبنك أيضا ضرب من الطيب [وهو أيضا عود السوس] * وقوله فاشار اليهن برأسه وقد أصمت بفتح الهمزة والميم هكذا قيده الشيخ عن أبي الوليد ويقال صمت وأصمت وسكت وأسكت بمعنى واحد * وذكر شعر حذيفة بن غانم العدوي وهو والد أبي جهم بن حذيفة واسم أبي جهم عبيد وهو الذي أهدى الخميصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى علمها الحديث وقد روي أيضا هذا الحديث على وجه آخر وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بخميصتين فاعطى احداهما أبا جهم وأمسك الاخرى وفيها علم فلما نظر الى علمها في الصلاة أرسلها الى أبي جهم وأخذ الاخرى بدلا منها هكذا رواه الزبير وأم أبي جهم يسيرة بنت عبد الله بن أذاة بن رياح وابن أذاة هو خال أبي قحافة وسيأتي نسب أمه وقد قيل ان الشعر لحذافة بن غانم وهو أخو حذيفة والد خارجة بن حذافة وله يقول فيه أخارج ان أهلك * وفي الشعر غير نكس ولا هذر النكس من السهام الذي نكس في الكنانة ليميزه الرامي فلا يأخذه لرداءته وقيل الذي انكسر

كهولهم خير الكهول ونسلهم * كنسل الملوك لا تبور ولا تحري   متى ما نلاق منهم الدهر ناشئا * تجده بإجريا أوائله يجري
هم ملؤا البطحاء مجدا وعزة * اذا استبق الخيرات فى سالف العصر   وفيهم بناة للعلا وعمارة * وعبد مناف جدهم جابر الكسر
بانكاح عوف بنته ليجيرنا * من اعدائنا اذ اسلمتنا بنو فهر   فسرنا تهامي البلاد ونجدها * بامنه حتى خاضت العير فى البحر
وهم حضروا والناس باد فريقهم *   وليس بها الا شيوخ بنى عمرو   بنوها ديارا جمة وطووابها *

بثارا تسح الماء من ثبيج البحر
لكى يشرب الحجاج منها وغيرهم
اذا ابتدروها صبح تابعة النحر
ثلاثة أيام تظل ركابهم
مخيسة بين الاخاشب والحجر
وقدما غنينا قبل ذلك حقبة
ولا نستقى الا بخم او الحفر
وهم يغفرون الذنب ينقم دونه
و يعفون عن قول السفاهة والهجر
وهم جمعوا حلف الاحابيش كلها
وهم نكلوا عنا غواة بنى بكر
نخارج اماها لكن فلا تزل
لهم شاكرا حتى تغيب فى القبر
ولا تنس ما أسدى ابن لبنى فانه
قد أسدى يدا محقوقة منك بالشكر
وأنت ابن لبنى من قصى اذا انتموا * بحيث انتهى قصد الفؤاد من الصدر   وأنت تناولت العلا فجمعتها * الى محتد للمجد ذى ثبج جسر   حسان
سبقت وفت القوم بذلا ونائلا * وسدت وليدا كل ذى سودد غمر   وأمك سر من خزاعة جوهر * اذا حصل الانساب يوما ذوو الخبر
الى سبا الابطال تنمى وتنتمى * فاكرم بها منسوبة فى ذرا الزهر   ابو شمر منهم وعمرو بن مالك * وذو جدن من قومها وأبو الجبر
واسعد قاد الناس عشرين حجة * يؤيد فى تلك المواطن بالنصر

أعلاه فنكس و رد أعلاه أسفله وهو غير جيد للرمى * وقوله لا تبور ولا تحرى أى لا تهلك ولا تنقص و يقال الافعى حارية لرقتها وفى الحديث مازال جسم أبى بكر يحرى حزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أى ينقص لحمه حتى مات والاحرياء السميرة وهى افعيلاء من الحرى وليس لها نظير فى الابنية الا الاهجيرا فى معنى الهجيرا * وفيها قوله * وليس بها الا شيوخ بنى عمرو * يريد بنى هاشم لان اسمه عمرو وفيها غير عزل وهو جمع أعزل ولا يجمع أفعل على فعل ولكن جاء هكذا لان الاعزل فى مقابلة الرامح وقد يحملون الصفة على ضدها كما قالوا عدوة بتاء التأنيث حملا على صديقة وقد يجوز أن يكون أجراه مجرى حسر جمع حاسر لانه قريب منه فى المعنى * وقوله فسرنا تهامى البلاد مخففا مثل يمانيا والاصل فى يمان يمنى فخففوا الياء وعوضوا منها ألفا والاصل فى تهام تهامى بكسر التاء من تهام لانه منسوب الى تهامة ولكنهم حذفوا احدى الياءين كما فعلوا فى يمان وفتحوا التاء من تهام لما حذفوا الياء من آخره لتكون الفتحة فيه كالعوض من الياء كما كانت الالف فى يمان وكذلك الالف فى شآم بفتح الهمزة وألف بعدها عوضا من الياء المحذوفة فان شددت الياء من شآم قلت شأمى بسكون الهمزة وتذهب الالف التى كانت عوضا من الياء لرجوع الياء المحذوفة ولا تقول فى غير النسب شأم بالفتح والهمز ولا فى النسب اذا شددت الياء شآمى وسألت الاستاذ أبا القاسم بن الرماك وكان اماما فى صنعة العربية عن البيت الذى أملاه أبو علىّ فى النوادر وهو قوله

فما اعتاض المفارق من حبيب * ولو يعطى الشآم مع العراق

فقال محدث ولم يره حجة وكذلك وجدت فى شعر حبيب الشآم بالفتح كما فى هذا البيت وليس بحجة أيضا وقوله * بامنه حتى خاضت العير فى البحر * حذف الياء من هاء الكناية ضرورة كما أنشده سيبويه سا جعل عينيه لنفسه مقنعا * فى أبيات كثيرة أنشدها سيبويه وهذا مع حذف الياء والواو و بقاء حركة الهاء فان سكنت الهاء بعد الحذف فهو أقل فى الاستعمال من نحو هذا وأنشدوا * ونضواى مشتاقان له أرقان * وهذا الذى ذكرناه هو فى القياس أقوى لانه من باب حمل الوصل على الوقف نحو قول الراجز * لما رأى أن لادعه ولا شبع * ومنه فى التنزيل كثير نحو اثبات هاء السكت فى الوصل واثبات الالف من أنا واثبات ألف الفواصل نحو «وتظنون بالله الظنونا» وهذا الذى ذكره سيبويه من الضرورة فى هاء الاضمار انما هو اذا تحرك ماقبلها نحو به وله ولا يكون فى هاء المؤنث البتة لخفة الالف فان سكن ماقبل الهاء نحو فيه و بنيه كان الحذف أحسن من الاثبات (فان قلت) فقد قرأ عيسى بن مينا نصله و يؤده وأرجه ونحو ذلك فى اثنى عشر موضعا بحذف الياء وقبل الهاء متحرك فكيف حسن هذا (قلنا) ان ماقبل الهاء فى هذه المواضع ساكن وهو الياء من نصليه و يؤديه و يؤتيه ولكنه حذف للجازم فمن نظر الى اللفظ وأن ماقبل الهاء متحرك أثبت الياء كما أثبتها فى به وله ومن نظر الى الكلمة قبل دخول الجازم رأى ماقبل الهاء ساكنا فحذف الياء فهما وجهان حسنان بخلاف ماتقدم * وذكر فى هذا الشعر وأسعد قاد الناس وهو أسعد أبو

« قال ابن هشام » قوله أمك سر من خزاعة يعنى أبالهب امه لبنى بنت هاجر الخزاعى وقوله باجريا وأولئك عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وقال مطرود بن كعب الخزاعى يبكى عبد المطلب وبنى عبدمناف

يا أيها الرجل المحول رحله * هلا سألت عن آل عبدمناف

هبلتك أمك لو حللت بدارهم * ضمنوك من جرم ومن اقراف

المنعمين اذا النجوم تغيرت * والظاعنين لرحلة الايلاف

والمطعمين اذا الرياح تناوحت * حتى تغيب الشمس فى الرجاف

اماهلكت أباالفعال فما جرى * من فوق مثلك عقد ذات نطاف

الا أبيك أخى المكارم وحده * والفيض مطلب أبى الاضياف

فلما هلك عبد المطلب بن هاشم ولى زمزم والسقاية عليهما بعده العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ من أحدث اخوته سنا فلم تزل اليه حتى قام الاسلام وهى بيده فاقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم له على مامضى من ولايته فهى الى آل العباس بولاية العباس اياها الى اليوم * وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد عبد المطلب مع عمه أبى طالب وكان عبد المطلب فيما يزعمون يوصى به عمه أباطالب وذلك لان عبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأباطالب أخوان لاب وأم أمهما فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عبد بن عمران بن مخزوم « قال ابن هشام » عائذ بن عمران بن مخزوم * قال ابن اسحق وكان أبوطالب هو الذى يلى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده فكان اليه ومعه

حسان بن أسعد وقد تقدم فى التبابعة وكذلك أبوشمر وهو شمر الذى بنى سمرقند وأبو مالك يقال له الاملوك و يحتمل أن يكون أراد أباشمر الغسانى والد الحرث بن أبى شمر * وعمرو بن مالك الذى ذكر أحسبه عمرا ذا الاذعار وقد تقدم فى التبابعة وهو من ملوك اليمن وانما جعلهم مفخرا لابى لهب لان أمه خزاعية من سبا والتبابعة كلهم من حمير بن سبا وقد تقدم الخلاف فى خزاعة * وأبوجبر الذى ذكره فى هذا الشعر ملك من ملوك اليمن ذكر القتبى أن سمية أم زياد كانت لابى جبر ملك من ملوك اليمن دفعها الى الحرث بن كلدة المتطبب فى طب طبه وذكر ولاية العباس رضى الله عنه السقاية وقال كان من أحدث اخوته سنا وكذلك قال فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم كان من أفضل قومه مروءة وهذا مما منعه النحويون أن يقال زيد أفضل اخوته وليس بممتنع وهو موجود فى مواضع كثيرة من هذا الكتاب وغيره وحسن لان المعنى زيد يفضل اخوته أو يفضل قومه ولذلك ساغ فيه التنكير وانما الذى يمتنع باجماع اضافة أفعل الى التثنية مثل أن تقول هو أكرم اخويه الا أن تقول الاخوين بغير اضافة

﴿ فصل ﴾ وذكر فى شعر مطرود * منعوك من جور ومن اقراف * اى منعوك من أن تنكح بناتك او أخواتك من لئيم فيكون الابن مقرفا فاللؤم ابيه وكرم امه فيلحقك وصم من ذلك ونحو منه قول مهلهل

أنكحها فقدها الاراقم فى * جنب وكان الحباء من أدم

أى أنكحت لغربتها من غير كفؤ [قال مبرمان أنشدنا أبو بكر بن دريد وكان الخباء من أدم بخاء معجمة الاعلى وهو خطا وتصحيف وانما هو بالحاء المهملة وهو معدود فى تصحيفات ابن دريد وفيه يقول المفجع رادا على ابن دريد

ألست قدما جعلت تعترق * الطرف بجهل مكان تعترق

وقلت كان الخباء من أدم * وهو حباء يهدى ويصطدق

وذلك أن مهلهلا نزل فى جنب وهو حى وضيع من مذحج فخطبت ابنته فلم يستطع منعها فزوجها وكان نقدها من أدم فانشد

أنكحها فقدها الاراقم فى * جنب وكان الحباء من أدم

لو بأبانين جاء خاطبها * ضرج ما أنف خاطب بدم]

وقوله * حتى تغيب الشمس بالرجاف * يعنى البحر لانه يرجف ومن أسمائه أيضا خضارة والدأماء وأبو خالد * وقوله * عقد ذات نطاف * النطف اللؤلؤ الصافى ووصيفة منطفة أى مقرطة بتوأمتين والنطف فى غير هذا التلطخ بالعيب وكلاهما من أصل واحد وان كانا فى الظاهر متضادين فى المعنى لان النطفة هى الماء القليل وقد يكون الكثير وكان اللؤلؤ الصافى أخذ من صفاء النطفة والنطف الذى هو العيب أخذ من نطفة الانسان وهى ماؤه أى كانه لطخ بها * وقوله * والفيض مطلب أبى الاضياف * يريد أنه كان لاضيافه كالاب والعرب تقول لكل جواد أبو الاضياف كما قال مرة بن محكان

أدعى أباهم ولم أقرف بأمهم * وقد عمرت ولم أعرف لهم نسبا

* قال ابن اسحق وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير أن أباه حدثه ان رجلا من لهب « قال ابن هشام » ولهب من أزدشنوءة كان عائفا فكان اذا قدم مكة أتاه رجال قريش بغلمانهم ينظر اليهم ويعتاف لهم فيهم قال فأتى به أبو طالب وهو غلام مع من يأتيه فنظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم شغله عنه شئ فلما فرغ قال الغلام على به فلما رأى أبو طالب حرصه عليه غيبه عنه فجعل يقول ويلكم ردوا على الغلام الذى رأيت آنفا فوالله ليكونن له شان قال فانطلق أبو طالب

﴿ قصة بحيرا ﴾

* قال ابن اسحق ثم ان أبا طالب خرج فى ركب تاجرا الى الشام فلما تهيأ للرحيل وأجمع المسير صب به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يزعمون فرق له وقال والله لاخرجن به معى ولا يفارقنى ولا أفارقه أبدا أو كما قال فخرج به معه فلما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيرا فى صومعة له وكان اليه علم أهل النصرانية ولم يزل فى تلك الصومعة منذ قط راهب اليه يصير علمهم عن كتاب فيها فيما يزعمون يتوارثونه كابرا عن كابر فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا وكانوا كثيرا ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلمهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام فلما نزلوا به قريبا من صومعته صنع لهم طعاما كثيرا وذلك فيما يزعمون عن شئ رآه وهو فى صومعته يزعمون أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فى صومعته فى الركب حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم قال ثم أقبلوا فنزلوا فى ظل شجرة قريبا منه فنظر الى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصرت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها فلما رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته وقد أمر بذلك الطعام فصنع ثم أرسل اليهم فقال انى قد صنعت لكم طعاما يا معشر قريش فانا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم وعبدكم وحركم قال له رجل منهم والله يا بحيرا ان لك لشانا اليوم ما كنت تصنع هذا بنا وقد كنا نمر بك كثيرا فما شانك اليوم قال له بحيرا صدقت قد كان ما تقول ولكنكم ضيف وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاما فتأكلون منه كلكم فاجتمعوا اليه وتخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم لحداثة سنه فى رحال القوم تحت الشجرة فلما نظر بحيرا فى القوم ولم ير الصفة التى يعرف ويجد عنده فقال يا معشر قريش لا يتخلفن أحد منكم عن طعامى قالوا له يا بحيرا ما تخلف عنك أحد ينبغى له أن يأتيك الا غلام وهو أحدث القوم سنا فتخلف فى رحالهم فقال لا تفعلوا ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم قال فقال رجل من قريش مع القوم واللات والعزى ان كان للؤم بنا أن يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام من بيننا ثم قام اليه فاحتضنه وأجلسه مع القوم فلما رآه بحيرا جعل يلحظه لحظا شديدا وينظر الى أشياء من جسده وقد كان يجدها عنده من صفته حتى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام اليه بحيرا فقال يا غلام أسالك بحق اللات والعزى الا ما أخبرتنى عما أسالك عنه وانما قال له بحيرا ذلك لانه سمع قومه يحلفون بهما فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسالنى باللات والعزى شيئا فوالله ما أبغضت شيأ قط بغضهما فقال له بحيرا فبالله الا ما أخبرتنى عما أسالك عنه فقال له سلنى

﴿ فصل ﴾ وذكر خبر اللهبى العائف « قال ابن هشام » ولهب حى من الازد وقال غيره وهو لهب بن أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الازد وهى القبيلة التى تعرف بالعيافة والزجر ومنهم اللهبى الذى زجر حين وقعت الحصاة بصلعة عمر رضى الله عنه فادمته وذلك فى الحج فقال أشعر أمير المؤمنين والله لا يحج بعد هذا العام فكان كذلك واللهب شق فى الجبل وبنو ثمالة رهط المبرد الثمالى هم بنو أسلم بن أحجن بن كعب وثمالة أمهم وكانت العيافة والزجر فى لهب قال الشاعر

سألت أخا لهب ليزجر زجرة * وقد رد زجر العالمين الى لهب

وقوله ليعتاف لهم وهو يفتعل من العيف يقال عفت الطير وأعتفتها عيافة واعتيافا وعفت الطعام أعافه عيفا وعافت الطير الماء عيافا

﴿ فصل ﴾ فى قصة بحيرا وسفر أبى طالب بالنبى صلى الله عليه وسلم وقع فى سير الزهرى أن بحيرا كان حبرا من يهود تيماء وفى المسعودى انه كان من عبد القيس واسمه سرجس وفى المعارف لابن قتيبة قال سمع قبل الاسلام بقليل هاتف يهتف ألا ان خير أهل الارض ثلاثة بحيرا ورباب بن البراء الشنى والثالث المنتظر فكان الثالث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال القتبى وكان قبر رباب الشنى وقبر ولده من بعده لا يزال يرى عليهما طش والطش المطر الضعيف * وقال فيه فصب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعمه الصبابة رقة الشوق يقال صببت بكسر الباء أصب ويذكر عن بعض السلف انه قرأ « أصب اليهن وأكن من الجاهلين » وفى غير رواية أبى بحر ضبث به رسول الله صلى الله عليه وسلم أى لزمه قال الشاعر

كان فؤادى فى يد ضبثت به * محاذرة أن يقضب الحبل قاضبه

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ ذاك ابن تسع سنين فيما ذكر بعض من ألف فى السير وقال الطبرى ابن

ثنتى

عما بدالك فجعل يساله عن أشياء من حاله من نومه وهيئته وأموره فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته ثم نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته التى عنده «قال ابن هشام» وكان مثل أثر المحجم * قال ابن اسحق فلما فرغ أقبل على عمه أبى طالب فقال له ما هذا الغلام منك قال ابنى قال له بحيرا ما هو بابنك وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا قال فانه ابن أخى قال فما فعل أبوه قال مات وأمه حبلى به قال صدقت فارجع بابن أخيك الى بلده واحذر عليه يهود فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا فانه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فاسرع به الى بلاده فخرج به عمه أبو طالب سريعا حتى أقدمه مكة حين فرغ من تجارته بالشام فزعموا فيما روى الناس أن زريرا وتماما ودريسا وهم نفر من أهل الكتاب قد كانوا رأوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما رآه بحيرا فى ذلك السفر الذى كان فيه مع عمه أبى طالب فارادوه فردهم عنه بحيرا وذكرهم الله وما يجدون فى الكتاب من ذكره وصفته وأنهم ان أجمعوا لما أرادوا به لم يخلصوا اليه ولم يزل بهم حتى عرفوا ما قال لهم وصدقوه بما قال فتركوه وانصرفوا عنه فشب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان رجلا أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقا وأكرمهم حسبا وأحسنهم جوارا وأعظمهم حلما وأصدقهم حديثا وأعظمهم أمانة وأبعدهم من الفحش والاخلاق التى تدنس الرجال تنزها وتكرما حتى ما اسمه فى قومه الا الامين لما جمع الله فيه من الامور الصالحة

ثنتى عشرة سنة * وذكر فيه خاتم النبوة وقول ابن هشام كان كأثر المحجم يعنى أثر المحجمة القابضة على اللحم حتى يكون ناتئا وفى الخبر أنه كان حوله خيلان فيها شعرات سود وفى صفته أيضا انه كان كالتفاحة وكزر الحجلة وفسره الترمذى تفسيرا وهم فيه فقال زر الحجلة يقال انه بيض له فتوهم الحجلة من القبيج وانما هى حجلة السرير واحدة الحجال وزرها الذى يدخل فى عروتها قال على رضوان الله عليه لاهل العراق يا اشباه الرجال ولا رجال ويا طغام الاحلام ويا عقول ربات الحجال وفى حديث آخر كان كبيضة الحمامة وفى حديث عياذ بن عبد عمرو قال رأيت خاتم النبوة وكان كركبة العنز ذكره النمرى مسندا فى كتاب الاستيعاب فهذه خمس روايات فى صفة الخاتم كالتفاحة وكبيضة الحمامة وكزر الحجلة وكأثر المحجم وكركبة العنز ورواية سادسة وهى رواية عبد الله بن سرجس قال رأيت خاتم النبوة كالجمع يعنى كالمحجة لا كجمع الكف ومعناه كمعنى الاول أى كأثر الجمع وقد قيل فى الجمع انه جمع الكف قاله القتبى والله أعلم ورواية سابعة عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه وقد سئل عن خاتم النبوة فقال بضعة ناشزة هكذا ووضع طرف السبابة فى مفصل الابهام أو دون المفصل ذكرها يونس عن ابن اسحاق وفى صفته أيضا رواية ثامنة وهى رواية من شبهه بالسلعة وذلك لنتوه وقد تقدم حديث فيه عن أبى ذر رضى الله عنه مرفوعا بيان وضع الخاتم بين كتفيه متى كان وروى الترمذى فى مصنفه قال حدثنا الفضل بن سهل أبو العباس الاعرج البغدادى حدثنا عبد الرحمن بن غزوان أبو نوح أخبرنا يونس عن أبى اسحاق عن أبى بكر ابن أبى موسى عن أبيه قال خرج أبو طالب الى الشام وخرج معه النبى صلى الله عليه وسلم فى أشياخ من قريش فلما أشرفوا على الراهب هبطوا فحلوا رحالهم فخرج اليهم الراهب وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج اليهم ولا يلتفت فجعل يتخللهم الراهب وهم يحلون رحالهم حتى جاء فأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال هذا سيد العالمين هذا رسول رب العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له أشياخ من قريش ما علمك فقال انكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر الا خر ساجدا ولا يسجدان الا لنبى وانى أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه ويقال غرضوف مثل التفاحة ثم رجع فصنع لهم طعاما فلما أتاهم به وكان هو فى رعية الابل قال أرسلوا اليه فأقبل وعليه غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى فىء الشجرة فلما جلس مال فىء الشجرة عليه فقال انظروا الى فىء الشجرة مال عليه قال فبينما هو قائم عليهم وهو يناشدهم الا يذهبوا به الى الروم فان الروم ان رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه فالتفت فاذا سبعة قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم فقال ما جاء بكم فقالوا جئنا ان هذا النبى خارج فى هذا الشهر فلم يبق طريق الا بعث اليه بأناس وانا قد اخترنا خيرة بعثنا الى طريقك هذا فقال هل خلفكم أحد هو خير منكم فقالوا انما اخترنا خيرة لطريقك هذا قال أفرأيتم أمرا أراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحد من الناس رده قالوا لا قال فبايعوه وأقاموا معه قال أنشدكم بالله أيكم وليه قالوا أبو طالب فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وبعث معه أبو بكر بلالا رضى الله عنهما وزوده الراهب من الكعك والزيت قال أبو عيسى هذا حديث حسن غريب لا نعرفه الا من هذا الوجه وعما قاله أبو طالب فى هذه القصة

* وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لى يحدث عما كان الله يحفظه به فى صغره وأمر جاهليته انه قال لقد رأيتنى فى غلمان قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الغلمان كلنا قد تعرى وأخذ ازاره فجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة فانى لأقبل معهم كذلك وأدبر اذ لكمنى لاكم ما أراه لكمة وجيعة ثم قال شد عليك ازارك قال فاخذته وشددته على ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وازارى على من بين أصحابى ﴿حرب الفجار﴾ «قال ابن هشام» فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة فيما حدثنى أبو عبيدة النحوى عن أبى عمرو بن العلاء هاجت حرب الفجار بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان وكان الذى هاجها ان عروة الرحال بن عتبة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن أجاز لطيمة للنعمان بن المنذر فقال له البراض بن قيس أحد بنى ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة أتجيزها على كنانة قال نعم وعلى الخلق فخرج فيها عروة الرحال وخرج البراض يطلب غفلته حتى اذا كان بتيمن ذى طلال بالعالية غفل عروة فوثب عليه البراض فقتله فى الشهر الحرام فلذلك سمى الفجار وقال البراض فى ذلك

وداهية تهم الناس قبلى * شددت لها بنى بكر ضلوعى
هدمت بها بيوت بنى كلاب * وأرضعت الموالى بالضروع
رفعت له بذى طلال كفى * فخر يدا كالجذع الصريع

(وقال لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب)

أبلغ ان عرضت بنى كلاب * وعامر والخطوب لها موالى
وبلغ ان عرضت بنى نمير * وأخوال القتيل بنى هلال
بان الوافد الرحال أمسى * مقيما عند تيمن ذى طلال

وهذه الابيات فى أبيات له فيما ذكر ابن هشام فاتى آت قريشا فقال ان البراض قد قتل عروة وهم فى الشهر الحرام بعكاظ فارتحلوا وهوازن لا تشعر ثم بلغهم الخبر فاتبعوهم فادركوهم قبل أن يدخلوا الحرم فاقتتلوا

الم ترنى من بعدهم هممته * بفرقة حر الوالدين كرام
بأحمد لما ان شددت مطيتى * لترحل اذ ودعته بسلام
بكى حزنا والعيس قد فصلت بنا * وأمسكت بالكفين فضل زمامى
ذكرت أباه ثم رقرقت عبرة * تجود من العينين ذات سجام
فقلت تروح راشدا فى عمومة * مواسين فى البأساء غير لئام
فرحنا مع العير التى راح أهلها * شامى الهوى والاصل غير شامى
فلما هبطنا أرض بصرى تشرفوا * لنا فوق دور ينظرون جسام
فجاء بحيرا عند ذلك حاشدا * لنا بشراب طيب وطعام
فقال اجمعوا أصحابكم لطعامنا * فقلنا جمعنا القوم غير غلام

ذكره ابن اسحاق فى رواية يونس عنه وذكر باقى الشعر

﴿فصل﴾ وذكر ما كان الله سبحانه وتعالى يحفظه به انه كان صغيرا يلعب مع الغلمان فتعرى فلكمه لاكم الحديث وهذه القصة انما وردت فى الحديث الصحيح فى حين بنيان الكعبة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينقل الحجارة مع قومه اليها وكانوا يحملون أزرهم على عواتقهم لتقيهم الحجارة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملها على عاتقه وازاره مشدود عليه فقال له العباس رضى الله عنه يا ابن أخى لو جعلت ازارك على عاتقك ففعل فسقط مغشيا عليه ثم قال ازارى ازارى فشد عليه ازاره وقام يحمل الحجارة وفى حديث آخر انه لما سقط ضمه العباس الى نفسه وسأله عن شأنه فاخبره أنه نودى من السماء أن اشدد عليك ازارك يا محمد قال وانه لاول ما نودى وحديث ابن اسحق ان صح انه كان ذلك فى صغره اذ كان يلعب مع الغلمان فمحمله على ان هذا الامر كان مرتين مرة فى حال صغره ومرة فى أول اكتهاله عند بنيان الكعبة

﴿قصة الفجار﴾

والفجار بكسر الفاء بمعنى المفاجرة كالقتال والمقاتلة وذلك انه كان قتالا فى الشهر الحرام ففجروا فيه جميعا فسمى الفجار وكانت للعرب فجارات أربع ذكرها المسعودى آخرها فجار البراض المذكور فى السيرة وكان لكنانة ولقيس فيه أربعة أيام مذكورة يوم شمطة ويوم العبلاء وهما عند عكاظ ويوم الشرب وهو أعظمها يوما وفيه قيد حرب بن أمية وسفيان وأبو سفيان أبناء أمية أنفسهم كى لا يفروا فسموا العنابس ويوم الحريرة عند نخلة ويوم الشرب انهزمت قيس الا بنى نضر منهم فانهم ثبتوا وانما لم يقاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أعمامه [وكان ينبل عليهم] وقد كان بلغ سن القتال لانها كانت حرب فجار وكانوا أيضا كلهم كفارا ولم يأذن الله تعالى لمؤمن أن يقاتل الا لتكون كلمة الله هى العليا واللطيمة عير تحمل البز والعطر * وقوله بذى طلال بتشديد اللام وانما خففه لبيد فى الشعر الذى ذكره ابن اسحق ههنا للضرورة

حتى جاء الليل ودخلوا الحرم فامسكت عنهم هوازن ثم التقوا بعد هذا اليوم أياما والقوم متساندون على كل قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم وعلى كل قبيل من قيس رئيس منهم وشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض أيامهم أخرجه أعمامه معهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت أنبل على أعمامى أى أرد عنهم نبل عدوهم اذا رموهم بها * قال ابن اسحق هاجت حرب الفجار ورسول الله صلى الله عليه وسلم ابن عشرين سنة وانما سمى يوم الفجار بما استحل هذان الحيان كنانة وقيس عيلان فيه المحارم بينهم وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أمية بن عبد شمس وكان الظفر فى أول النهار لقيس على كنانة حتى اذا كان فى وسط النهار كان الظفر لكنانة على قيس « قال ابن هشام » وحديث الفجار أطول مما ذكرت وانما منعنى من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ حديث تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة رضى الله عنها ﴾

« قال ابن هشام » فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين سنة تزوج خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى ابن غالب فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم عن أبى عمرو المدنى * قال ابن اسحق وكانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات شرف ومال تستاجر الرجال فى مالها وتضاربهم اياه بشىء تجعله لهم وكانت قريش قوما تجارا فلما بلغها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بلغها من صدق حديثه وعظم أمانته وكرم أخلاقه بعثت اليه فعرضت عليه أن يخرج فى مال لها الى الشام تاجرا وتعطيه أفضل ما كانت تعطى غيره من التجار مع غلام لها يقال له ميسرة فقبله رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وخرج فى مالها ذلك وخرج معه غلامها ميسرة حتى قدم الشام فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظل شجرة قريبا من صومعة راهب من الرهبان فاطلع الراهب الى ميسرة فقال له من هذا الرجل الذى نزل تحت

للضرورة * وقول البراض * رفعت له بذى طلال كفى * فلم يصرفه يجوز ان يكون جعله اسم بقعة فترك اجراء الاسم للتأنيث والتعريف (فان قلت) كان يجب ان يقول بذات طلال أى ذات هذا الاسم للمؤنث كما قالوا ذو عمرو أى صاحب هذا الاسم ولو كانت أنثى لقالوا ذات هند (فالجواب) ان قوله بذى يجوز ان يكون وصفا للطريق أو جانب مضاف الى طلال اسم البقعة وأحسن من هذا كله ان يكون طلال اسما مذكرا علما والاسم العلم يجوز ترك صرفه فى الشعر كثيرا وسيأتى فى هذا الكتاب من الشواهد عليه ما يدلك على كثرته فى الكلام ونؤخر القول فى كشف هذه المسئلة وايضاحها الى ان نأتى تلك الشواهد ان شاء الله ووقع فى شعر البراض مشددا وفى شعر لبيد الذى بعد هذا مخففا وقلنا ان لبيدا خففه للضرورة ولم يقل انه شدده للضرورة وان الاصل فيه التخفيف لانه فعال من الطل كانه موضع يكثر فيه الطل فطلال بالتخفيف لا معنى له وأيضا فانا وجدناه فى الكلام المنثور مشددا وكذلك تقيد فى كلام ابن اسحق هذا فى أصل الشيخ أبى بحر * وقوله فى البيت الثانى * وألحقت الموالى بالضروع * جمع ضرع هو فى معنى قولهم لئيم راضع أى ألحقت الموالى بمنزلتهم من اللؤم ورضاع الضروع وأظهرت فسالتهم وهتكت بيوت أشراف بنى كلاب وصرحائهم * وقول لبيد * بين تيمن ذى طلال * بكسر الميم وبفتحها ولم يصرفه لوزن الفعل والتعريف لانه تفعل أو تفعل من اليمن أو اليمين وكان آخر أمر الفجار ان هوازن وكنانة تواعدوا للعام القابل بعكاظ فجاؤا للوعد وكان حرب بن أمية رئيس قريش وكنانة وكان عتبة بن ربيعة يتيما فى حجره فضن به حرب وأشفق من خروجه معه فخرج عتبة بغير اذنه فلم يشعروا الا وهو على بعيره بين الصفين ينادى يا معشر مضر علام تقاتلون فقالت له هوازن ما تدعوا اليه فقال الصلح على ان ندفع اليكم دية قتلاكم وتعفوا عن دمائنا قالوا وكيف قال ندفع اليكم رهنا منا قالوا ومن لنا بهذا قال انا قالوا ومن أنت قال عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فرضوا ورضيت كنانة ودفعوا الى هوازن أربعين رجلا فيهم حكيم بن حزام فلما رأت بنو عامر بن صعصعة الرهن فى أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم وانقضت حرب الفجار وكان يقال لم يسد من قريش مملق الا عتبة وأبو طالب فانهما سادا بغير مال

﴿ فصل فى تزويجه عليه السلام خديجة رضى الله عنها ﴾

ذكر فيه قول الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة الا نبى يريد ما نزل تحتها هذه الساعة الا نبى ولم يرد ما نزل تحتها قط الا نبى لبعد العهد بالانبياء قبل ذلك وان كان فى لفظ الخبر قط فقد تكلم بها على جهة التوكيد للنفى والشجرة لا تعمر فى العادة هذا العمر الطويل حتى يدرى انه لم ينزل تحتها الا عيسى أو غيره من الانبياء عليهم السلام ويبعد فى العادة أيضا ان تكون شجرة تخلو من ان ينزل تحتها أحد حتى يجىء نبى الا ان تصح رواية من قال فى هذا الحديث لم ينزل تحتها أحد بعد عيسى بن مريم عليه السلام وهى رواية عن غير ابن اسحق فالشجرة على هذا مخصوصة بهذه الآية والله أعلم وهذا الراهب ذكروا ان اسمه نسطورا وليس

هــذه الشجرة قال له ميسرة هذا رجل من قريش من أهل الحرم قال له الراهب ما نزل تحت هذه الشجرة قط الا نبي * ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعته التي خرج بها واشترى ما أراد أن يشتري ثم أقبل قافلا الى مكة ومعه ميسرة فكان ميسرة فيما يزعمون اذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس وهو يسير على بعيره فلما قدم مكة على خديجة بمالها باعت ما جاء به فأضعف أو قريبا وحدثها ميسرة عن قول الراهب وعما كان يرى من اظلال الملكين اياه وكانت خديجة امرأة حازمة شريفة لبيبة مع ما أراد الله بها من كرامته فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له فيما يزعمون يا ابن عم اني قد رغبت فيك لقرابتك ولسطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك ثم عرضت عليه نفسها وكانت خديجة يومئذ أوسط نساء قريش نسبا وأعظمهن شرفا وأكثرهن مالا كل قومها كان حريصا على ذلك منها لو يقدر عليه * وهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر * وأمها فاطمة بنت زائد بن الاصم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر * وأم فاطمة هالة بنت عبد مناف بن الحرث بن عمرو بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر * وأم هالة قلابة بنت سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر فلما قالت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر ذلك لاعمامه فخرج معه عمه حمزة ابن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها اليه فتزوجها «قال ابن هشام» وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة وكان

هو بحيرا المتقدم ذكره * وقول خديجة رضي الله عنها لسطتك في عشيرتك وقوله في وصفها هي أوسط قريش نسبا فالسطة من الوسط مصدر كالعدة والزنة والوسط من أوصاف المدح والتفضيل ولكن في مقامين في ذكر النسب وفي ذكر الشهادة أما النسب فلان أوسط القبيلة أعرقها وأولاها بالصميم وأبعدها عن الاطراف والوسيط وأجدر أن لا تضاف اليه الدعوة لان الآباء والامهات قد أحاطوا به من كل جانب فكان الوسط من أجل هذا مدحا في النسب بهذا السبب وأما الشهادة فنحو قوله سبحانه «قال أوسطهم» وقوله «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس» فكان هذا مدحا في الشهادة لانها غاية العدالة في الشاهد أن يكون وسطا كالميزان لا يميل مع أحد بل يصمم على الحق تصميما لا يجذبه هوى ولا يميل به رغبة ولا رهبة من ههنا ولا من ههنا فكان وصفه بالوسط غاية في التزكية والتعديل وظن كثير من الناس ان معنى الاوسط الافضل على الاطلاق وقالوا معنى الصلاة الوسطى الفضلى وليس كذلك بل هو في جميع الاوصاف لا مدح ولا ذم كما يقتضي لفظ التوسط فاذا كان وسطا في السمن فهي بين الممخة والعجفاء والوسط في الجمال بين الحسناء والشوهاء الى غير ذلك من الاوصاف لا يعطي مدحا ولا ذما غير أنهم قد قالوا في المثل أثقل من مغن وسط على الذم لان المغني ان كان مجيدا جدا أمتع وأطرب وان كان باردا جدا أضحك وألهى وذلك أيضا مما يمتع قال الجاحظ وانما الكرب الذي يجثم على القلوب ويأخذ بالانفاس الغناء الفاتر الوسط الذي لا يمتع بحسن ولا يضحك بلهو واذا ثبت هذا فلا يجوز أن يقال في رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أوسط الناس أي أفضلهم ولا يوصف بانه وسط في العلم ولا في الجود ولا في غير ذلك الا في النسب والشهادة كما تقدم والحمد لله والله المحمود

﴿ فصل ﴾ وذكر مشي رسول الله صلى الله عليه وسلم الى خويلد بن أسد مع عمه حمزة رضي الله عنه وذكر غير ابن اسحق ان خويلدا كان اذ ذاك قد هلك وان الذي أنكح خديجة رضي الله عنها هو عمها عمرو ابن أسد قاله المبرد وطائفة معه وقال أيضا ان أبا طالب هو الذي نهض مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي خطب خطبة النكاح وكان مما قاله في تلك الخطبة ﴿أما بعد﴾ فان محمدا ممن لا يوازن به فتى من قريش الا رجح به شرفا ونبلا وفضلا وعقلا وان كان في المال قل فانما المال ظل زائل وعارية مسترجعة وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك فقال عمرو هو الفحل الذي لا يقدع أنفه فانكحها منه ويقال قاله ورقة بن نوفل والذي قاله المبرد هو الصحيح لما رواه الطبري عن جبير بن مطعم وعن ابن عباس وعن عائشة رضي الله عنهم كلهم قال ان عمرو بن أسد هو الذي أنكح خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان خويلدا كان قد هلك قبل الفجار وخويلد بن أسد هو الذي نازع تبعا الآخر حين حج وأراد أن يحتمل الركن الاسود معه الى اليمن فقام في ذلك خويلد وقام معه جماعة ثم ان تبعا روع في منامه ترويعا شديدا حتى ترك ذلك وانصرف عنه والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وذكر الزهري في سيره وهي أول سيرة ألفت في الاسلام كذا روى عن الدراوردي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لشريكه الذي كان يتجر معه في مال خديجة هلم فلنتحدث عند خديجة

وكانت تكرمهما وتتحفهما فلما قاما من عندها جاءت امرأة مستنشئة وهى الكاهنة كذا قال الخطابى فى شرح هذا الحديث فقالت له جئت خاطبا يا محمد فقال كلا فقالت ولم فوالله ما فى قريش امرأة وان كانت خديجة الا تراك كفؤا لها فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم خاطبا لخديجة مستحييا منها وكان خويلد أبوها سكران من الخمر فلما كلم فى ذلك أنكحها فالقت عليه خديجة حلة وضمخته بخلوق فلما صحا من سكره قال ما هذه الحلة والطيب فقيل انك أنكحت محمدا خديجة وقد ابتنى بها فانكر ذلك ثم رضيه وأمضاه ففى هذا الحديث ان أباها كان حيا وانه الذى أنكحها كما قال ابن اسحق وقال راجز من أهل مكة فى ذلك

لا تزهدى خديج فى محمد * نجم يضىء كاضاء الفرقد

وقيل ان عمرو بن خويلد أخاها هو الذى أنكحها منه ذكره ابن اسحق فى آخر الكتاب

﴿ فصل ﴾ وذكر ولده منها صلى الله عليه وسلم فذكر البنات وذكر القاسم والطاهر والطيب وذكر ان ابنين هلكوا فى الجاهلية وقال الزبير وهو أعلم بهذا الشان ولدت له القاسم وعبد الله وهو الطاهر وهو الطيب سمى بالطاهر والطيب لانه ولد بعد النبوة واسمه الذى سمى به أول هو عبد الله وبلغ القاسم المشى غير ان رضاعته لم تكن كملت وقع فى مسند الفريابى أن خديجة دخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موت القاسم وهى تبكى فقالت يا رسول الله درّت لبينة القاسم فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعه لهون علىّ فقال ان له مرضعا فى الجنة تستكمل رضاعته فقالت لو أعلم ذلك لهوّن علىّ فقال ان شئت أسمعتك صوته فى الجنة فقالت بل أصدّق الله ورسوله قولها لبينة هى تصغير لبنة وهى قطعة من اللبن كالعسيلة تصغير عسلة ذكر سيبويه اللبينة والعسيلة والشهدة على هذا المعنى (قال المؤلف) وهذا من فقهها رضى الله عنها كرهت أن تؤمن بهذا الامر معاينة فلا يكون لها أجر التصديق والايمان بالغيب وانما أثنى الله تعالى على الذين يؤمنون بالغيب وهذا الحديث يدل أيضا على أن القاسم لم يهلك فى الجاهلية واختلفوا فى الصغرى والكبرى من البنات غير أن أم كلثوم لم تكن الكبرى من البنات ولا فاطمة والاصح فى فاطمة انها أصغر من أم كلثوم وخديجة بنت خويلد تسمى الطاهرة فى الجاهلية والاسلام وفى سير التيمى انها كانت تسمى سيدة نساء قريش وأن النبى صلى الله عليه وسلم حين أخبرها عن جبريل ولم تكن سمعت باسمه قط ركبت الى بحيرا الراهب واسمه سرجس فيما ذكر المسعودى فسألته عن جبريل فقال قدوس قدوس يا سيدة نساء قريش انى لك بهذا الاسم فقالت بعلى وابن عمى محمد أخبرنى انه يأتيه فقال قدوس قدوس ما علم به الا نبى مقرب فانه السفير بين الله وبين أنبيائه وان الشيطان لا يجترىء ان يتمثل به ولا أن يتسمى باسمه وكان بمكة غلام لعتبة بن ربيعة سيأتى ذكره اسمه عداس عنده علم من الكتاب فأرسلت اليه تسأله عن جبريل فقال قدوس قدوس انى لهذه البلاد يذكر فيها جبريل يا سيدة نساء قريش فاخبرته بما يقول النبى صلى الله عليه وسلم فقال عدّاس مثل مقالة الراهب فكان مما زادها الله تعالى به ايمانا ويقينا وذكر ابن اسحق نسب أمها فاطمة بنت زائدة بن الاصم ولم يذكر اسم الاصم وذكره الزبير وغيره فقال جندب بن هرم بن حجر بفتح الحاء والجيم من حجر كذا قيده الدارقطنى وأخوه حجير بن عبد بن معيص بن عامر وأما حجر بسكون الجيم ففى حىّ ذى رعين واليه ينسب الحجريون وأما حجر بكسر الحاء ففى بنى الديان عبد الحجر بن عبد المدان وهم من بنى الحرث بن كعب بن مذحج وذكر يونس عن ابن اسحق نسب أم خديجة كما ذكر فى رواية ابن هشام وزاد فقال كانت أم فاطمة بنت زائدة هالة بنت عبد مناف بن الحرث بن عبد بن منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى وأمها قلابة وهى العرقة بنت سعيد بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى

وكانت أول امرأة تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتزوج عليها غيرها حتى ماتت رضى الله عنها * قال ابن اسحق فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم الا ابراهيم * القاسم وبه كان يكنى صلى الله عليه وسلم والطاهر والطيب وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة عليهم السلام «قال ابن هشام» أكبر بنيه القاسم ثم الطيب ثم الطاهر وأكبر بناته رقية ثم زينب ثم أم كلثوم ثم فاطمة * قال ابن اسحق فأما القاسم والطيب والطاهر فهلكوا فى الجاهلية وأما بناته فكلهن أدركن الاسلام فاسلمن وهاجرن معه صلى الله عليه وسلم

وأمها أميمة بنت عامر بن الحرث بن فهر وكانت خديجة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند أبى هالة وهو هند بن زرارة وقد قيل فى اسمه زرارة وهند ابنه ابن النباش من بنى عدى بن جروة بن أسيد بن عمرو ابن تميم فهو اسيدى بالتخفيف منسوب الى أسيد بالتشديد كذا قال سيبويه فى النسب الى أسيد وعدى بن جروة يقال ان الزبير صحفه وانما هو عدى بن جروة وكانت قبل أبى هالة عند عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو ابن مخزوم وولدت له عبد مناف بن عتيق كذا قال ابن أبى خيثمة وقال الزبير ولدت لعتيق جارية اسمها هند و ولدت لهند أبى هالة ابنا اسمه هند أيضا مات بالطاعون طاعون البصرة وكان قد مات فى ذلك اليوم نحو من سبعين ألفا فشغل الناس بجنائزهم عن جنازته فلم يوجد من يحملها فصاحت نادبته واهند بن هنداه واربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تبق جنازة الا تركت واحتملت جنازته على أطراف الاصابع اعظاما لربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره الدولابى ولخديجة من ابى هالة ابنان غير هذا اسم أحدهما الطاهر واسم الآخر هالة واختلف فى سنه صلى الله عليه وسلم حين تزوج خديجة فقيل ما قاله ابن اسحق وقيل كان ابن ثلاثين سنة وقيل ابن احدى وعشرين سنة

﴿ فصل ﴾ وذكر أن خديجة رضى الله عنها ولدت للنبى صلى الله عليه وسلم ولده كلهم الا ابراهيم فانه من مارية التى أهداها اليه المقوقس وقد تقدم اسم المقوقس وانه جريج بن مينا وذكرنا معنى المقوقس فى أول الكتاب وذكرنا انه أهدى مارية مع حاطب بن أبى بلتعة ومع جبر مولى أبى رهم الغفارى واسم أبى رهم كلثوم ابن الحصين وذلك حين أرسلهما اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام وأهدى معها أختها سيرين وهى التى وهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضى الله عنه فاولدها عبد الرحمن ابن حسان وأهدى معها المقوقس أيضا غلاما خصيا اسمه مابور وبغلة تسمى دلدل وقدحا من قوارير كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب فيه وتوفيت مارية رضى الله عنها سنة ست عشرة فى خلافة عمر رضى الله عنه وكان عمر هو الذى يحشر الناس الى جنازتها بنفسه وهى مارية بنت شمعون القبطية من كورة حفن * وأما ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم فمات وهو ابن ثمانية عشر شهرا فى سنة عشر من الهجرة فى اليوم الذى كسفت فيه الشمس وكانت قابلته سلمى امرأة أبى رافع وأرضعته أم بردة بنت المنذر النجارية امرأة البراء بن أوس وسلمى هى مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقابلة بنى فاطمة كلهم وهى غسلتها مع أسماء بنت عميس الخثعمية وغسلها معهما على بن أبى طالب كرم الله وجهه وفى المسند من طريق أنس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ولدت له مارية ابنه ابراهيم وقع فى نفسه منه شىء حتى نزل جبريل عليه السلام فقال له السلام عليك يا أبا ابراهيم

﴿ فصل ﴾ وذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وأم ورقة هند بنت أبى كبير بن عبد بن قصى ولا عقب له وهو أحد من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل البعث وروى الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيته فى المنام وعليه ثياب بيض ولو كان من أهل النار لم تكن عليه ثياب بيض وهو حديث فى اسناده ضعف لانه يدور على عثمان بن عبد الرحمن ولكن يقويه ما يأتى بعد هذا من قوله عليه السلام رأيت القس يعنى ورقة وعليه ثياب حرير لانه أول من آمن بى وصدقنى وسيأتى بقية من خبره فيما بعد ان شاء الله وقد ألفيت للحديث الذى خرجه الترمذى فى ورقة اسنادا جيدا غير الذى ذكره الترمذى وهو ما رواه الزبير بن أبى بكر عن عبد الله بن معاذ الصنعانى عن معمر عن الزهرى عن عروة بن الزبير رضى الله عنه قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ورقة بن نوفل كما بلغنا فقال لقد رأيته فى المنام عليه ثياب بيض فقد

«قال ابن هشام» وأما ابراهيم فامه مارية «قال ابن هشام» حدثنا عبد الله بن وهب عن ابن لهيعة قال أم ابراهيم مارية سرية النبى صلى الله عليه وسلم التى أهداها اليه المقوقس من حفن من كورة انصنا * قال ابن اسحق وكانت خديجة بنت خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وكان ابن عمها وكان نصرانيا قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب وما كان يرى منه اذ كان الملكان يظلانه فقال ورقة لئن كان هذا حقا يا خديجة ان محمدا لنبى هذه الامة وقد عرفت أنه كائن لهذه الامة نبى ينتظر هذا زمانه أو كما قال فجعل ورقة يستبطىء الامر ويقول حتى متى فقال ورقة فى ذلك

لججت وكنت فى الذكرى لجوجا
لهم طالما بعث النشيجا
ووصف من خديجة بعد وصف
فقد طال انتظارى يا خديجا

أظن ان لو كان من أهل النار لم أر عليه البياض وكان يذكر الله فى شعره فى الجاهلية ويسبحه وهو الذى يقول

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم * أنا النذير فلا يغرركم أحد
لا تعبدن الها غير خالقكم * فان دعوكم فقولوا بيننا جدد
سبحان ذى العرش سبحانا يدوم له * وقبلنا سبح الجودى والجمد
مسخر كل ما تحت السماء له * لا ينبغى أن يناوى ملكه أحد
لا شىء مما ترى تبقى بشاشته * يبقى الاله ويودى المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه * والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا
ولا سليمان اذ تجرى الرياح به * والانس والجن فيما بينها مرد
أين الملوك التى كانت لعزتها * من كل أوب اليها وافد يفد
حوض هنالك مورود بلا كذب * لابد من ورده يوما كما وردوا

نسبه أبو الفرج الى ورقة وفيه أبيات تنسب الى أمية بن ابى الصلت ومن قوله فيما خبرته به خديجة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

يا للرجال لصرف الدهر والقدر * وما الشىء قضاه الله من غير
حتى خديجة تدعونى لاخبرها * أمرا أراه سيأتى الناس من أخر
فخبرتنى بامر قد سمعت به * فيما مضى من قديم الدهر والعصر
بان احمد يأتيه فيخبره * جبريل انك مبعوث الى البشر
فقلت علّ الذى ترجين ينجزه * لك الاله فرجى الخير وانتظرى
وأرسليه الينا كى نسائله * عن أمره ما يرى فى النوم والسهر
فقال حين أتانا منطقا عجبا * يقف منه أعالى الجلد والشعر
انى رأيت أمين الله واجهنى * فى صورة أكملت فى أهيب الصور
ثم استمر فكان الخوف يذعرنى * مما يسلم من حولى من الشجر
فقلت ظنى وما أدرى أيصدقنى * أن سوف تبعث تتلو منزل السور
وسوف أبليك ان أعلنت دعوتهم * من الجهاد بلا منّ ولا كدر

﴿ فصل ﴾ وفى شعر ورقة

ببطن المكتين على رجائى * حديثك أن أرى منه خروجا

ثنى مكة وهى واحدة لان لها بطاحا وظواهر وقد ذكرنا من أهل البطاح ومن أهل الظواهر فيما قبل على أن للعرب مذهبا فى أشعارها فى تثنية البقعة الواحدة وجمعها نحو قوله * وميت بغزات * يريد بغزة وبغادين فى بغدان وأما التثنية فكثير نحو قوله

بالرقمتين له أجر واعرأس * والحمتين سقاك الله من دار

وقول زهير * ودار لها بالرقمتين * وقول ورقة من هذا ببطن المكتين لا معنى لادخال الظواهر تحت هذا اللفظ وقد أضاف اليها البطن كما أضافه المبرق حين قال * ببطن مكة مقهور ومفتون * وانما مقصد العرب فى هذا الاشارة الى جانبى كل بلدة أو الاشارة الى أعلى البلدة وأسفلها فيجعلونها اثنين على هذا المغزى وقد قالوا صدنا بقنوين وهو قنا اسم جبل وقال عنترة * شربت بماء الدحرضين * هو من هذا الباب فى أصح

ببطن المكتين على رجائى
حديثك ان أرى منه
خروجا
بما خبرتنا من قول قس
من الرهبان أكره أن يعوجا
بان محمدا سيسود فينا *
ويخصم من يكون له حجيجا

القولين وقال عنترة أيضا * بعنيزتين وأهلنا بالعيلم * وعنيزة اسم موضع وقال الفرزدق * عشية سال المربدان كلاهما * وانما هو مربد البصرة وقولهم * تسألني برامتين سلجما * وانما هو رامة وهذا كثير وأحسن ما تكون هذه التثنية اذا كانت فى ذكر جنة وبستان فتسميهما جنتين فى فصيح الكلام اشعاراً بأن لها وجهين وانك اذا دخلتها ونظرت اليها يميناً وشمالاً رأيت من كلتى الناحيتين ما يملأ عينيك قرة وصدرك مسرة وفى التنزيل «عن يمين وشمال» الى قوله سبحانه «وبدلناهم بجنتيهم جنتين» وفيه «جعلنا لاحدهما جنتين» الآية وفى آخرها «ودخل جنته» فافرد بعد ما ثنى وهى هى وقد حمل بعض العلماء على هذا المعنى قوله سبحانه «ولمن خاف مقام ربه جنتان» والقول فى هذه الآية يتسع والله المستعان

﴿ فصل ﴾ وقال فى هذا الشعر * ويظهر فى البلاد ضياء نور * هذا البيت يوضح لك معنى النور ومعنى الضياء وان الضياء هو المنتشر عن النور وأن النور هو الاصل للضوء ومنه مبدؤه وعنه يصدر وفى التنزيل «فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم» وفيه «جعل الشمس ضياء والقمر نوراً» لان نور القمر لا ينتشر عنه من الضياء ما ينتشر من الشمس لا سيما فى طرفى الشهر وفى الصحيح الصلاة نور والصبر ضياء وذلك أن الصلاة هى عمود الاسلام وهى ذكر وقرآن وهى تنهى عن الفحشاء والمنكر فالصبر عن المنكرات والصبر على الطاعات هو الضياء الصادر عن هذا النور الذى هو القرآن والذكر وفى أسماء البارى سبحانه «الله نور السموات والارض» ولا يجوز أن يكون الضياء من أسمائه سبحانه وقد أمليت فى غير هذا الكتاب من معنى نور السموات والارض ما فيه شفاء والحمد لله

﴿ فصل ﴾ وفى شعر ورقة * فياليتى اذا ما كان ذاكم * بحذف نون الوقاية وحذفها مع ليت ردىء وهو فى لعل أحسن منه لقرب مخرج اللام من النون حتى لقد قالوا لعل ولعن ولان بمعنى واحد ولا سيما وقد حكى يعقوب أن من العرب من يخفض بلعل وهذا يؤكد حذف النون من لعلنى وأحسن ما يكون حذف هذه النون فى ان وان ولكن وكان لاجتماع النونات وحسنه فى لعل أيضاً كثرة حروف الكلمة وفى التنزيل «لعلى أرجع الى الناس» بغير نون ويجىء حذف الياء فى ليتى بغير نون مع ان ليت ناصبة يدلك على أن الاسم المضمر فى ضربنى هو الياء دون النون كما هو فى ضربك وضربه حرف واحد وهو الكاف ولو كان الاسم هو النون مع الياء كما قالوا فى المخفوض منى وعنى بنونين نون من ونون أخرى مع الياء فاذا الياء وحدها هى الاسم فى حال الخفض وفى حال النصب

﴿ فصل ﴾ وفيه * حديثك ان أرى منه خروجا * قوله منه الهاء راجعة على الحديث وحرف الجر متعلق بالخروج وان كره النحويون ذلك لان ما كان من صلة المصدر عندهم فلا يتقدم عليه لان المصدر مقدر بان والفعل فما يعمل فيه هو من صلة أن فلا يتقدم فمن أطلق القول فى هذا الاصل ولم يخصص مصدراً من مصدر فقد أخطأ المفصل وناد فى تضلال فى التنزيل «أكان للناس عجباً أن أوحينا» ومعناه أكان عجباً للناس أن أوحينا ولا بد للام هاهنا أن تتعلق بعجب لانها ليست فى موضع صفة ولا موضع حال لعدم العامل فيها وفيه أيضا «لا يبغون عنها حولا . ولم يجدوا عنها مصرفا» وفيه أيضا «لوليت منهم فرارا» وتقول لى فيك رغبة ومالى عنك معول فيحسن كل هذا بلا خلاف وقد أجاز ابن السراج [أبو بكر] والمبرد أيضا فى ضرباً زيداً اذا أردت الامر أن تقدم المفعول المنصوب بالمصدر وقال لان ضرباً هاهنا فى معنى اضرب فقد خصص لك ضرباً من المصادر بجواز تقديم معمولها عليها فان كان المصدر غير أمر وكان نكرة لم يتقدم المفعول خاصة عليه بخلاف المجرور والظرف فالواجب اذا ارتبط هذا الباب وتفصيله فنقول كل مصدر نكرة غير مضاف الى ما بعده يجوز

ويظهر فى البلاد ضياء نور
يقيم به البرية أن تموجا
فيلقى من يحاربه خسارا *
ويلقى من يسالمه فلوجا
فياليتى اذا ما كان ذاكم *
شهدت وكنت أكثرهم
ولوجا
ولوجا فى الذى كرهت
قريش
ولو عجت بمكتها عجيجا
أرجى بالذى كرهوا جميعا
الى ذى العرش ان سفلوا
عروجا
وهل أمر السفالة غير كفر *
بمن يختار من سمك البروجا
فان يبقوا وأبق يكن أمور *
يضج الكافرون لها ضجيجا
وان أهلك فكل فتى سيلقى *
من الاقدار متلفة خروجا

تقديم معموله عليه الا المفعول لان المصدر النكرة لا يتقدر بأن والفعل لانك ان قدرته بان والفعل بقى الفعل بلا فاعل وما كان مضافا الى ما بعده فالمضاف اليه فاعل فى المعنى أو مفعول فلذلك يصير المصدر مقدرا بأن والفعل فقف على هذا الاصل فمنه حسن قول ورقة ان أرى منه خرجا أى أرى خروجا منه وكذلك لو ذكر الدخول فقال أرى فيه دخولا يريد دخولا فيه لكان حسنا وتقول اللهم اجعل من أمرنا فرجا ومخرجا فمن أمرنا متعلق بما بعده وهو مصدر ولا خفاء فى حسن هذا التقديم لما ذكرناه ومن قول ورقة بن نوفل فى معنى ما تقدم من رواية يونس عن ابن اسحق

أتبكر أم أنت العشية رائح * وفى الصدر من اضمارك الحزن قادح
لفرقة قوم لا أحب فراقهم * كأنك عنهم بعد يومين نازح
وأخبار صدق خبرت عن محمد * يخبرها عنه اذا غاب ناصح
فتاك التى وجهت ياخير حرة * بغور وبالنجدين حيث الصحاصح
الى سوق بصرى فى الركاب التى غدت * وهن من الاحمال قعص دوالح
يخبرنا عن كل خير بعلمه * وللحق أبواب لهن مفاتح
بان ابن عبد الله أحمد مرسل * الى كل من ضمت عليه الاباطح
وظنى به أن سوف يبعث صادقا * كما أرسل العبدان هود وصالح
وموسى وابراهيم حتى يرى له * بهاء ومنشور من الذكر واضح
ويتبعه حيا لؤى جماعة * شبابهم والاشيبون الجحاجح
فان أبق حتى يدرك الناس دهره * فانى به مستبشر الود فارح
والا فانى ياخديجة فاعلمى * عن أرضك فى الارض العريضة سائح

﴿ بنيان الكعبة ﴾

فى خبرها انها كانت رضما فوق القامة * الرضم أن تنضد الحجارة بعضها على بعض من غير ملاط كما قال

رزئتهم فى ساعة جرعتهم * كؤوس المنايا تحت صخر مرضم

وقوله فوق القامة كلام غير مبين لمقدار ارتفاعها اذ ذاك * وذكر غيره أنها كانت تسع أذرع من عهد اسمعيل ولم يكن لها سقف فلما بنتها قريش قبل الاسلام زادوا فيها تسع أذرع فكانت ثمانى عشرة ذراعا ورفعوا بابها عن الارض فكان لا يصعد اليها الا فى درج أو سلم وقد ذكرنا أول من عمل لها غلقا وهو تبع ثم لما بناها ابن الزبير زاد فيها تسع أذرع فكانت سبعا وعشرين ذراعا وعلى ذلك هى الآن وكان بناؤها فى الدهر خمس مرات الاولى حين بناها شيث بن آدم والثانية حين بناها ابراهيم على القواعد الاولى والثالثة حين بنتها قريش قبل الاسلام بخمسة أعوام والرابعة حين احترقت فى عهد ابن الزبير بشرارة طارت من أبى قبيس فوقعت فى أستارها فاحترقت وقيل ان امرأة أرادت أن تجمرها فطارت شرارة من المجمر فى أستارها فاحترقت فشاور ابن الزبير فى هدمها من حضره فهابوا هدمها وقالوا نرى أن تصلح ما وهى ولا تهدم فقال لو أن بيت أحدكم احترق لم يرض له الا بأكمل صلاح ولا يكمل اصلاحها الا بهدمها فهدمها حتى أفضى الى قواعد ابراهيم فأمرهم أن يزيدوا فى الحفر فحركوا حجرا منها فرأوا تحته نارا وهولا أفزعهم فأمرهم أن يقروا القواعد وأن يبنوا من حيث انتهى الحفر وفى الخبر انه سترها حين وصل الى القواعد فطاف الناس بتلك الاستار فلم تخل قط من طائف حتى لقد ذكر أن يوم قتل ابن الزبير اشتدت الحرب واشتغل الناس فلم ير

﴿حديث بنيان الكعبة وحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بين قريش فى وضع الحجر﴾

* قال ابن اسحق فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وثلاثين سنة اجتمعت قريش لبنيان الكعبة وكانوا يهمون بذلك ليسقفوها ويهابون هدمها وانما كانت رضما فوق القامة فارادوا رفعها وتسقيفها

طائف يطوف بالكعبة الاجمل يطوف بها فلما استتم بنيانها الصق بابها بالارض وعمل لها خلفا أى بابا آخر من ورائها وأدخل الحجر فيها وذلك لحديث حدثته به خالته عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ألم ترى قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا عن قواعد ابراهيم حين عجزت بهم النفقة ثم قال عليه السلام لولا حدثان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها وجعلت لها خلفا وألصقت بابها بالارض وأدخلت فيها الحجر أوكما قال عليه السلام قال ابن الزبير فليس بنا اليوم عجز عن النفقة فبناها على مقتضى حديث عائشة فلما قام عبد الملك بن مروان قال لسنا من تخليط أبى خبيب بشئ فهدمها وبناها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من بنيانها جاءه الحارث بن أبى ربيعة المعروف بالقباع وهو أخو عمر بن أبى ربيعة الشاعر ومعه رجل آخر فحدثاه عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحديث المتقدم فندم وجعل ينكت فى الارض بمخصرة فى يده ويقول وددت انى تركت أبا خبيب وما تحمل من ذلك فهذه المرة الخامسة فلما قام أبو جعفر المنصور وأراد أن يبنيها على ما بناها ابن الزبير وشاور فى ذلك فقال مالك بن أنس أنشدك الله يا أمير المؤمنين وأن تجعل هذا البيت ملعبة للملوك بعدك لا يشاء أحد منهم أن يغيره الا غيره فتذهب هيبته من قلوب الناس فصرفه عن رأيه فيه وقد قيل انه بنى فى أيام جرهم مرة أو مرتين لان السيل كان قد صدع حائطه ولم يكن ذلك بنيانا على نحو ما قدمنا انما كان اصلاحا لما وهى منه وجدارا بنى بينه وبين السيل بناه عامر الجارود وقد تقدم هذا الخبر وكانت الكعبة قبل أن يبنيها شيث عليه السلام خيمة من ياقوتة حمراء يطوف بها آدم ويأنس اليها لانها أنزلت اليه من الجنة وكان قد حج الى موضعها من الهند وقد قيل ان آدم هو أول من بناها ذكره ابن اسحق فى غير رواية البكائى وفى الخبر ان موضعها كان غثاءة على الماء قبل أن يخلق الله السموات والارض فلما بدأ الله بخلق الاشياء خلق التربة قبل السماء فلما خلق السماء وقضاهن سبع سموات دحى الارض أى بسطها وذلك قوله سبحانه «والارض بعد ذلك دحاها» وانما دحاها من تحت مكة ولذلك سميت أم القرى وفى التفسير أن الله سبحانه حين قال للسموات والارض «ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين» لم يجبه بهذه المقالة من الارض الا أرض الحرم فلذلك حرمها وفى الحديث ان الله حرم مكة قبل أن يخلق السموات والارض فصارت حرمتها كحرمة المؤمن لان المؤمن انما حرم دمه وعرضه وماله بطاعته لربه وأرض الحرم لما قالت أتينا طائعين حرم صيدها وشجرها وخلاها الا الاذخر فلا حرمة الا للذى طاعة جعلنا الله ممن أطاعه وروى فى سبب بنيان البيت خبر آخر وليس بمعارض لما تقدم وذلك ان الله سبحانه لما قال للملائكة «انى جاعل فى الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها» الآية خافوا أن يكون الله عاتبا عليهم لاعتراضهم فى علمه فطافوا بالعرش سبعا يسترضون ربهم ويتضرعون اليه فأمرهم سبحانه أن يبنوا البيت المعمور فى السماء السابعة وأن يجعلوا طوافهم به فكان ذلك أهون عليهم من الطواف بالعرش ثم أمرهم أن يبنوا فى كل سماء بيتا وفى كل أرض بيتا قال مجاهد هى أربعة عشر بيتا كل بيت منها منا صاحبه أى فى مقابلته لو سقطت لسقط بعضها على بعض وروى أيضا ان الملائكة حين أسست الكعبة انشقت الارض الى منتهاها وقذفت فيها حجارة أمثال الابل فتلك القواعد من البيت التى رفع ابراهيم واسمعيل فلما جاء الطوفان رفعت وأودع الحجر الاسود أبا قبيس * وذكر ابن هشام ان الماء لم يعلها حين الطوفان ولكنه قام حولها وبقيت فى هواء الى السماء وان نوحا قال لاهل السفينة وهى تطوف بالبيت انكم فى حرم الله وحول بيته فاحرموا لله ولا يمس أحد امرأة وجعل بينهم وبين الماء حاجزا فتعدى حام فدعا عليه نوح أن يسود لون بنيه فاسود كوش بن حام

ونسله الى يوم القيامة وقد قيل فى سبب دعوة نوح على حام غير هذا والله أعلم * وذكر فى الخبر عن ابن عباس قال اول من عاذ بالكعبة حوت صغير خاف من حوت كبير فعاذ منه بالبيت وذلك أيام الطوفان ذكره يحيى بن سلام فلما نضب ماء الطوفان كان مكان البيت ربوة من مدرة وحج اليه هود وصالح ومن آمن معهما وهو كذلك ويذكر أن يعرب قال لهود عليه السلام ألا تبنيه قال انما يبنيه نبى كريم يأتى من بعدى يتخذه الرحمن خليلا فلما بعث الله ابراهيم وشب اسمعيل بمكة أمر ابراهيم ببناء الكعبة فدلته عليه السكينة وظللت له على موضع البيت فكانت عليه كالجحفة وذلك أن السكينة من شأن الصلاة فجعلت علما على قبلتها حكمة من الله سبحانه وبناه عليه السلام من خمسة أجبل كانت الملائكة تأتيه بالحجارة منها وهى طور سينا وطور زيتا اللذين بالشام والجودى وهو بالجزيرة ولبنان وحراء وهما بالحرم كل هذا جمعناه من آثار مروية وانتبه لحكمة الله كيف جعل بناءها من خمسة أجبل فشاكل ذلك معناها اذ هى قبلة للصلاة الخمس وعمود الاسلام وقد بنى على خمس وكيف دلت عليه السكينة اذ هو قبلة للصلاة والسكينة من شأن الصلاة قال عليه السلام وأتوها وعليكم السكينة فلما بلغ ابراهيم الركن جاءه جبريل بالحجر الاسود من جوف أبى قبيس وروى الترمذى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنزل الحجر الاسود من الجنة أشد بياضا من اللبن فسودته خطايا بنى آدم وروى الترمذى أيضا من طريق عبد الله بن عمرو مرفوعا ان الركن الاسود والركن اليمانى ياقوتتان من الجنة ولولا ما طمس من نورهما لاضاءتا ما بين المشرق والمغرب وفى رواية غيره لابرأ من استلمهما من الخرس والجذام والبرص وروى غير الترمذى من طريق على رحمه الله أن العهد الذى أخذه الله على ذرية آدم حين مسح ظهره ألا يشركوا به شيئا كتبه فى صك وألقمه الحجر الاسود ولذلك يقول المستلم له ايمانا بك ووفاء بعهدك وذكر هذا الخبر الزبير وزاد فيه ان الله سبحانه أجرى نهرا أطيب من اللبن وألين من الزبد فاستمد منه القلم الذى كتب العهد قال وكان ابو قبيس يسمى الامين لان الركن كان مودعا فيه وانه نادى ابراهيم حين بلغ بالبنيان الى موضع الركن فاخبره ان الركن فيه ودله على موضعه منه وانتبه من ههنا الى الحكمة فى أن سودته خطايا بنى آدم دون غيره من حجارة الكعبة وأستارها وذلك ان العهد الذى فيه هى الفطرة التى فطر الناس عليها من توحيد الله فكل مولود يولد على تلك الفطرة وعلى ذلك الميثاق فلولا ان أبويه يهودانه وينصرانه ويمجسانه حتى يسود قلبه بالشرك لما حال عن العهد فقد صار قلب ابن آدم محلا لذلك العهد والميثاق وصار الحجر محلا لما كتب فيه من ذلك العهد والميثاق فتناسبا فاسود من الخطايا قلب ابن آدم بعد ما كان ولد عليه من ذلك العهد واسود الحجر بعد ابيضاضه وكانت الخطايا سببا فى ذلك حكمة من الله سبحانه فهذا ما ذكر فى بنيان الكعبة ملخصا منه ما ذكر الماوردى ومنه ما ذكره الطبرى ومنه ما وقع فى كتاب التمهيد لابى عمر ونبذ أخذتها من كتاب فضائل مكة لرزين بن معاوية ومن كتاب أبى الوليد الازرقى فى أخبار مكة ومن أحاديث فى المسندات المروية وسنورد فى باقى الحديث بعض ما بلغنا فى ذلك مستعينين بالله وأما الركن اليمانى فسمى باليمانى فيما ذكر القتبى لان رجلا من اليمن بناه اسمه أبى بن سالم وأنشد

لنا الركن من بيت الحرام وراثة * بقية ما أبقى أبى بن سالم

وأما المسجد الحرام فاول من بناه عمر بن الخطاب وذلك أن الناس ضيقوا على الكعبة والصقوا دورهم بها فقال عمر ان الكعبة بيت الله ولا بد للبيت من فناء وانكم دخلتم عليها ولم تدخل عليكم فاشترى تلك الدور من أهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها ثم كان عثمان فاشترى دورا أخرى واغلى فى ثمنها وزاد فى سعة المسجد

وذلك ان نفرا سرقوا كنزا للكعبة وأنما كان يكون في بئر في جوف الكعبة وكان الذى وجد عنده الكنز دويكا مولى لبنى مليح بن عمرو من خزاعة (قال ابن هشام) فقطعت قريش يده وتزعم قريش ان الذين سرقوه وضعوه عند دويك وكان البحر قد رمى بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فاخذوا خشبها فاعدوه لتسقيفها وكان بمكة رجل قبطى نجار فتهيأ لهم فى أنفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التى كانت يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتتشرق على جدار الكعبة وكانت مما يهابون وذلك انه كان لا يدنو منها أحد الا احزألت وكشت وفتحت فاها وكانوا يهابونها فبينا هى ذات يوم تتشرق على جدار الكعبة كما كانت تصنع بعث الله اليها طائرا فاختطفها فذهب بها فقالت قريش انا لنرجوا ان يكون الله قد رضى ما اردنا عندنا عامل رفيق وعندنا خشب وقد كفانا الله الحية فلما اجمعوا امرهم فى هدمها و بنائها قام ابو وهب بن عمرو بن عائذ ابن عبد بن عمران بن مخزوم « قال ابن هشام » عائذ ابن عمران بن مخزوم فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم الا طيبا لا يدخل فيه مهر بغى ولا بيع ربا ولا مظلمة احد من الناس والناس ينحلون هذا الكلام الوليد بن المغيرة ابن عبد الله بن عمرو بن مخزوم * قال ابن اسحق وقد حدثنى عبد الله بن ابى نجيح المكى انه حدث عن عبد الله بن صفوان بن امية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى انه رأى ابنا لجعدة بن هبيرة بن ابى وهب بن عمرو يطوف بالبيت فسأل عنه فقيل هذا ابن لجعدة بن هبيرة فقال عبد الله بن صفوان عند ذلك جد هذا يعنى ابا وهب الذى اخذ حجرا من الكعبة حين اجتمعت قريش لهدمها فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال عند ذلك يا معشر قريش لا تدخلوا فى بنائها من كسبكم الا طيبا

اسحق

فلما كان ابن الزبير زاد فى اتقانه لا فى سمته وجعل فيه عمدا من الرخام وزاد فى أبوابه وحسنها فلما كان عبد الملك بن مروان زاد فى ارتفاع حائط المسجد وحمل اليه السوارى فى البحر الى جدة واحتملت من جدة على العجل الى مكة وأمر الحجاج بن يوسف فكساها الديباج وقد كنا قدمنا ان ابن الزبير كساها الديباج قبل الحجاج ذكره الزبير بن بكار وذكرنا أيضا ان خالد بن جعفر بن كلاب ممن كساها الديباج قبل الاسلام ثم كان الوليد بن عبد الملك فزاد فى حليها وصرف فى ميزابها وسقفها ما كان فى مائدة سليمان بن داود عليهما السلام من ذهب وفضة وكانت قد احتملت اليه من طليطلة من جزيرة الاندلس وكانت لها اطواق من ياقوت وزبرجد وكانت قد احتملت على بغل قوى فتفسخ تحتها فضرب منها الوليد حلية للكعبة فلما كان ابو جعفر المنصور وابنه محمد المهدى زادا ايضا فى اتقان المسجد وتحسين هيئته ولم يحدث فيه بعد ذلك عمل الى الآن وفى اشتراء عمر وعثمان الدور التى زاداها دليل على أن رباع اهل مكة ملك لاهلها يتصرفون فيها بالبيع والشراء اذا شاءوا وفى ذلك اختلاف

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق دويكا الذى سرق كنز الكعبة وقد تقدم أن سارقا سرق من مالها فى زمن جرهم وانه دخل البئر التى فيها كنزها فسقط عليه حجر فحبسه فيها حتى اخرج منها وانتزع المال منه ثم بعث الله حية لها رأس كرأس الجدى بيضاء البطن سوداء المتن فكانت فى بئر الكعبة خمسمائة عام فيما ذكر رزين وهى التى ذكرها ابن اسحق وكان لا يدنوا احد من بئر الكعبة الا احزألت اى رفعت ذنبها وكشت أى صوتت * وذكر ابن اسحق ان سفينة رماها البحر الى جدة فتحطمت وذكر غيره عن ابن منبه ان سفينة خججتها الريح الى الشعيبة وهو مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز وهو كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة والشعيبة بضم الشين ذكره البكرى وفسر الخطابى خججتها اى دفعتها بقوة من الريح الخجوج اى الدفوع قال ابن اسحق وكان بمكة نجار قبطى وذكر غيره انه كان علجا فى السفينة التى خججتها الريح الى الشعيبة وان اسم ذلك النجار باقوم وكذلك روى ايضا فى اسم النجار الذى عمل منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من طرفاء الغابة ولعله أن يكون هذا فالله اعلم

﴿ فصل ﴾ وذكر خبر العقاب أو الطائر الذى اختطف الحية من بئر الكعبة وقال غيره طرحها الطائر بالحجون فالتقمتها الارض وقال محمد بن الحسن المقرى هذا القول ثم قال وهى الدابة التى تكلم الناس قبل يوم القيامة واسمها أقصى فيما ذكر ومحمد بن الحسن المقرى هو النقاش وهو من أهل العلم والله اعلم بصحة ما قال غير انه قد روى فى حديث آخر ان موسى عليه السلام سأل ربه ان يريه الدابة التى تكلم الناس فاخرجها الله من الارض فرأى منظرا هاله وأفزعه فقال أى رب ردها فردها * وذكر ابن اسحق حديث الحجر الذى أخذ من الكعبة فوثب من يد آخذه حتى عاد الى موضعه وقال غيره ضربوا بالمعول فى حجر من أحجارها فلمعت برقة كادت تخطف أبصارهم وأخذ رجل منهم حجرا فطار من يده وعاد الى موضعه * وذكر ابن

لاتدخلوا فيه مهر بغى ولابيع ربا ولامظلمة احدمن الناس * قال ابن اسحق وابووهب خال ابى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان شريفا وله يقول شاعر من العرب

ولو بابى وهب انخت مطيتى * غدت من نداه رحلها غير خائب
بأبيض من فرعى لؤى بن غالب * اذا حصلت أنسابها فى الذوائب
أبى لاخذ الضيم يرتاح للندى * توسط جداه فروع الاطايب
عظيم رماد القدر يملأ جفانه * من الخبز يعلوهن مثل السبائب

ثم ان قريشا تجزأت الكعبة فكان شق الباب لبنى عبد مناف وزهرة وكان ما بين الركن الاسود والركن اليمانى لبنى مخزوم وقبائل من قريش انضموا اليهم وكان ظهر الكعبة لبنى جمح وسهم ابنى عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى وكان شق الحجر لبنى عبد الدار بن قصى ولبنى أسد بن العزى بن قصى ولبنى عدى بن كعب بن لؤى وهو الحطيم ثم ان الناس هابوا هدمها وفرقوا منه فقال الوليد بن المغيرة أنا أبدؤكم فى هدمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لم ترع « قال ابن هشام » ويقال لم نزغ اللهم انا لانريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين فتربص الناس تلك الليلة وقالوا ننظر فان أصيب لم نهدم منها شيئا ورددناها كما كانت وان لم يصبه شىء فقد رضى الله صنعنا فهدمنا فاصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى اذا انتهى الهدم بهم الى الاساس أساس ابراهيم افضوا الى حجارة خضر كالاسنمة آخذ بعضها بعضا * قال ابن اسحق فحدثنى بعض من يروى الحديث أن رجلا من قريش ممن كان يهدمها أدخل عتلة بين حجرين منها ليقلع بها أحدهما فلما تحرك الحجر تنقضت مكة بأسرها فانتهوا عن ذلك الاساس * قال ابن اسحق وحدثت ان قريشا وجدوا فى الركن كتابا بالسريانية فلم يدروا ماهو حتى قرأه لهم رجل من يهود فاذا هو أنا الله ذو بكة خلقتها يوم خلقت السموات والارض وصورت الشمس والقمر وحففتها بسبعة املاك حنفاء لا تزول حتى يزول أخشباها مبارك لاهلها فى الماء واللبن « قال ابن هشام » أخشباها جبلاها * قال ابن اسحق وحدثت انهم وجدوا فى المقام كتابا فيه مكة الله الحرام يأتيها رزقها من ثلاثة سبل لا يحلها أول من أهلها * قال ابن اسحق وزعم ليث بن أبى سليم انهم وجدوا حجرا فى الكعبة قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بأربعين سنة ان كان ماذكر حقا مكتوبا فيه من يزرع خيرا يحصد غبطة ومن يزرع شرا يحصد ندامة تعملون السيئات وتجزون الحسنات أجل كما لا يجتنى من الشوك العنب * قال ابن اسحق ثم ان القبائل من قريش جمعت الحجارة لبنائها كل قبيلة تجمع على حدة ثم بنوها حتى بلغ البنيان موضع الركن فاختصموا فيه كل قبيلة تريد ان ترفعه الى موضعه دون الاخرى حتى تحاوروا وتحالفوا وأعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى

اسحق قولهم اللهم لم ترع وهى كلمة تقال عند تسكين الروع والتأنيس واظهار اللين والبر فى القول ولا روع فى هذا الموطن فينفى ولكن الكلمة تقتضى اظهار قصد البر فلذلك تكلموا بها وعلى هذا يجوز التكلم بها فى الاسلام وان كان فيها ذكر الروع الذى هو محال فى حق البارى تعالى ولكن لما كان المقصود ماذكرنا جاز النطق بها وسيأتى فى هذا الكتاب ان شاء الله زيادة بيان عند قوله فاغفر فداء لك ما اقتفينا * ويروى أيضا اللهم لم ترغ وهو جلى لا يشكل * وذكر قولهم لا تدخلوا فى هذا البيت مهر بغى وهى الزانية وهى فعول من البغاء فاندغمت الواو فى الياء ولا يجوز عندهم أن يكون على وزن فعيل لان فعيلا بمعنى فاعل يكون بالهاء فى المؤنث كرحيمة وكريمة وانما يكون بغير هاء اذا كان فى معنى مفعول نحو امرأة جريح وقتيل * وقوله ولا بيع ربا يدل على ان الربا كان محرما عليهم فى الجاهلية كما كان الظلم والبغاء وهو الزنا محرما عليهم يعلمون ذلك ببقية من بقايا شرع ابراهيم عليه السلام كما كان بقى فيهم الحج والعمرة وشىء من أحكام الطلاق والعتق وغير ذلك وفى قوله سبحانه «وأحل الله البيع وحرم الربا» دليل على تقدم التحريم

﴿ فصل ﴾ وذكر الحجر الذى وجد مكتوبا فى الكعبة وفيه أنا الله ذو بكة الحديث روى معمر بن راشد فى الجامع عن الزهرى أنه قال بلغنى ان قريشا حين بنوا الكعبة وجدوا فيها حجرا وفيه ثلاثة صفوح فى الصفح الاول أنا الله ذو بكة صنعتها يوم صنعت الشمس والقمر الى آخر كلام ابن اسحق وفى الصفح الثانى أنا الله ذو بكة خلقت الرحم واشتققت لها اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتتته وفى الصفح الثالث أنا الله ذو بكة خلقت الخير والشر فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه وفى حديث ابن اسحق لا يحلها أول من أهلها يريد والله أعلم ما كان من استحلال قريش القتال فيها أيام ابن الزبير وحصين بن نمير ثم الحجاج بعده ولذلك قال ابن ابى ربيعة

ألا من لقلب معنى غزل * بحب المحلة اخت المحل

يعنى بالمحل عبد الله بن الزبير لقتاله فى الحرم

﴿ فصل ﴾ وذكر اختلافهم فى وضع الركن وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى وضعه بيده

ذلك الجفنة فسمو العقة الدم فمكثت قريش على ذلك أربع ليال أو خمسا ثم انهم اجتمعوا فى المسجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض أهل الرواية أن أبا أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وكان عامئذ أسن قريش كلها قال يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه ففعلوا فكان أول داخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الامين رضينا هذا محمد فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال صلى الله عليه وسلم هلم الى ثوبا فأتى به فاخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه وضعه هو بيده ثم بنى عليه وكانت قريش تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحى الامين فلما فرغوا من البنيان وبنوها على ما أرادوا قال الزبير بن عبد المطلب فيما كان من أمر الحية التى كانت قريش تهاب بنيان الكعبة لها

عجبت لما تصوبت العقاب * الى الثعبان وهى لها اضطراب
وقد كانت يكون لها كشيش * وأحيانا يكون لها وثاب
اذا قمنا الى التأسيس شدت * تهيبنا البناء وقد تهاب
فلما أن خشينا الرجز جاءت * عقاب تتلئب لها انصباب
فضمتها اليها ثم خلت * لنا البنيان ليس له حجاب
فقمنا حاشدين الى بناء * لنا منه القواعد والتراب
غداة نرفع التأسيس منه * وليس على مسوينا ثياب
أعز به المليك بنى لؤى * فليس لاصله منهم ذهاب
وقد حشدت هناك بنو عدى * ومرة قد تقدمها كلاب
فبوأنا المليك بذاك عزا * وعند الله يلتمس الثواب

« قال ابن هشام » ويروى على مساوينا ثياب وكانت الكعبة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانى عشرة ذراعا وكانت تكسى القباطى ثم كسيت البرود وأول من كساها الديباج الحجاج بن يوسف الز بد

﴿ حديث الحمس ﴾

* قال ابن اسحق وقد كانت قريش لا أدرى قبل الفيل أو بعده ابتدعت رأى الحمس رأيا رأوه وأداروه فقالوا نحن بنو ابراهيم وأهل الحرمة وولاة البيت وقطان مكة وساكنها فليس لاحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا فلا تعظموا شيئا من الحل كما تعظمون الحرم فانكم ان فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتكم وقالوا قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والافاضة منها وهم يعرفون ويقرون أنها من المشاعر والحج ودين ابراهيم صلى الله عليه وسلم ويرون لسائر العرب أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها الا أنهم قالوا نحن أهل الحرم فليس ينبغى لنا أن نخرج من الحرمة ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الحمس والحمس أهل الحرم ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذى لهم بولادتهم اياهم يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم فى ذلك

وذكر غيره ان ابليس كان معهم فى صورة شيخ نجدى وانه صاح باعلا صوته يا معشر قريش أرضيتم ان يضع هذا الركن وهو شرفكم غلام يتيم دون ذوى أسنانكم فكاد يثير شرا فيما بينهم ثم سكنوا ذلك . واما وضع الركن حين بنيت الكعبة فى ايام ابن الزبير فوضعه فى الموضع الذى هو فيه الآن حمزة بن عبد الله بن الزبير وابوه يصلى بالناس فى المسجد اغتنم شغل الناس عنه بالصلاة لما أحس منهم التنافس فى ذلك وخاف الخلاف فاقره ابوه ذكر ذلك الزبير بن ابى بكر * وذكر ابن اسحق ايضا انهم افضوا الى قواعد البيت واذا هى خضر كالاسنة هكذا تقيد فى نسخة الشيخ وفى غيرها من النسخ ووقع فى نسخة صحيحة كالاسنمة وليست هذه رواية السيرة انما الصحيح فى الكتاب كالاسنة وهو وهم من بعض النقلة عن ابن اسحق والله اعلم فانه لا يوجد فى غير هذا الكتاب بهذا اللفظ لا عند الواقدى ولا غيره وقد ذكر البخارى فى بنيان الكعبة هذا الخبر فقال فيه عن يزيد بن رومان فنظرت اليها فاذا هى كاسنمة الابل وتشبيهها بالاسنة لا يشبه الا فى الزرقة وتشبيهها باسنمة الابل أولى لعظمها ولما تقدم فى حديث بنيان الملائكة لها قبل هذا

﴿ فصل ﴾ وذكر شعر الزبير بن عبد المطلب * عجبت لما تصوبت العقاب * الى قوله * تتلئب لها انصباب * قوله تتلئب يقال اتلأب على طريقه اذا لم يعرج يمنة ولا يسرة وكانه منحوت من أصلين كما تقدم فى مثل هذا من تلا اذا اتبع وألب اذا أقام وأب ايضا قريب من هذا المعنى يقال أب ابابة من كتاب العين اذا استقام وتهيأ فكانه مقيم مستمر على ما يتلوه ويتبعه مما هو بسبيله والاسم من اتلأب التلأبيبة على وزن الطمأنينة والقشعريرة قاله أبو عبيد * وقوله * وليس على مسوينا ثياب أى مسوى البنيان * وهو فى معنى الحديث الصحيح فى نقلانهم الحجارة الى الكعبة انهم كانوا ينقلونها عراة ويرون ذلك دينا وانه من باب التشمير والجد فى الطاعة * وقول ابن هشام ويروى مساوينا يريد السوآت فهو جمع مساءة مفعلة من السوءة والاصل مساوى فسهلت الهمزة

﴿ فصل ﴾ وذكر الحمس وما ابتدعته قريش فى ذلك والتحمس التشدد وكانوا قد ذهبوا فى ذلك مذهب الزهد والتأله فكانت نساؤهم لا ينسجن الشعر ولا الوبر وكانوا لا يسلؤون السمن وسلء السمن ان يطبخ

«قال ابن هشام» وحدثني أبو عبيدة النحوي ان بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن دخلوا معهم في ذلك وأنشدني لعمرو بن معديكرب

أعباس لو كانت شيارا جيادنا * بتثليث ما ناصيت بعدي الاحامسا

(قال ابن هشام) تثليث موضع من بلادهم والشيار الحسان يعني بالاحامس بني عامر بن صعصعة وعباس عباس بن مرداس السلمي وكان أغار على بني زبيد بتثليث وهذا البيت في قصيدة لعمرو وأنشدني للقيط بن زرارة الدارمي في يوم جبلة

أجذم اليك انها بنو عبس * المعشر الجلة في القوم الحمس

لان بني عبس كانوا يوم جبلة حلفاء في بني عامر بن صعصعة ويوم جبلة يوم كان بين بني حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وبين بني عامر بن صعصعة فكان الظفر فيه لبني عامر بن صعصعة على بني حنظلة وقتل يومئذ لقيط بن زرارة بن عدس وأسر حاجب بن زرارة بن عدس وانهزم عمرو بن عمرو بن عدس بن زيد بن عبد الله بن دارم بن مالك بن حنظلة ففيه يقول جرير للفرزدق

كأنك لم تشهد لقيطا وحاجبا * وعمرو بن عمرو اذ دعوا يالدارم

وهذا البيت في قصيدة له ثم التقوا يوم ذي نجب فكان الظفر لحنظلة على بني عامر وقتل يومئذ حسان بن معاوية الكندي وهو أبو كبشة وأسر (١٣٣) يزيد بن الصعق الكلابي وانهزم الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب أبو عامر بن الطفيل ففيه يقول الفرزدق

ومنهن اذ نجى طفيل بن مالك * على قرزل رجلا ركوض الهزائم

ونحن ضربنا هامة ابن خويلد * يزيد على أم الفراخ الجواثم

وهذان البيتان في قصيدة له فقال جرير

ونحن خضبنا لابن كبشة تاجه * ولاقى امرأ في ضمة الخيل مصقعا

وهذا البيت في قصيدة له وحديث يوم جبلة ويوم ذي نجب أطول مما ذكرنا وانما منعني من استقصائه ما ذكرت في حديث يوم الفجار * قال ابن اسحق ثم ابتدعوا في ذلك أمورا لم تكن لهم حتى قالوا لا ينبغي للحمس أن يأتقطوا الاقط ولا يأتدموا السمن وهم حرم ولا يدخلوا بيتا من شعر ولا يستظلوا ان استظلوا الا في بيوت الادم ما كانوا حرما ثم رفعوا في ذلك فقالوا لا ينبغي لاهل الحل أن يأكلوا من طعام جاؤا به معهم من الحل الى الحرم اذا جاؤا حجاجا أو عمارا ولا يطوفوا بالبيت اذا قدموا أول طوافهم الا في ثياب الحمس فان لم يجدوا منها شيئا طافوا بالبيت عراة فان تكرم منهم متكرم من رجل أو امرأة ولم يجد ثياب الحمس فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل ألقاها اذا فرغ من طوافه ثم لم ينتفع بها ولم يمسها هو ولا أحد غيره أبدا وكانت العرب تسمي تلك الثياب اللقى فحملوا على ذلك العرب فدانت به ووقفوا على عرفات وأفاضوا منها وطافوا بالبيت عراة أما الرجال فيطوفون عراة وأما النساء فتضع احداهن ثيابها كلها الا درعا مفرجا عليها ثم تطوف فيه فقالت امرأة من العرب وهي كذلك تطوف بالبيت

اليوم يبدو بعضه أو كله * وما بدا منه فلا أحله

ومن طاف منهم في ثيابه التي جاء فيها من الحل ألقاها فلم ينتفع بها هو ولا غيره فقال قائل من العرب يذكر شيئا تركه من ثيابه فلا يقربه وهو يحبه

كفى حزنا كري عليها كأنها * لقى بين أيدي الطائفين حريم

يقول لا تمس فكانوا كذلك حتى بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم

لزيد حتى يصير سمنا قال ابرهة

ان لنا صرمة مخيسة * نشرب ألبانها ونساؤها

ذكر قول ابن معديكرب * أعباس لو كانت شيارا جيادنا * البيت شيارا من الشارة الحسنة يعني سمانا حسانا وبعد البيت

ولكنها قيدت بصعدة مرة * فاصبحن ما يمشين الا تكارسا

وأنشد أيضا * أجذم اليك انها بنو عبس * أجذم زجر معروف للخيل وكذلك ارحب وهب وهقط وهقط وهقب * وذكر يوم جبلة وجبلة هضبة عالية كانوا قد أحرزوا فيها عيالهم وأموالهم وكان معهم في ذلك اليوم رئيس نجران وهو ابن الجون الكندي وأخ للنعمان بن المنذر أحسب اسمه حسان بن وبرة وهو أخو النعمان لامه وفي أيام جبلة كان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولثنتين وأربعين سنة من ملك أنوشروان بن قباذ وكان مولد أبيه عبد الله لاربع وعشرين مضت من ملك أنوشروان المذكور فبينه عليه السلام وبين أبيه عبد الله نحو من ثمان عشرة سنة * وذكر زرارة بن عدس بن زيد وهو عدس بضم الدال عند جميعهم الا أبا عبيدة فانه كان يفتح الدال منه وكل عدس في العرب سواه فانه مفتوح الدال * وذكر الحلة وهم ما عدا الحمس وانهم كانوا يطوفون عراة ان لم يجدوا ثياب أحمس وكانوا يقصدون في ذلك طرح الثياب التي اقترفوا فيها الذنوب عنهم ولم يذكر الطلس من العرب وهم صنف ثالث غير الحلة والحمس كانوا يأتون من أقصا اليمن طلسا من الغبار فيطوفون بالبيت في تلك الثياب الطلس فسموا بذلك ذكره محمد بن حبيب

﴿فصل﴾ وذكر اللقى وهو الثوب الذي كان يطرح بعد الطواف فلا يأخذه أحد وأنشد

كفى حزنا كري عليه كأنه * لقى بين أيدي الطائفين حريم

حريم أى محرم لا يؤخذ ولا ينتفع به وكل شئ مطرح فهو لقى قال الشاعر يصف فرخ قطا

تروى لقى ألقى فى صفصف * تصهره الشمس فما ينصهر

تروى بفتح التاء أى تستقى له ومن اللقى حديث فاختة أم حكيم بن حزام وكانت دخلت الكعبة وهى حامل متم بحكيم بن حزام فأجاءها المخاض فلم تستطع الخروج من الكعبة فوضعته فيها فلفت فى الانطاع هى وجنينها وطرح مثبرها وثيابها التى كانت عليها فجعلت لقى لا تقرب

﴿ فصل ﴾ وذكر قول المرأة * اليوم يبدو بعضه أو كله * البيتين ويذكر أن هذه المرأة هى ضباعة بنت عامر بن صعصعة ثم من بنى سلمة بن قشير وذكر محمد بن حبيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبها فذكرت له عنها كبرة فتركها فقيل انها ماتت كمدا وحزنا على ذلك (قال المؤلف) ان كان صح هذا فما أخرها عن أن تكون أما للمؤمنين وزوجا لرسول رب العالمين الا قولها * اليوم يبدو بعضه أو كله * تكرمة من الله لنبيه وعلما منه بغيرته والله أغير منه ومما ذكر من تعريهم فى الطواف أن رجلا وامرأة طافا كذلك فانضم الرجل الى المرأة تلذذا واستمتاعا فلصق عضده بعضدها ففزعا عند ذلك وخرجا من المسجد وهما ملتصقان ولم يقدر أحد على فك عضده من عضدها حتى قال لهما قائل توبا مما كان فى ضميركما وأخلصا لله التوبة ففعلا فانحل أحدهما من الآخر * وأنشد للفرزدق

ومنهن اذ نجى طفيل بن مالك * على قرزل رجلا ركوض الهزائم

قرزل اسم فرسه وكان طفيل يسمى فارس قرزل وقرزل القيد سمى الفرس به كأنه يقيد ما يسابقه كما قال امرؤ القيس * بمنجرد قيد الاوابد هيكل * وطفيل هذا هو والد عامر بن الطفيل عدو الله وعدو رسوله وأخو طفيل هذا عامر ملاعب الاسنة وسنذكر لم سمى ملاعب الاسنة ونذكر اخوته وألقابهم فى هذا الكتاب ان شاء الله * وقوله * على أم الفراخ الجواثم * يعنى الهامة وهى البوم وكانوا يعتقدون أن الرجل اذا قتل خرجت من رأسه هامة تصيح اسقونى اسقونى حتى يؤخذ بثأره قال ذو الاصبع العدوانى

* أضربك حيث تقول الهامة اسقونى *

﴿ فصل ﴾ وأنشد لجرير

ونحن خضبنا لابن كبشة تاجه * ولاقى امرأ فى ضمة الخيل مصقعا

وجدت فى حاشية الشيخ أبى بحر هذا البيت المعروف فى اللغة ان المصقع الخطيب البليغ وليس هذا موضعه لكن يقال فى اللغة صقعه اذا ضربه على شئ مصمت يابس قاله الاصمعى فيشبه أن يكون مصقع فى هذا البيت من هذا المعنى فيقال منه رجل مصقع كما يقال محرب وفى الحديث ان سعدا لمحرب يعنى ابن أبى وقاص

﴿ فصل ﴾ وذكر ما انزل الله تعالى فى امر الحمس وهو قوله تعالى « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا » الآية فقوله وكلوا واشربوا اشارة الى ما كانت الحمس حرمته من طعام الحج الا طعام احمسى وخذوا زينتكم يعنى اللباس ولا تتعروا ولذلك افتتح بقوله يا بنى آدم بعد أن قص خبر آدم وزوجه اذ يخصفان عليهما من ورق الجنة أى ان كنتم تحتجون بأنه دين آبائكم فآدم أبوكم ودينه ستر العورة كما قال ملة أبيكم ابراهيم أى ان كانت عبادة الاصنام دين آبائكم فابراهيم أبوكم ولم يكن من المشركين ومما نزل فى ذلك « وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية » ففى التفسير انهم كانوا يطوفون عراة ويصفقون بأيديهم ويصفرون فالمكاء الصفير والتصدية التصفيق قال الراجز * وأنا من غرو الهوى أصدى * ومما نزل من أمر الحمس « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » لان الحمس لا يدخلون تحت سقف ولا يحول

فانزل عليه حين أحكم له دينه وشرع له سنن حجه ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم يعنى قريشا والناس العرب فرفعهم فى سنة الحج الى عرفات والوقوف عليها والافاضة منها وأنزل الله عليه فيما كانوا حرموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت حين طافوا عراة وحرموا ما جاؤا به من الحل من الطعام يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هى للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون فوضع الله تعالى أمر الحمس وما كانت قريش ابتدعت منه عن الناس بالاسلام حين بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم * قال ابن اسحق حدثنى عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن عثمان بن أبى سليمان بن جبير بن مطعم عن عمه نافع ابن جبير عن ابيه جبير ابن مطعم

قال لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن ينزل عليه الوحي وانه لواقف على بعيرله بعرفات مع الناس من بين قومه حتى يدفع معهم منها . توفيقا من الله له صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا

﴿ أخبار الكهان من العرب والاحبار من يهود والرهبان من النصارى ﴾

* قال ابن اسحق وكانت الاحبار من يهود والرهبان من النصارى. والكهان من العرب قد تحدثوا بامر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه لما تقارب من زمانه . أما الاحبار من يهود والرهبان من النصارى فعما وجدوا في كتبهم من صفته وصفة زمانه وما كان من عهد أنبيائهم اليهم فيه وأما الكهان من العرب فاتتهم به الشياطين من الجن فيما تسترق من السمع اذ كانت وهي لا تحجب عن ذلك بالقذف من النجوم وكان الكاهن والكاهنة لا يزال يقع منهما ذكر بعض أموره لا تلقى العرب لذلك فيه بالا حتى بعثه الله تعالى ووقعت تلك الامور التي كانوا يذكرون فعرفوها فلما تقارب أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وحضر مبعثه حجبت الشياطين عن السمع وحيل بينها وبين المقاعد التي كانت تقعد لاستراق السمع فيها فرموا بالنجوم فعرفت الجن أن ذلك لامر حدث من أمر الله في العباد يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم حين بعثه وهو يقص عليه خبر الجن اذ حجبوا عن السمع فعرفوا ما عرفوا وأنكروا من ذلك حين رأوا ما رأوا قل أوحي الى أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا وانه كان يقول سفيهنا على الله شططا وانا ظننا أن لن تقول الانس والجن على الله كذبا

بينهم وبين السماء عتبة باب ولا غيرها فان احتاج أحدهم الى حاجة في داره تسنم البيت من ظهره ولم يدخل من الباب فقال الله سبحانه «وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون» *وذكر وقوف النبي صلى الله عليه وسلم بعرفة مع الناس قبل الهجرة وقبل النبوة توفيقا من الله حتى لا يفوته ثواب الحج والوقوف بعرفة قال جبير بن مطعم حين رآه واقفا بعرفة مع الناس هذا رجل أحمس فما باله لا يقف مع الحمس حيث يقفون .

﴿ فصل في الكهانة ﴾

روي في مأثور الاخبار أن ابليس كان يخترق السموات قبل عيسى فلما بعث عيسى أو ولد حجب عن ثلاث سماوات فلما ولد محمد حجب عنها كلها وقذفت الشياطين بالنجوم وقالت قريش حين كثر القذف بالنجوم قامت الساعة فقال عتبة بن ربيعة انظروا الى العيوق فان كان رمي به فقد آن قيام الساعة والا فلا وممن ذكر هذا الخبر الزبير بن أبي بكر *وذكر ابن اسحق في هذا الباب ما رميت به الشياطين حين ظهر القذف بالنجوم لئلا يلتبس بالوحي وليكون ذلك أظهر للحجة وأقطع للشبهة والذي قاله صحيح ولكن القذف بالنجوم قد كان قديما وذلك موجود في أشعار القدماء من الجاهلية منهم عوف بن الجزع وأوس بن حجر وبشر بن أبي خازم وكلهم جاهلي وقد وصفوا الرمي بالنجوم وأبياتهم في ذلك مذكورة في مشكل ابن قتيبة في تفسير سورة الجن وذكر عبد الرزاق في تفسيره عن معمر عن ابن شهاب أنه سئل عن هذا الرمي بالنجوم أكان في الجاهلية قال نعم ولكنه اذ جاء الاسلام غلظ وشدد وفي قول الله سبحانه «وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا» الآية ولم يقل حرست دليل على أنه قد كان منه شيء فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم ملئت حرسا شديدا وشهبا وذلك لينحسم أمر الشياطين وتخليطهم ولتكون الآية أبين والحجة أقطع وان وجد اليوم كاهن فلا يدفع ذلك بما أخبر الله به من طرد الشياطين عن استراق السمع فان ذلك التغليظ والتشديد كان زمن النبوة ثم بقيت منه أعني من استراق السمع بقايا يسيرة بدليل وجودهم على الندور في بعض الازمنة وفي بعض البلاد وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال ليسوا بشيء فقيل انهم يتكلمون بالكلمة فتكون كما قالوا فقال تلك الكلمة من الجن يحفظها الجني فيقرها في أذن وليه قر الزجاجة فيخلط فيها أكثر من مائة كذبة ويروى قر الدجاجة بالدال وعلى هذه الرواية تكلم قاسم بن ثابت في الدلائل والزجاجة بالزاي أولى لما ثبت في الصحيح فيقرها في أذن وليه كما تقر القارورة ومعنى يقرها يصبها ويفرغها قال الراجز

لا تفرغن في أذني قرها * ما يستفز فأريك فقرها

وفي تفسير ابن سلام عن ابن عباس قال اذا رمي الشهاب الجني لم يخطئه ويحرق ما أصاب ولا يقتله وعن الحسن قال يقتله في أسرع من طرفة العين وفي تفسير ابن سلام أيضا عن أبي قتادة انه كان مع قوم فرمي بنجم فقال لا تتبعوه أبصاركم وفيه أيضا عن حفص أنه سأل الحسن أيتبع بصره الكوكب فقال قال سبحانه «وجعلناها رجوما للشياطين» وقال «أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض» قال كيف نعلم اذا لم ننظر اليه لا تبعنه بصري وذكر النفر من الجن الذين نزل فيهم القرآن «والذين ولوا الى قومهم منذرين قالوا

وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا الى قوله وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهابا رصدا وأنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الارض أم أراد بهم ربهم رشدا فلما سمعت الجن القرآن عرفت انها انما منعت من السمع قبل ذلك لئلا يشكل الوحى بشئ من خبر السماء فيلتبس على أهل الارض ما جاءهم من الله فيه لوقوع الحجة وقطع الشبهة فآمنوا وصدقوا ثم ولوا الى قومهم منذرين قالوا ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم الآية وكان قول الجن وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا أنه كان الرجل من العرب من قريش وغيرهم اذا سافر فنزل بطن واد من الارض ليبيت فيه قال انى أعوذ بعزيز هذا الوادى من الجن الليلة من شر ما فيه « قال ابن هشام » الرهق الطغيان والسفه قال رؤبة بن العجاج * اذ تستبى الهيامة المرهقا * وهذا البيت فى أرجوزة له والرهق أيضا طلبك الشئ حتى تدنو منه فتأخذه أو لا تأخذه قال رؤبة بن العجاج يصف حمير وحش * بصبصن واقشعررن من خوف الرهق * وهذا البيت فى أرجوزة له والرهق أيضا مصدر لقول الرجل للرجل رهقت الاثم والعسر الذى أرهقتنى رهقا شديدا أى حملت الاثم والعسر الذى حملتنى حملا شديدا وفى كتاب الله تعالى فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا وقوله ولا ترهقنى من أمرى عسرا * قال ابن اسحق وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس أنه حدث ان أول العرب فزع للرمى بالنجوم حين رمى بها هذا الحى من ثقيف وانهم جاؤا الى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بنى علاج قال وكان أدهى العرب وأمكرها رأيا فقالوا له يا عمرو ألم تر ما حدث فى السماء من القذف بهذه النجوم قال بلى فانظروا فان كانت معالم النجوم التى يهتدى بها فى البر والبحر وتعرف بها الانواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس فى معايشهم هى التى يرمى بها فهو والله طى الدنيا وهلاك هذا الخلق الذى فيها وان كانت نجوما غيرها وهى ثابتة على حالها فهذا لامر أراد الله به هذا الخلق فما هو * قال ابن اسحق فذكر محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن على بن الحسين بن على بن ابى طالب عن عبد الله بن عباس عن نفر من الانصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم ما كنتم تقولون فى هذا النجم الذى يرمى به قالوا يانبى الله كنا نقول حين رأيناها يرمى بها مات ملك ملك ملك ولد مولود مات مولود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس ذلك كذلك ولكن الله تبارك وتعالى كان اذا قضى فى خلقه أمرا سمعه حملة العرش فسبحوا فسبح من تحتهم فسبح لتسبيحهم من تحت ذلك فلا يزال التسبيح

ياقومنا انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى » وفى الحديث انهم كانوا من جن نصيبين وفى التفسير انهم كانوا يهودا ولذلك قالوا من بعد موسى ولم يقولوا من بعد عيسى ذكره ابن سلام وكانوا سبعة وقد ذكروا بأسمائهم فى التفاسير والمسندات وهم شاصر وماصر ومنشى ولاشى والاحقاب وهؤلاء الخمسة ذكرهم ابن دريد ووجدت فى خبر حدثنى به أبو بكر بن طاهر الاشبيلى القيسى عن أبى على الغسانى فى فضائل عمر بن عبد العزيز قال بينما عمر بن عبد العزيز يمشى فى أرض فلاة فاذا حية ميتة فكفنها بفضلة من ردائه ودفنها فاذا قائل يقول ياسرق اشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك ستموت بأرض فلاة فيكفنك ويدفنك رجل صالح فقال من أنت يرحمك الله فقال رجل من الجن الذين سمعوا القرآن من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبق منهم الا أنا وسرق وهذا سرق قد مات وذكر ابن سلام من طريق أبى اسحق السبيعى عن أشياخه عن ابن مسعود انه كان فى نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشون فرفع لهم اعصار ثم جاء اعصار أعظم منه ثم انقشع فاذا حية قتيل فعمد رجل منا الى ردائه فشقه وكفن الحية ببعضه ودفنها فلما جن الليل اذا امرأتان يتساءلان أيكم دفن عمرو بن جابر فقلنا ما ندرى من عمرو بن جابر فقالتا ان كنتم ابتغيتم الاجر فقد وجدتموه ان فسقة الجن اقتتلوا مع المؤمنين منهم فقتل عمرو وهو الحية التى رأيتم وهو من النفر الذين استمعوا القرآن من محمد صلى الله عليه وسلم ثم ولوا الى قومهم منذرين

﴿ فصل ﴾ وأما ما ذكر فى معنى قوله سبحانه « وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن » الآية فقد روى فى معنى ذلك عن حجاج بن علاط السلمى وهو والد نصر بن حجاج الذى قيل فيه * أم لا سبيل الى نصر بن حجاج * أنه قدم مكة فى ركب فأجنهم الليل بواد مخوف موحش فقال له الركب قم خذ لنفسك أمانا ولاصحابك فجعل يطوف بالركب ويقول

أعيذ نفسى واعيذ صحبى * من كل جنى بهذا النقب * حتى أؤوب سالما وركبى

فسمع قارئا « يامعشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والارض » الآية فلما قدم مكة خبر كفار قريش بما سمع فقالوا أصبت ياأبا كلاب ان هذا يزعم محمد انه انزل عليه فقال والله لقد سمعته وسمعه هؤلاء معى ثم أسلم وحسن اسلامه وهاجر الى المدينة وابتنى بها مسجدا فهو يعرف به

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق حديث ابن عباس وفيه كنا نقول اذا رأيناه يموت عظيم أو يولد عظيم وفى

يهبط حتى ينتهي الى السماء الدنيا فيسبحوا ثم يقول بعضهم لبعض مم سبحتم فيقولون سبح من فوقنا فسبحنا لتسبيحهم فيقولون ألا تسألون من فوقكم مم سبحوا فيقولون مثل ذلك حتى ينتهوا الى حملة العرش فيقال لهم مم سبحتم فيقولون قضى الله في خلقه كذا وكذا للامر الذي كان فيهبط به الخبر من سماء الى سماء حتى ينتهي الى السماء الدنيا فيتحدثوا به فتسترقه

الشياطين بالسمع على توهم واختلاف ثم يأتوا به الكهان من أهل الارض فيحدثوهم به فيخطئون ويصيبون فيتحدث به الكهان فيصيبون بعضا ويخطئون بعضا ثم ان الله عز وجل حجب الشياطين بهذه النجوم التي يقذفون بها فانقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة * قال ابن اسحق وحدثني عمرو بن أبي جعفر عن محمد بن عبد الرحمن بن لبيبة عن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنه بمثل حديث ابن شهاب عنه * قال ابن اسحق وحدثني بعض أهل العلم أن امرأة من بني سهم يقال لها الغيطلة كانت كاهنة في الجاهلية فلما جاءها صاحبها في ليلة من الليالي فانقض تحتها ثم قال أدر ما أدر يوم عقر ونحر قالت قريش حين بلغها ذلك ما يريد ثم جاءها ليلة اخرى فانقض تحتها ثم قال شعوب ما شعوب تصرع فيه كعب لجنوب فلما بلغ ذلك قريشا قالوا ماذا يريد ان هذا الامر هو كائن فانظروا ما هو فما عرفوه حتى كانت وقعة بدر وأحد بالشعب فعرفوا انه الذي كان جاء به الى صاحبته « قال ابن هشام » الغيطلة من بني مرة بن عبد مناة بن كنانة أخوه مدلج بن مرة وهي ام الغياطل الذين ذكر أبو طالب في قوله لقد سفهت احلام قوم تبدلوا * بني خلف قيضا بنا والغياطل فقيل لولدها الغياطل وهم من بني سهم بن عمرو بن هصيص وهذا البيت في قصيدة له سأذكرها في موضعها ان شاء الله تعالى

هذا دليل على ما قدمناه من أن القذف بالنجوم كان قديما ولكنه اذ بعث الرسول عليه السلام غلظ وشدد كما قال الزهري وملئت السماء حرسا * وقوله في آخر الحديث وقد انقطعت الكهانة اليوم فلا كهانة يدل قوله اليوم على تخصيص ذلك الزمان كما قدمناه والذي انقطع اليوم والى يوم القيامة ان تدرك الشياطين ما كانت تدركه في الجاهلية الجهلاء وعند تمكنها من سماع أخبار السماء وما يوجد اليوم من كلام الجن على ألسنة المجانين انما هو خبر منهم عما يرونه في الارض مما لا نراه نحن كسرقة سارق أو خبيئة في مكان خفي او نحو ذلك وان اخبر بما سيكون كان تحرسا وتظنيا فيصيبون قليلا ويخطئون كثيرا وذلك القليل الذي يصيبون هو مما يتكلم به الملائكة في العنان كما في حديث البخاري فيطردون بالنجوم فيضيفون الى الكلمة الواحدة أكثر من مائة كذبة كما قال عليه السلام في الحديث الذي قدمناه ﴿فان قلت﴾ فقد كان صاف بن صياد وكان يتكهن ويدعي النبوة وخبأ له النبي صلى الله عليه وسلم خبيئا فعلمه وهو الدخ فاين انقطاع الكهانة في ذلك الزمان ﴿قلنا﴾ عن هذا جوابان (احدهما) ذكره الخطابي في اعلام الحديث قال الدخ نبات يكون بين النخيل وخبأ له عليه السلام « فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين » فعلى هذا لم يصب ابن صياد ما خبأه النبي صلى الله عليه وسلم (الثاني) ان شيطانه كان يأتيه بما خفي من أخبار الارض ولا يأتيه بخبر السماء لمكان القذف والرجم فان كان أراد بالدخ الدخان بقوة جعلت لهم في أسماعهم ليست لنا فالقى الكلمة عن لسان صاف وحدها لم يمكن سماع سائر الآية ولذلك قال له النبي عليه السلام اخسأ فلن تعدو قدرك الله فيك أي فلن تعدو منزلتك من العجز عن علم الغيب وانما الذي يمكن في حقه هذا القدر دون مزيد عليه على هذا النحو فسره الخطابي

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث الغيطلة الكاهنة قال وهي من بني مرة بن عبد مناة بن كنانة أخي مدلج وهي أم الغياطل الذي ذكر أبو طالب وسنذكر معنى الغيطلة عند شعر أبي طالب ان شاء الله ونذكر ههنا ما ألفيته في حاشية كتاب الشيخ أبي بحر في هذا الموضع قال الغيطلة بنت مالك بن الحارث بن عمرو بن الصعق ابن شنوق بن مرة وشنوق أخو مدلج وهكذا ذكر نسبها الزبير وذكر قولها شعوب وما شعوب تصرع فيها كعب لجنوب كعب ههنا هو كعب بن لؤي والذين صرعوا لجنوبهم ببدر وأحد من أشراف قريش معظمهم من كعب بن لؤي وشعوب ههنا أحسبه بضم الشين ولم أجده مقيدا وكانه جمع شعب وقول ابن اسحق يدل على هذا حين قال فلم يدر ما قالت حتى قتل من قتل ببدر وأحد بالشعب * وذكر قول التابع أدر ما أدر وقيد عن أبي علي فيه رواية أخرى وما بدر وهي أبين من هذه وفي غير رواية البكائي عن ابن اسحق أن فاطمة بنت النعمان النجارية كان لها تابع من الجن وكان اذا جاءها اقتحم عليها في بيتها فلما كان في أول البعث أتاها فقعد على حائط الدار ولم يدخل فقالت له لم لا تدخل فقال قد بعث نبي بتحريم الزنا فذلك أول ما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة

﴿ فصل ﴾ وذكر انكار ثقيف للرمي بالنجوم وما قاله عمرو بن أمية أحد بني علاج الى آخر الحديث وهو كلام صحيح المعنى لكن فيه ابهاما ما اقوله وان كانت غير هذه النجوم فهو لامر حدث فما هو وقد فعل ما فعلت

ثقيف بنو لهب عند فزعهم للرمي بالنجوم فاجتمعوا الى كاهن لهم يقال له خطر فبين لهم الخبر وما حدث من أمر النبوة روى أبو جعفر العقيلي في كتاب الصحابة عن رجل من بني لهب يقال له لهيب أو لهيب . وقد تكلمنا على نسب لهب في هذا الكتاب قال لهيب حضرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت عنده الكهانة فقلت بأبي وأمي نحن أول من عرف حراسة السماء و زجر الشياطين ومنعهم من استراق السمع عند قذف النجوم وذلك أنا اجتمعنا الى كاهن لنا يقال له خطر بن مالك وكان شيخا كبيرا قد أتت عليه مائتا سنة وثمانون سنة وكان من أعلم كهاننا فقلنا يا خطر هل عندك علم من هذه النجوم التي يرمى بها فانا قد فزعنا لها وخشينا سوء عاقبتها فقال ائتوني بسحر أخبركم الخبر أبخير ام ضرر أو لامن أو حذر قال فانصرفنا عنه يومنا فلما كان من غد في وجه السحر أتيناه فاذا هو قائم على قدميه . شاخص في السماء بعينيه فناديناه أخطر يا خطر فأومأ الينا ان أمسكوا فانقض نجم عظيم من السماء وصرخ الكاهن رافعا صوته . أصابه أصابه . خامره عقابه . عاجله عذابه . أحرقه شهابه . زايله جوابه . يا ويله ما حاله . بلبله بلباله . عاوده خباله . تقطعت حباله . وغيرت أحواله . ثم أمسك طويلا وهو يقول:

يامعشر بني قحطان * أخبركم بالحق والبيان
أقسمت بالكعبة والاركان * والبلد المؤتمن السدان
لقد منع السمع عتاة الجان * بثاقب بكف ذي سلطان
من أجل مبعوث عظيم الشان * يبعث بالتنزيل والقرآن
وبالهدى وفاصل القرآن * تبطل به عبادة الاوثان

قال فقلنا ويحك يا خطر انك لتذكر أمرا عظيما فماذا ترى لقومك فقال

أرى لقومي ما أرى لنفسي * أن يتبعوا خير بني الانس
برهانه مثل شعاع الشمس * يبعث في مكة دار الحمس
* بمحكم التنزيل غير اللبس *

فقلنا له يا خطر وممن هو فقال والحياة والعيش . انه لمن قريش . ما في حلمه طيش . ولا في خلقه هيش . يكون في جيش . وأي جيش . من آل قحطان وآل ايش . فقلت له بين لنا من أي قريش هو فقال والبيت ذي الدعائم . والركن والاحائم . انه لمن نجل هاشم . من معشر كرائم . يبعث بالملاحم . وقتل كل ظالم . ثم قال هذا هو البيان . أخبرني به رئيس الجان . ثم قال الله أكبر جاء الحق وظهر . وانقطع عن الجن الخبر . ثم سكت وأغمي عليه فما أفاق الا بعد ثلاثة فقال لا اله الا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد نطق عن مثل نبوة وانه ليبعث يوم القيامة أمة وحده «قال المؤلف» في هذا الخبر قوله أصابه إصابه هكذا قيدته بكسر الهمزة من إصابه على أبي بكر بن طاهر وأخبرني به عن أبي علي الغساني ووجهه أن تكون الهمزة بدلا من واو مكسورة مثل وشاح و إشاح والمعنى إصابه وصابه جمع وصب مثل جمل وجمال وقوله من آل قحطان وآل ايش يعني بآل قحطان الانصار لانهم من قحطان وأما آل ايش فيحتمل أن تكون قبيلة من الجن المؤمنين ينسبون الى ايش فان يكن هذا والا فله معنى في المدح غريب تقول فلان ايش هو وابن ايش ومعناه أي شيء أي شيء عظيم فكأنه أراد من آل قحطان ومن المهاجرين الذي يقال فيهم مثل هذا كما تقول هم وماهم وزيد وما زيد وأي شيء زيد وايش في معنى أي شيء كما يقال ويلمه في معنى ويل أمه على الحذف لكثرة الاستعمال وهذا كما قال هو في جيش إما جيش والله أعلم وأحسبه أراد

* قال ابن اسحق وحدثنى على بن نافع الجرشى أن جنبا بطنا من اليمن كان لهم كاهن فى الجاهلية فلما ذكر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشر فى العرب قالت له جنب أنظر لنا فى أمر هذا الرجل واجتمعوا له فى أسفل جبله فنزل عليهم حين طلعت الشمس فوقف لهم قائما متكئا على قوس له فرفع رأسه الى السماء طويلا ثم جعل ينزو ثم قال أيها الناس ان الله أكرم محمدا واصطفاه وطهر قلبه وحشاه ومكثه فيكم أيها الناس قليل ثم اشتد فى جبله راجعا من حيث جاء * قال ابن اسحق وحدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن كعب مولى عثمان بن عفان انه حدث أن عمر بن الخطاب بينا هو جالس فى الناس فى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ أقبل رجل من العرب داخلا المسجد يريد عمر بن الخطاب فلما نظر اليه عمر رضى الله عنه قال ان هذا الرجل لعلى شركه ما فارقه بعد أو لقد كان كاهنا فى الجاهلية فسلم عليه الرجل ثم جلس فقال له عمر رضى الله عنه هل أسلمت قال نعم يا امير المؤمنين قال له فهل كنت كاهنا فى الجاهلية فقال الرجل سبحان الله يا امير المؤمنين لقد خلت فى واستقبلتنى بامر ما أراك قلته لاحد من رعيتك منذ وليت ما وليت فقال عمر اللهم غفرا قد كنا فى الجاهلية على شر من هذا نعبد الاصنام ونعتنق الاوثان حتى أكرمنا الله برسوله وبالاسلام قال نعم والله يا أمير المؤمنين لقد كنت كاهنا فى الجاهلية قال فأخبرنى ما جاءك به صاحبك قال جاءنى قبل الاسلام بشهر أو شيعه فقال

بآل ايش بنى اقيش وهم حلفاء الانصار من الجن فحذف من الاسم حرفا وقد تفعل العرب مثل هذا وقد وقع ذكر بنى اقيش فى السيرة فى حديث البيعة وذكر الركن والاحائم يجوز أن يكون أراد الاحاوم بالواو فهمز الواو لانكسارها والاحاوم جمع أحوام والاحوام جمع حوم وهو الماء فى البئر فكانه أراد ماء زمزم والحوم أيضا ابل كثيرة ترد الماء فعبر بالاحائم عن وراد زمزم ويجوز أن يريد بها الطير وحمام مكة التى تحوم على الماء فيكون بمعنى الحوائم وقلب اللفظ فصار بعد فواعل أفاعل والله أعلم

﴿فصل﴾ وذكر أن جنبا وهم حى من اليمن اجتمعوا الى كاهن لهم فسألوه عن أمر النبى صلى الله عليه وسلم حين رمى بالنجوم الى آخر الحديث جنب هم من مذحج وهم عيذ الله وأنس الله وزيد الله وأوس الله وجعفى والحكم وجروة بنو سعد العشيرة بن مذحج ومذحج هو مالك بن أدد وسموا جنبا لانهم جانبوا بنى عمهم صداء ويزيد ابنى سعد العشيرة بن مذحج قاله الدارقطنى * وذكر فى موضع آخر خلافا فى أسمائهم * وذكر فيهم بنى غلى بالغين وليس فى العرب غلى غيره قال مهلهل

أنكحها فقدها الاراقم فى * جنب وكان الحباء من أدم

﴿فصل﴾ وذكر حديث عمر وقوله للرجل أكنت كاهنا فى الجاهلية فقال الرجل سبحان الله يا أمير المؤمنين لقد خلت فى واستقبلتنى بامر ما أراك استقبلت به أحدا منذ وليت وذكر الحديث * وقوله خلت فى هو من باب حذف الجملة الواقعة بعد خلت وظننت كقولهم فى المثل من يسمع يخل ولا يجوز حذف أحد المفعولين مع بقاء الآخر لأن حكمهما حكم الابتداء والخبر فاذا حذفت الجملة كلها جاز لان حكمهما حكم المفعول والمفعول قد يجوز حذفه ولكن لا بد من قرينة تدل على المراد ففى قولهم من يسمع يخل دليل يدل على المفعول وهو يسمع وفى قوله خلت فى دليل أيضا وهو قوله فى كانه قال خلت الشر فى أو نحو هذا * وقوله قبل الاسلام بشهر أو شيعه أى دونه بقليل وشيع كل شئ ما هو تبع له وهو من الشياع وهى حطب صغار تجعل مع الكبار تبعا لها ومنه المشيعة وهى الشاة تتبع الغنم لانها دونها فى القوة والصوت الذى سمعه عمر من العجل ياجليح سمعت بعض أشياخنا يقول هو اسم شيطان والجليح فى اللغة ما تطاير من رؤس النبات وخف نحو القطن وشبهه والواحدة جليحة والذى وقع فى السيرة ياذريح وكانه نداء للعجل المذبوح لقولهم أحمر ذريحى أى شديد الحمرة فصار وصفا للعجل الذبيح من أجل الدم ومن رواه ياجليح فمآله الى هذا المعنى لان العجل قد جلح أى كشف عنه الجلد فالله أعلم وهذا الرجل الذى كان كاهنا هو سواد بن قارب الدوسى فى قول ابن الكلبى وقال غيره هو سدوسى وفيه يقول القائل

الا لله علم لا يجارى * الى الغايات فى جنبى سواد

أتيناه نسائله امتحانا * فلم يبعل وأخبر بالسداد

وهذان البيتان فى شعر وخبر ذكره أبو على القالى فى أماليه وروى غير ابن اسحق هذا الخبر عن عمر على غير هذا الوجه وأن عمر مازحه فقال ما فعلت كهانتك ياسواد فغضب وقال قد كنت أنا وأنت على شر من هذا من عبادة الاصنام وأكل الميتات أفتعيرنى بامر تبت منه فقال عمر حينئذ اللهم غفرا * وذكر غير ابن اسحق فى هذا الحديث سياقة حسنة وزيادة مفيدة وذكر أنه حدث عمر أن رئيه جاءه ثلاث ليال متواليات هو فيها كلها بين النائم واليقظان فقال قم ياسواد واسمع مقالتى واعقل ان كنت تعقل قد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من لؤى بن غالب يدعو الى الله وعبادته وانشده فى كل ليلة من الثلاث الليالى ثلاث ابيات

ممناها واحد وقافيتها مختلفة

عجبت للجن وتطلابها * وشدها العيس باقتابها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ماصادق الجن ككذابها
فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس قداماها كاذنابها

وقال له فى الثانية

عجبت للجن و إبلاسها * وشدها العيس باحلاسها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * ماطاهر الجن كأنجاسها
فارحل الى الصفوة من هاشم * ليس ذنابا الطير من رأسها

وقال له فى الثالثة

عجبت للجن وتنفارها * وشدها العيس با كوارها
تهوى الى مكة تبغى الهدى * مامؤمن الجن ككفارها
فارحل الى الاتقين من هاشم * ليس قداماها كأدبارها

* وذكر تمام الخبر وفى آخره شعر سواد قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فانشده ما كان من الجنى رئيه ثلاث ليال متواليات وذلك قوله

اتانى نجيى بعد هدء ورقدة * ولم يك فيما قد بلوت بكاذب
ثلاث ليال قوله كل ليلة * أتاك نبى من لؤى بن غالب
فرفعت اذيال الازار وشمرت * بى العرمس الوجنا تجول السباسب
فاشهد ان الله لا شىء غيره * وأنك مأمون على كل غائب
وانك ادنى المرسلين وسيلة * الى الله يا ابن الاكرمين الاطايب
فرنا بما يأتيك من وحى ربنا * وان كان فيما جئت شيب الذوائب
وكن لى شفيعا يوم لاذو شفاعة * بمغن فتيلا عن سواد بن قارب

ولسواد بن قارب هذا مقام حميد فى دوس حين بلغهم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام حينئذ سواد فقال يامعشر الازد ان من سعادة القوم أن يتعظوا بغيرهم ومن شقائهم الا يتعظوا الا بانفسهم ومن لم تنفعه التجارب ضرته ومن لم يسعه الحق لم يسعه الباطل وانما تسلمون اليوم بما اسلمتم به امس وقد علمتم ان النبى صلى الله عليه وسلم قد تناول قوما أبعد منكم فظفر بهم وأوعد قوما اكثر منكم فاخافهم ولم يمنعه منكم عدة ولا عدد وكل بلاء منسى الا ما بقى اثره فى الناس ولا ينبغى لاهل البلاء الا أن يكونوا اذكر من اهل العافية للعافية وانما كف نبى الله عنكم ما كفكم عنه فلم تزالوا خارجين مما فيه اهل البلاء داخلين مما فيه اهل العافية حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبكم ونقيبكم فعبر الخطيب عن الشاهد ونقب النقيب عن الغائب ولست أدرى امله تكون للناس جولة فان تكن فالسلامة منها الاناة والله يحبها فاحبوها فاجابه القوم وسمعوا قوله فقال فى ذلك سواد بن قارب

ملت مصيبتك الغداة سواد * وأرى المصيبة بعدها تزداد
ابقى لنا فقد النبى محمد * صلى الاله عليه ما يعتاد
حزنا لعمرك فى الفؤاد مخامرا * وهل لمن فقد النبى فؤاد
كنا نحل به جنابا ممرعا * جف الجناب فاجدب الرواد

ألم تر الى الجن وابلاسها وايا سها من دينها ولحوقها بالقلاص واحلاسها «قال ابن هشام» هذا الكلام سجع وليس بشعر قال عبد الله بن كعب فقال عمر بن الخطاب عند ذلك يحدث الناس والله انى لعند وثن من أوثان الجاهلية فى نفر من قريش قد ذبح له رجل من العرب عجلا فنحن ننتظر قسمه ليقسم لنا منه اذ سمعت من جوف العجل صوتا ماسمعت صوتا قط انفذ منه وذلك قبيل الاسلام بشهر أو شيعه يقول ياذريح أمر نجيح رجل يصيح يقول لا اله الا الله «قال ابن هشام» ويقال رجل يصيح بلسان فصيح يقول لا اله الا الله وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر عجبت للجن وابلاسها * وشدها العيس باحلاسها تهوى الى مكة تبغى الهدى * ما مؤمنو الجن كانجاسها *قال ابن اسحق فهذا ما بلغنا عن الكهان من العرب

﴿ انذار يهود برسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾ * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال من قومه قالوا ان مما دعانا الى الاسلام مع رحمة الله تعالى وهداه لنا كنا نسمع من رجال يهود كنا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا أهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون قالوا لنا انه تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وارم فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم فلما بعث الله رسوله صلى الله عليه وسلم أجبناه حين دعانا الى الله تعالى وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به فبادرناهم اليه فآمنا به وكفروا به ففينا وفيهم نزل هؤلاء الآيات من البقرة ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين «قال ابن هشام» يستفتحون يستنصرون ويستفتحون أيضاً يتحاكمون وفي كتاب الله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين * قال ابن اسحق وحدثني صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الاشهل عن سلمة بن سلامة بن وقش وكان سلمة من أصحاب بدر قال كان لنا جار من يهود في بني عبد الاشهل قال فخرج علينا يوما من بيته حتى وقف على بني عبد الاشهل قال سلمة وأنا يومئذ أحدث من فيه سنا على بردة لي مضطجع فيها بفناء أهلي فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار قال فقال ذلك لقوم أهل شرك أصحاب أوثان لا يرون أن بعثا كائن بعد الموت فقالوا له ويحك يا فلان أوترى هذا كائنا ان الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم قال نعم والذي يحلف به ويود أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدار يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطينونه عليه بأن ينجو من تلك النار غدا فقالوا له ويحك يا فلان فما آية ذلك قال نبي مبعوث من نحو هذه البلاد وأشار بيده الى مكة واليمن فقالوا ومتى تراه قال فنظر الي وأنا من أحدثهم سنا فقال ان يستنفد هذا الغلام عمره يدركه قال سلمة فوالله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا رسوله صلى الله عليه وسلم وهو حي بين أظهرنا فآمنا به وكفر به بغيا وحسدا قال فقلنا له ويحك يا فلان ألست الذي قلت لنا فيه ما قلت قال بلى ولكن ليس به * قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة عن شيخ من بني قريظة قال قال لي هل تدري عم كان اسلام ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد نفر من بني هدل اخوة بني قريظة كانوا معهم في جاهليتهم ثم كانوا ساداتهم في الاسلام قال قلت لا قال فان رجلا من يهود من أهل الشام يقال له ابن الهيبان قدم علينا قبيل الاسلام بسنين فحل بين أظهرنا

فبكت عليه أرضنا وسماؤنا * وتصدعت وجدا به الاكباد
قل المتاع به وكان عيانه * حلما تضمن سكرتيه رقاد
كان العيان هو الطريف وحزنه * باق لعمرك في النفوس تلاد
ان النبي وفاته كحياته * الحق حق والجهاد جهاد
لو قيل تفدون النبي محمداً * بذلت له الاموال والاولاد
وتسارعت فيه النفوس ببذلها * هذا له الاغياب والاشهاد
هذا وهذا لا يرد نبينا * لو كان يفديه فداه سواد
أني أحاذر والحوادث جمة * أمراً لعاصف ريحه إرعاد
إن حل منه ما يخاف فانتم * للارض ان رجفت بنا أوتاد
لو زاد قوم فوق منية صاحب * زدتم وليس لمنية مزداد

فاعجب القوم شعره وقوله فاجابوا الى ما أحب ومن هذا الباب خبر سوداء بنت زهرة بن كلاب وذلك انها حين ولدت ورآها أبوها زرقاء شيماء أمر بوأدها وكانوا يئدون من البنات ما كان على هذه الصفة فارسلها الى الحجون لتدفن هناك فلما حفر لها الحافر وأراد دفنها سمع هاتفا يقول لا تئد الصبية وخلها في البرية فالتفت فلم ير شيئا فعاد لدفنها فسمع الهاتف يهتف بسجع آخر في المعنى فرجع الى أبيها فاخبره بما سمع فقال ان لها لشأنا وتركها فكانت كاهنة قريش فقالت يوما لبني زهرة ان فيكم نذيرة أو تلد نذيرا فاعرضوا علي بناتكم فعرضن عليها فقالت في كل واحدة منهن قولا ظهر بعد حين حتى عرضت عليها آمنة بنت وهب فقالت هذه النذيرة أو تلد نذيرا وهو خبر طويل ذكر الزبير منه يسيرا وأورده بطوله أبو بكر النقاش وفيه ذكر جهنم أعاذنا الله منها ولم يكن اسم جهنم مسموعا به عندهم فقالوا لها وما جهنم فقالت سيخبركم النذير عنها

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق حديث سلمة بن سلامة بن وقش وما سمع من اليهودي حين ذكر الجنة والنار وقال آية ذلك نبي مبعوث قد أظل زمانه الى آخر الحديث وليس فيه اشكال وابن وقش يقال فيه وقش بتحريك القاف وتسكينها والوقش الحركة

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث ابن الهيبان وما بشر به من أمر النبي صلى الله عليه وسلم وان ذلك كان سبب

لا والله ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس أفضل منه فأقام عندنا فكنا اذا قحط عنا المطر قلنا له اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا فيقول لا والله حتى تقدموا بين يدي مخرجكم صدقة فنقول له كم فيقول صاعا من تمر أو مدين من شعير قال فنخرجها ثم يخرج بنا الى ظاهر حرتنا فيستسقي لنا فوالله ما يبرح من مجلسه حتى تمر السحابة ونسقى قد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاث قال ثم حضرته الوفاة عندنا فلما عرف أنه ميت قال يا معشر يهود ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير الى أرض البؤس والجوع قال قلنا انك أعلم قال فاني انما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد أظل زمانه وهذه البلدة مهاجره فكنت أرجو أن يبعث فأتبعه وقد أظلكم زمانه فلا تسبقن اليه يا معشر يهود فانه يبعث بسفك الدماء وسبي الذراري والنساء ممن خالفه فلا يمنعكم ذلك منه فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصر بني قريظة قال هؤلاء الفتية وكانوا شبابا احداثا يا بني قريظة والله انه للنبي الذي كان عهد اليكم فيه ابن الهيبان قالوا ليس به قالوا بلى والله انه هو بصفته فنزلوا وأسلموا وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم * قال ابن اسحق فهذا ما بلغنا عن أخبار يهود

﴿ حديث اسلام سلمان رضي الله عنه ﴾

* قال ابن اسحق وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة الانصاري عن محمود بن لبيد عن عبد الله بن عباس قال حدثني سلمان الفارسي من فيه قال كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان من أهل قرية يقال لها جي وكان أبي دهقان قريته وكنت أحب خلق الله اليه لم يزل به حبه اياي حتى حبسني في بيته كما تحبس الجارية واجتهدت في المجوسية حتى كنت قطن النار الذي يوقدها لا يتركها تخبو ساعة قال وكانت لابي ضيعة عظيمة قال فشغل في بنيان له يوما فقال لي يا بني اني قد شغلت في بنياني هذا اليوم عن ضيعتي فاذهب اليها فاطلعها وأمرني فيها ببعض ما يريد ثم قال لي ولا تحتبس عني فانك ان احتبست عني كنت أهم الي من ضيعتي وشغلتني عن كل شيء من أمري قال فخرجت أريد ضيعته التي بعثني اليها فمررت بكنيسة

اسلام ثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن سعية وهم من بني هدل والهيبان من المسمين بالصفات يقال قطن هيبان أي منتفش وأنشد أبو حنيفة

تطير اللغام الهيبان كانه * جنى عشر تبقيه أشداقها الهدل

والهيبان أيضا الجبان وقد قدمنا الاختلاف في هدل وأما أسيد بن سعية فقال ابراهيم بن سعد بن ابراهيم ابن عبد الرحمن بن عوف المدني عن ابن اسحق وهو أحد رواة المغازي عنه أسيد بن سعية بضم الالف وقال يونس بن بكير عن ابن اسحق وهو قول الواقدي وغيره أسيد بفتحها قال الدارقطني وهذا هو الصواب ولا يصح ما قاله ابراهيم عن ابن اسحق وبنو سعية هؤلاء فيهم أنزل الله عز وجل من أهل الكتاب أمة قائمة الآية وسعية أبوهم يقال له ابن العريض وهو بالسين المهملة والياء المنقوطة باثنتين وأما سعنة بالنون فزيد بن سعنة حبر من أحبار يهود كان قد داين النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه يتقاضاه قبل الاجل فقال الا تقضيني يا محمد فانكم يا بني عبد المطلب مطل وما أردت الا ان أعلم علمكم فارتعد عمر ودار كانه في فلك وجعل يلحظ يمينا وشمالا وقال تقول هذا لرسول الله يا عدو الله فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا الى غير هذا منك أحوج يا عمر ان تأمرني بحسن الاداء وتأمره بحسن التبعة قم فاقضه عني فوالله ما حل الاجل وزده عشرين صاعا بما روعته وفي حديث آخر انه قال دعه فان لصاحب الحق مقالا ويذكر أنه أسلم لما رأى من موافقة وصف النبي عليه السلام لما كان عنده في التوراة وكان يجده موصوفا بالحلم فلما رأى من حلمه ما رأى أسلم وتوفي غازيا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ويقال في اسمه سعية بالياء كما في الاول ولم يذكره الدارقطني الا بالنون

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث سلمان بطوله وقال كنت من أهل اصبهان هكذا قيده البكري في كتاب المعجم بالكسر في الهمزة وأصبه بالعربية فرس وقيل هو العسكر فمعنى الكلمة موضع العسكر أو الخيل أو نحو هذا وليس في حديث سلمان على طوله اشكال ووقع في الاصل في هذا الحديث فلما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرته ورأيت في حاشية الشيخ أستدير به وكذلك وقع فيه أحييها له بالفقير وفي حاشية الشيخ الوجه التفقير والفقير للنخلة يقال لها في الكرمة حبية وجمعها حبايا وهي الحفيرة واذا خرجت النخلة من النواة فهي غريسة ثم يقال لها ودية ثم فسيلة ثم اشاءة فاذا فاتت اليد فهي جبارة وهي العضيد والكتيلة ويقال للتي لم تخرج من النواة لكنها اجتثت من جنب أمها قلعة وجثيثة وهي الجثائث والهراء ويقال للنخلة الطويلة عوانة بلغة عمان وعيدانة بلغة غيرهم وهي فيعالة من عدن بالمكان واختلف فيها قول صاحب كتاب العين فجعلها تارة فيعالة من عدن ثم جعلها في باب المعتل العين فعلانة ومن الفسيلة حديث أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ان يغرسها قبل ان تقوم الساعة فليغرسها من مصنف حماد بن سلمة والذين صحبوا سلمان من النصارى

كانوا

من كنائس النصارى فسمعت أصواتهم فيها وهم يصلون وكنت لا أدرى ما أمر الناس لحبس أبى اياى فى بيته فلما سمعت أصواتهم دخلت عليهم أنظر ما يصنعون فلما رأيتهم أعجبتنى صلاتهم ورغبت فى أمرهم وقلت هذا والله خير من الدين الذى نحن عليه فوالله ما برحتهم حتى غربت الشمس وتركت ضيعة أبى فلم آتها ثم قلت لهم أين أصل هذا الدين قالوا بالشام فرجعت الى أبى وقد بعث فى طلبى وشغلته عن عمله كله فلما جئته قال أى بنى أين كنت أولم أكن عهدت اليك ما عهدت قال قلت يا أبت مررت بناس يصلون فى كنيسة لهم فاعجبنى ما رأيت من دينهم فوالله مازلت عندهم حتى غربت الشمس قال أى بنى ليس فى ذلك الدين خير دينك ودين آبائك خير منه قال قلت له كلا والله انه لخير من ديننا قال فخافنى فجعل فى رجلى قيدا ثم حبسنى فى بيته قال وبعثت الى النصارى فقلت لهم اذا قدم عليكم ركب من الشام فاخبرونى بهم قال فقدم عليهم ركب من الشام تجار من النصارى فاخبرونى بهم فقلت لهم اذا قضوا حوائجهم وأرادوا الرجعة الى بلادهم فآذنونى بهم قال فلما أرادوا الرجعة الى بلادهم أخبرونى بهم فالقيت الحديد من رجلى ثم خرجت معهم حتى قدمت الشام فلما قدمتها قلت من أفضل أهل هذا الدين علما قالوا الاسقف فى الكنيسة قال فجئته فقلت له انى قد رغبت فى هذا الدين فاحببت ان أكون معك وأخدمك فى كنيستك فاتعلم منك وأصلى معك قال ادخل فدخلت معه قال وكان رجل سوء يامرهم بالصدقة ويرغبهم فيها فاذا جمعوا اليه شيئا منها اكتنزه لنفسه ولم يعطه المساكين حتى جمع سبع قلال من ذهب وورق قال فابغضته بغضا شديدا لما رأيته يصنع ثم مات فاجتمعت اليه النصارى ليدفنوه فقلت لهم ان هذا كان رجل سوء يامركم بالصدقة ويرغبكم فيها فاذا جئتموه بها اكتنزها لنفسه ولم يعط المساكين منها شيئا قال فقالوا لى وما علمك بذلك قال قلت لهم أنا أدلكم على كنزه قالوا فدلنا عليه قال فاريتهم موضعه فاستخرجوا سبع قلال مملوءة ذهبا وورقا قال فلما رأوها قالوا والله لا ندفنه أبدا قال فصلبوه ورجموه بالحجارة وجاؤا برجل آخر فجعلوه مكانه قال يقول سلمان فما رأيت رجلا لا يصلى الخمس أرى انه كان أفضل منه أزهد فى الدنيا ولا أرغب فى الآخرة ولا أدأب ليلا ولا نهارا منه قال فاحببته حبا لم

أحبه شيئا قبله مثله قال فاقمت معه زمانا ثم حضرته الوفاة فقلت له يافلان انى قد كنت معك وأحببتك حبا لم أحبه شيئا قبلك وقد حضرك ماترى من أمر الله تعالى فالى من توصى بى وبم تامرنى قال أى بنى والله ما أعلم اليوم أحدا على ما كنت عليه فقد هلك الناس وبدلوا وتركوا أكثر ما كانوا عليه الا رجلا بالموصل وهو فلان وهو على ما كنت عليه فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب الموصل فقلت له يافلان ان فلانا أوصانى عند موته ان ألحق بك وأخبرنى أنك على أمره قال فقال لى أقم عندى فاقمت عنده فوجدته خير رجل على أمر صاحبه فلم يلبث أن مات فلما حضرته الوفاة قلت له يافلان ان فلانا أوصانى اليك وأمرنى باللحوق بك وقد حضرك من أمر الله ماترى فالى من توصى بى وبم تامرنى قال يابنى والله ما أعلم رجلا على مثل ما كنا عليه الا رجلا بنصيبين وهو فلان فالحق به فلما مات وغيب لحقت بصاحب نصيبين فاخبرته خبرى وما أمرنى به صاحباى فقال أقم عندى فاقمت عنده فوجدته على أمر صاحبيه فاقمت مع خير رجل فوالله مالبث أن نزل به الموت فلما حضر قلت له يافلان ان فلانا كان أوصانى الى فلان ثم أوصانى فلان اليك فالى من توصينى وبم تامرنى قال يابنى والله ما أعلمه بقى أحد على أمرنا آمرك أن تاتيه الا رجلا بعمورية من أرض الروم فانه على مثل ما نحن عليه فان أحببت فاته فانه على أمرنا فلما مات وغيب لحقت بصاحب عمورية فاخبرته خبرى فقال أقم عندى فاقمت عند خير رجل على هدى أصحابه وأمرهم قال واكتسبت حتى كانت لى بقرات وغنيمة قال ثم نزل به امر الله فلما حضر قلت له يافلان انى كنت مع فلان فاوصى بى الى فلان ثم اوصى بى فلان الى فلان ثم أوصى بى فلان الى فلان ثم أوصى بى فلان اليك فالى من توصى بى وبم تامرنى قال أى بنى والله ما أعلمه أصبح اليوم أحد على مثل ما كنا عليه من الناس آمرك به أن تاتيه ولكنه قد أظل زمان نبى وهو مبعوث بدين ابراهيم عليه السلام يخرج بارض العرب مهاجره الى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة وبين كتفيه خاتم النبوة فان استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل قال ثم مات وغيب ومكثت بعمورية ماشاء الله ان أمكث ثم مر بى نفر من كلب تجار فقلت لهم احملونى الى أرض العرب وأعطيكم بقراتى هذه وغنيمتى هذه قالوا نعم فاعطيتموها وحملونى معهم حتى اذا بلغوا وادى القرى ظلمونى فباعونى من رجل يهودى عبدا فكنت عنده ورأيت النخل فرجوت أن يكون البلد الذى وصف لى صاحبى ولم يحق فى نفسى فبينا أنا عنده اذ قدم عليه ابن عم له من بنى

كانوا على الحق على دين عيسى بن مريم وكانوا ثلاثين يداولونه سيدا بعد سيد وذكر فى آخر الحديث انه جمع شيئا فجاء به النبى صلى الله عليه وسلم ليختبره أياكل الصدقة أم لا فلم يسئله رسول الله صلى الله عليه وسلم أحر أنت ام عبد ولا من أين لك هذا ففى هذا من الفقه قبول الهدية وترك سؤال المهدى وكذلك الصدقة وفى الحديث من قدم اليه طعام فليأكل ولا يسئل وذكر أبو عبيد فى كتاب الاموال حديث سلمان حجة على من قال ان العبد لا يملك وقال لو كان لا يملك ماقبل النبى صلى الله عليه وسلم صدقته ولا قال

قريظة من المدينة فابتاعنى منه فاحتملنى الى المدينة فوالله ماهو الا أن رأيتها عرفتها بصفة صاحبى فأقمت بها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقام بمكة ماقام لا أسمع له بذكر مع ما أنا فيه من شغل الرق ثم هاجر الى المدينة فوالله انى لفى رأس عذق لسيدى أعمل له فيه بعض العمل وسيدى جالس تحتى اذ أقبل ابن عم له حتى وقف عليه فقال يافلان قاتل الله بنى قيلة والله انهم الآن لمجتمعون بقباء على رجل قدم عليهم من مكة اليوم يزعمون انه نبى « قال ابن هشام » قيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة أم الاوس والخزرج قال النعمان بن بشير الانصارى يمدح الاوس والخزرج

بهاليل من أولاد قيلة لم يجد * عليهم خليط فى مخالطة عتبا
مساميح أبطال يراحون للندى * يرون عليهم فعل آبائهم نحبا

وهذان البيتان فى قصيدة له * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر ابن قتادة الانصارى عن محمود بن لبيد عن عبد الله بن عباس قال قال سلمان فلما سمعتها أخذتنى العرواء « قال ابن هشام » العرواء الرعدة من البرد والانتفاض فان كان مع ذلك عرق فهى الرحضاء وكلاهما ممدود حتى ظننت أنى سأسقط على سيدى فنزلت عن النخلة فجعلت أقول لابن عمه ذلك ماذا تقول فغضب سيدى فلكمنى لكمة شديدة ثم قال مالك ولهذا أقبل على عملك قال قلت لاشئ انما أردت أن أستثبته عما قال وقد كان عندى شئ قد جمعته فلما أمسيت أخذته ثم ذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بقباء فدخلت عليه فقلت له انه قد بلغنى انك رجل صالح ومعك أصحاب لك غرباء ذوو حاجة وهذا شئ قد كان عندى للصدقة فرأيتكم أحق به من غيركم قال فقربته اليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه كلوا وأمسك يده فلم يأكل قال فقلت فى نفسى هذه واحدة قال ثم انصرفت عنه فجمعت شيأ وتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ثم جئته به فقلت له انى قد رأيتك لاتأكل الصدقة فهذه هدية أكرمتك بها قال فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها وأمر أصحابه فأكلوا معه فقلت فى نفسى هاتان ثنتان قال ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ببقيع الغرقد قد تبع جنازة رجل من أصحابه على شملتان لى وهو جالس فى أصحابه فسلمت عليه ثم استدرت أنظر الى ظهره هل أرى الخاتم الذى وصف لى صاحبى فلما رآنى رسول الله صلى الله عليه وسلم استدبرته عرف انى أستثبت فى شئ وصف لى فالقى رداءه عن ظهره فنظرت الى الخاتم فعرفته فاكببت عليه أقبله وأبكى فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم تحول فتحولت فجلست بين يديه فقصصت عليه حديثى كما حدثتك يا ابن عباس فأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسمع ذلك أصحابه ثم شغل سلمان الرق حتى فاته مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر واحد قال سلمان ثم قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتب ياسلمان فكاتبت صاحبى على ثلثمائة نخلة أحييها له بالفقير وأربعين أوقية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أعينوا أخاكم فأعانونى بالنخل الرجل بثلاثين ودية والرجل بعشرين ودية والرجل بخمس عشرة ودية والرجل بعشر يعين الرجل بقدر ماعنده حتى اجتمعت لى ثلثمائة ودية فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذهب ياسلمان ففقر لها فاذا فرغت فائتنى أكن أنا أضعها بيدى قال ففقرت وأعاننى أصحابى حتى اذا فرغت جئته فأخبرته فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معى اليها فجعلنا نقرب اليه الودى ويضعه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده حتى فرغنا فوالذى نفس سلمان بيده مامات منها ودية واحدة فاديت النخل وبقى على المال فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المعادن فقال مافعل الفارسى

لاصحابه كلوا وصدقته ذكر غير ابن اسحق فى حديث سلمان الوجه الذى جمع منه سلمان ما أهدى للنبى صلى الله عليه وسلم فقال قال سلمان كنت عبدا لامرأة فسألت سيدتى أن تهب لى يوما فعملت فى ذلك اليوم على صاع أو صاعين من تمر وجئت به النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأيته لا يأكل الصدقة سألت سيدتى ان تهب لى يوما آخر فعملت فيه على ذلك ثم جئت به هدية للنبى صلى الله عليه وسلم فقبله وأكل منه فبين فى هذه الرواية الوجه الذى جمع منه سلمان ماذكر فى حديث ابن اسحق والصدقة التى قال النبى عليه السلام لاتحل لمحمد ولا لآل محمد هى المفروضة دون التطوع قاله الشافعى غير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن تحل له صدقة الفرض ولا التطوع وهو معنى قول مالك وقال الثورى لاتحل الصدقة لآل محمد فرضها ولا نفلها ولا لمواليهم لان مولى القوم من أنفسهم بذلك جاء الحديث . وقال مالك تحل لمواليهم وقالت جماعة منهم أبو يوسف لاتحل لآل محمد صدقة غيرهم وتحل لهم صدقة بعضهم على بعض وهم بنو هاشم وبنو عبد المطلب وقول سلمان فاتيت رسول الله وهو فى جنازة بعض أصحابه صاحبه الذى مات فى تلك الايام كلثوم بن الهدم الذى نزل عليه النبى صلى الله عليه وسلم قال الطبرى أول من مات من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم بعد قدومه المدينة بأيام قليلة كلثوم بن الهدم ثم مات بعده أسعد بن زرارة

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق فى مكاتبة سلمان انه فقر لثلاثمائة ودية أى حفر وان رسول الله صلى الله عليه وسلم وضعها كلها بيده فلم تمت منها ودية واحدة وذكر البخارى حديث سلمان كما ذكره ابن اسحق

المكاتب قال فدعيت له فقال خذ هذه فادها مما عليك ياسلمان قال قلت وأين تقع هذه يارسول الله مما على فقال خذها فان الله سيؤدى بها عنك قال فأخذتها فوزنت لهم منها والذى نفس سلمان بيده أربعين أوقية فاوفيتهم حقهم منها وعتق سلمان فشهدت مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الخندق حرا ثم لم يفتنى معه مشهد * قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن أبى حبيب عن رجل من عبد القيس عن سلمان انه قال لما قلت وأين تقع هذه من الذى على يارسول الله أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلبها على لسانه ثم قال خذها فاوفهم منها فاخذتها فاوفيتهم منها حقهم كله أربعين أوقية * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة قال حدثنى من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز بن مروان قال حدثت عن سلمان انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخبره خبره ان صاحب عمورية قال له ائت كذا وكذا من أرض الشام فان بها رجلا بين غيضتين يخرج فى كل سنة من هذه الغيضة الى هذه الغيضة مستجيزا يعترضه ذوو الاسقام فلا يدعو لاحد منهم الا شفى فاسأله عن هذا الدين الذى تبتغى فهو يخبرك عنه قال سلمان فخرجت حتى أتيت حيث وصف لى فوجدت الناس قد اجتمعوا بمرضاهم هنالك حتى خرج تلك الليلة مستجيزا من احدى الغيضتين الى الاخرى فغشيه الناس بمرضاهم لا يدعو لمريض الا شفى وغلبونى عليه فلم أخلص اليه حتى دخل الغيضة التى يريد أن يدخل الا منكبه قال فتناولته فقال من هذا والتفت الى فقلت يرحمك الله أخبرنى عن الحنيفية دين ابراهيم قال انك لتسأل عن شئ ما يسأل عنه الناس اليوم قد أظلك زمان نبى يبعث بهذا الدين من أهل الحرم فانه فهو يحملك عليه قال ثم دخل قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن كنت صدقتنى ياسلمان لقد لقيت عيسى بن مريم على نبينا وعليه السلام ﴿ذكر ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى وعبيد الله بن جحش وعثمان ابن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل﴾ *قال ابن اسحق واجتمعت قريش يوما فى عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويديرون به وكان ذلك عيدا لهم فى كل سنة يوما فخلص منهم أربعة نفر نجيا ثم قال بعضهم لبعض تصادقوا وليكتم بعضكم على بعض قالوا أجل وهم ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى * وعبيد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب * وعثمان بن الحويرث بن أسد بن عبد العزى بن قصى * وزيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى فقال بعضهم لبعض تعلموا والله ما قومكم على شئ لقد أخطؤا دين أبيهم ابراهيم ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ياقوم التمسوا لانفسكم فانكم والله ما أنتم على شئ فتفرقوا فى البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم فاما ورقة بن نوفل فاستحكم فى النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب وأما عبيد الله بن جحش فاقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين الى الحبشة ومعه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان مسلمة فلما قدمها تنصر وفارق الاسلام حتى هلك هنالك نصرانيا

اسحق غير انه ذكر ان سلمان غرس بيده ودية واحدة وغرس رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرها فعاشت كلها الا التى غرس سلمان هذا معنى حديث البخارى

﴿فصل﴾ وذكر عن داود بن الحصين قال حدثنى من لا أتهم عن عمر بن عبد العزيز قال قال سلمان للنبى صلى الله عليه وسلم وذكر خبر الرجل الذى كان يخرج مستجيزا من غيضة الى غيضة ويلقاه الناس بمرضاهم فلا يدعو لمريض الا شفى وان النبى صلى الله عليه وسلم قال ان كنت صدقتنى ياسلمان فقد رأيت عيسى ابن مريم اسناد هذا الحديث مقطوع وفيه رجل مجهول ويقال ان ذلك الرجل هو الحسن بن عمارة وهو ضعيف باجماع منهم فان صح الحديث فلا نكارة فى متنه فقد ذكر الطبرى أن المسيح عليه السلام نزل بعد ما رفع وأمه وامرأة أخرى عند الجذع الذى فيه الصليب يبكيان فكلمهما وأخبرهما انه لم يقتل وان الله رفعه وأرسل الى الحواريين ووجههم الى البلاد واذا جاز أن ينزل مرة جاز أن ينزل مرارا ولكن لا يعلم انه هو حتى ينزل النزول الظاهر فيكسر الصليب ويقتل الخنزير كما جاء فى الصحيح والله أعلم ويروى انه اذا نزل تزوج امرأة من جذام ويدفن اذا مات فى الروضة التى فيها النبى عليه السلام

﴿فصل﴾ وذكر حديث ورقة بن نوفل وعبيد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وزيد بن عمرو بن نفيل وما تناجوا به وقال زيد بن عمرو بن نفيل الى آخر النسب والمعروف فى نسبه ونسب ابن عمه عمر بن الخطاب نفيل بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بتقديم رياح على عبد الله ورزاح بكسر الراء قيده الشيخ أبو بحر وزعم الدارقطنى انه رزاح بالفتح وانما رزاح بالكسر رزاح بن ربيعة أخو قصى لامه الذى تقدم ذكره وأم زيد هى الحيداء بنت خالد الفهمية وهى امرأة جده نفيل ولدت له الخطاب فهو أخو الخطاب لامه وابن أخيه وكان ذلك مباحا فى الجاهلية بشرع متقدم ولم تكن من الحرمات التى انتهكوها ولا من العظائم

*قال ابن اسحق فحدثني محمد بن جعفر بن الزبير قال كان عبيد الله بن جحش حين تنصر يمر باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم هنالك من أرض الحبشة فيقول فقحنا وصأصأتم أى أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا بعد وذلك أن ولد الكلب اذا أراد أن يفتح عينيه لينظر صأصأ لينظر وقوله فقح فتح عينيه * قال ابن اسحق وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن على بن حسين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث فيها الى النجاشى عمرو بن أمية الضمرى فخطبها عليه النجاشى فزوجه اياها وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار فقال محمد بن على ما نرى عبد الملك بن مروان وقف صداق النساء على أربعمائة دينار الا عن ذلك وكان الذى أملكها للنبى صلى الله عليه وسلم خالد بن سعيد بن العاص * قال ابن اسحق وأما عثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده «قال ابن هشام» ولعثمان بن الحويرث عند قيصر حديث منعنى من ذكره ما ذكرت فى حديث الفجار * قال ابن اسحق وأما زيد ابن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل فى يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه فاعتزل الاوثان والميتة والدم والذبائح التى تذبح على الاوثان

التى ابتدعوها لانه أمر كان فى عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكنانة تزوج امرأة أبيه خزيمة وهى برة بنت مر فولدت له النضر بن كنانة وهاشم أيضا قد تزوج امرأة أبيه واقدة فولدت له ضعيفة ولكن هو خارج عن عمود نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه لم تلد جد أله أعنى واقدة وقد قال عليه السلام أنا من نكاح لا من سفاح ولذلك قال سبحانه «ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف» أى الا ما سلف من تحليل ذلك قبل الاسلام وفائدة هذا الاستثناء ألا يعاب نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعلم انه لم يكن فى أجداده من كان لغية ولا من سفاح ألا ترى انه لم يقل فى شئ نهى عنه فى القرآن الا ما قد سلف نحو قوله «ولا تقربوا الزنا» ولم يقل الا ما قد سلف «ولا تقتلوا النفس التى حرم الله» ولم يقل الا ما قد سلف ولا فى شئ من المعاصى التى نهى عنها الا فى هذه وفى الجمع بين الاختين لان الجمع بين الاختين قد كان مباحا أيضا فى شرع من قبلنا وقد جمع يعقوب بين راحيل وأختها ليا فقوله الا ما قد سلف التفاتة الى هذا المعنى وتنبيه على هذا المغزى وهذه النكتة اقتبستها من شيخنا الامام الحافظ أبى بكر محمد بن العربى رحمه الله وزيد هذا هو والد سعيد بن زيد أحد العشرة الذين شهد لهم بالجنة وأم سعيد فاطمة بنت نعجة بن خلف الخزاعى * وذكر قول عبد الله بن جحش حين تنصر بالحبشة فقحنا وصأصأتم وشرح فقحنا بقوله فقح الجرو اذا فتح عينيه وهكذا ذكره أبو عبيد وزاد جصص أيضا وذكر أبو عبيد بصص بالباء حكاها عن أبى زيد وقال القالى انما رواه البصريون عن أبى زيد بياء منقوطة باثنتين لان الياء تبدل من الجيم كثيرا كما تقول ايل واجل ولرواية أبى عبيد وجه وهو أن يكون بصص من البصيص وهو البريق

(فصل) وذكر عثمان بن الحويرث مع زيد وورقة وعبيد الله بن جحش ثم قال وأما عثمان بن الحويرث فانه ذهب الى الشام وله فيها مع قيصر خبر ولم يذكر ذلك الخبر وذكر البرقى عن ابن اسحق أن عثمان بن الحويرث قدم على قيصر فقال له انى أجعل لك خرجا على قريش ان جاؤا الشام لتجارتهم والا منعتهم فاراد قيصر أن يفعل فخرج سعيد بن العاصى بن أمية وأبو ذئب وهو هشام بن شعبة بن عبد الله بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر الى الشام فاخذا فحبسا فمات أبو ذئب فى الحبس وأما سعيد بن العاصى فانه خرج الوليد بن المغيرة وهو أمية فتخلصوه فى حديث طويل رواه ابن اسحق عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس وأبو ذئب الذى ذكر هو جد الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبى ذئب يكنى أبا الحارث من فقهاء المدينة وأمه بريهة بنت عبد الرحمن بن أبى ذئب وأما الزبير فذكر أن قيصر كان قد توج عثمان وولاه أمر مكة فلما جاءهم بذلك أنفوا من أن يدينوا لملك وصاح الاسود بن أسد بن عبد العزى الا ان مكة حى لقاح لا تدين لملك فلم يتم له مراده قال وكان يقال له البطريق ولا عقب له ومات بالشام مسموما سمه عمرو بن جفنة الغسانى الملك

(فصل) وذكر اعتزال زيد الاوثان وتركه طواغيتهم وتركه أكل ما نحر والنصب روى البخارى عن محمد بن أبى بكر قال أخبرنا فضيل بن سليمان قال أخبرنا موسى قال حدثنى سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم لقى زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح قبل أن ينزل على النبى عليه السلام الوحى فقدمت الى النبى صلى الله عليه وسلم سفرة أو قدمها اليه النبى صلى الله عليه وسلم فأبى أن يأكل منها ثم قال زيد انى لست آكل ما تذبحون على أنصابكم ولا آكل الا ما ذكر اسم الله عليه وان زيد بن عمرو بن نفيل كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وأنبت لها من الارض

الكلا ثم تذبحونها على غير اسم الله انكاراً لذلك واعظاماله قال موسى بن سالم بن عبد الله ولا أعلم الا ماتحدث به عن ابن عمر أن زيد بن عمرو بن نفيل خرج الى الشام يسأل عن الدين و يتبعه فلقى عالماً من اليهود فسأله عن دينهم وقال انى لعلى أن أدين بدينكم فاخبرونى فقال لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله قال زيد ما أفر الا من غضب الله ولا أحمل من غضب الله شيئاً أبداً وانى أستطيعه فهل تدلنى على غيره قال ما أعلمه الا أن يكون حنيفا قال وما الحنيف قال دين ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد الا الله فخرج زيد فلقى عالماً من النصارى فذكر مثله فقال لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله قال ما أفر الا من لعنة الله ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئاً أبدا وأنى أستطيع فهل تدلنى على غيره قال ما أعلمه الا أن يكون حنيفا قال وما الحنيف قال دين ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد الا الله فلما رأى زيد قولهم فى ابراهيم خرج فلما برز رفع يديه فقال اللهم انى أشهدك أنى على دين ابراهيم وقال الليث كتب الى هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنه قالت رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائماً مسنداً ظهره الى الكعبة يقول يامعشر قريش والله مامنكم على دين ابراهيم غيرى وكان يحيى الموؤدة يقول للرجل اذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها أكفيك مؤنتها فيأخذها فاذا ترعرعت قال لابيها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها الى هاهنا انتهى حديث البخارى وفيه سؤال (يقال) كيف وفق الله زيداً الى ترك أكل ماذبح على النصب ومالم يذكر اسم الله عليه ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أولى بهذه الفضيلة فى الجاهلية لما ثبت الله له (فالجواب) من وجهين (أحدهما) انه ليس فى الحديث حين لقيه ببلدح فقدمت اليه السفرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكل منها وانما فى الحديث أن زيداً قال حين قدمت السفرة لا آكل مما لم يذكر اسم الله عليه (الجواب الثانى) أن زيداً انما فعل ذلك برأى رآه لا بشرع متقدم وانما تقدم شرع ابراهيم بتحريم الميتة لا بتحريم ماذبح لغير الله وانما نزل تحريم ذلك فى الاسلام و بعض الاصوليين يقولون الاشياء قبل ورود الشرع على الاباحة فان قلنا بهذا وقلنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل مما ذبح على النصب فانما فعل أمراً مباحا وان كان لا يأكل منها فلا اشكال وان قلنا أيضاً انها ليست على الاباحة ولا على التحريم وهو الصحيح فالذبائح خاصة لها أصل فى تحليل الشرع المتقدم كالشاة والبعير ونحو ذلك مما أحله الله تعالى فى دين من كان قبلنا ولم يقدح فى ذلك التحليل المتقدم ماابتدعوه حتى جاء الاسلام وأنزل الله سبحانه «ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه» ألا ترى كيف بقيت ذبائح أهل الكتاب عندنا على أصل التحليل بالشرع المتقدم ولم يقدح فى التحليل ماأحدثوه من الكفر وعبادة الصلبان فكذلك كان ماذبحه أهل الاوثان محلا بالشرع المتقدم حتى خصه القرآن بالتحريم

(فصل) وذكر خبر الموؤدة وما كان زيد يفعل فى ذلك وقد كان صعصعة بن معاوية جد الفرزدق رحمه الله يفعل مثل ذلك ولما أسلم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل لى فى ذلك من أجر فقال فى اصح الروايتين لك أجره اذ امن الله عليك بالاسلام وقال المبرد فى الكامل عن النبى صلى الله عليه وسلم كلاما لم يصح لفظه ولا معناه ولا يشهد له أصل والاصول تشهد له بهذه الرواية التى ذكرناها لما ثبت أن الكافر اذا أسلم وحسن اسلامه كتب له كل حسنة كان زلفها وهذا الحديث أخرجه البخارى ولم يذكر فيه كل حسنة كان زلفها وذكرها الدارقطنى وغيره ثم يكون القصاص بعد ذلك الحسنة بعشر أمثالها والموؤدة مفعولة من وأده اذا أثقله قال الفرزدق

ومنا الذى منع الوائدا ت وأحيا الوئيد فلم يوأد

ونهى عن قتل الموؤدة وقال أعبد رب ابراهيم ونادى قومه بعيب ماهم عليه * قال ابن اسحق وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه عن أمه أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت لقد رأيت زيد بن عمرو بن نفيل شيخا كبيرا مسندا ظهره الى الكعبة وهو يقول يامعشر قريش والذى نفس زيد ابن عمرو بيده ما أصبح منكم أحد على دين ابراهيم غيرى ثم يقول اللهم لو انى أعلم أى الوجوه أحب اليك عبدتك به ولكنى لا أعلمه ثم يسجد على راحته * قال ابن اسحق وحدثت ان ابنه سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعمر بن الخطاب وهو ابن عمه قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لزيد بن عمرو قال نعم فانه يبعث أمة وحده (وقال زيد بن عمرو بن نفيل فى فراق دين قومه وما كان لقى منهم فى ذلك)

أرباً واحداً أم ألف رب * أدين اذا تقسمت الامور

عزلت اللات والعزى جميعا * كذلك يفعل الجلد الصبور
فلا عزى أدين ولا ابنتيها * ولا صنمى بنى عمرو أزور
ولا غنما أدين وكان ربا * لنا فى الدهر اذ حلمى يسير
عجبت وفى الليالى معجبات * وفى الايام يعرفها البصير
بان الله قد أفنى رجالا * كثيرا كان شأنهم الفجور
وأبقى آخرين ببر قوم * فيربل منهم الطفل الصغير
و بينا المرء يعثر ثاب يوما * كما يتروح الغصن المطير
ولكن أعبد الرحمن ربى * ليغفر ذنبى الرب الغفور
فتقوى الله ربكم احفظوها * متى ما تحفظوها لا تبوروا
ترى الابرار دارهم جنان * وللكفار حامية سعير
وخزى فى الحياة وان يموتوا * يلاقوا ما تضيق به الصدور

وقال زيد بن عمرو بن نفيل أيضا « قال ابن هشام » هى لأمية بن أبى الصلت فى قصيدة له الا البيتين الاولين والبيت الخامس وآخرها بيتا وعجز البيت الاول من غير ابن اسحق

الى الله أهدى مدحتى وثنائيا * وقولا رضيا لا يني الدهر باقيا
الى الملك الاعلى الذى ليس فوقه * اله ولا رب يكون مدانيا
ألا أيها الانسان اياك والردى * فانك لا تخفى من الله خافيا
واياك لا تجعل مع الله غيره * فان سبيل الرشد أصبح باديا
حنانيك ان الجن كانت رجاءهم * وأنت الهى ربنا ورجائيا

يريد

يعنى جده صعصعة بن معاوية بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع وقد قيل كانوا يفعلون ذلك غيرة على البنات وما قاله الله فى القرآن هو الحق من قوله «خشية املاق» وذكر النقاش فى التفسير انهم كانوا يئدون من البنات ما كان منهن زرقاء أو برشاء او شيماء او كشحاء تشاؤما منهم بهذه الصفات قال الله تعالى « واذا الموؤدة سئلت باى ذنب قتلت »

﴿ فصل ﴾ وذكر شعر زيد بن عمرو وفيه * عزلت اللات والعزى جميعا * فاما اللات فقد تقدم ذكرها واما العزى فكانت نخلات مجتمعة وكان عمرو بن لحى قد أخبرهم فيما ذكر أن الرب يشتى بالطائف عند اللات و يصيف بالعزى فعظموها و بنوا لها بيتا وكانوا يهدون اليه كما يهدون الى الكعبة وهى التى بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ليكسرها فقال له سادنها يا خالد احذرها فانها تجدع وتكنع فهدمها خالد وترك منها جذمها وأساسها فقال قيمها والله لتعودن ولتنتقمن ممن فعل بها هذا فذكر والله اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخالد هل رأيت فيها شيئا فقال لا فامره ان يرجع و يستأصل بقيتها بالهدم فرجع خالد فاخرج أساسها فوجد فيها امرأة سوداء منتفشة الشعر تخدش وجهها فقتلها وهرب القيم وهو يقول لا تعبد العزى بعد اليوم هذا معنى ما ذكر أبو سعيد النيسابورى فى المبعث وذكره الازرقى ايضا ورزين * وقوله * فيربل منهم الطفل الصغير * الفيت فى حاشية الشيخ أبى بحر ربل الطفل يربل اذا شب وعظم يربل بفتح الباء أى يكبر و ينبت ومنه أخذ تربيل الارض * وقوله كما يتروح الغصن اى ينبت ورقه بعد سقوطه * وقوله * وللكفار حامية سعير * نصب حامية على الحال من سعير لان نعت النكرة اذا تقدم عليها انصب على الحال وانشد سيبويه فى مثله * لمية موحشا طلل * وانشد ايضا

وتحت العوالى والقنا مستكنة * ظباء أعارتها العيون الجآذر

والعامل فى هذا الحال الاستقرار الذى يعمل فى الظرف و يتعلق به حرف الجر وهذا الحال على مذهب أبى الحسن الاخفش لا اعتراض فيها لانه يجعل النكرة التى بعدها مرتفعة بالظرف ارتفاع الفاعل وأما على مذهب سيبويه فالمسئلة عسيرة جدا لانه يلزمه أن يجعلها حالا من المضمر فى الاستقرار لانه معرفة فذلك أولى من ان يكون حالا من نكرة فان قدر الاستقرار آخر الكلام و بعد المرفوع كان ذلك فاسدا لتقدم الحال على العامل المعنوى وللاحتجاج له وعليه موضع غير هذا

﴿ فصل ﴾ وانشد ايضا لزيد * الى الله اهدى مدحتى وثنائيا * وفيه * الا ايها الانسان اياك والردى * تحذير من الردى والردى هو الموت فظاهر اللفظ متروك وانما هو تحذير مما يأتى به الموت و يبديه و يكشفه من جزاء الاعمال ولذلك قال * فانك لا تخفى من الله خافيا * وفيه

وانى وان سبحت باسمك ربنا * لأكثر الا ما غفرت خطائيا

معنى البيت انى لأكثر من هذا الدعاء الذى هو باسمك ربنا الا ما غفرت وما بعد الا زائدة وان سبحت اعتراض بين اسم ان وخبرها كما تقول انى لأكثر من هذا الدعاء الذى هو باسمك ربنا الا والله يغفر لى لافعل كذا والتسبيح هنا بمعنى الصلاة أى لأعتمد وان صليت الاعلى دعائك واستغفارك من خطاياى * وقوله حنانيك بلفظ التثنية قال النحويون يريد حنانا بعد حنان كانهم ذهبوا الى التضعيف والتكرار لا الى القصر على اثنين خاصة دون مزيد (قال المؤلف رحمه الله) و يجوز أن يريد حنانيا فى الدنيا وحنانا فى الآخرة واذا قيل هذا لمخلوق نحو قول طرفة * حنانيك بعض الشر أهون من بعض * فانما

رضيت بك اللهم ربا فان أرى * أدين الها غيرك الله ثانيا
وأنت الذى من فضل من ورحمة * بعثت الى موسى رسولا مناديا
فقلت له اذهب وهرون فادعوا * الى الله فرعون الذى كان طاغيا
وقولا له أأنت سويت هذه * بلا وتد حتى اطمأنت كما هيا
وقولا له أأنت رفعت هذه * بلا عمد ارفق اذا بك بانيا
وقولا له أأنت سويت وسطها * منيرا اذا ما جنه الليل هاديا
وقولا له من يرسل الشمس غدوة * فيصبح ما مست من الارض ضاحيا
وقولا له من ينبت الحب فى الثرى * فيصبح منه البقل يهتز رابيا
ويخرج منه حبه فى رؤسه * وفى ذاك آيات لمن كان واعيا
وأنت بفضل منك نجيت يونسا * وقد بات فى أضعاف حوت لياليا
وانى لو سبحت باسمك ربنا * لاكثر الا ما غفرت خطائيا
فرب العباد ألق سيبا ورحمة * على وبارك فى بنى وماليا

وقال زيد بن عمرو يعاتب امرأته صفية بنت الحضرمى (قال ابن هشام) واسم الحضرمى عبد الله بن عباد أحد الصدف واسم الصدف عمرو بن مالك أحد السكون بن أشرس بن كندى ويقال كندة بن ثور بن مرتع بن عفير بن عدى بن الحرث بن مرة بن أدد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا ويقال مرتع بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا * قال ابن اسحق وكان زيد بن عمرو قد أجمع الخروج من مكة ليضرب فى الارض يطلب الحنيفية دين ابراهيم صلى الله عليه وسلم فكانت صفية بنت الحضرمى كلما رأته قد تهيأ للخروج وأراده آذنت به الخطاب بن نفيل وكان الخطاب بن نفيل عمه وأخاه لامه وكان يعاتبه على فراق دين قومه وكان الخطاب قد وكل صفية به وقال اذا رأيتيه قد هم بامر فآذنيني به فقال زيد

لا تحبسيني فى الهوا * ن صفى ما دأبى ودأبه
انى اذا خفت الهوا * ن مشيع ذلل ركابه
دعموص أبواب الملوك وجائب للخرق نابه
قطاع أسباب تذل * بغير اقران صعابه
وانما أخذ الهوا * ن العير اذ يوهى اهابه

يريد حنان دفع وحنان نفع لان كل من أمل ملكا فانما يؤمله ليدفع عنه ضيرا او ليجلب اليه خيرا * وقوله فلن ارى ادين إلها اى أدين لاله وحذف اللام وعدى الفعل لانه فى معنى اعبد الها * وقوله غيرك الله برفع الهاء اراد يا الله وهذا لا يجوز فيما فيه الالف واللام الا ان حكم الالف واللام فى هذا اللفظ المعظم يخالف حكمها فى سائر الاسماء الا ترى انك تقول يا ايها الرجل ولا ينادى اسم الله بيا ايها وتقطع همزته فى النداء فتقول يا الله ولا يكون ذلك فى اسم غيره الى احكام كثيرة يخالف فيها هذا الاسم لغيره من الاسماء المعرفة ولعل بعض ذلك ان يذكر فيما بعد ان شاء الله وقد استوفيناه فى غير هذا الكتاب وفيه بيت حسن لم يذكره ابن اسحق وذكره ابو الفرج فى اخبار زيد وهو

أدين إلاها يستجار ولا أرى * أدين لمن لم يسمع الدهر داعيا

وفيه فقلت الا يا اذهب على حذف المنادى كانه قال الا يا هذا اذهب كما قرئ الا يا اسجدوا يريد يا قوم اسجدوا او كما قال غيلان * ألا يا اسلمى يا دارمى على البلى * وفيه اذهب وهارون عطفا على الضمير فى اذهب وهو قبيح اذ لم يؤكد ولو نصبه على المفعول معه لكان جيدا * وقوله اطمأنت كما هيا وزنه افلعلت لان الميم أصلها أن تكون بعد الالف لانه من تطامن أى تطأطأ وانما قدموها اتباعدا الهمزة التى هى عين الفعل من همزة الوصل فتكون أخف عليهم فى اللفظ كما فعلوا فى أشياء حين قلبوها فى قول الخليل وسيبويه فرارا من تقارب الهمزتين كما هيا ما زائدة لتكف الكاف عن العمل وتهيئها للدخول على الجمل وهى اسم مبتدأ والخبر محذوف التقدير كما هى عليه والكاف فى موضع نصب على الحال من المصدر الذى دل عليه اطمأن كما تقول سرت مثل سير زيد فتل حال من سيرك الذى سرته وفيه ارفق اذا بك بانيا ارفق تعجب وبك فى موضع رفع لان المعنى رفقت وبانيا تمييز لانه يصلح أن يجر بمن كما تقول أحسن بزيد من رجل وحرف الجر متعلق بمعنى التعجب اذ قد علم انك متعجب منه وابسط هذا المعنى وكشفه موضع غير هذا ان شاء الله وبعد قوله

* وقد بات فى أضعاف حوت لياليا * بيت لم يذكره ابن اسحق ووقع فى جامع ابن وهب وهو

وأنبت يقطينا عليه برحمة * من الله لولا ذاك أصبح ضاحيا

* وذكر صفية بنت الحضرمى واسم الحضرمى عبد الله بن عمار وسيأتى ذكر نسبها عند ذكر أخيها بعد * وقوله دعموص أبواب الملوك يريد ولاجا فى أبواب الملوك واصل الدعموص سمكة صغيرة كحية الماء فاستعاره هنا وكذلك جاء فى حديث أبى هريرة يرفعه صغاركم دعاميص الجنة وكما استعارت عائشة العصفور حين نظرت الى طفل صغير قد مات فقالت طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل سوء فقال لها النبى صلى الله عليه وسلم وما يدريك ان الله خلق الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا خرجه مسلم وفى هذه الابيات خرم فى موضعين أحدهما قوله ولو أشاء لقلت ما * عندى مفاتحه وبابه والآخر قوله وانما أخذ الهوان العير * اذ يوهى اهابه وقد تقدم مثل هذا فى شعر ابن الزبعرى وتكلمنا عليه هنالك بما فيه كفاية

و يقـول انى لاأذ * ل بصك جنبيه صلابه   واخى ابن أمى ثم عمـ * ـى لايواتـينى خطابه
واذا يعاتبنى بسـو * ء قلت أعيانى جوابه   ولو أشـاء لقلت ما * عنـدى مفاتحه وبابه

* قال ابن اسحق وحدث بعض أهل زيد بن عمرو بن نفيل أن زيدا كان اذا استقبل الكعبة داخل المسجد قال لبيك حقا حقا تعبدا ورقا
عذت بما عاذ به ابراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم اذ قال   أنفى لك اللهم عان راغم * مهما تجشمنى فانى جاشم   البر أبغى لا الخال
ليس مهجر كمن قال «قال ابن هشام» ويقال البر أبقى لا الخال ليس مهجر كمن قال قال وقوله مستقبل الكعبة عن بعض أهل العلم * قال ابن
اسحق وقال زيد بن عمرو بن نفيل   وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له الارض تحمل صخرا ثقالا
دحاها فلما رآها استوت * على الماء أرسى عليها الجبالا   وأسلمت وجهى لمن أسلمت * له المزن تحمل عذبا زلالا
اذا هى سيقت الى بلدة * أطاعت (١٥٠) فصبت عليها سجالا   وكان الخطاب قد آذى زيدا حتى أخرجه الى أعلى
مكة فنزل حراء مقابل مكة ووكل به الخطاب شبابا من شباب قريش وسفهاء من سفهائهم فقال لهم لا تتركوه يدخل مكة فكان لا يدخلها الا سرا منهم فاذا علموا بذلك آذنوا به الخطاب فاخرجوه وآذوه كراهية أن يفسد عليهم دينهم وأن يتابعه أحد منهم على فراقه فقال وهو يعظم حرمته على من استحل منه ما استحل من قومه

لاهم انى محرم لا حله * وان بيتى أوسط المحله * عند الصفا ليس بذى مضله *

ثم خرج يطلب دين ابراهيم عليه السلام ويسأل الرهبان والاحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل فجال الشام كلها حتى انتهى الى راهب بميفعة من   لا تعجبوا
أرض البلقاء كان ينتهى اليه علم أهل النصرانية فيما يزعمون فسأله عن الحنيفية دين ابراهيم فقال انك لتطلب دينا ما أنت بواجد من يحملك عليه
اليوم ولكن قد أظل زمان نبى يخرج من بلادك التى خرجت منها يبعث بدين ابراهيم الحنيفية فالحق بها فانه مبعوث الآن هذا زمانه وقد كان
شام اليهودية والنصرانية فلم يرض شيئا منهما فخرج سريعا حين قال له ذلك الراهب ما قال يريد مكة حتى اذا توسط بلاد لخم عدوا عليه فقتلوه
فقال ورقة بن نوفل بن أسد يبكيه   رشدت وأنعمت ابن عمرو وانما * تجنبت تنورا من النار حاميا
بدينك ربا ليس رب كمثله * وتركك أوثان الطواغى كما هيا   وادراكك الدين الذى قد طلبته * ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فاصبحت فى دار كريم مقامها * تعالل فيها بالكرامة لاهيا   تلاقى خليل الله فيها ولم تكن * من الناس جبارا الى النار هاويا
وقد تدرك الانسان رحمة ربه * ولو كان تحت الارض سبعين واديا   «قال ابن هشام» يروى لامية بن أبى الصلت البيتان
الاولان منها وآخرها بيتا فى قصيدة له وقوله أوثان الطواغى عن غير ابن اسحق

* وقوله ويقول انى لا أذل أى يقول العير ذلك بصك جنبيه صلابه أى صلاب ما يوضع عليه وأضافها الى العير لانها عبؤه وحمله * وذكر قوله البر أبغى لا الخال قال ابن هشام البر أبغى بالنصب والخال الخيلاء والكبر * وقوله ليس مهجر كمن قال أى ليس من هجر وتكيس كمن آثر القائلة والنوم فهو من قال يقيل وهو ثلاثى ولكن لا يتعجب منه لا يقال ما أقيله قال أهل النحو استغنوا عنه بما أنومه ولذكر السيرفى امتناع التعجب من هذا الفعل موضع غير هذا * وقول زيد انى محرم لا حله محرم أى ساكن بالحرم والحلة أهل الحل يقال للواحد والجميع حلة * ذكر لقاء زيد الراهب بميفعة هكذا تقيد فى الاصل بكسر الميم من ميفعة والقياس فيها الفتح لانه اسم لموضع أخذ من اليفاع وهو المرتفع من الارض * وقوله شام اليهودية والنصرانية هو فاعل من الشم كما قال يزيد بن شيبان حين سأل النسابة من قضاعة ثم انصرف فقال له النسابة شاممتنا مشامة الذئب الغنم ثم تنصرف فى حديث ذكره أبو على فى النوادر ومعناه استخبر فاستعاره من الشم فنصب اليهودية والنصرانية نصب المفعول ومن خفض جعل شام اسم فاعل من شممت والفعل أولى بهذا الموضع كما تقدم * وقول ورقة رشدت وأنعمت ابن عمرو أى رشدت وبالغت فى الرشد كما يقال أمعنت النظر وأنعمته * وقوله ولو كان تحت الارض سبعين واديا بالنصب نصب سبعين على الحال لانه قد يكون صفة للنكرة كما قال * فلو كنت فى جب ثمانين قامة * وما صفة للنكرة يكون حالا من المعرفة وهو هنا حال من البعد كانه قال ولو بعد تحت الارض سبعين كما تقول بعد طويلا أى بعدا طويلا واذا حذفت المصدر وأقمت الصفة مقامه لم تكن الا حالا وقد تقدم قول سيبويه فى ذلك فى مسئلة ساروا رويدا ونحو هذا دارى خلف دارك فرسخا أى تقرب منها فرسخا إن أردت القرب وكذلك إن أردت البعد فالبعد والقرب مقدران بالفرسخ فلو قلت دارى تقرب منك قربا مقدرا بفرسخ لكان بمنزلة من يقول قربا كثيرا أو قليلا فالفرسخ موضوع موضع كثير أو قليل فاعرابه كاعرابه وكذلك قول الشاعر

﴿ صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانجيل ﴾ * قال ابن اسحق وقد كان فيما بلغني عما كان وضع عيسى بن مريم فيما جاءه من الله في الانجيل لاهل الانجيل من صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما أثبت يحنس الحوارى لهم حين نسخ لهم الانجيل عن عهد عيسى ابن مريم عليه السلام في رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم بانه قال من أبغضني فقد أبغض الرب ولولا أنى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ما كانت لهم خطيئة ولكن من الآن بطروا وظنوا انهم يعزونني وأيضا للرب ولكن لا بد من أن تتم الكلمة التى في الناموس انهم أبغضوني مجانا أي باطلا فلو قد جاء المنحمنا هذا الذى يرسله الله اليكم من عند الرب روح القدس هذا الذى من عند الرب خرج فهو شهيد على وأنتم أيضا لانكم قديما كنتم معى في هذا قلت لكم لكيما لا تشكوا والمنحمنا بالسريانية محمد وهو بالرومية البرقليطس صلى الله عليه وعلى آله وسلم

﴿ مبعث النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما ﴾

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال فلما بلغ محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعين سنة بعثه الله تعالى رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرا وكان الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على كل نبى بعثه قبله بالايمان به والتصديق له والنصر له على من خالفه وأخذ عليهم أن يؤدوا ذلك الى كل من آمن بهم وصدقهم فأدوا من ذلك ما كان عليهم من الحق فيه يقول الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى أى ثقل ما حملتكم من عهدى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين فأخذ الله ميثاق النبيين جميعا

لا تعجبوا فلو أن طول قناته * ميل اذا نظم الفوارس ميلا

أى نظمهم نظما مستطيلا ووضع ميلا موضع مستطيلا فاعرابه كاعرابه فهو وصف للمصدر واذا أقيم الوصف مقام الموصوف في هذا الباب لم يكن حالا من الفاعل لكن من المصدر الذى يدل الفعل عليه بلفظه نحو سار واطويلا وسقيتها أحسن من سقى ابلك ونحو ذلك

﴿ فصل ﴾ وذكر يحنس الحوارى وسيأتى في آخر الكتاب ذكر الحواريين كلهم باسمائهم * وذكر قوله أبغضونى مجانا أى باطلا وكذلك جاء في الحكمة يا ابن آدم علم مجانا كما علمت مجانا أى بلا ثمن وفى وصايا الحكماء شاور ذوى الاسنان والعقول يعطوك من رأيهم مجانا ما أخذوه بالثمن أى بطول التجارب ومن صفة النبى صلى الله عليه وسلم في التوراة ما رواه البخارى عن عبد الله بن عمرو قال وجدت في التوراة صفة النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء فيفتح به عيونا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا بان يقولوا لا اله الا الله ومما وجد من صفته صلى الله عليه وسلم عند الاحبار ما ذكره الواقدى من حديث النعمان السبئى قال وكان من أحبار يهود باليمن فلما سمع بذكر النبى صلى الله عليه وسلم قدم عليه فسأله عن أشياء ثم قال ان أبى كان يختم على سفر يقول لا تقرأه على يهود حتى تسمع بنبى قد خرج بيثرب فاذا سمعت به فافتحه قال نعمان فلما سمعت بك فتحت السفر فاذا فيه صفتك كما أراك الساعة واذا فيه ما تحل وما تحرم واذا فيه انك خير الانبياء وأمتك خير الامم واسمك أحمد وأمتك الحامدون قربانهم دماؤهم وأناجيلهم صدورهم وهم لا يحضرون قتالا الا وجبريل معهم يتحنن الله عليهم كتحنن النسر على فراخه ثم قال لى اذا سمعت به فاخرج اليه وآمن به وصدق به فكان النبى صلى الله عليه وسلم يحب أن يسمع أصحابه حديثه فأتاه يوما فقال له النبى صلى الله عليه وسلم يا نعمان حدثنا فابتدأ النعمان الحديث من أوله فرؤى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يتبسم ثم قال اشهد انى رسول الله وهو الذى قتله الاسود العنسى وقطعه عضوا عضوا وهو يقول ان محمدا رسول الله وانك كذاب مفتر على الله ثم حرقه بالنار

﴿ كتاب المبعث ﴾

ذكر ابن اسحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث على رأس أربعين من مولده عليه السلام وهذا مروى عن ابن عباس وجبير بن مطعم وقباث بن أشيم وعطاء وسعيد بن المسيب وأنس بن مالك وهو صحيح عند أهل السير والعلم بالاثر وقد روى أنه نبئ على رأس أربعين وشهرين من مولده وقيل لقباث بن أشيم من أكبر أنت أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله أكبر منى وأنا أسن منه وولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ووقفت بى أمى على روث الفيل ويروى خزق الطير فرأيته أخضر محيلا أى قد أتى عليه حول وفى غير رواية البكائى من هذا الكتاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لبلال لا يفتك صيام يوم الاثنين فانى قد ولدت فيه وبعثت فيه وأموت فيه * وذكر ابن اسحق قول الله سبحانه «واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة» الآية وما في هذه الآية اسم مبتدأ بمعنى الذى والتقدير

بالتصديق له والنصر له ممن خالفه وأدوا ذلك الى من آمن بهم وصدقهم من أهل هذين الكتابين * قال ابن اسحق فذكر الزهري عن عروة بن الزبير عن عائشة رضى الله عنها انها حدثته ان أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة لا يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به رؤيا فى نومه الا جاءت كفلق الصبح قالت وحبب الله تعالى اليه الخلوة فلم يكن شئ أحب اليه من أن يخلو وحده * وقال ابن اسحق وحدثنى عبد الملك بن عبيد الله بن أبى سفيان بن العلاء ابن جارية الثقفى وكان واعية عن بعض أهل العلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أراده الله بكرامته وابتدأه بالنبوة كان اذا خرج لحاجته أبعد حتى تحسر عنه البيوت ويفضى الى شعاب مكة وبطون أوديتها فلا يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا رسول الله قال فيلتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم حوله وعن يمينه وشماله وخلفه فلا يرى الا الشجر والحجارة فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك يرى ويسمع ماشاء الله أن يمكث ثم جاءه جبريل بما جاءه من كرامة الله وهو بحراء فى شهر رمضان

للذى آتينا كم من كتاب وحكمة ولا يصح أن تكون فى موضع نصب على اضمار فعل كما ينتصب ما يشتغل عنه الفعل بضميره لان ما بعد اللام الثانية لا يجوز أن يعمل فيما قبلها وما لا يجوز ان يعمل فيما قبله فلا يجوز ان يكون تفسيرا لما يعمل فيه وقد قيل ان ما هذه شرط والتقدير لمهما آتينا كم من كتاب وحكمة لتؤمنن به وهو ظاهر قول سيبويه لانه جعلها بمنزلة ان وقول الخليل انها بمنزلة الذى أى انها اسم لا حرف ويمكن الجمع بين قوليهما على هذا فتكون اسما وتكون شرطا ويحتمل أيضا ان تكون على قول الخليل خبرية فى موضع رفع بالابتداء ويكون الخبر لتؤمنن به ولتنصرنه وان كان الضميران عائدين على الرسول لا على الذى ولكن لما قال رسول مصدق لما معكم ارتبط الكلام بعضه ببعض واستغنى بالضمير العائد على الرسول عن ضمير يعود على المبتدا وله نظير فى التنزيل منه قوله تعالى «والذين يتوفون منكم» خبره يتربصن بانفسهن ولم يعد على المبتدا شئ لتشبث الكلام بعضه ببعض وقد لاح لى بعد نظرى الكتاب ان الذى قاله الخليل وقول سيبويه قول واحد غير انه قال ودخول اللام على ما كدخولها على ان يعنى فى الجزاء ولم يرد ان يعمل ما جزاء وانما تكلم على اللام خاصة والله أعلم * وذكر قول ابن اسحق والنبوة أثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستطيعها الا أهل القوة والعزم من الرسل ووقع فى رواية يونس عن ابن اسحق فى هذا الموضع عن ربيعة ابن أبى عبد الرحمن قال سمعت وهب بن منبه وهو فى مسجد منى وذكر له يونس النبى صلى الله عليه وسلم فقال كان عبدا صالحا وكان فى خلقه ضيق فلما حملت عليه أثقال النبوة ولها أثقال تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فالقاها عنه وخرج هاربا وفى رواية عن ابن اسحق ان أولى العزم من الرسل منهم نوح وهود وابراهيم أما نوح فلقوله «ياقوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله» واما هود فلقوله «انى أشهد الله واشهدوا انى برئ مما تشركون» وأما ابراهيم فلقوله هو والذين معه «انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله» وأمر الله نبينا أن يصبر كما صبر هؤلاء

﴿فصل﴾ وذكر ابن اسحق ما بدئ به النبى صلى الله عليه وسلم من النبوة اذ كان لا يمر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يارسول الله وفى مصنف الترمذى ومسلم أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انى لاعرف حجرا بمكة كان يسلم على قبل أن ينزل على وفى بعض المسندات زيادة ان هذا الحجر الذى كان يسلم عليه هو الحجر الاسود وهذا التسليم الاظهر فيه أن يكون حقيقة وأن يكون الله أنطقه انطاقا كما خلق الحنين فى الجذع ولكن ليس من شرط الكلام الذى هو صوت وحرف الحياة والعلم والارادة لانه صوت كسائر الاصوات والصوت عرض فى قول الاكثرين ولم يخالف فيه الا النظام فانه زعم أنه جسم وجعله الاشعرى اصطكاكا فى الجواهر بعضها لبعض وقال أبو بكر بن الطيب ليس الصوت نفس الاصطكاك ولكنه معنى زائد عليه وللاحتجاج على القولين وهما موضع غير هذا ولو قدرت الكلام صفة قائمة بنفس الحجر والشجر والصوت عبارة عنه لم يكن بد من اشتراط الحياة والعلم مع الكلام والله أعلم أى ذلك كان أكان كلاما مقرونا بحياة وعلم فيكون الحجر به مؤمنا أو كان صوتا مجردا غير مقترن بحياة وفى كلا الوجهين هو علم من أعلام النبوة وأما حنين الجذع فقد سمى حنينا وحقيقة الحنين يقتضى شرط الحياة وقد يحتمل تسليم الحجارة أن يكون مضافا فى الحقيقة الى ملائكة يسكنون تلك الاماكن ويعمرونها فيكون مجازا من باب قوله تعالى «واسئل القرية» والاول أظهر وان كانت كل صورة من هذه الصور التى ذكرناها فيها علم على نبوته عليه السلام غير أنه لا يسمى معجزة فى اصطلاح المتكلمين الا ما تحدى به الخلق فعجزوا عن معارضته

* قال ابن اسحق وحدثني وهب بن كيسان مولى آل الزبير قال سمعت عبد الله بن الزبير وهو يقول لعبيد بن عمير بن قتادة الليثي حدثنا يا عبيد كيف كان بدؤ ما ابتدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من النبوة حين جاءه جبريل عليه السلام قال فقال عبيد وأنا حاضر يحدث عبد الله ابن الزبير ومن عنده من الناس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء من كل سنة شهرا وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية والتحنث التبرر * قال ابن اسحق وقال أبو طالب

وثور ومن أرسى ثبيرا مكانه
وراق ليرقى في حراء ونازل

« قال ابن هشام » تقول العرب التحنث والتحنف يريدون الحنيفية فيبدلون الفاء من الثاء كما قالوا جدف وجدث يريدون القبر قال رؤبة بن العجاج لو كان أحجاري مع الاجداف * يريد الاجداث وهذا البيت في أرجوزة له وبيت أبي طالب في قصيدة له سأذكرها ان شاء الله في موضعها « قال ابن هشام » وحدثني أبو عبيدة أن العرب تقول فم في موضع ثم يبدلون الفاء من الثاء * قال ابن اسحق حدثني وهب بن كيسان قال قال عبيد فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور ذلك الشهر من كل سنة يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره من شهره ذلك كان أول ما يبدؤ به اذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ما شاء الله من ذلك ثم يرجع الى بيته حتى اذا كان الشهر الذي أراد الله تعالى به فيه ما أراد من كرامته من السنة التي بعثه الله تعالى فيها وذلك الشهر رمضان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حراء كما كان يخرج لجواره ومعه أهله حتى اذا كانت الليلة التي أكرمه الله فيها برسالته ورحم العباد بها جاءه جبريل عليه السلام بأمر الله تعالى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءني جبريل وأنا نائم

* وذكر حديث عبيد بن عمير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجاور بغار حراء ويتحنث فيه قال والتحنث التبرر تفعل من البر وتفعل يقتضي الدخول في الفعل وهو الاكثر فيها مثل تفقه وتعبد وتنسك وقد جاءت في ألفاظ يسيرة تعطي الخروج عن الشيء واطراحه كالتأثم والتحرج والتحنث بالثاء المثلثة لانه من الحنث وهو الحمل الثقيل وكذلك التقذر انما هو تباعد عن القذر وأما التحنف بالفاء فهو من باب التبرر لانه من الحنيفية دين ابراهيم وان كان الفاء مبدلة من الثاء فهو من باب التقذر والتأثم وهو قول ابن هشام واحتج بجدف وجدث وأنشد قول رؤبة * لو كان أحجاري مع الاجداف * وفي بيت رؤبة هذا شاهد ورد على ابن جني حيث زعم في سر الصناعة أن جدف بالفاء لا يجمع على أجداف واحتج بهذا لمذهبه في أن الثاء هي الاصل وقول رؤبة رد عليه والذي نذهب اليه ان الفاء هي الاصل في هذا الحرف لانه من الجدف وهو القطع ومنه مجداف السفينة وفي حديث عمر في وصف الجن شرابهم الجدف وهي الرغوة لانها تجدف عن الماء وقيل هي نبات يقطع ويؤكل وقيل كل اناء كشف عنه غطاؤه جدف والجدف القبر من هذا فله مادة وأصل في الاشتقاق فاجدر بان تكون الفاء هي الاصل والثاء داخلة عليها * وقوله يجاور في حراء الى آخر الكلام الجوار بالكسر في معنى المجاورة وهي الاعتكاف ولا فرق بين الجوار والاعتكاف الا من وجه واحد وهو أن الاعتكاف لا يكون الا داخل المسجد والجوار قد يكون خارج المسجد كذلك قال ابن عبد البر ولذلك لم يسم جواره بحراء اعتكافا لان حراء ليس من المسجد ولكنه من جبال الحرم وهو الجبل الذي نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال له ثبير وهو على ظهره اهبط عني فاني أخاف أن تقتل على ظهري فاعذب فناداه حراء الى الي يا رسول الله

﴿فصل﴾ وذكر نزول جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الحديث فأتاني وأنا نائم وقال في آخره فهببت من نومي فكانما كتبت في قلبي كتابا وليس ذكر النوم في حديث عائشة ولا غيرها بل في حديث عروة عن عائشة ما يدل ظاهره على أن نزول جبريل حين نزل بسورة اقرأ كان في اليقظة لانها قالت في أول الحديث أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة كان لا يرى رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب الله اليه الخلاء الى قولها حتى جاءه الحق وهو بغار حراء فجاءه جبريل فذكرت في هذا الحديث ان الرؤيا كانت قبل نزول جبريل على النبي عليه السلام بالقرآن وقد يمكن الجمع بين الحديثين بان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه جبريل في المنام قبل أن يأتيه في اليقظة توطئة وتيسيرا عليه ورفقا به لان أمر النبوءة عظيم وعبؤها ثقيل والبشر ضعيف وسيأتي في حديث الاسراء من مقالة العلماء ما يؤكد هذا ويصححه قد ثبت بالطرق الصحاح عن عامر الشعبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل به اسرافيل فكان يتراآه ثلاث سنين ويأتيه بالكلمة من الوحي والشيء ثم وكل به جبريل فجاءه بالقرآن والوحي فعلى هذا كان نزول الوحي عليه صلى الله عليه وسلم في أحوال مختلفة فمنها النوم كما في حديث ابن اسحق وكما قالت عائشة أيضا أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم الرؤيا الصادقة وقد قال ابراهيم عليه السلام «اني أرى في المنام اني أذبحك فانظر ماذا ترى» فقال له ابنه «افعل ما تؤمر» فدل على أن الوحي كان يأتيهم

فى المنام كما يأتيهم فى اليقظة ومنها أن ينفث فى روعه الكلام نفثا كما قال عليه السلام ان روح القدس نفث فى روعى أن نفسا لن تموت حتى تستكمل أجلها ورزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب وقال مجاهد وأكثر المفسرين فى قوله سبحانه «وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا» قال هو أن ينفث فى روعه بالوحى ومنها أن يأتيه الوحى فى مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليه وقيل ان ذلك ليستجمع قلبه عند تلك الصلصلة فيكون أوعى لما يسمع وألقن لما يلقى ومنها أن يتمثل له الملك رجلا فقد كان يأتيه فى صورة دحية بن خليفة ويروى أن دحية اذا قدم المدينة لم تبق معصر الا خرجت تنظر اليه لفرط جماله وقال ابن سلام فى قوله تعالى «واذا رأوا تجارة أو لهوا» قال كان اللهو نظرهم الى وجه دحية لجماله ومنها أن يتراآه جبريل فى صورته التى خلقه الله فيها له ستمائة جناح ينتشر منها اللؤلؤ والياقوت ومنها أن يكلمه الله من وراء حجاب اما فى اليقظة كما كلمه فى ليلة الاسراء واما فى النوم كما قال فى حديث معاذ الذى رواه الترمذى قال أتانى ربى فى أحسن صورة فقال فيم يختصم الملأ الاعلى فقلت لا أدرى فوضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين ثندوتى وتجلى لى علم كل شىء وقال يا محمد فيم يختصم الملأ الاعلى فقلت فى الكفارات فقال وما هن فقلت الوضوء عند الكريهات ونقل الاقدام الى الحسنات وانتظار الصلوات بعد الصلوات فمن فعل ذلك عاش حميدا ومات حميدا وكان من ذنبه كمن ولدته أمه وذكر الحديث فهذه ستة أحوال وحالة سابعة قد قدمنا ذكرها وهى نزول اسرافيل عليه بكلمات من الوحى قبل جبريل فهذه سبع صور فى كيفية نزول الوحى على محمد صلى الله عليه وسلم لم أر أحدا جمعها كهذا الجمع وقد استشهدنا على صحتها بما فيه غنية وقد أملينا أيضا فى حقيقة رؤيته عليه السلام ربه فى المنام على أحسن صورة ويروى على صورة شاب مسئلة بديعة كاشفة لقناع اللبس فلتنظر هنالك

﴿فصل﴾ وذكر فى الحديث أن جبريل أتاه بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ قال بعض المفسرين فى قوله «الم ذلك الكتاب لا ريب فيه» انها اشارة الى الكتاب الذى جاءه به جبريل حين قال له اقرأ وفى الآية أقوال غير هذه منها انها اشارة الى ما تضمنه قوله سبحانه الم لان هذه الحروف المقطعة تضمنت معانى الكتاب كله فهى كالترجمة له * وقوله ما أنا بقارئ أى انى أمى فلا أقرأ الكتب قالها ثلاثا فقيل له اقرأ باسم ربك أى انك لا تقرؤه بحولك ولا بصفة نفسك ولا بمعرفتك ولكن اقرأ مفتتحا باسم ربك مستعينا به فهو يعلمك كما خلقك وكما نزع عنك علق الدم ومغمز الشيطان بعد ما خلقه فيك كما خلقه فى كل انسان والآيتان المتقدمتان لمحمد والآخرتان لامته وهما قوله تعالى «الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم» لانها كانت أمة أمية لا تكتب فصاروا أهل كتاب وأصحاب قلم فتعلموا القرآن بالقلم وتعلمه نبيهم تلقينا من جبريل نزله على قلبه باذن الله ليكون من المرسلين

﴿فصل﴾ وفى قوله اقرأ باسم ربك من الفقه وجوب استفتاح القراءة ببسم الله الرحمن الرحيم غير أنه أمر مبهم لم يبين له باى اسم من أسماء ربه يفتتح حتى جاء البيان بعد فى قوله «بسم الله مجراها» ثم قوله تعالى «وانه بسم الله الرحمن الرحيم» ثم كان بعد ذلك ينزل جبريل عليه ببسم الله الرحمن الرحيم مع كل سورة وقد ثبت فى سواد المصحف باجماع من الصحابة على ذلك وما ذكره البخارى من مصحف الحسن البصرى فشذوذ فهى على هذا من القرآن اذ لا يكتب فى المصحف ما ليس بقرآن ولا يلتزم قول الشافعى انها آية من كل سورة ولا أنها آية من الفاتحة بل نقول انها آية من كتاب الله تعالى مقترنة مع السورة وهو قول داود وأبى حنيفة وهو قول بين القوة لمن أنصف وحين نزلت بسم الله الرحمن الرحيم سبحت الجبال فقالت قريش سحر محمد الجبال

بنمط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ قال قلت ما أقرأ قال فغتنى به حتى ظننت انه الموت ثم أرسلنى فقال اقرأ قلت ما أقرأ قال فغتنى به حتى ظننت انه الموت ثم ارسلنى فقال اقرأ قال قلت ماذا اقرأ قال فغتنى به حتى ظننت انه الموت ثم أرسلنى فقال اقرأ قال فقلت ماذا اقرأ ما أقول ذلك الا افتداء منه ان يعود لى بمثل ما صنع بى فقال اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم قال فقرأتها ثم انتهى فانصرف عنى وهببت من نومى فكأنما كتبت فى قلبى كتابا قال فخرجت حتى اذا كنت فى وسط من الجبل

ذكره

ذكره النقاش وان صح ماذكره فلمعنى ما سبحت عند نزولها خاصة وذلك انها آية انزلت على آل داود وقد كانت الجبال تسبح مع داود كما قال الله تعالى «انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق» وقال «انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم» وفى الحديث ذكر نمط الديباج من الكتاب وفيه دليل واشارة الى ان هذا الكتاب يفتح على أمته ملك الاعاجم ويسلبونهم الديباج والحرير الذى كان زيهم وزينتهم وبه أيضا ينال ملك الآخرة ولباس الجنة وهو الحرير والديباج وفى سير موسى بن عقبة وسير سليمان بن المعتمر زيادة وهو أن جبريل أتاه بدرنوك من ديباج منسوج بالدر والياقوت فاجلسه عليه غير أن موسى بن عقبة قال ببساط ولم يقل درنوك وقال فى سير ابن المعتمر ان الله تعالى أنزل عليه «ألم نشرح لك صدرك» الآيات كانه يشير به فسح جبريل صدره وقال اللهم اشرح صدره وارفع ذكره وضع عنه وزره ويصحح ما رواه ابن المعتمر أن الله تعالى أنزل عليه ألم نشرح لك صدرك الآيات كانه يشير الى ذلك الدعاء الذى كان من جبريل والله أعلم * وقوله فى الحديث فغطنى ويروى فسأبنى ويروى سأتنى وأحسبه أيضا يروى فذعتنى وكلها بمعنى واحد وهو الخنق والغم ومن الذعت حديثه الآخر ان الشيطان عرض له وهو يصلى قال فذعته حتى وجدت برد لسانه على يدى ثم ذكرت قول أخى سليمان رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى الحديث وكان فى ذلك اظهار للشدة والجد فى الامر وان يأخذ الكتاب بقوة ويترك الاناة فانه أمر ليس بالهوينا وقد انتزع بعض التابعين وهو شريح القاضى من هذا الا يضرب الصبى على القرآن الا ثلاثا كما غط جبريل عليه السلام محمدا صلى الله عليه وسلم ثلاثا وعلى رواية ابن اسحق ان ذلك فى نومه كان يكون فى تلك الغطات الثلاث من التأويل ثلاث شدائد يبتلى بها أولا ثم يأتى الفرج والروح وكذلك كان لقى هو وأصحابه شدة من الجوع فى شعب الخيف حين تعاقدت قريش ألا يبيعوا منهم ولا يتركوا ميرة تصل اليهم وشدة أخرى من الخوف والايعاد بالقتل وشدة أخرى من الاجلاء عن أحب الاوطان اليه ثم كانت العاقبة للمتقين والحمد لله رب العالمين * وقوله فى حديث ابن اسحق اقرأ قال ما أقرأ يحتمل أن تكون ما استفهاما يريد أى شىء أقرأ ويحتمل ان تكون نفيا ورواية البخارى ومسلم تدل على أنه أراد النفى أى ما أحسن ان أقرأ كما تقدم من قوله ما أنا بقارئ * وذكر رؤيته لجبريل وهو صاف قدميه وفى حديث جابر انه رآه على رفرف بين السماء والارض ويروى على عرش بين السماء والارض وفى حديث البخارى الذى ذكره فى آخر الجامع انه حين فتر عنه الوحى كان يأتى شواهق الجبال يهم بان يلقى نفسه منها فكان جبريل يتراآى له بين السماء والارض يقول له أنت رسول الله وأنا جبريل واسم جبريل سريانى ومعناه عبد الرحمن أو عبد العزيز هكذا جاء عن ابن عباس موقوفا ومرفوعا أيضا والوقف أصح وأكثر الناس على أن آخر الاسم منه هو اسم الله وهو إيل وكان شيخنا رحمه الله يذهب مذهب طائفة من أهل العلم فى ان هذه الاسماء اضافتها مقلوبة وكذلك الاضافة فى كلام العجم يقولون فى غلام زيد زيد غلام فعلى هذا يكون ايل عبارة عن العبد ويكون أول الاسم عبارة عن اسم من أسماء الله تعالى ألا ترى كيف قال فى حديث ابن عباس جبريل وميكائيل كما تقول عبد الله وعبد الرحمن ألا ترى أن لفظ عبد يتكرر بلفظ واحد والاسماء ألفاظها مختلفة وأما الال بالتشديد من قوله تعالى «الا ولا ذمة» فحذار حذار من أن تقول فيه هو اسم الله فتسمى الله باسم لم يسم به نفسه ألا ترى أن جميع اسماء الله تعالى معرفة والال نكرة وحاشى لله ان يكون اسمه نكرة وانما الال كل ماله حرمة وحق فماله حق ويجب تعظيمه القرابة والرحم والجوار والعهد وهو من أللت اذا اجتهدت فى الشىء وحافظت عليه ولم تضيعه ومنه الال فى السير وهو الجد ومنه قول الكميت

سمعت صوتا من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال فرفعت رأسى الى السماء أنظر فاذا جبريل فى صورة رجل صاف قدميه فى أفق السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال فوقفت أنظر اليه فما أتقدم وما أتأخر وجعلت أصرف وجهى عنه فى آفاق السماء قال فلا أنظر فى ناحية منها الا رأيته كذلك فما زلت واقفا ما أتقدم أمامى وما أرجع ورائى حتى بعثت خديجة رسلها فى طلبى فبلغوا أعلى مكة ورجعوا اليها وأنا واقف فى مكانى ذلك ثم انصرف عنى وانصرفت راجعا الى أهلى حتى أتيت خديجة فجلست الى فخذها مضيفا اليها فقالت يا أبا القاسم أين كنت فوالله لقد بعثت رسلى فى طلبك حتى بلغوا مكة ورجعوا الى ثم حدثتها بالذى رأيت فقالت أبشر يا ابن عم واثبت فوالذى نفس خديجة بيده انى لأرجو أن تكون نبى هذه الامة ثم قامت فجمعت عليها ثيابها

وأنت ما أنت في غبراء مجدبة * اذا دعت ألهيها الكاعب الفضل

يريد اجتهدت في الدعاء واذا كان الال بالفتح المصدر فالال بالكسر الاسم كالذبح من الذبح فهو اذا الشيء المحافظ عليه وقول الصديق هذا كلام لم يخرج من ال ولا برأى لم يصدر عن ربوبية لان الربوبية حقها واجب معظم وكذلك فسره أبو عبيد واتفق في اسم جبريل عليه السلام انه موافق من جهة العربية لمعناه وان كان أعجميا فان الجبر هو اصلاح ما وهى وجبريل موكل بالوحى وفى الوحى اصلاح ما فسد وجبر ما وهى من الدين ولم يكن معروفا بمكة ولا بارض العرب فلما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم خديجة به انطلقت تسئل من عنده علم من الكتاب كعداس ونسطور الراهب فقال لها قدوس قدوس انى لهذا الاسم أن يذكر في هذه البلاد وقد قدمنا هذا الخبر عنها وهو في سير التيمى لما ذكرناه قبل وفي كتاب المعيطى عن أشهب قال سئل مالك عن التسمى بجبريل أو من يسمى به ولده فكره ذلك ولم يعجبه * وقول ورقة لقد جاءه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى الناموس صاحب سر الملك وقال بعضهم هو صاحب سر الخير والجاسوس هو صاحب سر الشر وقد فسره أبو عبيد وأنشد

فابلغ يزيد ان عرضت ومنذرا * وعمهما والمستسر المنامسا

وانما ذكر ورقة موسى ولم يذكر عيسى وهو أقرب لان ورقة كان قد تنصر والنصارى لا يقولون في عيسى انه نبي يأتيه جبريل انما يقولون فيه ان اقنوما من الاقانيم الثلاثة اللاهوتية حل بناسوت المسيح واتحد به على اختلاف بينهم في ذلك الحلول وهو اقنوم الكلمة والكلمة عندهم عبارة عن العلم فلذلك كان المسيح عندهم يعلم الغيب ويخبر بما في غد فلما كان هذا من مذهب النصارى الكذبة على الله المدعين المحال عدل عن ذكر عيسى الى ذكر موسى لعلمه أو لاعتقاده ان جبريل كان ينزل على موسى لكن ورقة قد ثبت ايمانه بمحمد عليه السلام وقد قدمنا حديث الترمذى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه في المنام وعليه ثياب بيض الى آخر الحديث * وقول ورقة لتكذبنه ولتؤذينه ولا ينطق بهذه الهاء الا ساكنة لانها هاء السكت وليست بهاء اضمار * وقوله ان أدرك ذلك اليوم أنصرك نصرا مؤزرا وقال في الحديث ان يدركني يومك وهو القياس لان ورقة سابق بالوجود والسابق هو الذى يدركه من يأتى بعده كما جاء في الحديث أشقى الناس من أدركته الساعة وهو حى ورواية ابن اسحق أيضا لها وجه لان المعنى أرى ذلك اليوم فسمى رؤيته ادراكا وفي التنزيل «لا تدركه الابصار» أى لا تراه على أحد التأويلين * وقوله مؤزرا من الازر وهو القوة والعون

﴿ فصل ﴾ وفي حديث البخارى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لورقة أومخرجى هم لا بد من تشديد الياء في مخرجى لانه جمع والاصل مخرجوى فادغمت الواو في الياء وهو خبر ابتداء مقدم ولو كان المبتدا اسما ظاهرا لجاز تخفيف الياء ويكون الاسم الظاهر فاعلا لا مبتدأ كما تقول أضارب قومك أخارج اخوتك فتفرد لانك رفعت به فاعلا وهو حسن في مذهب سيبويه والاخفش ولولا الاستفهام ما جاز الافراد الا على مذهب الاخفش فانه يقول قائم الزيدون دون استفهام فان كان الاسم المبتدا من المضمرات نحو أخارج أنت وأقائم هو لم يصح فيه الا الابتداء لان الفاعل اذا كان مضمرا لم يكن منفصلا لا تقول قام أنا ولا ذهب انت وكذلك لا تقول أذاهب أنت على حد الفاعل ولكن على المبتدا واذا كان على حد المبتدا فلا بد من جمع الخبر فعلى هذا تقول أمخرجى هم تريد أمخرجون ثم أضفت الى الياء وحذفت النون وأدغمت الواو كما يقتضى القياس

﴿ فصل ﴾ وذكر أن ورقة بن نوفل لقى النبي عليه السلام فقبل يافوخه قد تقدم ذكر اليافوخ وانه يفعول مهموز وانه لا يقال في رأس الطفل يافوخ حتى يشتد وانما يقال له الغاذية وذكرنا قول العجاج

ثم انطلقت الى ورقة بن نوفل ابن أسد بن عبد العزى بن قصى وهو ابن عمها وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من أهل التوراة والانجيل فاخبرته بما أخبرها به رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى وسمع فقال ورقة بن نوفل قدوس قدوس والذى نفس ورقة بيده لئن كنت صدقتني يا خديجة لقد جاءه الناموس الاكبر الذى كان يأتى موسى وانه لنبي هذه الامة فقولى له فليثبت فرجعت خديجة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بقول ورقة بن نوفل فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم جواره وانصرف صنع كما كان يصنع بدأ بالكعبة فطاف بها فلقيه ورقة بن نوفل وهو يطوف بالكعبة فقال يا ابن أخى أخبرنى بما رأيت وسمعت فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ورقة والذى نفسى بيده انك لنبي هذه الامة ولقد جاءك الناموس الاكبر الذى جاء موسى ولتكذبنه ولتؤذينه ولتخرجنه ولتقاتلنه ولئن أنا أدركت ذلك اليوم لانصرن الله نصرا يعلمه ثم أدنى رأسه منه فقبل يافوخه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله

قال ابن اسحق وحدثني اسمعيل بن ابي حكيم مولى آل الزبير أنه حدث عن خديجة رضى الله عنها انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم أى ابن عم أتستطيع أن تخبرني بصاحبك هـذا الذى يأتيك اذا جاءك قال نعم قالت فاذا جاءك فاخبرني به فجاءه جبريل عليه السلام كما كان يصنع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة يا خديجة هذا جبريل قد جاءنى قالت قم يا ابن عم فاجلس على فخذى اليسرى قال فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس عليها قالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس على فخذى اليمنى قال فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على فخذها اليمنى فقالت هل تراه قال نعم قالت فتحول فاجلس فى حجرى قالت فتحول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس فى حجرها قالت هل تراه قال نعم قال فتحسرت وألقت خمارها ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى حجرها ثم قالت له هل تراه قال لا قالت يا ابن عم اثبت وأبشر فوالله انه لملك وما هذا بشيطان * قال ابن اسحق وقد حدثت عبد الله بن حسن هذا الحديث فقال سمعت أمى فاطمة بنت حسين تحدث بهذا الحديث عن خديجة الا انى سمعتها تقول أدخلت رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها وبين درعها فذهب عند ذلك جبريل فقالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا لملك وما هو بشيطان * قال ابن اسحق فابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتنزيل فى شهر رمضان يقول الله عز وجل شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان وقال الله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر وقال الله تعالى حم والكتاب المبين انا أنزلناه فى ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم

* ضرب اذا أصاب اليافيخ حفر * ولو كان يافوخ فاعولا كما ظن بعضهم لم يجز همزه فى الواحد ولا فى الجمع وفى رواية يونس عن ابن اسحق بسنده الى أبى ميسرة عمرو بن شرحبيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لخديجة انى اذا خلوت وحدى سمعت نداء وقد خشيت والله أن يكون لهذا أمر قالت معاذ الله ما كان الله ليفعل ذلك بك فوالله انك لتؤدى الامانة وتصل الرحم وتصدق الحديث فلما دخل أبو بكر وليس رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكرت خديجة له ذلك فقالت يا عتيق اذهب مع محمد الى ورقة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ أبو بكر بيده فقال انطلق بنا الى ورقة بن نوفل فقال ومن أخبرك قال خديجة فانطلقا اليه فقصا عليه فقال انى اذا خلوت وحدى سمعت نداء خلفى يا محمد يا محمد فانطلق هاربا فى الارض فقال له لا تفعل اذا أتاك فاثبت حتى تسمع ما يقول لك ثم ائتنى فأخبرنى فلما خلا ناداه يا محمد قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين حتى بلغ ولا الضالين قل لا اله الا الله فأتى ورقة فذكر ذلك له فقال له ورقة أبشر ثم ابشر فانا أشهد أنك الذى بشر به ابن مريم وانك على مثل ناموس موسى وانك نبى مرسل وانك ستؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ولئن أدركنى ذلك لاجاهدن معك فلما توفى ورقة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيت القس فى الجنة وعليه ثياب الحرير لانه آمن بى وصدقنى يعنى ورقة وفى رواية يونس أيضا انه عليه السلام قال لرجل سب ورقة أما علمت أنى رأيت لورقة جنة أو جنتين وهذا الحديث الاخير قد أسنده البزار

﴿ فصل ﴾ وفى الصحيح انه قال لخديجة لقد خشيت على نفسى وتكلم العلماء فى معنى هذه الخشية بأقوال كثيرة فذهب أبو بكر الاسماعيلى الى أن هذه الخشية كانت منه قبل أن يحصل له العلم بأن الذى جاءه ملك من عند الله وكان أشق شىء عليه أن يقال عنه مجنون ولم ير الاسماعيلى أن هذا محال فى مبدإ الامر لان العلم الضرورى قد لا يحصل دفعة واحدة وضرب مثلا بالبيت من الشعر تسمع أوله فلا تدرى أنظم هو أم نثر فاذا استمر الانشاد علمت قطعا انه قصد به قصد الشعر كذلك لما استمر الوحى واقترنت به القرائن المقتضية للعلم القطعى حصل العلم القطعى وقد أثنى الله تعالى عليه بهذا العلم فقال « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون الى قوله وملائكته وكتبه ورسله » فايمانه بالله وبملائكته ايمان كسبى موعود عليه بالثواب الجزيل كما وعد على سائر أفعاله المكتسبة كانت من أفعال القلب أو أفعال الجوارح وقد قيل فى قوله لقد خشيت على نفسى أى خشيت الا أنهض بأعباء النبوة وان أضعف عنها ثم أزال الله خشيته ورزقه الايد والقوة والثبات والعصمة وقد قيل ان خشيته كانت من قومه أن يقتلوه ولا غرو فانه بشر يخشى من القتل والاذاية الشديدة ما يخشاه البشر ثم يهون عليه الصبر فى ذات الله كل خشية ويجلب الى قلبه كل شجاعة وقوة وقد قيل فى معنى الخشية أقوال غير هذه رغبت عن التطويل بذكرها

﴿ فصل ﴾ وذكر قول الله تعالى « شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن » الى آخر الآية مستشهدا بذلك على أن القرآن أنزل فى شهر رمضان وفى ليلة القدر من رمضان وهذا يحتمل تأويلين أحدهما أن يكون أراد بدء النزول وأوله لان القرآن نزل فى أكثر من عشرين سنة فى رمضان وغيره والثانى ما قاله ابن عباس

أمر امن عندنا انا كنا مرسلين وقال تعالى ان كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان وذلك ملتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمشركين ببدر * قال ابن اسحق وحدثنى ابوجعفر محمد بن على بن حسين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم التقى هو والمشركون ببدر يوم الجمعة صبيحة سبع عشرة من رمضان * قال ابن اسحق ثم تتام الوحى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مؤمن بالله مصدق بما جاءه منه قد قبله بقبوله وتحمل منه ما حمله على رضا العباد وسخطهم وللنبوة أثقال ومؤنة لا يحملها ولا يستطيع بها الا أهل القوة والعزم من الرسل بعون الله تعالى وتوفيقه لما يلقون من الناس وما يرد عليهم مما جاؤا به عن الله سبحانه وتعالى قال فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله على ما يلقى من قومه من الخلاف والاذى وآمنت به خديجة بنت خويلد وصدقت بما جاءه من الله ووازرته على أمره وكانت أول من آمن بالله وبرسوله وصدق بما جاء منه فخفف الله بذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم لا يسمع شيأ مما يكرهه من رد عليه وتكذيب له فيحزنه ذلك الا فرج الله عنه بها اذا رجع اليها تثبته وتخفف عليه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس رحمها الله تعالى * قال ابن اسحق وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه عروة بن الزبير عن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب

انه نزل جملة واحدة الى سماء الدنيا فجعل فى بيت العزة مكنونا فى الصحف المكرمة المرفوعة المطهرة ثم نزلت منه الآية بعد الآية والسورة بعد السورة فى أجوبة السائلين والنوازل الحادثة الى أن توفى صلى الله عليه وسلم وهذا التاويل أشبه بالظاهر وأصح فى النقل والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وفى قوله تعالى «شهر رمضان» فذكر الشهر مضافا الى رمضان واختار الكتاب والموثقون النطق بهذا اللفظ دون أن يقولوا كتب فى رمضان وترجم البخارى والنسوى على جواز اللفظين جميعا وأوردا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام رمضان واذا جاء رمضان ولم يقل شهر رمضان وقد بينت أن لكل مقام مقالا ولا بد من ذكر شهر فى مقام ومن حذفه فى مقام آخر والحكمة فى ذكره اذا ذكر فى القرآن والحكمة أيضا فى حذفه اذا حذف من اللفظ وأين يصلح الحذف ويكون أبلغ من الذكر كل هذا مبين فى كتاب نتائج الفكر فهنالك أوردنا فيه فوائد تعجز عنها همم أهل هذا العصر أدناها تساوى رحلة عند من عرف قدرها غير أنا نشير الى بعضها فنقول قال سيبويه ومما لا يكون العمل الا فيه كله المحرم وصفر يريد ان الاسم العلم يتناول اللفظ كله وذلك اذا قلت الاحد أو الاثنين فان قلت يوم الاحد أو شهر المحرم كان ظرفا ولم يجر مجرى المفعولات وزال العموم من اللفظ لانك تريد فى الشهر وفى اليوم ولذلك قال عليه السلام من صام رمضان ولم يقل شهر رمضان ليكون العمل فيه كله وهذه اشارة الى بعض تلك الفوائد التى أحكمناها فى غير هذا الكتاب * بقية من حديث ورقة وذلك أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لتكذبنه فلم يقل له النبى صلى الله عليه وسلم شيئا ثم قال ولتؤذينه فلم يقل له شيئا ثم قال ولتخرجنه فقال أومخرجى هم ففى هذا دليل على حب الوطن وشدة مفارقته على النفس وايضا فانه حرم الله وجوار بيته وبلدة أبيه اسمعيل فلذلك تحركت نفسه عند ذكر الخروج منه ما لم تتحرك قبل ذلك فقال أومخرجى هم والموضع الدال على تحرك النفس وتحرقها ادخال الواو بعد ألف الاستفهام مع اختصاص الاخراج بالسؤال عنه وذلك أن الواو ترد الى الكلام المتقدم وتشعر المخاطب بان الاستفهام على جهة الانكار أو التفجع لكلامه أو التألم منه

﴿ فصل ﴾ وذكر عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب وقوله حدثتنى أمى فاطمة بنت الحسين أن خديجة أدخلته بين ثوبها الحديث عبد الله هذا هو عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن أبى طالب وأمه فاطمة بنت الحسين أخت سكينة واسمها آمنة وسكينة لقب لها التى كانت ذات دعابة ومزح وفى سكينة وأمها الرباب يقول الحسين بن على رضى الله عن جميعهم

كان الليل موصول بليل * اذا زارت سكينة والرباب

أى زارت قومها وهم بنو عليم بن جناب من كلب ثم من بنى كعب بن عليم ويعرف بنو كعب بن عليم ببنى زيد غير مصروف لانه اسم أمهم وعبد الله بن حسن هو والد الطالبيين القائمين على بنى العباس وهم محمد ويحيى وادريس مات ادريس بافريقية فارا من الرشيد ومات مسموما فى دلاعة أكلها ووقع فى كتاب الزبير ابن أبى بكر قال قال عبد الرحمن بن زيد قال آدم عليه السلام مما فضل به على ابنى صاحب البعير أن زوجه كانت عونا له على تبليغ أمر الله وأن زوجى كانت عونا لى على المعصية

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث عبد الله بن جعفر بن أبى طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يبشر خديجة ببيت من قصب لا صخب فيه ولا نصب هذا حديث مرسل وقد رواه مسلم متصلا عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت ماغرت على أحد ماغرت على خديجة ولقد هلكت قبل أن يتزوجنى رسول

الله صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين ولقد أمر أن يبشرها ببيت من قصب فى الجنة * وفى حديث آخر أن عائشة قالت ما تذكر من عجوز حمراء الشدقين هلكت فى الدهر قد أبدلك الله خيراً منها فغضب وقال والله ما أبدلنى الله خيراً منها آمنت بى حين كذبنى الناس وواستنى بمالها حين حرمنى الناس ورزقت الولد منها وحرمته من غيرها وروى يونس عن عبد الواحد بن أيمن المخزومى قال حدثنا أبو نجيح قال أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم جزور أو لحم فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عظماً منها فناوله الرسول بيده فقال اذهب بهذا الى فلانة فقالت عائشة لم غمرت يدك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضباً ان خديجة أوصتنى بها فغارت عائشة وقالت لكانه ليس فى الارض امرأة الا خديجة فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضباً فلبث ما شاء الله ثم رجع فاذا أم رومان قالت يا رسول الله مالك ولعائشة انها حدثة وانك أحق من تجاوز عنها فاخذ بشدق عائشة وقال ألست القائلة كانما ليس على الارض امرأة الا خديجة والله لقد آمنت بى اذ كفر قومك ورزقت منى الولد وحرمتموه وفى صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة والهاء فى نسائها حين ذكر مريم عائدة على السماء والهاء فى نسائها حين ذكر خديجة عائدة على الارض وذلك أن هذا الحديث رواه وكيع وأبو اسامة وابن نمير فى آخرين وأشار وكيع من بينهم حين حدث بالحديث باصبعه الى السماء عند ذكر مريم والى الارض عند ذكر خديجة وهذه اشارة ليست من رأيه وانما هى زيادة فى حديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم وزيادة العدل مقبولة ويحتمل أن يكون معنى اشارته الى السماء والارض عند ذكرهما أى هما خير نساء بين السماء والارض وهذا أثبت عندى بظاهر الحديث ولعلنا أن نذكر اختلاف العلماء فى التفضيل بين مريم وخديجة وعائشة رضى الله عنهن وأزواج النبى صلى الله عليه وسلم وما نزع به كل فريق منهم * وأما قوله ببيت من قصب فقد رواه الخطابى مفسراً وقال فيه قالت خديجة يا رسول الله هل فى الجنة قصب فقال انه قصب من لؤلؤ مجبى قال الخطابى يجوز أن يكون معناه مجوباً من قولك جبت الثوب اذا خرقته فيكون من المقلوب ويجوز أن يكون الاصل مجبباً بباءين من الجب وهو القطع أى قطع داخله وقلبت الباء ياء كما قالوا تظنيت من الظن وتقصيت أظفارى وتكلم أصحاب المعانى فى هذا الحديث وقالوا كيف لم يبشرها الا ببيت وأدنى أهل الجنة منزلة من يعطى مسيرة ألف عام فى الجنة كما فى حديث ابن عمر خرجه الترمذى وكيف لم ينعت هذا البيت بشئ من أوصاف النعيم والبهجة أكثر من نفى الصخب وهو رفع الصوت فاما أبو بكر الاسكاف فقال فى كتاب فوائد الاخبار له معنى الحديث انه بشرت ببيت زائد على ما أعد الله لها مما هو ثواب لايمانها وعملها ولذلك قال لا صخب فيه ولا نصب أى لم تنصب فيه ولم تصخب أى انما أعطيته زيادة على جميع العمل الذى نصبت فيه (قال المؤلف رحمه الله) لا أدرى ما هذا التأويل ولا يقتضيه ظاهر الحديث ولا يوجد شاهد يعضده وأما الخطابى فقال البيت ههنا عبارة عن قصر وقد يقال لمنزل الرجل بيته والذى قاله صحيح يقال فى القوم هم أهل بيت شرف وبيت عز وفى التنزيل «غير بيت من المسلمين» ولكن لذكر البيت ههنا بهذا اللفظ ولقوله ببيت ولم يقل بقصر معنى لائق بصورة الحال وذلك أنها كانت ربة بيت اسلام لم يكن على الارض بيت اسلام الا بيتها حين آمنت وأيضاً فانها أول من بنى بيتاً فى الاسلام بتزويجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ورغبتها فيه وجزاء الفعل يذكر بلفظ الفعل وان كان أشرف منه لما جاء من كسى مسلماً على عرى كساه الله من حلل الجنة ومن سقى مسلماً على ظمأ سقاه الله من الرحيق ومن هذا الباب قوله عليه السلام من بنى لله مسجداً بنى الله له مثله فى الجنة لم يرد مثله فى كونه مسجداً ولا فى صفته ولكن قابل البنيان بالبنيان

«قال ابن هشام» القصب هاهنا اللؤلؤ المجوف «قال ابن هشام» وحدثنى من أثق به أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أقرئ خديجة السلام من ربها

أى كما بنى يبنى له كما قابل الكسوة بالكسوة والسقيا بالسقيا فهاهنا وقعت المماثلة لا فى ذات المبنى أو المكرو واذا ثبت هذا فمن ههنا اقتضت الفصاحة أن يعبر لها عما بشرت به بلفظ البيت وان كان فيه مالا عين رأته ولا أذن سمعته ولا خطر على قلب بشر ومن تسمية الجزاء على الفعل بالفعل فى عكس ماذكرناه قوله تعالى «نسوا الله فنسيهم . ومكروا ومكر الله» * وأما قوله لا صخب فيه ولا نصب فانه أيضا من باب ما كنا بسبيله لانه عليه السلام دعاها الى الايمان فاجابته عفوا لم تحوجه الى أن يصخب كما يصخب البعل اذا تعصت عليه حليلته ولا أن ينصب بل أزالت عنه كل نصب وآنسته من كل وحشة وهونت عليه كل مكروه وأراحته بما لها من كل كد ونصب فوصف منزلها الذى بشرت به بالصفة المقابلة لفعالها وصورته * وأما قوله من قصب ولم يقل من لؤلؤ وان كان المعنى واحدا ولكن فى اختصاصه هذا اللفظ من المشاكلة المذكورة والمقابلة بلفظ الجزاء للفظ العمل انها رضى الله عنها كانت قد أحرزت قصب السبق الى الايمان دون غيرها من الرجال والنسوان والعرب تسمى السابق محرزا للقصب قال الشاعر

مشى ابن الزبير القهقرى وتقدمت * أمية حتى أحرزوا القصبات

فاقتضت البلاغة أن يعبر بالعبارة المشاكلة لعملها فى جميع ألفاظ الحديث فتأمله

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا خديجة هذا جبريل يقرئك السلام من ربك فقالت خديجة الله السلام

﴿فصل﴾ وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة هذا جبريل يقرئك السلام من ربك الحديث يذكر عن أبى بكر بن داوود أنه سئل أعائشة أفضل أم خديجة فقال عائشة أقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم السلام من جبريل وخديجة أقرأها جبريل السلام من ربها على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فهى أفضل قيل له فمن أفضل أخديجة أم فاطمة فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان فاطمة بضعة منى فلا أعدل ببضعة من رسول الله أحدا وهذا استقراء حسن و يشهد لصحة هذا الاستقراء ان أبا لبابة حين ارتبط نفسه وحلف ألا يحله الا رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت فاطمة لتحله فابى من أجل قسمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما فاطمة مضغة منى فحلته وسنذكر الحديث باسناده فى موضعه ان شاء الله تعالى و يدل أيضا على تفضيل فاطمة قوله عليه السلام لها أما ترضين أن تكونى سيدة نساء أهل الجنة الا مريم فدخل فى هذا الحديث أمها وأخواتها وقد تكلم الناس فى المعنى الذى سادت به فاطمة غيرها دون أخواتها فقيل انها ولدت سيد هذه الامة وهو الحسن الذى يقول فيه النبى صلى الله عليه وسلم ان ابنى هذا سيد وهو خليفة و بعلها خليفة ايضا وأحسن من هذا القول قول من قال سادت اخواتها وامها لانهن متن فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فكن فى صحيفته ومات ابوها وهو سيد العالمين فكان رزؤه فى صحيفتها وميزانها وقد روى البزار من طريق عائشة انه صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة هى خير بناتى انها اصيبت بى فحق لمن كانت هذه حاله أن يسود نساء اهل الجنة وهذا قول حسن والله اعلم ومن سؤددها ايضا ان المهدى المبشر به فى آخر الزمان من ذريتها فهى مخصوصة بهذا كله والاحاديث الواردة فى أمر المهدى كثيرة وقد جمعها أبو بكر بن أبى خيثمة فاكثر ومن اغربها اسنادا ما ذكره ابو بكر الاسكاف فى فوائد الاخبار مسندا الى مالك بن انس عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كذب بالدجال فقد كفر ومن كذب بالمهدى فقد كفر وقال فى طلوع الشمس من مغربها مثل ذلك فيما أحسب * وقول خديجة الله السلام ومنه السلام وعلى جبريل السلام علمت بفقهها أن الله سبحانه لا يرد عليه السلام كما يرد على المخلوق لان السلام دعاء بالسلامة فكان معنى قولها الله السلام فكيف أقول عليه السلام والسلام منه يسئل ومنه يأتى ولكن على جبريل السلام فالذى يحصل من هذا الكلام من الفقه انه لا يليق بالله سبحانه

الا

ومنه السلام وعلى جبريل السلام * قال ابن اسحق ثم فتر الوحى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة من ذلك حتى شق ذلك عليه فأحزنه فجاءه جبريل بسورة الضحى يقسم له ربه وهو الذى أكرمه بما أكرمه به ما ودعه ربه وما قلاه فقال تعالى والضحى والليل اذا سجى ما ودعك ربك وما قلى يقول ما صرمك فتركك وما أبغضك منذ أحبك وللآخرة خير لك من الاولى أى لما عندى فى مرجعك الى خير لك مما عجلت لك من الكرامة فى الدنيا ولسوف يعطيك ربك فترضى من الفلج فى الدنيا والثواب فى الآخرة ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته فى عاجل أمره ومنه عليه فى يتمه وعيلته وضلالته واستنقاذه من ذلك كله برحمته « قال ابن هشام » سجى سكن قال أمية بن ابى الصلت الثقفى

اذ أتى موهنا وقد نام صحبى * وسجا الليل بالظلام البهيم

وهذا البيت فى قصيدة له ويقال للعين اذا سكن طرفها ساجية وسجا طرفها قال جرير

ولقد رمينك حين رحن بأعين * يقتلن من خلل الستور سواجى

وهذا البيت فى قصيدة له والعائل الفقير قال أبو خراش الهذلى

الى بيته يأوى الضريك اذا شتا * ومستنبح بالى الدريسين عائل

وجمعه عالة وعيل وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها فى موضعها ان شاء الله والعائل أيضا الذى يعول العيال والعائل أيضا الخائف وفى كتاب الله تعالى ذلك أدنى ألا تعولوا وقال أبو طالب

بميزان قسط لا يخس شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل

وهذا البيت فى قصيدة له سأذكرها ان شاء الله فى موضعها والعائل أيضا الشىء المثقل المعيى يقول الرجل قد عالنى هذا الامر أى أثقلنى وأعيانى قال الفرزدق

ترى الغر الجحاجح من قريش * اذا ما الأمر فى الحدثان عالا

الا الثناء عليه فجعلت مكان رد التحية على الله ثناء عليه كما علموا فى التشهد حين قالوا السلام على الله من عباده السلام على فلان فقيل لهم لا تقولوا هذا ولكن قولوا التحيات لله وقد ذكرنا فى غير هذا الكتاب فوائد جمة فى معنى التحيات الى آخر التشهد * وقولها ومنه السلام ان كانت أرادت بالسلام التحية فهو خبر يراد به الشكر كما تقول هذه النعمة من الله وان كانت أرادت بالسلام السلامة من سوء فهو خبر يراد به المسئلة كما تقول منه يسئل الخير وذهب أكثر أهل اللغة الى أن السلام والسلامة بمعنى واحد كالرضاع والرضاعة ولو تأملوا كلام العرب وما تعطيه هاء التأنيث من التحديد لرأوا أن بينهما فرقانا عظيما وان الجلال أعم من الجلالة بكثير وان اللذاذ أبلغ من اللذاذة وأن الرضاعة تقع على الرضعة الواحدة والرضاع أكثر من ذلك فكذلك السلام والسلامة وقس على هذا تمرة وتمر ولقاة ولقى وضربة وضرب الى غير ذلك وتسمى سبحانه بالسلام لما شمل جميع الخليقة وعمهم من السلامة من الاختلال والتفاوت اذ الكل جار على نظام الحكمة وكذلك سلم الثقلان من جور وظلم أن يأتيهم من قبله سبحانه فانما الكل مدبر بفضل أو عدل أما الكافر فلا يجرى عليه الا عدله وأما المؤمن فيغمره فضله فهو سبحانه فى جميع أفعاله سلام لا حيف ولا ظلم ولا تفاوت ولا اختلال ومن زعم من المفسرين لهذا الاسم أنه تسمى به لسلامته من الآفات والعيوب فقد أتى بشنيع من القول انما السلام من سلم منه والسالم من سلم من غيره وانظر الى قوله سبحانه « كونى بردا وسلاما » والى قوله « سلام هى » ولا يقال فى الحائط سالم من العمى ولا فى الحجر انه سالم من الزكام أو من السعال انما يقال سالم فيمن تجوز عليه الآفة ويتوقعها ثم يسلم منها والقدوس سبحانه متعال عن توقع الآفات متنزه عن جواز النقائص ومن هذه صفته لا يقال سلم ولا يتسمى بسالم وهم قد جعلوا سلاما بمعنى سالم والذى ذكرناه أولا هو معنى قول أكثر السلف والسلامة خصلة واحدة من خصال السلام

﴿ فصل ﴾ وذكر فترة الوحى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يذكر مقدار مدة الفترة وقد جاء فى بعض الاحاديث المسندة أنها كانت سنتين ونصف سنة فمن هنا يتفق ما قاله أنس بن مالك أن مكثه بمكة كان عشر سنين وقول ابن عباس ثلاث عشرة سنة وكان قد ابتدئ بالرؤيا الصادقة ستة أشهر فمن عد مدة الفترة وأضاف اليها الاشهر الستة كانت كما قال ابن عباس ومن عدها من حين حمى الوحى وتتابع كما فى حديث جابر كانت عشر سنين ووجه آخر فى الجمع بين القولين أيضا وهو أن الشعبى قال وكل اسرافيل بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين ثم جاءه بالقرآن جبريل وقد قدمنا هذا الحديث ورواه أبو عمر فى كتاب الاستيعاب واذا صح فهو أيضا وجه من الجمع بين الحديثين والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق قول أبى خراش خويلد بن مرة الهذلى

الى بيته يأوى الضريك اذا شتى * ومستنبح بالى الدريسين عائل

الضريك الضعيف المضطر والمستنبح الذى يضل عن الطريق فى ظلمة الليل فينبح ليسمع نباح كلب والدريس الثوب الخلق وقول الفرزدق

ترى الغر الجحاجح من قريش * اذا ما الأمر فى الحدثان عالا

قياما ينظرون الى سعيد * كأنهم يرون به هلالا

يعني سعيد بن العاصي بن أمية ويقال ان مروان بن الحكم حين سمع الفرزدق ينشد هذا البيت حسده فقال له قل قعودا ينظرون الى سعيد يا أبا فراس فقال له الفرزدق والله يا أبا عبد الملك الا قياما على الاقدام * وذكر سبب نزول سورة والضحى وان ذلك لفترة الوحي عنه وخرج البخاري من طريق جندب بن سفيان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى فلم يقم ليلتين أو ثلاثا فقالت له امرأة اني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك فأنزل الله تعالى سورة والضحى

﴿ فرض الصلاة ﴾

وذكر حديث عروة عن عائشة فرضت الصلاة ركعتين ركعتين فزيد في صلاة الحضر وأقرت صلاة السفر وذكر المزني أن الصلاة قبل الاسراء كانت صلاة قبل غروب الشمس وصلاة قبل طلوعها ويشهد لهذا القول قوله سبحانه «وسبح بحمد ربك بالعشي والابكار» وقال يحيى بن سلام مثله وقال كان الاسراء وفرض الصلوات الخمس قبل الهجرة بعام فعلى هذا يحتمل قول عائشة فزيد في صلاة الحضر أي زيد فيها حين أكملت خمسا فتكون الزيادة في الركعات وفي عدد الصلوات ويكون قولها فرضت الصلاة ركعتين أي قبل الاسراء وقد قال بهذا طائفة من السلف منهم ابن عباس ويجوز أن يكون معنى قولها فرضت الصلاة أي ليلة الاسراء حين فرضت الخمس فرضت ركعتين ركعتين ثم زيد في صلاة الحضر بعد ذلك وهذا هو المروي عن بعض رواة هذا الحديث عن عائشة وممن رواه هكذا الحسن والشعبي ان الزيادة في صلاة الحضر كانت بعد الهجرة بعام أو نحوه وقد ذكره أبو عمر وقد ذكر البخاري من رواية معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت فرضت الصلاة ركعتين ركعتين ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ففرضت أربعا هكذا لفظ حديثه • وههنا سؤال يقال هل هذه الزيادة في الصلاة نسخ أم لا فيقال أما زيادة ركعتين أو ركعة الى ما قبلها من الركوع حتى تكون صلاة واحدة فنسخ لان النسخ رفع الحكم وقد ارتفع حكم الاجزاء من الركعتين وصار من سلم منهما عامدا أفسدهما وان أراد أن يتم صلاته بعد ما سلم وتحدث عامدا لم يجزه الا أن يستأنف الصلاة من أولها فقد ارتفع حكم الاجزاء بالنسخ وأما الزيادة في عدد الصلوات حين أكملت خمسا بعد ما كانت اثنتين فيسمى نسخا على مذهب أبي حنيفة فان الزيادة عنده على النص نسخ وجمهور المتكلمين على انه ليس بنسخ ولاحتجاج الفريقين موضع غير هذا

﴿ فصل ﴾ وذكر نزول جبريل عليه السلام بأعلى مكة حين همز له بعقبه فانبع الماء وعلمه الوضوء وهذا الحديث مقطوع في السيرة ومثله لا يكون أصلا في الاحكام الشرعية ولكنه قد روي مسندا الى زيد بن حارثة يرفعه غير أن هذا الحديث المسند يدور على عبد الله بن لهيعة وقد ضعف ولم يخرج عنه مسلم ولا البخاري لانه يقال ان كتبه احترقت فكان يحدث من حفظه وكان مالك بن أنس يحسن فيه القول ويقال انه الذي روى عنه حديث بيع العربان في الموطأ مالك عن الثقة عنده عن عمرو بن شعيب فيقال ان الثقة ههنا ابن لهيعة ويقال ان ابن وهب حدث به عن ابن لهيعة وحديث ابن لهيعة هذا أخبرنا به أبو بكر الحافظ محمد ابن العربي قال نا أبو المطهر سعد بن عبد الله بن أبي الرجاء عن أبي نعيم الحافظ قال نا ابو بكر أحمد بن يوسف العطار قال نا الحارث بن أبي اسامة قال نا الحسن بن موسى عن ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الزهري عن عروة عن اسامة بن زيد قال حدثني أبي زيد بن حارثة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول ما أوحي اليه أتاه جبريل عليه السلام فعلمه الوضوء فلما فرغ من الوضوء أخذ غرفة من ماء فنضح بها فرجه وحدثنا

وهذا البيت في قصيدة له فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر أي لا تكن جبارا ولا متكبرا ولا فحاشا فظا على الضعفاء من عباد الله وأما بنعمة ربك فحدث أي بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فحدث اذكرها وادع اليها * فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرا الى من يطمئن اليه من أهله وافترضت عليه الصلاة فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلام عليه وعليهم ورحمة الله وبركاته

﴿ ابتداء ما افترض الله سبحانه على النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة وأوقاتها ﴾

* قال ابن اسحق وحدثني صالح بن كيسان عن عروة ابن الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أول ما افترضت عليه ركعتين ركعتين كل صلاة ثم ان الله تعالى أتمها في الحضر أربعا وأقرها في السفر على فرضها الاول ركعتين * قال ابن اسحق وحدثني بعض أهل العلم أن الصلاة حين افترضت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل وهو بأعلى مكة فهمز له بعقبه في ناحية الوادي فانفجرت منه عين

فتوضأ جبريل عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه ليريه كيف الطهور للصلاة ثم توضأ رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رأى جبريل توضأ ثم قام به جبريل فصلى به وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته ثم انصرف جبريل عليه السلام فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة فتوضأ لها ليريها كيف الطهور للصلاة كما أراه جبريل فتوضأت كما توضأ لها رسول الله عليه السلام ثم صلى بها رسول الله عليه السلام كما صلى به جبريل فصلت بصلاته * قال ابن اسحق وحدثني عتبة بن مسلم مولى بني تيم عن نافع بن جبير بن مطعم وكان نافع كثير الرواية عن ابن عباس قال لما افترضت الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام فصلى به الظهر حين مالت الشمس ثم صلى به العصر حين كان ظله مثله ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب الشفق ثم صلى به الصبح حين طلع الفجر ثم جاءه فصلى به الظهر من غد حين كان ظله مثله ثم صلى به العصر حين كان ظله مثليه ثم صلى به المغرب حين غابت الشمس لوقتها بالامس ثم صلى به العشاء الآخرة حين ذهب ثلث الليل الاول ثم صلى به الصبح مسفرا غير مشرق ثم قال يا محمد الصلاة فيما بين صلاتك اليوم وصلاتك بالامس * قال ابن اسحق ثم كان أول ذكر من الناس آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى وصدق بما جاءه من الله تعالى علي بن أبي طالب عليه السلام ابن عبد المطلب بن هاشم وهو ابن عشر سنين يومئذ وكان مما أنعم الله على علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام * قال ابن اسحق وحدثني عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد بن جبر بن أبي الحجاج قال كان من نعمة الله على علي بن أبي طالب ومما صنع الله له وأراده به من الخير أن قريشا اصابتهم أزمة شديدة وكان أبو طالب ذا عيال كثير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس عمه وكان من أيسر بني هاشم يا عباس ان أخاك أبا طالب كثير العيال وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الازمة فانطلق بنا اليه فلنخفف عنه من عياله آخذ من بنيه رجلا وتاخذ أنت رجلا فنكفهما عنه فقال العباس نعم فانطلقا حتى أتيا أبا طالب فقالا انا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه فقال لهما اذا تركتما لي عقيلا فاصنعا ما شئتما « قال ابن هشام » ويقال عقيلا وطالبا فاخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا فضمه اليه وأخذ العباس جعفرا فضمه اليه فلم يزل علي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله تبارك وتعالى نبيا فاتبعه علي رضي الله عنه وآمن به وصدقه ولم يزل جعفر عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه * قال ابن اسحق وذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفيا من أبيه أبي طالب ومن جميع أعمامه وسائر قومه فيصليان الصلوات فيها فاذا أمسيا رجعا فمكثا كذلك ما شاء الله أن يمكثا ثم ان أبا طالب عثر عليهما يوما وهما يصليان فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن أخي ما هذا الدين الذي أراك تدين به قال أي عم هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا ابراهيم أو كما قال صلى الله عليه وسلم بعثني الله به رسولا الى العباد وأنت أي عم أحق من بذلت له النصيحة ودعوته الى الهدى وأحق من أجابني اليه وأعانني عليه أو كما قال فقال أبو طالب أي ابن أخي اني لا أستطيع أن أفارق دين آبائي وما كانوا عليه ولكن والله لا يخلص اليك شيء تكرهه ما بقيت وذكروا أنه قال لعلي أي بني ما هذا الدين الذي أنت عليه فقال يا أبت آمنت بالله وبرسول الله وصدقته بما جاء به وصليت معه لله واتبعته فزعموا انه قال له اما انه لم يدعك الا الى خير فالزمه

به أيضا أبو بكر محمد بن طاهر عن أبي علي الغساني عن أبي عمر النمري عن أحمد بن قاسم عن قاسم بن أصبغ عن الحارث بن أبي اسامة بالاسناد المتقدم فالوضوء على هذا الحديث مكي بالفرض مدني بالتلاوة لان آية الوضوء مدنية وانما قالت عائشة فانزل الله تعالى آية التيمم ولم تقل آية الوضوء وهي هي لان الوضوء قد كان مفروضا قبل غير انه لم يكن قرآنا يتلى حتى نزلت آية المائدة * وذكر حديث عبد الله بن عباس في امامة جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم وتعليمه اياه أوقات الصلوات الخمس في اليومين وهذا الحديث لم يكن ينبغي له ان يذكره في هذا الموضع لان أهل الصحيح متفقون على أن هذه القصة كانت في الغد من ليلة الاسراء وذلك بعدما نبئ بخمسة أعوام وقد قيل ان الاسراء كان قبل الهجرة بعام ونصف وقيل بعام فذكره ابن اسحق في بدء نزول الوحي وأول احوال الصلاة * وذكر أن اول ذكر آمن بالله علي رضي الله عنه وسيأتي قول من قال اول من أسلم أبو بكر ولكن ذلك والله أعلم من الرجال لان عليا كان حين أسلم صبيا لم يدرك ولا يختلف أن خديجة هي اول من آمن بالله وصدق رسوله وكان علي اصغر من جعفر بعشر سنين وجعفر أصغر من عقيل بعشر سنين وعقيل أصغر من طالب بعشر سنين وكلهم أسلم الا طالبا اختطفته الجن فذهب ولم يعلم باسلامه وأم علي فاطمة بنت أسد بن هاشم وقد أسلمت وهي احدى الفواطم التي قال فيهن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه اقسمه بين الفواطم الثلاث يعني ثوب حرير قال القتبي

* قال ابن اسحق ثم أسلم زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس الكلبي مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أول ذكر أسلم وصلى بعد على بن أبى طالب « قال ابن هشام » زيد بن حارثة بن شرحبيل بن كعب بن عبد العزى بن امرئ القيس بن عامر بن النعمان بن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد الله بن رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة وكان حكيم بن حزام بن خويلد قدم من الشام برقيق فيهم زيد بن حارثة وصيف فدخلت عليه خديجة بنت خويلد وهى يومئذ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها اختارى ياعمة أى هؤلاء الغلمان شئت فهو لك فاختارت زيدا فاخذته فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندها فاستوهبه منها فوهبته له فاعتقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبناه وذلك قبل أن يوحى اليه وكان أبوه حارثة قد جزع عليه جزعا شديدا وبكى عليه حين فقده فقال

بكيت على زيد ولم أدر مافعل * أحى فيرجى أم أتى دونه الاجل

فوالله ما أدرى وانى لسائل * أغالك بعدى السهل أم غالك الجبل

وياليت شعرى هل لك الدهر أوبة * فحسبى من الدنيا رجوعك لى بجل

تذكرنيه الشمس عند طلوعها * ويعرض ذكراه اذا غربها أفل

وان هبت الارواح هيجن ذكره * فياطول ماحزنى عليه وماوجل

ساعمل نص العيس فى الارض جاهدا * ولا أسأم التطواف اوتسأم الابل

حياتى او تاتى على منيتى * فكل امرئ فان وان غره الامل

فصل

ثم قدم عليه وهو عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ان شئت فاقم عندى وان شئت فانطلق مع ابيك فقال بل أقيم عندك فلم يزل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعثه الله فصدقه وأسلم وصلى معه فلما انزل الله عز وجل ادعوهم لآبائهم قال أنا زيد بن حارثة

يعنى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة بنت أسد ولا أدرى من الثالثة ورواه عبد الغنى ابن سعيد اقسمه بين الفواطم الاربع * وذكر فاطمة بنت حمزة مع اللتين تقدمتا وقال لا ادرى من الرابعة قاله فى كتاب الغوامض والمبهمات

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث زيد بن حارثة وقال فيه حارثة بن شرحبيل وقال ابن هشام شراحيل وقال أصحاب النسب كما قال ابن هشام ورفع نسبه الى كلب بن وبرة ووبرة هو ابن ثعلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة وأم زيد سعدى بنت ثعلبة من بنى معن من طيئ وكانت قد خرجت بزيد لتزيره أهلها فاصابته خيل من بنى القين بن جسر فباعوه بسوق حباشة وهو من أسواق العرب وزيد يومئذ ابن ثمانية أعوام ثم كان من حديثه ما ذكر ابن اسحق ولما بلغ زيدا قول أبيه * بكيت على زيد ولم أدر مافعل * الابيات قال يجيب بمعه الركبان

أحن الى أهلى وان كنت نائيا * بانى قعيد البيت عند المشاعر

فكفوا من الوجد الذى قد شجاكم * ولا تعملوا فى الارض نص الاباعر

فانى بحمد الله فى خير اسرة * كرام معد كابرا بعد كابر

فبلغ أباه قوله فجاء هو وعمه كعب حتى وقفا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وذلك قبل الاسلام فقالا له يا ابن عبد المطلب يا ابن سيد قومه أنتم جيران الله تفكون العانى وتطعمون الجائع وقد جئناك فى ابننا عبدك لتحسن الينا فى فدائه فقال أو غير ذلك فقالا وما هو فقال ادعوه واخيره فان اختاركما فذاك وان اختارنى فوالله ما أنا بالذى اختار على من اختارنى أحدا فقالا له قد زدت على النصف فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء قال من هذان فقال هذا أبى حارثة بن شراحيل وهذا عمى كعب بن شراحيل فقال قد خيرتك ان شئت ذهبت معهما وان شئت أقمت معى فقال بل أقيم معك فقال له أبوه يا زيد أتختار العبودية على أبيك وأمك وبلدك وقومك فقال انى قد رأيت من هذا الرجل شيأ وما أنا بالذى أفارقه أبدا فعند ذلك أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وقام به الى الملأ من قريش فقال اشهدوا ان هذا ابنى وارثا وموروثا فطابت نفس أبيه عند ذلك وكان يدعى زيد بن محمد حتى أنزل الله تعالى « ادعوهم لآبائهم » * وفى الشعر الذى ذكره ابن اسحق لحارثة بعد قوله

حياتى وان تأتى على منيتى * فكل أمرئ فان وان غره الامل

سأوصى به قيسا وعمرا كليهما * وأوصى يزيد ثم أوصى به جبل

يعنى يزيد بن كعب وهو ابن عم زيد وأخوه و يعنى بجبل جبلة بن حارثة أخا زيد وكان أسن منه سئل جبلة من أكبر أنت أم زيد فقال زيد أكبر منى وأنا ولدت قبله يريد انه افضل منه بسبقه للاسلام

* قال ابن اسحق ثم اسلم ابو بكر بن ابى قحافة واسمه عتيق واسم ابى قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب ابن لؤى بن غالب بن فهر « قال ابن هشام » واسم ابى بكر عبد الله وعتيق لقب لحسن وجهه وعتقه * قال ابن اسحق فلما اسلم ابو بكر رضى الله عنه اظهر اسلامه ودعا الى الله والى رسوله وكان ابو بكر رجلا مؤلفا لقومه محببا سهلا وكان أنسب قريش لقريش واعلم قريش بها وبما كان فيها من خير وشر وكان رجلا تاجرا ذا خلق ومعروف وكان رجال قومه يأتونه ويألفونه لغير واحد من الامر لعلمه وتجارته وحسن مجالسته فجعل يدعوا الى الله والى الاسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه فاسلم بدعائه فيما بلغنى عثمان بن عفان بن ابى العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن (١٦٥) كعب بن لؤى بن غالب * والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى * وعبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحرث بن زهرة بن كلاب ابن مرة بن كعب بن لؤى * وسعد بن ابى وقاص واسم ابى وقاص مالك بن اهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة ابن كعب بن لؤى * وطلحة ابن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى فجاء بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له فاسلموا وصلوا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما بلغنى ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد الا ما كان من أبى بكر بن أبى قحافة ما عكم عنه حين ذكرته له وما تردد فيه « قال ابن هشام » قوله عكم تلبث قال رؤبة بن العجاج * فانصاع وثاب بها وما عكم * « قال ابن هشام » قوله بدعائه عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق فكان هؤلاء النفر الثمانية الذين سبقوا الناس بالاسلام فصلوا وصدقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جاءه من الله * ثم أسلم أبو عبيدة واسمه عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال ابن أهيب بن ضبة بن الحرث بن فهر * وأبو سلمة واسمه عبد الله بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لؤى * والارقم بن أبى الارقم واسم أبى الارقم عبد مناف بن أسد وكان أسد يكنى أبا جندب بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة ابن كعب بن لؤى * وعثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى . وأخواه قدامة وعبد الله ابنا مظعون بن حبيب * وعبيدة بن الحرث بن المطلب بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى * وسعيد بن زيد بن عمرو

﴿ فصل ﴾ وذكر اسلام أبى بكر ونسبه قال واسمه عبد الله وسمى عتيقا العتاقة وجهه والعتيق الحسن كانه أعتق من الذم والعيب وقيل سمى عتيقا لان أمه كانت لا يعيش لها ولد فنذرت ان ولد لها ولد أن تسميه عبد الكعبة وتتصدق به عليها فلما عاش وشب سمى عتيقا كانه أعتق من الموت وكان يسمى أيضا عبد الكعبة الى أن أسلم فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله وقيل سمى عتيقا لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أسلم أنت عتيق من النار وقيل كان لابيه ثلاثة من الولد معتق ومعيتق وعتيق وهو أبو بكر وسئل ابن معين عن أم أبى بكر فقال أم الخير عند اسمها وهى أم الخير بنت صخر بن عمرو بنت عم أبى قحافة واسمها سلمى وتكنى أم الخير وهى من المبايعات وأما أبوه عثمان أبو قحافة فامه قيلة بياء باثنتين منقوطة من أسفل بنت أذاة بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب وامرأة أبى بكر أم ابنه عبد الله واسماء قتلة بنت عبد العزى بتاء منقوطة باثنتين من فوق وقيل فيها بنت عبد أسعد بن نصر بن حسل بن عامر وهو قول الزبير * وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض عليه الاسلام فما عكم عند ذلك أى ما تردد وكان من أسباب توفيق الله اياه فيما ذكر رؤيا رآها قبل ذلك وذلك أنه رأى القمر ينزل الى مكة ثم رآه قد تفرق على جميع منازل مكة وبيوتها فدخل فى كل بيت منه شعبة ثم كانه جمع فى حجره فقصها على بعض الكتابيين فعبرها له بأن النبى المنتظر الذى قد أظل زمانه تتبعه وتكون أسعد الناس به فلما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام لم يتوقف وفى مدح حسان الذى قاله فيه وسمعه النبى صلى الله عليه وسلم ولم ينكره دليل على أنه اول من اسلم من الرجال وفيه

خير البرية أتقاها وافضلها * بعد النبى وأوفاها بما حملا
والثانى التالى المحمود مشهده * والثانى التالى صدق الرسلا

وذكر اسلام ابى عبيدة بن الجراح واسمه وقد اختلف فيه فقيل عبد الله بن عامر وقيل عامر بن عبد الله وامه امية بنت غنم بن جابر بن عبد العزى بن عامرة بن وديعة بن الحارث بن فهر قاله الزبير * وذكر اسلام سعيد بن زيد وقد ذكرناه فيما مضى وذكرنا امه فاطمة بنت بعجة بن خلف الخزاعية وما وقع فى نسبه من التقديم والتأخير ومن الفتح فى رزاح بن عدى والكسر وان رزاح بن ربيعة هو الذى لم يختلف فى كسر الراء منه ويكنى سعيد ابا الاعور توفى بأرضه بالعقيق ودفن بالمدينة فى ايام معاوية سنة خمسين اواحدى

وخمسين وهو ابن بضع وسبعين سنة روى عنه ابن عمر وعمرو بن حريث وأبو الطفيل عامر بن واثلة وجماعة من التابعين ولم يرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا حديثين . احدهما من غصب شبرا من ارض طوقه يوم القيامة من سبع ارضين وهو احد العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأحد الذين رجف بهم الجبل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اثبت حراء فانما عليك نبي أو صديق او شهيد ويروى اثبت احد وان القصة كانت في جبل احد ويروى انها كانت في جبل ثبير ذكره الترمذي وانهم كانوا أربعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم الخلفاء الاربعة ولعل هذا أن يكون مراراً فتصح الاحاديث كلها والله أعلم * وذكر فيمن أسلم بعد أبي بكر سعد بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن أهيب وأهيب هو عم آمنة بنت وهب أم النبي صلى الله عليه وسلم والوقاص في اللغة هو واحد الوقاقيص وهي شباك يصطاد بها الطير وهو أيضاً فعال من وقص اذا انكسر عنقه وأم سعد حمنة بنت سفيان بن أمية ابن عبد شمس يكنى أبا اسحق وهو أحد العشرة دعا له النبي صلى الله عليه وسلم أن يسدد الله سهمه وأن يجيب دعوته فكان دعاؤه أسرع الدعاء اجابة وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احذروا دعوة سعد مات في خلافة معاوية * وذكر عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة وهو أيضا أحد العشرة يكنى أبا محمد أمه الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحرث وهي بنت عم عوف والد عبد الرحمن بن عوف فأبوها عوف عم عوف وأخو عبد عوف * وذكر نعيم بن عبد الله النحام وقول النبي صلى الله عليه وسلم سمعت نحمة في الجنه ولم يفسر النحم ما هو وهي سعلة مستطيلة ويقال للبخيل نحام لانه يسعل اذا سئل يتشاغل بذلك وأنشد الزبير

مالك لا تنحم يا رواحه * ان النحيم للسعاة راحه

قال ويقال للنحمة نحطة وقال غيره النحطة في الصدر والنحمة في الحلق والنحام أيضاً طائر أحمر في عظم الاوز * وذكر عبد الله بن مسعود بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل حليف بني زهرة وقال في نسبه كاهل وقيده الوقشي بفتح الهاء من كاهل كانه سمي بالفعل من كاهل يكاهل كما قال عليه السلام لرجل استأذنه في الجهاد واسمه جاهمة فقال هل في أهلك من كاهل أي من قوي على التصرف والاكتهال القوة وقال أبو عبيد كاهل أي أسن وقال ابن الاعرابي انما لفظ الحديث هل في أهلك من كاهن وغيره الراوي له فقال من كاهل قال وكاهن الرجال هو الذي يخلف الرجل في أهله يقوم بأمرهم بعده يقال منه كهن يكهن كهانة * وذكر في نسبه أيضا شمخا وهو من شمخ بأنفه اذا رفعه عزة وأم عبد الله هي أم عبد بنت سود بن قديم بن صاهلة هذالية * وذكر مسعوداً القاري وهو مسعود بن ربيعة ورفع نسبه الى الهون بن خزيمة وهم القارة وفيهم جرى المثل * قد أنصف القارة من راماها * قال الراجز

قد علمت سلمى ومن والاها * انا نرد الخيل عن هواها
نردها دامية كلاها * قد أنصف القارة من راماها
انا اذا ما فئة نلقاها * نرد أولاها على أخراها

وسمي بنو الهون بن خزيمة قارة لقول الشاعر منهم في بعض الحروب

دعونا قارة لا تذعرونا * فنجفل مثل اجفال الظليم

هكذا أنشده أبو عبيد في كتاب الانساب وأنشده قاسم في الدلائل

دعونا قارة لا تذعرونا * فتنبئك القرابة والذمام

بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي * وامرأته فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي أخت عمر بن الخطاب وأسماء بنت أبي بكر وعائشة بنت أبي بكر وهي يومئذ صغيرة * وخباب بن الارت حليف بني زهرة «قال ابن هشام» خباب بن الارت من بني تميم ويقال هو من خزاعة * قال ابن اسحق وعمير بن أبي وقاص أخو سعد بن أبي وقاص * وعبد الله بن مسعود بن الحرث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل حليف بني زهرة * ومسعود بن القاري وهو مسعود بن ربيعة بن عمرو بن سعد بن عبد العزى بن حمالة بن غالب بن محلم بن عائذة بن سبيع بن الهون بن خزيمة من القارة (قال ابن هشام) والقارة لقب ولهم يقال قد انصف القارة من راماها وكانوا رماة

وكانوا

قال ابن اسحق وسليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر * وعياش بن أبى ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى وامرأته أسماء بنت سلامة بن مخربة التميمية * وخنيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى * وعامر بن ربيعة بن عنز بن وائل حليف آل الخطاب بن نفيل بن عبد العزى «قال ابن هشام» عنز بن وائل أخو بكر بن وائل من ربيعة بن (١٦٧) نزار * قال ابن اسحق وعبد الله بن جحش ابن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة * وأخوه أبو أحمد بن جحش حليفا بنى أمية بن عبد شمس وجعفر بن أبى طالب * وامرأته أسماء بنت عميس بن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة من خثعم * وحاطب بن الحرث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى * وامرأته فاطمة بنت المجلل بن عبد الله بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى بن غالب بن فهر * وأخوه خطاب بن الحرث وامرأته فكيهة بنت يسار * ومعمر بن الحرث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى * والسائب بن عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب * والمطلب بن أزهر ابن عبد عوف بن عبد بن الحرث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى * وامرأته رملة بنت أبى عوف بن صبيرة بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى * والنحام واسمه نعيم بن عبد الله بن أسيد أخو بنى عدى بن كعب بن لؤى «قال ابن هشام» هو نعيم بن عبد الله بن أسيد بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب بن لؤى وانما سمى النحام لان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد سمعت نحمه فى الجنة «قال ابن هشام» نحمه صوته وحسه

وكانوا رماة الحدق فمن راماهم فقد أنصفهم والقارة أرض كثيرة الحجارة وجمعها قور فكان معنى المثل عندهم ان القارة لا تنفد حجارتها اذا رمى بها فمن راماها فقد أنصف * وذكر أبا حذيفة بن عتبة «قال ابن هشام» واسمه مهشم وهو وهم عند أهل النسب فان مهشما انما هو أبو حذيفة بن المغيرة أخو هاشم وهشام ابنى المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وأما أبو حذيفة بن عتبة فاسمه قيس فيما ذكروا * وذكر أسماء بنت عميس امرأة جعفر ابن أبى طالب وعميس أبوها هو ابن معد بن الحارث بن تيم بن كعب بن مالك بن قحافة بن عامر بن ربيعة ابن زيد بن مالك بن نسر بن وهب بن شهران بن عفرس بن حلف بن أفتل وهو جماعة خثعم بن أنمار على الاختلاف فى أنمار هذا وقد تقدم وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث من كنانة وهى أخت ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج النبى صلى الله عليه وسلم أمهما واحدة وأخت لبابة أم الفضل امرأة العباس وكن تسع اخوات فيهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاخوات مؤمنات وكانت قبل جعفر عند حمزة بن عبد المطلب فولدت له أمة الله ثم كانت عند شداد بن الهاد فولدت له عبد الله وعبد الرحمن وقد قيل بل التى كانت عند حمزة ثم عند شداد هى أختها سلمى لا أسماء وتزوجها بعد حمزة أبو بكر الصديق فولدت له محمد بن أبى بكر وتزوجها بعده على بن ابى طالب فولدت له يحيى قال الكلبى ولدت له مع يحيى عون بن على ولم يختلف انها ولدت لجعفر ابناً اسمه عون وولدت له ايضا عبد الله بن جعفر وكان جواد العرب فى الاسلام وبنات عميس اسماء وسلامة وسلمى وهن اخوات ميمونة وسائر اخواتها الام * وذكر ابن اسحق فى السابقين الى الاسلام من بنى سهم عبد الله بن قيس بن الحارث بن عدى بن سعيد بن سهم وحيثما تكرر نسب بنى عدى بن سعد ابن سهم يقول فيه ابن اسحق سعيد والناس على خلافه انما هو سعد وسيأتى فى شعر عبد الله بن قيس شاهد على ذلك وانما سعيد بن سهم اخو سعد وهو جد آل عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم وفى سهم سعيد آخر وهو ابن سعد المذكور وهو جد المطلب بن ابى وداعة واسم ابى وداعة عوف بن صبيرة ابن سعيد بن سعد وقد قيل فى صبيرة ضبيرة بالضاد المعجمة وهو الذى كان شابا جميلا يلبس حلة ويقول للناس هل ترون بى بأسا إعجابا بنفسه فاصابته المنية بغتة فقال الشاعر فيه

من يأمن الحدثان بعد ضبيرة القرشى ماتا
سبقت منيته المشيب وكان منيته افتلاتا

* وذكر عامر بن ربيعة وقال هو من عنز بن وائل عنز بسكون النون ويذكر عن على بن المدينى انه قال فيه عنز بفتح النون والسكون اعرف ذكر اهل النسب ان وائلا كان اذا ولد له ولد خرج من خبائه فما وقعت عينه عليه سماه به فلما ولد له بكر وقعت عينه على بكر من الابل فسماه به فلما ولد له تغلب رأى نفسين يتغاليان فسماه تغلب فلما ولد له عنز رأى عنزا وهى الانثى من المعز فسماه عنزا فلما ولد له الشخيص خرج فرأى شخصا على بعد صغيرا فسماه الشخيص هؤلاء الاربعة هم قبائل وائل وهم معظم ربيعة وهو عامر بن ربيعة العنزى

* قال ابن اسحق وعامر بن فهيرة مولى أبى بكر الصديق رضى الله عنه «قال ابن هشام» عامر بن فهيرة مولد من مولدى الاسد اسود اشتراه أبو بكر رضى الله عنه منهم * قال ابن اسحق وخالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤى وامرأته أمينة بنت خلف بن أسعد بن عامر بن بياضة بن سبيع بن خثعمة بن سعد بن مليح بن عمرو من خزاعة «قال ابن هشام» ويقال همينة بنت خلف * قال ابن اسحق وحاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى بن غالب ابن فهر * وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة واسمه مهشم فيما قال ابن هشام بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى * وواقد بن عبد الله بن عبد مناف بن عرين بن ثعلبة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم حليف بنى عدى بن كعب «قال ابن هشام» جاءت به باهلة فباعوه من الخطاب بن نفيل فتبناه فلما أنزل الله تعالى ادعوهم لآبائهم قال انا واقد بن عبد الله فيما قال أبو عمرو المدنى * قال ابن اسحق وخالد وعامر وعاقل واياس بنو البكير بن عبد ياليل بن ناشب بن غيرة من بنى سعد بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة حلفاء بنى عدى بن كعب * وعمار ابن ياسر حليف بنى مخزوم بن يقظة «قال ابن هشام» عمار بن ياسر عنسى من مذحج * قال ابن اسحق وصهيب بن سنان أحد النمر بن قاسط حليف بنى تيم بن مرة «قال ابن هشام» النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار ويقال أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد ويقال صهيب مولى عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ويقال انه رومى فقال بعض من ذكر انه من النمر بن قاسط انما كان أسيرا فى أرض الروم فاشترى منهم وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم صهيب سابق الروم * قال ابن اسحق ثم دخل الناس فى الاسلام أرسالا من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الاسلام بمكة وتحدث به ثم ان الله عز وجل أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما جاءه منه وأن ينادى الناس بامره وأن يدعو اليه وكان بين ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستتر به الى أن أمره الله تعالى باظهار دينه ثلاث سنين فيما بلغنى من مبعثه ثم قال الله تعالى له فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين وقال تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين وقل انى أنا النذير المبين «قال ابن هشام» فاصدع افرق بين الحق والباطل * قال أبو ذؤيب الهذلى واسمه خويلد بن خالد يصف أتن وحش وفحلها

وكانهن ربابة وكانه * يسر يفيض على القداح ويصدع

أى يفرق على القداح ويبين أنصباءها وهذا البيت فى قصيدة له وقال رؤبة بن العجاج أنت الحليم والامير المنتقم * تصدع بالحق وتنفى من ظلم وهذان البيتان فى أرجوزة له * قال ابن اسحق وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلوا ذهبوا فى الشعاب واستخفوا بصلاتهم من قومهم فبينا سعد بن أبى وقاص فى نفر من أصحاب رسـول

العدوى حليف لهم ويقال هو عامر بن ربيعة بن كعب بن مالك بن ربيعة بن عامر بن سعد بن عبد الله بن الحارث بن رفيدة بن عنز بن وائل بن قاسط وقيل عامر بن ربيعة بن مالك بن عامر بن ربيعة بن حجير بن سلامان بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وذكر عامر بن فهيرة مولى أبى بكر وفهيرة أمه وهى تصغير فهر لأن الفهر مؤنثة وكان عبدا أسود للطفيل بن الحارث بن سخبرة اشتراه أبو بكر فأعتقه وأسلم قبل دخول النبى صلى الله عليه وسلم دار الأرقم وسيأتى فى الكتاب نبذ من أخباره منها انه قتله عامر بن الطفيل يوم بئر معونة فلما طعنه خرج من الطعنة نور وكان عامر يقول من رجل لما طعنته رفع حتى حالت السماء دونه هذه رواية البكائى عن ابن اسحق وفى رواية يونس بن بكير عن ابن اسحق ان عامرا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم عليه وقال يا محمد من رجل من أصحابك لما طعنته رفع الى السماء فقال هو عامر بن فهيرة وروى هشام بن عروة عن أبيه ان عامرا التمس فى القتلى يومئذ فلم يوجد فكانوا يرون ان الملائكة رفعته أو دفنته ذكره ابن المبارك

﴿ فصل ﴾ وذكر قول الله سبحانه «فاصدع بما تؤمر» والمعنى اصدع بالذى تؤمر به ولكنه لما عدى الفعل الى الهاء حسن حذفها وكان الحذف ههنا احسن من ذكرها لأن ما فيها من الابهام أكثر مما تقتضيه الذى وقولهم ما مع الفعل بتأويل المصدر راجع الى معنى الذى اذا تأملته وذلك ان الذى تصلح فى كل موضع تصلح فيه ما التى يسمونها المصدرية نحو قول الشاعر

عسى الايام ان يرجعـ * ـن يوما كالذى كانوا

أى كما كانوا فقول الله عز وجل اذا «فاصدع بما تؤمر» اما ان يكون معناه بالذى تؤمر به من التبليغ ونحوه واما ان يكون معناه اصدع بالامر الذى تؤمره كما تقول عجبت من الضرب الذى تضرب فتكون ما ههنا عبارة عن الأمر الذى هو أمر الله تعالى ولا يكون للباء فيه دخول ولا تقدير وعلى الوجه الاول تكون ما مع صلتها عبارة

الله صلى الله عليه وسلم فى شعب من شعاب مكة اذ ظهر عليهم نفر من المشركين وهم يصلون فناكروهم وعابوا عليهم ما يصنعون حتى قاتلوهم فضرب سعد بن أبى وقاص يومئذ رجلا من المشركين بلحى بعير فشجه فكان أول دم اهريق فى الاسلام * قال ابن اسحق فلما بادى رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه بالاسلام وصدع به كما أمره الله لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه فيما بلغنى حتى ذكر آلهتهم وعابها فلما فعل ذلك أعظموه وناكروه واجمعوا خلافه وعداوته الامن عصم الله تعالى منهم بالاسلام وهم قليل مستخفون وحدب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه أبو طالب ومنعه وقام دونه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله مظهر الامره لا يرده عنه شئ فلما رأت قريش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعتبهم من شئ أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ورأوا ان عمه أباطالب قد حدب عليه وقام دونه فلم يسلمه لهم مشى رجال من أشراف قريش الى أبى طالب عتبة وشيبة ابنا ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب وأبو سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر

عبارة عماه وفعل للنبى صلى الله عليه وسلم والاظهر انها مع صلتها عبارة عن الامر الذى هو قول الله ووحيه بدليل حذف الهاء الراجعة الى ما وان كانت بمعنى الذى فى الوجهين جميعا الا انك اذا أردت معنى الامر لم تحذف الا الهاء وحدها واذا أردت معنى المأمور به حذفت باء وهاء فحذف واحد أيسر من حذفين مع ان صدعه وبيانه اذا علقته بامر الله ووحيه كان حقيقة واذا علقته بالفعل الذى أمر به كان مجازا واذا صرحت بلفظ الذى لم يكن حذفها بذلك الحسن وتأمله فى القرآن تجده كذلك نحو قوله تعالى «وأعلم ماتبدون وما كنتم تكتمون . ويعلم ماتسرون وماتعلنون . ولما خلقت بيدى . ولا أعبد ماتعبدون» ولم يقل خلقته وحذف الهاء فى ذلك كله وقال فى الذى «الذين آتيناهم الكتاب . والذى جعلناه للناس سواء» وما أشبه ذلك وانما كان الحذف مع ما أحسن لما قدمناه من ابهامها فالذى فيها من الابهام قربها من ما التى هى شرط لفظا ومعنى الا ترى ان ما اذا كانت شرطا تقول فيها ما تصنع اصنع مثله ولا تقول ما تصنعه لان الفعل قد عمل فيها فلما ضارعتها هذه التى هى موصولة وهى بمعنى الذى أجريت فى حذف الهاء مجراها فى أكثر الكلام وهذه تفرقة فى عود الضمير على ما وعلى الذى يشهد لها التنزيل والقياس الذى ذكرناه من الابهام ومع هذا لم نر أحدا نبه على هذه التفرقة ولا أشار اليها وقارئ القرآن محتاج الى هذه التفرقة وقد يحسن حذف الضمير العائد على الذى لانه أوجز ولكنه ليس كحسنه مع من وما ففى التنزيل «والنور الذى أنزلنا» فان كان الفعل متعديا الى اثنين كان ابراز الضمير أحسن من حذفه لئلا يتوهم ان الفعل واقع على المفعول الواحد وانه مقتصر عليه كقوله تعالى «جعلناه للناس سواء . والذين آتيناهم الكتاب» وشرح ابن هشام معنى قوله اصدع شرحا صحيحا وتتمته انه صدع على جهة البيان وتشبيه لظلمة الشك والجهل بظلمة الليل والقرآن نور فصدع به تلك الظلمة ومنه سمى الفجر صديعا لانه يصدع ظلمة الليل وقال الشماخ

ترى السرحان مفترشا يديه * كان بياض لبته صديع

على هذا تأوله أكثر اهل المعانى وقال قاسم بن ثابت الصديع فى هذا البيت ثوب اسود تلبسه النواحة تحته ثوب أبيض وتصدع الاسود عند صدرها فيبدو الابيض وأنشد

كانهن اذوردن ليعا * نواحة مجتابة صديعا

ليع — اسم جبل

مبادأة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه

ذكر فى الحديث ان أباطالب حدب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام دونه أصل الحدب انحناء فى الظهر ثم استعير فيمن عطف على غيره ورق له كما قال النابغة

حدبت على بطون ضبة كلها * ان ظالما فيهم وان مظلوما

ومثل ذلك الصلاة أصلها انحناء وانعطاف من الصلوين وهما عرقان فى الظهر الى الفخذين ثم قالوا صلى عليه أى انحنى عليه ثم سموا الرحمة حنوا وصلاة اذا أرادوا المبالغة فيها فقولك صلى الله على محمد هو أرق وأبلغ من قولك رحم الله محمدا فى الحنو والعطف والصلاة أصلها فى المحسوسات عبر بها عن هذا المعنى مبالغة وتأكيدا كما قال الشاعر

فمازلت فى لينى وتعطفى * عليه كما تحنو على الولد الام

ومنه قيل صليت على الميت أى دعوت له دعاء من يحنو عليه ويتعطف عليه ولذلك لا تكون الصلاة بمعنى الدعاء على الاطلاق لا تقول صليت على العدو أى دعوت عليه انما يقال صليت عليه فى معنى الحنو والرحمة

« قال ابن هشام » واسم أبى سفيان صخر * قال ابن اسحق وأبو البخترى واسمه العاص بن هشام بن الحرث بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى « قال ابن هشام » أبو البخترى العاص بن هاشم * قال ابن اسحق والاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى * وأبو جهل بن هشام واسمه عمرو وكان يكنى أبا الحكم بن هشام بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى * والوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب ابن لؤى * ونبيه ومنبه ابنا الحجاج بن عامر بن حذيفة بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى * والعاص بن وائل « قال ابن هشام » العاص بن وائل بن هشام بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى * قال ابن اسحق أو من مشى منهم فقالوا يا أبا طالب ان ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا فاما أن تكفه عنا واما أن تخلى بيننا وبينه فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيكه فقال لهم أبو طالب قولا رفيقا وردهم ردا جميلا فانصرفوا عنه ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو اليه ثم شرى الامر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا وأكثرت قريش ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بينها فتذامروا فيه وحض بعضهم بعضا عليه ثم انهم مشوا الى أبى طالب مرة أخرى فقالوا له يا أبا طالب ان لك سنا وشرفا ومنزلة فينا وانا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيب آلهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله واياك فى ذلك حتى يهلك أحد الفريقين أو كما قالوا ثم انصرفوا عنه فعظم على أبى طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطب نفسا باسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذلانه * قال ابن اسحق وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس انه حدث ان قريشا حين قالوا لابى طالب هذه المقالة بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له يا ابن أخى ان قومك قد جاؤنى فقالوا لى كذا وكذا للذى كانوا قالوا له فابق على وعلى نفسك ولا تحملنى من الامر ما لا أطيق قال فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قد بدا لعمه فيه بدو وانه خاذله ومسلمه وانه قد ضعف عن نصرته والقيام معه قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الامر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته قال ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قام فلما ولى ناداه أبو طالب فقال أقبل يا ابن أخى قال فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذهب يا ابن أخى فقل ما أحببت فوالله لا أسلمك لشىء أبدا

والعطف لانها فى الاصل انعطاف ومن أجل ذلك عديت فى اللفظ بعلى فتقول صليت عليه أى حنوت عليه ولا تقول فى الدعاء الا دعوت له فتعدى الفعل باللام الا أن تريد الشر والدعاء على العدو فهذا فرق ما بين الصلاة والدعاء وأهل اللغة لم يفرقوا ولكن قالوا الصلاة بمعنى الدعاء اطلاقا ولم يفرقوا بين حال وحال ولا ذكروا التعدى باللام ولا بعلى ولا بد من تقييد العبارة لما ذكرناه وقد يكون الحدب أيضا مستعملا فى معنى المخالفة اذا قرن بالقعس كقول الشاعر

وان حدبوا فاقعس وان هم تقاعسوا * لينتزعوا ما خلف ظهرك فاحدب

وكقول الآخر

ولن ينهنه قوما أنت خائفهم * كمثل وقمك جهالا بجهال
فاقعس اذا حدبوا واحدب اذا قعسوا * ووازن الشر مثقالا بمثقال

أنشده الجاحظ فى كتاب الحيوان له

﴿ فصل ﴾ وذكر مجىء النفر من قريش الى أبى طالب فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم وذكر أنسابهم وذكر فيهم أبا البخترى بن هشام قال واسمه العاصى بن هشام وقال ابن هشام هو العاصى بن هاشم والذى قاله ابن اسحق هو قول ابن الكلبى والذى قاله ابن هشام هو قول الزبير بن أبى بكر وقول مصعب وهكذا وجدت فى حاشية كتاب الشيخ أبى بحر سفيان بن العاصى

﴿ فصل ﴾ وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى على أن أدع هذا الذى جئت به ما تركته أو كما قال خص الشمس باليمين لانها الآية المبصرة وخص القمر بالشمال لانها الآية المحوة وقد قال عمر رحمه الله لرجل قال له انى رأيت فى المنام كأن الشمس والقمر يقتتلان ومع كل واحد منهما نجوم فقال عمر مع أيهما كنت فقال مع القمر قال كنت مع الآية المحوة اذهب فلا تعمل لى عملا وكان عاملا له فعزله فقتل الرجل فى صفين مع معاوية واسمه حابس بن سعد وخص رسول الله صلى الله عليه وسلم النيرين حين ضرب المثل بهما لان نورهما محسوس والنور الذى جاء به من عند الله وهو الذى أرادوه على تركه هو لا محالة أشرف من النور المخلوق قال الله سبحانه « يريدون أن يطفؤا نور الله بأفواههم

ويأتى

* قال ابن اسحق ثم ان قريشا حين عرفوا أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلامه واجماعه أفراقهم فى ذلك وعداوتهم مشوا اليه بعمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له فيما بلغنى يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش وأجمله فخذه فلك عقله ونصره واتخذه ولدا فهو لك وأسلم الينا ابن أخيك هذا الذى قد خالف دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فنقتله فانما هو رجل برجل قال والله لبئس ما تسوموننى أتعطوننى ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابنى تقتلونه هذا والله ما لا يكون أبدا قال فقال المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف بن قصى والله يا أبا طالب لقد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه فما أراك تريد أن تقبل منهم شيئا فقال أبو طالب للمطعم والله ما أنصفونى ولكنك قد أجمعت خذلانى ومظاهرة القوم على فاصنع ما بدا لك أو كما قال قال فحقب الامر وحميت الحرب وتنابذ القوم وبادى بعضهم بعضا فقال أبو طالب عند ذلك يعرض بالمطعم بن عدى ويعم من خذله من عبد مناف ومن عاداه من قبائل قريش ويذكر ما سألوه وما تباعد من أمرهم

ألا قل لعمرو والوليد ومطعم * ألا ليت حظى من حياطتكم بكر
من الخور حبحاب كثير رغاؤه * يرش على الساقين من بوله قطر
تخلف خلف الورد ليس بلاحق * اذا ما علا الفيفاء قيل له وبر
أرى أخوينا من أبينا وأمنا * اذا سئلا قالا الى غيرنا الامر

و يأبى الله الا أن يتم نوره » فاقتضت بلاغة النبوة لما أرادوه على ترك النور الاعلى أن يقابله بالنور الادنى وان يخص أعلا النيرين وهى الآية المبصرة باشرف اليدين وهى اليمنى بلاغة لا مثلها وحكمة لا يجهل اللبيب فضلها * وقول ابن اسحق ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قد بدا لعمه بداء أى ظهر له رأى فسمى الرأى بداء لانه شئ يبدو بعد ما خفى والمصدر البدء والبدو والاسم البداء ولا يقال فى المصدر بدا له بدو كما لا يقال ظهر له ظهور بالرفع لان الذى يظهر و يبدو ها هنا هو الاسم نحو البداء وأنشد أبو على

لعلك والموعود حق وفاؤه * بدا لك فى تلك القلوص بداء

ومن أجل أن البدو هو الظهور كان البداء فى وصف البارى سبحانه محالا لانه لا يبدو له شئ كان غائبا عنه والنسخ للحكم ليس ببداء كما توهمت الجهلة من الرافضة واليهود انما هو تبديل حكم بحكم بقدر قدره وعلم علمه وقد يجوز أن يقال بدا له أن يفعل كذا و يكون معناه أراد وهذا من المجاز الذى لا سبيل الى اطلاقه الا باذن من صاحب الشرع وقد صح فى ذلك ما خرجه البخارى فى حديث الثلاثة الاعمى والاقرع والابرص وانه عليه السلام قال بدا لله أن يبتليهم فبداهنا بمعنى أراد وذكرنا الرافضة لان ابن أعين ومن اتبعه منهم يجيزون البداء على الله تعالى و يجعلونه والنسخ شيئا واحدا واليهود لا تجيز النسخ يحسبونه بداء ومنهم من أجاز البداء كالرافضة و يروى أن عليا رحمه الله صلى يوما ثم ضحك فسئل عن ضحكه فقال تذكرت أبا طالب حين فرضت الصلاة ورآنى أصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بنخلة فقال ما هذا الفعل الذى أرى فلما أخبرناه قال هذا حسن ولكن لا أفعله أبدا لا أحب أن تعلونى أستى فتذكرت الآن قوله فضحكت

(فصل) وذكر قول الملأ من قريش لابى طالب هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش وأجمله فخذه مكان ابن اخيك أنهد أى أقوى وأجلد ويقال فرس نهد للذى يتقدم الخيل واصل هذه الكلمة التقدم ومنه يقال نهد ثدى الجارية أى برز قدما وعمارة بن الوليد هذا المذكور هو الذى ارسلته قريش مع عمرو بن العاصى الى أرض الحبشة فسحر هناك وجن وسنزيد فى خبره شيئا بعد هذا ان شاء الله * وذكروا ان أبا طالب قال لهم حين سألوه ان يأخذ عمارة بدلا من محمد صلى الله عليه وسلم أرأيتم ناقة تحن الى غير فصيلها وترأمه لا أعطيكم ابنى تقتلونه أبدا وأخذ ابنكم أكفله وأغذوه وهو معنى ما ذكر ابن اسحق قال ابن اسحق فحقب الامر عند ذلك يريد اشتد وهو من قولك حقب البعير اذا راغ عنه الحقب من شدة الجهد والنصب واذا عسر عليه البول أيضا لشد الحقب على ذلك الموضع فيقال منه حقب البعير ثم يستعمل فى الامر اذا عسر وكذلك قوله فشرى الامر عند ذلك أى انتشر الشر ومنه الشرى وهى قروح تنتشر على البدن يقال منه شرى جلد الرجل يشرى شرى

(فصل) وذكر شعر أبى طالب الاقل لعمرو والوليد الى آخر الشعر

* وفيه الا ليت حظى من حياطتكم بكر * أى ان بكرا من الابل أنفع لى منكم فليته لى بدلا من حياطتكم كما قال طرفة فى عمرو بن هند

ليت لنا مكان الملك عمرو * رغوثا حول قبتنا تخور

* وقوله من الخور حبحاب الخور الضعاف والحبحاب بالحاء الصغير وفى حاشية كتاب الشيخ أبى بحر جبجاب بالجيم وفسره فقال هو الكثير الهدر وفى الشعر * اذا ما علا الفيفاء قيل له وبر * أى يشبه بالوبر لصغره و يحتمل أن يكون أراد يصغر فى العين لعلو المكان و بعده والفيفاء الفلاة ولولا قولهم الفيف لكان حمله على

بلى لهما أمر ولكن تجرجما * كما جرجمت من رأس ذى علق صخر أخص خصوصا عبد شمس ونوفلا *
هما نبذانا مثل ما ينبذ الجمر هما أغمزا للقوم فى أخويهما * فقد أصبحا منهم أكفهم صفر
هما أشركا فى المجد من لا أبا له * من الناس الا ان يرس له ذكر وتيم ومخزوم وزهرة منهم *
وكانوا لنا مولى اذا بغى النصر فوالله لا ينفك منا عداوة * ولا منهم ما كان من نسلنا شفر
فقد سفهت أحلامهم وعقولهم * وكانوا كجفر بئس ما صنعت جفر «قال ابن هشام» تركنا منها بيتين

أقذع فيهما * قال ابن اسحق ثم ان قريشا تذامروا بينهم على من فى القبائل منهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين أسلموا معه فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم ويفتنونهم عن دينهم ومنع الله رسوله صلى الله عليه وسلم منهم بعمه أبى طالب وقد قام أبو طالب حين رأى قريشا يصنعون ما يصنعون فى بنى هاشم وبنى المطلب فدعاهم الى ما هو عليه من منع رسول الله صلى الله عليه وسلم والقيام دونه فاجتمعوا اليه وقاموا معه وأجابوه الى ما دعاهم اليه الا ما كان من أبى لهب عدو الله الملعون فلما رأى أبو طالب من قومه ما سره فى جهدهم معه وحدبهم عليه جعل يمدحهم ويذكر قديمهم وفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ومكانه منهم ليشد لهم رأيهم وليحدبوا معه على أمره فقال

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها
فان حصلت أشراف عبد منافها * ففى هاشم أشرافها وقديمها
وان فخرت يوما فان محمدا * هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قريش غثها وسمينها * علينا فلم تظفر وطاشت حلومها
وكنا قديما لا نقر ظلامة * اذا ما ثنوا صعر الخدود نقيمها
ونحمى حماها كل يوم كريهة * ونضرب عن أحجارها من يرومها
بنا انتعش العود الذواء وانما * بأكنافنا تندى وتنمى أرومها

قال المرتجز

ثم ان الوليد بن المغيرة اجتمع اليه نفر من قريش وكان ذا سن فيهم وقد حضر الموسم فقال لهم يا معشر قريش انه قد حضر هذا الموسم وان وفود العرب ستقدم عليكم فيه وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا فاجمعوا فيه رأيا واحدا

باب القضقاض والجرجار أولى ولكن منع الفيف فعلم ان الالفين زائدتان وانه من باب قلق وسلس الذى ضوعفت فيه فاء الفعل دون عينه وهى ألفاظ يسيرة نحو قلق وسلس وثلث وسدس وقد اعتنينا بجمعها من الكلام ولعل لها موضعا نذكر فيه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ولا تكون ألف فيفاء للالحاق فيصرف لانه ليس فى الكلام فعلال . فان قيل يكون ملحقا بقضقاض وبابه . قلنا قضقاض ثنائى مضاعف فلا يلحق به الثلاثى كما لا يلحق الرباعى بالثلاثى ولا الا كثر بالاقل وقد حكى فيفاة بالقصر وليست الفها للتأنيث اذ لا يجمع بين علامتى تأنيث فهى اذا من باب ارطاة ونحوها كانها ملحقة بسلهبة * وفى الشعر * كما جرجمت من رأس ذى علق صخر * وترك صرف علق اما لانه جعله اسم بقعة واما لانه اسم علم وترك صرف الاسم العلم سائغ فى الشعر وان لم يكن مؤنثا ولا عجميا نحو قول عباس بن مرداس

وما كان حصن ولا حابس * يفوقان مرداس فى المجمع

ونحو قول الآخر

يا من جفانى وملا * نسيت أهلا وسهلا
ومات مرحب لما * رأيت مالى قلا

فلم يصرف مرحبا وسيأتى فى هذا الكتاب شواهد كثيرة على هذا ونشرح العلة فيه ان شاء الله تعالى ولو روى من رأس ذى علق الصخر بحذف التنوين لالتقاء الساكنين لكان حسنا كما قرئ قل هو الله أحد الله الصمد بحذف التنوين من أحد وهى رواية عن أبى عمرو بن العلاء وقال الشاعر

* حميد الذى أمج داره * وقال آخر * ولا ذاكر الله الا قليلا * وانشد قول أبى طالب

اذا اجتمعت يوما قريش لمفخر * فعبد مناف سرها وصميمها

* قوله سرها اى وسطها وسر الوادى وسرارته وسطه وقد تقدم متى يكون الوسط مدحا وأن ذلك فى موضعين فى وصف الشهود وفى النسب وبينا السر فى ذلك * وقال فى القصيدة ونضرب عن أحجارها من يرومها * اى ندفع عن حصونها ومعاقلها وان كانت الرواية أجحارها بتقديم الجيم فهو جمع جحر والجحر هنا مستعار وانما يريد عن بيوتها ومساكنها * وذكر خبر الوليد بن المغيرة وقوله فيما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من الوحى والقرآن قد سمعنا الشعر فما هو بهزجه ولا رجزه والهزج من أعاريض الشعر معروف عند العروضيين ولا أعرف له اشتقاقا الا أن يكون من قولهم فى وصف الذباب هزج أى مترنم وأما الرجز فيحتمل أن يكون من رجزت الحمل اذا عدلته بالرجازة وهو شىء يعدل به الحمل وكذلك الرجز فى الشعر أشطار معدلة ويجوز أن يكون من رجزت الناقة اذا أصابتها رعدة عند قيامها كما قال الشاعر * حتى تقوم تكلف الرجزا *

ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضا و يرد قولكم بعضه بعضا قالوا فانت يا ابا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيا نقل به قال بل أنتم فقولوا اسمع قالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن لقد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه قالوا فنقول مجنون قال ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته قالوا فنقول شاعر قال ما هو بشاعر لقد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه فما هو بالشعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر لقد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثهم ولا عقدهم قالوا فما نقول يا ابا عبد شمس قال والله ان لقوله لحلاوة وان أصله لعذق وان فرعه لجناة «قال ابن هشام» ويقال لغدق وما انتم بقائلين من هذا شيئا الا عرف أنه باطل وان اقرب القول فيه لان تقولوا هو ساحر جاء بقول هو سحر يفرق به بين المرء وابيه وبين المرء واخيه وبين المرء وزوجته وبين المرء وعشيرته فتفرقوا عنه بذلك فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمر بهم أحد الا حذروه (١٧٣) اياه وذكروا لهم أمره فانزل الله تعالى في الوليد بن المغيرة وفي ذلك من قوله ذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا ثم يطمع أن أزيد كلا انه كان لآياتنا عنيدا أي خصيما «قال ابن هشام» عنيد معاند مخالف قال رؤبة بن العجاج

* ونحن ضرابون رأس العند *

وهذا البيت في أرجوزة له سارهقه صعودا انه فكر وقدر فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر «قال ابن هشام» بسر كره وجهه قال العجاج

* مضبر اللحيين بسرا منهسا *

يصف كراهية وجهه وهذا البيت في أرجوزة له ثم أدبر واستكبر فقال ان هذا الا سحر يؤثر ان هذا الا قول البشر * قال ابن اسحق وأنزل الله تعالى في رسوله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به من الله تعالى وفي النفر الذين كانوا معه يصنفون القول في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيما جاء به من الله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين أي أصنافا فاوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون * قال ابن هشام واحدة العضين عضه يقول عضوه فرقوه قال رؤبة بن العجاج * وليس دين الله بالمعضي * وهذا البيت في أرجوزة * قال ابن اسحق فجعل أولئك النفر يقولون ذلك في رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن لقوا من الناس وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتشر ذكره في بلاد العرب كلها فلما خشي أبو طالب دهماء العرب ان يركبوه مع قومه قال قصيدته التي تعوذ فيها بحرم مكة وبمكانه منها وتودد فيها أشراف قومه وهو على ذلك يخبرهم وغيرهم في ذلك من شعره انه غير مسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تاركه لشيء أبدا حتى يهلك دونه فقال أبو طالب

ولما رأيت القوم لا ود فيهم * وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والاذى * وقد طاوعوا أمر العدو المزايل

قال المرتجز كانه مرتعد عند انشاده لقصر الابيات * وقوله قد سمعنا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه الزمزمة صوت ضعيف كنحو ما كانت الفرس تفعله عند شربها الماء و يقال أيضا زمزم الرعد وهو صوت له قبل الهدر وكذلك الكهان كانت لهم زمزمة الله أعلم بكيفيتها وأما زمزمة الفرس فكانت من أنوفهم * وقول الوليد ان أصله لعذق وان فرعه لجناة استعارة من النخلة التي ثبت أصلها وقوي وطاب فرعها اذا جني والنخلة هي العذق بفتح العين ورواية ابن اسحق أفصح من رواية ابن هشام لانها استعارة تامة يشبه آخر الكلام أوله ورواية ابن هشام ان أصله لغدق وهو الماء الكثير ومنه يقال غيدق الرجل اذا كثر بصاقه واحد أعمام النبي صلى الله عليه وسلم كان يسمى الغيداق لكثرة عطائه والغيدق أيضا ولد الضب وهو أكبر من الحسل قاله قطرب في كتاب الافعال والاسماء له

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق قول الله تعالى «ذرني ومن خلقت وحيداً» الآيات التي نزلت في الوليد وفيها له تهديد ووعيد شديد لان معنى ذرني ومن خلقت أي دعني واياه فسترى ما أصنع به كما قال فذرني ومن يكذب بهذا الحديث وهي كلمة يقولها المغتاظ اذا اشتد غيظه وغضبه وكره أن يشفع لمن اغتاظ عليه فمعنى الكلام أي لا شفاعة تنفع لهذا الكافر ولا استغفار يا محمد منك ولا من غيرك وقوله «وبنين شهوداً» أي مقيمين معه غير محتاجين الى الاسفار والغيبة عنه لان ماله كان ممدوداً والمال الممدود عندهم اثنا عشر ألف دينار فصاعداً «ومهدت له تمهيداً» أي هيأت له وقدمت له مقدمات استدراجا له وقوله تعالى «سارهقه صعوداً» هي عقبة في جهنم يقال لها الصعود مسيرها سبعين سنة يكلف الكافر أن يصعدها فاذا صعدها بعد عذاب طويل صب من أعلاها ولا يتنفس ثم لا يزال كذلك أبداً كذلك جاء في التفسير وقوله سبحانه «فقتل كيف قدر» أي لعن كيفما كان تقديره فكيف ها هنا من حروف الشرط وقيل معنى قتل أي هو أهل أن يدعى عليه بالقتل وقد فسر ابن هشام بسر والبسر أيضاً القهر والبسر حمل الفحل على الناقة قبل وقت الضراب وفسر عضين وجعله من عضيت أي فرقت وفي الحديث لا تعضية في ميراث الا ما احتمله القسم ومعنى هذا الحديث موافق لمذهب ابن القاسم ورأيه في كل ما لا ينتفع به اذا قسم او كان فيه ضرر على

الشريكين ألا يقسم وهو خلاف رأى مالك وحجة مالك قول الله تعالى «مما قل منه او كثر نصيباً مفروضاً» وقد قيل فى عضين انه جمع عضة وهى السحر وانشدوا

اعوذ بربى من النافثا * ت فى عقد العاضه المعضه

ومنه قولهم بالمعضهة وبالافيكة

﴿فصل﴾ وذكر قصيدة ابى طالب الى آخرها وفيها * وابيض عضب من تراث المقاول * قد شرحنا الاقيال والمقاول فيما تقدم وتراث اصله وراث من ورثت ولكن لا تبدل هذه الواو تاء الا فى مواضع محفوظة وعلتها كثرة وجود التاء فى تصاريف الكلمة فالتراث مال قد تورث وتوارثه قوم عن قوم فالتاء مستعملة فى التوريث والتوارث وكذلك تجاه البيت التاء مستعملة فى التوجه والتوجيه ونحوه فلما الفوها فى تصاريف الكلمة لم ينكروا اقلب الواو اليها كما فعلوا فى ريحان وهو من الروح لكثرة الياء فى تصاريف الكلمة كما قدمنا قبل وهى فى تراث وبابه ابعد لان الياء المألوفة فى مادة الكلمة زائدة وياء ريحان ليست كذلك وكذلك التكأة من توكات وتترى من التواتر والتولج من التوج والمتلج لانهم يقولون اتلج بالتشديد فتصير الواو تاء للادغام حتى يقولوا متلج فيجعلونها تاء دون الادغام وهذا اشبه بقياس ريحان وبابه فان التاء الاولى من متلج اصلية وهى فى متلج اذا ضعفت اصلية ايضاً فهى هى فقف على هذا الاصل فانه سر الباب واراد بالمقاول اباءه شبههم بالملوك ولم يكونوا ملوكا ولا كان فيهم من ملك بدليل حديث ابى سفيان حين قال له هرقل هل كان فى آبائه من ملك فقال لا ويحتمل ان يكون هذا السيف الذى ذكر ابو طالب من هبات الملوك لابيه فقد وهب ابن ذى يزن لعبد المطلب هبات جزلة حين وفد عليه مع قريش يهنئونه بظفره بالحبشة وذلك بعد مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعامين * وقوله موسمة الاعضاد او قصراتها يعنى بسمة فى اعضادها ويقال لذلك الوسم السطاع والخباط فى الفخذ والرقمة ايضا فى العضد ويقال للوسم فى الكشح الكشاح ولما فى قصرة العنق العلاط والملطاط والشعب ايضاً فى العنق وهو كالمحجن وفى العنق وسم آخر ايضاً يقال له قيد الفرس قال الراجز

كوم على أعناقها قيد الفرس * تنجو اذا الليل تدانى والتبس

ولوسوم الابل أسماء كثيرة وباب طويل ذكر أبو عبيد أكثره فى كتاب الابل فمنها المشيطنة والمفماة والقرمة وهى فى الانف وكذلك الجرف والخطاف وهى فى العنق والدلو والمشط والقرتاج والثؤثور والدماع فى موضع الدمع والصداغ فى موضع الصدغ واللجام من الخد الى العين يقال منه بعير ملجوم والهلال والخراش وهو من الصدغ الى الذقن * وقوله وقصراتها جمع قصرة وهى أصل العنق وخفضها بالعطف على الاعضاد ولا يجوز ان تكون فى موضع نصب كما تقول هو ضارب الرجل وزيداً فى باب اسم الفاعل لان قوله موسمة الاعضاد من باب الصفة المشبهة وهى لا تعمل الا مضمرة واسم الفاعل يضمر اذا عطف على المخفوض وذلك ان الصفة لا تعمل بالمعنى وانما تعمل بشبه لفظى بينها وبين اسم الفاعل فاذا زال اللفظ ورجع الى الاضمار لم تعمل وتخالف اسم الفاعل أيضاً لان معمولها لا يتقدم عليها كما يتقدم المعمول على اسم الفاعل وذلك ان منصوبها فاعل فى المعنى والفاعل لا يتقدم والصفة لا يفصل بينها وبين منصوبها بالظرف ويجوز ذلك فى اسم الفاعل والصفة لا تعمل الا بمعنى الحال واسم الفاعل يعمل بمعنى الحال والاستقبال نعم ويعمل بمعنى الماضى اذا دخلت عليه الالف واللام ولو روى موسمة الاعضاد بنصب الدال على معنى موسمة الاعضاد بالتنوين وحذفه لالتقاء الساكنين لجاز كما روى فى شعر جندح * كبكر مقناة البياض *

وقد حالفوا قوما علينا اظنة * يعضون غيظاً خلفنا بالانامل
صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة * وابيض عضب من تراث المقاول *
واحضرت عند البيت رهطى واخوتى * وأمسكت من أثوابه بالوصائل *
قياما معا مستقبلين رتاجه * لدى حيث يقضى حلفه كل نافل *
وحيث ينيخ الاشعرون ركابهم * بمفضى السيول من اساف ونائل *
موسمة الأعضاد أو قصراتها * مخيسة بين السديس وبازل *

بالنصب و بالرفع أيضا أي البياض منهـا على نيـة التنوين في مقاناة وحذفه لالتقاء الساكنين وأما الخفض فلا خفاء به واذا كانت القصرات مخفوضـة بالعطف عـلى الاعضاد ففيه شاهد لمن قال هو حسن وجهـه كما روى سيبويه حين أنشد * كميتا الاعالي جونتا مصطلاهما * وفي حديث أم زرع صفر ردائها وملء كسائها مثل حسنة وجهها وفي الامالي من صفة النبي صلى الله عليه وسلم شثن الـكفين طويل أصابعه أعني مثل صفر ردائها * وقوله ترى الودع فيه الودع والودع بالسكون والفتح خرزات تنظم ويتحلى بها النساء والصبيان كما قال * والحلم حلم صبي يمرس الودعا * وقال الشاعر

ان الرواة بلا فهم لما حفظوا * مثل الجمال عليها يحمل الودع

لا الودع ينفعه حمل الجمال له * ولا الجمـال بحمـل الودع تنتفع

ويقال ان هذه الخرزات يقذفها البحر وانها حيوان في جوف البحر فاذا قذفها ماتت ولهـا بريق ولون حسن وتصلب صلابة الحجر فتثقب ويتخذ منها القلائد واسمها مشتق من ودعته أي تركته لان البحر ينضب عنها ويدعها فهي ودع مثل قبض ونفض واذا قلت الودع بالسكون فهي من باب ما سمي بالمصـدر * وقوله والرخام أي ما قطع من الرخام فنظم وهو حجر أبيض ناصع والعثا كل اراد العثاكيل فحـذف الياء ضرورة كما قال ابن مضاض وفيها العصافر أراد العصافير وفي أول القصيدة وقد حالفوا قوما علينا أظنة أي متهم ولو كان بالضاد مع قوله علينا لعاد معناه مدحا لهم كانه قال اشحة علينا كما أنشد عمرو بن بحر

لو كنت في قوم عليـك أشحة * عليـك الا ان من طاح طائح

يودون لو خاطوا عليك جـلودهم * وهل يدفع الموت النفوس الشحائح

وفيها * وثور ومن أرسي ثبيرا مكانه * وراق ليرقى في حراء ونازل

ثور جبل بمكة وثبير جبل من جبالها ذكروا ان ثبيرا كان رجلا من هذيل مات في ذلك الجبل فعرف الجبل به كما عرف أبو قبيس بقبيس بن شالخ رجل من جرهم كان قد وشي بين عمرو بن مضاض وبين ابنـة عم مية فنذرت الا تكلمه وكان شديد الـكلف بها فحلف ليقتلن قبيسا فهرب منه في الجبل المعروف به وانقطع خـبره فاما مات واما تردى منه فسمي الجبل أبا قبيس وهو خبر طويل ذكره ابن هشام في غير هذا الـكتاب * وقوله وراق ليرقى قد تقـدم القول فيـه واصح الروايتين فيه وراق لبر في حراء ونازل قال البرقي هكذا رواه ابن اسحق وغيره وهو الصواب (قال المؤلف) فالوهم فيـه اذا من ابن هشام أو من البكائي والله أعـلم * وقوله وبالحجر الاسود فيه زحاف يسمى الـكف وهو حذف النون من مفاعيلن وهو بعد الواو من الاسـود ونحوه قول جنـدح * ألا رب يوم لك منهن صالح * وموضع الزحاف بعـد اللام من ذلك * وقوله اذا اكتنفوه بالضحى والاصائل الاصائل جمع أصيلة والاصل جمع أصيل وذلك ان فعائل جمع فعيـلة والاصيلة لغة معروفة في الاصيل وظن بعضهم ان أصائل جمع أصال على وزن أفعال وأصال جمع أصل نحو أطناب وطنب واصل جمع أصيل مثل رغف جمع رغيف فاصائل على قولهم جمع جمع الجمع وهـذا خطأ بين من وجـوه منها ان جمـع جمع الجمـع لم يوجـد قط في الكلام فيكون هـذا نظيره ومن جهـة القياس اذ كانوا لا يجمعون الجمـع الذي ليس لادنى العـدد فاحرى الا يجمعوا جمع الجمـع وأبين خطأ في هذا القول غفلتهم عن الهمزة التي هي فاء الفعل التي في أصيـل واصل وكذلك هي فاء الفعل في أصائل لانها فعائل وتوهموها زائدة كالتي في أقاويل ولو كانت كذلك كانت الصاد فاء الفعـل وانما هي عينـه كما هي في أصيل واصـل فلو كانت أصائل جمع اصال مثـل أقوال وأقاويل لاجتمعت همزة الجمع مع همزة الاصـل

ترى الودع فيهـا والرخام وزينة * باعنـاقهـا معـقودة كالعثاكل *
أعوذ برب الناس من كل طاعن * علينا بسوء أو ملح بباطل *
ومن كاشح يسـعى لنـا بمعيبة * ومن ملحق في الدين ما لم نحاول *
وثور ومن أرسي ثبيرا مكانه * وراق ليرقى في حراء ونازل *
وبالبيت حق البيت من بطن مكة * وبالله ان الله ليس بغافل
وبالحجـر المسـود اذ يمسحونه * اذا اكتنفوه بالضحى والاصائل

وموطىءابراهيم فى الصخر رطبة * على قدميه حافيا غير ناعل واشواط بين المروتين الى الصفا * وما فيهما من صورة وتماثل

ومن حج بيت الله من كل راكب * ومن كل ذى نذر ومن كل راجل وبالمشعر الاقصى اذا عمدوا له * الال الى مفضى الشراج القوابل

وتوقافهم فوق الجبال عشية * يقيمون (١٧٦) بالايدى صدور الرواحل وليلة جمع والمنازل من منى * وهل فوقها من حرمة ومنازل

وجمع اذا ما المقربات أجزنه * سراعا كما يخرجن من وقع وابل

وبالجمرة الكبرى اذا صمدوا لها * يؤمون قذفا رأسها بالجنادل

وكندة اذ هم بالحصاب عشية * تجيز بهم حجاج بكر بن وائل

حليفان شدا عقد ما احتلفاله * وردا عليه عاطفات الوسائل

وحطمهم سمر الرماح وسرحه * وشبرقه وخد النعام الجوافل

فهل بعد هذا من معاذ لعائذ * وهل من معيذ يتق الله عاذل

يطاع بنا أمر العدا ود أننا * يسد بنا أبواب ترك وكابل

كذبتم و بيت الله نترك مكة * ونظعن الا أمركم فى بلابل

كذبتم و بيت الله نبذى محمدا * ولما نطاعن دونه ونناضل

ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وينهض قوم بالحديد اليكم * نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل وحتى نرى ذا الضغن يركب ردعه * من الطعن فعل الانكب المتحامل

وانا لعمر الله ان جد ما أرى * لتلتبسا أسيافنا بالاماثل بكفى فتى مثل الشهاب سميدع * أخى ثقة حامى الحقيقة باسل

التى

ولقالوا فيه أواصيل بتسهيل الهمزة الثانية و وجه آخر من الخطأ بين أيضا وهو ان أفاعيل جمع أفعال لابد من ياء قبل آخره كما قالوا فى أقاويل فكان يكون اواصيل وليس فى أصائل حرف مد ولين قبل آخره انما هى همزة فعائل ومن الخطأ فى قولهم أيضا ان جعلوا أصلا جمعا كثيرا مثل رغف ثم زعموا ان آصالا جمع له فهم بمنزلة من قال فى رغف جمع ارغاف . فان قيل فجمع أى شىء هى آصال قلنا جمع اصل الذى هو اسم مفرد فى معنى الاصائل لا جمع اصل الذى هو جمع . فان قيل فهل يقال أصل واحد كما يقال أصيل واحد . قلنا قد قال بعض أرباب اللغة ذلك واستشهدوا بقول الاعشى

يوما باطيب منها نشر رائحة * ولا باحسن منها اذ دنا الاصل

أى دنا الاصيل فان صح ان الاصل بمعنى الاصيل والافصال جمع أصيل على حذف الياء الزائدة مثل طوى وأطواء ولا اعرف أحدا قال هذا القول أعنى جمع جمع الجمع غير الزجاجى وابن عزيز * وقوله وموطىء ابراهيم فى الصخر رطبة يعنى موضع قدميه حين غسلت كنته رأسه وهو راكب فاعتمد بقدمه على الصخرة حين أمال رأسه ليغسل وكانت سارة قد اخذت عليه عهدا حين استأذنها فى ان يطالع تركته بمكة فحلف لها انه لا ينزل عن دابته ولا يزيد على السلام واستطلاع الحال غيرة من سارة عليه من هاجر فحين اعتمد على الصخرة أبقى الله فيها اثر قدمه آية قال الله سبحانه «فيه آيات بينات مقام ابراهيم» أى منها مقام ابراهيم ومن جعل مقاما بدلا من آيات قال المقام جمع مقامة وقيل بل هو أثر قدمه حين رفع القواعد من البيت وهو قائم عليه * وقوله بين المروتين هو كنحو ما تقدم فى بطن المكتين والحمتين وعنيزتين عما وردمثنى من أسماء المواضع وهو واحد فى الحقيقة وذكرنا العلة فى مجيئه مثنى ومجموعا فى الشعر وفيها قوله

* وبالمشعر الاقصى اذا قصدوا له * الالا البيت فالمشعر الاقصى عرفة والالا جبل عرفة قال النابغة

* يزرن الالا سيرهن التدافع * وسمى الالا لأن الحجيج اذا رأوه الوافى السير أى اجتهدوا فيه ليدركوا الموقف قال الراجز

مهر أبى الحبحاب لا تشل * بارك فيك الله من ذى أل

والشراج جمع شرج وهو مسيل الماء والقوابل المتقابلة * وفيها قوله وحطمهم سمر الصفاح جمع صفح وهو سطح الجبل والسمر يجوز أن يكون أراد به السمر يقال فيه سمر وسمر بسكون الميم ويجوز نقل ضمة الميم الى ماقبلها الى السين كما قالوا فى حسن حسن وكذا وقع فى الاصل بضم السين غير أن هذا النقل انما يقع غالبا فيما يراد به المدح أو الذم نحو حسن وقبح كما قال وحسن ذا أدبا أى حسن ذا أدبا وجائز أن يراد بالسمر ههنا جمع أسمر وسمراء ويكون وصفا للنبات والشجر كما يوصف بالدهمة اذا كان مخضرا وفى التنزيل «مدهامتان» أى خضراوان الى السواد * وقوله وشبرقه وهو نبات يقال ليابسه الحلى والرطبة الشبرق * وقوله نبذى محمدا أى نسلبه ونغلب عليه * وقوله نهوض الروايا هى الابل تحمل الماء واحدتها راوية والاسقية أيضا يقال لها روايا وأصل هذا الجمع رواوى ثم يصير فى القياس روائى مثل حوائل جمع حول ولكنهم قلبوا الكسرة فتحة بعدما قدموا الياء قبلها وصار وزنه فوالع وانما قلبوه كراهية اجتماع واوين واو فواعل والواو

شهورا وأياما وحولا محرما * علينا وتأتى حجة بعد قابل وماترك قوم لا أبالك سيدا * يحوط الذمار غير ذرب مواكل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ثمال اليتامى عصمة للارامل يلوذ به الهلاك من آل هاشم * فهم عنده فى رحمة وفواضل
لعمرى لقد أجرى أسيد وبكره * الى بغضنا وجزآنا لآكل وعثمان لم يربع علينا وقنفذ * ولكن أطاعا أمر تلك القبائل
أطاعا أبيا وابن عبد يغوثهم * ولم يرقبا فينا مقالة قائل كما قد لقينا من سبيع ونوفل * وكل تولى معرضا لم يجامل
فان يلقيا أو يمكن الله منهما * نكل لهما صاعا بصاع المكايل
وذاك أبو عمرو أبى غير بغضنا * ليظعننا فى أهل شاء وجامل
يناجى بنا فى كل ممسى ومصبح * فناج أبا عمرو بنا ثم خاتل
و يؤلى لنا بالله ما أن يغشنا * بلى قد نراه جهرة غير خائل
أضاق عليه بغضنا كل تلعة * من الارض بين أخشب فمجادل
وسائل أبا الوليد ماذا حبوتنا * بسعيك فينا معرضا كالمخاتل
وكنت امرأ ممن يعاش برأيه * و رحمته فينا ولست بجاهل
فعتبة لا تسمع بنا قول كاشح * حسود كذوب مبغض ذى دغاول
ومر أبو سفيان عنى معرضا * كما مر قيل من عظام المقاول
يفر الى نجد و برد مياهه * ويزعم أنى لست عنكم بغافل
ويخبرنا فعل المناصح أنه * شفيق ويخفى عارمات الدواخل
أمطعم لم أخذلك فى يوم نجدة * ولا معظم عند الامور الجلائل
ولا يوم خصم اذ أتوك ألدة * أولى جدل من الخصوم المساجل أمطعم ان القوم ساموك خطة * وانى متى أوكل فلست بوائل
جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجلا غير آجل بميزان قسط لا يخس شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل
لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا * بنى خلف قيضا بنا والغياطل ونحن الصميم من ذؤابة هاشم * وآل قصى فى الخطوب الاوائل

التى هى عين الفعل ووجه آخر وهو ان الواو الثانية قياسها أن تنقلب همزة فى الجمع لوقوع الالف بين واوين فلما انقلبت همزة قلبوها ياء كما فعلوا فى خطايا و بابه مما الهمزة فيه معترضة فى الجمع والصلاصل المزادات لها صلصلة بالماء وفيها * قوله غير ذرب مواكل وهو مخفف من ذرب والذرب اللسان الفاحش المنطق والمؤاكل الذى لا جد عنده فهو يكل أموره الى غيره وفيها * قوله ثمال اليتامى أى يثملهم و يقوم بهم يقال هو ثمال مالى أى يقوم به * وفيها قوله ليظعننا فى أهل شاء وجامل الشاء والشوى اسم للجمع مثل الباقر والبقير ولا واحد لشاء والشوى من لفظه واذا قالوا فى الواحد شاة فليس من هذا لان لام الفعل فى شاة هاء بدليل قولهم فى التصغير شويهة وفى الجمع شياه والجامل اسم جمع بمنزلة الباقر * وقوله وكنتم زمانا حطب قدر حطب اسم للجمع مثل ركب وليس بجمع لانك تقول فى تصغيره حطيب وركيب * وقوله حطاب أقدر هو جمع حاطب فلا يصغر الا أن ترده الى الواحد فتقول حويطبون ومعنى البيت أى كنتم متفقين لا تحطبون الا لقدر واحدة فأنتم الآن بخلاف ذلك * وفيها قوله من الارض بين أخشب فمجادل أراد الاخاشب وهى جبال مكة وجاء به على أخشب لانه فى معنى أجبل مع ان الاسم قد يجمع على حذف الزوائد كما يصغرونه كذلك والمجادل جمع مجدل وهو القصر كانه يريد ما بين جبال مكة فقصور الشام أو العراق والفاء من قوله فمجادل تعطى الاتصال بخلاف الواو * كقوله بين الدخول فحومل وتقول مطرنا بين مكة فالمدينة اذا اتصل المطر من هذه الى هذه ولو كانت الواو لم تعط هذا المعنى * وقوله أولى جدل من الخصوم المساجل يروى بالجيم و بالحاء فمن رواه بالجيم فهو من المساجلة فى القول وأصله فى استقاء الماء بالسجل وصبه فكأنه جمع مساجل على تقدير حذف الالف الزائدة من مفاعل أو جمع مسجل بكسر الميم وهو من نعت الخصوم ومن رواه المساحل بالحاء فهو جمع مسحل وهو اللسان وليس بصفة للخصوم انما هو مخفوض بالاضافة أى خصماء الالسنة وقال ابن أحمر * من خطيب اذا ما انحل مسحله * أى لسانه وهو أيضا من السحل وهو الصب ومنه حديث أيوب حين فرج عنه فجاءت سحابة فسحلت فى بيدره ذهبا وجاءت أخرى فسحلت فى البيدر الآخر فضة

﴿ فصل ﴾ وفيها

لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا * بنى خلف قيضا بنا والغياطل

قيضا أى معاوضة ومنه قول النبى عليه السلام لذى الجوشن ان شئت قايضتك به المختار من دروع بدر فقال ما كنت لا قيضه اليوم بشىء يعنى فرسا له يقال له ابن القرحاء وقال أبو الشيص

لا تنكرى صدى ولا اعراضى * ليس المقل عن الزمان براض
بدلت من برد الشباب ملاءة * خلقا و بئس مثوبة المقتاض

والغياطل بنو سهم لان أمهم الغيطلة وقد تقدم نسبها وقيل ان بنى سهم سموا بالغياطل لان رجلا منهم قتل

وسهم ومخزوم تمالوا وألبوا * علينا العدا من كل طمل وخامل * فعبد مناف أنتم خير قومكم
فلا تشركوا فى أمركم كل واغل * لعمرى لقد وهنتم وعجزتم * وجئتم بأمر مخطىء للمفاصل
وكنتم حديثا حطب قدر وأنتم * الآن حطاب أقدر ومراجل * ليهن بنى عبد مناف عقوقنا
وخذلا نا وتركنا فى المعاقل * فان نك قوما نتئر ما صنعتم * وتحتلبوها لقحة غير باهل
وسائط كانت فى لؤى بن غالب * نفاهم الينا كل صقر حلاحل * ورهط نفيل شر من وطىء الحصى
وألأم حاف من معد وناعل * فابلغ قصيا أن سينشر أمرنا * وبشر قصيا بعدنا بالتخاذل
ولو طرقت ليلا قصيا عظيمة * اذا ما لجأنا دونهم فى المداخل * ولو صدقوا ضربا خلال بيوتهم
لكنا أسى عند النساء المطافل * فكل صديق وابن أخت نعده * لعمرى وجدنا غبه غير طائل
سوى ان رهطا من كلاب بن مرة * براء الينا من معقة خاذل * وهنا لهم حتى تبدد جمعهم
ويحسر عنا كل باغ وجاهل * وكان لنا حوض السقاية فيهم * ونحن الكدى من غالب والكواهل
شباب من المطيبين وهاشم * كبيض السيوف بين ايدى الصياقل *
فما أدركوا ذحلا ولا سفكوا دما * ولا حالفوا إلا شرار القبائل
بضرب ترى الفتيان فيه كانهم * ضوارى أسود فوق لحم خرادل
بنى أمة محبوبة هندكية * بنى جمح عبيد قيس بن عاقل
ولكننا نسل كرام لسادة * بهم نعى الاقوام عند البواطل
ونعم ابن أخت القوم غير مكذب * زهير حساما مفردا من حمائل
أشم من الشم البهاليل ينتمى * الى حسب فى حومة المجد فاضل * لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمد
واخوته دأب المحب المواصل * فلا زال فى الدنيا جمالا لاهلها * وزينا لمن والاه رب المشاكل
فمن مثله فى الناس أى مؤمل * اذا قاسه الحكام عند التفاضل * حليم رشيد عادل غير طائش
يوالى إلها ليس عنه بغافل * فوالله لولا ان أجىء بسبة * تجر على أشياخنا فى المحافل
لكنا اتبعناه على كل حالة * من الدهر جدا غير قول التهازل * لقد علموا أن ابننا لا مكذب
لدينا ولا يعنى بقول الاباطل * فأصبح فينا أحمد فى أرومة * تقصر عنه سورة المتطاول
حدبت بنفسى دونه وحميته * ودافعت عنه بالذرا والكلاكل * فأيده رب العباد بنصره
وأظهر دينا حقه غير باطل * رجال كرام غير ميل نماهم * الى الخير آباء كرام المحاصل
فان تك كعب من لؤى صقيبة * فلابد يوما مرة من تزايل «قال ابن هشام» هذا ما صح لى من هذه القصيدة

جانا طاف بالبيت سبعا ثم خرج من المسجد فقتله فاظلمت مكة حتى فزعوا من شدة الظلمة التى أصابتهم والغيطلة الظلمة الشديدة والغيطلة أيضا الشجر الملتف والغيطلة اختلاط الاصوات والغيطلة البقرة الوحشية والغيطلة غلبة النعاس * وقوله يخس سعيرة أى ينقص والخسيس الناقص من كل شئ ويروى فى غير السيرة يحص بالصاد والحاء مهملة من حص الشعر اذا أذهبه * وقوله من كل طمل وخامل الطمل اللص كذا وجدته فى كتاب أبى بحر وفى العين الطمل الرجل الفاحش والطمل والطملال الفقير والطمل الذئب * وقوله لقحة غير باهل الباهل الناقة التى لا صرار على أخلافها فهى مباحة الحلب يقال ناقة مصرورة اذا كان على خلفها صرار يمنع الفصيل من أن يرضع وليست المصراة من هذا المعنى انما هى التى جمع لبنها فى ضرعها فهو من الماء الصرى وقد غلط أبو على فى البارع فجعل المصراة بمعنى المصرورة ولدوجه بعيد وذلك أن يحتج له بقلب احدى الراءين ياء مثل قصيت أظفارى غير أنه بعيد فى المعنى وقالت امرأة المغيرة تعاتب زوجها وتذكر أنها جاءته كالناقة الباهلة التى لا صرار على أخلافها أطعمتك ما دومى وابثثتك مكتومى وجئتك باهلا غير ذات صرار وفى الحديث لا توردا الا بل بهلا فان الشياطين ترضعها أى لا أصرة عليها * وفيها قوله * براء الينا من معقة خاذل * يقال قوم براء وبراء بالفتح وبراء بالكسر فاما براء بالكسر فجمع برىء مثل كريم وكرام واما براء فمصدر مثل سلام والهمزة فيه وفى الذى قبله لام الفعل ويقال رجل براء ورجلان براء واذا كسرتها أو ضممتها لم يجز الا فى الجمع وأما براء بضم الباء فالاصل فيه برآء مثل كرماء فاستثقلوا اجتماع الهمزتين فحذفوا الاولى وكان وزنه فعلاء فلما حذفوا التى هى لام الفعل صار وزنه فعاء وانصرف لانه

لانه أشبه فعالا والنسب اليه اذا سميت به براوى والنسب الى الآخرين برائى و برائى وزعم بعضهم الى ان برآء بضم أوله من الجمع الذى جاء على فعال وهى ثمانيه ألفاظ فرير وفرار وعرن وعران ولم يصنع شيئا وقال النحاس براء بضم الباء

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث استسقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو حديث مروى من طرق كثيرة و بالفاظ مختلفة * وقوله حتى أتاه أهل الضواحى يشكون الغرق الضواحى جمع ضاحية وهى الارض البرازالتى ليس فيها ما يكن من المطر ولا منجاة من السيول وقيل ضاحية كل بلد خارجه * وقوله عليه السلام اللهم حوالينا ولا علينا كقوله فى حديث آخر اللهم منابت الشجر و بطون الاودية وظهور الآكام فلم يقل اللهم ارفعه عنا هو من حسن الادب فى الدعاء لانها رحمة الله ونعمته المطلوبة منه فكيف يطلب منه رفع نعمته وكشف رحمته وانما يسئل سبحانه كشف البلاء والمزيد من النعماء ففيه تعليم كيفية الاستصحاء وقال اللهم منابت الشجر ولم يقل اصرفها الى منابت الشجر لان الرب تعالى أعلم بوجه اللطف وطريق المصلحة كان ذلك بمطر أو بندى أو طل أو كيف شاء وكذلك بطون الاودية والقدر الذى يحتاج اليه من مائها

﴿ فصل فان قيل ﴾ * كيف قال أبو طالب * وأبيض يستسقى الغمام بوجهه * ولم يره قط استسقى وانما كانت استسقاآته عليه السلام بالمدينة فى سفر وحضر وفيها شوهد ما كان من سرعة اجابة الله له ﴿ فالجواب ﴾ ان أبا طالب قد شاهد من ذلك أيضا فى حياة عبد المطلب ما دله على ما قال روى أبو سليمان حمد ابن محمد بن ابراهيم البستى النيسابورى أن رقيقة بنت أبى صيفى بن هاشم قالت تتابعت على قريش سنو جدب قد أقحلت الظلف وأرقت العظم فبينا أنا راقدة اللهم أو مهدمة ومعى صنوى اذ أنا بهاتف صيت يصرخ بصوت صحل يقول يامعشر قريش ان هذا النبى المبعوث منكم هذا ابان نجومه فحى هلا بالحيا والخصب الا فانظروا منكم رجلا طوالا عظاما أبيض فظا أشم العرنين له فخر يكظم عليه ألا فليخلص هو وولده وليدلف اليه من كل بطن رجل الا فليشنوا من الماء وليمسوا من الطيب وليطوفوا بالبيت سبعا الا وفيهم الطيب الطاهر لذاته الا فليدع الرجل وليؤمن القوم الا فغثتم أبدا ما عشتم قالت فاصبحت مذعورة قد قف جلدى و وله عقلى فاقتصصت رؤياى فوالحرمة والحرم ان بقى أبطحى الا قال هذا شيبة الحمد وتتامت عنده قريش وانقض اليه الناس من كل بطن رجل فشنوا ومسوا واستلموا واطوفوا ثم ارتقوا أبا قبيس وطفق القوم يدفون حوله ما ان يدرك سعيهم مهلة حتى قروا بذروة الجبل واستكفوا جنابيه فقام عبد المطلب فاعتضد ابن ابنه محمدا صلى الله عليه وسلم فرفعه على عاتقه وهو يومئذ غلام قد أيفع أو قد كرب ثم قال اللهم ساد الخلة وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومسؤل غير مبخل وهذه عبداؤك واماؤك بعذرات حرمك يشكون اليك سنتهم فاسمعن اللهم وأمطرن علينا غيثا مريعا مغدقا فما راموا والبيت حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادى بثجيجه رواه أبو سليمان عن ابن الاعرابى قال حدثنا محمد بن على بن البحترى نا يعقوب بن محمد بن عيسى بن عبد الملك بن حميد بن عبد الرحمن بن عوف نا عبد العزيز بن عمران عن ابن حويصة قال يحدث مخرمة بن نفيل عن أمه رقيقة بنت أبى صيفى * وذكر الحديث ورواه باسناد آخر الى رقيقة وفيه الا فانظروا منكم رجلا وسيطا عظاما جساما أوطف الاهداب وان عبد المطلب قام ومعه رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أيفع أو كرب وذكر القصة

و بعض أهل العلم بالشعر ينكر أكثرها « قال ابن هشام» وحدثنى من أثق به قال أقحط أهل المدينة فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكوا ذلك اليه فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فاستسقى فما لبث أن جاء من المطر ما أتاه أهل الضواحى يشكون منه الغرق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حوالينا ولا علينا فانجاب السحاب عن المدينة فصار حواليها كالاكليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أدرك أبو طالب هذا اليوم لسره فقال له بعض أصحابه كانك يارسول الله أردت لقوله وأبيض يستسقى الغمام بوجهه *
ثمال اليتامى عصمة للارامل

قال أجل «قال ابن هشام» وقوله وشنوقه عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق والغياطل من بني سهم بن عمرو بن هصيص * وأبو سفيان بن حرب بن أمية * ومطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف * وزهير بن ابى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وامه عاتكة بنت عبد المطلب * قال ابن اسحق وأسيد وبكره عتاب بن أسيد بن ابى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى * وعثمان بن عبيد الله أخو طلحة بن عبيد الله التيمى * وقنفذ بن عمير بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة * وابو الوليد عتبة بن ربيعة * وابيّ الاخنس بن شريق الثقفى حليف بني زهرة بن كلاب «قال ابن هشام» وانما سمى الاخنس لانه خنس بالقوم يوم بدر وانما اسمه ابيّ وهو من بني علاج وهو علاج بن ابى سلمة بن عوف بن عقبة * والاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب * وسبيع بن خالد أخو بلحرث بن فهر * ونوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى وهو ابن العدوية وكان من شياطين قريش وهو الذى قرن بين أبى بكر الصديق وطلحة بن عبيد الله رضى الله عنهما فى حبل حين أسلما فبذلك كانا يسميان القرينين قتله على بن أبى طالب عليه السلام يوم بدر * وابو عمرو وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل بن عبد مناف وقوم علينا أظنة بنو بكر بن عبد مناة بن كنانة فهؤلاء الذين عدد أبو طالب فى شعره من العرب فلما انتشر أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العرب وبلغ (١٨٠) البلدان ذكر بالمدينة ولم يكن حى من العرب أعلم بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر وقبل ان يذكر من هذا الحى من الأوس والخزرج وذلك لما كانوا يسمعون من أحبار اليهود وكانوا لهم حلفاء ومعهم فى بلادهم فلما وقع ذكره بالمدينة وتحدثوا بما بين قريش فيه من الاختلاف قال ابو قيس بن الاسلت أخو بنى واقف «قال ابن هشام» نسب ابن اسحق ابا قيس هذا ههنا الى بنى واقف ونسبه فى حديث الفيل الى خطمة لان العرب قد تنسب الرجل الى أخى جده الذى هو أشهر منه «قال ابن هشام» حدثنى ابو عبيدة ان الحكم بن عمرو الغفارى من ولد نعيلة أخى غفار وهو غفار بن مليل ونعيلة بن مليل بن ضمرة بن بكر بن عبد مناة وقد قالوا عتبة بن غزوان السلمى وهو من ولد مازن بن منصور وسليم بن منصور «قال ابن هشام» فابو قيس بن الاسلت من بنى وائل ووائل وواقف وخطمة اخوة من الأوس * قال ابن اسحق فقال أبو قيس بن الاسلت وكان يحب قريشا وكان لهم صهرا كانت عنده أرنب بنت أسد بن عبد العزى بن قصى وكان يقيم عندهم السنين بامرأته قصيدة يعظم فيها الحرمة وينهى قريشا فيها عن الحرب ويأمرهم بالكف بعضهم عن بعض ويذكر فضلهم وأحلامهم ويأمرهم بالكف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويذكرهم بلاء الله عندهم ودفعه عنهم الفيل وكيده عنهم فقال

يا راكبا اما عرضت فبلغن * مغلغلة عنى لؤى بن غالب
رسول أمرىء قد راعه ذات بينكم * على النائى محزون بذلك ناصب
وقد كان عندى للهموم معرس * فلم أقض منها حاجتى ومآربى
نبيتكم شرجين كل قبيلة * لها أزمل من بين مذك وحاطب
أعيذكم بالله من شر صنعكم * وشر تباغيكم ودس العقارب
واظهار اخلاق ونجوى سقيمة * كوخز الاسافى وقعها حق صائب

﴿فصل﴾ وذكر ابن هشام كل من سماه أبو طالب فى قصيدته أو أشار اليه وعرف بهم تعريفا مستغنيا عن المزيد * وذكر قصيدة أبى قيس صيفى بن الاسلت واسم الاسلت عامر والاسلت هو الشديد القطس يقال سلت الله أنفه ومن السلت حديث بشر بن عاصم حين أراد عمر أن يستعمله فلما كتب له عهده أبى أن يقبله وقال لا حاجة لى به انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الولاة يجاء بهم يوم القيامة فيقفون على جسر جهنم فمن كان مطاوعا لله تناوله بيمينه حتى ينجيه ومن كان عاصيا لله انخرق به الجسر الى واد من نار تلتهب التهابا قال فارسل عمر الى أبى ذر والى سلمان فقال لابى ذر أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم والله وبعد الوادى واد آخر من نار قال وسأل سلمان فكره أن يخبره بشىء فقال عمر من يأخذها بما فيها فقال أبو ذر من سلت الله أنفه وعينيه وأضرع خده الى الارض ذكره ابن أبى شيبة وأول القصيدة * يا راكبا اما عرضت فبلغن * البيت المغلغلة الداخلة الى أقصى ما يراد بلوغه منها ومنه تغلغل فى البلاد اذا بالغ فى الدخول فيها وأصله تغال ومغالة ولكن قلبوا احدى اللامين غينا كما فعلوا فى كثير من المضاعف وأصله من الغل والغلالة فاما الغل فما يستره النبات والشجر وأما الغلالة فسارة لما تحتها وقوله نبيتكم شرجين أى فريقين مختلفين ونبيتكم لفظ مشكل وفى حاشية الشيخ نبيتكم شرجين وهو بين فى المعنى وفيه زحاف خرم ولكن لا يعاب المعنى بذلك وأما لفظ التبييت فى هذا البيت فبعيد من معناه والازمل الصوت والمذكى الذى يوقد النار والحاطب الذى يحطب لها ضرب هذا مثلا لنار الحرب كما قال الآخر

فذ كرهم بالله أولى وصلة * واحلال احرام الظباء الشوازب * وقل لهم والله يحكم حكمه *
ذروا الحرب تذهب عنكم فى المراحب * متى تبعثوها تبعثوها ذميمة * هى الغول للاقصين أو للاقارب
تقطع أرحاما وتهلك امة * وتبرى السديف من سنام وغارب * وتستبدلوا بالاتحمية بعدها *
شليلا واصداء ثياب المحارب * وبالمسك والكافور غبرا سوابغا * كأن قتيريها عيون الجنادب
فاياكم والحرب لا تعلقنكم * وحوضا وخيم الماء مر المشارب * تزين للأقوام ثم يرونها *
بعاقبة اذ بينت أم صاحب * تحرق لا تشوى ضعيفا وتنتحى * ذوى العز منكم بالحتوف الصوائب
ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس * فتعتبروا أو كان فى حرب حاطب * وكم قد أصابت من شريف مسود
طويل العماد ضيفه غير خائب
عظيم رماد النار يحمد أمره
وذى شيمة محض كريم المضارب
وماء هريق فى الضلال كأنما *
أذاعت به ريح الصبا والجنائب
يخبركم عنها امرؤ حق عالم *
بايامها والعلم علم التجارب
فبيعوا الحراب ملمحارب واذكروا *
حسابكم والله خير محاسب
ولى امرئ فاختار دينا فلا يكن *
عليكم رقيبا غير رب الثواقب
أقيموا لنا دينا حنيفا فانتم *
لنا غاية قد يهتدى بالذوائب * وأنتم لهذا الناس نور وعصمة * تؤمون والاحلام غير عوازب
وأنتم اذا ما حصل الناس جوهر * لكم سرة البطحاء شم الارانب * تصونون أجسادا كراما عتيقة *
مهذبة الانساب غير أشائب * يرى طالب الحاجات نحو بيوتكم * عصائب هلكى تهتدى بعصائب
لقد علم الاقوام ان سراتكم * على كل حال خير أهل الجباجب * وأفضله رأيا وأعلاه سنة *
وأقوله للحق وسط المواكب * فقوموا فصلوا ربكم وتمسحوا * باركان هذا البيت بين الاخاشب
فعند كم منه بلاء ومصدق * غداة أبى يكسوم هادى الكتائب * كتيبته بالسهل تمشى ورجله
على القاذفات فى رؤس المناقب * فلما أتاكم نصر ذى العرش ردهم * جنود المليك بين ساف وحاصب
فولوا سراعا هاربين ولم يؤب * الى أهله ملحبش غير عصائب * فان تهلكوا نهلك وتهلك مواسم * يعاش بها قول امرء غير كاذب

أرى خلل الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون لها ضرام
فان النار بالعودين تذكى * وان الحرب أولها الكلام

وقوله هى الغول للادنى أى هى الهلاك يقال الغضب غول الحلم أى يهلكه والغول بفتح الغين وجمع البطن قاله البخارى فى تفسير قوله «لا فيها غول» * وقوله * واحلال احرام الظباء الشوازب * أى ان بلدكم بلد حرام تأمن فيه الظباء الشوازب التى تأتيه من بعد لتأمن فيه فهى شازبة أى ضامرة من بعد المسافة واذا لم تحلوا بالظباء فيه فأحرى ألا تحلوا بدمائكم واحرام الظباء كونها فى الحرم يقال لمن دخل فى الشهر الحرام أو فى البلد الحرام محرم والاتحمية ثياب رقاق تصنع باليمن والشليل درع قصيرة والاصداء جمع صداء الحديد والقتير حلق الدرع شبهها بعيون الجراد وأخذ هذا المعنى التنوخى فقال

كأن واب الاراقم مزقتها * فخاطتها بأعينها الجراد

وقوله فى وصف الحرب

تزين للاقوام ثم يرونها * بعاقبة اذ بينت أم صاحب

هو كقول عمرو بن معدى كرب

الحرب أول ما تكون فتية * تسعى بزينتها لكل جهول
حتى اذا اشتعلت وشب ضرامها * ولت عجوزا غير ذات خليل
شمطاء جزت رأسها فتنكرت * مكروهة للشم والتقبيل

فقوله أم صاحب أى عجوزا كام صاحب لك اذ لا يصحب الرجل الا رجل فى سنه وفى جامع البخارى كانوا اذا وقعت الحرب يأمرون بحفظ هذه الابيات يعنى أبيات عمرو المتقدمة * وقوله * ألم تعلموا ما كان فى حرب داحس * يذكر معنى داحس اذا ذكره ابن اسحق بعد هذه القصيدة ان شاء الله تعالى * وقوله فيها * ولى أمرئ فاختار دينا فما * أى هو ولى أمرئ اختار دينا والفاء زائدة على أصل أبى الحسن قال فى قولهم زيدا فاضرب الفاء ملغاة أى زائدة ومن لا يقول بهذا القول يجعل الفاء عاطفة على فعل مضمر كأنه قال

ولى أمرئ ذين فاختار دينا أو نحو هذا وقد تقدم شرح باقى القصيدة فى آخر قصة الحبشة * وقال فيها كريم المضارب وفى حاشية كتاب الشيخ لعله الضرائب يريد جمع ضريبة ولا يبعد أيضا أن يكون قال المضارب يريد أن مضارب سيوفه غير مذمومة ولا راجعة عليه الا بالثناء والحمد والوصف بالمكارم * وفيها قوله * وماء هريق فى الضلال * ويروى فى الصلال جمع صلة وهى الارض التى لا تمسك الماء أى رب ماء هريق فى الضلال من أجل السراب لانه لا يهريق ماء من أجل السراب الا ضال غير مميز بمواضع الماء وأذاعت به أى بددته فلم ينتفع به وهذا مثل ضربه للنظر فى عواقب الامور ويروى وما أهريق فى أمره ومعناه والذى أهريق فى أمر الضلال فوصل ألف القطع ضرورة ويقال أريق الماء وأهريق بالجمع بين الهمزة والهاء وهى أقلها وتعليلها موضع غير هذا * وقوله فيها بين ساف وحاصب الساف الذى يرمى بالتراب والحاصب الذى يقذف بالحصباء * وفيها ذكر الجباجب وهى منازل منى كذا قال ابن اسحق وقال البرقى هى حفر بمنى يجمع فيها دم البدن والهدايا والعرب تعظمها وتفخر بها وقيل الجباجب الكروش يقال للكرش جبجبة بفتح الجيم والذى تقدم واحده جبجبة بالضم

﴿فصل﴾ وذكر حديث حرب داحس مختصرا وداحس اسم فرس كان لقيس بن أبى زهير ومعنى داحس مدحوس كما قيل ماء دافق أى مدفوق والدحس ادخال اليد بقوة فى ضيق كما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بغلام يسلخ شاة فأمره أن يتنحى ليريه ثم دحس عليه السلام بيده بين الجلد واللحم حتى بلغ الاربط ثم صلى ولم يتوضأ فداحس سمى بهذا الاسم لان أمه كانت لرجل من بنى تميم ثم من بنى يربوع اسمه قرواش بن عوف وكان اسم الفرس جلوى وكان ذو العقال فرسا عتيقا لحوط بن جابر فخرجت به فتاتان له لتسقيانه [فبصر] بجلوى فأدلى حين رآها فضحك غلمة كانوا هنالك فاستحيت الفتاتان ونكستا رأسيهما فأفلت ذو العقال حتى نزى على جلوى وقيل ذلك لحوط فاقبل مغضبا وهو يسمى حتى ضرب بيده فى التراب ثم دحسها فى رحم الفرس فسطا عليها فأخرج ماء الفحل منها واشتملت الرحم على بقية الماء وحملت بمهر فسموه داحسا وأظهر ما فيه ان يكون مثل لابن وتامر وأن لا يكون فاعلا بمعنى مفعول فهو داحس بن ذى العقال بن أعوج الذى تنسب اليه الخيل الاعوجية فى قول بعضهم وقد تقدم غير هذا القول ابن سبل وكان لغنى بن يعصر وفيه يقال

ان الجواد ابن الجواد ابن سبل * ان ديموا جاد وان جادوا بل

وفى ذى العقال يقول جرير

تمى جياد الخيل حول بيوتنا * من آل أعوج أولذى العقال

وأنشد

أفبعد مقتل مالك بن زهير * ترجوا النساء عواقب الاطهار

وفيه اقواء وهو حذف نصف سبب من القسم الاول وقد تكلمنا على معنى الاقواء قبل وأما اختلاف القوافى فيسمى اكتفاء واقواء أيضا لانه من الكفء فكانه جعل الرفع كفئا للخفض فسوى بينهما وفيها قوله * ترجوا النساء عواقب الاطهار * كقول الاخطل

قوم اذا حاربوا اشدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت بأطهار

فيقال ان حرب داحس دامت أربعين سنة لم تحمل فيها أنثى لانهم كانوا لا يقربون النساء ماداموا محاربين وذكر الاصبهانى ان حرب داحس كانت بعد يوم جبلة بأربعين سنة وقد تقدم يوم جبلة وأن رسول الله صلى

الله

«قال ابن هشام» أنشدنى بيته المناقب أبو زيد الانصارى وغيره «قال ابن هشام» وأما قوله أم تعلموا ما كان فى حرب داحس فحدثنى ابو عبيدة النحوى أن داحسا فرس كان لقيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن الحرث بن مازن بن قطيعة بن عبس بن بغيض بن ريث ابن غطفان اجراه مع فرس لحذيفة بن بدر بن عمرو بن زيد بن جؤية بن لوذان بن ثعلبة بن عدى بن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان يقال لها الغبراء فدس حذيفة قوما وأمرهم أن يضربوا وجه داحس ان رأوه قد جاء سابقا فجاء داحس سابقا فضربوا وجهه وجاءت الغبراء فلما جاء فارس داحس أخبر قيسا الخبر فوثب أخوه مالك ابن زهير فلطم وجه الغبراء فقام حمل بن بدر فلطم مالكا ثم ان أبا الجنيدب العبسى لقى عوف بن حذيفة فقتله ثم لقى رجل من بنى فزارة مالكا فقتله فقال حمل ابن بدر أخو حذيفة بن بدر قتلنا بعوف مالكا وهو ثأرنا *

فان تطلبوا منا سوى الحق تندموا

وهذا البيت فى أبيات له * وقال الربيع بن زياد العبسى *

أفبعد مقتل مالك بن زهير * ترجو النساء عواقب الاطهار

وهذا البيت فى قصيدة له فوقعت الحرب بين عبس وفزارة فقتل حذيفة بن بدر وأخوه حمل بن بدر فقال قيس بن زهير بن جذيمة يرثى حذيفة وجزع عليه

كم فارس يدعى وليس بفارس * وعلى الهباءة فارس ذو مصدق

فابكوا حذيفة لن ترثوا مثله * حتى تبيد قبائل لم تخلق

وهذان البيتان فى أبيات له وقال قيس بن زهير على ان الفتى حمل بن بدر * بغى والظلم مرتعه وخيم

وهذا البيت فى أبيات له وقال الحرث بن زهير اخو قيس بن زهير

تركت على الهباءة غير فخر * حذيفة عنده قصد العوالى

وهذا البيت فى أبيات له « قال ابن هشام » و يقال ارسل قيس داحسا والغبراء وارسل حذيفة الخطار والحنفاء والاول أصح الحديثين وهو حديث طويل منعنى من استقصائه قطعه حديث سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال ابن هشام » واما قوله حرب حاطب فيعنى حاطب ابن الحرث بن قيس بن هيشة بن الحرث بن أمية بن معاويه بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس كان قتل يهوديا جارا للخزرج فخرج اليه زيد بن الحرث بن قيس بن مالك بن أحمر بن حارثة بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج وهو الذى يقال له قسحم وقسحم أمه وهى امرأة من القين بن جسر ليلا فى نفر من بنى الحرث بن الخزرج فقتلوه فوقعت الحرب بين الاوس والخزرج فاقتتلوا قتالا شديدا فكان الظفر للخزرج على الاوس وقتل يومئذ سويد بن صامت بن خالد بن عطية ابن حوط بن حبيب بن عمرو بن عوف بن مالك ابن الاوس قتله المجذر بن ذياد البلوى واسمه عبد الله بن ذياد البلوى حلف بنى عوف بن الخزرج فلما كان يوم أحد خرج المجذر بن ذياد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج معه الحرث بن سويد بن صامت فوجد الحرث بن سويد غرة من المجذر فقتله بابيه وسأذكر حديثه فى موضعه ان شاء الله تعالى ثم كانت بينهم حروب منعنى من ذكرها واستقصاء هذا الحديث ما ذكرت فى حرب داحس * قال ابن اسحق وقال حكيم بن أمية بن حارثة بن الاوقص السلمى حليف بنى أمية وقد أسلم يورع قومه عما اجمعوا عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان فيهم شريفا مطاعا

أهل قائل قولا من الحق قاعد * عليه وهل غضبان للرشد سامع

وهل سيد ترجو العشيرة نفعه * لاقصى الموالى والاقارب جامع

تبرأت الا وجه من يملك الصبا * واهجركم مادام مدل ونازع

وأسلم وجهى للاله ومنطقى * ولو راعنى من الصديق روائع

* قال ابن اسحق ثم ان قريشا اشتد أمرهم للشقاء الذى اصابهم فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أسلم معه منهم فاغروا برسول الله صلى الله عليه وسلم سفهاءهم فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لامر الله لا يستخفى به مبادلهم بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال اوثانهم وفراقه اياهم على كفرهم * قال ابن اسحق فحدثنى يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه عروة بن الزبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال قلت له ما أكثر ما رأيت قريشا أصابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كانوا يظهرون من عداوته

الله عليه وسلم ولد فى تلك الايام وقال لبيد

وغنيت حرسا قبل مجراء داحس * لو كان للنفس اللجوج خلود

وكان لبيد فى حرب جبلة ابن عشر سنين وقوله حرسا أى وقتا من الدهر و يروى سبتا والمعنى واحد وكان اجراء داحس والغبراء على ذات الاصاد موضع فى بلاد فزارة وكان آخر أيام حرب داحس بقلهى من أرض قيس وهناك اصطلحت عبس ومنولة وهى أم بنى فزارة شمخ وعدى ومازن فيقال لهذا الموضع قلهى وأما قلهيا فموضع بالحجاز وفيه اعتزل سعد بن أبى وقاص حين قتل عثمان وأمر ألا يحدث بشىء من أخبار الناس والا يسمع منها شيئا حتى يصطلحوا و يقال ان الحنفاء كانت فرس حذيفة وانها أجريت مع الغبراء ذلك اليوم قال الشاعر

اذا كان غير الله للمرء عدة * أتته الرزايا من وجوه الفوائد

فقد جرت الحنفاء حتف حذيفة * وكان يراها عدة للشدائد

وأما حرب حاطب الذى ذكرها فهى حرب كانت على يد حاطب بن الحارث بن قيس بن هيشة بن الأوس فنسبت اليه وكانت بين الأوس والخزرج

﴿ فصل ﴾ فيما لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه ذكر ابن اسحق والواقدى والتيمى وابن عقبة

قال حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يوما فى الحجر فذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من أمر هذا الرجل قط سفه أحلامنا وشتم آباءنا وعاب ديننا وفرق جماعتنا وسب آلهتنا لقد صبرنا منه على أمر عظيم أو كما قالوا فبيناهم فى ذلك اذ اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبل يمشى حتى استلم الركن ثم مر بهم طائفا بالبيت فلما مر بهم غمزوه ببعض القول قال فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثم مضى فلما مر بهم الثانية غمزوه بمثلها فعرفت ذلك فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مر بهم الثالثة فغمزوه بمثلها فوقف ثم قال أتسمعون يامعشر قريش أما والذى نفسى بيده لقد جئتكم بالذبح قال فاخذت القوم كلمته حتى ما منهم رجل الا كأنما على رأسه طائر واقع حتى ان اشدهم فيه وصاة قبل ذلك ليرفؤه باحسن ما يجد من القول حتى انه ليقول انصرف يا أبا القاسم فوالله ما كنت جهولا قال فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان الغد اجتمعوا فى الحجر وانا معهم فقال بعضهم لبعض ذكرتم ما بلغ منكم وما بلغكم عنه حتى اذا بادأكم بما تكرهون تركتموه فبيناهم فى ذلك طلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوثبوا اليه وثبة رجل واحد وأحاطوا به يقولون أنت الذى تقول كذا وكذا لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا الذى أقول ذلك قال فلقد رأيت رجلا منهم أخذ بمجمع ردائه قال فقام أبو بكر رضى الله عنه دونه وهو يبكى و يقول أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ثم انصرفوا عنه فان ذلك لاشد ما رأيت قريشا نالوا منه قط * قال ابن اسحق وحدثنى بعض آل أم كلثوم ابنة أبى بكر انها قالت رجع أبو بكر يومئذ وقد صدعوا فرق رأسه مما جبذوه بلحيته وكان رجلا كثير الشعر «قال ابن هشام» حدثنى بعض أهل العلم ان أشد مالقى رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش انه خرج يوما فلم يلقه أحد من الناس الا كذبه وآذاه لا حر ولا عبد فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى منزله فتدثر من شدة ما أصابه فانزل الله تعالى عليه «يا أيها المدثر قم فانذر»

(فصل)

وغيرهم فى هذا الباب أمورا كثيرة تتقارب ألفاظها ومعانيها و بعضهم يزيد على بعض فمنها حثو سفهائهم التراب على رأسه ومنها انهم كانوا ينضدون الفرث والاخثاث والدماء على بابه و يطرحون رحم الشاة فى برمته ومنها مصق أمية بن خلف فى وجهه ومنها وطء عقبة بن أبى معيط على رقبته وهو ساجد عند الكعبة حتى كادت عيناه تبرزان ومنها أخذهم بمخنقه حين اجتمعوا له عند الحجر وقد ذكره ابن اسحق و زاد غيره فى الخبر انهم خنقوه خنقا شديدا وقام أبو بكر دونه فجبذوا رأسه ولحيته حتى سقط أكثر شعره وأما السب والهجو والتلقيب وتعذيب أصحابه وأحبائه وهو ينظر فقد ذكر من ذلك ابن اسحق ما فى الكتاب وقد قال ابو جهل لسمية أم عمار بن ياسر ما آمنت بمحمد الا لانك عشقته لجماله ثم طعنها بالحربة فى قبلها حتى قتلها والاخبار فى هذا المعنى كثيرة وذكر ابن اسحق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم دثرونى دثرونى فانزل الله تعالى « يا أيها المدثر قم فانذر » قال بعض أهل العلم فى تسميته اياه بالمدثر فى هذا المقام ملاطفة وتأنيس ومن عادة العرب اذا قصدت الملاطفة أن تسمى المخاطب باسم مشتق من الحالة التى هو فيها كقوله عليه السلام لحذيفة قم يا نومان * وقوله لعلى بن أبى طالب وقد ترب جنبه قم أبا تراب فلو ناداه سبحانه وهو فى تلك الحال من الكرب باسمه أو بالامر المجرد من هذه الملاطفة لهاله ذلك ولكن لما بدئ بيا أيها المدثر انس وعلم ان ربه راض عنه ألا تراه كيف قال عند مالقى من أهل الطائف من شدة البلاء والكرب مالقى رب ان لم يكن بك غضب على فلا أبالى الى آخر الدعاء فكان مطلوبه رضا ربه و به كانت تهون عليه الشدائد ﴿ فان قيل ﴾ كيف ينتظم يا أيها المدثر مع قوله قم فانذر وما الرابط بين المعنيين حتى يلتئما فى قانون البلاغة و يتشاكلا فى حكم الفصاحة ﴿ قلنا ﴾ من صفته عليه السلام ما وصف به نفسه حين قال أنا النذير العريان وهو مثل معروف عند العرب يقال لمن أنذر بقرب العدو و بالغ فى الانذار وهو النذير العريان وذلك ان النذير الجاد يجرد ثوبه و يشير به اذا خاف أن يسبق العدو صوته وقد قيل ان أصل المثل لرجل من خثعم سلبه العدو ثوبه وقطعوا يده فانطلق الى قومه نذيرا على تلك الحال فقوله عليه السلام أنا النذير العريان أى مثلى مثل ذلك والتدثر بالثياب مضاد للتعرى فكان فى قوله « يا أيها المدثر » مع قوله « قم فانذر » والنذير الجاد يسمى العريان تشاكل بين والتئام بديع وسمانة فى المعنى وجزالة فى اللفظ * وقوله بعد هذا « و ربك فكبر » أى ربك كبر لا غيره لا يكبر عليك شىء من أمر الخلق وفى تقديم المفعول على فعل الامر اخلاص ومثله قوله اياك نعبد أى لا نعبد غيرك ولم يقل نعبدك ونستعينك وفى الحديث اذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين يقول الله تعالى أخلص لى عبدى العبادة واستعانتى عليها فهذه بينى و بين عبدى

﴿ اسلام حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

* قال ابن اسحق حدثني رجل من أسلم كان واعية أن أبا جهل مر برسول الله صلى الله عليه وسلم عند الصفا فآذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لامره فلم يكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاة لعبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة في مسكن لها تسمع ذلك ثم انصرف عنه فعمد الى ناد من قريش عند الكعبة فجلس معهم فلم يلبث حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه أن أقبل متوشحا قوسه راجعا من قنص له وكان صاحب قنص يرميه ويخرج له وكان اذا رجع من قنصه لم يصل الى أهله حتى يطوف بالكعبة وكان اذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش الا وقف وسلم وتحدث معهم وكان أعز فتى في قريش وأشد شكيمة فلما مر بالمولاة وقد رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فقالت له يا أبا عمارة لو رأيت ما لقى ابن أخيك محمد آنفا من أبى الحكم بن هشام وجده ههنا جالسا فآذاه وسبه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه ولم يكلمه محمد صلى الله عليه وسلم فاحتمل حمزة الغضب لما أراد الله به من كرامته فخرج يسعى لم يقف على أحد معدا لابى جهل اذا لقيه أن يوقع به فلما دخل المسجد نظر اليه جالسا في القوم فأقبل نحوه حتى اذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجه شجة منكرة ثم قال أتشتمه فأنا على دينه أقول ما يقول فرد ذلك على ان استطعت فقامت رجال من بنى مخزوم الى حمزة لينصروا أبا جهل فقال أبو جهل دعوا أبا عمارة فانى والله قد سببت ابن أخيه سبا قبيحا وتم حمزة رضى الله عنه على اسلامه وعلى ما تابع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله فلما أسلم حمزة عرفت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عز وامتنع وأن حمزة سيمنعه فكفوا عن بعض ما كانوا ينالون منه * قال ابن اسحق وحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال حدثت ان عتبة بن ربيعة وكان سيدا قال يوما وهو جالس في نادى قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في المسجد وحده يا معشر قريش ألا أقوم الى محمد فاكلمه وأعرض عليه أمورا لعله يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون فقالوا بلى يا أبا الوليد قم اليه فكلمه فقام اليه عتبة حتى جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن أخى انك منا حيث قد علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب وانك قد أتيت قومك بامر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آبائهم فاسمع منى أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يا أبا الوليد أسمع قال يا ابن أخى ان كنت انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت انما تريد به شرفا سودناك علينا حتى لا نقطع امرا دونك وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذى يأتيك رئيا تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه أو كما قال له حتى اذا فرغ عتبة ورسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع منه قال أقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاستمع منى قال أفعل فقال « بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون بشيرا ونذيرا فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه » ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها يقرؤها عليه فلما سمعها منه عتبة أنصت لها وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما يسمع منه ثم انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى السجدة منها فسجد ثم قال قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك فقام عتبة الى أصحابه فقال بعضهم لبعض نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذى ذهب به فلما جلس اليهم قالوا ما وراءك يا أبا الوليد قال ورائى أنى سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة يا معشر قريش أطيعونى واجعلوها بى وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن لقوله الذى سمعت منه نبأ فان تصبه العرب فقد كفيتموه بغيركم وان يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم

﴿ فصل ﴾ وذكر قول عتبة ان كان هذا رئيا تراه ولغة بنى تميم رئى بكسر الراء وكذلك يقولون في كل فعيل عين الفعل منه همزة أو غيرها من حروف الحلق يكسرون أوله مثل رحيم وشهيد والرئى فعيل بمعنى مفعول ولا يكون الا من الجن ولا يكون فعيل بمعنى مفعول في غير الجن الا أن يؤثر فيه الفعل نحو جريح وقتيل وذبيح وطحين ولا يقال من الشكر شكير ولا ذكرته فهو ذكير ولا فهمن لطم لطيم الا أن تغير منه اللطمة كما قالوا لطيم الشيطان قال ابن الزبير حين قتل عمرو بن سعيد الاشدق الا ان أبا ذبان قتل لطيم الشيطان « كذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون » وقالوا من الحمد حميد ذهبوا به مذهب كريم وكذلك قالوا في الجن رئى وان كانت الرؤيا لا تؤثر في المرئى لانهم ذهبوا به مذهب قرين ونجى

﴿ فصل ﴾ وذكر اسلام حمزة وأمه هالة بنت أهيب بن عبد مناف بن زهرة وأهيب عم آمنة بنت وهب تزوجها عبد المطلب وتزوج ابنه عبد الله آمنة في ساعة واحدة فولدت هالة لعبد المطلب حمزة وولدت آمنة

أسعد الناس به قالوا سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه قال هذا رأيي فيه فاصنعوا ما بدا لكم * قال ابن اسحق ثم ان الاسلام جعل يفشو بمكة في قبائل قريش في الرجال والنساء وقريش تحبس من قدرت على حبسه وتفتن من استطاعت فتنته من المسلمين ثم ان اشراف قريش من كل قبيلة كما حدثني بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعن عكرمة مولى ابن عباس عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال اجتمع عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب والنضر بن الحرث أخو بني عبد الدار وأبو البختري بن هشام والاسود بن المطلب بن أسد وزمعة بن الاسود والوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام لعنه الله وعبد الله بن أبي أمية والعاص بن وائل ونبيه ومنبه ابنا الحجاج السهميان وأمية بن خلف أومن اجتمع منهم قال اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة ثم قال بعضهم لبعض ابعثوا الى محمد فكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا اليه ان أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فاتهم فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن أن قد بدا لهم فيما كلمهم فيه بداء وكان عليهم حريصا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس اليهم فقالوا له يا محمد انا قد بعثنا اليك لنكلمك وانا والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه مثل ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وشتمت الآلهة وسفهت الاحلام وفرقت الجماعة فما بقي أمر قبيح الا قد جئته فيما بيننا وبينك أو كما قالوا له فان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وان كنت انما تطلب به الشرف فينا فنحن نسودك علينا وان كنت تريد به ملكا ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رئيا تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الجن رئيا فربما كان ذلك بذلنا لك أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بي ما تقولون ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه علي أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم أو كما قال صلى الله عليه وسلم قالوا يا محمد فان كنت غير قابل منا شيئا مما عرضناه عليك فانك قد علمت انه ليس من الناس أحد أضيق بلدا ولا أقل ماء ولا أشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليفجر لنا فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آبائنا وليكن فيمن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فانه كان شيخ صدق فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل فان صدقوك وصنعت ما سألناك صدقناك وعرفنا به منزلتك من الله وانه بعثك رسولا كما تقول فقال لهم صلوات الله وسلامه عليه ما بهذا بعثت اليكم انما جئتكم من الله بما بعثني به وقد بلغتكم ما أرسلت به اليكم فان تقبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لامر الله تعالى حتى يحكم الله بيني وبينكم قالوا فاذا لم تفعل هذا لنا فخذ لنفسك سل ربك أن يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك وسله فليجعل لك جنانا وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي فانك تقوم بالاسواق كما نقوم وتلتمس المعاش كما نلتمسه حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولا كما

لعبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أرضعتهما ثويبة كما تقدم وزاد غير ابن اسحق في اسلام حمزة انه قال لما احتملني الغضب وقلت أنا على قوله أدركني الندم على فراق دين آبائي وقومي وبت من الشك في أمر عظيم لا أكتحل بنوم ثم أتيت الكعبة وتضرعت الى الله سبحانه ان يشرح صدري للحق ويذهب عني الريب فما استتممت دعائي حتى زاح عني الباطل وامتلأ قلبي يقينا أو كما قال فغدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته بما كان من أمري فدعا لي بان يثبتني الله وقال حمزة بن عبد المطلب حين أسلم

حمدت الله حين هدى فؤادي * الى الاسلام والدين الحنيف
لدين جاء من رب عزيز * خبير بالعباد بهم لطيف
اذا تليت رسائله علينا * تحدر دمع ذي اللب الحصيف
رسائل جاء أحمد من هداها * بآيات مبينة الحروف
وأحمد فينا مصطفى مطاع * فلا تغشوه بالقول العنيف
فلا والله نسلمه لقوم * ولما نقض فيهم بالسيوف
ونترك منهم قتلى بقاع * عليها الطير كالورد العكوف
وقد خبرت ما صنعت ثقيف * به فجزى القبائل من ثقيف
إله الناس شر جزاء قوم * ولا أسقاهم صوب الخريف

﴿ فصل ﴾ وذكر ما سأله قومه من الآيات وازالة الجبال عنهم وانزال الملائكة عليه وغير ذلك جهلا منهم

تزعم فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بفاعل وما أنا بالذي يسال ربه هذا وما بعثت اليكم بهذا ولكن الله بعثني بشيرا ونذيرا أو كما قال قال تقبلوا ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وان تردوه على أصبر لامر الله حتى يحكم الله بيني و بينكم قالوا فاسقط علينا كسفا كما زعمت ان ربك لو شاء فعل فانا لا نؤمن لك الا أن تفعل قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الى الله ان شاء أن يفعله بكم فعل قالوا يا محمد أفما علم ربك انا سنجلس معك ونسالك عما سالناك عنه ونطلب منك ما نطلب فيتقدم اليك فيعلمك ما تراجعنا به ويخبرك ما هو صانع في ذلك بنا اذلم نقبل منك ما جئتنا به انه قد بلغنا انك انما يعلمك هذا رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا والله لا نؤمن بالرحمن ابدا فقد أعذرنا اليك يا محمد وانا والله لا نتركك وما بلغت منا حتى نهلكك او تهلكنا وقال قائلهم نحن نعبد الملائكة وهي بنات الله وقال قائلهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم قام عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وهو ابن عمته فهو لعاتكة بنت عبد المطلب فقال له يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لانفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله كما تقول ويصدقوك ويتبعوك فلم تفعل ثم سالوك ان تأخذ لنفسك ما يعرفون به فضلك عليهم ومنزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك ان تعجل لهم بعض ما تخوفهم به من العذاب فلم تفعل أو كما قال له فوالله لا أومن بك أبدا حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقى فيه وأنا أنظر اليك حتى تأتيها ثم تأتي معك بصك أربعة من الملائكة يشهدون لك انك كما تقول وايم الله ان لو فعلت ذلك ما ظننت اني أصدقك ثم انصرف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهله حزينا آسفا لما فاته لما كان به من قومه حين دعوه ولما رأى من مباعدتهم اياه فلما قام عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل لعنه الله يا معشر قريش ان محمدا قد أبى الا ما ترون من عيب ديننا وشتم

منهم بحكمة الله تعالى في امتحانه الخلق وتعبدهم بتصديق الرسل وأن يكون ايمانهم عن نظر وفكر في الادلة فيقع الثواب على حسب ذلك ولو كشف الغطاء وحصل لهم العلم الضروري بطلت الحكمة التي من أجلها يكون الثواب والعقاب اذ لا يؤجر الانسان على ما ليس من كسبه كما لا يؤجر على ما خلق فيه من لون وشعر ونحو ذلك وانما أعطاهم من الدليل ما يقتضي النظر فيه العلم الكسبي وذلك لا يحصل الا بفعل من أفعال القلب وهو النظر في الدليل وفي وجه دلالة المعجزة على صدق الرسول والا فقد كان قادرا سبحانه ان يأمرهم بكلام يسمعونه ويغنيهم عن ارسال الرسل اليهم ولكنه سبحانه قسم الامر بين الدارين فجعل الامر يعلم في الدنيا بنظر واستدلال وتفكر واعتبار لانها دار تعبد واختبار وجعل الامر يعلم في الآخرة بمعاينة واضطرار لا يستحق به ثواب ولا جزاء وانما يكون الجزاء فيها على ما سبق في الدار الاولى حكمة دبرها وقضية أحكمها وقد قال الله تعالى «وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون» يريد فيما قال أهل التأويل ان التكذيب بالآيات نحو ما سألوه من ازالة الجبال عنهم وانزال الملائكة يوجب في حكم الله الا يلبث الكافرين بها وان يعاجلهم بالنقمة كما فعل بقوم صالح وبآل فرعون فلو أعطيت قريش ما سالوه من الآيات وجاءهم بما اقترحوا ثم كذبوا لم يلبثوا ولكن الله أكرم محمدا في الامة التي أرسله اليهم اذ قد سبق في علمه أن يكذب به من يكذب ويصدق به من يصدق وابتعثه رحمة للعالمين بر وفاجر أما البر فرحمته اياهم في الدنيا والآخرة وأما الفاجر فانهم أمنوا من الخسف والغرق وارسال حاصب عليهم من السماء كذلك قال بعض اهل التفسير في قوله «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين» مع انهم لم يسئلوا ما سألوا من الآيات الا تعنتا واستهزاء لا على جهة الاسترشاد ودفع الشك فقد كانوا رأوا من دلائل النبوة ما فيه شفاء لمن أنصف قال الله سبحانه «أولم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب» الآية وفي هذا المعنى قيل

لو لم تكن فيه آيات مبينة * كانت بداهته تنبيك بالخبر

وقد ذكر ابن اسحق في غير هذه الرواية انهم سالوا ان يجعل لهم الصفا ذهبا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدعو الله لهم فنزل جبريل فقال لهم ما شئتم ان شئتم فعلت ما سألتم ثم لا تلبثكم ان كذبتم بعد معاينة الآية فقالوا لا حاجة لنا بها

﴿ فصل ﴾ وذكر قول عبد الله بن أبي أمية له واسم أبي أمية حذيفة والله لا أومن بك حتى تتخذ سلما الى آخر الكلام وقد أسلم عبد الله بن أبي امية قبل فتح مكة وسيأتي ذكر اسلامه وذكر خبر أبي جهل وما هم به من القاء الحجر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد وقد رواه النسوي باسناد الى أبي هريرة قال قال أبو جهل وذكر الحديث الى قوله فنكص ابو جهل على عقبيه فقالوا ما لك فقال ان بيني و بينه لخندقا من نار وهولا واجنحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو دنا لاختطفته الملائكة عضوا عضوا وخرجه أيضا مسلم وذكر النسوي ايضا باسناده الى ابن عباس ان أبا جهل قال له ألم أنهك فوالله ما بمكة نادأ عزمن

آبائنا وتسفيه أحلامنا وشتم آلهتنا وانى أعاهد الله لأجلسن له غدا بحجر ما أطيق حمله أو كما قال فاذا سجد فى صلاته فضخت به رأسه فاسلمونى عند ذلك أو امنعونى فليصنع بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدالهم قالوا والله لا نسلمك لشىء أبدا فامض لما تريد فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظره وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كان يغدو وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وقبلته الى الشام فكان اذا صلى بين الركنين اليمانى والاسود وجعل الكعبة بينه وبين الشام فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى وقد غدت قريش فجلسوا فى أنديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل فلما سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزما منتقعا لونه مرعوبا قد يبست يداه على حجره حتى قذف الحجر من يده وقامت اليه رجال قريش فقالوا له مالك يا أبا الحكم قال قمت اليه لافعل به ما قلت لكم البارحة فلما دنوت منه عرض لى دونه فحل من الابل لا والله ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا انيابه لفحل قط فهم بى ان يأكلنى * قال ابن اسحق فذكر لى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك جبريل عليه السلام لو دنا لاخذه فلما قال لهم ذلك ابو جهل قام النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى (قال ابن هشام) ويقال النضر ابن الحرث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف * قال ابن اسحق فقال يا معشر قريش انه والله قد نزل بكم امر ما اتيتم له بحيلة بعد قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم وأصدقكم حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رأيتم فى صدغيه الشيب وجاءكم بما

ما

جاءكم به قلتم ساحر لا والله ما هو بساحر لقد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم وقلتم كاهن لا والله ما هو بكاهن قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم وقلتم شاعر لا والله ما هو بشاعر قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه وقلتم مجنون لا والله ما هو بمجنون لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه يا معشر قريش فانظروا فى شانكم فانه والله لقد نزل بكم أمر عظيم وكان النضر بن الحرث من شياطين قريش وممن كان يؤذى رسول الله صلى الله عليه وسلم وينصب له العداوة وكان قد قدم الحيرة وتعلم بها أحاديث ملوك الفرس وأحاديث رستم واسفنديار فكان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فذكر فيه بالله وحذر قومه ما أصاب من قبلهم من الامم من نقمة الله خلفه فى مجلسه اذا قام ثم قال أنا والله يا معشر قريش أحسن حديثا منه فهلم الى فانا أحدثكم أحسن من حديثه ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم واسفنديار

ناديه فانزل الله تعالى «أرأيت الذى ينهى عبداً» الى قوله «فليدع ناديه سندع الزبانية» قال محمد بن يزيد فى الكلام حذف تقديره أرأيت الذى ينهى عبداً اذا صلى أمصيب هو أو مخطئ وكذلك فى قوله «أرأيت ان كان على الهدى» كأنه قال أليس من ينهاه بضال وقوله «لنسفعاً بالناصية» أى لنأخذن بها الى النار وقيل معنى السفع ههنا إذلاله وقهره والنادى والندى والمنتدى بمعنى واحد وهو مجلس القوم الذين يتنادون اليه وقال اهل التفسير فيه اقوالا متقاربة قال بعضهم فليدع حيه وقال بعضهم عشيرته وقال بعضهم مجلسه و فى أرأيت معنى اخبرنى ولذلك قال سيبويه لم يجز الغاؤها كما تلغى علمت اذا قلت علمت أزيد عندك أم عمرو ولا يجوز هذا فى أرأيت ولا بد من النصب اذا قلت أرأيت زيدا أبو من هو قال سيبويه لان دخول معنى أخبرنى فيها لا يجعلها بمنزلة اخبرنى فى جميع احوالها (قال المؤلف) وظاهر القرآن يقضى بخلاف ما قال سيبويه الا بعد البيان وذلك انها فى القرآن ملغاة لان الاستفهام هو مطلوبها وعليه وقعت فى قوله «أرأيت ان كذب وتولى ألم يعلم» فقوله ألم يعلم استفهام وعليه وقعت أرأيت وكذلك أرأيتم وأرأيتكم فى الانعام فان الاستفهام واقع بعدها نحو «هل يهلك الا القوم الظالمين» وهذا هو الذى منع سيبويه فى أرأيت وأرأيتك أبو من أنت واما البيان فالذى قاله سيبويه صحيح ولكن اذا ولى الاستفهام أرأيت ولم يكن لها مفعول سوى الجملة واما فى هذه المواضع التى فى التنزيل فليست الجملة المستفهم عنها هى مفعول أرأيت انما مفعولها محذوف يدل عليه الشرط ولا بد من الشرط بعدها فى هذه الصور لان المعنى أرأيتم صنيعكم ان كان كذا وكذا كما يقول القائل أرأيت ان لقيت العدو أتقاتله أم لا تقدير الكلام أرأيت رأيك أو صنيعك ان لقيت العدو فحرف الشرط وهو ان دال على ذلك المحذوف ومرتبط به والجملة المستفهم عنها كلام مستأنف منقطع الا ان فيه زيادة بيان لما يستفهم عنه ولولا الشرط وولِيَها الاستفهام لقبح كما قال سيبويه ويحسن فى علمت وهل علمت وهل رأيت وانما قبحه مع أرأيت خاصة وهى التى دخلها معنى أخبرنى فتدبره

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث النضر بن الحارث وما نزل فيه من قول الله تعالى «قالوا أساطير الاولين» واحد الاساطير أسطورة كاحدوثة وأحاديث وهو ما سطره الاولون وقيل اساطير جمع اسطار واسطار جمع سطر بفتح الطاء واما سطر بسكون الطاء فجمعه اسطر وجمع الجمع اساطر بغير ياء * وذكر أن النضر ابن الحارث كان يحدث قريشا باحاديث رستم واسفنديار وما تعلم فى بلاد الفرس من أخبارهم * وذكر

ما انزل الله فى ذلك من قوله وقد قيل فيه نزلت «ومن قال سانزل مثل ما انزل الله» واما احاديث رستم ففى تاريخ الطبرى ان رستم من ريسان كان يحارب كى يستاسب بن كى لهراسب بعد ما قتل اباه لطراسب ابن كى اجو وكى فى اوائل هذه الاسماء عبارة عن البهاء ويقال عبارة عن ادراك الثار ويقال لهؤلاء الملوك الكينية من اجل هذا وكان رستم الذى يقال له رستم سيد بنى ريسان من ملوك الترك وكان كى يستاسب قد غضب على ابنه فسجنه حسداً له على ماظهر من وقائعه فى الترك حتى صار الذكر له فعندها ظهرت الترك على بلاد فارس وسبوا ابنتين ليستاسب اسم احداهما خمانة او نحو هذا فلما رأى يستاسب الايدين له بقتالهم أطلق ابنه من السجن وهو اسفندياذ ورضى عنه وولاه امر الجيوش فنهد الى رستم وكانت بينهما ملاحم يطول ذكرها لكنه قتل رستم واستباح عساكره ودوخ فى بلاد الترك واستخرج اختيه من ايديهم ثم مات اسفندياذ قبل ابيه وكان ملك ابيه نحواً من مائة عام ثم عهد الى بهمن بن اسفنديار فولاه الامر بعد موته وبهمن بلغتهم الحسن النية ودام ملكه نيفا على مائة عام وكان له ابنان ساسان ودارا وقد أملينا فى اول الكتاب طرفا من حديث ساسان وبنيه وهم الساسانية الذين قام عليهم الاسلام ورستم آخر مذكور ايضا قبل هذا فى احاديث كى قباذ وكان قبل عهد سليمان ثم كان رستم وزيرا بعد كى قباذ لابنه كى قاووس وكانت الجن قد سخرت له يقال ان سليمان امرهم بذلك فبلغ ملكه من العجائب مالا يكادان يصدقه ذوو العقول لخروجها عن المعتاد لكن محمد بن جرير الطبرى ذكر منها أخباراً عجيبة * وذكر انه هم بما هم به نمروذ من الصعود الى السماء فطرحته الريح وضعضعت اركانه وهدمت بنيانه ثم ثاب اليه بعض جنوده فصار كسائر الملوك يغلب تارة ويغلب بخلاف ما كان قبل ذلك وسار بجنوده الى اليمن فنهد اليه عمرو ذو الاذعار فهزمه عمرو وأخذه اسيرا وحبسه فى محبس حتى جاء رستم وكان صاحب امره فاستنقذه من عمرو إما بطوع وإما باكراه ورده الى بلاد فارس ولابنه شاوخش مع قراسيات ملك الترك خبر عجيب وكان رستم هو القيم على شاوخش والكافل له فى صغره وكان آخر امر شاوخش بعد عجائب ان قتله قراسيات وقام ابنه كى خسرو يطالب بثأره فدارت بينه وبين الترك وقائع لم يسمع بمثلها وكان الظفر له فلما ظفروا رأى امله فى أعدائه ماملا عينه قرة وقلبه سرورا زهد فى الدنيا واراد السياحة فى الارض فتعلقت به ابناء فارس وحذرته من شتات الشمل بعده وشماتة العدو فاستخلف عليهم كى لهراسب بن كى اجو بن كى كينة بن كى قاووس المتقدم ذكره ولا ادرى هل رستم الذى قتله اسفنديار هو رستم صاحب كى قاووس ام غيره والظاهر انه ليس به لان مدة ما بين كى قاووس وكى يستاسب بعيدة جدا واحسبه كما قدمنا انه كان من الترك وهذا كله كان فى مدة الكينية وعند اشتغالهم بقتال الترك استعملوا بخت نصر البابلى على العراق فكان من اموره مع بنى اسرائيل واثخانه فيهم وهدمه لبيت المقدس واحراقه للتوراة وقتله لاولاد الانبياء واسترقاقه انساء ملوكهم ولذراريهم مع عيثه فى بلاد العرب حين جاس خلال ديارهم ماهو مشهور فى كتب التفاسير ومعلوم عند اصحاب التواريخ * فهذه جملة مختصرة تشرح لك ماوقع فى كتاب ابن اسحق من ذكر رستم واسفنديار وكانت الكينية قبل مدة عيسى بن مريم اولهم فى عهد افريدون قبل موسى عليه السلام بئين من السنين وآخرهم فى مدة الاسكندر بن قليس والاسكندر هو الذى سلب ملكهم وقتل دارا بن دارا وهو آخرهم ثم كانت الاشغانية مع ملوك الطوائف ار بعمائة وثمانين عاما وقيل اقل من ذلك فى قول الطبرى وقول المسعودى خمسمائة وعشر سنين فى خلال امرهم بعث عيسى ابن مريم ثم كانت الساسانية نحوا من ثلاثين ملكا حتى قام الاسلام فقض خدمتهم وخضد شوكتهم وهدم هيا كلهم وأطفأ نيرانهم التى كانوا يعبدون وذلك كله فى خلافة عمر

ثم يقول بماذا محمد أحسن حديثا منى « قال ابن هشام » وهو الذى قال فيما بلغنى سانزل مثل ما أنزل الله

* قال ابن اسحق وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقول فيما بلغني نزل فيه ثمان آيات من القرآن قول الله عز وجل اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين وكل ما ذكر فيه من الاساطير من القرآن فلما قال لهم ذلك النضر بن الحرث بعثوه وبعثوا معه عقبة بن أبي معيط الى أحبار يهود بالمدينة وقالوا لهما سلاهم عن محمد وصفا لهم صفته وأخبراهم بقوله فانهم اهل الكتاب الاول وعندهم علم ليس عندنا من علم الانبياء فخرجا حتى قدما المدينة فسالا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفا لهم امره واخبراهم ببعض قوله وقالا لهم انكم اهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا فقالت لهما أحبار يهود سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فان أخبركم بهن فهو نبي مرسل وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الاول ما كان أمرهم فانه قد كان لهم حديث عجيب وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الارض ومغاربها ما كان نبؤه وسلوه عن الروح ما هي فان اخبركم بذلك فاتبعوه فانه نبي وان لم يفعل فهو رجل متقول فاصنعوا في امره ما بدا لكم فاقبل النضر بن الحرث وعقبة بن أبي معيط بن ابي عمرو بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي حتى قدما مكة على قريش فقالا يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد صلى الله عليه وسلم قد أخبرنا أحبار يهود ان نساله عن أشياء أمرونا بها فان أخبركم عنها فهو نبي وان لم يفعل فالرجل متقول فروا فيه رأيكم فجاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الاول قد كانت لهم قصة عجب وعن رجل كان طوافا قد بلغ مشارق الارض ومغاربها وأخبرنا عن الروح ما هي

(١٩٠)

قال فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبركم بما سألتم عنه غدا ولم يستثن فانصرفوا عنه فمكث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون خمس عشرة ليلة لا يحدث الله اليه في ذلك وحيا ولا يأتيه جبريل حتى أرجف به أهل مكة وقالوا وعدنا محمد غدا واليوم خمس عشرة ليلة قد أصبحنا منها لا يخبرنا بشيء مما سالناه عنه وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ثم جاءه جبريل من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف فيها معاتبته اياه على حزنه عليهم وخبر ما سألوه عنه من أمر الفتية والرجل الطواف والروح * قال ابن اسحق فذكر لي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين جاءه لقد احتبست عني يا جبريل حتى سؤت ظنا فقال له جبريل وما نتنزل الا بامر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا فافتتح السورة تبارك وتعالى بحمده وذكر نبوة رسوله لما أنكروا عليه من ذلك فقال الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب يعني محمدا صلى الله عليه وسلم انك رسول مني أي تحقيق لما سألوا عنه من نبوتك ولم يجعل له عوجا قيما اي معتدلا لا اختلاف فيه لينذر بأسا شديدا من لدنه عاجل عقوبته في الدنيا وعذابا أليما في الآخرة أي من عند ربك الذي بعثك رسولا ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا أي دار الخلد لا يموتون فيها الذين صدقوك بما جئت به مما كذبك به غيرهم وعملوا بما أمرتهم به من الاعمال وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا يعني قريشا في قولهم انا نعبد الملائكة وهي بنات الله ما لهم به من علم ولا لآبائهم الذين أعظموا فراقهم وعيب دينهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم أي لقولهم ان الملائكة بنات الله ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك يا محمد على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا أي لحزنه عليهم حين فاته ما كان يرجوه منهم أي لا تفعل « قال ابن هشام » باخع نفسك أي مهلك نفسك فيما حدثني أبو عبيدة قال ذو الرمة

الا أيهذا الباخع الوجد نفسه * لشيء نحته عن يديه المقادر

وهذا البيت في قصيدة له وجمعه باخعون وبخعة وتقول العرب قد بخعت له نصحي ونفسي أي جهدت له انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق ارسال قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط الى يهود وما رجعا به من عندهم من الفصل بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه عن الامور الثلاثة التي قالت اليهود ان أخبركم بها فهو نبي والا فهو متقول فقال لهم سأخبركم غدا ولم يقل ان شاء الله فأبطأ عنه الوحي في قول ابن اسحق خمسة عشر يوما وفي سير التيمي وموسى بن عقبة ان الوحي انما أبطأ عنه ثلاثة أيام ثم جاءه جبريل بسورة الكهف * وذكر افتتاح الرب سبحانه بحمد نفسه وذكر نبوة نبيه وحمده لنفسه تعالى خبر باطنه الأمر والتعليم لعبده كيف يحمده اذ لولا ذلك لاقتضت الحال الوقوف عن تسميته والعبارات عن جلاله لقصور كل عبارة عما هنالك من الجلال وأوصاف الكمال ولما كان الحمد واجبا على العبد قدم في هذه الآية ليقترن في اللفظ بالحمد الذي هو واجب عليه وليستشعر العبد وجوب الحمد عليه وفي سورة الفرقان قال « تبارك الذي نزل الفرقان على عبده » وبدأ بذكر الفرقان الذي هو الكتاب المبارك قال الله سبحانه « وهذا كتاب أنزلناه مبارك » فلما افتتح السورة بتبارك الذي بدأ بذكر الفرقان وهو الكتاب المبارك ثم قال على عبده فانظر الى تقديم ذكر عبده على الكتاب وتقديم ذكر الكتاب عليه في سورة الفرقان وما في ذلك من تشاكل اللفظ والتئام الكلام ترى الاعجاز ظاهرا والحكمة بادرة والبرهان واضحا وأنشد لذي الرمة

قال بن اسحق أي أبهم أتبع لامري وأعمل بطاعتي وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا أي الارض وان ما عليها لفان و زائل وان المرجع الى فأجزي كلا بعمله فلا تأس ولا يحزنك ما تسمع وترى فيها (قال ابن هشام) الصعيد الارض وجمعه صعد قال ذو الرمة يصف ظبيا صغيرا

كانه بالضحى ترمي الصعيد به * ذبابة في عظام الرأس خرطوم

وهذا البيت في قصيدة له والصعيد أيضا الطريق وقد جاء في الحديث اياكم والقعود على الصعدات يريد الطريق والجرز التي لا تنبت شيا وجمعها أجراز و يقال سنة جرز وسنون أجراز وهي التي لا يكون فيها مطر وتكون فيها جدوبة ويبس وشدة قال ذو الرمة يصف ابلا

طوى النحز والاجراز ما في بطونها * فما بقيت الا الضلوع الجراشع

(١٩١)

وهذا البيت في قصيدة له * قال ابن اسحق ثم استقبل قصة الخبر فيما سالوه عنه من شان الفتية فقال أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا أي قد كان من آياتي فيما وضعت على العباد من حججي ما هو أعجب من ذلك (قال ابن هشام) والرقيم الكتاب الذي رقم فيه بخبرهم وجمعه رقم قال العجاج * ومستقر المصحف المرقم * وهذا البيت في ارجوزة له * قال ابن اسحق ثم قال تعالى اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا ثم قال تعالى نحن نقص عليك نبأهم بالحق أي بصدق الخبر انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا أي لم يشركوا بي كما أشركتم بي ما ليس لكم به علم (قال ابن هشام) والشطط الغلو ومجاوزة الحق قال أعشى بن قيس بن ثعلبة

لا ينتهون ولا ينهى ذوي شطط * كالطعن يذهب فيه الزيت والفتل

وهذا البيت في قصيدة له هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين * قال ابن اسحق أي بحجة بالغة فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه (قال ابن هشام) تزاور تميل وهو من الزور وقال امرؤ القيس

كانه بالضحى ترمي الصعيد به * ذبابة في عظام الرأس خرطوم

يصف ولد الظبية والخرطوم من أسماء الخمر أي كانه من نشاطه دبت الخمر في رأسه وأنشد له ايضا

* طوى النحز والاجراز * البيت والنحز النخس والنحاز داء يأخذ الابل والنحيزة الغريزة والنحيزة سيجة كالحزام والضلوع الجراشع هو جمع جرشع قال صاحب العين الجرشع العظيم الصدر فمعناه اذا في البيت على هذا الضلوع من الهزال قد نتأت وبرزت كالصدر البارز

﴿ فصل ﴾ وذكر الرقيم وفيه سوى ما قاله أقوال روي عن أنس انه قال الرقيم الكلب وعن كعب انه قال هو اسم القرية التي خرجوا منها وقيل هو اسم الوادي وقيل هو صخرة ويقال لوح كتب فيه أسماؤهم ودينهم وقصتهم وقال ابن عباس كل القرآن أعلم الا الرقيم والغسلين وحنانا والاواه وقد ذكرت أسماؤهم على الاختلاف في بعض ألفاظها وهي مليخا كسلمينا مرطوش بن أنس اريطانس ايونس شاطيطوش وقيل في اسم مدينتهم افوس واختلف في بقائهم الى الآن فروي عن ابن عباس انه أنكر ان يكون بقي شيء منهم بل صاروا ترابا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وقال بعض أصحاب الاخبار غير هذا وان الارض لم تأكلهم ولم تغيرهم وانهم على مقربة من القسطنطينية فالله اعلم وروي انهم سيحجون البيت اذا نزل عيسى ابن مريم القيت هذا الخبر في كتاب البدء لابن أبي خيثمة وذكر قول الله تعالى «لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً» قد أملينا في اعراب هذه الآية نحوا من كراسة وذكرنا ما وهم فيه الزجاج من اعرابها حيث جعل أحصى اسما في موضع رفع على خبر المبتدا وأمدا تمييز وهذا لا يصح لان التمييز هو الفاعل في المعنى فاذا قلت أيهم أعلم أبا فالاب هو العالم وكذلك اذا قلت أيهم اقرأ عبدا فالعبد هو القارئ فيلزم على قوله اذا ان يكون الامد فاعلا بالاحصاء وهذا محال بل هو مفعول وأحصى فعل ماض وهو الناصب له وذكرنا في ذلك الاملاء أن أيهم قد يجوز فيه النصب بما قبله اذا جعلته خبرا وذلك على شروط بيناها هنالك لمن أراد الوقوف على حقيقتها اي ومواضعها وكشفنا أسرارها وقوله سبحانه «فضربنا على آذانهم» أي أنمناهم وانما قيل في النائم ضرب على اذنه لان النائم ينتبه من جهة السمع والضرب هنا مستعار من ضربت القفل على الباب وذكر قوله تعالى «تزاور عن كهفهم ذات اليمين» الآية وقيل في تقرضهم تحاذيهم وقيل تتجاوزهم شيئا شيئا من القرض وهو القطع اي تقطع ما هنالك من الارض وهذا كله شرح اللفظ وأما فائدة المعنى فانه بين انهم في مقنوة من الارض لا تدخل عليهم الشمس فتحرقهم وتبلي ثيابهم ويقلبون ذات اليمين وذات الشمال

واني زعيم ان رجعت مملكا * يسير ترى منه الفرانق ازورا وهذا البيت في قصيدة له وقال أبو الزحف الكلبي يصف بلدا

جاب المندى عن هوانا أزور * ينضى المطايا خمسه العشنزر وهذان البيتان في أرجوزة له وتقرضهم ذات الشمال تجاوزهم وتتركهم

عن شمالها قال ذو الرمة الى ظعن يقرضن أقواز مشرف * شمالا وعن أيمانهن الفوارس وهذا البيت في

قصيدة له والفجوة السعة وجمعها الفجاء قال الشاعر

ألبست قومك مخزاة ومنقصة

حتى أبيحوا وخلوا فجوة الدار

ذلك من آيات الله أي في الحجة على من عرف ذلك من أمورهم من أهل الكتاب ممن أمر هؤلاء بمسئلتك في صدق نبوتك بتحقيق الخبر عنهم من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد «قال ابن هشام» الوصيد الباب قال العبسي واسمه عبيد ابن وهب

بارض فلاة لا يسد وصيدها

عليّ ومعروفي بها غير منكر

وهذا البيت في أبيات له والوصيد أيضا الفناء وجمعه وصائد ووصد ووصدان لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا الى قوله قال الذين غلبوا على أمرهم أهل السلطان والملك منهم لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون يعني أحبار يهود الذين أمروهم بالمسئلة عنهم ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب أي لا علم لهم ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا أي لا تكابرهم

لئلا تأكلهم الارض والفائدة العظمى في هذه الصفة بيان كيفية حالهم في الكهف وحال كلبهم وأين هو من الكهف وانه بالوصيد منه وان باب الكهف الى جهة الشمال للحكمة التي تقدمت وان هذا البيان لا يكاد يعرفه من رآهم فان المطلع عليهم يملأ منهم رعبا فلا يمكنه تأمل هذه الدقائق من أحوالهم والنبي عليه السلام لم يرهم قط ولا سمع بهم ولا قرأ كتابا فيه صفتهم لانه أمي في أمة أمية وقد جاءكم ببيان لا يأتي به من وصل اليهم حتى ان كلبهم قد ذكر وذكر موضعه وبسطه ذراعيه بالوصيد وهم في الفجوة وفي هذا كله برهان عظيم على نبوته ودليل واضح على صدقه وانه غير متقول كما زعم وافقف بقلبك على مضمون هذه الاوصاف والمراد بها تعصم ان شاء الله مما وقعت فيه الملحدة من الاستخفاف بهذه الآية من كتاب الله وقولهم أي فائدة في ان تكون الشمس تزاور عن كهفهم وهكذا هو كل بيت يكون في مقنوة أي بابه لجهة الشمال فنبه أهل المعاني على الفائدة الاولى المنبئة عن لطف الله بهم حيث جعلهم في مقنوة تزاور عنهم الشمس فلا تؤذيهم فيقال لمن اقتصر من أهل التأويل على هذا فما في ذكر الكلب وبسط ذراعيه من الفائدة وما فيه من معنى اللطف بهم فالجواب ما قدمناه من ان الله سبحانه لم يترك من بيان حالهم شيئا حتى ذكر حال كلبهم مع أن تأملهم متعذر على من اطلع عليهم من أجل الرعب فكيف من لم يرهم ولا سمع بهم لولا الوحي الذي جاءه من الله سبحانه بالبيان الواضح الشافي والبرهان الكافي والرعب الذي كان يلحق المطلع عليهم قيل كان مما طالت شعورهم وأظفارهم ومن الآيات في هذه القصة قوله سبحانه «في فجوة منه» أي في فضاء ومع انهم في فضاء منه فلا تصيبهم الشمس قال ابن سلام فهذه آية قال وكانوا يقلبون في السنة مرتين ومن فوائد الآية انه أخرج الكلب عن التقليب فقال باسط ذراعيه ومع انه كان لا يقلب لم تأكله الارض لان التقليب كان من فعل الملائكة بهم والملائكة أولياء المؤمنين في الحياة الدنيا وفي الآخرة والكلب خارج من هذه الآية ألا تراه كيف قال بالوصيد أي بفناء الغار لا داخلا معهم لان الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب فهذه فوائد جمة قد اشتمل عليها هذا الكلام قال ابن سلام وانما كانوا يقلبون في الرقدة الاولى قبل أن يبعثوا

﴿فصل﴾ وذكر قول الله سبحانه «قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا» وقال يعني أصحاب السلطان فاستدل بعض أهل العلم على انهم كانوا مسلمين بقوله لنتخذن عليهم مسجدا وذكر الطبري ان أهل تلك المدينة تنازعوا قبل مبعثهم في الاجساد والارواح كيف تكون اعادتها يوم القيامة فقال قوم تعاد الاجساد كما كانت بارواحها كما يقوله أهل الاسلام وخالفهم آخرون وقالوا تبعث الارواح دون الاجساد كما يقوله النصارى وشري بينهم الشر واشتد الخلاف واشتد على ملكهم ما نزل بقومه من ذلك فلبس المسوح وافترش الرماد وأقبل على البكاء والتضرع الى الله ان يريه الفصل فيما اختلفوا فيه فاحيا الله أصحاب الكهف عند ذلك فكان من حديثهم ما عرف وشهر فقال الملك لقومه هذه آية أظهرها الله لكم لتتفقوا وتعلموا ان الله عز وجل كما أحيا هؤلاء وأعاد أرواحهم الى أجسادهم فكذلك يعيد الخلق يوم القيامة كما بدأهم فرجع الكل الى ما قاله الملك وعلموا انه الحق

﴿فصل﴾ وذكر قول الله سبحانه «ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم» قد أفردنا الكلام على هذه الواو التي

يسميها

يسميها بعض الناس واو الثمانية بإطلاق بلا والذى يليق بهذا الموضع أن تعلم أن هذه الواو تدل على تصديق القائلين لانها عاطفة على كلام مضمر تقديره نعم وثامنهم كلبهم وذلك ان قائلا لو قال ان زيدا شاعر فقلت له وفقيه كنت قد صدقته كانك قلت نعم هو كذلك وفقيه أيضا وفى الحديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أيتوضأ بما أفضلت الحمر فقال نعم وبما أفضلت السباع يريد نعم وبما أفضلت السباع خرجه الدارقطنى وفى التنزيل «وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر» هو من هذا الباب فكذلك ما أخبر به عنهم من قولهم ويقولون سبعة فقال سبحانه وثامنهم كلبهم وليس كذلك سادسهم كلبهم ورابعهم كلبهم لانه فى موضع النعت لما قبله فهو داخل تحت قولهم مع قوله سبحانه «رجما بالغيب» ولم يقل ذلك فى آخر القصة

﴿فصل﴾ وذكر قول الله تعالى «ولا تقولن لشىء» وفسره فقال أى استثن مشيئة الله المشيئة مصدر شاء يشاء كما أن الخيفة مصدر خاف يخاف ولكن هذا التفسير وان كان صحيح المعنى فلفظ الآية مشكل جدا لان قوله «لا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا» نهى عن أن يقول هذا الكلام ولم ينهه عن أن يصله بالا أن يشاء الله فيكون العبد المنهى عن هذا القول منهيا أيضا عن أن يصله بقوله الا أن يشاء الله هذا محال فقوله اذاً الا أن يشاء الله استثناء من الله راجع الى أول الكلام وهذا أيضا اذا تأملته نقض لعزيمة النهى وابطال لحكمه فان السيد اذا قال لعبده لا تقم الا ان يشاء الله ان تقوم فقد حل عقدة النهى لان مشيئة الله للفعل لا تعلم الا بالفعل فللعبد اذا أن يقوم ويقول قد شاء الله أن أقوم فلا يكون للنهى معنى على هذا فاذا لم يكن رد حرف الاستثناء الى النهى ولا هو من الكلام الذى نهى العبد عنه فقد تبين اشكاله ﴿والجواب﴾ ان فى الكلام حذفا واضمارا تقديره ولا تقولن انى فاعل ذلك غدا الا ذاكرا الا أن يشاء الله أو ناطقا بان يشاء الله ومعناه الا ذاكرا مشيئة الله كما قال ابن اسحق لان المشيئة مصدر وان مع الفعل فى تأويل المصدر واعرابه ذلك المصدر مفعول بالقول المضمر والعرب تحذف القول وتكتفى بالمقول ففى التنزيل «فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم» أى يقال لهم أكفرتم فحذف القول وبقى الكلام المقول وكذلك قوله تعالى «يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم» أى يقولون سلام عليكم وهو كثير وكذلك اذاً قوله «الا أن يشاء الله» هى من كلام الناهى له سبحانه ثم أضمر القول وهو الذكر الذى قدمناه وبقى المقول وهو أن يشاء الله وهذا القدر يكفى فى هذا المقام وان كان فى الآية من البسط والتفتيش ما هو أكثر من هذا

﴿فصل﴾ وقد فسر قوله تعالى «ولبثوا فى كهفهم» فقال معناه أى سيقولون ذلك وهو أحد التأويلات فيها وعلى هذا القول قرأه ابن مسعود وقالوا لبثوا بزيادة قالوا ثم قال ابن اسحق قل ربى أعلم بما لبثوا وهو وهم من المؤلف أو غيره وانما التلاوة «قل الله أعلم بما لبثوا» وقد قيل انه اخبار من الله تعالى عن مقدار لبثهم ولكن لما علم استبعاد قريش وغيرهم من الكفار لهذا المقدار وعلم أن فيه تنازعا بين الناس فمن ثم قال «قل الله أعلم بما لبثوا» وقوله «ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا» أى انها ثلاثمائة بحساب العجم وان حسبت الاهلة فقد زاد العدد تسعا لان ثلاثمائة سنة بحساب الشمس تزيد تسع سنين بحساب القمر (فان قيل) فكيف قال ثلاثمائة سنين ولم يقل سنة وهو قياس العدد فى العربية لان المائة تضاف الى لفظ الواحد ﴿فالجواب﴾ أن سنين فى الآية بدل مما قبله ليس على حد الاضافة ولا التمييز ولحكمة عظيمة عدل باللفظ عن الاضافة الى البدل وذلك انه لو قال ثلاثمائة سنة لكان الكلام كانه جواب لطائفة واحدة من الناس والناس فيهم طائفتان طائفة عرفوا طول لبثهم ولم يعلموا كمية السنين فعرفهم انها ثلاثمائة وطائفة لم يعرفوا طول لبثهم ولا

ولا تستفت فيهم منهم أحدا فانهم لا علم لهم بهم ولا تقولن لشىء انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربى لاقرب من هذا رشدا أى ولا تقولن لشىء سألوك عنه كما قلت فى هذا انى مخبركم غدا واستثن مشيئة الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى ان يهدينى ربى لخير مما سألتمونى عنه رشدا فانك لا تدرى ما أنا صانع فى ذلك ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا أى سيقولون ذلك قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض أبصر به وأسمع ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه أحدا أى لم يخف عليه شىء مما سألوك عنه

شيئا من خبرهم فلما قال ثلاثمائة مرفا للاولين بالكمية التى شكوا فيها مبينا للاخرين ان هذه الثلاثمائة سنون وليست أياما ولا شهورا فانتظم البيان للطائفتين من ذكر العدد وجمع المعدود وتبين انه بدل اذ البدل يراد به تبيين ماقبله ألا ترى ان اليهود قد كانوا عرفوا ان لاصحاب الكهف نبأ عجيبا ولم يكن العجب الا من طول لبثهم غير انهم لم يكونوا على يقين من انها ثلاثمائة أو أقل فاخبر ان تلك السنين ثلاثمائة ثم لو وقف الكلام ههنا لقالت العرب ومن لم يسمع بخبرهم ماهذه الثلاثمائة فقال كالمبين لهم سنين وقد روى معنى هذا التفسير عن الضحاك ذكره النحاس

﴿ فصل ﴾ وقال سنين ولم يقل أعواما والسنة والعام وان اتسعت العرب فيهما واستعملت كل واحد منهما مكان الآخر اتساعا ولكن بينهما فى حكم البلاغة والعلم بتنزيل الكلام فرقا فخذه أولا من الاشتقاق فان السنة من سنا يسنو اذا دار حول البئر والدابة هى السانية فكذلك السنة دورة من دورات الشمس وقد تسمى السنة دارا فى الخبران بين آدم ونوح الف دار أى الف سنة هذا أصل هذا الاسم ومن ثم قالوا أكلتهم السنة فسموا شدة القحط سنة قال الله سبحانه « ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين » ومن ثم قيل أسنت القوم اذا أقحطوا وكأن وزنه افعتوا لا افعلوا كذلك قال بعضهم وجعل سيبويه التاء بدلا من الواو فهى عنده افعلوا لان الجدوبة والخصب معتبر بالشتاء والصيف وحساب العجم انما هو بالسنين الشمسية بها يؤرخون وأصحاب الكهف من أمة عجمية والنصارى يعرفون حديثهم ويؤرخون به فجاء اللفظ فى القرآن بذكر السنين الموافقة لحسابهم وتمموا الفائدة بقوله وازدادوا تسعا ليوافق حساب العرب فان حسابهم بالشهور القمرية كالمحرم وصفر ونحوهما وانظر بعد هذا الى قوله « تزرعون سبع سنين دأبا » الآية ولم يقل أعواما ففيه شاهد لما تقدم غير انه قال ثم يأتى من بعد ذلك عام ولم يقل سنة عدولا عن اللفظ المشترك فان السنة قد يعبر بها عن الشدة والازمة كما تقدم فلو قال سنة لذهب الوهم اليها لان العام أقل أياما من السنة وانما دلت الرؤيا على سبع سنين شداد واذا انقضى العدد فليس بعد الشدة الا رخاء وليس فى الرؤيا مايدل على مدة ذلك الرخاء ولا يمكن ان يكون أقل من عام والزيادة على العام مشكوك فيها لا تقتضيه الرؤيا فحكم بالاقل وترك مايقع فيه الشك من الزيادة على العام فهاتان فائدتان فى اللفظ بالعام فى هذا الموطن وأما قوله « وبلغ أربعين سنة » فانما ذكر السنين وهى أطول من الاعوام لانه مخبر عن اكتهال الانسان وتمام قوته واستوائه فلفظ السنين أولى بهذا الموطن لانها أكمل من الاعوام وفائدة أخرى انه خبر عن السن والسن معتبر بالسنين لان أصل السن فى الحيوان لا يعتبر الا بالسنة الشمسية لان النتاج والحمل يكون بالربيع والصيف حتى قيل ربعى للبكير وصيفى للمؤخر قال الراجز

ان بنى صبية صيفيون * أفلح من كان له ربعيون

فاستعمله فى الآدميين فلما قيل فى الفصيل ونحوه ابن سنة وابن سنتين قيل ذلك فى الآدميين وان كان أصله فى الماشية لما قدمنا وأما قوله « وحمله وفصاله فى عامين » فلانه قال سبحانه « يسئلونك عن الاهلة قل هى مواقيت للناس » فالرضاع من الاحكام الشرعية وقد قصرنا فيها على الحساب بالاهلة وكذلك قوله « يحلونه عاما ويحرمونه عاما » ولم يقل سنة لانه يعنى شهر المحرم وربيع الى آخر العام ولم يكونوا يحسبون بايلول ولا بتشرين ولا بينير وهى الشهور الشمسية وقوله سبحانه « فاماته الله مائة عام » أخبار منه لمحمد صلى الله عليه وسلم وأمته وحسابهم بالاعوام والاهلة كما وقت لهم سبحانه وقوله سبحانه فى قصة نوح « فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما » قيل انما ذكر أولا السنين لانه كان فى شدائد مدته كلها الا خمسين عاما منذ جاءه الفرج وأتاه

العوث و يجوزان يكون الله سبحانه علم ان عمره كان ألفاالا ان الخمسين منها كانت أعواما فيكون عمره ألف سنة تنقص منها ما بين السنين الشمسية والقمرية فى الخمسين خاصة لان خمسين عاماً بحساب الاهلة أقل من خمسين سنة شمسية بنحو عام و نصف فان كان الله سبحانه قد علم هذا من عمره فاللفظ موافق لهذا المعنى والا ففى القول الاول مقنع والله أعلم بما أراد فتامل هذا فان العلم بتنزيل الكلام ووضع الالفاظ فى مواضعها اللائقة بها يفتح لك باباً من العلم باعجاز القرآن وابن هذا الاصل تعرف المعنى فى قوله تعالى « فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » وقوله تعالى « ألف سنة مما تعدون » وانه كلام ورد فى معرض التكثير والتفخيم لطول ذلك اليوم والسنة أطول من العام كما تقدم فلفظها أليق بهذا المقام

﴿ فصل ﴾ وذكر قصة الرجل الطواف والحديث الذى جاء فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان ملكا مسح الارض بالاسباب ولم يشرح معنى الاسباب ولاهل التفسير فيه أقوال متقاربة قالوا فى قوله تعالى « وآتيناه من كل شىء سبباً » أى علماً يتبعه وفى قوله تعالى « فاتبع سبباً » أى طريقاً موصلة وقال ابن هشام فى غير هذا الكتاب السبب حبل من نور كان ملك يمشى به بين يديه فيتبعه وقد قيل فى اسم ذلك الملك زياقيل وهذا يقرب من قول من قال سبباً أى طريقاً و يقرب أن يكون تفسيراً لقول النبى صلى الله عليه وسلم مسح الارض بالاسباب واختلف فى تسميته بذى القرنين كما اختلف فى اسمه واسم ابيه فاصح ما جاء فى ذلك ما روى عن أبى الطفيل عامر بن واثلة قال سأل ابن الكواء على بن أبى طالب فقال أرأيت ذا القرنين أنبيا كان أم ملكا فقال لا نبيا كان ولا ملكا ولكن كان عبداً صالحاً دعا قومه الى عبادة الله فضربوه على قرنى رأسه ضربتين وفيكم مثله يعنى نفسه وقيل كانت له ضفيرتان من شعر والعرب تسمى الخصلة من الشعر قرنا وقيل انه رأى فى المنام رؤيا طويلة انه أخذ بقرنى الشمس فكان التأويل انه المشرق والمغرب وذكر هذا الخبر على بن أبى طالب القيروانى العابد فى كتاب البستان له قال و بهذا سمى ذا القرنين وأما اسمه فقال ابن هشام فى هذا الكتاب اسمه مرزبى بن مرذبه بذال مفتوحة فى اسم أبيه وزاى فى اسمه وقيل فيه هرمس وقيل هرديس وقال ابن هشام فى غير هذا الكتاب اسمه الصعب بن ذى مرائد وهو أول التبابعة وهو الذى حكم لابراهيم عليه السلام فى بئر السبع حين حاكم اليه فيها وقيل انه افريدون بن اثفيان الذى قتل الضحاك و يروى فى خطبة قيس بن ساعدة التى خطبها بسوق عكاظ انه قال فيها يا معشر إياد أين الصعب ذو القرنين ملك الخافقين وأذل الثقلين وعمر ألفين ثم كان ذلك كلحظة عين وأنشد ابن هشام للاعشى

والصعب ذو القرنين أصبح ثاويا * بالحنو فى جدث أميم مقيم

وقوله بالحنو يريد حنو قراقر الذى مات فيه ذو القرنين بالعراق وقول ابن هشام فى السيرة انه من أهل مصر وانه الاسكندر الذى بنى الاسكندرية فعرفت به قول بعيد مما تقدم و يحتمل أن يكون الاسكندر سمى ذا القرنين أيضاً تشبيهاً له بالاول لانه ملك ما بين المشرق والمغرب فيما ذكروا أيضاً وأذل ملوك فارس وقتل دارا بن دارا وأذل ملوك الروم وغيرهم وقال الطبرى فى الاسكندر هو اسكندروس بن قيلقوس و يقال فيه ابن قليس وكانت أمه زنجية وكانت أهديت لدارا الاكبر أو سباها فوجد منها نكهة استثقلها فعولجت ببقلة يقال لها اندروس فحملت منه بدارا الاصغر فلما وضعته ردها فتزوجها والد الاسكندر فحملت منه بالاسكندروس فاسمه عندهم مشتق من تلك البقلة التى طهرت أمه بها فيما ذكروا وذكر عن الزبير انه قال ذو القرنين هو عبد الله بن الضحاك بن معد الحميرى فى ذكر ملوك الحيرة قال الصعب بن قرين هو ذو القرنين

* وقال فيما سألوه عنه من أمر الرجل الطواف ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شىء سببا فاتبع سبباً حتى انتهى الى آخر قصة خبره * وكان من خبر ذى القرنين أنه أوتى ما لم يؤت أحد غيره فمدت له الاسباب حتى انتهى من البلاد الى مشارق الارض ومغاربها لا يطأ أرضاً الا سلط على أهلها حتى انتهى من المشرق والمغرب الى ما ليس وراءه شىء من الخلق * قال ابن اسحق فحدثنى من يسوق الاحاديث عن الاعاجم فيما توارثوا من علمه ان ذا القرنين كان رجلا من أهل مصر اسمه مرزبان بن مرذبة اليونانى من ولد يونان بن يافث بن نوح « قال ابن هشام » واسمه الاسكندر هو الذى بنى الاسكندرية فنسبت اليه * قال ابن اسحق وقد حدثنى ثور بن يزيد عن خالد بن معدان الكلاعى وكان رجلا قد أدرك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذى القرنين فقال ملك مسح الارض من تحتها بالاسباب

ويحتمل أن يكونوا ملوكا في أوقات شتى يسمى كل واحد منهم ذا القرنين والله أعلم والأول كان على عهد ابراهيم عليه السلام وهو صاحب الخضر حين طلب عين الحياة فوجدها الخضر ولم يجدها ذو القرنين حالت بينه وبينها الظلمات التي وقع فيها هو وأجناده في خبر طويل مذكور في بعض التفاسير مشهور عند الاخباريين وأما قول عمر لرجل سمعه يقول يا ذا القرنين لم يكفكم أن تسموا بالانبياء حتى تسميتم بالملائكة ان كان عمر قاله بتوقيف من الرسول عليه السلام فهو ملك لا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الا الحق وان كان قاله بتأويل تأوله خالفه علي في الخبر المتقدم والله أعلم أي الخبرين أصح نقلا غير ان الرواية المتقدمة عن علي يقويها ما نقله أهل الاخبار عن ذي القرنين والله أعلم وكان من مذهب عمر رحمه الله كراهية التسمي بأسماء الانبياء فقد أنكر على المغيرة تكنيته بأبي عيسى وأنكر على صهيب تكنيته بأبي يحيى فأخبره كل واحد منهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كناه بذلك فسكت وكان عمر انما كره من ذلك الاكثار وأن يظن أن للمسلمين شرفا في الاسم اذا سمي باسم نبي أو انه ينفعه ذلك في الآخرة فكأنه استشعر من رعيته هذا الغرض أو نحوه وهو أعلم بما كره من ذلك والا فقد سمي بمحمد طائفة من الصحابة منهم أبو بكر وعلي وطلحة وأبو حذيفة وأبو جهم بن حذيفة وحاطب وخطاب ابنا الحارث كل هؤلاء المحمدين كانوا يكنون بأبي القاسم الا محمد بن خطاب وسمى أبو موسى ابنا له بموسى فكان يكنى به وأسيد بن حضير سمى ابنه بيحيى وعلم به النبي عليه السلام فلم ينكر عليه وكان لطلحة عشرة من الولد كلهم يسمى باسم نبي منهم موسى بن طلحة وعيسى واسحق ويعقوب وابراهيم ومحمد وكان للزبير عشرة كلهم يسمى باسم شهيد فقال له طلحة أنا أسميهم بأسماء الانبياء وأنت تسميهم بأسماء الشهداء فقال له الزبير فاني أطمع أن يكون بني شهداء ولا تطمع أنت أن يكون بنوك أنبياء ذكره ابن أبي خيثمة وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنه ابراهيم والآثار في هذا المعنى كثيرة وفي السنن لابي داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال سموا بأسماء الانبياء وهذا محمول على الاباحة لا على الوجوب وأما التسمي بمحمد ففي مسند الحارث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من كان له ثلاثة من الولد ولم يسم أحدهم بمحمد فقد جهل وفي المعيطي عن مالك أنه سئل عمن اسمه محمد ويكنى أبا القاسم فلم ير به بأسا فقيل له أكنيت ابنك أبا القاسم واسمه محمد فقال ما كنيته بها ولكن أهله يكنونه بها ولم أسمع في ذلك نهيا ولا أرى بذلك بأسا وهذا يدل على أن مالكا لم يبلغه أو لم يصح عنده حديث النهي عن ذلك وقد رواه أهل الصحيح فالله أعلم ولعله بلغه حديث عائشة أنه عليه السلام قال ما الذي أحل اسمي وحرم كنيتي وهذا هو الناسخ لحديث النهي والله أعلم وكان ابن سيرين يكره لكل أحد أن يتكنى بأبي القاسم كان اسمه محمدا أو لم يكن وطائفة انما يكرهونه لمن اسمه محمد وفي المعيطي أيضا أنه سئل عن التسمية بمهدي فكرهه وقال وما علمه بأنه مهدي وأباح التسمية بالهادي وقال لان الهادي هو الذي يهدي الى الطريق وقد قدمنا كراهية مالك التسمي بجبريل * وقد ذكر ابن اسحق كراهية عمر للتسمي بأسماء الملائكة وكره مالك التسمي بياسين

﴿ فصل ﴾ وذكر سؤالهم عن الروح وما أنزل الله فيه من قوله تعالى « ويسئلونك عن الروح » الآية وروي عن ابن اسحق من غير طريق البكائي انه قال في هذا الخبر فناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم هو جبريل وهذه الرواية عن ابن اسحق تدل على خلاف ما روى غيره أن يهود قالت لقريش اسئلوه عن الروح فان أخبركم به فليس بنبي وان لم يخبركم فهو نبي وقال ابن اسحق فيما تقدم من الحديث اسئلوه عن الرجل الطواف وعن الفتية وعن الروح فان أخبركم والا فالرجل متقول فسوى في الخبر بين الروح وغيره

* وقال خالد سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلا يقول يا ذا القرنين فقال عمر اللهم غفرا أما رضيتم أن تسموا بالانبياء حتى تسميتم بالملائكة * وقال ابن اسحق والله أعلم أي ذلك كان أقال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا الحق ما قال * وقال تعالى فيما سألوه عنه من أمر الروح ويسألونك عن الروح

واختلف أهل التأويل فى الروح المسؤل عنه فقال بعضهم هو جبريل لانه الروح الامين و روح القدس وعلى هذا رواية ابن اسحق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقريش حين سألوه هو جبريل وقالت طائفة الروح خلق من الملائكة على صور بنى آدم وقالت طائفة الروح خلق يرون الملائكة ولا تراهم فهم للملائكة كالملائكة لبنى آدم وروى عن على أنه قال الروح ملك له مائة ألف رأس لكل رأس مائة ألف وجه فى كل وجه مائة ألف فم فى كل فم مائة ألف لسان يسبح الله بلغات مختلفة وقالت طائفة الروح الذى سألت عنه يهود هو روح الانسان ثم اختلف أصحاب هذا القول فمنهم من قال لم يجبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سؤالهم لانهم سألوه تعنتاً واستهزاء فقال الله قل الروح من أمر ربى ولم يأمره أن يبينه لهم وقالت طائفة بل قد أخبرهم الله به وأجابهم عما سألوا لانه قال لنبيه قل الروح من أمر ربى وأمر الرب هو الشرع والكتاب الذى جاء به فمن دخل فى الشرع وتفقه فى الكتاب والسنة عرف الروح فكان معنى الكلام ادخلوا فى الدين تعرفوا ما سألتم عنه فانه من أمر ربى اى من الامر الذى جئت به مبلغا عن ربى وذلك ان الروح لا سبيل الى معرفته من جهة الطبيعة ولا من جهة الفلسفة ولا من جهة الرأى والقياس وانما يعرف من جهة الشرع فاذا نظرت الى ما فى الكتاب والسنة من ذكره نحو قوله سبحانه «ثم سواه ونفخ فيه من روحه» أى من روح الحياة والحياة من صفات الله سبحانه والنفخ فى الحقيقة مضاف الى ملك ينفخ فيه بامر ربه وتنظر الى ما أخبر به الرسول عليه السلام ان الارواح جنود مجندة وانها تتعارف وتتشام فى الهواء وانها تقبض من الاجساد بعد الموت وانها تسئل فى القبر فتفهم السؤال وتسمع وترى وتنعم وتعذب وتلتذ وتألم وهذه كلها من صفات الاجسام فتعرف انها أجسام بهذه الدلائل لكنها ليست كالاجساد فى كثافتها وثقلها واظلامها اذ الاجساد خلقت من ماء وطين وحمإ مسنون فهو أصلها والارواح خلقت مما قال الله تعالى وهو النفخ المتقدم المضاف الى الملك والملائكة خلقت من نور كما جاء فى الصحيح وان كان قد أضاف النفخ الى نفسه فكذلك أضاف قبض الارواح الى نفسه فقال «الله يتوفى الانفس حين موتها» وأضاف ذلك الى الملك أيضا فقال «قل يتوفاكم ملك الموت» والفعل مضاف الى الملك مجازاً والى الرب حقيقة فهو أيضاً جسم ولكنه من جنس الريح ولذلك سمى روحا من لفظ الريح ونفخ الملك فى معنى الريح غير انه ضم أوله لانه نورانى والريح هواء متحرك واذا كان الشرع قد عرفنا من معانى الروح وصفاته بهذا القدر فقد عرف من جهة أمره كما قال سبحانه «قل الروح من أمر ربى» وقوله من أمر ربى أيضاً ولم يقل من أمر الله ولا من أمر ربكم يدل على خصوص وعلى ما قدمناه من أنه لا يعلمه الا من أخذ معناه من قول الله سبحانه وقول رسوله بعد الايمان بالله ورسوله واليقين الصادق والفقه فى الدين فان كان لم يخبر اليهود حين سألوه عنه فقد أحالهم على موضع العلم به

﴿ فصل ﴾ ومما يتصل بمعنى الروح وحقيقته أن تعرف هل هى النفس أو غيرها وقد كثرت فى ذلك الاقوال واضطربت المذاهب فتعلق قوم بظواهر من الاحاديث لا توجب القطع لانها نقل آحاد وأيضا فان ألفاظها محتملة للتأويل ومجازات العرف واتساعاتها فى الكلام كثيرة فمما تعلقوا به فى أن الروح هى النفس قول بلال أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك مع قول النبى عليه السلام ان الله قبض أرواحنا وقوله عز وجل «الله يتوفى الانفس» والمقبوضة هى الارواح ولم يفرقوا بين القبض والتوفى ولا بين الاخذ فى قول بلال أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك وبين قول النبى عليه السلام قبض أرواحنا وتنقيح الاقوال وترجيحها يطول وقد روى أبو عمر فى التمهيد حديثا يدل على خلاف مذهبه فى أن النفس هى الروح لكن علة فيه

ان الله خلق آدم وجعل فيه نفسا وروحا فمن الروح عفافه وفهمه وحلمه وسخاؤه ووفاؤه ومن النفس شهوته وطيشه وسفهه وغضبه ونحو هذا وهذا الحديث معناه صحيح اذا تؤمل صح نقله أو لم يصح وسبيلك أن تنظر فى كتاب الله أولى لا الى الاحاديث التى تنقل مرة على اللفظ ومرة على المعنى وتختلف فيها ألفاظ المحدثين فنقول قال الله تعالى «فاذا سويته ونفخت فيه من روحى» ولم يقل من نفسى وكذلك قال «ثم سواه ونفخ فيه من روحه» ولم يقل من نفسه ولا يجوز أيضا أن يقال هذا ولا خفاء فيما بينهما من الفرق فى الكلام وذلك يدل على أن بينهما فرقا فى المعنى وبعكس هذا قوله سبحانه «تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك» ولم يقل تعلم ما فى روحى ولا أعلم ما فى روحك ولا يحسن هذا القول أيضا أن يقوله غير عيسى ولو كانت النفس والروح اسمين لمعنى واحد كالليث والاسد لصح وقوع كل واحد منهما مكان صاحبه وكذلك قوله تعالى «يقولون فى أنفسهم» ولا يحسن فى الكلام يقولون فى أرواحهم وقال تعالى «أن تقول نفس» ولم يقل أن تقول روح ولا يقوله أعرابى فاين اذا كون النفس والروح بمعنى واحد لولا الغفلة عن تدبر كلام الله تعالى ولكن بقيت دقيقة يعرف منها السر والحقيقة ولا يكون بين القولين اختلاف متباين ان شاء الله فنقول وبالله التوفيق الروح مشتق من الريح وهو جسم هوائى لطيف به تكون حياة الجسد عادة أجراها الله تعالى لان العقل يوجب ألا يكون للجسم حياة حتى ينفخ فيه ذلك الروح الذى هو فى تجاويف الجسد كما قال ابن فورك وأبو المعالى وأبو بكر المرادى وسبقهم الى نحو منه أبو الحسن الاشعرى ومعنى كلامهم واحد أو متقارب

﴿ فصل ﴾ فاذا ثبت ان الروح سبب الحياة عادة أجراها الله تعالى فهو كالماء الجارى فى عروق الشجرة صعدا حتى تحيا به عادة فتسميه ماء باعتبار أوليته ونسمى أيضا هذا روحا باعتبار أوليته واعتبار النفخة التى هى ريح فما دام الجنين فى بطن أمه حيا فهو ذو روح فاذا نشأ واكتسب ذلك الروح أخلاقا وأوصافا لم تكن فيه وأقبل على مصالح الجسم كغذائه وعشق مصالح الجسد ولذاته ودفع المضار عنه سمى نفسا كما يكتسب الماء الصاعد فى الشجرة من الشجرة أوصافا لم تكن فيه فالماء فى العنبة مثلا هو ماء باعتبار الاصل والبداءة ففيه من الماء الميوعة والرطوبة وفيه من العنبة الحلاوة وأوصاف أخر فتسميه مصطارا ان شئت أو خمرا ان شئت أو غير ذلك مما أوجبه الاكتساب لهذه الاوصاف فمن قال ان النفس هى الروح على الاطلاق من غير تقييد فلم يحسن العبارة وانما فيها من الروح الاوصاف التى تقتضيها نفخة الملك والملك موصوف بكل خلق كريم ولذلك قال فى الحديث فمن الروح عفافه وحلمه ووفاؤه وفهمه ومن النفس شهوته وغضبه وطيشه وذلك ان الروح كما قدمنا مازج الجسد الذى فيه الدم ويسمى الدم نفسا وهو مجرى الشيطان وقد حكمت الشريعة بنجاسة الدم لسر اطلعه ان يفهم مما نحن بسبيله فمن يعرف جوهر الكلام وينزل الالفاظ منازلها لا يسمى روحا الا ما وقع به الفرق بين الجماد والحى والذى كان سببا للحياة كما فى الكتاب العزيز عند ذكر احياء النطفة ونفخ الروح فيها ولا يقال نفخ النفس فيها الا عند الاتساع فى الكلام وتسمية الشىء بما يؤول اليه ومن ههنا سمى جبريل عليه السلام روحا والوحى روحا لان به تكون حياة القلوب قال الله سبحانه «أو من كان ميتا فأحييناه» وقال فى الكفار «أموات غير أحياء» وقال فى النفس ما تقدم وقال «ان النفس لامارة بالسوء» ولم يقل ان الروح لامارة لان الروح الذى هو سبب الحياة لا يأمر بسوء ولا يسمى أيضا نفسا كما قدمنا حتى يكتسب من الجسد الاوصاف المذكورة وما كان نحوها والماء النازل من السماء جنس واحد فاذا مازج أجساد الشجر كالتفاح والفرسك والحنظل والعشر وغير ذلك اختلفت أنواعه كذلك الروح الباطنة التى هى من عند الله هى جنس واحد وقد أضافها الى نفسه تشريفا لها حين قال ونفخ فيه من روحه ثم يخالط

قل الروح من أمر ربى وما أوتيتم من العلم الا قليلا * قال ابن اسحق وحدثت عن ابن عباس انه قال لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قالت أحبار يهود يا محمد أرأيت قولك وما أوتيتم من العلم الا قليلا ايانا تريد أم قومك قال كلا قالوا فانك تتلو فيما جاءك انا قد أوتينا التوراة فيها بيان كل شىء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها فى علم الله قليل وعندكم من ذلك ما يكفيكم لو أقمتموه قال فانزل الله تعالى عليه فيما سألوه عنه من ذلك ولو ان ما فى الارض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم أى ان التوراة فى هذا من علم الله قليل * قال وأنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومه لانفسهم من تسيير الجبال وتقطيع الارض وبعث من مضى من آبائهم من الموتى ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الارض أو كلم به الموتى بل لله الامر جميعا أى لا أصنع من ذلك الا ما شئت

وأنزل عليه فى قولهم * خذ لنفسك ماسألوه أن ياخذ لنفسه أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا و يبعث معه ملكا يصدقه بما يقول و يردعنه وقالوا مالهذا الرسول يأكل الطعام و يمشى فى الاسواق لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى اليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحوراً انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا تبارك الذى ان شاء جعل لك خيرا من ذلك أى من أن تمشى فى الاسواق وتلتمس المعاش جنات تجرى من تحتها الانهار و يجعل لك قصوراً وأنزل عليه فى ذلك من قولهم وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا أنهم ليأكلون الطعام و يمشون فى الاسواق وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيرا أى جعلت بعضكم لبعض بلاء لتصبروا ولو شئت ان أجعل الدنيا مع رسلى فلا يخالفوا لفعلت * وأنزل الله عليه فيما قال عبد الله بن أبى أمية وقالوا ان نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى فى السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربى هل كنت الا بشرا رسولا « قال ابن هشام » والينبوع ما نبع من الماء من الارض وغيرها وجمعه ينابيع قال ابن هرمة واسمه ابراهيم بن عبد الله الفهرى

واذهرقت بكل وادعبرة * نزف الشؤن ودمعك الينبوع

وهذا البيت فى قصيدة له والكسف القطع من العذاب و واحدته كسفة مثل سدرة وسدر وهى أيضاً واحدة الكسف والقبيل يكون مقابلة ومعاينة وهو كقوله تعالى أو يأتيهم العذاب قبلا أى عيانا وأنشدنى أبو عبيدة لاعشى بن قيس بن ثعلبة

أصالحكم حتى تبوؤا بمثلها * كصرخة حبلى يسرتها قبيلها

يعنى القابلة لانها تقابلها وتقبل ولدها وهـذا البيت فى قصيدة له ويقال القبيل وجمعه قبل وهى الجماعات وفى كتاب الله تعالى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا فقبل جمع قبيل مثل سبل

الاجساد التى خلقت من طين وقد كان فى ذلك الطين طيب وخبيث فينزع كل فرع الى أصله و ينزع ذلك الاصل الى ماسبق فى أم الكتاب والى مادبره وأحكمه الحكيم الخبير فعند ذلك تتنافر النفوس او تتقارب وتتحاب أو تتباغض على حسب التشاكل فى أصل الخلقة وهى معنى قول النبى صلى الله عليه وسلم فما تعارف منها ائتلف وماتنا كر منها اختلف وقد كتب بعض الحكماء الى صديق له ان نفسى غير مشكورة على الانقياد اليك بغير زمام فانها صادفت عندك بعض جواهرها والشئ يتبع بعضه بعضا

﴿ فصل ﴾ وقد يعبر بالنفس عن جملة الانسان روحه وجسده فتقول عندى ثلاثة انفس ولا تقول عندى ثلاثة أرواح لا يعبر بالروح الا عن المعنى المتقدم ذكره وانما اتسع فى النفس وعبر بها عن الجملة لغلبة أوصاف الجسد على الروح حتى صار يسمى نفسا وطرأ هذا الاسم بسبب الجسد كما يطرأ على الماء فى الشجر أسماء على حسب اختلاف أنواع الشجر من حلو وحامض ومر وحريف وغير ذلك فتحصل من مضمون ماذكرنا الا يقال فى النفس هى الروح على الاطلاق حتى تقيد بما تقدم ولا يقال فى الروح هو النفس الا كما يقال فى المنى هو الانسان أو كما يقال للماء المغذى للكرمة هو الخمر او الخل على معنى انه ستنضاف اليه أوصاف يسمى بها خمرا أو خلا فتقييد الالفاظ هو معنى الكلام وتنزيل كل لفظ فى موضعه هو معنى البلاغة فافهمه

﴿ فصل ﴾ واذا ثبت هذا فلم يبق الا قول بلال أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك فذكر النفس لانه معتذر من ترك عمل أمر به والاعمال مضافة الى النفس لان الاعمال جسدانية وقول النبى صلى الله عليه وسلم ان الله قبض أرواحنا فذكر الروح الذى هو الاصل لانه انسهم من نزعهم فاعلمهم ان خالق الارواح يقبضها اذا شاء فلا تنبسط انبساطها فى اليقظة وروح النائم وان وصف بالقبض فلا يدل لفظ القبض على انتزاعه بالكلية كما لا يدل قوله سبحانه فى الظل « ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا » على اعدام الظل بالكلية وقوله تعالى « الله يتوفى الانفس » فلم يقل الارواح لانه وعظ العباد الغافلين عنه فاخبر أنه يتوفى أنفسهم ثم يعيدها حتى يتوفاها فلا يعيدها الى الحشر لتزدجر النفوس بهذه العظة عن سوء أعمالها اذ الآية مكية والخطاب للكفار وقد تنزلت الالفاظ منازلها فى الحديث والقرآن وذلك معنى الفصاحة وسر البلاغة

﴿ فصل ﴾ واستشهد ابن هشام بقول ابن هرمة ونسبه فقال فهرى وانما هو خلجى والخلج اسمه قيس ابن الحارث بن فهر واختلف فى تسمية بنى قيس بن الحارث الخلج فقيل لانهم اختلجوا من قريش وسكان مكة وقيل لانهم نزلوا بموضع فيه خلج من ماء ونسبوا اليه وابن هرمة واسمه ابراهيم بن على بن هرمة وهو شاعر من شعراء الدولة العباسية و بيته

واذاهرقت بكل دار عبرة * نزف الشؤون ودمعك الينبوع

والشؤون مجارى الدمع وهى اطباق الرأس وهى أربعة للرجل وثلاثة للمرأة كذلك ذكروا عن أهل التشريح وكذلك ذكر قاسم بن ثابت فى الدلائل فالله أعلم وكل ماشرح ابن هشام من الآيات التى تلاها ابن اسحق فقد

جمع سبيل وسرر جمع سرير وقمص جمع قميص والقبيل أيضا أى مثل من الامثال وهو قولهم ما نعرف قبيلا من دبير أى لا نعرف ما أقبل مما أدبر قال الكميت بن زيد

تفرقت الامور بوجهتهم * فما عرفوا الدبير من القبيل

وهذا البيت فى قصيدة له ويقال انما أريد بهذا الفتل فما فتل الى الذراع فهو القبيل وما فتل الى أطراف الاصابع فهو الدبير وهو من الاقبال والادبار الذى ذكرت ويقال فتل المغزل فاذا فتل الى الركبة فهو القبيل واذا فتل الى الورك فهو الدبير والقبيل أيضا قوم الرجل والزخرف الذهب والمزخرف المزين بالذهب قال العجاج

من طلل أمسى يخال المصحفا * رسومه والمذهب المزخرفا

وهذان البيتان فى أرجوزة له ويقال أيضا لكل مزين مزخرف * قال ابن اسحق وأنزل عليه فى قولهم انه قد بلغنا انك انما يعلمك رجل باليمامة يقال له الرحمن ولن نؤمن به أبدا كذلك أرسلناك فى أمة قد خلت من قبلها أمم لتتلو عليهم الذى أوحينا اليك وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا اله الا هو عليه توكلت واليه متاب * وأنزل عليه فيما قال أبو جهل بن هشام لعنه الله وما هم به أرأيت الذى ينهى عبدا اذا صلى الى آخر السورة « قال ابن هشام » لنسفعا لنجذبن ولنأخذن قال الشاعر

قوم اذا سمعوا الصراخ رأيتهم * من بين ملجم مهره أو سافع

(٢٠٠)

والنادى المجلس الذى يجتمع فيه القوم ويقضون فيه أمورهم وفى كتاب الله تعالى وتأتون فى ناديكم المنكر وهو الندى وفى كتاب الله تعالى وأحسن نديا وجمعه أندية يقول فليدع أهل ناديه كما قال تعالى واسئل القرية يريد أهل القرية * قال سلامة بن جندل أحد بنى سعد بن زيد مناة بن تميم الشاعر

يومان يوم مقامات وأندية * ويوم سير الى الاعداء تأويب

وهذا البيت فى قصيدة له وقال الكميت بن زيد

لا مهاذير فى الندى مكاثير ولا مصمتين بالافحام

وهذا البيت فى قصيدة له ويقال النادى الجلساء والزبانية الغلاظ الشداد وهم فى هذا الموضع خزنة النار والزبانية أيضا فى الدنيا أعوان الرجل الذين يخدمونه ويعينونه والواحد زبنية قال ابن الزبعرى فى ذلك

مطاعيم فى المقرى مطاعين فى الوغى * زبانية غلب عظام حلومها

يقول شداد وهذا البيت فى أبيات له * وقال صخر بن عبد الله الهذلى وهو صخر الغى

ومن كبير نفر زبانيه *

وهذا البيت فى أبيات له * قال ابن اسحق وانزل الله تعالى عليه فيما عرضوا من أموالهم قل ما سألتكم من أجر فهو لكم ان أجرى الا على الله وهو على كل شىء شهيد * فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بما عرفوا من الحق وعرفوا صدقه فيما حدث وموقع نبوته فيما جاءهم به من علم الغيوب حين سألوه عما سألوا عنه حال الحسد منهم له بينهم وبين اتباعه وتصديقه فعتوا على الله وتركوا أمره عيانا ولجوا فيما هم عليه من الكفر فقال قائلهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون أى اجعلوه لغوا وباطلا واتخذوه هزؤا لعلكم تغلبونه بذلك فانكم ان ناظرتموه أو خاصمتموه يوما غلبكم فقال أبو جهل يوما وهو يهزأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به من الحق يا معشر قريش يزعم محمد أنما جنود الله الذين يعذبونكم فى النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر وأنتم أكثر الناس عددا وكثرة فيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم فانزل الله تعالى عليه فى ذلك من قوله وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما

تقدم ما يحتاج بيانه منه وفى قوله سبحانه « بيت من زخرف » دليل على ان البيت يراد به القصر والمنزل وان كان عظيما فانه يسمى بيتا كما قدمنا فى شرح بيت القصب فى حديث خديجة

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن اسحق قول أبى جهل مستهزئا يزعم محمد ان جنود ربه التى يخوفكم بها تسعة عشر وأنتم الناس الى آخر القصة واهل التفسير يعزون هذه المقالة الى أبى الاشد بن الجمحى واسمه كلدة بن أسيد بن خلف وأبو دهبل الشاعر هو ابن اخيه واسمه وهب بن زمعة بن أسيد بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وكانت عند أبى دهبل التوأمة التى يعرف بها صالح مولى التوأمة وهى اخت عبد الله بن صفوان بن أمية ولدت له عبد الرحمن قتل يوم الجمل وانه قال اكفونى منهم اثنين وأنا أكفيكم سبعة عشر اعجابا منه بنفسه وكان بلغ من شدته فيما زعموا انه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينتزعوه من تحت قدميه فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه وقد دعا النبى صلى الله عليه وسلم الى المصارعة وقال ان صرعتنى آمنت بك فصرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم مرارا فلم يؤمن وقد نسب ابن اسحق خبر المصارعة الى ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب وسيأتى فى الكتاب والله أعلم وأما ما قال اهل التأويل فى خزنة جهنم التسعة عشر فروى عن كعب انه قال بيد كل واحد منهم عمود له شعبتان وانه ليدفع بالشعبة سبعين ألفا الى النار وقد أملينا فى معنى أبواب الجنة وأبواب النار وفائدة عددها وتسميتها وذكر الزبانية والحكمة فى كونهم عددا قليلا مسئلة فى قريب من جزء فلتنظر هناك

﴿ فصل ﴾ وذكر قول قريش انما يعلمه رجل باليمامة يقال له الرحمن وانا لا نؤمن بالرحمن فانزل الله سبحانه « وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى » كان مسيلمة بن حبيب الحنفى ثم أحد بنى الدول قد تسمى بالرحمن فى الجاهلية وكان من المعمرين ذكر وثيمة بن موسى ان مسيلمة تسمى بالرحمن قبل ان يولد عبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشد فى تفسير الزبانية * ومن كبير نفر زبانيه * وجدت فى حاشية

جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الى آخر القصة فلما قال ذلك بعضهم لبعض جعلوا اذا جهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن وهو يصلي يتفرقون عنه ويأبون أن يستمعوا له وكان الرجل منهم اذا أراد أن يستمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض ما يتلو من القرآن وهو يصلي استرق السمع دونهم فرقا منهم فان رأى انهم قد عرفوا انه يستمع منه ذهب خشية أذاهم فلم يستمع وان خفض رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته فظن الذي يستمع أنهم لا يستمعون شيئا من قراءته وسمع هو شيئا دونهم أصاخ له يستمع منه * قال ابن اسحق وحدثني داود بن الحصين مولى عمرو بن عثمان أن عكرمة مولى ابن عباس حدثهم أن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما حدثهم انما أنزلت هذه الآية ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا من أجل أولئك النفر يقول لا تجهر بصلاتك فيتفرقوا عنك ولا تخافت بها فلا يسمعها من يحب أن يسمعها ممن يسترق ذلك دونهم لعله يرعوي الى بعض ما يستمع فينتفع به * قال ابن اسحق وحدثني يحيى بن عروة بن الزبير عن أبيه قال كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال اجتمع يوما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا والله ما سمعت قريش هذا القرآن يجهر لها به قط فمن رجل يسمعهموه فقال عبد الله بن مسعود أنا قالوا انا نخشاهم عليك انما نريد رجلا له عشيرة يمنعونه من القوم ان أرادوه قال دعوني فان الله سيمنعني قال فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام ثم قال بسم الله الرحمن الرحيم رافعا بها صوته الرحمن علم القرآن قال ثم استقبلها يقرؤها قال فتأملوه فجعلوا يقولون ماذا قال ابن أم عبد قال ثم قالوا انه ليتلو بعض ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فقاموا اليه فجعلوا يضربون في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ ثم انصرف الى أصحابه وقد أثروا في وجهه فقالوا له هذا الذي خشينا عليك قال ما كان أعداء الله أهون علي منهم الآن ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدا قالوا لا حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون * قال ابن اسحق (٢٠١) وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري انه حدث ان أبا سفيان بن حرب وأبا جهل ابن هشام والاخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة خرجوا ليلة ليستمعوا من رسول الله صلى الله عليه

(٢٦ – روض ل)

وسلم وهو يصلي من الليل في بيته فأخذ كل رجل منهم مجلسا يستمع فيه وكل لا يعلم بمكان صاحبه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فتلاوموا وقال بعضهم لبعض لا تعودوا فلو رآكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئا ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم الى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قالوا أول مرة ثم انصرفوا حتى اذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل منهم مجلسه فباتوا يستمعون له حتى اذا طلع الفجر تفرقوا فجمعهم الطريق فقال بعضهم لبعض لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا فلما أصبح الاخنس بن شريق أخذ عصاه ثم خرج حتى أتى أبا سفيان في بيته فقال أخبرني يا أبا حنظلة عن رأيك فيما سمعت من محمد فقال يا أبا ثعلبة والله لقد سمعت أشياء أعرفها وأعرف ما يراد بها وسمعت أشياء ما عرفت معناها ولا ما يراد بها قال الاخنس وأنا والذي حلفت به قال ثم خرج من عنده حتى أتى أبا جهل فدخل عليه بيته فقال يا أبا الحكم ما رأيك فيما سمعت من محمد فقال ماذا سمعت تنازعنا نحن وبنو عبد مناف الشرف أطعموا فأطعمنا وحملوا فحملنا وأعطوا فأعطينا حتى اذا تحاذينا على الركب وكنا كفرسي رهان قالوا منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك مثل هذه والله لا نؤمن به أبدا ولا نصدقه قال فقام عنه الاخنس وتركه * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تلا عليهم القرآن ودعاهم الى الله قالوا يهزؤن به قلوبنا في أكنة لا نفقه ما تقول وفي آذاننا وقر لا نسمع ما تقول ومن بيننا وبينك حجاب قد حال بيننا وبينك فاعمل بما أنت عليه اننا عاملون بما نحن عليه انا لا نفقه عنك شيأ فأنزل الله تعالى في ذلك من قولهم واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا الى قوله واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا أي كيف فهموا توحيدك ربك ان كنت جعلت على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقرا وبينك وبينهم حجابا بزعمهم أي اني لم أفعل ذلك نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذ هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا أي ذلك ما تواصوا به من ترك ما بعثتك به اليهم انظر كيف ضربوا لك الامثال

كتاب الشيخ على هذا البيت كبير حي من هذيل ﴿قال المؤلف﴾ وفي أسد أيضا كبير بن غنم بن دودان بن أسد ومن ذريته بنو جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير واصل الراجز أن يكون أراد هؤلاء فانهم أشهر والله أعلم وبنو كبير أيضا بطن من بني غامد وهم من الازد والذي تقدم ذكره من هذيل هو كبير بن طابخة بن لحيان بن سعد بن هذيل

﴿فصل﴾ وذكر استماع أبي جهل وأبي سفيان والاخنس الى قول أبي جهل فلما تحاذينا على الركب وقع في الجمهرة الجاذي المقعي على قدميه قال وربما جعلوا الجاذي والجاثي سواء * وذكر قول الله سبحانه خبرا عنهم «جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا» قال بعضهم مستور بمعنى ساتر

فضلوا فلا يستطيعون سبيلا أى أخطؤا المثل الذى ضربوا لك فلا يصيبون به هدى ولا يعتدل لهم فيه قول وقالوا ائذا كنا عظاما و رفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا أى قد جئت تخبرنا انا سنبعث بعد موتنا اذا كنا عظاما ورفاتا وذلك مالا يكون قل كونوا حجارة أو حديدا أو خلقا مما يكبر فى صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة أى الذى خلقكم مما تعرفون فليس خلقكم من تراب باعز من ذلك عليه * قال ابن اسحق حدثنى عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال سألته عن قول الله تعالى أو خلقا مما يكبر فى صدوركم ماالذى أراد الله به فقال الموت

﴿ ذكر عدوان المشركين على المستضعفين ممن أسلم بالاذى والفتنة ﴾

* قال ابن اسحق انهم عدوا على من أسلم واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم فمنهم من يفتتن من شدة البلاء الذى يصيبه ومنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم وكان بلال مولى أبى بكر رضى الله عنهما لبعض بنى جمح مولدا من مولديهم وهو بلال بن رباح وكان اسم أمه حمامة وكان صادق الاسلام طاهر القلب وكان أمية بن خلف ابن وهب بن حذافة بن جمح يخرجه اذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره فى بطحاء مكة ثم يامر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزل هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول وهو فى ذلك البلاء أحد أحد * قال ابن اسحق وحدثنى هشام بن عروة عن أبيه قال كان ورقة بن نوفل يمر به وهو يعذب بذلك وهو يقول أحد أحد فيقول أحد أحد والله يا بلال ثم يقبل على أمية بن خلف ومن يصنع ذلك به من بنى جمح فيقول أحلف بالله لئن قتلتموه على هذا لاتخذنه حنانا حتى مر به أبو بكر الصديق رضى الله عنه يوما وهم يصنعون ذلك به وكانت دار أبى بكر فى بنى جمح فقال لامية بن خلف ألا تتقى الله فى هذا المسكين حتى متى قال أنت الذى أفسدته فانقذه مما ترى فقال أبو بكر أفعل عندى غلام أسود أجلد منه وأقوى على دينك أعطيكه به قال قد قبلت قال هو لك فاعطاه أبو بكر

كما قال وكان وعده مأتيا أى آتيا والصحيح أن مستورا هنا على بابه لانه حجاب على القلب فهو لا يرى

* وذكر حديث ابن عباس حين سئل عن قوله «أو خلقا مما يكبر فى صدوركم» فقال الموت وهو تفسير يحتاج الى تفسير ورأيت لبعض المتأخرين فيه قال أراد ابن عباس ان الموت سيفنى كما يفنى كل شىء كما جاء انه يذبح على الصراط فكان المعنى ان لو كنتم حجارة أو حديدا لادرككم الفناء والموت ولو كنتم الموت الذى هو كبير فى صدوركم فلابد لكم من الفناء والله أعلم بتأويل ذلك وقد بقى فى نفسى من تأويل هذه الآية شىء حتى يكمل الله نعمته بفهمها ان شاء الله تعالى وقوله سبحانه «ولوا على أدبارهم نفورا» يجوز أن يكون نفورا جمع نافر فيكون نصبا على الحال ويجوز أن يكون مصدرا مؤكدا لولوا ومما أنزل الله فى استماعهم «ومنهم من يستمعون اليك أفأنت تسمع الصم» ألا ترى كيف جمع يستمعون والحمل على اللفظ اذا قرب منه أحسن ألا ترى الى قوله سبحانه «ومن يسلم وجهه الى الله» فافرد حملا على لفظ من وقال فى آخر الآية ولا خوف عليهم فجمع حملا على المعنى لما بعد عن اللفظ وهكذا كان القياس فى قوله «ومنهم من يستمعون» ولكن لما كانوا جماعة ونزلت الآية فيهم باعيانهم صار المعنى ومنهم نفر يستمعون يعنى أولئك النفر وهم أبو جهل وأبو سفيان والاخنس بن شريق ألا ترى كيف قال بعد «ومنهم من ينظر اليك» فافرد حملا على اللفظ لارتفاع السبب المتقدم والله أعلم

﴿ فصل ﴾ وذكر تعذيب من أسلم وطرحهم فى الرمضاء وكانوا يلبسونهم أدراع الحديد حتى أعطوهم بالسنتهم ماسألوا من كلمة الكفر الا بلالا رحمه الله وأنزل الله فيهم الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ونزل فى عمار وأبيه الا أن تتقوا منهم تقاة ولما كان الايمان أصله فى القلب رخص للمؤمن فى حال الاكراه أن يقول بلسانه اذا خاف على نفسه حتى يأمن قال ابن مسعود مامن كلمة تدفع عنى سوطين الا قلتها هذا فى القول فاما الفعل فتنقسم فيه الحال فمنه مالا خلاف فى جوازه كشرب الخمر اذا خاف على نفسه القتل وان لم يخف الا مادون القتل فالصبر له أفضل وان لم يخف فى ذلك الا كسجن يوم أو طرف من الهوان خفيف فلا تحل له المعصية من أجل ذلك وأما الاكراه على القتل فلا خلاف فى حظره لانه انما رخص له فيما دون القتل ليدفع بذلك قتل نفس مؤمنة وهى نفسه فاما اذا دفع عن نفسه بنفس أخرى فلا رخصة واختلف فى الاكراه على الزنى فذكر عن ابن الماجشون انه قال لا رخصة فيه لانه لا ينتشر له الا عن ارادة فى القلب أو شهوة وأفعال القلب لا تباح مع الاكراه وقال غيره بل يرخص فى ذلك لمن خاف القتل لان انبعاث الشهوة عند المماسة بمنزلة انبعاث اللعاب عند مضغ الطعام وقد يجوز أكل الحرام اذا أكره عليه

﴿ فصل ﴾ واختلف الاصوليون فى مسئلة من الاكراه وهى هل المكره على الفعل مخاطب بالفعل أم لا

الصـديق رضي الله عنه غلامه ذلك وأخذه فاعتقه ثم أعتق معه على الاسـلام قبل أن يهاجر الى المدينـة ست رقاب بلال سابعهم * عامر ابن فهيرة شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة شهيدا * وأم عميس * و زنيرة فاصيب بصرها حين أعتقها فقالت قريش ما أذهب بصرها الا اللات والعزى فقالت كذبوا و بيت الله ما تضر اللات والعزى وما تنفعان فرد الله بصرها * وأعتق النهدية و بنتها وكانتا لامرأة من بنى عبد الدار فمر بهما وقد بعثتهما سيدتهما بطحين لها وهى تقول والله لا أعتقكما أبدا فقال أبو بكر رضى الله عنه حل يا أم فلان فقالت حل أنت أفسدتهما فاعتقهما قال فبكم هما قالت بكذا وكذا قال قد أخـذتهما وهما حرتان ارجعا اليها طحينها قالت أو نفرغ منه يا أبا بكر ثم نرده اليها قال ذلك ان شئتما * ومر بجارية بنى مؤمل حى من بنى عدى بن كعب وكانت مسلمة وكان عمر بن الخطاب يعذبها لتترك الاسلام وهو يومئـذ مشرك وهو يضربها حتى اذا مل قال انى أعتذر اليك انى لم أتركك الا ملالة فتقول كذلك فعـل الله بك فابتاعهـا أبو بكر فاعتقها * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن عبد الله بن أبى عتيق عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض أهله قال قال أبو قحافة لابى بكر يا بنى انى أراك تعتق رقابا ضـعافا فلو انك اذ فعلت ما فعلت أعتقت رجالا جلدا يمنعوك و يقومون دونك قال فقال أبو بكر رضى الله عنه يا أبت انى انما أريد ما أريد يعنى لله قال فيتحدث انه ما نزل هؤلاء الآيات الا فيه وفيما قال له أبوه فاما من أعطى واتقى وصـدق بالحسـنى الى قوله تعالى وما لاحـد عنـده من نعـمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى * قال ابن اسحق وكانت بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر و بابيه وأمه وكانوا أهل بيت اسلام اذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول فيما بلغنى صبرا آل ياسر موعـدكم الجنـة فاما أمه فقتلوها وهى تأبى الا الاسلام وكان أبو جهل الفاسق الذى يغرى بهم فى رجال من قريش اذا سمع بالرجل قد أسـلم له شرف ومنعة أنبه وخزاه وقال تركت دين أبيك وهو خير منك لنسفهن حلمك ولنفيلن رأيك ولنضعن شرفك وان كان تاجرا قال والله لنـكسدن تجارتك ولنهلـكن مالك وان كان ضعيفا ضربه وأغرى به * قال ابن اسحق حدثنى حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير قال قلت لعبـد الله بن عباس أ كان المشركون يبلغون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من العذاب ما يعذرون به فى ترك دينهم قال نعم والله ان كانوا ليضربون أحدهم و يجيعونه و يعطشونه حتى ما يقدر على أن لا يستوى جالسا من شدة الضر الذى نزل به حتى يعطيهم ما سألوه من الفتنة حتى يقولوا له اللات والعزى الهك من دون الله

فقالت المعتزلة لا يصح الامر بالفعل مع الاكراه عليه وقالت الاشعرية ذلك جائز لان العزم انما هو فعـل القلب وقد يتصور منه فى ذلك الحين العزم والنية وهى القصـد الى امتثال أمر الله تعالى وان كان ظاهره انه يفعله خوفا من الناس وذلك اذا أكره على فرض كالصـلاة مثلا اذا قيل صل والا قتلت وأما اذا قيـل له ان صليت قتلت فظن القاضى أن الخـلاف بيننا و بين المعتزلة فى ذلك وغلطه بعض أصحابه وقالوا لا خلاف فى هذه المسئلة انه مخاطب بالصـلاة مامور بها وان رخص له فى تركها فليس الترخيص مما يخرجـه عن حكم الخطاب وانما يرفع عنه الاكراه المأثم ولا يخرجه عن أن يكون مخاطبا بها وهذا الغلط المنسوب الى القاضى فى هذه المسـئلة ليس بقول له وانما حكاه فى كتاب التقريب والارشاد عن طائفة من الفقهاء قالوا لا يتصور القصد والارادة للفعل مع الاكراه عليـه قال القاضى وهـذا باطل لانه يتصور انكفافه عنـه مع الاكراه فـكذلك يتصور منه القصـد الى الامتثال له و به يتعلق التكليف فانما غلط من نسب اليه من الاصوليين هذا القول الذى أبطله و بين بطلانه وانما ذكرت ما قالوه قبل أن أرى كلامه فى المسئلة وأقف على حقيقة مذهبه وهو برىء من الغلط فيها

﴿ فصـل ﴾ وذكر فيمن عذب فى الله سمية أم عمـار وقد ذكرنا قتل أبى جهل لها وهى أول شهيد فى الاسلام و روى أن عمـارا قال لرسول الله صلى الله عليه وسـلم لقد بلغ منا العذاب كل مبلغ فقال له النبـي صلى الله عليه وسـلم صبرا أبا اليقظان ثم قال اللهم لا تعذب أحدا من آل عمـار بالنار وسمية أمه وهى بنت خياط كانت مولاة لابى حـذيفة بن المغيرة واسمه مهشم وهو عم أبى جهـل وغلط ابن قتيبة فيها فزعم ان الازرق مولى الحارث بن كلدة خلف عليها بعد ياسر فولدت له سلمة بن الازرق وقال أهل العلم بالنساء انما سميـة أم سلمـة بن الازرق سمية أخرى وهى أم زياد بن أبى سفيان لا أم عمار وعمـار والحو يرث وعبود بنو ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين بن لوذين و يقال لوذيم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة ابن عامر بن زيام بن عنس بن مالك بن أدد بن زيد العنسى المذحجى حليف لبـنى مخزوم ومن ولد عمـار عبد الله بن سعد بن الحسن بن عثمان بن الحسن بن عبد الله بن سعد بن عمـار بن ياسر وهو المقتول بالاندلس قتله عبد الرحمن بن معاوية

﴿ فصل ﴾ وذكر زنيرة التى أعتقها أبو بكر وأول اسمها زاى مكسورة بعـدها نون مكسورة مشددة على

فيقول نعم حتى ان الجعل ليمر بهم فيقولون له هذا الجعل الهك من دون الله فيقول نعم افتداء منهم مما يبلغون من جهده * قال ابن اسحق وحدثني الزبير بن عكاشة بن عبد الله بن أبي أحمد انه حدث ان رجال بني مخزوم مشوا الى هشام بن الوليد حين أسلم أخوه الوليد بن الوليد وكانوا قد أجمعوا على أن يأخذوا فتية منهم كانوا قد أسلموا منهم سلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة قال فقالوا له وخشوا شرا انا قد أردنا أن نعاتب هؤلاء الفتية على هذا الدين الذي أحدثوا فانا لا نأمن بذلك في غيرهم قال هذا فعليكم به فعاتبوه واياكم ونفسه فقال

ألا لا يقتلن أخي عييش * فيبقى بيننا أبدا تلاحي

احذروا على نفسه فاقسم بالله لئن قتلتموه لاقتلن أشرفكم رجلا قال فقالوا اللهم العنه من يغرر بهذا الخبيث فوالله لو أصيب في أيدينا لقتل أشرفنا رجلا فتركوه ونزعوا عنه قال وكان ذلك مما دفع الله به عنهم

﴿ذكر الهجرة الاولى الى أرض الحبشة﴾ بسم الله الرحمن الرحيم قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي قال فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية لمكانه من الله وابن عمه أبي طالب وانه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء قال لهم لو خرجتم الى أرض الحبشة فان بها ملكا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا الى الله بدينهم فكانت اول هجرة كانت في الاسلام * وكان أول من خرج من المسلمين من بني أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب ابن لؤي بن غالب بن فهر عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم * ومن بني عبد شمس بن عبد مناف أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو أحد بني عامر بن لؤي ولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبي حذيفة * ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد * ومن بني عبد الدار ابن قصي مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار * ومن بني زهرة بن كلاب عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة * ومن بني مخزوم بن يقظة بن مرة أبو سلمة بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم معه امرأته ام سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة ابن جمح * ومن بني عدي بن كعب عامر بن ربيعة حليف آل الخطاب من عنز بن وائل معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدي بن كعب * ومن بني عامر بن لؤي ابو سبرة بن ابي رهم بن عبد العزى بن ابي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ويقال بل ابو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ويقال هو كان اول من قدمها * ومن بني الحرث بن فهر سهيل بن بيضاء وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال بن اهيب بن ضبة بن الحرث فكان هؤلاء العشرة اول من خرج من المسلمين الى ارض الحبشة فيما بلغني « قال ابن هشام » وكان عليهم عثمان بن مظعون فيما ذكر لي بعض أهل العلم

وزنفيلة هكذا صحت الرواية في الكتاب والزنبرة واحدة الزنانير وهي الحصا الصغار قاله أبو عبيدة وبعضهم يقول فيها زنبرة بفتح الزاي وسكون النون وباء بعدها ولا أعرف زنبرة في النساء وأما في الرجال فزنبرة بن زبير بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر وابنه خالد بن زنبرة وهو الغرق قاله الدارقطني

﴿فصل﴾ وذكر أم عميس وكانت لبني تيم بن مرة أعتقها أبو بكر وذكر غير ابن اسحق هؤلاء الذين عذبوا في الله لما أعطوا بألسنتهم ما سئلوا من الكفر جاءت قبيلة كل رجل منهم بانطاع الادم فيها الماء فوضعوهم فيها وأخذوهم باطراف الانطاع واحتملوهم الا بلالا * وقول ورقة بن نوفل لئن قتلتموه يعني بلالا وهو على هذا الحال لاتخذنه حنانا أي لاتخذن قبره منسكا ومسترحما والحنان الرحمة وكان بلال رحمه الله يكنى أبا عبد الكريم وقيل أبا عبد الله واخته غفرة وقد تقدم في اول الكتاب ذكر عمر مولى غفرة وهي هذه والغفرة الانثى من أولاد الاراوى والذكر غفر

﴿باب الهجرة الى ارض الحبشة﴾

وقد ذكرنا نسب الحبشة في أول الكتاب واما النجاشي فاسم لكل ملك يلي الحبشة كما ان كسرى اسم لمن ملك الفرس وخاقان اسم لملك الترك كائنا من كان وبطليموس اسم لمن ملك يونان وقد ذكرنا هذا المعنى قبل واسم هذا النجاشي أصحمة بن أبجر وتفسيره عطية وذكر في أول من خرج الى الحبشة عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حين تزوجها يغنيها النساء

أحسن شخصين رأى انسان * رقية وبعلها عثمان

قال ابن اسحق ثم خرج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه وتتابع المسلمون حتى اجتمعوا بأرض الحبشة فكانوا بها منهم من خرج باهله معه ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه * من بني هاشم ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر جعفر ابن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم معه امرأته أسماء بنت عميس ابن النعمان بن كعب بن مالك بن قحافة بن خثعم ولدت له بارض الحبشة عبد الله بن جعفر رجل * ومن بني أمية بن عبد شمس بن عبد مناف عثمان ابن عفان بن أبي العاص ابن أمية بن عبد شمس معه امرأته رقية ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم * وعمرو بن سعيد بن العاص بن امية معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرق بن شق بن رقيبة بن مخدج الكناني * وأخوه خالد بن سعيد بن العاص بن أمية معه امرأته أمينة بنت خلف ابن أسعد بن عامر ابن بياضة بن سبيع بن خثعمة بن سعد بن مليح بن عمرو من خزاعة «قال ابن هشام» ويقال همينة بنت خلف * قال ابن اسحق ولدت له بارض الحبشة سعيد بن خالد وأمة بنت خالد وتزوج أمة بعد ذلك الزبير بن العوام فولدت له عمرو بن الزبير وخالد بن الزبير * ومن حلفائهم من بني أسد بن خزيمة عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد * وأخوه عبيد الله بن جحش معه امرأته أم حبيبة بنت أبي

ولدت رقية لعثمان ابنه عبد الله وبه كان يكنى ومات عبد الله وهو ابن ست سنين وكان سبب موته أن ديكا نقره في عينه فتورم وجهه فمرض فمات وذلك في جمادى الاولى سنة أربع من الهجرة ثم كني بعد ذلك أبا عمرو وهذا هو عبد الله الاصغر وعبد الله الاكبر هو ابنه من فاختة بنت غزوان وأكبر بنيه بعده ذين عمرو ومن بنيه عمر وخالد وسعيد والوليد والمغيرة وعبد الملك وأبان وفي السير من غير هذه الرواية ان رقية كانت من أحسن البشر وأن رجالا من الحبشة رأوها بارضهم فكانوا يدركلون اذا رأوها اعجابا منهم بحسنها فكانت تتأذى بذلك وكانوا لا يستطيعون لقربتهم أن يقولوا لهم شيئا حتى خرج أولئك النفر مع النجاشي الى عدوه الذي كان ثار عليه فقتلوا جميعا فاستراحت منهم وظهر النجاشي على عدوه وروى الزبير في حديث أسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلا بلطف الى عثمان ورقية فاحتبس عليه الرسول فقال له عليه السلام ان شئت أخبرتك ما حبسك قال نعم قال وقفت تنظر الى عثمان ورقية تعجب من حسنهما * وذكر ابن اسحق تسمية المهاجرين الى أرض الحبشة وقد تقدم التعريف ببعضهم وذكرنا سبب اسلام عمرو بن سعيد بن العاصي وانه رأى نوراً خرج من زمزم أضاءت له منه نخل المدينة حتى رأوا البسر فيها فقص رؤياه فقيل له هذه بئر بني عبد المطلب وهذا النور فيهم يكون فكان سبباً لبداره للاسلام وقد ذكرنا فيما تقدم ان هذه الرؤيا انما كانت لاخيه وان عمراً هو الذي عبرها له وهذا هو الصحيح فيها والله اعلم وأما أخوه خالد بن سعيد فكان يرى قبل ان يسلم نفسه قد أشفى على نار تأجج وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ بحجزته يصرفه عنها فلما استيقظ علم ان نجاته من النار على يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اظهر ايمانه ضربه ابوه بمقرعة حتى كسرها على رأسه وحلف الا ينفق عليه وأغرى به اخوته فطردوه وآذوه فانقطع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى هاجر الى ارض الحبشة كما ذكر ابن اسحق وابو سعيد بن العاصي أبو احيحة الذي يقول فيه القائل

ابو أحيحة من يعتم عمته * يضرب وان كان ذا مال وذا عدد

وكان اذا اعتم لم يعتم قرشي اعظاما له وقد قيل في عمته أيضا ما أنشده عمرو بن بحر الجاحظ

وكان أبو أحيحة قد علمتم * بمكة غير مهتضم ذميم
اذا ما شد العصابة ذات يوم * وقام الى المجالس والخصوم
لقد حرمت على من كان يمشي * بمكة غير محتقر لئيم

مات أحيحة الذي كان يكنى به في حرب الفجار وأسلم من بنيه أربعة أبان وخالد وعمرو والحكم الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ومات أحيحة بن سعيد والعاصي بن سعيد وغيرهما من بنيه على الكفر قتل العاصي منهم يوم بدر كافرا * وذكر أمة بنت خالد بن سعيد التي ولدت بارض الحبشة قال وتزوجها الزبير بن العوام وهي التي كساها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي صغيرة وجعل يقول سناه سناه يا أم خالد أي حسن حسن بلغة الحبشة وكانت قد تعلمت لسان الحبشة لانها ولدت بارضهم وولدت للزبير عمراً وخالداً يقال ان أباها خالد بن سعيد أول من كتب بسم الله الرحمن الرحيم مات باجنادين شهيدا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استعمله على صنعاء واليمن فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أبو بكر أن يستعمله فقال لا أعمل لاحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبدا ويروى ان أباه سعيد بن العاصي مرض فقال ان رفعني الله من مرضي لا يعبد اله ابن أبي كبشة بمكة أبدا فقال ابنه خالد اللهم لا ترفعه فهلك مكانه فهؤلاء بنو سعيد بن العاصي بن أمية وعثمان هو ابن عفان بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس

سفيان بن حرب بن أمية * وقيس بن عبد الله رجل من بنى أسد بن خزيمة معه امرأته بركة بنت يسار مولاة أبى سفيان بن حرب بن أمية * ومعيقيب بن أبى فاطمة وهؤلاء آل سعيد بن العاص سبعة نفر «قال ابن هشام» معيقيب من دوس * قال ابن اسحق ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف * أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس * وأبو موسى الاشعرى واسمه عبد الله بن قيس حليف آل عتبة بن ربيعة رجلان * ومن بنى نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان بن جابر بن وهب بن نسيب بن مالك بن الحرث بن مازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ابن عيلان حليف لهم رجل * ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد * والاسود بن نوفل بن خويلد بن أسد * ويزيد بن زمعة بن الاسود بن المطلب بن أسد * وعمرو بن أمية بن الحرث بن أسد أربعة نفر * ومن بنى عبد بن قصى طليب بن عمير بن وهب بن أبى كثير بن عبد رجل * ومن بنى عبد الدار بن قصى مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار * وسويبط بن سعد بن حريملة بن مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار * وجهم بن قيس بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار معه امرأته أم حرملة بنت عبد الاسود بن جزيمة بن أقيش بن عامر بن بياضة بن سبيع بن خثعمة بن سعد بن مليح بن عمرو من خزاعة * وابناه عمرو بن جهم وخزيمة بنت جهم * وأبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار * وفراس بن النضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار خمسة نفر * ومن بنى زهرة بن كلاب * عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد بن الحرث بن زهرة * وعامر بن أبى وقاص وأبو وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة * والمطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحرث بن زهرة معه امرأته رملة بنت أبى عوف بن صبيرة بن سعيد بن

سعد بن سهم ولدت له بارض الحبشة عبد الله بن المطلب * ومن حلفائهم من هذيل * عبد الله بن مسعود بن الحرث بن شمخ بن مخزوم بن صاهلة بن كاهلة بن كاهل بن الحرث بن تميم بن سعد بن هذيل * وأخوه عتبة بن مسعود * ومن بهراء المقداد بن عمرو بن ثعلبة ابن مالك بن ربيعة بن ثمامة ابن مطرود بن عمرو بن سعيد بن زهير بن ثور بن ثعلبة بن مالك بن الشريد بن هزل بن فائش بن دريم بن القين بن أهود بن بهراء بن عمرو بن الحاف بن قضاعة «قال ابن هشام» ويقال هزل بن قاش بن ذر ودهير بن ثور * قال ولم ابن اسحق وكان يقال له المقداد بن الاسود بن عبد يغوث بن عبد مناف بن زهرة وذلك أنه كان تبناه فى الجاهلية وحالفه ستة نفر * ومن بنى تيم بن مرة الحرث بن خالد بن صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم معه امرأته ريطة بنت الحرث بن جبيلة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم ولدت له بارض الحبشة موسى بن الحرث وعائشة بنت الحرث وزينب بنت الحرث وفاطمة بنت الحرث * وعمرو بن عثمان بن عمرو ابن كعب بن سعد بن تيم رجلان * ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة أبو سلمة بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم معه امرأته أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ولدت له بارض الحبشة زينب بنت أبى سلمة واسم أبى سلمة عبد الله واسم أم سلمة هند * وشماس عثمان بن عبد بن الشريد بن سويد بن هرمى بن عامر بن مخزوم «قال ابن هشام» اسم شماس عثمان وانما سمى شماسا لان شماسا من الشمامسة قدم مكة فى الجاهلية وكان جميلا فعجب الناس من جماله فقال عتبة بن ربيعة وكان خال شماس فانا آتيكم بشماس أحسن منه فجاء بابن أخته عثمان بن عثمان فسمى شماسا فيما ذكر ابن شهاب وغيره * قال ابن اسحق وهبار بن سفيان بن عبد الاسد ابن هلال بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم * وأخوه عبد الله بن سفيان * وهشام بن أبى حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * وسلمة بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وعياش بن أبى ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم * ومن حلفائهم معتب بن عوف بن عامر بن الفضل بن عفيف بن كليب بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو من خزاعة وهو الذى يقال له عيهامة ثمانية نفر «قال ابن هشام» ويقال حبشية بن سلول وهو الذى يقال له معتب بن حمراء * ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب عثمان بن

ولا يختلف فى عبد شمس انه بالدال وأما عب شمس بن سعيد بن زيد مناة بن تميم فقال فيه أبو عبيد والقتبى عبد شمس كالاول وقال أكثر الناس فيه عب شمس ثم اختلفوا فى معناه فقيل معناه عبد شمس لكن أدغمت الدال وقيل بل عب الشمس هو ضوءها وصفاؤها وقيل فى المثل هو أبرد من عبقر أى البرد وبعضهم يقول وهو المبرد من عب قر أى بياض قر ومن حب قر أيضا وفيه قول ثالث أعنى عب شمس وهو مروى عن ابن عمر وقال معناه عبء شمس بالهمز ثم حذفت الهمزة تسهيلا وعبء الشمس وعبؤه مثله وشك ابن اسحق فى عمار بن ياسر هل هاجر الى أرض الحبشة أم لا والاصح عند أهل السير كالواقدى وابن عقبة وغيرهما انه لم يكن فيهم * وذكر ابن اسحق من بنى الحارث بن قيس من هاجر الى أرض الحبشة ولم يذكر فيهم تميم بن الحارث * وذكره الواقدى وغيره والحارث بن قيس كان أبوه من المستهزئين الذين أنزل الله فيهم «انا كفيناك المستهزئين» * وذكر من بنى زهرة من هاجر الى أرض الحبشة وهم ستة نفر

مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح * وابنه السائب بن عثمان * واخواه قدامة بن مظعون وعبد الله بن مظعون * وحاطب بن الحرث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح معه امرأته فاطمة بنت المجلل بن عبد الله بن أبى قيس بن عبدود بن نصر بن مالك ابن حسل بن عامر * وابناه محمد بن حاطب والحرث بن حاطب وهما لبنت المجلل * وأخوه خطاب بن الحرث معه امرأته فكيهة بنت يسارة * وسفيان بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح معه ابناه جابر بن سفيان وجنادة بن سفيان ومعه امرأته حسنة وهى أمهما *وأخوهما من أمهما شرحبيل بن حسنة أحد الغوث «قال ابن هشام» شرحبيل بن عبد الله أحد الغوث بن مر أخى تميم بن مر * قال ابن اسحق وعثمان بن ربيعة بن اهبان بن وهب بن حذافة بن جمح أحد عشر رجلا *ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب خنيس ابن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * وعبد الله بن الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم وهشام بن العاص بن وائل بن سعيد بن سهم «قال ابن هشام» العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم * قال ابن اسحق وقيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * وأبو قيس بن الحرث بن قيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * وعبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * والحرث بن الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * ومعمر بن الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * وبشر بن الحرث بن قيس بن عدى ابن سعيد بن سهم * وأخ له من أمه من بنى تميم يقال له سعيد بن عمرو * وسعيد بن الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * والسائب بن الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم * وعمير بن رئاب بن حذيفة بن مهشم بن سعيد بن سهم * ومحمية بن الجزء حليف لهم من بنى زبيد أربعة عشر رجلا *ومن بنى عدى بن كعب معمر بن عبد الله بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى * وعروة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى * وعدى بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى * وابنه النعمان بن عدى * وعامر ابن ربيعة حليف لآل الخطاب من عنز بن وائل معه امرأته ليلى بنت أبى حثمة بن غانم خمسة نفر *ومن بنى عامر بن لؤى أبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر ابن مالك بن حسل بن عامر * وعبد الله بن مخرمة بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر * وعبد الله بن سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر * وسليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر وأخوه السكران بن عمرو معه امرأته سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل ابن عامر * ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ومعه امرأته عمرة بنت السعدى بن وقدان بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر * وأبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر * وسعد بن خولة حليف لهم ثمانية نفر «قال ابن هشام» سعد بن خولة من اليمن * قال ابن اسحق *ومن بنى الحرث ابن فهر * أبو عبيدة بن الجراح وهو عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث * وسهيل بن بيضاء وهو سهيل ابن وهب بن ربيعة بن هلال بن اهيب بن ضبة بن الحرث ولكن امه غلبت على نسبه فهو ينسب اليها وهى دعد بنت جحدم بن امية بن ظرب بن الحرث بن فهر وكانت تدعى بيضاء * وعمرو بن أبى سرح بن ربيعة بن هلال بن اهيب بن ضبة بن الحرث * وعياض بن زهير بن ابى شداد بن ربيعة بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحرث ويقال بل ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة * وعمرو بن الحرث بن زهير بن ابى شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك بن ضبة بن الحرث * وعمرو بن عبد غنم بن زهير بن ابى شداد بن ربيعة بن هلال بن مالك ابن ضبة بن الحرث * وسعد بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن امية بن ظرب بن الحرث * والحرث بن عبد قيس بن فهر بن لقيط بن عامر ابن امية بن ظرب بن الحرث بن فهر ثمانية نفر * فكان جميع من لحق بارض الحبشة وهاجر اليها من المسلمين سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغارا او ولدوا بها ثلاثة وثمانين رجلا ان كان عمار بن ياسر فيهم وهو يشك فيه فكان مما قيل من الشعر فى الحبشة ان عبد الله بن

ولم يذكر السابع وهو عبد الله بن شهاب جد محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهرى وكان اسمه عبد الجان فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله مات بمكة بعد الفتح وأخوه عبد الله الاصغر شهد احداً مع المشركين ثم اسلم * وذكر المطلب بن عبد عوف ولم يذكر أخاه طليبا وكلاهما هاجر الى ارض الحبشة ومات بها وهما اخوا ازهر بن عبد عوف

﴿ فصل ﴾ وانشد لعبد الله بن الحارث ما قاله فى ارض الحبشة وفيه قوله

الحرث بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم حين امنوا بارض الحبشة وحمدوا جوار النجاشي وعبدوا الله لا يخافون على ذلك احدا وقد احسن النجاشي جوارهم حين نزلوا به فقال

يا راكبا بلغن عني مغلغلة * من كان يرجو بلاغ الله والدين

كل امرئ من عباد الله مضطهد * ببطن مكة مقهور ومفتون

انا وجدنا بلاد الله واسعة * تنجى من الذل والمخزاة والهون

فلا تقيموا على ذل الحياة وخز * ى فى الممات وعيب غير مأمون

انا تبعنا رسول الله واطرحوا * قول النبى وعالوا فى الموازين

فاجعل عذابك فى القوم الذين بغوا * وعائذ بك أن يعلوا فيطغونى

وقال عبد الله بن الحرث أيضا يذكر نفى قريش اياهم من بلادهم ويعاتب بعض قومه فى ذلك

أبت كبدى لا أكذبنك قتالهم * على وتأباه على أناملى

وكيف قتالى معشرا أدبوكم * على الحق أن لا تأشبوه بباطل

نفتهم عباد الجن من حر أرضهم * فاضحوا على أمر رشيد البلابل

فان تك كانت فى عدى أمانة * عدى بن سعد عن تقى أو تواصل

فقد كنت أرجو أن ذلك فيكم * بحمد الذى لا يطبى بالجعائل

وبدلت شبلا شبل كل خبيثة * بذى فجر مأوى الضعاف الارامل

أحق عذابك بالقوم الذين طغوا * وعائذا بك ان يعلوا فيطغونى

انشده سيبويه فيما ينتصب على الفعل المتروك اظهاره وذلك لحكمة وهى ان الفعل لو ظهر لم يخل ان يكون ماضيا او مستقبلا فالماضى يوهم الانقطاع والمتكلم انما يريد انه فى مقام العائذ وفى حال عوذ والفعل المستقبل ايضا يؤذن بالانتظار وفعل الحال مشترك مع المستقبل فى لفظ واحد وذلك يوهم انه غير عائذ فكان مجيئه بلفظ الاسم المنصوب على الحال أدل على ما يريد فان عائذا كقائم وقاعد وهو الذى يسمى عند الكوفيين الدائم فالقائل عائذا بك يارب انما يريد أنا فى حال عياذ بك والعامل فى هذه الحال تكلمه ونداؤه أى اقول قولى هذا عائذا وليس تقديره عذت ولا أعوذ انما يريد أن يسمعه ربه أو يراه عائذا به * وقوله أن يعلو يجوز أن تكون ان مع ما بعدها فى موضع نصب وفى موضع خفض عند النحويين أما النصب فعلى اضمار الفعل لانه قال عائذا أعلم انه خائف فكأنه قال أخاف أن يعلو فيطغونى وأما الخفض فعلى اضمار حرف الجر فكأنه قال من ان يعلو وهو مذهب الخليل وسيبويه فى ان المخففة وان المشددة نحو قوله تعالى «ان هذه أمتكم أمة واحدة» تقديره لان هذه وجاز اضمار حرف الجر فى هذين الموضعين وان كانت حروف الجر لا تضمر لانهما موصولتان بما بعدهما فطال الاسم بالصلة فجاز حذف حرف الجر تخفيفا ولقائل أن يقول هذه دعوى ادعيتم ان أن وما بعدها اسم مخفوض وهو لا يظهر فيه الخفض ثم بنيتم التعليل على غير أصل لان الخفض لم يثبت بعد فتقول انما علمنا انه فى موضع خفض لوقوعه فى موضع لا يقع فيه الا المخفوض بحرف الجر نحو قوله سبحانه «وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله» ونحو قوله تعالى «أحق أن تقوم فيه» ونحو قوله «أن تضل احداهما» فقوله تعالى أجدر ألا يعلموا معناه بأن لا يعلموا فلو كان قبل أن فعل لقلنا حذف حرف الجر فتعدى الفعل فنصب ولكن أجدر وأحق اسمان لا يعملان فمن ههنا عرف النحويون انه فى موضع خفض اذ لا ناصب له وأما ما اعتلوا به من طول الاسم بالصلة وان ذلك هو الذى سوغ لهم اضمار حرف الجر فتعليل مدخول ينتقض عليهم بالاسماء الموصولة كالذى ومن وما فانها قد طالت بالصلة ومع ذلك لا يجوز اضمار حرف الجر فيها الا تقول خرجت ما عندك ولا مررت الذى عندك أى من الذى عندك وتقول خرجت أن يرانى زيد وفررت أن يرانى عمرو أى من ان يرانى ولان يرانى يدل على ان العلة غير ما قالوا وهى ان ان مع الفعل ليس باسم محض وانما هو فى تأويل اسم والاسم المحض ما دل عليه حرف الجر فلا بد اذا من اظهار حرف الجر اذا جئت به لانه اسم قابل لدخول الخوافض عليه وأما ان فحرف محض لا يصح دخول حرف جر عليه ولا على الفعل المتصل به فلا تقول هو اسم مخفوض انما هو فى تأويل اسم مخفوض فمن ههنا فرقت العرب بينه وبين غيره من الاسماء فاذا أدخلت عليه حرف الجر مظهرا جاز لانه فى تأويل اسم واذا أضمرت حرف الجر جاز أيضا التفاتا الى ان الحرف الجار لا يدخل عن الحرف ولا على الفعل فحسن اسقاطه مراعاة للفظ ان وللفظ الفعل وقلنا هو فى موضع خفض على معنى ان الكلام يؤول الى الاسم المخفوض لا انه يظهر فيه خفض أو يقدر تقدير المبنى الذى منعه البناء من ظهور الخفض فيه حتى يشبه ان فنقول هو اسم مبنى على السكون لا بل نقول هى حرف والحرف لا يدخل عليه حرف الجر لا مضمرا ولا مظهرا وانما هو تقدير فى المعنى لا فى اللفظ فافهمه

فصل

﴿ فصل ﴾ واعلم أن التى فى تاويل المصدر لا يضاف اليها اسم تقول هذا موضع ان تقعد ويوم خروجك ولا تقول يوم ان تخرج لانها ليست باسم كما قدمنا وانما تضاف الى الاسماء المحضة لا الى التاويل ولا يضاف اليها أيضاً اسم الفاعل لا بمعنى المضى ولا بمعنى الاستقبال ولا المصدر الا على وجه واحد نحو مخافة ان تقوم وذلك اذا أردت معنى المفعول بان وما بعدها وأما على نحو اضافة المصدر الى الفاعل فلا يجوز ذلك وانما تكون فاعلة مع الفعل اذا ذكرته قبلها نحو يسرنى أن تقوم وأما مع المصدر مضافا اليها فلا وتكون مفعولة مع المصدر ومع الفعل معا وكل هذا الاسرار بديعة موضعها غير هذا لكنى أقول ههنا قولا لائقا بهذا الموضع فانى لم أذكر الخفض باضمار حرف الجر فى ان وان الا مساعدة لمن تقدم فعليه بنيت التعليل والتأصيل واذا أبيت من التقليد فلا اضمار لحروف الجر فيها انما هو النصب بفعل مضمر أو مظهر أما قوله تعالى «أحق ان تقوم فيه» فانما لما قال أحق علم انه يوجب عليه ان يقوم فيه وكذلك أجدر الا يعلموا ومعنى اجدر أخلق وأقرب ولما ثبتت لهم هذه الصفة اقتضى ذلك الا يعلموا فصار منصوبا فى المعنى ولو جئت بالمصدر الذى هو اسم محض نحو القيام والعلم لم يصح اضمار هذا الفعل لانه أجدر وأحق ونحوهما اسمان يضافان الى ما بعدهما فلو جئت بالقيام بعد قولك أحق فقلت أحق قيامك لا نقلب المعنى ولو نصبته باضمار الفعل الذى أضمرت مع ان لم يكن دليل عليه لان الاسم يطلب الاضافة فيمنع من الاضمار والنصب واذا وقعت بعده لم يطلب الاضافة لما قدمناه من امتناع اضافة الاسماء اليها وانما اخترنا هذا المذهب وآثرناه على ما تقدم من اضمار الخافض لانا قد نجدها فى مواضع مجرورة ولا يجوز اضمار حرف الجر كقولك سر الى ان تطلع الشمس ولا يجوز اضمار الى ههنا وكذلك تقول هذا خير من أن تفعل كذا ولا يجوز أيضا اضمار من ولو كان حرف الجر معها للعلتين المتقدمتين لاطرد جواز ذلك فيها على الاطلاق وانما هى أبدا اذا لم يكن معها حرف الجر ظاهرا مفعولة بفعل مضمر وقد تكون فاعلة ولكن بفعل ظاهر نحو يعجبنى ان تقوم واما خرجت ان أرى زيدا فعلى اضمار الارادة والقصد كانك أردت ان أراه أو ان لا أراه لان كل من فعل فعلا فقد أراده أمر اما لكنك ان جعلت مكانها المصدر لم يجز الاضمار أو قبح لان المصدر تعمل فيه الافعال الظاهرة اذا كانت متعدية وتصل اليه بحرف جر اذا لم تكن متعدية وان مع الفعل لا تعمل فيها الحواس ولا أفعال الجوارح الظاهرة تقول رأيت قيام زيد ولا تقول ان يقوم وسمعت كلامك ولا تقول سمعت ان تتكلم وانما يتعلق بها وتعمل فيها الافعال الباطنة نحو خفت واشتهيت وكرهت وما كان فى معنى هذا أو قريبا منه فاذا سمع المخاطب ان مع الفعل لم يذهب وهمه بحكم العادة الا الى هذه المعانى فان كانت ظاهرة فذاك والا اعتقدنا انها مضمرة وان الفعل الظاهر دال عليها وغيرها من الاسماء ليس كذلك اذا وقع قبلها فعل من أفعال الجوارح الظاهرة وقع عليها ان كان متعديا أو وصل بحرف ان كان غير متعد ومنع من الاضمار انه لفظى والاضمار معنوى الا فى باب المفعول من أجله وقد قدمنا فيه سرا بديعا فيما سبق من هذا الكتاب

وقال عبد الله بن الحرث أيضاً

تلك قريش تجحد الله حقه * كما جحدت عاد ومدين والحجر

فان أنا لم أبرق فلا يسعنى * من الارض بر ذو فضاء ولا بحر

﴿ فصل ﴾ وأنشد لعبد الله بن الحرث شعرا فيه * كما جحدت عاد ومدين والحجر * أما عاد فقد تقدم نسبها وأما الحجر فليست بامة ولكنها ديار ثمود أراد أهل الحجر وأما مدين فامة شعيب وهم بنو مديان بن ابراهيم عليه السلام وأمهم قطورا بنت يقطان الكنعانية ولدت له ثمانية من الولد تناسلت منهم أمم وقد سميناهم فى كتاب التعريف والاعلام وفى أول هذا الكتاب * وفيه أيضا قوله * فان أنا لم أبرق فلا يسعنى * البيت قال وبه سمى المبرق ﴿قال المؤلف﴾ وفى هذا حجة على الاصمعى حين منع ان يقال

أرعد وأبرق وذكر له قول الكميت * أرعد وأبرق يايزيد * فلم يره حجة وألحقه بالمحدثين لتأخر زمانه كما فعل بذى الرمة حين احتج عليه بقوله * ذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة * وأبى ان يقول زوجة بهاء التأنيث وقال طال ما أكل ذو الرمة الزيت فى حوانيت البقالين وبيت المبرق فى هذا حجة بلا خلاف وقد وجد أرعد وأبرق فى غير هذا البيت مما تقوم به الحجة أيضا وبيت المبرق هذا يحتمل وجها آخر وهو ان يكون من أبرق فى الارض اذا ذهب بها لامن أرعد وأبرق وكذلك وجدته فى حاشية كتاب الشيخ على هذا البيت منسوبا للمصعب قال الابراق الذهاب وفى العين أبرقت الناقة بذنبها اذا ضربت به يمينا وشمالا وهو فى معنى الذهاب فى الارض لانه جولان فيها وهى البروق قال نهشل بن دارم لاخيه سليط وقد لامه على ترك الكلام فى بعض المواطن لاأحسن تأتامك ولا تكذابك تشول بلسانك شولان البروق * وذكر فى الشعر * يابين مافى النفس اذ بلغ النقر * ويروى يابين مافى الصدر والنقر البحث عن الشئ وأكثر مايقال فيه التنقير واستشهد عبد الله المبرق فى غزوة الطائف وكان أبوه الحرث من المستهزئين وكان جده قيس أعز قريش فى زمانه يروى أن عبد المطلب كان ينقر ابنه عبد الله والد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو طفل فيقول

كانه فى العز قيس بن عدى * فى دار قيس الندى يتندى

قاله الزبير بن أبى بكر

﴿ فصل ﴾ وذكر شعر عثمان بن مظعون * أتيم بن عمرو للذى جاء بغضة * أراه عجبا للذى جاء والعرب تكتفى بهذه اللام فى التعجب كقوله عليه السلام لهذا العبد الحبشى جاء من أرضه وسمائه الى الارض التى خلق منها قاله فى عبد حبشى دفن بالمدينة وقال فى جنازة سعد بن معاذ وهو واقف على قبره وتقهقر ثم قال سبحان الله لهذا العبد الصالح ضم عليه القبر ثم فرج عنه وقيل فى قوله سبحانه «لايلاف قريش» أقوال منها انها متعلقة بمعنى التعجب كانه قال اعجبوا لايلاف قريش وبغضة نصب على التمييز كانه قال ياعجبا لما جاء به من بغضة ويجوز أن يكون مفعولا من أجله وروى الزبير هذا البيت.

* أتيم بن عمرو للذى فارضغنه * وكذلك روى فى هذا الشعر فى صرح بيطاء تقذع بالطاء وفتح الباء وكسرها وقال بيطاء اسم سفينة وتقدع بالدال أى تدفع وزعم أن تيم بن عمرو وهو جمح سمى جمحا لان أخاه سهم بن عمرو وكان اسمه زيدا سابقه الى غاية فجمح عنها تيم فسمى جمحا ووقف عليها زيد فقيل قد سهم زيد فسمى سهما * وقوله ومن دونه الشرمان الشرم البحر وقال الشرمان بالتثنية لانه أراد البحر الملح والبحر العذب وفى التنزيل «مرج البحرين» والشرم من شرمت الشئ اذا خرقته وكذلك البحر من بحرت الارض اذا خرقتها ومنه سميت البحيرة لخرق اذنها والبرك ماطأطأ من الارض واتسع ولم يكن منتصبا كالجبال * وقوله فى صرح بيضاء يريد مدينة الحبشة وأصل الصرح القصر يريد انه ساكن عند صرح النجاشى * وقوله تقذع أى تكره كانه من أقذعت الشئ اذا صادفته قذعا ويقال أيضا أقذعت الرجل اذا رميته بالفحش يريد ان أرض الحبشة مقذوعة وأحسب هذه الرواية تصحيفا والصحيح ماقدمناه من قول الزبير وروايته وانه بيطاء بالطاء وتقدع بالدال * وقوله وأسلمك الاوباش يريد اخلاطا من الناس يقال أوشاب وأوباش والاوباش أيضا شجر متفرق والوبش بياض فى أظفار الاحداث

﴿ فصل ﴾ وذكر فيمن هاجر الى أرض الحبشة من بنى عدى معمر بن عبد الله بن نضلة وقال فيه على بن المدينى انما هو معمر بن عبد الله بن نافع بن نضلة * وقال ابن اسحق نضلة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف

بارضها عبد الاله محمد *
أبين ما فى النفس اذ بلغ النقر
فسمى عبد الله بن الحرث يرحمه الله بيته الذى قال المبرق * وقال عثمان بن مظعون يعاتب أمية بن خلف بن وهب بن حذافة ابن جمح وهو ابن عمه وكان يؤذيه فى اسلامه وكان أمية شريفا فى قومه فى زمانه ذلك
أتيم بن عمرو للذى جاء بغضه *
ومن دونه الشرمان والبرك أكتع
أأخرجتنى من بطن مكة آمنا *
وأسكنتنى فى صرح بيضاء تقذع
تريش نبالا لا يواتيك ريشها *
وتبرى نبالا ريشها لك أجمع
وحاربت أقواما كراما أعزة *
وأهلكت أقواما بهم كنت تفزع
ستعلم ان نابتك يوما ملمة *
وأسلمك الاوباش ما كنت تصنع
وتيم بن عمرو الذى كان يدعى عثمان بن جمح كان اسمه تيما * قال ابن اسحق فلما رأت قريش ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمنوا واطمأنوا بارض الحبشة وأنهم قد أصابوا بها دارا وقرارا ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جليدين الى

ابن

ابن عبيد وفى حاشية كتاب الشيخ قال انما هو نضلة بن عوف بن عبيد بن عويج وذكر أنه قول مصعب فى كتاب النسب * وذكر فى بنى عدى عروة بن عبد العزى بن حرثان كذا فى كتاب المصعب الا انه قال عمرو بن أبى اثاثة أو عروة بن أبى اثاثة على الشك وذكره ابو عمر فى كتاب الاستيعاب فقال فيه عروة بن أبى اثاثة ويقال ابن اثاثة بن عبد العزى بن حرثان قال وأمه أم عمرو بن العاصى فهو أخوه لام ﴿قال المؤلف﴾ وأمهما اسمها ليلى وتلقب بالنابغة وهى من بنى ربيعة ثم من بنى جلان قال أبو عمر ويقال فيه ابن أبى اثاثة ﴿قال المؤلف﴾ وقد قدمنا أن المصعب الزبيرى شك فيه فقال عروة أو عمرو وأما الزبير فقال عمرو بن ابى اثاثة ولم يشك ثم قال أبو عمر لم يذكره ابن اسحق فيمن هاجر الى ارض الحبشة وذكره الواقدى وأبو معشر وموسى بن عقبة ﴿قال المؤلف﴾ وهذا وهم من أبى عمر رحمه الله فان ابن اسحق ذكره فيهم غير أنه نسبه الى جده عبد العزى وأسقط اسم أبيه أبى اثاثة وقال حين ذكر من هاجر من بنى عدى بعد ما عددهم خمسة قال أربعة نفر وهو وهم من ابن اسحق وذكر فيهم مع الخمسة ليلى بنت ابى حثمة امرأة عامر بن ربيعة فهم على هذا ستة غير انه يحتمل ان يريد اربعة نفر دون حليفهم عامر وما أظنه قصد هذا الان من عادته ان يعد الحلفاء مع الصميم لان الدعوة تجمعهم * وذكر أم سلمة وبعلها أبا سلمة توفى عنها بالمدينة وخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر اسمها هذا وقيل فى اسمها رملة وأبوها ابو أمية اسمه حذيفة يعرف بزاد الراكب * وذكر انها ولدت بارض الحبشة زينب بنت أبى سلمة وكان اسم زينب برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب كانت زينب هذه عند عبد الله بن زمعة وكانت قد دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يغتسل وهى اذ ذاك طفلة فنضح فى وجهها من الماء فلم يزل ماء الشباب فى وجهها حتى عجزت وقاربت المائة وكانت من أفقه اهل زمانها وأدركت وقعة الحرة بالمدينة وقتل لها فى ذلك اليوم ولدان اسم احدهما كبير والآخر يزيد من عبد الله بن زمعة فكانت تبكى على احدهما ولا تبكى على الآخر فسئلت عن ذلك فقالت أبكيه لانه جرد سيفه وقاتل والآخر لا أبكيه لانه لزم بيته وكف يده حتى قتل روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بام سلمة دخل عليها بيتها فى ظلمة فوطئ على زينب فبكت فلما كان من الليلة الاخرى دخل فى ظلمة أيضا فقال انظروا زنابكم ان لا أطأ عليها أو قال أخروا ذكره الزبير وفى هذا الحديث توهين لرواية من روى انه كان يرى بالليل كما يرى بالنهار

﴿فصل﴾ وذكر حديث عائشة كنا نتحدث انه لا يزال يرى على قبر النجاشى نور وقد خرجه أبو داود من طريق سلمة بن الفضل وعن ابن اسحق عن يزيد بن رومان عن عائشة وأورده فى باب النور يرى عند الشهيد وليس فى هذا الحديث ولا غيره ما يدل على أن النجاشى مات شهيدا وأحسبه أراد ان يشهد بهذا الحديث ما وقع فى كتب التاريخ من ان عبد الرحمن بن ربيعة أخا سلمان بن ربيعة الذى يقال له ذو النور وكان على باب الابواب فقتله الترك زمان عمر فهو لا يزال يرى على قبره نور ويعضد هذا حديث النجاشى يقول فاذا كان النجاشى وليس بشهيد يرى عنده نور فالشهيد أحرى بذلك لقول الله سبحانه «والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم»

﴿ارسال قريش الى النجاشى فى أمر اصحاب النبى صلى الله عليه وسلم﴾

ذكر ابن اسحق انهم أرسلوا عمرو بن العاصى وعبد الله بن ابى ربيعة بن المغيرة وأهدوا معهما هدايا الى النجاشى وعبد الله بن أبى ربيعة هذا كان اسمه بحيرا فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أسلم عبد الله

النجاشى فيردهم عليهم ليفتنوهم فى دينهم ويخرجوهم من دارهم التى اطمأنوا بها وامنوا فيها فبعثوا عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص بن وائل وجمعوا لهما هدايا للنجاشى ولبطارقته ثم بعثوهما اليه فيهم فقال أبو طالب حين رأى ذلك من رأيهم وما بعثوا بهما فيه أبياتا للنجاشى يحضه على حسن جوارهم والدفع عنهم

ألا ليت شعرى كيف فى النأى جعفر * وعمرو وأعداء العدو الاقارب
فهل نال أفعال النجاشى جعفرا * وأصحابه أو عاق ذلك شاغب
تعلم أبيت اللعن أنك ماجد * كريم فلا يشقى لديك المجانب
تعلم بان الله زادك بسطة * وأسباب خير كلها بك لازب
وانك فيض ذو سجال غزيرة * ينال الاعادى نفعها والاقارب *

قال ابن اسحق قال حدثنى محمد بن مسلم الزهرى عن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام المخزومى عن أم سلمة بنت أبى أمية ابن المغيرة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قال قالت لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشى أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه فلما بلغ ذلك قريشا ائتمروا بينهم ان يبعثوا الى النجاشى فينا رجلين منهم جلدين وأن يهدوا للنجاشى هدايا مما يستطرف من متاع مكة وكان من أعجب ما يأتيه منها الادم فجمعوا له أدما

كثيرا ولم يتركوا من بطارقته بطريقا الا أهدوا له هدية ثم بعثوا بذلك عبد الله بن أبى ربيعة وعمرو بن العاص فامروهما بامرهم وقالوا لهما ادفعا الى كل بطريق هديته قبل أن تكلما النجاشى فيهم ثم قدما الى النجاشى هداياه ثم سلاه أن يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم قالت فخرجا حتى قدما على النجاشى ونحن عنده بخير دار عند خير جار فلم يبق من بطارقته بطريق الا دفعا اليه هديته قبل أن يكلما النجاشى وقالا لكل بطريق منهم انه قد ضوى الى بلد الملك مناغلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينكم وجاؤا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم وقد بعثنا الى الملك فيهم أشراف قومهم ليردهم اليهم فاذا كلمنا الملك فيهم فاشيروا عليه بان يسلمهم الينا ولا يكلمهم فان قومهم أعلى بهم عينا واعلم بما عابوا عليهم فقالوا لهما نعم ثم انهما قدما هداياهما الى النجاشى فقبلها منهما ثم كلماه فقالا له ايها الملك انه قد ضوى الى بلدك مناغلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك وجاؤا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت وقد بعثنا اليك فيهم اشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم فهم أعلى بهم عينا واعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه قالت ولم يكن شىء ابغض الى عبد الله بن ابى ربيعة وعمرو ابن العاص من ان يسمع كلامهم النجاشى قالت فقالت بطارقته حوله صدقا ايها الملك قومهم اعلى بهم عينا واعلم بما عابوا عليهم فاسلمهم اليهما فليرداهم الى بلادهم وقومهم قالت فغضب النجاشى ثم قال لا ها الله اذا لا أسلمهم اليهما ولا يكاد قوم جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على من سواى حتى ادعوهم فاسالهم عما يقول هذان فى امرهم فان كانوا كما يقولان اسلمتهم اليهما ورددتهم الى قومهم وان كانوا على غير ذلك منعتهم منهم واحسنت جوارهم ما جاورونى قالت ثم ارسل الى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم

يرسله

وأبوه ابو ربيعة ذو الرمحين وفيه يقول ابن الزبعرى

بحير ابن ذى الرمحين قرب مجلسى * وراح علينا فضله وهو عاتم

واسم أبى ربيعة عمرو وقيل حذيفة وام عبد الله بن أبى ربيعة أسماء بنت مخربة التميمية وهى ام أبى جهل بن هشام وعبد الله بن أبى ربيعة هذا هو والد عمر بن عبد الله بن ابى ربيعة الشاعر و والد الحارث أمير البصرة المعروف بالقباع وكان فى أيام عمر واليا على الجند و فى ايام عثمان فلما سمع بحصر عثمان جاء لينصره فسقط عن دابته فمات

﴿ فصل ﴾ وكان معهما فى ذلك السفر عمارة بن الوليد بن المغيرة الذى تقدم ذكره حين قالت قريش لابى طالب خذ عمارة بدلا من محمد وادفع الينا محمدا نقتله وكان عمارة من أجمل الناس فذكر أصحاب الاخبار انهم أرسلوه مع عمرو بن العاصى الى النجاشى ولم يذكره ابن اسحق فى رواية ابن هشام وذكر حديثه مع عمرو فى رواية يونس ولكن فى غير هذه القصة المذكورة ههنا ولعل ارسالهم اياه مع عمرو كان فى المرة الاخرى التى سيأتى ذكرها فى السيرة عند حديث اسلام عمرو وممن ذكر قصة عمارة بطولها أبو الفرج الاصبهانى وذكر أن عمرا سافر بامرأته فلما ركبوا البحر وكان عمارة قد هوى امرأة عمرو وهويته فعزما على دفع عمرو أو كان ذلك من عمارة على غير قصد فدفع عمرا فسقط فى البحر فسبح عمرو ونادى أصحاب السفينة فأخذوه ورفعوه الى السفينة فاضطرها عمرو فى نفسه ولم يبدها لعمارة بل قال لامرأته قبلى ابن عمك عمارة لتطيب بذلك نفسه فلما أتيا أرض الحبشة مكر به عمرو وقال انى قد كتبت الى بنى سهم ليبرؤا من دمى لك فاكتب أنت الى بنى مخزوم ليبرؤا من دمك لى حتى تعلم قريش انا قد تصافينا فلما كتب عمارة الى بنى مخزوم وتبرؤا من دمه لبنى سهم قال شيخ من قريش قتل عمارة والله وعلم انه مكر من عمرو ثم أخذ عمرو يحرض عمارة على التعرض لامرأة النجاشى وقال له أنت امرؤ جميل وهن النساء يحببن الجمال من الرجال فلعلها أن تشفع لنا عند الملك فى قضاء حاجتنا ففعل عمارة فلما رأى عمرو ذلك وتكرر عمارة على امرأة الملك ورأى اناتها اليه أتى الملك متنصحا وجاء بامارة عرفها الملك قد كان عمارة أطلع عمرا عليها فادركته غيرة الملك وقال لولا انه جارى لقتلته ولكن سأفعل به ما هو شر من القتل فدعا بالسواحر فامرهن أن يسحرنه فنفخن فى احليله نفخة طار منها هائما على وجهه حتى لحق بالوحوش فى الجبال وكان يرى آدميا فيفر منه وكان ذلك آخر العهد به الى زمن عمر بن الخطاب فجاء ابن عمه عبد الله بن أبى ربيعة الى عمر واستاذنه فى المسير اليه لعله يجده فاذن له عمر فسار عبد الله الى أرض الحبشة فاكثر النشدة عنه والفحص عن أمره حتى أخبر انه بجبل يرد مع الوحوش اذا وردت ويصدر معها اذا صدرت فسار اليه حتى كمن له فى الطريق الى الماء فاذا هو قد غطاه شعره وطالت أظفاره وتمزقت عليه ثيابه حتى كانه شيطان فقبض عليه عبد الله وجعل يذكره بالرحم ويستعطفه وهو ينتفض منه ويقول أرسلنى يا بحير أرسلنى يا بحير وأبى عبد الله أن

لبعض ماتقولون للرجل اذا جئتموه قالوا نقول والله ماعلمنا وما أمرنا به نبيا كائنا فى ذلك ماهو كائن فلما جاؤا وقد دعا النجاشى أساقفته فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال لهم ماهذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ولا دين أحد من هذه الملل قالت فكان الذى كلمه جعفر بن أبى طالب فقال له أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونأتى الفواحش ونقطع الارحام ونسىء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاوثان وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام قالت فعدد عليه أمور الاسلام فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ماجاء به من الله فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيأ وحرمنا ماحرم علينا وأحللنا ما أحل لنا فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الاوثان من عبادة الله تعالى وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا فى جوارك ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك قالت فقال له النجاشى هل معك مما جاء به عن الله من شىء قالت فقال له جعفر نعم فقال له النجاشى فاقرأه على قالت فقرأ عليه صدرا من كهيعص قالت فبكى والله النجاشى حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ماتلا عليهم ثم قال النجاشى ان هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة انطلقا فلا والله لا أسلمهم اليكما ولا يكادون قالت فلما خرجا من عنده قال عمرو بن العاص والله لآتينه غدا عنهم بما استأصل به خضراءهم قالت فقال له عبد الله ابن أبى ربيعة وكان أتقى الرجلين فينا لا تفعل فان لهم أرحاما وان كانوا قد خالفونا قال والله لاخبرنه انهم يزعمون ان عيسى بن مريم عبد قالت ثم غدا عليه الغد فقال أيها الملك انهم يقولون فى عيسى بن مريم قولا عظيما فارسل اليهم فسلهم عما يقولون فيه قالت فارسل اليهم ليسألهم عنه قالت ولم ينزل بنا مثلها قط فاجتمع القوم ثم قال بعضهم لبعض ماذا تقولون فى عيسى بن مريم اذا سألكم عنه قالوا نقول والله ما قال الله وما جاءنا به نبينا كائنا فى ذلك ماهو كائن قالت فلما دخلوا عليه قال لهم ماذا تقولون فى عيسى بن مريم قالت فقال جعفر بن أبى طالب نقول فيه الذى جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم العذراء البتول قالت فضرب النجاشى يده الى الارض فاخذ منها عودا ثم قال والله ماعدا عيسى بن مريم مما قلت هذا العود قالت فتناخرت بطارقته حوله حين قال ماقال فقال وان نخرتم والله اذهبوا فانتم شيوم بارضى والشيوم الآمنون من سبكم غرم ثم قال من سبكم غرم ما أحب ان لى دبرا من ذهب «قال ابن هشام» ويقال دبرا من ذهب ويقال فانتم سيوم وانى آذيت رجلا منكم والدبر بلسان الحبشة الجبل ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس فى فأطيعهم فيه قالت فخرجا من عنده مقبوحين مردودا عليهما ما جاآ به وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار قالت فوالله انا لعلى ذلك اذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه فى ملكه قالت فوالله ما علمتنا حزنا حزنا قط كان أشد من حزن حزناه

يرسله حتى مات بين يديه وهو خبر مشهور اختصره بعض من ألف فى السير وطوله أبو الفرج وأوردته على معنى كلامه متحريا لبعض ألفاظه

﴿فصل﴾ وذكر حديث أصحاب الهجرة مع النجاشى وما قال له جعفر الى آخر القصة وليس فيها اشكال وفيه من الفقه الخروج عن الوطن وان كان الوطن مكة على فضلها اذا كان الخروج فرارا بالدين وان لم يكن الى اسلام فان الحبشة كانوا نصارى يعبدون المسيح ولا يقولون هو عبد الله وقد تبين ذلك فى هذا الحديث وسموا بهذه مهاجرين وهم أصحاب الهجرتين الذين أثنى الله عليهم بالسبق فقال «والسابقون الاولون» وجاء فى التفسير انهم الذين صلوا القبلتين وهاجروا الهجرتين وقد قيل أيضا هم الذين شهدوا بيعة الرضوان فانظر كيف أثنى الله عليهم بهذه الهجرة وهم قد خرجوا من بيت الله الحرام الى دار كفر لما كان فعلهم ذلك احتياطا على دينهم ورجاء أن يخلى بينهم وبين عبادة ربهم بذكرونه آمنين مطمئنين وهذا حكم مستمر متى غلب المنكر فى بلد وأوذى على الحق مؤمن ورأى الباطل قاهرا للحق ورجى أن يكون فى بلد آخر أى بلد كان يخلى بينه وبين دينه ويظهر فيه عبادة ربه فان الخروج على هذا الوجه حتم على المؤمن وهذه الهجرة التى لا تنقطع الى يوم القيامة «ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله»

﴿فصل﴾ وليس فى باقى حديثهم شىء يشرح قد شرح ابن هشام الشيوم وهم الآمنون فيحتمل أن تكون لفظة حبشية غير مشتقة ويحتمل أن يكون لها أصل فى العربية وأن تكون من شمت السيف اذا أغمدته لان الآمن مغمد عنه السيف أو لانه مصون فى صون وحرز كالسيف فى غمده * وقوله ضوى اليك فتية

عند ذلك تخوفا أن يظهر ذلك الرجل على النجاشي فيأتي رجل لا يعرف من حقنا ما كان النجاشي يعرف منه قالت وسار اليه النجاشي و بينهما عرض النيل قالت فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم من رجل يخرج حتى يحضر وقيعة القوم ثم يأتينا بالخبر قالت فقال الزبير بن العوام انا فقالوا فانت وكان من أحدث القوم سنا قالت فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج الى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ثم انطلق حتى حضرهم قالت فدعونا الله تعالى للنجاشي بالظهور على عدوه والتمكين له في بلاده قالت فوالله انا لعلى ذلك متوقعون لما هو كائن اذ طلع الزبير وهو يسعى فلمع بثوبه وهو يقول الا أبشروا فقد ظفر النجاشي وأهلك الله عدوه ومكن له في بلاده قالت فوالله ما علمتنا فرحنا فرحة قط مثلها قالت و رجع النجاشي وقد أهلك الله عدوه ومكن له في بلاده واستوثق عليه أمر الحبشة فكنا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة * قال ابن اسحق قال الزهري فحدثت عروة بن الزبير حديث أبي بكر بن عبد الرحمن عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل تدري ما قوله ما أخذ الله مني الرشوة حين رد علي ملكي فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس في فأطيع الناس فيه قال قلت لا قال فان عائشة أم المؤمنين حدثتني ان أباه كان ملك قومه ولم يكن له ولد الا النجاشي وكان للنجاشي عم له من صلبه اثنا عشر رجلا وكانوا أهل بيت مملكة الحبشة فقالت الحبشة بينها لو أنا قتلنا أبا النجاشي وملكنا أخاه فانه لا ولد له غير هذا الغلام وان لأخيه من صلبه اثني عشر رجلا فتوارثوا ملكه من بعده بقيت الحبشة بعده دهرا فعدوا على أبي النجاشي فقتلوه وملكوا أخاه فمكثوا على ذلك حينا ونشأ النجاشي مع عمه وكان لبيبا حازما من الرجال فغلب على أمر عمه ونزل منه بكل منزلة فلما رأت الحبشة مكانه قالت بينها والله لقد غلب هذا الفتى على أمر عمه وانا لنتخوف أن يملكه علينا وان ملكه علينا ليقتلنا أجمعين لقد عرف انا نحن قتلنا أباه فمشوا الى عمه فقالوا اما أن تقتل هذا الفتى واما أن تخرجه من بين أظهرنا فانا قد خفناه على أنفسنا قال و يلكم قتلت أباه بالامس وأقتله اليوم بل أخرجه من بلادكم قالت فخرجوا به الى السوق فباعوه من رجل من التجار بستمائة درهم فقذفه في سفينة فانطلق به حتى اذا كان العشي من ذلك اليوم هاجت سحابة من

أي أووا اليك ولا ذوابك وأما ضوى بكسر الواو فهو من الضوى مقصور وهو الهزال وقال الشاعر

فتى لم تلده بنت عم قريبة * فيضوى وقد يضوى رديد الغرائب

ومنه الحديث اغتربوا لا تضووا يقول أن تزويج القرائب يورث الضوى في الولد والضعف في القلب قال الراجز

ان بلالا لم تشنه أمه * لم يتناسب خاله وعمه

وفيه قومهم أعلى بهم عينا أي أبصر بهم أي عينهم وأبصارهم فوق عين غيرهم في أمرهم فالعين هاهنا بمعنى الرؤية والابصار لا بمعنى العين التي هي الجارحة وما سميت الجارحة عينا الا مجازا لانها موضع العيان وقد قالوا عانه يعينه عينا اذا رآه وان كان الاشهر في هذا أن يقال عاينه معاينة والاشهر في عنت أن يكون بمعنى الاصابة بالعين وانما أوردنا هذا الكلام لتعلم أن العين في أصل وضع اللغة صفة لا جارحة وانها اذا أضيفت الى البارى سبحانه فانها حقيقة نحو قول أم سلمة لعائشة بعين الله مهواك وعلى رسول الله تردين وفي التنزيل « ولتصنع على عيني » وقد أملينا في المسائل المفردات مسئلة في هذا المعنى وفيها الرد على من أجاز التثنية في العين مع اضافتها الى الله تعالى وقاسها على اليدين وفيها الرد على من احتج بقول النبي عليه السلام ان ربكم ليس باعور وأوردنا في ذلك ما فيه شفاء وأتبعناه بمعان بديعة في معنى عور الرجال فلينظر هنالك * وقول جعفر في عيسى هو روح الله وكلمته ومعنى وكلمته اي قال له كما قال لآدم حين خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ولم يقل فكان لتلا يتوهم وقوع الفعل بعد القول بيسير وانما هو واقع للحال فقوله فيكون مشعر بوقوع الفعل في حال القول وتوجه الفعل بيسير على القول لا يمكن مستقدم ولا مستأخر فهذا معنى الكلمة واما روح الله فلانه نفخه روح القدس في جيب الطاهرة المقدسة والقدس الطهارة من كل ما يشين أو يعيب او تقذره نفس او يكرهه شرع وجبريل روح القدس لانه روح لم يخلق من مني ولا صدر عن شهوة فهو مضاف الى الله سبحانه اضافة تشريف وتكريم لانه صادر عن الحضرة المقدسة وعيسى عليه السلام صادر عنه فهو روح الله على هذا المعنى اذ النفخ قد يسمى روحا ايضا كما قال غيلان يصف النار

فقلت له ارفعها اليك وأحيها * بروحك واقدرها لها قيتة قدرا

وأضف هذا الكلام في روح القدس وفي تسمية النفخ روحا الى ما ذكرناه قبل في حقيقة الروح وشرح معناه فانه تكملة له

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث عائشة عن النجاشي حين رد الله عليه ملكه وأن قومه كانوا باعوه فلما مرج أمر الحبشة

سحاب الخريف فخرج عمه يستقطر تحتها فاصابته صاعقة فقتلته قالت ففزعت الحبشة الى ولده فاذا هو محمق ليس فى ولده خير فمرج على الحبشة أمرهم فلما ضاق عليهم ماهم فيه من ذلك قال بعضهم لبعض تعلموا والله ان ملككم الذى لا يقيم أمركم غيره للذى بعتم غدوة فان كان لكم بأمر الحبشة حاجة فأدركوه قالت فخرجوا فى طلبه وطلب الرجل الذى باعوه منه حتى أدركوه فأخذوه منه ثم جاؤا به فعقدوا عليه التاج وأقعدوه على سرير الملك فملكوه فجاءهم التاجر الذى كانوا باعوه منه فقال اما أن تعطونى مالى واما أن أكلمه فى ذلك قالوا لا نعطيك شيأ قال اذا والله أكلمه قالوا فدونك واياه قالت فجاءه فجلس بين يديه فقال أيها الملك ابتعت غلاما من قوم بالسوق بستمائة درهم فسلموا الى غلامى وأخذوا دراهمى حتى اذا سرت بغلامى أدركونى فأخذوا غلامى ومنعونى دراهمى قالت فقال لهم النجاشى لتعطنه دراهمه أو ليضعن غلامه يده فى يده فليذهبن به حيث شاء قالوا بل نعطيه دراهمه قالت فلذلك يقول ما أخذ الله منى رشوة حين رد على ملكى فآخذ الرشوة فيه وما أطاع الناس فى فأطيع الناس فيه قالت وكان ذلك أول ما خبر من صلابته فى دينه وعدله فى حكمه * قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت لما مات النجاشى كان يتحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور * قال ابن اسحق وحدثنى جعفر بن محمد عن أبيه قال اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشى انك قد فارقت ديننا وخرجوا عليه قال فارسل الى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفنا وقال اركبوا فيها وكونوا كما أنتم فان هزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم وان ظفرت فاثبتوا ثم عمد الى كتاب فكتب فيه هو يشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويشهد أن عيسى بن مريم عبده ورسوله وروحه وكلمته ألقاها الى مريم ثم جعله فى قبائه عند المنكب الايمن وخرج الى الحبشة وصفوا له فقال يامعشر الحبشة ألست أحق الناس بكم قالوا بلى قال فكيف رأيتم سيرتى فيكم قالوا خير سيرة قال فما لكم قالوا فارقت ديننا وزعمت ان عيسى عبد قال فما تقولون أنتم فى عيسى قالوا نقول هو ابن الله فقال النجاشى ووضع يده على صدره على قبائه هو يشهد ان عيسى بن مريم لم يزد على هذا شيأ وانما يعنى ما كتب فرضوا وانصرفوا فبلغ ذلك النبى صلى الله عليه وسلم فلما مات النجاشى صلى عليه واستغفر له * قال ابن اسحق ولما قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة على قريش ولم يدركوا ما طلبوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وردهم النجاشى بما يكرهون وأسلم عمر بن الخطاب وكان رجلا ذا شكيمة لا يرام من وراء ظهره امتنع به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبحمزة حتى عازوا قريشا وكان عبد الله بن مسعود يقول ما كنا نقدر على أن نصلى عند الكعبة حتى أسلم عمر فلما اسلم عمر قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه وكان اسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحبشة * حدثنا ابن هشام قال حدثنى مسعر بن كدام عن سعد بن ابراهيم قال قال عبد الله بن مسعود ان اسلام عمر كان فتحا وان هجرته كانت نصرا وان امارته كانت رحمة ولقد كنا ما نصلى عند الكعبة حتى اسلم عمر فلما اسلم قاتل قريشا حتى صلى عند الكعبة وصلينا معه * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الرحمن بن الحرث بن عبد الله بن عياش بن ابى ربيعة عن عبد العزيز بن عبد الله بن عامر بن ربيعة عن امه ام عبد الله بنت ابى حثمة قالت والله انا لنترحل الى ارض الحبشة وقد ذهب عامر فى بعض حاجاتنا اذ أقبل عمر بن الخطاب حتى وقف على وهو على شركه قالت وكنا نلقى منه

الحبشة أخذوه من سيده واستردوه وظاهر الحديث يدل على انهم أخذوه منه قبل أن يأتى به بلاده لقوله خرجوا فى طلبه فأدركوه وقد بين فى حديث آخر أن سيده كان من العرب وانه استعبده طويلا وهو الذى يقتضيه قوله فلما مرج على الحبشة أمرهم وضاق عليهم ماهم فيه وهذا يدل على طول المدة فى مغيبه عنهم وقد روى أن وقعة بدر حين انتهى خبرها الى النجاشى علم بها قبل من عنده من المسلمين فأرسل اليهم فلما دخلوا عليه اذا هو قد لبس مسحا وقعد على التراب والرماد فقالوا له ما هذا أيها الملك فقال انا نجد فى الانجيل أن الله سبحانه اذا أحدث بعبده نعمة وجب على العبد أن يحدث لله تواضعا وان الله قد أحدث الينا واليكم نعمة عظيمة وهى ان النبى محمدا صلى الله عليه وسلم بلغنى انه التقى هو وأعداؤه بواد يقال له بدر كثير الاراك كنت أرعى فيه الغنم على سيدى وهو من بنى ضمرة وان الله قد هزم أعداءه فيه ونصر دينه فدل هذا الخبر على طول مكثه فى بلاد العرب فمن هنا والله أعلم تعلم من لسان العرب ما فهم به سورة مريم حين تليت عليه حتى بكى وأخضل لحيته وروى عنه أنه قال انا نجد فى الانجيل ان اللعنة تقع فى الارض اذا كانت امارة الصبيان

﴿ فصل ﴾ ومما فى حديث الهجرة الى الحبشة من الفقه أن جعفر بن أبى طالب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف نصلى فى السفينة اذا ركبنا فى البحر فقال صلى الله عليه وسلم صل قائما الا أن تخاف الغرق خرجه الدارقطنى ولكن فى اسناده مقال وفى مسند ابن أبى شيبة وصلى أنس فى السفينة جالسا وذكر البخارى عن الحسن يصلى قائما الا ان يضر بأهلها

﴿ فصل ﴾ وذكر الكتاب الذى كتبه النجاشى وجعله بين صدره وقبائه وقال للقوم أشهد ان عيسى لم

البلاء أذى لنا وشدة علينا قالت فقال انه الانطلاق يا أم عبد الله قالت فقلت نعم والله لنخرجن في ارض الله آذيتمونا وقهرتمونا حتى يجعل الله لنا مخرجا قالت فقال صحبكم الله ورأيت له رقة لم اكن اراها ثم انصرف وقد أحزنه فيما أرى خروجنا قالت فجاء عامر بحاجته تلك فقلت له يا أبا عبد الله لو رأيت عمر آنفا ورقته وحزنه علينا قال أطمعت في اسلامه قالت قلت نعم قال فلا يسلم الذي رأيت حتى يسلم حمار الخطاب قالت يأسا منه لما كان يرى من غلظته وقسوته عن الاسلام ﴿ ذكر اسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ﴾ * قال ابن اسحق وكان اسلام عمر فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب وكانت عند سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وكانت قد أسلمت وأسلم بعلها سعيد بن زيد وهما مستخفيان باسلامهما من عمر وكان نعيم بن عبد الله النحام من مكة رجل من قومه من بني عدي بن كعب قد أسلم وكان أيضا يستخفي باسلامه فرقا من قومه وكان خباب بن الارت يختلف الى فاطمة بنت الخطاب يقرئها القرآن فخرج عمر يوما متوشحا بسيفه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذكروا له انهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا وهم قريب من أربعين من بين رجال ونساء ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه حمزة بن عبد المطلب وأبو بكر بن أبي قحافة الصديق وعلي ابن أبي طالب في رجال من المسلمين رضي الله عنهم ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ولم يخرج فيمن خرج الى أرض الحبشة فلقيه نعيم بن عبد الله فقال له أين تريد يا عمر فقال أريد محمدا هذا الصابئ الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله فقال له نعيم والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الارض بني وقد قتلت محمدا أفلا ترجع الى أهل بيتك فتقيم أمرهم قال وأي أهل بيتي قال ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب فقد والله أسلما وتابعا محمدا على دينه فعليك بهما قال فرجع عمر عامدا الى أخته وختنه وعندهما خباب بن الارت معه صحيفة فيها طه يقرئهما اياها فلما سمعوا حس عمر تغيب خباب في مخدع لهم أو في بعض البيت وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها وقد سمع عمر حين دنا الى البيت قراءة خباب عليهما فلما دخل قال ما هذه الهينمة التي سمعت قالا له ما سمعت شيا قال بلى والله لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدا على دينه وبطش بختنه سعيد بن زيد فقامت اليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها فضربها فشجها فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع فارعوى وقال

يزد على هذا وفيه من الفقه انه لا ينبغي للمؤمن أن يكذب كذبا صراحا ولا أن يعطي بلسانه الكفر وان أكره ما أمكنه الحيلة وفي المعاريض مندوحة عن الكذب وكذلك قال أهل العلم في قول النبي عليه السلام ليس بالكاذب من أصلح بين اثنين فقال خيرا رويته أم كلثوم بنت عقبة قالوا معناه أن يعرض ولا يفصح بالكذب مثل أن يقول سمعته يستغفر لك ويدعو لك وهو يعني انه سمعه يستغفر للمسلمين ويدعو لهم لان الآخر من جملة المسلمين ويحتال في التعريض ما استطاع ولا يختلق الكذب اختلاقا وكذلك في خدعة الحرب يوري ويكني ولا يختلق الكذب يستحله بما جاء من اباحة الكذب في خدع الحرب هذا كله ما وجد الى الكناية سبيلا * وذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى على النجاشي واستغفر له وكان موت النجاشي في رجب من سنة تسع ونعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الناس في اليوم الذي مات فيه وصلى عليه بالبقيع رفع اليه سريره بأرض الحبشة حتى رآه وهو بالمدينة فصلى عليه وتكلم المنافقون فقالوا أيصلي على هذا العلج فأنزل الله تعالى « وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم » ومن رواية يونس عن ابن اسحق ان أبا نيزر مولى علي بن أبي طالب كان ابنا للنجاشي نفسه وان عليا وجده عند تاجر بمكة فاشتراه منه وأعتقه مكافأة لما صنع أبوه مع المسلمين * وذكر أن الحبشة مرج عليها أمرها بعد النجاشي وانهم أرسلوا وفدا منهم الى أبي نيزر وهو مع علي ليملكوه ويتوجوه ولم يختلفوا عليه فأبى وقال ما كنت لأطلب الملك بعد أن من الله علي بالاسلام قال وكان ابو نيزر من أطول الناس قامة وأحسنهم وجها قال ولم يكن لونه كألوان الحبشة ولكن اذا رأيته قلت هذا رجل من العرب

﴿ فصل ﴾ في حديث اسلام عمر ذكره الى آخره وليس فيه اشكال وكان اسلام عمر والمسلمون اذ ذاك بضعة وأربعون رجلا واحدى عشرة امرأة وفيه ان خبابا وهو ابن الارت كان يقرئ فاطمة بنت الخطاب القرآن وخباب تميمي بالنسب وهو خزاعي بالولاء لام أنمار بنت سباع الخزاعي وكان قد وقع عليه سباء فاشترته وأعتقته فولاؤه لها وكان ابوها حليفا لعوف بن عبد عوف بن عبد بن الحرث بن زهرة فهو زهري بالحلف وهو ابن الارت بن جندلة بن سعد بن خزيمة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم كان قينا يعمل السيوف في الجاهلية وقد قيل ان امه كانت ام سباع الخزاعية ولم يلحقه سباء ولكنه انتمى الى حلفاء امه

لاخته اعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرؤن آنفا أنظر ماهذا الذي جاء به محمد وكان عمر كاتبا فلما قال ذلك قالت له أخته انا نخشاك عليها قال لا تخافي وحلف لها بآلهته ليردنها اذا قرأها اليها فلما قال ذلك طمعت في اسلامه فقالت له يا أخي انك نجس على شركك وانه لا يمسها الا الطاهر فقام عمر فاغتسل فأعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها فلما قرأ منها صدرا قال ما أحسن هذا الكلام وأكرمه فلما سمع ذلك خباب خرج اليه فقال له يا عمر والله اني لارجو ان يكون الله قد خصك بدعوة نبيه فاني سمعته أمس وهو يقول اللهم أيد الاسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب فالله الله يا عمر فقال له عند ذلك عمر فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم فقال له خباب هو في بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه فأخذ عمر سيفه فتوشحه ثم عمد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فضرب عليهم الباب فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خلل الباب فرآه متوشحا السيف فرجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع فقال يا رسول الله هذا عمر بن الخطاب متوشحا السيف فقال حمزة ابن عبد المطلب فأذن له فان كان جاء يريد خيرا بذلناه له وان كان يريد شرا قتلناه بسيفه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ائذن له فأذن له الرجل ونهض اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه بالحجرة فاخذ بحجزته أو بمجمع ردائه ثم جبذه جبذة شديدة وقال ماجاء بك يا ابن الخطاب فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة فقال عمر يا رسول الله جئتك لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله قال فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله

بني زهرة يكنى أبا عبد الله وقيل أبا يحيى وقيل أبا محمد مات بالكوفة سنة تسع وثلاثين بعد ما شهد مع علي صفين والنهروان وقيل بل مات سنة سبع وثلاثين ذكر ان عمر بن الخطاب سأله عما لقي في ذات الله فكشف ظهره فقال عمر ما رأيت كاليوم فقال يا امير المؤمنين لقد أوقدت لي نار فما أطفأها الا شحمي

﴿ فصل ﴾ وفيه ذكر تطهير عمر لمس القرآن وقول اخته لا يمسه الا المطهرون والمطهرون في هذه الآية هم الملائكة وهو قول مالك في الموطا واحتج بالآية الاخرى التي في سورة عبس ولكنهم وان كانوا الملائكة ففي وصفهم بالطهارة مقرونا بذكر المس مايقتضي ألا يمسه الا طاهر اقتداء بالملائكة المطهرين فقد تعلق الحكم بصفة التطهير ولكنه حكم مندوب اليه وليس محمولا على الفرض وكذلك ما كتب به رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمرو بن حزم وألا يمس القرآن الا طاهر ليس على الفرض وان كان الفرض فيه أبين منه في الآية لانه جاء بلفظ النهي عن مسه على غير طهارة ولكن في كتابه الى هرقل بهذه الآية «ياأهل الكتاب تعالوا الى كلمة» دليل على ماقلناه وقد ذهب داود وأبو ثور وطائفة ممن سلف منهم الحكم بن عتيبة وحماد بن ابي سليمان الى اباحة مس المصحف على غير طهارة واحتجوا بما ذكرنا من كتابه الى هرقل وقالوا حديث عمرو بن حزم مرسل فلم يروه حجة والدارقطني قد أسنده من طرق حسان اقواها رواية ابي داود الطيالسي عن الزهري عن ابي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن جده ومما يقوي ان المطهرين في الآية هم الملائكة انه لم يقل المتطهرون وانما قال المطهرون وفرق ما بين المتطهر والمطهر ان المتطهر من فعل الطهور وأدخل نفسه فيه كالمتفقه من يدخل نفسه في الفقه وكذلك المتفعل في أكثر الكلام وأنشد سيبويه ❊ وقيس عيلان ومن تقيسا ❊ فالآدميون متطهرون اذا تطهروا والملائكة مطهرون خلقة والآدميات اذا تطهرن متطهرات وفي التنزيل «فاذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله» والحور العين مطهرات وفي التنزيل «لهم فيها أزواج مطهرة» وهذا فرق بين وقوة لتأويل مالك رحمه الله والقول عندي في الرسول عليه السلام انه متطهر ومطهر أما متطهر فلانه بشر آدمي يغتسل من الجنابة ويتوضأ من الحدث وأما مطهر فلانه قد غسل باطنه وشق عن قلبه وملئ حكمة وايمانا فهو مطهر ومتطهر واضممه هذا الفصل الى ماتقدم في ذكر مولده من هذا المعنى فانه تكملة والحمد لله وفي تطهر عمر قبل أن يظهر الاسلام قوة لقول ابن القاسم ان الكافر اذا تطهر قبل أن يظهر اسلامه ويشهد الشهادتين انه يجزئه وقد عاب قول ابن القاسم هذا كثير من الفقهاء وكذلك في خبر اسلام سعد بن معاذ على يدي مصعب بن عمير وقد سأله كيف يصنع من يريد الدخول في هذا الدين فقال يتطهر ثم يشهد بشهادة الحق ففعل ذلك هو وأسيد بن حضير وحديث اسلام عمر وان كان من أحاديث السير فقد خرجه الدارقطني في سننه غير انه خرج أيضا من طريق أنس ان أخت عمر قالت له انك رجس ولا يمسه الا المطهرون فقم فاغتسل أو توضأ فقام فتوضأ ثم أخذ الصحيفة وفيها سورة طه ففي هذه الرواية انه كان وضوءا ولم يكن اغتسالا وفي رواية يونس ان عمر حين قرأ في الصحيفة سورة طه انتهى منها الى قوله «لتجزى كل نفس بما تسعى» فقال ما أطيب هذا الكلام وأحسنه وذكر هذا الحديث بطوله وفيه ان الصحيفة كان فيها مع سورة طه «اذا

عليه وسلم ان عمر قد أسلم فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم وقد عزوا فى أنفسهم حين أسلم عمر مع اسلام حمزة وعرفوا انهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم وينتصفون بهما من عدوهم فهذا حديث الرواة من أهل المدينة عن اسلام عمر بن الخطاب حين أسلم * قال ابن اسحق حدثنى عبد الله بن أبى نجيح المكى عن أصحابه عطاء ومجاهد أو عمن روى ذلك ان اسلام عمر فيما تحدثوا به عنه انه كان يقول كنت للاسلام مباعدا وكنت صاحب خمر فى الجاهلية أحبها وأشربها وكان لنا مجلس يجتمع فيه رجال من قريش بالحزورة عند دور آل عمر بن عبد بن عمران المخزومى قال فخرجت ليلة أريد جلسائى أولئك فى مجلسهم ذلك قال فجئتهم فلم أجد فيه منهم أحدا قال فقلت لو انى جئت فلانا الخمار وكان بمكة يبيع الخمر لعلى أجد عنده خمرا فاشرب منها قال فخرجت فجئته فلم أجده قال فقلت لو أنى جئت الكعبة فطفت بها سبعا أو سبعين قال فجئت المسجد أريد أن أطوف بالكعبة فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى وكان اذا صلى استقبل الشام وجعل الكعبة بينه وبين الشام وكان مصلاه بين الركنين الركن الاسود والركن اليمانى قال فقلت حين رأيته والله لو أنى استمعت من محمد الليلة حتى أسمع ما يقول فقلت لئن دنوت منه أسمع منه لأروعنه فجئت من قبل الحجر فدخلت تحت ثيابها فجعلت أمشى رويدا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى يقرأ القرآن حتى قمت فى قبلته مستقبله ما بينى وبينه الا ثياب الكعبة قال فلما سمعت القرآن رق له قلبى فبكيت ودخلنى الاسلام فلم أزل قائما فى مكانى ذلك حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاته ثم انصرف وكان اذا انصرف خرج على دار ابن أبى حسين وكانت طريقه حتى يجزع المسعى ثم يسلك بين دار عباس بن عبد المطلب وبين دار ابن أزهر بن عبد عوف الزهرى ثم على دار الاخنس بن شريق حتى يدخل بيته وكان مسكنه صلى الله عليه وسلم فى الدار الرقطاء التى كانت بيد معاوية بن أبى سفيان قال عمر رضى

الشمس كورت» وان عمر انتهى فى قراءتها الى قوله «علمت نفس ما أحضرت»

﴿فصل﴾ وذكر ابن سنجر زيادة فى اسلام عمر قال حدثنا أبو المغيرة قال نا صفوان بن عمرو قال حدثنى شريح بن عبيد قال قال عمر بن الخطاب خرجت أتعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن أسلم فوجدته قد سبقنى الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة فجعلت أتعجب من تأليف القرآن قال قلت هذا والله شاعر كما قالت قريش فقرأ «انه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون» قال قلت كاهن علم ما فى نفسى فقال «ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون» الى آخر السورة قال فوقع الاسلام فى قلبى كل موقع وقال عمر حين أسلم

الحمد لله ذى المن الذى وجبت * له علينا أياد مالها غير
وقد بدانا فكذبنا فقال لنا * صدق الحديث نبى عنده الخبر
وقد ظلمت ابنة الخطاب ثم هدى * ربى عشية قالوا قد صبا عمر
وقد ندمت على ما كان من زلل * بظلمها حين تتلى عندها السور
لما دعت ربها ذا العرش جاهدة * والدمع من عينها عجلان يبتدر
أيقنت ان الذى تدعوه خالقها * فكاد تسبقنى من عبرة درر
فقلت أشهد أن الله خالقنا * وان أحمد فينا اليوم مشتهر
نبى صدق أتى بالحق من ثقة * وافى الامانة ما فى عوده خور

رواه يونس عن ابن اسحق * وذكر البزار فى اسلام عمر انه قال فلما أخذت الصحيفة فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم فجعلت أفكر فى اى شىء اشتق ثم قرأت فيها «سبح لله ما فى السموات والارض» وجعلت أقرأ وأفكر حتى بلغت «فآمنوا بالله ورسوله» فقلت أشهد أن لا اله الا الله وان محمدا رسول الله

﴿فصل﴾ وفى حديث اسلام عمر قال ماهذه الهينمة والهينمة كلام لا يفهم واسم الفاعل منه مهينم كأنه تصغير وليس بتصغير ومثله المبيطر والمهيمن والمبيقر بالقاف وهو المهاجر من بلد الى بلد والمسيطر ولو صغرت واحدا من هذه الاسماء لحذفت الياء الزائدة كما تحذف الالف من مفاعل وتلحق ياء التصغير فى موضعها فيعود اللفظ الى ما كان فيقال فى تصغير مهينم ومبيطر مهينم ومبيطر ﴿فان قيل﴾ فهلا قلتم انه لا يصغر اذ لا يعقل تصغير على لفظ التكبير والا فما الفرق ﴿فالجواب﴾ انه قد يظهر الفرق بينهما فى مواضع منها الجمع فانك تجمع مبيطرا اماطر بحذف الياء واذا كان مصغرا لا يجمع الا بالواو والنون فتقول مبيطرون وذلك ان التصغير لا يكسر لان تكسيره يؤدى الى حذف الياء فى الخماسى لانها زائدة كالالف فيذهب معنى التصغير وأما الثلاثى المصغر فيؤدى تكسيره الى تحريك ياء التصغير أو همزها وذلك أن يقال فى فليس فلائس فيذهب أيضا معنى التصغير لتصغير لفظ الياء التى هى دالة عليه ولو بنيت اسم فاعل من يأس لقلت

فيه

الله عنه فتبعته حتى اذا دخل بين دار عباس ودار ابن أزهر أدركته فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حسى عرفنى فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم انى انما اتبعته لاوذيه فنهمنى ثم قال ما جاء بك يا ابن الخطاب هذه الساعة قال قلت جئت لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله قال فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال قد هداك الله يا عمر ثم مسح صدرى ودعالى بالثبات ثم انصرفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته * قال ابن اسحق والله أعلم اى ذلك كان * قال ابن اسحق وحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر عن ابن عمر قال لما أسلم أبى عمر قال اى قريش انقل للحديث قال قيل له جميل بن معمر الجمحى قال فغدا عليه قال عبد الله بن عمر وغدوت اتبع اثره وانظر ما يفعل وانا غلام اعقل كل ما رايت حتى جاءه فقال له أعلمت يا جميل انى قد اسلمت ودخلت فى دين محمد قال فوالله ما راجعه حتى قام يجر رداءه واتبعه عمر واتبعت ابى حتى اذا قام على باب المسجد صرخ باعلى صوته يا معشر قريش وهم فى انديتهم حول باب الكعبة الا ان عمر بن الخطاب قد صبا قال يقول عمر من خلفه كذب ولكنى قد اسلمت وشهدت ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله وثاروا اليه فما برح يقاتلهم ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤسهم قال وطلح فقعد وقاموا على رأسه وهو يقول افعلوا ما بدا لكم فاحلف بالله ان لو قد كنا ثلاثمائة رجل لتركناها لكم اولتركتموها لنا قال فبينما هم على ذلك اذ أقبل شيخ من قريش عليه حلة حبرة وقميص موشى حتى وقف عليهم فقال ما شأنكم قالوا صبا عمر فقال فمه رجل اختار لنفسه امرا فما ذا تريدون أترون بنى عدى بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا خلوا عن الرجل قال فوالله لكانما كانوا ثوبا كشط عنه قال فقلت لابى بعد ان هاجر الى المدينة يا ابت من الرجل الذى زجر القوم عنك بمكة يوم اسلمت وهم يقاتلونك فقال ذلك اى بنى العاص بن وائل السهمى «قال ابن هشام» حدثنى بعض اهل العلم انه قال يا ابت من الرجل الذى زجر القوم عنك يوم اسلمت وهم يقاتلونك جزاه الله خيرا قال يا بنى ذاك العاص بن وائل لا جزاه الله خيرا * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الرحمن بن الحرث عن بعض آل عمر او بعض اهله قال قال عمر لما اسلمت تلك الليلة تذكرت اى اهل مكة اشد لرسول الله صلى الله عليه وسلم عداوة حتى آتيه فاخبره أنى قد أسلمت قال قلت ابو جهل وكان عمر لحنتمة بنت هشام بن المغيرة قال فاقبلت حين اصبحت حتى ضربت عليه بابه قال فخرج الى أبو جهل فقال مرحبا وأهلا بابن أختى ما جاء بك قال قلت جئت لاخبرك انى قد آمنت بالله وبرسوله محمد وصدقت بما جاء به قال فضرب الباب فى وجهى وقال قبحك الله وقبح ما جئت به

﴿خبر الصحيفة﴾

* قال ابن اسحق فلما رأت قريش ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلدا أصابوا به أمنا وقرارا وان النجاشى قد منع من لجا اليه منهم وان عمر قد أسلم فكان هو وحمزة بن عبد المطلب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وجعل الاسلام يفشو فى القبائل اجتمعوا وائتمروا ان يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بنى هاشم وبنى المطلب على أن لا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئا ولا يبتاعوا منهم فلما اجتمعوا لذلك كتبوا فى صحيفة ثم تعاهدوا وتواثقوا على ذلك ثم علقوا الصحيفة فى جوف الكعبة توكيدا على أنفسهم وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد

فيه مبيئس ولو سهلت الهمزة لحركت الياء فقلت فيه مبيس وتقول فى تصغيره اذا صغرته مبيس بالادغام كما تقول أبوس أبيس ولا تنقل حركة الهمزة الى الياء اذا سهلت كما تنقلها فى اسم الفاعل من بيأس ونحوه اذا سهلت الهمزة وهذه مسئلة من التصغير بديعة يقوم على تصحيحها البرهان

﴿فصل﴾ وفى حديث اسلام عمر فنهمه رسول الله صلى الله عليه وسلم أى زجره والنهيم زجر الاسد والنهامى الحداد والنهام طائر وفيه قول العاصى بن وائل قال هكذا عن الرجل وهى كلمة معناها الامر بالتنحى فليس يعمل فيها ما قبلها كما يعمل اذا قلت جلس هكذا أى على هذه الحال وان كان لا بد من عامل فيها اذا جعلتها للامر لانها كاف التشبيه دخلت على ذا وها تنبيه فيقدر العامل اذا مضمرا كانك قلت ارجعوا هكذا وتأخروا هكذا واستغنى بقولك هكذا عن الفعل كما استغنى برويدا عن ارفق

﴿فصل﴾ وذكر قول عمر لجميل بن معمر الجمحى انى قد أسلمت وبايعت محمدا فصرخ جميل بأعلى صوته الا ان عمر قد صبا جميل هذا هو الذى كان يقال له ذو القلبين وفيه نزلت فى أحد الاقوال «ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه» وفيه قيل

وكيف ثوائى بالمدينة بعدما * قضى وطرا منها جميل بن معمر

وهو البيت الذى تغنى به عبد الرحمن بن عوف فى منزله واستاذن عمر فسمعه وهو يتغنى وينشد بالركبانية وهو غناء يحدى به الركاب فلما دخل عمر قال له عبد الرحمن انا اذا خلونا قلنا ما يقول الناس فى بيوتهم وقلب المبرد هذا الحديث وجعل المنشد عمر والمستاذن عبد الرحمن ورواه الزبير كما تقدم وهو أعلم بهذا الشان

﴿حديث الصحيفة التى كتبتها قريش﴾

* قال ابن اسحق فلما فعلت ذلك قريش انحازت بنو هاشم وبنو المطلب الى أبي طالب بن عبد المطلب فدخلوا معه في شعبه فاجتمعوا اليه وخرج من بني هاشم أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب الى قريش فظاهرهم * قال ابن اسحق حدثني حسين بن عبد الله ان أبا لهب لقي هند بنت عتبة بن ربيعة حين فارق قومه وظاهر عليهم قريشا فقال يا بنت عتبة هل نصرت اللات والعزى وفارقت من فارقهما وظاهر عليهما قالت نعم فجزاك الله خيرا يا أبا عتبة * قال ابن اسحق وحدثت انه كان يقول في بعض ما يقول يعدني محمد أشياء لا أراها يزعم انها كائنة بعد الموت فماذا وضع في يدي بعد ذلك ثم ينفخ في يديه ويقول تبا لكما ما أرى فيكما شيئا مما يقول محمد فأنزل الله تعالى فيه تبت يدا أبي لهب وتب «قال ابن هشام» تبت خسرت والتباب الخسار وقال حبيب بن خدرة الخارجي أحد بني هلال ابن عامر بن صعصعة

يا طيب إنا في معشر ذهبت * مسعاتهم في التبار والتبب

وهذا البيت في قصيدة له * قال ابن اسحق فلما اجتمعت على ذلك قريش وصنعوا فيه الذي صنعوا قال أبو طالب

يوم

الا أبلغا عني على ذات بيننا * لؤيا وخصا من لؤي بني كعب
ألم تعلموا انا وجدنا محمدا * نبيا كموسى خط في أول الكتب

ذكر فيه قول أبي لهب ليديه تبا لكما لا أرى فيكما شيأ مما يقول محمد فأنزل الله تعالى تبت يدا أبي لهب وتب هذا الذي ذكره ابن اسحق يشبه ان يكون سببا لذكر الله سبحانه يديه حيث يقول «تبت يدا أبي لهب» وأما قوله وتب فتفسيره ما جاء في الصحيح من رواية مجاهد وسعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أنزل الله تعالى وأنذر عشيرتك الاقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى الصفا فصعد عليه فهتف يا صباحاه فلما اجتمعوا اليه قال أرأيتم لو أخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي قالوا ما جربنا عليك كذبا قال «فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب تبا لك ألهذا جمعتنا فأنزل الله تعالى «تبت يدا أبي لهب» وقد تب هكذا قرأ مجاهد والاعمش وهي والله أعلم قراءة مأخوذة عن ابن مسعود لان في قراءة ابن مسعود ألفاظا كثيرة تعين على التفسير قال مجاهد لو كنت قرأت قراءة ابن مسعود قبل ان أسئل ابن عباس ما احتجت ان أسئله عن كثير مما سألته وكذلك زيادة قد في هذه الآية فسرت انه خبر من الله تعالى وان الكلام ليس على جهة الدعاء كما قال تعالى «قاتلهم الله أنى يؤفكون» أي انهم أهل ان يقال لهم هذا فتبت يدا أبي لهب ليس من باب قاتلهم الله ولكنه خبر محض بان قد خسر أهله وماله واليدان آلة الكسب وأهله وماله مما كسب فقوله «تبت يدا أبي لهب» يفسره قوله ما أغنى عنه ماله وما كسب وولد الرجل من كسبه كما جاء في الحديث أي خسرت يداه هذا الذي كسبت وقوله وتب تفسيره «سيصلى نارا ذات لهب» أي قد خسر نفسه بدخوله النار وقول أبي لهب تبا لكما ما أرى فيكما شيأ يعني يديه سبب لنزول تبت يدا كما تقدم * وقوله في الحديث الآخر تبا لك يا محمد سبب لنزول قوله سبحانه وتب فالكلمتان في التنزيل مبنيتان على السببين والآيتان بعدهما تفسير للتبين تباب يديه وتبابه هو في نفسه والتبب على وزن التلف لانه في معناه والتباب كالهلاك والخسار وزنا ومعنى ولذلك قيل فيه تباب وتباب

﴿فصل﴾ ذكر شعر أبي طالب *ألا أبلغا عني على ذات بيننا* قال قاسم بن ثابت ذات بيننا وذات يده وما كان نحوه صفة لمحذوف مؤنث كانه يريد الحال التي هي ذات بينهم كما قال الله سبحانه «وأصلحوا ذات بينكم» فكذلك اذا قلت ذات يده تريد أمواله أو مكتسباته كما قال عليه السلام أرعاه على زوج في ذات يده وكذلك اذا قلت لقيته ذات يوم أي لقاءة أو مرة ذات يوم فلما حذف الموصوف وبقيت الصفة صارت كالحال لا تتمكن ولا ترفع في باب ما لم يسم فاعله كما ترفع الظروف المتمكنة وانما هو كقولك سير عليه شديدا وطويلا وقول الخثعمي واسمه أنس بن مالك [مدرك] عزمت على اقامة ذات صباح ليس هو عندي من هذا الباب وان كان سيبويه قد جعلها لغة لخثعم ولكنه على معنى اقامة يوم وكل يوم هو ذو صباح كما تقول ما كلمني ذو شفة أي متكلم وما مررت بذي نفس فلا يكون من باب ذات مرة الذي لا يتمكن في الكلام وقد وجدت في حديث قيلة بنت مخرمة وهو حديث طويل وقع في مسند ابن أبي شيبة أن أختها قالت ليلها ان أختي تريد المسير مع زوجها حريث بن حسان ذا صباح بين سمع الارض وبصرها فهذا يكون من باب ذات مرة وذات يوم غير انه ورد مذكرا لانه تشتغل تاء التأنيث مع الصاد وتوالي الحركات فحذفوها فقالوا لقيته ذا صباح وهذا لا يتمكن كما لا يتمكن ذات يوم وذات حين ولا يضاف اليه مصدر ولا غيره وقول الخثعمي عزمت على اقامة ذي صباح قد أضاف اليه فكيف يضيف اليه ثم ينصبه أو كيف يضارع الحال مع اضافة المصدر اليه فكذلك خفضه وأخرجه عن نظائره الا أن يكون سيبويه سمع خثعم يقولون سرت في ذات

وان عليه فى العباد محبة * ولا خير ممن خصه الله بالحب
أفيقوا أفيقوا قبل ان يحفر الثرى * ويصبح من لم يجن ذنبا كذى الذنب
ونستجلبوا حربا عوانا وربما * أمر على من ذاقه حلب الحرب
ولما تبن منا ومنكم سوالف * وأيد أترت بالقساسية الشهب
كان مجال الخيل فى حجراته * ومعمعة الابطال معركة الحرب
وان الذى ألصقتم من كتابكم * لكم كائن نحسا كراغية السقب
ولا تتبعوا أمر الوشاة وتقطعوا * اواصرنا بعد المودة والقرب
فلسنا ورب البيت نسلم احمدا * لعزاء من عض الزمان ولا كرب
بمعترك ضيق ترى كسر القنا * به والنسور الطخم يعكفن كالشرب

أليس أبونا هاشم شد أزره * وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا * ولا نشتكى ماقد ينوب من النكب
ولكننا أهل الحفائظ والنهى * اذا طار أرواح الكماة من الرعب

فاقاموا على ذلك سنتين او ثلاثا حتى جهدوا لا يصل اليهم شئ الا سرا مستخفيا من أراد صلتهم من قريش وقد كان أبو جهل بن هشام فيما يذكرون لقى حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد معه غلام يحمل قمحا يريد به عمته خديجة بنت خويلد وهى عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه فى الشعب فتعلق به وقال أتذهب بالطعام الى بنى هاشم والله لا تبرح أنت وطعامك حتى أفضحك بمكة فجاءه أبو البخترى بن هشام بن الحرث بن أسد فقال مالك وله فقال يحمل الطعام الى بنى هاشم فقال أبو البخترى طعام كان لعمته عنده بعثت اليه أفتمنعه ان يأتيها بطعامها خل سبيل الرجل قال فابى أبو جهل حتى نال احدهما من صاحبه فأخذ أبو البخترى لحى بعير فضربه به فشجه ووطئه وطأ شديدا وحمزة بن عبد المطلب قريب يرى ذلك وهم يكرهون ان يبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيشمتوا بهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك يدعو قومه ليلا ونهارا وسرا وجهارا منا ديا بامر الله لا يتقى فيه أحدا من الناس فجعلت قريش حين منعه الله منها وقام عمه وقومه من بنى هاشم وبنى المطلب دونه وحالوا بينه وبين ما أرادوا من البطش به يهمزونه ويستهزؤن به ويخاصمونه وجعل القرآن ينزل فى قريش باحداثهم

يوم أو سير عليه ذات يوم برفع التاء فحينئذ يسوغ له ان يقول لغة خثعم وأما البيت الذى تقدم فالشاهد له فيه وما أظن خثعم ولا أحدا من العرب يجيز التسكين فى نحو هذا واخراجه عن النصب والله اعلم

﴿فصل﴾ وفيه * ولا خير ممن خصه الله بالحب * وهو مشكل جدا الا ان لا فى باب التبرئة لا تنصب مثل هذا الا منونا تقول لا خيرا من زيد فى الدار ولا شرا من فلان وانما تنصب بغير تنوين اذا كان الاسم غير موصول بما بعده كقوله تعالى «لا تثريب عليكم اليوم» لان عليكم ليس من صلة التثريب لانه فى موضع الخبر وأشبه ما قال فى بيت أبى طالب أن خيرا مخفف من خير كهين وميت وفى التنزيل «خيرات حسان» هو مخفف من خيرات * وقوله ممن من متعلقة بمحذوف كانه قال لا خير أخير ممن خصه الله وخير وأخير لفظان من جنس واحد فحسن الحذف استثقالا لتكرار اللفظ كما حسن « ولكن البر من آمن بالله . والحج أشهر معلومات » لما فى تكرار الكلمة مرتين من الثقل على اللسان وأغرب من هذا قول الله تعالى « ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير » أى لو عجله لهم اذا استعجلوا به استعجالا مثل استعجالهم بالخير فحسن هذا الكلام لما فى الكلام من ثقل التكرار واذا حذفوا حرفا واحدا لهذه العلة كقولهم بلحرث(١) بنو فلان وظلت وأحست فاحرى أن يحذفوا كلمة من حروف فهذا أصل مطرد ويجوز فيه وجه آخر وهو أن يكون حذف التنوين مراعاة لاصل الكلمة لان خيرا من زيد انما معناه أخير من زيد وكذلك شر من فلان انما أصله أشر على وزن افعل وحذفت الهمزة تخفيفا وأفعل لا ينصرف فاذا انحذفت الهمزة انصرف ونون فاذا توهمتها غير ساقطة التفاتا الى أصل الكلمة لم يبعد حذف التنوين على هذا الوجه مع ما يقويه من ضرورة الشعر * وقوله بالقساسية الشهب يعنى السيوف نسبها الى قساس وهو معدن حديد لبنى أسد وقيل اسم للجبل الذى فيه المعدن قال الراجز يصف فاسا

أخضر من معدن ذى قساس * كانه فى الجيد ذى الاضراس
* يرمى به فى البلد الدهاس *

وقال أبو عبيد فى القساسية لا أدرى الى أى شىء نسب والذى ذكرناه قاله المبرد وقوله ذى قساس كما حكى ذو زيد أى صاحب هذا الاسم وفى أقيال حمير ذو كلاع وذو عمرو أضيف المسمى الى اسمه كما قالوا زيد بطة اضافوه الى لقبه * وذكر فيه النسور الطخمة قيل هى السود الرؤس قاله صاحب العين وقال أيضا الطخمة سواد فى مقدم الانف * وقوله كراغية السقب يريد ولد الناقة التى عقرها قدار فرغا ولدها فصاح برغائه كل شىء له صوت فهلكت ثمود عند ذلك فضربت العرب ذلك مثلا فى كل هلكة كما قال علقمة

---

(١) بياض بالاصل

* رعى فوقهم سقب السماء فداحض * وقال آخر

لعمري لقد لاقت سليم وعامر * على جانب الثرثار راغية البكر

﴿ فصل ﴾ وذكر أم جميل بنت حرب عمة معاوية وذكر أنها كانت تحمل الشوك وتطرحه في طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله فيها «وامرأته حمالة الحطب» ﴿قال المؤلف﴾ فلما كنى عن ذلك الشوك بالحطب والحطب لا يكون الا في حبل من ثم جعل الحبل في عنقها ليقابل الجزاء العمل * وقوله من مسد هو من مسدت الحبل اذا أحكمت فتله الا أنه قال من مسد ولم يقل حبل مسد ولا ممسود لمعنى لطيف ذكره بعض أهل التفسير قال المسد يعبر به في العرف عن حبل الدلو وقد روى أنه يصنع بها في النار ما يصنع بالدلو ترفع بالمسد في عنقها الى شفير جهنم ثم يرمى بها الى قعرها هكذا أبدا وقولهم ان المسد هو حبل الدلو في العرف صحيح فانا لم نجده في كلام العرب الا كذلك كقول الذبياني * له صريف صريف القعو بالمسد * وقال الآخر وهو يستقي على ابله

يامسد الحوض تعوذمني * ان تك لدنا لينا فاني

* ماشئت من أشمط مكسين *

وقال آخر

يارب عبس لا تبارك في أحد * في قائم منهم ولا فيمن قعد

* غير الاولى شدوا باطراف المسد *

أي استقوا وقال آخر وهو يستقي

ومسد أمر من أيانق * ليس بانياب ولا حقائق

يريد جمع أينق وأينق جمع ناقة مقلوب وأصله أنوق فقلب وأبدلت الواو ياء لانها قد أبدلت ياء للكسرة اذا قالوا نياق وقلبوه فرارا من اجتماع همزتين لو قالوا أأنوق على الاصل يريد أن المسد من جلودها وفي الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في المدينة قد حرمتها الا لعصفور قتب أو مسد محالة والمحالة البكرة وفي حديث آخر انه حرمها يريد أي يريد الا المنجدة أو مسد والمنجدة عصى الراعي وقال أبو حنيفة في النبات كل مسد رشاء وأنشد

وبكرة ومحورا صرارا * ومسدا من أبق مغارا

والابق القنب والزير الكتان وأنشد أيضا

أنزعها عطيا ومثا * بالمسد المثلوث أو برمثا

فقد بان لك بهذا أن المسد حبل البئر وقد جاء في صفة جهنم أعاذنا الله منها انها كطي البئر لها قرنان والقرنان من البئر كالدعامتين للبكرة فقد بان لك بهذا كله ما ذكره أهل التفسير من صفة عذابها أعاذنا الله من عذابه وأليم عقابه وبهذا تناسب الكلام وكثرت معانيه وتنزه عن أن يكون فيه حشو أو لغو تعالى الله منزله فانه كتاب عزيز وقول مجاهد انها السلسلة التي ذرعها سبعون ذراعا لا ينفي ما تقدم اذ يجوز أن يرقى في تلك السلسلة أم جميل وغيرها فقد قال أبو الدرداء لامرأته يا أم الدرداء ان لله سلسلة تغلي بها مراجل جهنم منذ خلق الله النار الى يوم القيامة وقد نجاك الله من نصفها بالايمان بالله فاجتهد في النجاة من النصف الآخر بالحض على طعام المساكين وكذلك قول مجاهد انها كانت تمشي بالنمائم لا ينفي حملها للشوك وهو في كلام العرب سائغ أيضا فقد قال ابن الاسلت لقريش حين اختلفوا

وفيمن نصب لعداوته منهم فمنهم من سمى لنا ومنهم من نزل فيه القرآن في عامة من ذكر الله من الكفار فكان ممن سمى لنا من قريش ممن نزل فيه القرآن عمه أبو لهب بن عبد المطلب وامرأته أم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب وانما سماها الله تعالى حمالة الحطب لانها كانت فيما بلغني تحمل الشوك فتطرحه على طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يمر فأنزل الله تعالى فيهما تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى نارا ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد

وبيتكم

ونبشكم شرجين كل قبيلة * لهازمل من بين مذك وحاطب

فالمذكى الذى يذكى نار العداوة والحاطب الذى ينم ويغرى كالمحتطب للنار ومن هذا المعنى وكانه منتزع منه قول النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات والقتات هو الذى يجمع القت وهو ما يوقد به النار من حشيش وحطب صغار * وقوله فى جيدها ولم يقل فى عنقها والمعروف أن يذكر العنق اذا ذكر الغل أو الصفع كما قال تعالى « انا جعلنا فى أعناقهم أغلالا » ويذكر الجيد اذا ذكر الحلى أو الحسن فانما حسن ههنا ذكر الجيد فى حكم البلاغة لانها امرأة والنساء تحلى أجيادهن وأم جميل لا حلى لها فى الآخرة الا الحبل المجعول فى عنقها فلما أقيم لها ذلك مقام الحلى ذكر الجيد معه فتأمله فانه معنى لطيف ألا ترى الى قول الاعشى

* يوم تبدى لنا قتيلة عن جيد * ولم يقل عن عنق وقول الآخر * وأحسن من عقد المليحة جيدها * ولم يقل عنقها ولو قاله لكان غثا من الكلام فانما يحسن ذكر الجيد حيث قلنا وينظر الى هذا المعنى قوله تعالى « فبشرهم بعذاب أليم » أى لا بشرى لهم الا ذلك وقول الشاعر * تحية بينهم ضرب وجيع * أى لا تحية لهم كذلك قوله فى جيدها حبل من مسد أى ليس ثم جيد يحلى انما هو حبل المسد وانظر كيف قال وامرأته ولم يقل وزوجه لانها ليست بزوج له فى الآخرة ولان التزويج حلية شرعية وهو من أمر الدين يجردها من هذه الصفة كما جرد منها امرأة نوح وامرأة لوط فلم يقل زوج نوح وقد قال لآدم اسكن أنت وزوجك الجنة وقال لنبيه عليه السلام قل لازواجك وقال وأزواجه أمهاتهم الا أن يكون مساق الكلام فى ذكر الولادة والحمل ونحو ذلك فيكون حينئذ لفظ المرأة لائقا بذلك الموطن كقوله تعالى « وكانت امرأتى عاقرا . فاقبلت امرأته فى صرة » لان الصفة التى هى الانوثة هى المقتضية للحمل والوضع لا من حيث كانت زوجا

﴿ فصل ﴾ وأنشدنا هذا على الجيد قول الاعشى

يوم تبدى لنا قتيلة عن جيد أسيل تزينه الاطواق

وقوله تزينه أى تزيده حسنا وهذا من القصد فى الكلام وقد أبى المولدون الا الغلو فى هذا المعنى وأن يغلبوه فقال فى الحماسة حسين بن مطير

مبتلة الاطراف زانت عقودها * باحسن مما زينتها عقودها

وقال خالد القسرى لعمر بن عبد العزيز من تكن الخلافة زينته فانت زينتها ومن تكن شرفته فانت شرفتها وأنت كما قال

وتزيدين أطيب الطيب طيبا * ان تمسيه أين مثلك أينا

واذا الدر زان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

فقال عمر ان صاحبكم اعطى مقولا ولم يعط معقولا ﴿قال المؤلف﴾ وانما لم يحسن هذا من خالد لما قصد به التملق والا فقد صدر مثل هذا المعنى عن الصديق فحسن لما عضده من التحقيق والتحرى للحق والبعد عن الملق والخلابة وذلك حين عهد الى عمر بالخلافة ودفع اليه عهده مختوما وهو لا يعرف ما فيه فلما عرف ما فيه رجع اليه حزينا كهيئة الثكلى يقول حملتنى عبئا لا اضطلع به وأوردتنى موردا لا أدرى كيف الصدر عنه فقال له الصديق ما آثرتك بها ولكنى آثرتها بك وما قصدت مساءتك ولكن رجوت ادخال السرور على المؤمنين بك ومن ههنا أخذ الحطيئة قوله

ما آثروك بها اذ قدموك لها * لكن لانفسهم كانت بها الاثر

«قال ابن هشام» الجيد العنق قال أعشى بنى قيس ابن ثعلبة

يوم تبدى لنا قتيلة عن جيد أسيل تزينه الاطواق

وهذا البيت فى قصيدة له وجمعه أجياد والمسد شجر يدق كما يدق الكتان فيفتل منه حبال قال النابغة الذبيانى واسمه زياد بن عمرو بن معاوية

مقذوفة بدخيس النحض بازلها * له صريف صريف القعو بالمسد

وهذا البيت فى قصيدة له وواحدته مسدة

* قال ابن اسحق فذكر لى ان أم جميل حمالة الحطب حين سمعت ما نزل فيها وفى زوجها من القرآن أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق وفى يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ترى الا أبا بكر فقالت يا أبا بكر أين صاحبك قد بلغنى أنه يهجونى والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه أما والله انى لشاعرة فقالت مذمما عصينا * وأمره أبينا * ودينه قلينا ثم انصرفت فقال أبو بكر يا رسول الله أما تراها رأتك فقال ما رأتنى لقد أخذ الله ببصرها عنى

« قال ابن هشام » قولها ودينه قلينا عن غير ابن اسحق * قال ابن اسحق وكانت قريش انما تسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم مذمما ثم يسبونه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون لما صرف الله عنى من أذى قريش يسبون و يهجون مذمما وأنا محمد * وأمية بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح كان اذا رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم همزه ولمزه فأنزل الله تعالى فيه ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده الى آخر السورة كلها « قال ابن هشام » والهمزة الذى يشتم الرجل علانية و يكسر عينه عليه و يغمز به قال حسان ابن ثابت

همزتك فاختضعت لذل نفس *
بقافية تأجج كالشواظ

وهذا البيت فى قصيدة له وجمعه همزات واللمزة الذى يعيب الناس سرا و يؤذيهم قال رؤبة بن العجاج

* فى ظل عصرى باطلى ولمزى *

وهذا البيت فى ارجوزة له وجمعه لمزات * قال بن اسحق والعاص بن وائل السهمى كان خباب بن الارت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قينا بمكة يعمل السيوف وكان قد باع من العاص بن وائل سيوفا عملها له حتى اذا كان له عليه مال جاءه يتقاضاه فقال له يا خباب أليس يزعم محمد صاحبكم هذا الذى أنت على دينه ان فى الجنة ما ابتغى أهلها من ذهب أو فضة أو ثياب أو خدم قال خباب بلى قال فانظرنى الى يوم القيامة يا خباب حتى أرجع الى تلك الدار فاقضيك هنالك حقك فوالله لا تكون أنت وأصحابك يا خباب آثر عند الله منى ولا أعظم حظا فى ذلك فأنزل الله تعالى فيه أفرأيت الذى كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا الى قوله تعالى ونرثه ما يقول و يأتينا فردا ولقى أبو جهل بن هشام لعنه الله رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى فقال له والله يا محمد لتتركن سب آلهتنا أو لنسبن الهك الذى تعبد فأنزل الله تعالى عليه فيه ولا تسبوا الذين

وقد سبك هذا المعنى فى التسيب عبد الله بن عباس الرومى فقال

وأحسن من عقد المليحة جيدها * وأحسن من سربالها المتجرد

ومما هو دون الغلو وفوق التقصير قول الرضى

حليه جيده لا ما يقلده * وكحله ما بعينيه من الكحل

ونحو منه ما أنشده الثعالبى

وما الحلى الا حيلة من نقيصة * يتمم من حسن اذا الحسن قصرا
فاما اذا كان الجمال موفرا * كحسنك لم يحتج الى أن يزورا

وسمعت القاضى أبا بكر محمد بن العربى يقول حج أبو الفضل الجوهرى الزاهد ذات مرة فلما أشرف على الكعبة و رأى ما عليها من الديباج تمثل وقال

ما علق الحلى على صدرها * الا لما يخشى من العين
تقول والدر على نحرها * من علق الشين على الزين

و بيت الاعشى المتقدم بعده

وشنيب كالاقحوان جلاه * الطل فيه عذوبة واتساق
وأثيث مثل النبات تروي * ه لعوب غريرة مفناق
حرة طفلة الانامل كالدم * ية لا عانس ولا مهراق

وذكر قول أم جميل لابى بكر لو وجدت صاحبك لشدخت رأسه بهذا الفهر المعروف فى الفهر التأنيث وتصغيره فهيرة و وقع ههنا مذكرا * وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم ألا ترون الى ما يدفع الله عنى من أذى قريش يشتمون و يهجون مذمما وأنا محمد وأدخل النسوى هذا الحديث فى كتاب الطلاق فى باب من طلق بكلام لا يشبه الطلاق فانه غير لازم وهو فقه حسن لقول النبى صلى الله عليه وسلم ألا ترون الى ما يدفع الله عنى فجعل أذاهم مصروفا عنه لما سبوا مذمما ومذمم لا يشبه أن يكون اسماله فكذلك اذا قال لها كلى واشربى وأراد به الطلاق لم يلزمه وكان مصروفا عنه لان مثل هذا الكلام لا يشبه أن يكون عبارة عن الطلاق

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث خباب مع العاصى بن وائل وما أنزل الله فيه من قوله « أرأيت الذى كفر بآياتنا » وقد تقدم الكلام على أرأيت وانه لا يجوز أن يليها الاستفهام كما يلى علمت ونحوها وهى ههنا عاملة فى الذى كفر وقد قدمنا من القول فيها ما يغنى عن اعادته ههنا فلينظر فى سورة اقرأ وحديث نزولها

﴿ فصل ﴾ وذكر قول أبى جهل لتكفن عن سب آلهتنا أو لنسبن إلهك فأنزل الله تعالى « ولا تسبوا الذين

يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كف عن سب آلهتهم وجعل يدعوهم الى الله ❊ والنضر بن الحرث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى كان اذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسا فدعا فيه الى الله تعالى وتلا فيه القرآن وحذر قريشا ما أصاب الامم الخالية خلفه فى مجلسه اذا قام فحدثهم عن رستم الشديد وعن اسفنديار وملوك فارس ثم يقول والله ما محمد بأحسن حديثا منى وما حديثه الا أساطير الاولين اكتتبها كما اكتتبتها فأنزل الله فيه وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض انه كان غفورا رحيما ونزل فيه (اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين) ونزل فيه ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فبشره بعذاب أليم «قال ابن هشام» الافاك الكذاب وفى كتاب الله تعالى ألا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون وقال رؤبة

❊ مالامرئ أفك قولا أفكا ❊

وهذا البيت فى ارجوزة له ❊ قال ابن اسحق وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فيما بلغنى مع الوليد بن المغيرة فى المسجد فجاء النضر بن الحرث حتى جلس معهم فى المجلس وفى المجلس غير واحد من رجال قريش فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فعرض له النضر بن الحرث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه وعليهم انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون «قال ابن هشام» حصب جهنم كل ما أوقدت به قال أبو ذؤيب الهذلى واسمه خويلد بن خالد

فأطفئ ولا توقد ولا تك محصبا ❊ لنار العداة أن تطير شكاتها

وهذا البيت فى أبيات له ويروى ولا تك محضأ قال الشاعر

حضأت له نارى فأبصرت ضوءها ❊ وما كان لولا حضأة النار يهتدى

❊ قال ابن اسحق ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل عبد الله بن الزبعرى السهمى حتى جلس فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبعرى والله ما قام النضر بن الحرث لابن عبد المطلب آنفا وما قعد وقد زعم محمد انا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم فقال عبد الله بن الزبعرى أما والله لو وجدته لخصمته فسلوا محمدا أ كل ما يعبد من دون الله فى جهنم مع من عبده فنحن نعبد الملائكة واليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد عيسى ابن مريم فعجب الوليد ومن كان معه فى المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى ورأوا أنه قد احتج وخاصم فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم من قول ابن الزبعرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من احب أن يعبد من دون الله فهو مع من عبده انهم انما يعبدون الشياطين ومن أمرتهم بعبادته فأنزل الله تعالى عليه فى ذلك

يدعون من دون الله » الآية وهذه الآية أصل عند المالكية فى اثبات الذرائع ومراعاتها فى البيوع وكثير من الاحكام وذلك أن سب آلهتهم كان من الدين فلما كان سببا الى سبهم البارى سبحانه نهى عن سب آلهتهم فكذلك ما يخاف منه الذريعة الى الربا ينبغى الزجر عنه ومن الذرائع ما يقرب من الحرام ومنها ما يبعد فتقع الرخصة والتشديد على حسب ذلك ولم يجعل الشافعى الذريعة الى الحرام أصلا ولا كره شيئا من البيوع التى تتقى فيها الذريعة الى الربا وقال تهمة المسلم وسوء الظن به حرام ومن حجتهم قول عمر بن الخطاب انما الربا على من قصد الربا وقول النبى عليه السلام انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فيه أيضا متعلق لهم وقالوا ونهيه تعالى عن سب آلهتهم لئلا يسب الله تعالى ليس من هذا الباب لانه لا تهمة فيه لمؤمن ولا تضييق عليه وكما تتقى الذريعة الى تحليل ما حرم الله فكذلك ينبغى أن يتقى تحريم ما أحل الله فكلا الطرفين ذميم وأحل الله البيع وحرم الربا والربا معلوم فما ليس من الربا فهو من البيع والكلام فى هذه المسئلة للطائفتين والاحتجاج للفريقين يتسع مجاله ويبعد بنا عن مقصودنا من الكتاب

﴿ فصل ﴾ حديث النضر بن الحارث وقال فى نسبه كلدة بن علقمة وغيره من النساب يقول علقمة بن كلدة وكذلك ألفيته فى حاشية كتاب الشيخ أبى بحر عن أبى الوليد وحديث النضر انه تعلم أخبار رستم واسبنديار وكان يقول اكتتبها كما اكتتبها محمد ووقع فى الاصل اكتتبها كما اكتتبها محمد وفى الرواية الاخرى عن أبى الوليد اكتتبها كما اكتتبها ورستم الشديد بالفارسية معناه ذو الضياء والياء فى الشيد والالف سواء ومنه ارخشاذ وقد تقدم شرحه ومنه جمشاذ وهو من أول ملوك الارض وهو الذى قتله الضحاك بيوراسب ثم عاش الى مدة أفريذون وابنه جم وبين افريذون وبين جم تسعة آباء وقال له حين قتله ماقتلتك بجم وما أنت له بكفء ولكن قتلتك بثور كان فى داره وقد تقدم طرف من أخبار رستم واسبنديار فى الجزء قبل هذا وذكر حديث ابن الزبعرى وقوله انا نعبد الملائكة وان النصارى تعبد المسيح الى آخر كلامه وما أنزل الله فى ذلك من قوله تعالى «ان الذين سبقت لهم منا الحسنى» الآية ﴿ قال المؤلف ﴾ ولو تأمل ابن الزبعرى وغيره من كفار قريش الآية لرأى اعتراضه غير لازم من وجهين (أحدهما) انه خطاب متوجه على الخصوص لقريش عبدة الاصنام وقوله انا نعبد الملائكة حيدة وانما وقع الكلام

ان الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيسها وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون أي عيسى بن مريم وعزير ومن عبدوا من الاحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله ونزل فيما يذكرون أنهم يعبدون الملائكة وانها بنات الله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون الى قوله ومن يقل منهم اني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين ونزل فيما يذكر من أمر عيسى بن مريم انه يعبد من دون الله وعجب الوليد ومن حضر من حجته وخصومته ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون أي يصدون عن أمرك بذلك من قوله ثم ذكر عيسى ابن مريم فقال ان هو الا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني اسرائيل ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها أي ما وضعت على يديه من الآيات من احياء الموتى وابراء الاسقام فكفى به دليلا على علم الساعة يقول فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم

* والاخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي حليف بني زهرة وكان من أشراف القوم وممن يستمع منه فكان يصيب من رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرد عليه فأنزل الله تعالى فيه ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم الى قوله تعالى زنيم ولم يقل زنيم لعيب في نسبه لان الله لا يعيب أحدا بنسب ولكنه حقق بذلك نعته ليعرف والزنيم العديد للقوم وقد قال الخطيم التميمي في الجاهلية

زنيم تداعاه الرجال زيادة * كما زيد في عرض الاديم الاكارع

والوليد بن المغيرة قال أينزل على محمد وأترك وأنا كبير قريش وسيدها ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفي سيد ثقيف فنحن عظيما القريتين فأنزل الله تعالى فيه فيما بلغني وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم الى قوله تعالى مما يجمعون * وأبي بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح وعقبة بن أبي معيط وكانا متصافيين حسنا ما بينهما فكان عقبة قد جلس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع منه فبلغ ذلك أبيا فأتى عقبة فقال ألم يبلغني انك جالست محمدا وسمعت منه ثم قال وجهي من وجهك حرام أن أكلمك واستغلظ له من اليمين ان أنت جلست اليه أو سمعت منه أو لم تأته فتتفل في وجهه ففعل ذلك عدو الله عقبة بن أبي معيط لعنه الله فأنزل الله تعالى فيهما ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا الى قوله تعالى للانسان خذولا ومشى أبي بن خلف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم بال قد ارفت فقال يا محمد أنت تزعم ان الله يبعث هذا بعدما أرم ثم فته بيده ثم نفخه في الريح نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم أنا أقول ذلك يبعثه الله واياك بعدما تكونان هكذا ثم يدخلك الله النار فأنزل الله تعالى فيه وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق

والحاجة في اللات والعزى وهبل وغير ذلك من أصنامهم (والثاني) أن لفظ التلاوة «انكم وما تعبدون» ولم يقل ومن تعبدون فكيف ألزمهم اعتراضه بالمسيح وعزير والملائكة وهم يعقلون والاصنام لا تعقل ومن ثم جاءت الآية بلفظ ما الواقعة على ما لا يعقل والمختصة على ما يعقل وتعلم بقرينة من التعظيم والابهام ولعلنا نشرحها ونبينها فيما بعد ان قدر لنا ذلك وسبب عبادة النصارى للمسيح معروف وأما عبادة اليهود عزيرا وقولهم فيه انه ابن الله سبحانه وتعالى عن قولهم وسببه فيما ذكر عبد بن حميد الكشي ان التوراة لما احترقت أيام بخت نصر وذهب بدروسها من اليهود فلما ثاب اليهم أمرهم وجد عزير فقدها أعظم الكرب فبينا عزير يبكي لفقد التوراة اذ مر بامرأة جاثية على قبر قد نشرت شعرها فقال لها يا عزير من أنت قالت انا اليائم القرى أبكي على ولدي وأنت تبكي على كتابك وقالت له اذا كان غدا فأت هذا المكان فلما ان جاء من الغد للساعة التي وعدته اذا هو بانسان خارج من الارض في يده كهيئة القارورة فيها نور فقال له افتح فاك فألقاها في جوفه فكتب عزير التوراة كما أنزلها الله ثم قدر على التوراة بعدما كانت دفنت ان ظهرت فعرضت التوراة وما كان عزير كتب فوجدوه سواء فقالوا انه ولد الله تعالى الله عن ذلك * وقوله حصب جهنم هو من باب النفض والقبض والحصب بسكون الصاد كالقبض والنفض ومفعوله الحاصب في قوله سبحانه «انا أرسلنا عليهم حاصبا» ويروى حضب جهنم بالضاد معجمة في شواذ القراآت وهو من حضبت النار اذا حضأتها أو يقال أرثتها وأثقبتها وحششتها وأذكيتها وفسر ابن اسحق قوله يصدون ومن قرأ يصدون فمعناه يعجبون

﴿ فصل ﴾ وذكر ما أنزل الله تعالى في الأخنس بن شريق واسمه أبي من قوله تعالى «عتل بعد ذلك زنيم» وقد قيل نزلت في الوليد بن المغيرة وقد قيل في الاسود بن عبد يغوث الزهري وقال ابن عباس نزلت في رجل من قريش له زنمتان كزنمتي الشاة رواه البخاري باسناده عنه وفي رواية أخرى انه قال الزنيم الذي له زنمتان من الشر يعرف بها كما تعرف الشاة بزنمتها وروي عن ابن عباس أيضا مثل ما قال ابن اسحق ان الزنيم الملصق بالقوم وليس منهم قال ذلك لنافع بن الازرق الحروري وقال اما سمعت قول حسان زنيم تداعاه الرجال البيت وقد أنشد ابن هشام هذا البيت مستشهدا به ونسبه للخطيم التميمي والاعرف انه لحسان

لحسان كما قال ابن عباس واما العتل فهو الفليظ الجافي من قوله تعالى «خذوه فاعتلوه» وقال عليه السلام انا انبئكم باهل النار كل عتل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع

﴿ فصل ﴾ وذكر قولهم الذي انزل الله فيه «قل يا ايها الكافرون» الى آخرها فقال «لا اعبد ما تعبدون» أي في الحال ولا أنا عابد ما عبدتم أي في المستقبل وكذلك ولا أنتم عابدون ما أعبد (فان قيل) كيف يقول لهم ولا أنتم عابدون ما أعبد وهم قد قالوا له لنعبدن ربك وتعبد ربنا كيف نفي عنهم ما أرادوا وعزموا عليه (فالجواب) من وجهين أحدهما انه اخبر انهم لا يفعلون فاخبر بما علم الثاني انهم لو عبدوه على الوجه الذي قالوه ما كانت عبادة ولا يسمى عابد الله من عبده سنة وعبد غيره أخرى (فان قيل) كيف قال ولا أنتم عابدون ما أعبد ولم يقل من أعبد وقد قال أهل العربية ان ما تقع على ما لا يعقل فكيف عبر بها عن البارى تعالى (فالجواب) انا قد ذكرنا فيما قبل ان من قد تقع على من يعقل بقرينة نحو هذا أو ان ذكرها وتلك القرينة الابهام والمبالغة في التعظيم والتفخيم وهي في معنى الابهام لان من جلت عظمته حتى خرجت عن الحصر وعجزت الافهام عن كنه ذاته وجب أن يقال فيه هو ما هو كقول العرب سبحان ما سبح الرعد بحمده ومنه قوله «والسماء وما بناها» فليس كون عالم ما يوجب له من التعظيم ما يوجب له انه بنى السموات ودحى الارض فكأن المعنى ان شيئا بناها لعظيم أو ما أعظمه من شيء فلفظ ما في هذا الموضع يؤذن بالتعجب من عظمته كأنه كان هذا الفاعل لهذا الشيء أعظمه وكذلك قوله تعالى في قصة آدم «ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي» ولم يقل لمن خلقت وهو يعقل لان السجود لم يجب له من حيث كان يعقل ولا من حيث كان لا يعقل ولكن من حيث امر والسجود له فكأنه لما كان ذلك المخلوق فقد وجب تعظيمه امر واليه فمن هاهنا حسنت ما في هذا الموضع لا من جهة التعظيم له ولكن من جهة ما يقتضيه الامر من السجود له فكائنا من كان وأما قوله تعالى «لا أعبد ما تعبدون» فواقعة على ما لا يعقل لانهم كانوا يعبدون الاصنام وقوله «ولا أنتم عابدون ما أعبد» اقتضاها الابهام وتعظيم المعبود مع أن الحسن منهم مما لزمهم أن يعبدوا معبوده كائنا ما كان فحسنت ما في هذا الموضع لهذه الوجوه فهذه اقران تحسن وقوعها على أولى العلم وبقيت نكتة بديعة يتعين التنبيه عليها وهو قوله تعالى «ولا أنا عابد ما عبدتم» بلفظ الماضي ثم قال «ولا أنتم عابدون ما أعبد» بلفظ المضارع في الآيتين جميعا اذا أخبر عن نفسه قال ما أعبد ولم يقل ما عبدت والنكتة في ذلك ان ما فيها من الابهام وان كانت خبرية تعطي معنى الشرط فكأنه قال مهما عبدتم شيئا فاني لا أعبده والشرط يحول المستقبل الى لفظ الماضي تقول اذا قام زيد غدا قمت كذا وان خرج زيد غدا خرجت فلما فهم رائحة الشرط من أجل ابهامها فلذلك جاء الفعل بعدها بلفظ الماضي ولا يدخل الشرط على فعل الحال ولذلك قال في أول السورة ما تعبدون لانه حال لان رائحة الشرط معدومة فيها في الحال وكذلك رائحة الشرط معدومة في قوله عابدون ما أعبد لانه عليه السلام يستحيل أن يتحول عن عبادة ربه لانه معصوم فلم يستقم تقدير معنى الشرط كما استقام ذلك في حقهم لانهم في قبضة الشيطان يقودهم باهوائهم فجائز ان يعبدوا اليوم شيئا ويعبدوا غدا غيره ولكن مهما عبدوا شيئا فالرسول عليه السلام لا يعبده فلذلك قال ولا أنتم عابدون ما أعبد في الحال وفي المآل لما علم من عصمة الله له ولما علم الله من ثباته على توحيده فلا مدخل لمعنى الشرط في حقه عليه السلام واذا لم يدخل الشرط في الكلام بقي الفعل المستقبل على لفظه كما تراه ونظير هذه المسألة قوله تعالى «كيف نكلم من كان في المهد صبيا» اضطرب في اعرابها وتقديرها لما كانت من بمعنى الذي وجاء بكان على لفظ الماضي وفيها الزجاج فاشار الى أن من فيها طرف من معنى الشرط ولذلك جاءت كان بلفظ

علم الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون * واعترض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالكعبة فيما بلغني الاسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف والعاص ابن وائل السهمي وكانوا ذوي أسنان في قومهم فقالوا يا محمد هلم فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الامر فان كان الذي تعبد خيرا مما نعبد كنا قد أخذنا بحظنا منه وان كان ما نعبد خيرا مما تعبد كنت قد أخذت بحظك منه فانزل الله تعالى فيهم قل يا ايها الكافرون لا أعبد ما تعبدون السورة كلها أي ان كنتم لا تعبدون الا الله الا أن أعبد ما تعبدون فلا حاجة لي بذلك منكم لكم دينكم جميعا ولي دين

وأبو جهل بن هشام لما ذكر الله شجرة الزقوم تخويفا بها لهم قال يا معشر قريش هل تدرون ما شجرة الزقوم التي يخوفكم بها محمد قالوا لا قال عجوة يثرب بالزبد والله لئن استمكنا منها لنتزقمنها تزقما فأنزل الله تعالى فيه ان شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل تغلي في البطون كغلي الحميم أي ليس كما يقول «قال ابن هشام» المهل كل شيء أذبته من نحاس أو رصاص أو ما أشبه ذلك فيما أخبرني أبو عبيدة وبلغنا عن الحسن ابن أبي الحسن انه قال كان عبد الله بن مسعود واليا لعمر بن الخطاب على بيت مال الكوفة وانه أمر يوما بفضة فأذيبت فجعلت تلون ألوانا فقال هل بالباب من أحد قالوا نعم قال فادخلوهم فدخلوا فقال ان أدنى ما أنتم راؤون شبها بالمهل لهذا وقال الشاعر

يسقيه ربي حميم المهل يجرعه * يشوي الوجوه فهو في بطنه صهر

وقال عبد الله بن الزبير الاسدي

فمن عاش منهم عاش عبدا وان يمت * ففي النار يسقى مهلها وصديدها

وهذا البيت في قصيدة له ويقال ان المهل صديد الجسد بلغنا ان أبا بكر الصديق رضي الله عنه لما حضر أمر بثوبين لبيسين يغسلان فيكفن فيهما فقالت له عائشة قد أغناك الله يا أبت عنهما فاشتر كفنا فقال انما هي ساعة حتى يصير الى المهل قال الشاعر

شاب بالماء منه مهلا كريها * ثم علّ المتون بعد النهال

«قال ابن اسحق» فأنزل الله تعالى فيه والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا ووقف الوليد بن المغيرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه وقد طمع في اسلامه فبيناهو في ذلك فصل
اذ مر به ابن أم مكتوم الأعمى فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل يستقرئه القرآن فشق ذلك منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أضجره وذلك انه شغله عما كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من اسلامه فلما أكثر عليه انصرف عنه عابسا وتركه فأنزل الله تعالى فيه عبس وتولى أن جاءه الأعمى الى قوله تعالى في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة أي انما بعثتك بشيرا ونذيرا لم أخص بك أحدا دون أحد فلا تمنعه ممن ابتغاه ولا تتصدق به لمن لا يريده «قال ابن هشام» ابن أم مكتوم أحد بني عامر بن لؤي واسمه عبد الله ويقال عمرو *

المضي بعده فصار معنى الكلام من يكن صبيا فكيف يكلم لما أشارت الى الصبي أن كلموه ولو قالوا كيف نكلم من هو في المهد الآن لكان الانكار والتعجب مخصوصا به فلما قالوا كيف نكلم من كان صار الكلام أبلغ في الاحتجاج للعموم الداخل فيه الى هذا الغرض أشار أبو اسحاق وهو الذي أراد وان لم يكن هذا لفظه فليس المقصود العبارات وانما المقصود تصحيح المعاني المتلقاة من الالفاظ والاشارات

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث أبي جهل حين ذكر شجرة الزقوم فقال ان هذه الكلمة لم تكن من لغة قريش وان رجلا أخبره ان أهل يثرب يقولون تزقمت اذا أكلت التمر بالزبد فجعل بجهله اسم الزقوم من ذلك استهزاء وقيل ان لهذا الاسم أصلا في لغة اليمن وان الزقوم عندهم كل ما يتقيأ منه وذكر أبو حنيفة في النبات أن شجرة باليمن يقال لها الزقوم لا ورق لها وفروعها أشبه شيء برؤس الحيات فهي كريهة المنظر وفي تفسير ابن سلام والماوردي أن شجرة الزقوم في الباب السادس من جهنم اعاذنا الله منها وان أهل النار ينحدرون اليها قال ابن سلام وهي تحيا باللهب كما تحيا شجرة الدنيا بالمطر * وقوله الملعونة في القرآن أي الملعون آكلها وقيل بل هو وصف لها كما يقال يوم ملعون أي مشؤم

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث ابن أم مكتوم وذكر اسمه ونسبه وأم مكتوم اسمها عاتكة بنت عبد الله بن عنكثة بن عامر بن مخزوم * وذكر الرجل الذي كان شغل رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه الوليد بن المغيرة وقد قيل كان أمية بن خلف وفي حديث الموطأ عظيم من عظماء المشركين ولم يسمه وفي قوله سبحانه «أن جاءه الأعمى» من الفقه أن لا غيبة في ذكر الانسان بما ظهر في خلقته من عمى أو عرج الا أن يقصد به الازدراء فيلحق المأثم به لانه من أفعال الجاهلين قال الله تعالى «أتتخذنا هزؤا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين» وفي ذكره اياه بالعمى من الحكمة والاشارة اللطيفة التنبيه على موضع العتب لانه قال «أن جاءه الأعمى» فذكر المجيء مع العمى وذلك ينبي عن تجشم كلفة ومن تجشم القصد اليك على ضعفه فحقك الاقبال عليه لا الاعراض عنه فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم مقبلا على توليه عن الأعمى فغيره أحق بالعتب مع أنه لم يكن آمن بعد الا تراه يقول «وما يدريك لعله يزكى» الآية ولو كان قد صح ايمانه وعلم ذلك منه لم يعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو أعرض لكان العتب أشد والله أعلم وكذلك لم يكن ليخبر عنه ويسميه بالاسم المشتق من العمى دون الاسم المشتق من الايمان والاسلام لو كان دخل في الايمان قبل ذلك والله أعلم وانما دخل فيه بعد نزول الآية ويدل على ذلك قوله للنبي صلى الله عليه وسلم استدنني يا محمد ولم يقل استدنني يا رسول الله مع أن ظاهر الكلام يدل على ان الهاء في لعله يزكى عائدة على الأعمى لا على الكافر لانه لم يتقدم له ذكر بعد ولعل تعطي الترجي والانتظار ولو كان ايمانه قد تقدم قبل هذا لخرج عن حد الترجي والانتظار للتزكي والله أعلم

قال ابن اسحق وبلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا الى أرض الحبشة اسلام أهل مكة فأقبلوا لما بلغهم من ذلك حتى اذا دنوا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدثوا به من اسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل منهم أحد الا بجوار أو مستخفيا فكان ممن قدم عليه مكة منهم فأقام بها حتى هاجر الى المدينة فشهد معه بدرا ومن حبس عنه حتى فاته بدر وغيره ومن مات بمكة * منهم من بني عبد شمس بن عبد مناف بن قصي عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس معه امرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم * وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس معه امرأته سهلة بنت سهيل * ومن حلفائهم عبد الله بن جحش بن رئاب * ومن بني نوفل بن عبد مناف عتبة بن غزوان حليف لهم من قيس عيلان * ومن بني أسد بن عبد العزى بن قصي الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد * ومن بني عبد الدار بن قصي مصعب ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف * وسويبط بن سعد بن حرملة * ومن بني عبد بن قصي طليب بن عمير بن وهب بن أبي كبير بن عبد * ومن بني زهرة بن كلاب عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زهرة * والمقداد بن عمرو حليف لهم * وعبد الله بن مسعود حليف لهم * ومن بني مخزوم بن يقظة أبو سلمة بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم معه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة * وشماس بن عثمان بن الشريد بن سويد بن هرمي بن عامر بن مخزوم * وسلمة بن هشام بن المغيرة حبسه عمه بمكة فلم يقدم الا بعد بدر وأحد والخندق * وعياش بن أبي ربيعة بن المغيرة هاجر معه الى المدينة ولحق به أخواه لأمه أبو جهل بن هشام والحرث بن هشام فرجعا به الى مكة فحبساه بها حتى مضى بدر وأحد والخندق * ومن حلفائهم عمار بن ياسر يشك فيه أكان خرج الى الحبشة أم لا * ومعتب ابن عوف بن عامر من خزاعة * ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح * وابنه السائب بن عثمان وقدامة بن مظعون وعبد الله بن مظعون * ومن بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب خنيس بن حذافة بن قيس بن عدي * وهشام بن العاص بن وائل حبس بمكة بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة حتى قدم بعد بدر وأحد والخندق * ومن بني عدي بن كعب بن لؤي عامر بن ربيعة حليف لهم معه امرأته ليلى بنت أبي حثمة بن غانم * ومن بني عامر بن لؤي عبد الله بن مخرمة بن عبد العزى بن أبي قيس * وعبد الله بن سهيل ابن عمرو وكان حبس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر الى المدينة حتى كان يوم بدر فانحاز من المشركين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد معه بدرا * وأبو سبرة بن أبي رهم بن عبد العزى معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو * والسكران بن عمرو بن عبد شمس معه امرأته سودة بنت زمعة بن قيس مات بمكة قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأته سودة بنت زمعة * ومن حلفائهم سعد بن خولة * ومن بني الحرث بن فهر أبو عبيدة بن الجراح وهو عامر بن عبد الله بن الجراح * وعمرو بن الحرث بن زهير بن أبي شداد * وسهيل بن بيضاء وهو سهيل بن وهب بن ربيعة بن هلال * وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة بن هلال فجميع من قدم عليه مكة من أصحابه من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلا فكان من دخل منهم بجوار فيمن سمي لنا عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي دخل بجوار من الوليد بن المغيرة * وأبو سلمة بن عبد الاسد بن هلال المخزومي دخل بجوار من أبي طالب بن عبد المطلب وكان خاله وأم أبي سلمة برة بنت عبد المطلب * قال ابن اسحق فأما عثمان بن مظعون فان صالح بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف

﴿فصل﴾ وذكر ما بلغ أهل الحبشة من اسلام أهل مكة وكان باطلا وسببه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم فألقى الشيطان في أمنيته أي في تلاوته عند ذكر اللات والعزى وانهم لهم الغرانقة العلى وان شفاعتهم لترتجى فطار ذلك بمكة فسر المشركون وقالوا قد ذكر آلهتنا بخير فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخرها وسجد المشركون والمسلمون ثم أنزل الله تعالى «فينسخ الله ما يلقي الشيطان» الآية فمن هاهنا اتصل بهم في أرض الحبشة أن قريشا قد أسلموا وقد ذكره موسى بن عقبة وابن اسحق من غير رواية البكائي وأهل الاصول يدفعون هذا الحديث بالحجة ومن صححه قال فيه أقوالا * منها ان الشيطان قال ذلك وأشاعه والرسول عليه السلام لم ينطق به وهذا جيد لولا أن في حديثهم أن جبريل قال لمحمد ما أتيتك بهذا! * ومنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قالها من قبل نفسه وعنى بها الملائكة أن شفاعتهم لترتجى * ومنها ان النبي عليه السلام قاله حاكيا عن الكفرة وانهم يقولون ذلك فقالها متعجبا من كفرهم والحديث على ما خيلت غير مقطوع بصحته والله اعلم وسمى الذين قدموا منهم من أجل ذلك الخبر وذكر فيهم طليبا وقال في نسبه ابن أبي كبير بن عبد بن قصي وزيادة أبي كبير في هذا الموضع لا يوافق عليه وكذلك وجدت في حاشية كتاب الشيخ التنبيه على هذا وذكر أبو عمر ونسبه كما نسبه ابن اسحق بزيادة أبي كبير وكان بدريا في احدى الروايتين عن ابن اسحق وكذلك قال الواقدي وابن عقبة ومات بأجنادين شهيدا لا عقب له

﴿فصل﴾ وذكر قول لبيد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * وقصة ابن مظعون الى آخرها وليس

حدثني من حدثه عن عثمان قال لما رأى عثمان بن مظعون ما فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يغدو ويروح في أمان من الوليد بن المغيرة قال والله ان غدوي ورواحي آمنا بجوار رجل من أهل الشرك وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص كبير في نفسي فمشى الى الوليد بن المغيرة فقال له يا أبا عبد شمس وفت ذمتك وقد رددت اليك جوارك قال له يا ابن أخي لعله آذاك أحد من قومي قال لا ولكني أرضى بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره قال فانطلق الى المسجد فاردد علي جواري علانية كما أجرتك علانية قال فانطلقا ثم خرجا حتى أتيا المسجد فقال الوليد هذا عثمان قد جاء يرد علي جواري قال صدق قد وجدته وفيا كريم الجوار ولكني قد أحببت أن لا أستجير بغير الله فقد رددت عليه جواره ثم انصرف عثمان ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب في مجلس من قريش ينشدهم فجلس معهم عثمان فقال لبيد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * قال عثمان صدقت قال * وكل نعيم لا محالة زائل * قال عثمان كذبت نعيم الجنة لا يزول قال لبيد بن ربيعة يا معشر قريش والله ما كان يؤذى جليسكم فمتى حدث هذا فيكم فقال رجل من القوم ان هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا فلا تجدن في نفسك من قوله فرد عليه عثمان حتى شري أمرهما فقام اليه ذلك الرجل فلطم عينه فخضرها والوليد بن المغيرة قريب يرى ما بلغ من عثمان فقال أما والله يا ابن أخي ان كانت عينك عما أصابها لغنية لقد كنت في ذمة منيعة قال يقول

عثمان بل والله ان عيني الصحيحة لفقيرة الى مثل ما أصاب أختها في الله واني لفي جوار من هو أعز منك وأقدر يا أبا عبد شمس فقال له الوليد هلم يا ابن أخي ان شئت فعد الى جوارك فقال لا * قال ابن اسحق وأما أبو سلمة بن عبد الأسد فحدثني أبي اسحق بن يسار عن سلمة بن عبد الله ابن عمر بن أبي سلمة أنه حدثه أن أبا سلمة لما استجار بأبي طالب مشى اليه رجال من بني مخزوم فقالوا يا أبا طالب هذا منعت منا ابن أخيك محمدا فما لك ولصاحبنا تمنعه منا قال انه استجار بي وهو ابن أختي وان أنا لم أمنع ابن أختي لم أمنع ابن أخي فقام أبو لهب فقال يا معشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ما تزالون توثبون عليه في جواره من بين قومه والله لتنتهن عنه أو لنقومن معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد قال فقالوا بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة وكان لهم وليا وناصرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبقوا على ذلك فطمع فيه أبو طالب حين سمعه يقول ما يقول ورجا أن يقوم معه في شأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو طالب يحرض أبا لهب على نصرته ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان امرأ أبو عتيبة عمه * لفي روضة ما ان يسام المظالما أقول له وأين منه نصيحتي * أبا معتب ثبت سوادك قائما

فلا تقبلن الدهر ما عشت خطة * تسب بها اما هبطت المواسما وول سبيل العجز غيرك منهم * فانك لم تخلق على العجز لازما

وحارب فان الحرب نصف ولن ترى * أخا الحرب يعطي الخسف حتى يسالما * وكيف ولم يجنوا عليك عظيمة *

ولم يخذلوك غانما أو مغارما * جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * وتيما ومخزوما عقوقا ومأثما

بتفريقهم من بعد ود وألفة * جماعتنا كيما ينالوا المحارما كذبتم وبيت الله نبزى محمدا * ولما تروا يوما لدى الشعب قائما

فيها اشكال غير سؤال واحد وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدق كلمة قالها الشاعر قول لبيد * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * فصدقه في هذا القول وهو عليه السلام يقول في مناجاته أنت الحق وقولك الحق ووعدك الحق والجنة حق والنار حق والساعة حق فكيف يجتمع هذا مع قوله * ألا كل شيء ما خلا الله باطل * فالجواب من وجهين أحدهما أن يريد بقوله ما خلا الله ما عداه وعدا رحمته التي وعد بها من رحمته والنار وما توعد به من عقابه وما سوى ذلك فباطل أي مضمحل (والجواب الثاني) أن الجنة والنار وان كانتا حقا فان الزوال عليهما جائز لذاتهما وانما يبقيان بابقاء الله لهما وانه يخلق الدوام لأهلهما على قول من جعل الدوام والبقاء معنى زائدا على الذات وهو قول الأشعري وانما الحق على الحقيقة من لا يجوز عليه الزوال وهو القديم الذي انعدامه محال ولذلك قال عليه السلام أنت الحق بالألف واللام أي المستحق لهذا الاسم على الحقيقة وقولك الحق لأن قوله قديم ليس بمخلوق فيبيد ووعدك الحق كذلك لأن وعده كلامه هذا مقتضى الألف واللام ثم قال والجنة حق والنار حق بغير ألف ولام ولقاؤك حق كذلك لأن هذه أمور محدثات والمحدث لا يجب له البقاء من جهة ذاته وانما علمنا بقاءها من جهة الخبر الصادق الذي لا يجوز عليه الخلف لا من جهة استحالة الفناء عليها كما يستحيل على القديم سبحانه الذي هو الحق وما خلاه باطل فاما جوهر واما عرض وليس في الأعراض الا ما يجب له الفناء ولا في الجواهر الا ما يجوز عليه الفناء والبطول وان بقي ولم يبطل فجائز أن يبطل وأما الحق سبحانه فليس من قبيل الجواهر والأعراض فيستحال عليه ما يجب لهما أو يجوز عليهما

فصل

«قال ابن هشام» تعزى تسلب «قال ابن هشام» بقي منها بيت تركناه * قال ابن اسحق وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه كما حدثني محمد بن مسلم الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها حين ضاقت عليه مكة وأصابه فيها الأذى ورأى من تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما رأى استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة فأذن له فخرج أبو بكر مهاجراً حتى اذا سار من مكة يوما أو يومين لقيه ابن الدغنة أخو بني الحرث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة وهو يومئذ سيد الأحابيش * قال ابن اسحق والأحابيش بنو الحرث بن عبد مناة بن كنانة والهون بن خزيمة بن مدركة وبنو المصطلق من خزاعة «قال ابن هشام» تحالفوا جميعا فسموا الأحابيش للحلف ويقال ابن الدغينة * قال ابن اسحق وحدثني الزهري عن عروة عن عائشة قالت فقال ابن الدغنة أين يا أبا بكر قال أخرجني قومي وآذوني وضيقوا علي قال ولم فوالله انك لتزين العشيرة وتعين على النوائب وتفعل المعروف وتكسب المعدوم ارجع وأنت في جواري فرجع معه حتى اذا دخل مكة قام ابن الدغنة فقال يا معشر قريش اني قد أجرت ابن أبي قحافة فلا يعرضن له أحد الا بخير قالت فكفوا عنه قالت وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني جمح فكان يصلي فيه وكان رجلا رقيقا اذا قرأ القرآن استبكى قالت فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته قالت فمشى رجال من قريش الى ابن الدغنة فقالوا يا ابن الدغنة انك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا انه رجل اذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق ويبكي وكانت له هيئة ونحو فنحن نتخوف على صبياننا ونسائنا وضعفتنا أن يفتنهم فأته فمره أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء قالت فمشى ابن الدغنة اليه فقال يا أبا بكر اني لم أجرك لتؤذي قومك انهم قد كرهوا مكانك الذي أنت به وتأذوا بذلك منك فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت قال أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله قال فاردد علي جواري قال قد (٢٣١) رددته عليك قال فقام ابن الدغنة فقال يا معشر قريش ان ابن أبي قحافة قد رد علي جواري فشأنكم بصاحبكم * قال ابن اسحق وحدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد قال لقيه سفيه من سفهاء قريش وهو عامد الى الكعبة فحثا على رأسه ترابا قال فمر بأبي بكر الوليد بن المغيرة أو العاص بن وائل قال فقال أبو بكر ألا ترى الى ما يصنع هذا السفيه قال أنت فعلت ذلك بنفسك قال وهو يقول أي رب ما أحلمك أي رب ما أحلمك أي رب ما أحلمك

﴿حديث نقض الصحيفة﴾ * قال ابن اسحق وبنو هاشم وبنو المطلب في منزلهم الذي تعاقدت فيه قريش عليهم في الصحيفة التي كتبوها ثم انه قام في نقض تلك الصحيفة التي تكاتبت فيها قريش على بني هاشم وبني المطلب نفر من قريش ولم يبل فيها أحد أحسن من بلاء هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحرث بن حبيب بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي وذلك انه كان ابن أخي نضلة بن هاشم بن عبد مناف لامه وكان هشام لبني هاشم واصلا وكان ذا شرف في قومه فكان فيما بلغني يأتي بالبعير وبنو هاشم وبنو المطلب في الشعب ليلا قد أوقره طعاما حتى اذا أقبل به فم الشعب خلع خطامه من رأسه ثم ضرب على جنبه فيدخل الشعب عليهم ثم يأتي به قد أوقره برا فيفعل به مثل ذلك * قال ابن اسحق ثم انه مشى الى زهير بن أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا زهير أقد رضيت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب وتنكح النساء وأخوالك حيث قد علمت لا يباعون ولا يبتاع منهم ولا ينكحون ولا ينكح اليهم أما اني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام ثم دعوته الى مثل ما دعاك اليه منهم ما أجابك اليه أبدا قال ويحك يا هشام فماذا أصنع انما أنا رجل واحد والله أن لو كان معي رجل آخر لقمت في نقضها حتى أنقضها قال قد وجدت رجلا قال من هو قال أنا قال له زهير أبغنا رجلا ثالثا فذهب الى المطعم بن عدي فقال له يا مطعم أقد رضيت أن يهلك بطنان من بني عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم اليها منكم سراعا قال ويحك فماذا أصنع انما أنا رجل واحد قال قد وجدت ثانيا قال من هو قال أنا قال أبغنا ثالثا قال قد فعلت قال من هو قال زهير بن أبي أمية قال أبغنا رابعا فذهب الى أبي البختري بن هشام فقال له نحوا مما قال للمطعم بن عدي فقال

﴿فصل﴾ وذكر حديث أبي بكر حين لقيه ابن الدغنة واسمه مالك وهو سيد الأحابيش وقد سماهم ابن اسحق وهم بنو الحارث وبنو الهون من كنانة وبنو المصطلق من خزاعة تحبشوا أي تجمعوا فسموا الأحابيش قيل انهم تحالفوا عند جبل يقال له حبشي فاشتق لهم من هذا الاسم * وقوله لأبي بكر انك لتكسب المعدوم يقال كسبت الرجل مالا فعدي الى مفعولين هذا قول الأصمعي وحكى غيره أكسبته مالا فمعنى تكسب المعدوم أي تكسب غيرك ما هو معدوم عنده والدغنة اسم امرأة عرف بها الرجل والدغن الغيم يبقى بعد المطر

﴿فصل﴾ وذكر نقض الصحيفة وقيام هشام فيها ونسبه فقال هشام بن الحارث بن حبيب وفي الحاشية عن أبي الوليد انما هو هشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث وهكذا وقع نسبه في رواية يونس عن ابن اسحق وكان أبوه عمرو أخا نضلة بن هاشم لامه * وذكر أنه كان يأتي بالبعير قد أوقره

وهل من أحد يعين على هذا قال نعم قال من هو قال زهير بن أبي أمية والمطعم بن عدي وأنا معك قال ابغنا خامسا فذهب الى زمعة بن الاسود بن المطلب بن أسد فكلمه وذكر له قرابتهم وحقهم فقال له وهل على هذا الامر الذي تدعوني اليه من أحد قال نعم ثم سمى له القوم فاتعدوا خطم الحجون ليلا بأعلى مكة فاجتمعوا هنالك فأجمعوا أمرهم وتعاقدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها وقال زهير أنا أبدؤكم فأكون أول من يتكلم فلما أصبحوا غدوا الى

أنديتهم وغدا زهير بن أبي أمية عليه حلة فطاف بالبيت سبعا ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباعون ولا يبتاع منهم والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة قال أبو جهل وكان في ناحية المسجد كذبت والله لا تشق قال زمعة بن الاسود أنت والله أكذب ما رضينا كتابها حيث كتبت قال أبو البختري صدق زمعة لا نرضى ما كتب فيها ولا نقر به قال المطعم بن عدي صدقتما وكذب من قال غير ذلك نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها قال هشام بن عمرو نحوا من ذلك قال أبو جهل هذا أمر قضي بليل تشوور فيه بغير هذا المكان وأبو طالب جالس في ناحية المسجد فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الارضة قد أكلتها الا باسمك اللهم وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فشلت يده فيما يزعمون « قال ابن هشام » وقد ذكر بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبي طالب يا عم ان الله قد سلط يدمى

الارضة على صحيفة قريش فلم تدع فيها اسما هو لله الا أثبتته فيها ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان فقال أربك أخبرك بهذا قال نعم قال فوالله ما يدخل عليك أحد ثم خرج الى قريش فقال يا معشر قريش ان ابن أخي أخبرني بكذا وكذا فهلم صحيفتكم فان كانت كما قال ابن أخي فقال القوم رضينا فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا فاذا هي كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فزادهم ذلك شرا فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا * قال ابن اسحق فلما مزقت الصحيفة وبطل ما فيها قال أبو طالب فيما كان من أمر أولئك النفر الذين قاموا في نقضها يمدحهم

برا بالزاي المعجمة وفي غير نسخة الشيخ أبي بحر برا أو في رواية يونس بزا أو برا على الشك من الراوي * وذكر أن منصور بن عكرمة كان كاتب الصحيفة فشلت يده وللنساب من قريش في كاتب الصحيفة قولان أحدهما ان كاتب الصحيفة هو بغيض بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار والقول الثاني انه منصور بن عبد شرحبيل بن هاشم من بني عبد الدار أيضا وهو خلاف قول ابن اسحق ولم يذكر الزبير في كاتب الصحيفة غير هذين القولين والزبيريون أعلم بانساب قومهم * وذكر ما أصاب المؤمنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب من ضيق الحصار لا يبايعون ولا يناكحون وفي الصحيح انهم جهدوا حتى كانوا يأكلون الخبط وورق السمر حتى ان أحدهم ليضع كما تضع الشاة وكان فيهم سعد بن أبي وقاص روي انه قال لقد جعت حتى اني وطئت ذات ليلة على شيء رطب فوضعته في فمي وبلعته وما أدري ما هو الى الآن وفي رواية يونس ان سعدا قال خرجت ذات ليلة لابول فسمعت قعقعة تحت البول فاذا قطعة من جلد بعير يابسة فأخذتها وغسلتها ثم أحرقتها ثم رضضتها وسففتها بالماء فتقويت بها ثلاثا وكانوا اذا قدمت العير مكة يأتي أحدهم السوق ليشتري شيئا من الطعام لعياله فيقوم أبو لهب عدو الله فيقول يا معشر التجار غالوا على أصحاب محمد حتى لا يدركوا معكم شيئا فقد علمتم مالي ووفاء ذمتي فأنا ضامن ان لا خسار عليكم فيزيدون عليهم في السلعة قيمتها أضعافا حتى يرجع الى أطفاله وهم يتضاغون من الجوع وليس في يديه شيء يطعمهم به ويغدوا التجار على أبي لهب فيربحهم فيما اشتروا من الطعام واللباس حتى جهد المؤمنون ومن معهم جوعا وعريا وهذه احدى الشدائد الثلاث التي دل عليها قول الغطات الثلاث التي غطه جبريل حين قال له اقرأ قال ما أنا بقارئ وان كان ذلك كان في اليقظة ولكن مع ذلك له في مقتضى الحكمة تأويل واتباع وقد تقدمت الاشارة الى هذا قبل والى آخر حديث الصحيفة ليس فيها ما يشكل * وقول أبي طالب الا أبلغا عني بحريا يعني الذين بارض الحبشة نسبهم الى البحر لركوبهم اياه وهكذا وجه النسب اليه وقد قال عليه السلام اذا نشأت بحرية وزعم ابن سيدة في كتاب المحكم ان العرب تنسب الى البحر بحراني على غير قياس وانه من شواذ النسب ونسب هذا القول الى سيبويه والخليل ولم يقله سيبويه قط وانما قال في شواذ النسب تقول في بهراء بهراني وفي صنعاء صنعاني كما تقول بحراني في النسب الى البحرين التي هي مدينة وعلى هذا تلقاه جميع النحاة وتأولوه من كلام سيبويه وانما اشتبه على ابن سيدة لقول الخليل في هذه المسئلة أعني مسئلة النسب الى البحرين كانهم بنوا البحر على بحران وانما أراد لفظ البحرين الا تراه يقول في كتاب العين تقول بحراني في النسب الى البحرين ولم يذكر النسب الى البحر أصلا للعلم به وانه على القياس جار وفي الغريب المصنف عن اليزيدي انه قال انما قالوا بحراني في النسب الى البحرين ولم يقولوا بحري ليفرقوا بينه وبين النسب الى البحر وما زال ابن سيدة يعثر في هذا الكتاب وغيره

ألاهل أتى بحر يناصنع ربنا * على نايهم والله بالناس أرود   فيخبرهم ان الصحيفة مزقت * وان كل مالم يرضه الله مفسد
تراوحها افك وسحر مجمع * ولم يلف سحر آخر الدهر يصعد   تداعى لها من ليس فيها بقرقر * فطائرها فى رأسها يتردد
وكانت كفاء وقعة بأثيمة * ليقطع منها ساعد ومقلد   ويظعن أهل المكتين فيهربوا * فرائصهم من خشية الشر ترعد
ويترك حراث يقلب أمره * أيتهم فيها عند ذاك وينجد

وتصعد بين الاخشبين كتيبة *

يدمى منها الاظل ويدحض دحضات تخرجه الى سبيل من ضل ألا تراه قال فى هذا الباب وذكر بحيرة طبرية فقال هى من أعلام خروج الدجال وان ماءها ييبس عند خروجه والحديث انما جاء فى عين زغر وانما ذكرت بحيرة طبرية فى حديث يأجوج ومأجوج وانهم يشربون ماءها وقال فى الجمار فى غير هذا الكتاب هى التى ترمى بعرفة وهذه هفوة لا تقال وعثرة لا لعا لها وكم له من هذا اذا تكلم فى النسب وغيره ومن النسب الى البحر قوله عليه السلام لاسماء بنت عميس حين قدمت من أرض الحبشة البحرية الحبشية فهذا مثل قول أبى طالب الا هل أتى بحرينا * وقوله والله بالناس أرود أى ارفق ومنه رويدك أى رفقا جاء بلفظ التصغير لانهم يريدون به تقليلا أى ارفق قليلا وليس له مكبر من لفظه لان المصدر أرواد الا ان يكون من باب تصغير الترخيم وهو ان تصغير الاسم الذى فيه الزوائد فتحذفها فى التصغير فتقول فى اسود سويد وفى مثل أرواد رويد * وقوله من ليس فيها بقرقر أى ليس بذليل لان القرقر الارض الموطوءة التى لا تمنع سالكها ويجوز ان يريد به ليس بذى هزل لان القرقرة الضحك * وقوله وطائرها فى رأسها يتردد أى حظها من الشؤم والشر وفى التنزيل «ألزمناه طائره فى عنقه» * وقوله لها حدج سهم وقوس ومرهد وجدت فى حاشية كتاب الشيخ مما كتبه عن أبى الوليد الكنانى على هذا البيت لعله حدج بضم الحاء والدال جمع حدج على ماحكى الفارسى وأنشد شاهدا عليه عن ثعلب * قدنا فانسنا الحمول والحدج *

ونظيره ستر وستر ذكر ذلك عنه ابن سيده فى محكمه فيكون المعنى ان الذى يقوم لها مقام الحدج سهم وقوس ومرهد الى هنا انتهى ما فى حاشية كتاب الشيخ {قال المؤلف} وفى العين الحدج حسك الحنظل فيكون الحدج فى البيت مستعارا من هذا أى لها حسك ثم فسره فقال سهم وقوس ومرهد هكذا فى الاصل بالراء وكسر الميم فيحتمل ان يكون مقلوبا من مرهد مفعل من رهد الثوب اذا مزقه ويعنى به رمحا أو سيفا ويحتمل ان يكون غير مقلوب ويكون من الرهيد وهو الناعم أى ينعم صاحبه بالظفر أو ينعم هو بالرى من الدم وفى بعض النسخ مزهد بفتح الميم والزاى فان صحت الرواية به فمعناه مزهد فى الحياة وحرص على الممات والله أعلم * وقوله فيها اذا اجملت ايدى المفيضين ترعد يعنى أيدى المفيضين بالقداح فى الميسر وكان لا يفيض معهم فى الميسر الا سخى ويسمون من لا يدخل معهم فى ذلك البرم وقالت امرأة لبعلها وكان برما بخيلا ورأته يقرن بضعتين فى الاكل أبرما قرونا ويسمونه أيضا الحصور يريد أبو طالب انهم يطعمون اذا بخل الناس والميسر هى الجزور التى تقسم يقال يسرت اذا قسمت هكذا فسره القتبى وأنشد

أقول لهم بالشعب اذ ييسرونى * ألم ييأسوا انى ابن فارس زهدم

قال ييسرونى أى يقتسمون مالى ويروى يأسرونى من الاسر * وقوله رفرف الدرع أحرد رفرف الدرع فضولها وقيل فى معنى رفرف خضر فضول الفرش والبسط وهو قول ابن عباس وعن على انها المرافق وعن سعيد بن جبير الرفارف رياض الجنة والاحرد الذى فى مشيه تثاقل وهو من الحرد وهو عيب فى الرجل وفيه * هم رجعوا سهل بن بيضاء راضيا * سهل هذا هو ابن وهب بن ربيعة بن هلال بن ضبة

لها حدج سهم وقوس ومرهد
فمن ينس من حضار مكة عزه * فعزتنا فى بطن مكة أتلد
نشأنا بها والناس فيها قليل * فلم ننفكك نزداد خيرا ونحمد
ونطعم حتى يترك الناس فضلهم
اذا جعلت أيدى المفيضين ترعد
جزى الله رهطا بالحجون تتابعوا
على ملا يهدى لحزم ويرشد
قعودا لدى حطم الحجون كأنهم
مقاولة بل هم أعز وأمجد
أعان عليها كل صقر كأنه * اذا ما مشى فى رفرف الدرع أحرد
جرئ على جل الخطوب كأنه
شهاب بكفى قابس يتوقد
من الاكرمين من لؤى بن غالب
اذا سيم خسفا وجهه يتربد
طويل النجاد خارج نصف ساقه
على وجهه يسقى الغمام ويسعد
عظيم الرماد سيد وابن سيد *

يحض على مقرى الضيوف ويحشد * ويبنى لابناء العشيرة صالحا * اذا نحن طفنا فى البلاد ويمهد
الظ بهذا الصلح كل مبرأ * عظيم اللواء أمره ثم يحمد   قضوا ما قضوا فى ليلهم ثم أصبحوا * على مهل وسائر الناس رقد
هم رجعوا سهل بن بيضاء راضيا * وسر أبو بكر بها ومحمد   متى شرك الاقوام فى جل أمرنا * وكنا قديما قبلها نتودد
وكنا قديما لانقر ظلامة * وندرك ما شئنا ولا نتشدد   فيال قصى هل لكم فى نفوسكم * وهل لكم فيما يجئ به غد

فانى وايا كم كما قال قائل * لديك البيان لو تكلمت أسود

وقال حسان بن ثابت يبكى لمطعم بن عدى حين مات ويذكر قيامه فى نقض الصحيفة

أياعين فابكى سيد القوم واسفحى * بدمع وان أنزفته فاسكبى الدما

وبكى عظيم المشعرين كليهما * على الناس معروفا له ما تكلما

فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا * من الناس أبقى مجده اليوم مطعما

أجرت رسول الله منهم فاصبحوا * عبيدك مالبى مهل وأحرما

فلو سئلت عنه معد باسرها * وقحطان أو باقى بقية جرهما

لقالوا هو الموفى بخفرة جاره * وذمته يوما اذا ما تذمما

فما تطلع الشمس المنيرة فوقهم * على مثله فيهم أعز وأعظما

وآبى اذا يأبى وأعظم شيمة * وأنوم عن جار اذا الليل أظلما

«قال ابن هشام» قوله كليهما عن غير ابن اسحق «قال ابن هشام» وأما قوله أجرت رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عن أهل الطائف ولم يجيبوه الى ما دعاهم اليه من تصديقه ونصرته صار الى حراء ثم بعث الى الاخنس بن شريق ليجيره فقال أنا حليف والحليف لا يجير فبعث الى سهيل بن عمرو فقال ان بنى عامر لا تجير على بنى كعب فبعث الى المطعم بن عدى فاجابه الى ذلك ثم تسلح المطعم وأهل بيته وخرجوا حتى أتوا المسجد ثم بعث الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أدخل فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فطاف بالبيت وصلى عنده ثم انصرف الى منزله فذلك الذى يعنى حسان بن ثابت * قال ابن اسحق وقال حسان بن ثابت أيضا يمدح هشام بن عمرو لقيامه فى الصحيفة

هل يوفين بنو أمية ذمة * عقدا كما أوفى جوار هشام

من معشر لا يغدرون بجارهم * للحارث بن حبيب بن سخام

واذا بنو حسل أجاروا ذمة * أوفوا وأدوا جارهم بسلام

وكان هشام أخا سخام «قال ابن هشام» ويقال شحام * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يرى من قومه يبذل لهم النصيحة ويدعوهم الى النجاة مما هم فيه وجعلت قريش حين منعه الله منهم يحذرونه الناس ومن قدم عليهم من العرب وكان الطفيل بن عمرو الدوسى يحدث انه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها فمشى اليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا

ابن الحارث بن فهر يعرف بابن البيضاء وهى أمه واسمها دعد بنت جحدم بن أمية بن ضرب بن الحارث بن فهر وهم ثلاثة اخوة سهل وسهيل وصفوان بنو البيضاء * وقوله

وانى وايا هم كما قال قائل * لديك البيان لو تكلمت أسود

أسود اسم جبل كان قد قتل فيه قتيل فلم يعرف قاتله فقال أولياء المقتول هذه المقالة فذهبت مثلا

﴿فصل﴾ وذكر قول حسان فى مطعم بن عدى ويذكر جواره للنبى عليه السلام وذلك حين رجع من الطائف وقيامه فى أمر الصحيفة

فلو كان مجد يخلد الدهر واحدا * من الناس أبقى مجده اليوم مطعما

وهذا عند النحويين من أقبح الضرورة لانه قدم الفاعل وهو مضاف الى ضمير المفعول فصار فى الضرورة مثل قوله * جزى ربه عنى عدى بن حاتم * غير انه فى هذا البيت أشبه قليلا لتقدم ذكر مطعم فكأنه قال أبقى مجد هذا المذكور المتقدم ذكره مطعما ووضع الظاهر موضع المضمر كما لو قلت ان زيدا ضربت جاريته زيدا أى ضربت جاريته اياه ولا بأس بمثل هذا ولا سيما اذا قصدت قصد التعظيم وتفخيم ذكر الممدوح كما قال الشاعر

ومالى ان أكون أعيب يحيى * ويحيى طاهر الأثواب بر

ويجوز نصبه على على البدل من قوله وبكى عظيم المشعرين ويكون المفعول من قوله أبقى مجده محذوفا فكأنه قال أبقاه مجده أبدا والمفعول قد يحذف فى مثل هذا اذا دل عليه الكلام كما فى هذا البيت * وذكر قول حسان فى هشام بن عمرو وقال فيه للحارث بن حبيب بن سخام وقد تقدم نسبه وهو حبيب بالتخفيف تصغير حب وجعله حسان تصغير حبيب فشدده ولكن هذا من باب الضرورة اذ لا يسوغ أن يقال فى فليس فليس ولا فى كليب كليب فى شعر ولا غيره ولكن لما كانا الحب والحبيب بمعنى واحد جعل أحدهما مكان الآخر وهو حسن فى الشعر وسائغ فى الكلام وهشام بن عمرو هذا أسلم وهو معدود فى المؤلفة قلوبهم وكانوا أربعين رجلا فيما ذكروا * وقوله ابن سخام هو اسم أمه وأكثر أهل النسب يقولون فيه شحام بشين معجمة وألفيت فى حاشية كتاب الشيخ ان أبا عبيدة النسابة وعوانة يقولون فيه سحام بسين وحاء مهملتين والذى فى الاصل من قول ابن هشام سخام بسين مهملة وخاء معجمة ولفظ شخام من شخم الطعام وخشم اذا تغيرت رائحته قاله أبو حنيفة

﴿فصل﴾ وذكر حديث طفيل بن عمرو الدوسى وهو طفيل بن عمرو بن طريف بن العاصى بن ثعلبة بن

فقالوا له يا طفيل انك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذى بين أظهرنا قد أعضل بنا وقد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وانما قوله كالسحر يفرق بين الرجل و بين أبيه و بين الرجل و بين أخيه و بين الرجل و بين زوجته وانا نخشى عليك وعلى قومك ماقد دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمعن منه شيئاً قال فوالله مازالوا بى حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه حتى حشوت فى أذنى حين غدوت الى المسجد كرسفا فرقا من أن يبلغنى شىء من قوله وأنا لا أريد أن أسمعه قال فغدوت الى المسجد فاذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يصلى عند الكعبة قال فقمت منه قريبا فأبى الله الا ان يسمعنى بعض قوله قال فسمعت كلاما حسنا قال فقلت فى نفسى واثكل أمى والله انى لرجل لبيب شاعر مايخفى على الحسن من القبيح فما يمنعنى ان أسمع من هذا الرجل مايقول فان كان الذى يأتى به حسنا قبلته وان كان قبيحا تركته قال فمكثت حتى انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيته فاتبعته حتى اذا دخل بيته دخلت عليه فقلت يا محمد ان قومك قد قالوا لى كذا وكذا للذى قالوا فوالله مابرحوا يخوفونى أمرك حتى سددت أذنى بكرسف لئلا أسمع قولك ثم أبى الله الا ان يسمعنى قولك فسمعته قولا حسنا فاعرض على أمرك قال فعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم الاسلام وتلا على القرآن فلا والله ماسمعت قولا قط أحسن منه ولا أمرا أعدل منه قال فاسلمت وشهدت شهادة الحق وقلت يانبى الله انى امرؤ مطاع فى قومى وأنا راجع اليهم وداعيهم الى الاسلام فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عونا عليهم فيما أدعوهم اليه قال اللهم اجعل له آية قال فخرجت الى قومى حتى اذا كنت بثنية تطلعنى على الحاضر وقع نور بين عينى مثل المصباح قال فقلت اللهم فى غير وجهى انى أخشى أن يظنوا انها مثلة وقعت فى وجهى لفراقى دينهم قال فتحول فوقع فى رأس سوطى قال فجعل الحاضر يتراءون ذلك النور فى سوطى كالقنديل المعلق وأنا أهبط اليهم من الثنية قال حتى جئتهم فاصبحت فيهم قال فلما نزلت أتانى أبى وكان شيخا كبيرا قال فقلت اليك عنى يا أبت فلست منك ولست منى قال لم يابنى قال قلت أسلمت وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم قال أى بنى فدينى دينك قال فقلت فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك ثم تعال حتى أعلمك ما علمت قال فذهب فاغتسل وطهر ثيابه قال ثم جاء فعرضت عليه الاسلام فاسلم ثم أتتنى صاحبتى فقلت اليك عنى فلست منك ولست منى قالت لم بأبى أنت وأمى قال فرق بينى و بينك الاسلام وتابعت دين محمد صلى الله عليه وسلم قالت فدينى دينك قال قلت فاذهبى الى حنى ذى الشرى «قال ابن هشام» و يقال حمى ذى الشرى فتطهرى منه وكان ذو الشرى صنما لدوس وكان الحمى حمى حموه له به وشل من ماء يهبط من جبل قال قالت بأبى أنت وأمى أتخشى على الصبية من ذى الشرى شيئا قال قلت لا أنا ضامن لذلك قال فذهبت فاغتسلت ثم جاءت فعرضت عليها الاسلام فاسلمت ثم دعوت دوسا الى الاسلام فابطؤا على ثم جئت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فقلت له يانبى الله انه قد غلبنى على دوس الزنا فادع الله عليهم فقال اللهم اهد دوسا ارجع الى قومك فادعهم وارفق بهم قال فلم أزل بارض دوس أدعوهم الى الاسلام حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق ثم قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن أسلم معى من قومى ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر حتى نزلت المدينة بسبعين أو ثمانين بيتا من دوس ثم لحقنا برسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر فاسهم لنا مع المسلمين ثم لم أزل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا فتح الله عليه مكة قال قلت يارسول الله ابعثنى الى ذى الكفين صنم عمرو بن حممة حتى أحرقه «قال ابن اسحق» فخرج اليه فجعل طفيل يوقد عليه النار و يقول

يا ذا الكفين لست من عبادكا * ميلادنا أقدم من ميلادكا * انى حشوت النار فى فؤادكا

قال ثم رجع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان معه بالمدينة حتى قبض الله رسوله صلى الله عليه وسلم فلما ارتدت العرب خرج مع المسلمين فسار معهم حتى فرغوا من طليحة ومن أرض نجد كلها ثم سار مع المسلمين الى اليمامة ومعه ابنه عمرو بن الطفيل فرأى رؤيا وهو متوجه الى اليمامة فقال لاصحابه انى قد رأيت رؤيا فاعبروها لى رأيت ان رأسى حلق وانه خرج من فمى طائر وانه لقيتنى امرأة فأدخلتنى فى فرجها وأرى ابنى يطلبنى طلبا حثيثا ثم رأيته حبس عنى قالوا خيرا قال اما أنا والله فقد أولتها قالوا ماذا قال أما حلق رأسى فوضعه وأما الطائر الذى خرج من فمى فروحى واما المرأة التى ادخلتنى فرجها فالارض تحفر لى فأغيب فيها واما طلب ابنى اياى ثم حبسه عنى فانى اراه سيجهد ان يصيبه ما اصابنى فقتل رحمه الله شهيدا باليمامة

سليم بن جهم بن غنم بن دوس الى آخره وليس فيه اشكال الا قوله حنى ذى الشرى وقد قال ابن هشام هو حمى وهو موضع حموه لصنمهم ذى الشرى فان صحت رواية ابن اسحق فالنون قد تبدل من الميم كما قالوا حلان وحلام للجدى و يجوز أن يكون من حنوت العود ومن حنية الوادى وهو ما انحنى منه * وقوله ياذا الكفين لست من عبادكا أراد الكفين بالتشديد فخفف للضرورة غير أن فى نسخة الشيخ ان الصنم كان يسمى ذا الكفين وخفف الفاء بخطه بعد ان كانت مشددة فدل انه عنده مخفف فى غير الشعر فان صح هذا فهو محذوف اللام كأنه تثنية كف من كفأت الاناء أو اذا كفئ بمعنى كفئ ثم سهلت الهمزة وألقيت حركتها

وجرح ابنه جراحة شديدة ثم استبل منها ثم قتل عام اليرموك في زمن عمر رضي الله عنه شهيدا «قال ابن هشام» حدثني خلاد بن قرة بن خالد السدوسي وغيره من مشايخ بكر بن وائل من اهل العلم ان اعشى بني قيس بن ثعلبة ابن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الاسلام فقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا * وبت كما بات السليم مسهدا
وما ذاك من عشق النساء وانما * تناسيت قبل اليوم خلة مهددا
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن * اذا أصلحت كفاي عاد فأفسدا
كهولا وشبانا فقدت وثروة * فلله هذا الدهر كيف ترددا
ومازلت ابغي المال مذ انا يافع * وليدا وكهلا حين شبت وامردا
وابتذل العيس المراقيل تغتلي * مسافة ما بين النجير فصرخدا
الا ايهذا السائلي اين يممت * فان لها في اهل يثرب موعدا
فان تسألي عني فيا رب سائل * حفي عن الاعشى به حيث اصعدا
أجدت برجليها النجاء وراجعت * يداها خنافا لينا غير احردا
وفيها اذا ما هجرت عجرفية * اذا خلت حرباء الظهيرة اصيدا

على القفاء كما قال الحبيب والنحب وفي الحديث ان أهل الحاضر من دوس كانوا يتراؤنه في الثنية وفي سوطه كالقنديل المعلق وذكره المبرد فقال في لفظ الحديث جعلوا ينظرون الى الجبل وهو يهتف من شدة الضياء والنور وروى أبو الزناد عن الاعرج عن أبي هريرة قال لما قال طفيل للنبي صلى الله عليه وسلم ان دوسا غلب عليها الزنى والربا فادع الله عليهم قلنا هلكت دوس حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اهد دوسا

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن هشام حديث الاعشى وقصيدته الى آخرها فاما كان قريبا من مكة لقيه بعض المشركين فقال الى أين يا أبا بصير الحديث وذكر تحريمه الخمر وتحريمه الزنى وقول الاعشى أما الخمر ففي النفس منها علالات وقال غير ابن هشام كان القائل للاعشى هذه المقالة أبو جهل قالها في دار عتبة بن ربيعة وكان نازلا عنده «قال المؤلف» وهذه غفلة من ابن هشام ومن قال بقوله فان الناس مجمعون على ان الخمر لم ينزل تحريمها الا بالمدينة بعد ان مضت بدر وأحد وحرمت في سورة المائدة وهي من آخر ما نزل وفي الصحيحين من ذلك قصة حمزة حين شربها وغنته القينتان الا يا حمز للشرف النواء فبقر خواصر الشارفين واجتب اسنمتهما وقوله للنبي عليه السلام هل أنتم الا عبيد لآبائي وهو على الحديث بطوله فان صح خبر الاعشى وما ذكر له في الخمر فلم يكن هذا بمكة وانما كان بالمدينة ويكون القائل له اما علمت انه يحرم الخمر من المنافقين أو من اليهود فالله أعلم وفي القصيدة ما يدل على هذا قوله فان لها في أهل يثرب موعدا وقد ألفيت للقالي رواية عن أبي حاتم عن أبي عبيدة قال لقي الاعشى عامر بن الطفيل في بلاد قيس وهو مقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له انه يحرم الخمر فرجع فهذا أولى بالصواب وقول الاعشى أروى منها هذا العام ثم أعود فاسلم لا يخرجه عن الكفر باجماع قال الاسفرايني في عقيدته اذا قال المؤمن سأكفر غدا أو بعد غد فهو كافر لحينه باجماع واذا قال الكافر سأومن غدا أو بعد غد فهو على كفره لا يخرجه عن حكم الكفر الا ايمانه اذا آمن ولا خلاف في هذا والله المستعان * وقوله ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا * لم ينتصب ليلة على الظرف لان ذلك يفسد معنى البيت ولكن أراد المصدر فحذفه والمعنى اغتماض ليلة أرمد فحذف المضاف الى الليلة وأقامها مقامه فصار اعرابها كاعرابه وقد روى هذا البيت ليلك بالكاف ومعناه غمض أرمد وقيل بل أرمد على هذه الرواية من صفة الليل أي حال منه على المجاز كما تقول ليلك ساهر * وقوله تناسيت قبل اليوم خلة مهددا * مهدد مفعل من الهد ولولا قيام الدليل على ان الميم أصلية لحكنا بانه مفعل لان الكلمة الرباعية اذا كان أولها ميما أو همزة حملها على الزيادة الا أن يقوم دليل على أنها أصلية والدليل على هذه الكلمة ظهور التضعيف في الدال اذ لو كانت الميم زائدة لما ظهر التضعيف ولقلت فيه مهد كما تقول مرد ومكر ومفر في كل ما وزنه مفعل من المضاعف وانما الدال في مهدد ضوعفت ليلحق ببناء جعفر * وقوله اذا خلت حرباء الظهيرة أصيدا * والاصيد المائل العنق ولما كانت الحرباء تدور بوجهها مع الشمس كيفما دارت كانت في وسط السماء في أول الزوال كالاصيد وذلك أحر ما تكون الرمضاء يصف ناقته بالنشاط وقوة المشي في ذلك الوقت * وقوله خنافا لينا * في اليدين خنفت الناقة تخنف بيديها في السير اذا مالت بهما نشاطا وناقة خنوف قال الراجز

ان السواء والنسيل والرغف * والقينة الحسناء والكأس الأنف
* للظاعنين الخيل والخيل خنف *

* وقوله لينا غير أحردا أي تفعل ذلك من غير حرد في يديها أي اعوجاج والنجير وصرخد بلدان وأهل النجير أول من ارتد في خلافة أبي بكر بعد أهل دبا وكان أهل دبا قد حاصرهم حذيفة بن أسيد وحاصر

وآليت لا آوى لها من كلالة * ولا من حفى حتى تلاقى محمدا * متى ماتناخى عندباب ابن هاشم * تراحى وتلقى من فواضله ندى
نبي يرى مالا ترون وذكره * اغار لعمرى فى البلاد وانجدا * له صدقات ماتغب ونائل * وليس عطاء اليوم مانعه غدا
اجدك لم تسمع وصاة محمد * نبي الاله حيث أوصى وأشهدا * اذا انت لم ترحل بزاد من التقى * ولاقيت بعد الموت من قد تزودا
ندمت على ان لاتكون كمثله * فترصد للموت الذى كان ارصدا * فاياك والميتات لاتقربنها * ولا تأخذن
سهما حديدا لتفصدا
ولا النصب المنصوب لا تنسكنه *
ولا تعبد الاوثان والله فاعبدا
ولا تقربن حرة كان سرها *
عليك حراما فانكحن أو تأبدا
وذا الرحم القربى فلا تقطعنه *
لعاقبة ولا الاسير المقيدا
وسبح على حين العشيات والضحى *
ولا تحمد الشيطان والله فاحمدا
ولا تسخرا من بائس ذى ضرارة *
ولا تحسبن المال للمرء مخلدا
فلما كان بمكة اوقريبا منها اعترضه بعض المشركين من قريش فسأله عن امره وخبره انه جاء يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلم فقال له يااباابصير انه يحرم الزنا فقال الاعشى والله ان ذلك لامر مالى فيه من ارب فقال له ياابابصير فانه يحرم الخمر فقال الاعشى اما هذه فوالله ان فى النفس منها لعلالات ولكنى منصرف فارتوى منها عامى هذا ثم آتيه فاسلم فانصرف فمات فى عامه ذلك ولم يعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم *
قال ابن اسحق وقد كان عدو الله ابوجهل بن هشام لعنه الله مع عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبغضه اياه وشدته عليه يذله الله له اذا رآه * قال ابن اسحق حدثنى عبد الملك بن عبد الله بن ابى سفيان الثقفى وكان واعية قال قدم رجل من اراش «قال ابن هشام» ويقال اراشة بابل له بمكة فابتاعها منه ابوجهل فمطله باثمانها فاقبل الاراشى حتى وقف على نادمن قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى ناحية

أهل النجير زياد بن لبيد بأمر أبى بكر حتى نزلوا على حكمه وأما صرخد فبلد طيب الاعناب واليه تنسب الخمر الصرخدية وفى الامالى * ولذ كطعم الصرخدى تركته * وقوله وآليت لا آوى لها من كلالة * ولا من وجى أى لا أرق لها يقال آويت للضعيف أية ومأوية اذا رققت له كهذه * وقوله أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا المعروف فى اللغة غار وأنجد وقد أنشدوا هذا البيت لعمرى غار فى البلاد وأنجدا والغور ما انخفض من الارض والنجد ما ارتفع منها وانما تركوا القياس فى الغور ولم يأت على افعل الا قليلا وكان قياسه أن يكون مثل أنجد وأتهم لانه من أم الغور فقد هبط ونزل فصار من باب غارت عينه تغور أو غار الماء ونحو ذلك فان أردت أشرف على الغور قلت أغار ولا يكون خارجا عن القياس * وقوله وليس عطاء اليوم مانعه غدا معناه على رفع العطاء ونصب مانع أى ليس العطاء الذى يعطيه اليوم مانعا غدا من أن يعطيه فالهاء عائدة على الممدوح فلو كانت عائدة على العطاء لقال وليس عطاء اليوم مانعه هو بابراز الضمير الفاعل لان الصفة اذا جرت على غير من هى له برز الضمير المستتر بخلاف الفعل وذلك لسر بيناه فى غير هذا الموضع لم يذكره الناس ولو نصب العطاء جاز على اضمار الفعل المتروك اظهاره لانه من باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره ويكون اسم ليس على هذا مضمرا فيها عائدا على النبى صلى الله عليه وسلم * وقوله فانكحن أو تأبدا يريد أو ترهب لان الراهب أبدا عزب فقيل له متأبد اشتق من لفظ الابد * وقوله فالله فاعبدا وقف على النون الخفيفة بالالف وكذلك فانكحن أو تأبدا ولذلك كتبت فى الخط بالف لان الوقف عليها بالالف وقد قيل فى مثل هذا انه لم يرد النون الخفيفة وانما خاطب الواحد بخطاب الاثنين وزعموا انه معروف فى كلام العرب وأنشدوا فى ذلك

فان تزجرانى ياابن عفان ازدجر * وان تدعانى أحم عرضا ممنعا

وأنشدوا أيضا فى هذا المعنى

وقلت لصاحبى لاتحبسانا * بنزع أصولها واجتث شيحا

ولا يمكن ارادة النون الخفيفة فى هذين البيتين لانها لاتكون الفا الا فى الوقف وهذا الفعل قد اتصل به الضمير فلا يصح اعتقاد الوقف عليه دون الضمير وحكى أن الحجاج قال ياحرسى اضربا عنقه وقد يكون فيه حمل الوصل على الوقف ويحتمل أن يريد اضرب أنت وصاحبك وقد قيل فى قوله سبحانه ألقيا فى جهنم ان الخطاب لمالك وحده حملا على هذا الباب وقيل بل هو راجع الى قوله تعالى سائق وشهيد وفى القصيدة زيادة لم تقع فى رواية ابن هشام وهى قوله فى وصف الناقة

فآلت اذا ما أدلجت فترى لها * رقيبين نجما لا يغيب وفرقدا

وقع هذا البيت بعد قوله ليناغير أحردا * وقوله فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا وبعده

به أنقذ الله الانام من العمى * وما كان فيهم من يريع الى هدى

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث الاراشى الذى قدم مكة واستعدى على أبى جهل * قال ابن اسحق دومن

المسجد جالس فقال يامعشر قريش من رجل يؤديني على ابا الحكم بن هشام فانى رجل غريب ابن سبيل وقد غلبنى على حق قال فقال له أهل ذلك المجلس أترى ذلك الرجل الجالس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يهزؤن به لما يعلمون بينه و بين أبى جهل من العداوة اذهب اليه فانه يؤديك عليه قال فاقبل الاراشى حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ياعبد الله ان أبا الحكم بن هشام قد غلبنى على حق لى قبله وأنا غريب ابن سبيل وقد سألت هؤلاء القوم عن رجل يؤديني عليه يأخذ لى حقى منه فاشاروا الى اليك فخذ لى حقى منه يرحمك الله قال انطلق اليه فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رأوه قام معه قالوا لرجل ممن معهم اتبعه انظر ماذا يصنع قال وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءه فضرب عليه بابه فقال من هذا فقال محمد فاخرج الى فخرج اليه وما فى وجهه من رائحة قد انتقع لونه فقال أعط هذا الرجل حقه فقال نعم لا تبرح حتى أعطيه الذى له قال فدخل فخرج اليه بحقه فدفعه اليه ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للاراشى الحق بشأنك فاقبل الاراشى حتى وقف على ذلك المجلس فقال جزاه الله خيرا فقد والله أخذ لى حقى قال وجاء الرجل الذى بعثوا معه فقالوا ويحك ماذا رأيت قال عجبا من العجب والله ماهو الا أن ضرب عليه بابه فخرج اليه وما معه روحه فقال له أعط هذا حقه فقال نعم لا تبرح حتى أخرج اليه حقه فدخل فخرج اليه بحقه فاعطاه اياه قال ثم لم يلبث أبو جهل أن جاء فقالوا ويلك مالك والله ما رأينا مثل ما صنعت قط قال ويحكم والله ماهو الا ان ضرب على بابى وسمعت صوته فملئت منه رعبا ثم خرجت اليه وان فوق رأسه لفحلا من الابل ما رأيت مثل هامته ولا قصرته ولا أنيابه لفحل قط والله لو أبيت لاكلنى * قال ابن اسحق وحدثنى أبى اسحق بن يسار قال كان ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف أشد قريش فخلا يوما برسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض شعاب مكة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ركانة ألا تتقى الله وتقبل ما أدعوك اليه قال انى لو أعلم ان الذى تقول حق لاتبعتك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرأيت ان صرعتك أتعلم ان ما أقول حق قال نعم قال فقم حتى أصارعك قال فقام ركانة اليه فصارعه فلما بطش به رسول الله صلى الله عليه وسلم أضجعه وهو لا يملك من نفسه شيئا ثم قال عد يا محمد فعاد فصرعه ثم قال قال يا محمد والله ان هذا للعجب أتصرعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأعجب من ذلك ان شئت ان أريكه ان اتقيت الله واتبعت أمرى قال ماهو قال أدعو لك هذه الشجرة التى ترى فتأتينى قال ادعها فدعاها فاقبلت حتى وقفت بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فقال لها ارجعى الى مكانك قال فرجعت الى مكانها قال فذهب ركانة الى قومه فقال يا بنى عبد مناف ساحروا بصاحبكم أهل الارض فوالله ما رأيت أسحر منه قط ثم أخبرهم بالذى رأى والذى صنع

أراش وهو ابن الغوث أو ابن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ وهو والد أنمار الذى ولد بجيلة وخثعم واراشة الذى ذكر ابن هشام بطن من خثعم واراشة مذكورة فى العماليق فى نسب فرعون صاحب مصر وفى بلى أيضا بنو اراشة * وقوله من يؤدينى على أبى الحكم أى يعيننى على أخذ حقى منه وهو من الاداة التى يتوصل الانسان الى ما يريد كاداة الحرب وأداة الصانع فالحاكم يؤدى الخصم أى يوصله الى مطلبه وقد قيل ان الهمزة بدل من عين ويؤدى و يعدى بمعنى واحد أى يزيل العدوان والعداء وهو الظلم كما تقول هو يشكيك أى يزيل شكواك وفى حديث خباب شكونا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حر الرمضاء فلم يشكنا معناه على أحد القولين لم يرفع شكوانا ولم يزلها * وقوله فخرج اليه وما فى وجهه رائحة أى بقية روح فكان معناه روح باقية فلذلك جاء به على وزن فاعلة والدليل على انه أراد معنى الروح وان جاء به على بناء فاعلة قول الاراشى فى آخر الحديث خرج الى وما عنده روحه

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث ركانة ومصارعته للنبى صلى الله عليه وسلم وقد تقدم مثل هذا الحديث عن أبى الاشدين الجمحى ولعلهما ان يكونا جميعا صارعا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تقدم التعريف بأبى الاشدين وباسمه ونسبه وركانة هذا هو ابن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب من مسلمة الفتح وتوفى فى خلافة معاوية وهو الذى طلق امرأته البتة فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نيته فقال انما أردت واحدة فردها عليه ومن حديثه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ان لكل دين خلقا وخلق هذا الدين الحياء ولابنه يزيد بن ركانة صحبة أيضا ويروى عن يزيد بن ركانة ابنه على وكان على قد أعطى من الايد والقوة مالم يعط أحد نزع فى ذلك الى جده ركانة وله فى ذلك أخبار ذكرها أهل كهى منها خبره مع يزيد بن معاوية وكان يزيد بن معاوية من أشد العرب فصارعه يوما فصرعه على صرعة لم يسمع بمثلها ثم حمله بعد ذلك على فرس جموح لا يطاق فملم على ما يراد به فلما جمح به الفرس ضم عليه فخذيه ضمة دق منها الفرس وذكر عنه أيضا أنه تأبط رجلين أيدين ثم جرى بهما وهما تحت أبطيه حتى صاحا الموت الموت فاطلقهما

(فصل)

* قال ابن اسحق ثم قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلا أو قريب من ذلك من النصارى حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه فى المسجد فجلسوا اليه وكلموه وسألوه ورجال من قريش فى انديتهم حول الكعبة فلما فرغوا من مسئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم عما ارادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله وتلا عليهم القرآن فلما سمعوا القرآن فاضت اعينهم من الدمع ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم فى كتابهم من أمره فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام فى نفر من قريش فقالوا لهم خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من اهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال ما نعلم ركبا أحمق منكم أو كما قالوا لهم فقالوا لهم سلام عليكم لا نجاهلكم لنا ما نحن عليه ولكم ما انتم عليه لم نأل انفسنا خيرا ويقال ان النفر من النصارى من اهل نجران فالله اعلم أى ذلك كان فيقال والله اعلم فيهم نزلت هؤلاء الآيات الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين الى قوله لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين * قال ابن اسحق وقد سألت ابن شهاب الزهرى عن هؤلاء الآيات فيمن نزلت فقال لى ما زلت اسمع من علمائنا انهن انزلن فى النجاشى واصحابه والآيات من المائدة من قوله ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون الى قوله فاكتبنا مع الشاهدين * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جلس فى المسجد فجلس اليه المستضعفون من اصحابه خباب وعمار وابو فكيهة يسار مولى صفوان بن امية ابن محرث وصهيب واشباههم من المسلمين هزأت بهم قريش فقال بعضهم لبعض هؤلاء أصحابه كما ترون أهؤلاء من الله عليهم من بيننا بالهدى والحق لو كان ما جاء به محمد خيرا ما سبقنا هؤلاء اليه وما خصهم الله به دوننا فانزل الله تعالى فيهم ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شىء وما من حسابك عليهم من شىء فتطردهم فتكون من الظالمين وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فانه غفور رحيم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى كثيرا ما يجلس عند المروة الى مبيعة غلام نصرانى يقال له جبر عبد لابن الحضرمى وكانوا يقولون والله ما يعلم محمدا كثيرا مما يأتى به الا جبر النصرانى غلام ابن الحضرمى فانزل الله تعالى فى ذلك من قولهم انما يعلمه بشر لسان الذين يلحدون اليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين «قال ابن هشام» يلحدون اليه يميلون اليه والالحاد الميل عن الحق قال رؤبة بن العجاج اذا تبع الضحاك كل ملحد «قال ابن هشام» يعنى الضحاك الخارجى وهذا البيت فى ارجوزة له * قال ابن اسحق وكان العاص بن وائل السهمى فيما بلغنى اذا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال دعوه فانما هو رجل ابتر لا عقب له لو قد مات لقد انقطع ذكره واسترحتم منه فانزل الله فى ذلك من قوله انا اعطيناك الكوثر

﴿ فصل ﴾ وذكر قدوم وفد النصارى من الحبشة وايمانهم وما أنزل الله فيهم من قوله تعالى «الذين قالوا انا نصارى» ولم يقل من النصارى ولا سماهم هو سبحانه بهذا الاسم وانما حكى قولهم الذى قالوه حين عرفوا بانفسهم ثم شهد لهم بالايمان وذكر انه أثابهم الجنة واذا كانوا هكذا فليسوا بنصارى هم من أمة محمد عليه السلام وانما عرف النصارى بهذا الاسم لان مبدأ دينهم كان من ناصرة قرية بالشام فاشتق اسمهم منها كما اشتق اسم اليهود من يهود بن يعقوب ثم لا يقال لمن أسلم منهم يهودى اسم الاسلام أولى بهم جميعا من ذلك النسب

﴿ فصل ﴾ ذكر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجلس الى مبيعة غلام المبيعة مفعلة مثل المعيشة وقد يجوز ان يكون مفعلة بضم العين وهو قول الاخفش واما قولهم سلعة مبيعة فمفعولة حذفت الواو منها فى قول سيبويه حين سكنوا الياء اشتغالا للضمة وفى قول أبى الحسن الاخفش ان الياء بدل من الواو الزائدة فى مبيوعة ووزنها عنده مفولة بحذف العين وللكلام على هذين المذهبين موضع غير هذا * وذكر صهيبا وأبا فكيهة وسنذكر اسم أبى فكيهة والتعريف به فيما بعد لانه بدرى وكذلك صهيب بن سنان ونقتصر فى هذا الموضع على ذكر اسمه وهو يسار مولى عبد الدار

﴿ فصل ﴾ وذكر قول العاصى بن وائل ان محمدا أبتر اذا مات انقطع ذكره وأنزل الله تعالى فى قوله من سورة الكوثر على قول ابن اسحق وأكثر المفسرين وقيل ان أبا جهل هو الذى قال ذلك وقد قيل كعب بن الاشرف ويلزم على هذا القول الاخير ان تكون سورة الكوثر مدنية وقد روى يونس عن أبى عبد الله الجعفى عن جابر الجعفى عن محمد بن على قال كان القاسم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ ان يركب الدابة ويسير على النجيبة فلما قبضه الله قال العاصى أصبح محمد أبتر من ابنه فانزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم انا أعطيناك الكوثر عوضا يا محمد من مصيبتك بالقاسم فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر ولم يقل ان شانئك ابتر ليتضمن اختصاصه بهذا الوصف لانه هو فى مثل هذا الموضع تعطى الاختصاص

مثل أن يقول قائل ان زيدا فاسق فلا يكون مخصوصا بهذا الوصف دون غيره فاذا قلت أن زيدا هو الفاسق فمعناه هو الفاسق التى زعمت فدل على ان بالحضرة من يزعم غير ذلك وهكذا قال الجرجانى وغيره فى تفسير هذه الآية أن هو تعطى الاختصاص وكذلك قالوا فى قوله سبحانه «انه هو أغنى وأقنى» لما كان العباد يتوهمون ان غير الله قد يغنى قال هو أغنى وأقنى أى لا غيره وكذلك قوله تعالى «وانه هو أمات وأحيا» اذ كانوا قد يتوهمون فى الاحياء والاماتة ما توهمه النمرود حين قال انا أحيي وأميت أى انا أقتل من شئت واستحيي من شئت فقال عز وجل وانه هو أمات وأحيا أى لا غيره وكذلك قوله تعالى «وأنه هو رب الشعرى» أى هو الرب لا غيره اذ كانوا قد اتخذوا أربابا من دونه منها الشعرى فلما قال وانه خلق الزوجين وانه أهلك عادا استغنى الكلام عن هو التى تعطى معنى الاختصاص لانه فعل لم يدعه أحد واذا ثبت هذا فكذلك قوله ان شانئك هو الابتر أى لا انت والابتر الذى لا عقب له يتبعه فعدمه كالبتر الذى هو عدم الذنب فاذا ما قلت هذا ونظرت الى العاصى وكان ذا ولد وعقب وولده عمرو وهشام ابنا العاصى بن وائل فكيف يثبت له البتر وانقطاع الولد وهو ذو ولد ونسل وتنفيه عن نبيه وهو يقول «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم» الآية . فالجواب ان العاصى وان كان ذا ولد فقد انقطعت العصمة بينه وبينهم فليسوا باتباع له لان الاسلام قد حجزهم عنه فلا يرثهم ولا يرثونه وهم من اتباع محمد عليه السلام وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم كما قرأ أبى بن كعب وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم والنبى أولى بهم كما قال الله سبحانه فهم وجميع المؤمنين اتباع النبى فى الدنيا واتباعه فى الآخرة الى حوضه وهذا معنى الكوثر وهو موجود فى الدنيا الكثرة اتباعه فهم الذى أرواحهم بما فيه حياتهم من العلم وكثرة اتباعه فى الآخرة ليسقيهم من حوضه ما فيه الحياة الباقية وعدو الله العاصى على هذا هو الابتر على الحقيقة اذ قد انقطع ذنبه واتباعه وصاروا اتباعا لمحمد صلى الله عليه وسلم ولذلك قوبل تعييره للنبى صلى الله عليه وسلم بالبتر بما هو ضده من الكوثر فان الكثرة تضاد معنى القلة ولو قال فى جواب اللعين انا أعطيناك الحوض الذى من صفته كذا وكذا لم يكن ردا عليه ولا مشاكلا لجوابه ولكن جاء باسم يتضمن الخير الكثير والعدد الجم الغفير المضاد لمعنى البتر وان ذلك فى الدنيا والآخرة بسبب الحوض المورود الذى أعطاه فلا يختص لفظ الكوثر بالحوض بل يجمع هذا المعنى كله ويشتمل عليه ولذلك كانت آنيته كعدد النجوم ويقابل هذه الصفة فى الدنيا علماء الامة من أصحابه ومن بعدهم فقد قال أصحابى كالنجوم وهم يروون العلم عنه ويؤدونه الى من بعدهم كما تروى الآنية فى الحوض وتسقى الواردة عليه تقول رويت الماء أى استقيته كما تقول رويت العلم وكلاهما فيه حياة ومنه قيل لمن روى علما أو شعرا راوية تشبيها بالمزادة أو الدابة التى يحمل عليها الماء وليس من باب علامة ونسابة وفى حديث أبى برزة فى صفة الحوض انها تعزو فى أكف المؤمنين يعنى الآنية وحصباء الحوض اللؤلؤ والياقوت ويقابله فى الدنيا الحكم المأثورة عنه ألا ترى ان اللؤلؤ فى علم التعبير حكم وفوائد علم وفى صفة الحوض له المسك أى حمأته ويقابله فى الدنيا طيب الثناء على العلماء واتباع النبى الاتقياء كما ان المسك فى علم التعبير ثناء حسن وعلم التعبير من علم النبوة مقتبس وذكر فى صفة الحوض انطيرا ترده كاعناق البخت ويقابله من صفة العلم فى الدنيا ورود الطالبين من كل صقع وقطر على حضرة العلم واتيانهم اياها فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وبعده فتأمل صفة الكوثر معقولة فى الدنيا محسوسة فى الآخرة مدركة بالعيان هنالك يبين لك اعجاز التنزيل ومطابقة السورة لسبب نزولها ولذلك قال فضيل فصل لربك وانحر أى تواضع لمن أعطاك الكوثر بالصلاة له فان الكثرة فى الدنيا تقتضى فى أكثر الخلق الكبر وتحدو الى الفخر والخيرية فلذلك كان عليه السلام طأطأ

ماهو خير لك من الدنيا وما فيها والكوثر العظيم

راسه

قال ابن اسحق قال لبيد بن ربيعة الكلابى

وصاحب ملحوب فجعنا بيومه * وعند الرداع بيت آخر كوثر

يقول عظيم «قال ابن هشام» وهذا البيت فى قصيدة له «قال ابن هشام» وصاحب ملحوب عوف بن الاحوص بن جعفر بن كلاب مات بملحوب وقوله وعند الرداع بيت آخر كوثر يعنى شريح بن الاحوص بن جعفر بن كلاب مات بالرداع والكوثر أراد الكثير ولفظه مشتق من لفظ الكثير «قال ابن هشام» قال الكميت بن زيد يمدح هشام بن عبد الملك بن مروان

وأنت كثير يا ابن مروان طيب * وكان أبوك ابن العقائل كوثرا

وهذا البيت فى قصيدة له «قال ابن هشام» وقال أمية بن أبى عائذ الهذلى يصف حمار وحش

يحمى الحقيق اذا ما احتدمه ن حمحم فى كوثر كالجلال

يعنى بالكوثر الغبار الكثير شبهه لكثرته عليه بالجلال وهذا البيت فى قصيدة له * قال ابن اسحق حدثنى جعفر ابن عمرو «قال ابن هشام» هو جعفر بن عمرو بن جعفر بن عمرو بن امية الضمرى عن عبد الله بن مسلم أخى محمد بن شهاب الزهرى عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل له يا رسول الله ما الكوثر الذى أعطاك الله قال نهر كما بين صنعاء الى أيلة آنيته كعدد نجوم السماء ترده طير لها أعناق كأعناق الابل قال يقول عمر ابن الخطاب انها يا رسول الله لناعمة قال آكلها أنعم منها * قال ابن اسحق سمعنا فى هذا الحديث أو غيره انه قال صلى الله عليه وسلم من شرب منه لا يظمأ أبدا * قال ابن اسحق فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه الى الاسلام وكلمهم فأبلغ اليهم فقال زمعة بن الاسود والنضر بن الحرث والاسود بن عبد يغوث وأبى بن خلف والعاص بن وائل لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس ويرى معك فانزل الله تعالى فى ذلك من قولهم وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون *

رأسه عام الفتح حين رأى كثرة اتباعه وهو على الراحلة حتى ألصق عثنونه بالرحل امتثالا لامر ربه وكذلك أمره بالنحر شكرا لله ورفع اليدين الى النحر فى الصلاة عند استقبال القبلة التى عندها ينحر والنها يهدى معناه الجمع بين الفعلين النحر المأمور به يوم الاضحى والاشارة اليه فى الصلاة برفع اليدين الى النحر كما ان القبلة محجوجة مصلى اليها فكذلك ينحر عندها ويشار الى النحر عند استقبالها والى هذا التفت عليه السلام حين قال من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا ونسك نسكنا فهو مسلم وقد قال الله سبحانه قل ان صلاتى ونسكى فقرن بين الصلاة الى الكعبة والنسك اليها كما قرن بينهما حين قال فصل لربك وانحر * وذكر فى صفة الحوض كما بين صنعاء وأيلة وقد جاء فيه أيضا فى الصحيح كما بين جرباء وأذرح وبينهما مسافة بعيدة وفى الصحيح أيضا فى صفته كما بين عدن أبين الى عمان وقد تقدم ذكر أبين وانه ابن زهير بن أيمن بن حمير وان عدن سميت برجل من حمير عدن بها أى أقام وتقدم أيضا ما قاله الطبرى ان عدن وأبين هما ابنا عدنان أخوا معد وأما عمان بتشديد الميم وفتح العين فهى بالشام قرب دمشق سميت بعمان بن لوط بن هاران كان سكنها فيما ذكروا وأما عمان بضم العين وتخفيف الميم فهو باليمن سميت بعمان بن سنان وهو من ولد ابراهيم فيما ذكروا وفيه نظر اذ لا يعرف فى ولد ابراهيم لصلبه من اسمه سنان وفى صفة الحوض أيضا كما بين الكوفة ومكة وكما بين بيت المقدس والكعبة وهذه كلها روايات متقاربة المعانى وان كانت المسافات بعضها أبعد من بعض فكذلك الحوض أيضا له طول وعرض وزوايا وأركان فيكون اختلاف هذه المسافات التى فى الحديث على حسب ذلك جعلنا الله من الواردين عليه ولا أظمأ أكبادنا فى الآخرة اليه ومما جاء فى معنى الكوثر ما رواه ابن أبى نجيح عن عائشة قالت الكوثر نهر فى الجنة لا يدخل أحد اصبعيه فى أذنيه الا سمع خرير ذلك النهر ووقع هذا الحديث فى السيرة من رواية يونس ورواه الدارقطنى من طريق مالك بن مغول عن الشعبى عن مسروق عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله أعطانى نهرا يقال له الكوثر لا يشاء أحد من أمتى أن يسمع خرير ذلك الكوثر الا سمعه فقلت يا رسول الله وكيف ذلك قال أدخل أصبعيك فى أذنيك وشدى فالذى تسمعين فيهما من خرير الكوثر وروى الدارقطنى من طريق جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى والذى نفسى بيده انك لذائد عن حوضى يوم القيامة تذود عنه كفار الامم كما تذاد الابل الضالة عن الماء بعصى من عوسج الا ان هذا الحديث يرويه حرام بن عثمان عن ابنى جابر وقد سئل مالك عنه فقال ليس بثقة واغلظ فيه الشافعى القول وأما قوله عليه السلام ومنبرى على حوضى فقد قيل فى معناه أقوال ويفسره عندى الحديث الآخر وهو قوله عليه السلام وهو على المنبر انى لأنظر الى حوضى الآن من مقامى هذا فتأمله

﴿ فصل ﴾ وذكر ابن هشام فى الاستشهاد على معنى الكوثر قول لبيد بن ربيعة

وصاحب ملحوب فجعنا بيومه * وعند الرداع بيت آخر كوثر

وبالفورة الحراب ذو الفضل عامر * فنعم ضياء الطارق المتنور

يعنى عامر بن مالك ملاعب الاسنة وهو عم لبيد وسنذكر لم سمى ملاعب الاسنة اذا جاء ذكره ان شاء الله تعالى وصاحب ملحوب عوف بن الاحوص وقد ذكره ابن هشام والذى عند الرداع شريح بن الاحوص فى قوله وقال غيره هو حبان بن عتبة بن مالك بن جعفر بن كلاب والرداع من أرض اليمامة وملحوب مفعول من لحبت العود اذا قشرته فكان هذا الموضع سمى ملحوبا لانه لا كلأ فيه ولا شجر وذكر حديث المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله فيهم من قوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية فقال فيها استهزئ برسل ثم قال فحاق بالذين سخروا منهم ولم يقل استهزؤا ثم قال ما كانوا به يستهزؤن ولم يقل يسخرون ولابد فى حكمة فى هذا من جهة البلاغة وتنزيل الكلام منازله فقوله استهزئ برسل أى اسمعوا من الكلام الذى يسمى استهزاء اما سماعهم تأنيساله لينأسى عن قبله من الرسل وانما سمى استهزاء اذا كان مسموعا وهو من فعل الجاهلين قال الله تعالى «أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين» وأما السخر والسخرى فقد يكون فى النفس غير مسموع ولذلك تقول سخرت منه كما تقول عجبت منه الا أن العجب لا يختص بالمعنى المذموم كما يختص السخر وفى التنزيل خبرا عن نوح «ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون» ولم يقل نستهزئ بكم كما تستهزؤن لان الاستهزاء ليس من فعل الانبياء انما هو من فعل الجاهلين كما قدمنا من قول موسى عليه السلام فالنبى يسخر أى يعجب ممن كفر من يسخر به ومن سخر عقولهم * فان قلت فقد قال الله تعالى الله يستهزئ بهم * قلنا العرب تسمى الجزاء على الفعل باسم الفعل كما قال تعالى «نسوا الله فنسيهم» وهو مجاز حسن وأما الاستهزاء الذى كنا بصدده فهو المسمى استهزاء حقيقة ولا يرضى به الا جهول ثم قال سبحانه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن أى حاق بهم من الوعيد المبلغ لهم على ألسنة الرسل ما كانوا يستهزؤن به بالسنتهم فنزلت كل كلمة منزلها ولم يحسن فى حكم البلاغة وضع واحدة مكان الاخرى وذكر أيضا قوله سبحانه «ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا» أى لو جعلنا الرسول اليهم من الملائكة لم يكن الا على صورة رجل ولدخل عليهم من اللبس فيه ما دخل فى أمر محمد وقوله لبسنا دل على ان الامر كله منه سبحانه فهو يعمى من شاء عن الحق ويفتح بصيرة من شاء وقوله ما يلبسون معناه يلبسون على غيرهم لان أكثرهم قد عرفوا انه الحق ولكن جحدوا بها واستيقنتها أنفسهم فجعلوا يلبسون أى يلبس بعضهم على بعض ويلبسون على أهليهم واتباعهم أى يخلطون عليهم بالباطل تقول العرب لبست عليهم الأمر ألبسه أى سترته وخلطته ومن لبس الثياب لبست ألبس لانه فى معنى كسيت وفى مقابلة عريت فجاء على وزنه والآخر فى معنى خالطت أو سترت فجاء على وزنه

﴿شرح ما فى حديث الاسراء من المشكل﴾

اتفقت الرواة على تسميته اسراء ولم يسمه أحد منهم سرى وان كان أهل اللغة قد قالوا سرى وأسرى بمعنى واحد فدل على ان أهل اللغة لم يحققوا العبارة وذلك ان القراء لم يختلفوا فى التلاوة من قوله «سبحان الذى أسرى بعبده» ولم يقل سرى وقال والليل اذا يسرى ولم يقل يسرى فدل على ان السرى من سريت اذا سرت ليلا وهى مؤنثة تقول طالت سراك الليلة والاسراء متعد فى المعنى ولكن حذف مفعوله كثيرا حتى ظن أهل اللغة انهما بمعنى واحد لما رأوهما غير متعديين الى مفعول فى اللفظ وانما أسرى بعبده أى جعل البراق يسرى كما تقول أمضيته اى جعلته يمضى لكن كثر حذف المفعول لقوة الدلالة عليه أو للاستغناء عن ذكره اذ المقصود بالخبر ذكر محمد لا ذكر الدابة التى سارت به وجاز فى قصة لوط عليه السلام ان يقال له فأسر بأهلك أى سر بهم وان يقرأ فاسر باهلك بالقطع أى فاسر بهم ما يتحملون عليه من دابة أو نحوها ولم يتصور

قال ابن اسحق ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى بالوليد بن المغيرة وأمية ابن خلف وبابى جهل بن هشام فغمزوه وهمزوه واستهزؤا به فغاظه ذلك فانزل الله تعالى عليه فى ذلك من أمرهم ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن

﴿ذكر الاسراء والمعراج﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

* قال حدثنا ابو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن اسحق المطلبى قال ثم اسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى وهو بيت المقدس من ايلياء وقد فشا الاسلام بمكة فى قريش وفى القبائل كلها

ذلك فى السرى بالنبى صلى الله عليه وسلم اذ لا يجوز ان يقال سرى بعبده بوجه من الوجوه فلذلك لم تات التلاوة الا بوجه واحد فى هذه القصة فتدبره وكذلك تسامح النحويون أيضا فى الباء والهمزة وجعلوهما بمعنى واحد فى حكم التعدية ولو كان ما قالوه أصلا لجاز فى أمرضته ان تقول مرضت به وفى أسقمته ان تقول سقمت به وفى أعميته ان تقول عميت به قياسا على أذهبته وذهبت به ويأبى الله ذلك والعالمون فانما الباء تعطى مع التعدية طرفا من المشاركة فى الفعل ولا تعطيه الهمزة فاذا قلت أقعدته فمعناه جعلته يقعد ولكنك شاركته فى القعود فخذ به بيدك الى الارض أو نحو ذلك فلا بد من طرف من المشاركة اذا قعدت به ودخلت به وذهبت به بخلاف أدخلته واذهبته ﴿فان قلت﴾ فقد قال الله سبحانه ذهب الله بنورهم وذهب بسمعهم وأبصارهم ويتعالى سبحانه عن ان يوصف بالذهاب أو يضاف اليه طرف منه وانما معناه اذهب نورهم وسمعهم (قلنا) فى الجواب عن هذا ان النور والسمع والبصر كان بيده سبحانه وقد قال بيده الخير وهذا من الخير الذى بيده واذا كان بيده فجائز ان يقال ذهب به على المعنى الذى يقتضيه قوله سبحانه بيده الخير كائنا ما كان ذلك المعنى فعليه ينبنى ذلك المعنى الآخر الذى فى قوله ذهب الله بنورهم مجازا كان أو حقيقة ألا ترى انه لما ذكر الرجس كيف قال ليذهب عنكم الرجس ولم يقل ليذهب به وكذلك قال ويذهب عنكم رجز الشيطان تعليما للعباد حسن الادب معه حتى لا يضاف الى القدوس سبحانه لفظا ومعنى شئ من الارجاس وان كانت خلقا له وملكا فلا يقال هو بيده على الخصوص تحسينا للعبارة وتنزيها له وفى مثل النور والسمع والبصر يحسن ان يقال هى بيده فحسن على هذا ان يقال ذهب به واما أسرى بعبده فان دخول الباء فيه ليس من هذا القبيل فانه فعل يتعدى الى مفعول وذلك المفعول المسرى هو الذى سرى بالعبد فشاركه بالسرى كما قدمنا فى قعدت به انه يعطى المشاركة فى الفعل أو فى طرف منه فتأمله

﴿فصل﴾ وتقدم بين يدى الكلام فى هذا الباب هل كان الاسراء فى يقظة بجسده أو كان فى نومه بروحه كما قال سبحانه «والتى لم تمت فى منامها» وقد ذكر ابن اسحق عن عائشة ومعاوية انها كانت رؤيا حق وان عائشة قالت لم تفقد بدنه وانما عرج بروحه تلك الليلة ويحتج قائل هذا القول بقوله سبحانه «وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس» ولم يقل الرؤية وانما يسمى رؤيا ما كان فى النوم فى عرف اللغة ويحتجون أيضا بحديث البخارى عن أنس بن مالك قال ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة انه جاءه ثلاثة نفر قبل ان يوحى اليه وهو نائم فى المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو فقال أوسطهم هو هذا وهو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الانبياء عليهم السلام تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم جبريل الحديث بطوله وقال فى آخره واستيقظ وهو فى المسجد الحرام وهذا نص لا اشكال فيه انها كانت رؤيا صادقة وقال أصحاب القول الثانى قد تكون الرؤيا بمعنى الرؤية فى اليقظة وأنشدوا للراعى يصف صائدا

وكبر للرؤيا وهش فؤاده * وبشر قلبا كان جما بلابله

قالوا وفى الآية بيان انها كانت فى اليقظة لانه قال وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس ولو كانت رؤيا نوم ما افتتن بها الناس حتى ارتد كثير ممن أسلم وقال الكفار يزعم محمد انه أتى بيت المقدس ورجع الى مكة ليلته والعير تطرد اليها شهرا مقبلة وشهرا مدبرة ولو كانت رؤيا نوم لم يستبعد أحد منهم هذا فمعلوم ان النائم قد يرى نفسه فى السماء وفى المشرق والمغرب فلا يستبعد منه ذلك احتج هؤلاء أيضا بشربه اللبن من الاناء

*قال ابن اسحق كان من الحديث فيما بلغنى عن مسراه صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن مسعود وأبى سعيد الخدرى وعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ومعاوية ابن أبى سفيان والحسن بن أبى الحسن وابن شهاب الزهرى وقتادة وغيرهم من أهل العلم وأم هانى بنت أبى طالب ما اجتمع فى هذا الحديث كل يحدث عنه بعض ما ذكر من أمره حين أسرى به صلى الله عليه وسلم وكان فى مسراه وما ذكر منه بلاء وتمحيص وأمر من أمر الله فى قدرته وسلطانه فيه عبرة لاولى الالباب وهدى ورحمة وثبات لمن آمن بالله وصدق وكان من أمر الله على يقين فاسرى به كيف شاء ليريه من آياته ما أراد حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم وقدرته التى يصنع بها ما يريد فكان عبد الله بن مسعود فيما بلغنى عنه يقول أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق وهى الدابة التى كانت تحمل عليها الانبياء قبله تضع حافرها فى منتهى طرفها فحمل عليها ثم خرج به صاحبه يرى الآيات فيما بين السماء والارض حتى انتهى الى بيت المقدس

الذي كان مغطى عند القوم ووجدوه حين أصبح لا ماء فيه وبارشاده للذين ند بعيرهم حين أنفرهم حس الدابة وهو البراق حتى دلهم عليه فاخبر أهل مكة بامارة ذلك حتى ذكر الغرارتين السوداء والبرقاء كما في هذا الكتاب وفي رواية يونس انه وعد قريشا بقدوم العيراتي أرشدهم الى البعير وشرب إناءهم وانهم سيقدمون ويخبرون بذلك فقالوا يا محمد متى يقدمون فقال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم ولم يقدموا حتى كربت الشمس أن تغرب فدعا الله فحبس الشمس حتى قدموا كما وصف قال ولم يحبس الشمس الا له ذلك اليوم وليوشع بن نون وهذا كله لا يكون الا يقظة وذهبت طائفة ثالثة منهم شيخنا القاضي أبو بكر رحمه الله الى تصديق المقالتين وتصحيح الحديثين وان الاسراء كان مرتين احداهما كان في نومه وتوطئة له وتيسيرا عليه كما كان بدء نبوته الرؤيا الصادقة ليسهل عليه أمر النبوة فانه عظيم تضعف عنه القوى البشرية وكذلك الاسراء سهله عليه بالرؤيا لان هوله عظيم فجاءه في اليقظة على توطئة وتقدمة رفقا من الله بعبده وتسهيلا عليه ورأيت المهلب في شرح البخاري قد حكى هذا القول عن طائفة من العلماء وانهم قالوا كان الاسراء مرتين مرة في نومه ومرة في يقظته ببدنه صلى الله عليه وسلم « قال المؤلف » وهذا القول هو الذي يصح وبه تتفق معاني الاخبار ألا ترى انه قال في حديث أنس الذي قدمناه ذكره أتاه ثلاثة نفر قبل أن يوحى اليه ومعلوم ان الاسراء كان بعد النبوة وحين فرضت الصلاة كما قدمنا في الجزء قبل هذا وقيل كان قبل الهجرة بعام ولذلك قال في الحديث فارتد كثير ممن كان قد أسلم ورواة الحديثين حفاظ فلا يستقيم الجمع بين الروايتين الا أن يكون الاسراء مرتين وكذلك ذكر في حديث أنس انه لقي ابراهيم في السماء السادسة وموسى في السابعة وفي أكثر الروايات الصحيحة انه رأى ابراهيم عند البيت المعمور في السماء السابعة ولقي موسى في السادسة وفي رواية ابن اسحق أتى بثلاثة آنية أحدها ماء فقال قال ان أخذ الماء غرق وغرقت أمته وفي احدى روايات البخاري في الجامع الصحيح انه أتى باناء فيه عسل ولم يذكر الماء والروايات اثبات ولا سبيل الى تكذيب بعضهم ولا توهينهم فدل على صحة القول بانه كان مرتين وعاد الاختلاف الى انه كان كله حقا ولكن في حالتين ووقتين مع ما يشهد له من ظاهر القرآن فان الله سبحانه يقول « ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فاوحى الى عبده ما أوحى » ثم قال « ما كذب الفؤاد ما رأى » فهذا نحو ما وقع في حديث أنس من قوله فما يراه قلبه وعينه نائمة والفؤاد هو القلب ثم قال « افتمارونه على ما يرى » ولم يقل ما قد رأى فدل على انه رؤية اخرى بعد هذه ثم قال « ولقد رآه نزلة اخرى » اى في نزلة نزلها جبريل اليه مرة فرآه في صورته التي هو عليها « عند سدرة المنتهى اذ يغشى السدرة ما يغشى » قال يغشاها فراش من ذهب وفي رواية يتنثر منها الياقوت وثمرها مثل قلال هجر ثم قال « ما زاغ البصر » ولم يقل الفؤاد كما قال في التي قبل هذه فدل على انها رؤية عين وبصر في النزلة الاخرى ثم قال « لقد رأى من آيات ربه الكبرى » واذا كانت رؤية عين فهي من الآيات الكبرى ومن أعظم البراهين والعبر وصارت الرؤيا الاولى بالاضافة الى الاخرى ليست من الكبر لان ما يراه العبد في منامه دون ما يراه في يقظته لا محالة وكذلك قال في أكثر الاحاديث انه رأى عند سدرة المنتهى نهرين ظاهرين ونهرين باطنين واخبره جبريل ان الظاهرين النيل والفرات وذكر في حديث انس انه رأى هذين النهرين في السماء الدنيا وقال له الملك هما النيل والفرات أصلهما وعنصرهما فيحتمل أن يكون رأى في حال اليقظة منبعهما ورأى في المرة الاولى النهرين دون أن يرى أصلهما والله أعلم فقد جاء في تفسير قوله تعالى « وأنزلنا من السماء ماء بقدر فاسكناه في الارض » انهما النيل والفرات أنزلا من الجنة من اسفل درجة منها على جناح جبريل فاودعهما بطون الجبال ثم ان الله سبحانه سيرفعهما ويذهب بهما عند رفع

فوجد فيه ابراهيم الخليل وموسى وعيسى في نفر من الانبياء قد جمعوا له فصلى بهم ثم أتى بثلاثة آنية اناء فيه لبن واناء فيه خمر واناء فيه ماء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعت قائلا يقول حين عرضت على ان أخذ الماء غرق وغرقت أمته وان أخذ الخمر غوى وغوت أمته وان أخذ اللبن هدى وهديت أمته قال فاخذت اناء اللبن فشربت منه فقال لي جبريل عليه السلام هديت وهديت أمتك يا محمد * قال ابن اسحق وحدثت عن الحسن انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا أنا نائم في الحجر اذ جاءني جبريل فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيئا فعدت الى مضجعي فجاءني الثانية فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيئا فعدت الى مضجعي فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه فجلست فاخذ بعضدي فقمت معه فخرج الى باب المسجد فاذا دابة أبيض بين البغل والحمار في فخذيه جناحان يحفز بهما رجليه يضع يده في منتهى طرفه فحملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته

القرآن وذهاب الايمان فلا يبقى على الارض خير وذلك قوله تعالى « وانا على ذهاب به لقادرون » وفى حديث مسند ذكره النحاس فى المعانى باتم من هذا فاختصرته ووقع فى كتاب المعلم للمازرى قول رابع فى الجمع بين الاقوال قال كان الاسراء بجسده فى اليقظة الى بيت المقدس فكانت رؤيا عين ثم اسرى بروحه الى فوق سبع سموات ولذلك شنع الكفار قوله واتيت بيت المقدس فى ليلتى هذه ولم يشنعوا قوله فيما سوى ذلك

﴿ فصل ﴾ ومما يسئل عنه فى هذا الحديث شماس البراق حين ركبه النبى صلى الله عليه وسلم فقال له جبريل اما تستحى يا براق فما ركبك عبد لله قبل محمد هو أكرم عليه منه فقد قيل فى نفرته ما قاله ابن بطال فى شرح الجامع الصحيح قال كان ذلك لبعد عهد البراق بالانبياء وطول الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام وروى غيره فى ذلك سببا آخر قال فى روايته فى حديث الاسراء قال جبريل لمحمد عليه السلام حين شمس به البراق لعلك يا محمد مسست الصفراء اليوم فاخبره النبى صلى الله عليه وسلم انه ما مسها إلا أنه مر بها فقال تبا لمن يعبدك من دون الله وما مسها الا لذلك وذكر هذه الرواية أبو سعيد النيسابورى فى شرف المصطفى فالله أعلم وقد جاء ذكر الصفراء فى مسند البزار وانها كانت صنما بعضه من ذهب فكسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح وفى الحديث الذى خرجه الترمذى من طريق بريدة الاسلمى انه عليه السلام حين انتهى الى بيت المقدس قال جبريل باصبعه الى الصخرة فخرقها فشد بها البراق وصلى وان حذيفة أنكر هذه الرواية وقال لم ينفرته وقد سخره له عالم الغيب والشهادة وفى هذا من الفقه على رواية بريدة التنبيه على الاخذ بالحزم مع صحة التوكل وان الايمان بالقدر كما روى عن وهب بن منبه لا يمنع الحازم من توقى المهالك قال وهب وجدته فى سبعين كتابا من كتب الله القديمة وهذا نحو من قوله صلى الله عليه وسلم قيدها وتوكل فايمانه صلى الله عليه وسلم بانه قد سخره له كايمانه بقدر الله وعلمه بانه سبق فى علم الكتاب ما سبق ومع ذلك كان يتزود فى اسفاره ويعد السلاح فى حروبه حتى لقد ظاهر بين درعين فى غزوة أحد وربطه للبراق فى حلقة الباب من هذا الفن وهو حديث صحيح رواه غير بريدة ووقع فى حديث الحارث بن أبى أسامة من طريق أنس ومن طريق أبى سعيد وغيرهما أعنى ربطه للبراق فى الحلقة التى كانت تربطه فيها الانبياء غير أن الحديث يرويه داود بن المحبر وهو ضعيف ومما يسئل عنه قول الملائكة فى كل سماء لجبريل من معك فيقول محمد فيقولون أو قد بعث اليه فيقول نعم هكذا لفظ الحديث فى الصحاح ومعنى سؤالهم عن البعث اليه فيما قال بعض أهل العلم أى قد بعث اليه للعروج به الى السماء كما قد وجد وافى العلم انه سيعرج به ولو أرادوا بعثه الى الخلق لقالوا أو قد بعث ولم يقولوا اليه مع ان الصحيح ان لا يخفى عن الملائكة بعثه الى الخلق فلا يعلمون به الى ليلة الاسراء وفى الحديث الذى تقدم فى هذا الكتاب بيان أيضا حين ذكر تسبيح ملائكة السماء السابعة ثم تسبيح ملائكة كل سماء ثم يسئل بعضهم بعضا لم سبحتم حتى ينتهى السؤال الى ملائكة السماء السابعة فيقولون قضى ربنا فى خلقه كذا ثم ينتهى الخبر الى سماء الدنيا الحديث بطوله وفى هذا ما يدل على ان الملائكة قد علمت بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم حين نبئ وانما قالت أو قد بعث اليه أى قد بعث اليه بالبراق كما تقدم على أن فى حديث أنس ان ملائكة سماء الدنيا قالت لجبريل أو قد بعث كما وقع فى السيرة وليس فى أول الحديث اليه هذا انما جاء فى حديث الرؤيا التى رآها بقلبه كما قدمنا وان ذلك قبل أن يوحى اليه كما جاء فى الحديث بعينه وفى هذا تقوية لما تقدم من ان الاسراء كان رؤيا ثم كان رؤية ولذلك لم نجد فى رواية من الروايات ان الملائكة قالوا أو قد بعث اليه إلا فى ذلك الحديث فالله أعلم

قال ابن اسحق وحدثت عن قتادة انه قال حدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما دنوت منه لاركبه شمس فوضع جبريل يده على معرفته ثم قال ألا تستحى يا براق مما تصنع فوالله يا براق ما ركبك عبد الله قبل محمد أكرم على الله منه قال فاستحيا حتى ارفض عرقا ثم قر حتى ركبته

قال الحسن فى حديثه فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى جبريل عليه السلام معه حتى انتهى به الى بيت المقدس فوجد فيه ابراهيم وموسى وعيسى فى نفر من الانبياء فأمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى بهم ثم أتى باناءين فى أحدهما خمر والآخر لبن قال فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم اناء اللبن فشرب منه وترك اناء الخمر قال فقال له جبريل هديت للفطرة وهديت أمتك يامحمد وحرمت عليكم الخمر ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة فلما أصبح غدا على قريش فاخبرهم الخبر فقال أكثر الناس هذا والله الأمر البين والله ان العير لتطرد شهرا من مكة الى الشام مدبرة وشهرا مقبلة أفيذهب ذلك محمد فى ليلة واحدة ويرجع الى مكة قال فارتد كثير ممن كان أسلم وذهب الناس الى أبى بكر فقالوا له هل لك يا أبا بكر فى صاحبك يزعم انه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ورجع الى مكة قال فقال لهم أبو بكر انكم تكذبون عليه فقالوا بلى ها هو ذاك فى المسجد يحدث به الناس فقال أبو بكر والله لئن كان قاله لقد صدق فما يعجبكم من ذلك فوالله انه ليخبرنى ان الخبر ليأتيه من السماء الى الارض فى ساعة من ليل أو نهار فاصدقه فهذا أبعد مما تعجبون منه ثم اقبل حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يانبى الله احدثت هؤلاء القوم انك اتيت المقدس

﴿ فصل ﴾ وذكر باب الحفظة وان عليه ملكا يقال له اسمعيل وقد جاء ذكره فى مسند الحارث وفيه ان تحت يده سبعون ألف ملك تحت يد كل ملك سبعون ألف ملك هكذا لفظ الحديث فى رواية الحارث وفى رواية ابن اسحق اثنا عشر ألف ملك هكذا لفظ الحديث وفى مسند الحارث أيضا وذكر سدرة المنتهى فقال لو غطيت بورقة من ورقها هذه الامة لغطتهم وفى صفتها من رواية الجميع فاذا ثمرها كقلال هجر وفى حديث القلتين من كتاب الطهارة من رواية ابن جريج اذا كان الماء قلتين من قلال هجر لم يحمل الخبث قالوا والقلتان منها تسعان خمسمائة رطل قال الترمذى وذلك نحو من خمس قرب وفى تفسير ابن سلام قال عن بعض السلف انها سميت سدرة المنتهى لان روح المؤمن ينتهى به اليها فتصلى عليه هنالك الملائكة المقربون قال ذلك فى تفسير عليين ﴿ فصل ﴾ وفيه انه رأى آدم فى سماء الدنيا وعن يمينه أسودة وعن شماله أسودة وان جبريل أعلمه ان الاسودة التى عن يمينه هم أصحاب اليمين وفى رواية ابن اسحق تعرض عليه أرواح ذريته فاذا نظر الى الذين عن يمينه ضحك وقد سئل عن هذا فقيل كيف رأى عن يمينه أرواح أصحاب اليمين ولم يكن اذ ذاك من أصحاب اليمين الا نفر قليل ولعله لم يكن مات تلك الليلة منهم احد وظاهر الحديث يقضى انهم كانوا جماعة فالجواب ان يقال ان كان الاسراء رؤيا بقلبه فتاويلها ان ذلك سيكون وان كانت رؤيا عين كما قال ابن عباس وغيره فمعناه ان ذلك أرواح المؤمنين رآها هنالك لأن الله تعالى يتوفى الخلق فى منامهم كما قال فى التنزيل « الله يتوفى الانفس حين موتها » فصعد بالارواح الى هنالك فرآها ثم أعيدت الى أجسادها وجواب آخر وهو ان أصحاب اليمين الذين ذكرهم الله تعالى فى سورة المدثر فى قوله تعالى « الا أصحاب اليمين فى جنات يتساءلون عن المجرمين » قال ابن عباس هم الاطفال الذين ماتوا صغارا ولذلك سألوا المجرمين ما سلككم فى سقر لانهم ماتوا قبل ان يعلموا بكفر الكافرين وقد ثبت فى الصحيح ان اطفال المؤمنين والكافرين فى كفالة ابراهيم عليه السلام وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لجبريل حين رآهم فى الروضة مع ابراهيم من هؤلاء يا جبريل فقال أولاد المؤمنين الذين يموتون صغارا فقال له وأولاد الكافرين قال وأولاد الكافرين خرجه البخارى فى الحديث الطويل من كتاب الجنائز وخرجه فى موضع آخر فقال فيه أولاد الناس فهو فى الحديث الاول نص وفى الثانى عموم وقد روى فى أطفال الكافرين انهم خدم لاهل الجنة فعلى هذا لا يبعد ان يكون الذى رآه عن يمين آدم من نسم ذريته أرواح هؤلاء وفى هذا ما يدفع تشغيب هذا السؤال والاعتراض منه

﴿ فصل ﴾ وفيه شربه من اناء القوم وهو مغطى والماء وان كان لا يملك والناس شركاء فيه وفى النار والكلأ كما جاء فى الحديث لكن المستقى اذا أحرزه فى وعائه فقد ملكه فكيف استباح النبى صلى الله عليه وسلم شربه وهو ملك لغيره وأملاك الكفار لم تكن أبيحت يومئذ ولا دماؤهم ﴿ فالجواب ﴾ ان العرب فى الجاهلية كان فى عرف العادة عندهم اباحة الرسل لابن السبيل فضلا عن الماء وكانوا يعهدون بذلك الى رعائهم ويشترطونه عليهم عند عقد اجارتهم الا يمنعوا الرسل وهو اللبن من أحد من بهم وللحكم فى العرف فى الشريعة أصول تشهد له وقد ترجم البخارى عليه فى كتاب البيوع وخرج حديث هند بنت عتبة وفيه خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف

﴿ فصل ﴾ وذكر فيه انه دخل بيت المقدس ووجد فيه نفرا من الانبياء فصلى بهم وفى حديث الترمذى الذى قدمناه عن حذيفة انه أنكر ان يكون صلى بهم وقال ما زال من ظهر البراق حتى رأى الجنة والنار وما

هذه الليلة قال نعم قال يا نبى الله فصفه لى فانى قد جئته قال الحسن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع لى حتى نظرت اليه فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لابى بكر ويقول ابو بكر صدقت اشهد انك رسول الله كلما وصف له منه شيئا قال صدقت اشهد انك رسول الله قال حتى اذا انتهى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر وانت يا ابا بكر الصديق فيومئذ سماه الصديق * قال ابن اسحق قال الحسن وأنزل الله تعالى فيمن ارتد عن اسلامه لذلك وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا فهذا حديث الحسن عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما دخل فيه من حديث قتادة * قال ابن اسحق وحدثنى بعض آل أبى بكر ان عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم كانت تقول ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن الله أسرى بروحه * قال ابن اسحق وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الاخنس ان معاوية بن أبى سفيان كان اذا سئل عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كانت رؤيا من الله تعالى صادقة فلم ينكر ذلك من قولهما لقول الحسن ان هذه الآية أنزلت فى ذلك قول الله تبارك وتعالى وما جعلنا الرؤية التى أريناك الا فتنة للناس ولقول الله تعالى فى الخبر عن ابراهيم ان قال لابنه يا بنى انى أرى فى المنام انى أذبحك ثم مضى على ذلك فعرفت ان الوحى من الله يأتى الانبياء أيقاظا ونياما * قال ابن اسحق وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما بلغنى تنام عينى وقلبى يقظان والله أعلم اى ذلك كان قد جاءه وعاين فيه ما عاين من أمر الله على أى حاليه كان نائما أو يقظان كل ذلك حق وصدق * قال ابن اسحق وزعم الزهرى عن سعيد بن المسيب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف لاصحابه ابراهيم وموسى وعيسى حين رآهم فى تلك الليلة فقال أما ابراهيم فلم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه وأما موسى فرجل آدم طويل ضرب جعد أقنى كأنه من رجال شنوءة وأما عيسى بن مريم فرجل أحمر بين القصير والطويل سبط الوجه كثير خيلان الوجه كانه خرج من ديماس تخال رأسه يقطر ماء وليس به ماء أشبه رجالكم به عروة بن مسعود الثقفى «قال ابن هشام» وكانت صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر عمر مولى غفرة عن ابراهيم بن محمد بن على بن أبى طالب قال كان على بن أبى طالب عليه السلام اذا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لم يكن بالطويل الممغط ولا القصير المتردد كان ربعة من القوم ولم يكن بالجعد القطط ولا السبط كان جعدا رجلا ولم يكن

وعده الله تعالى ثم عاد الى الارض وزيادة العدل مقبولة ورواية من أثبت مقدمة على رواية من نفى وذكر فيه صفة الانبياء وقال فى عيسى كأن رأسه يقطر ماء وليس به ماء وكأنه خرج من ديماس والديماس الحمام وأصله دماس ويجمع على دماميس وقد قيل فى جمعه دياميس ومثله قيراط ودينار وديباج الاصل فيها كلها التضعيف ثم قلب الحرف المدغم ياء فلما جمعوا وصغروا ردوه الى أصله فقالوا قراريط ودنانير غير انهم لم يقولوا ديانير ولا قياريط كما قالوا دياميس وقالوا ديابيج ودبابيج وأصل الدمس التغطية ومنه ليل دامس وفى هذه الصفة من صفات عيسى عليه السلام اشارة الى الرى والخصب الذى يكون فى أيامه اذا أهبط الى الارض والله أعلم * وذكر فى صفة موسى انه آدم طوال ولوصفه اياه بالادمة أصل فى كتاب الله تعالى قاله الطبرى عند تفسير قوله «تخرج بيضاء من غير سوء» قال فى خروج يده بيضاء آية فى ان خرجت بيضاء مخالفا لونها سائر لون جسده وذلك دليل بين على الادمة التى هى خلاف البياض * وذكر ابراهيم فقال لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم أشبه به منه يعنى نفسه وفى آخر هذا الكلام اشكال من اجل ان أشبه منصوب فى الموضعين ولكن اذا فهمت معناه عرفت اعرابه ومعناه لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم به منه ثم كرر أشبه توكيدا فصارت لغوا كالمقحم وصاحبكم معطوف على الضمير الذى فى أشبه الاول الذى هو نعت لرجل وحسن العطف عليه وان لم يؤكد به وكما حسن فى قوله تعالى «ما أشركنا ولا آباؤنا» من أجل الفصل بلا النافية ولو أسقط من الكلام أشبه الثانى لكان حسنا جدا ولو أخر صاحبكم فقال ولا أشبه به صاحبكم منه لجاز ويكون فاعلا بأشبه الثانية ويكون من باب قولهم ما رأيت رجلا أحسن فى عينه الكحل من زيد وهى مسئلة عذراء لم تفترعها أيدى النحاة بعد ولم يشف منها متقدم منهم ولا متأخر ممن رأينا كلامه فيها وقد املينا فى غير هذا الكتاب فيها تحقيقا شافيا

﴿ فصل ﴾ وذكر فى صفة النبى صلى الله عليه وسلم مما نعته به على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال لم يكن بالطويل الممغط بالغين المعجمة وفى غير هذه الرواية بالعين المهملة وذكر الاوصاف الى آخرها وقد شرحها أبو عبيد فقال عن الاصمعى والكسائى وابى عمرو وغير واحد * قوله ليس بالطويل الممغط أى ليس بالبائن الطويل ولا القصير المتردد يعنى الذى تردد خلقه بعضه على بعض وهو مجتمع ليس بسبط الخلق يقول فليس هو كذلك ولكن ربعة بين الرجلين وهكذا صفته صلى الله عليه وسلم وفى حديث آخر ضرب

بالمطهم ولا المكلثم وكان أبيض مشربا أدعج العينين أهدب الاشفار جليل المشاش والكتد دقيق المسربة أجود شثن الكفين والقدمين اذا مشى تقلع كانما يمشى فى صبب واذا التفت التفت معا بين كتفيه خاتم النبوة وهو خاتم النبيين أجود الناس كفا وأجرأ الناس صدرا وأصدق الناس لهجة وأوفى الناس ذمة وألينهم عريكة وأكرمهم عشرة من رآه بديهة هابه ومن خالطه أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم * قال محمد بن اسحق وكان فيما بلغنى عن أم هانئ بنت أبى طالب رضى الله عنها واسمها هند فى مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم انها كانت تقول ما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو فى بيتى نائم عندى تلك الليلة فى بيتى فصلى العشاء الآخرة ثم نام ونمنا فلما كان قبيل الفجر أهبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا معه قال يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيت بهذا الوادى ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم قد صليت صلاة الغداة معكم الآن كما ترين ثم قام ليخرج فاخذت بطرف ردائه فتكشف عن بطنه وكانه قبطية مطوية فقلت له يا نبى الله لا تحدث بهذا الحديث الناس فيكذبوك و يؤذوك قال والله لاحدثنهموه قال فقلت لجارية لى حبشية ويحك اتبعى محمدا رسول الله حتى تسمعى ما يقول للناس وما يقولون له فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الناس أخبرهم فعجبوا وقالوا ما آية ذلك يا محمد فانا لم نسمع بمثل هذا قط قال آية ذلك انى مررت بعير بنى فلان بوادى كذا وكذا فانفرهم حس الدابة فندلهم بعير فدللتهم عليه وأنا موجه الى الشام ثم أقبلت حتى اذا كنت بضجنان مررت بعير بنى فلان فوجدت القوم نياما ولهم اناء فيه ماء وقد غطوا عليه بشئ فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان وآية ذلك ان عيرهم الآن تصوب من البيضاء ثنية التنعيم يقدمها جمل أورق عليه غرارتان احداهما سوداء والاخرى برقاء قالت فابتدر القوم الثنية فلم يلقهم أول من الجمل كما وصف لهم وسألوهم عن الاناء فاخبروهم انهم وضعوه مملوأ ماء ثم غطوه وانهم هبوا فوجدوه مغطى كما غطوه ولم يجدوا فيه ماء وسألوا الآخرين وهم بمكة فقالوا صدق والله لقد أنفرنا فى الوادى الذى ذكر وند لنا بعير فسمعنا صوت رجل يدعونا اليه حتى أخذناه * قال ابن اسحق وحدثنى من لا أتهم عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما فرغت مما كان فى بيت المقدس أتى بالمعراج ولم أر شيئا قط أحسن منه وهو الذى يمد اليه ميتكم عينيه اذا احضر فاصعدنى صاحبى فيه حتى انتهى بى الى باب من أبواب السماء يقال له باب الحفظة عليه ملك من الملائكة يقال له اسماعيل تحت يده اثنا عشر ألف ملك تحت يدى كل ملك منهم اثنا عشر ألف ملك قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حدث بهذا الحديث وما يعلم جنود ربك الا هو قال فلما دخل بى قال من هذا يا جبريل قال محمد قال أوقد بعث قال نعم قال فدعا لى بخير

اللحم بين الرجلين * وقوله ليس بالمطهم قال الاصمعى هو التام كل شئ منه على حدته فهو بارع الجمال وقال غير الاصمعى المكلثم المدور الوجه يقول ليس كذلك ولكنه مسنون * وقوله مشرب يعنى الذى أشرب حمرة والادعج العين الشديد سواد العين قال الاصمعى الدعجة هى السواد والجليل المشاش العظيم رؤس العظام مثل الركبتين والمرفقين والمنكبين * وقوله الكتد هو الكاهل وما يليه من جسده وقوله شثن الكفين والقدمين يعنى انهما الى الغلظ وقوله ليس بالسبط ولا الجعد القطط فالقطط الشديد الجعودة مثل شعور الحبشة ووقع فى غريب الحديث لابى عبيد التام كل شئ منه على حدته يقول ليس كذلك ولكنه بارع الجمال فهذه الكلمة أعنى ليس كذلك مخلة بالشرح وقد وجدته فى رواية أخرى عن ابى عبيد باسقاط يقول ليس كذلك ولكن على نص ما ذكرناه آنفا عنه عن الاصمعى والذى فى غريب الحديث من تلك الزيادة وهم وقع فى الكتاب والله أعلم واما ما رواه الترمذى عن الاصمعى فى شرح المطهم قال هو البادن الكثير اللحم ذكره عن أبى جعفر عن الاصمعى وذكر عنه فى الممغط نحو ما قدمناه قال وسمعت اعرابيا يقول تمغط فى نشابة أى مدها وفى كتاب العين مغطت الشئ اذا مددته وقال فى باب العين المهملة معطت الشئ اذا مددته كما قال فى الغين المعجمة فعلى هذا يقال فيه ممغط ومعط ووزنه منفعل وادغمت النون فى الميم كما ادغمت فى محوته فامحى لما أمن التباسه بالمضاعف ولم يدغموا النون فى الميم فى شاة زنماء ولا فى غنم لئلا يلتبس بالمضاعف لو قالوا زماء وغما وقد ذكرنا قبل ما وهم فيه الترمذى من تفسير زر الحجلة حيث قال يقال انه بيض له حيث تكلمنا على خاتم النبوة وصفته واختلاف الرواية فيه والحمد لله

﴿ فصل ﴾ وقد تكلم العلماء فى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم لربه ليلة الاسراء فروى مسروق عن عائشة انها أنكرت ان يكون رآه وقالت من زعم ان محمدا رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية واحتجت بقوله سبحانه لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وفى مصنف الترمذى عن ابن عباس وكعب الاحبار انه رآه قال كعب ان الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد وفى صحيح مسلم عن أبى ذر قلت يا رسول الله هل رأيت ربك قال رأيت نورا وفى حديث آخر من كتاب مسلم انه قال نورا انى أراه وليس فى هذا الحديث

بيان

وقاله * قال ابن اسحق وحدثني بعض أهل العلم عمن حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تلقتني الملائكة حين دخلت السماء الدنيا فلم يلقني ملك الا ضاحكا مستبشرا يقول خيرا ويدعو به حتى لقيني ملك من الملائكة فقال مثل ما قالوا ودعا بمثل ما دعوا به الا انه لم يضحك ولم أر منه من البشر مثل ما رأيت من غيره فقلت لجبريل يا جبريل من هذا الملك الذي قال لي كما قالت الملائكة ولم يضحك ولم أر منه من البشر مثل الذي رأيت منهم قال فقال لي جبريل اما انه لو كان ضحك الى أحد كان قبلك او كان ضاحكا الى أحد بعدك لضحك اليك ولكنه لا يضحك هذا مالك خازن النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لجبريل وهو من الله تعالى بالمكان الذي وصف لكم مطاع ثم أمين الا تأمره ان يريني النار فقال بلى يا مالك أر محمدا النار قال فكشف عنها غطاءها ففارت وارتفعت حتى ظننت لتأخذن ما أرى قال فقلت لجبريل يا جبريل مره ليردها الى مكانها قال فأمره فقال لها اخبي فرجعت الى مكانها الذي خرجت منه فما شبهت رجوعها الا وقوع الظل حتى اذا دخلت من حيث خرجت رد عليها غطاءها قال أبو سعيد الخدري في حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما دخلت السماء الدنيا رأيت بها رجلا جالسا تعرض عليه أرواح بني آدم فيقول لبعضها اذا عرضت عليه خيرا ويسر به ويقول روح طيبة خرجت من جسد طيب ويقول لبعضها اذا عرضت عليه أف ويعبس بوجهه ويقول روح خبيثة خرجت من جسد خبيث قال قلت من هذا يا جبريل قال هذا أبوك آدم تعرض عليه أرواح ذريته فاذا مرت به روح المؤمن منهم سر بها وقال روح طيبة خرجت من جسد

بيان شاف انه رآه وحكى عن أبي الحسن الاشعري انه قال رآه بعيني رأسه وفي تفسير النقاش عن ابن حنبل انه سئل هل رأى محمد ربه فقال رآه رآه رآه حتى انقطع صوته * وفي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن الزهري وذكر انكار عائشة انه رآه فقال الزهري ليست عائشة أعلم عندنا من ابن عباس وفي تفسير ابن سلام عن عروة انه كان اذا ذكر انكار عائشة ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربه يشتد ذلك عليه وقول أبي هريرة في هذه المسئلة كقول ابن عباس انه رآه روى يونس عن ابن اسحق عن داود بن الحصين قال سأل مروان أبا هريرة هل رأى محمد ربه فقال نعم وفي رواية يونس ان ابن عمر أرسل الى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم رآه فقال ابن عمر وكيف رآه فقال ابن عباس كلاما كرهت ان أورده بلفظه لما يوهم من التشبيه ولو صح لكان له تأويل والله اعلم والمتحصل من هذه الاقوال والله أعلم انه رآه لا على أكمل ما تكون الرؤية على نحو ما يراه في حظيرة القدس عند الكرامة العظمى والنعيم الاكبر ولكن دون ذلك والى هذا يومي قوله رأيت نورا ونورا اني أراه في الرؤية الاخرى والله اعلم * وأما الدنو والتدلي فهما خبر عن النبي صلى الله عليه وسلم عن بعض المفسرين وقيل ان الذي تدلى هو جبريل عليه السلام تدلى الى محمد حتى دنا منه وهذا قول طائفة أيضا وفي الجامع الصحيح في احدى الروايات منه فتدلى الجبار وهذا مع صحة نقله لا يكاد احد من المفسرين يذكره لاستحالة ظاهره أو للغفلة عن موضعه ولا استحالة فيه لان حديث الاسراء ان كان رؤيا رآها بقلبه وعينه نائمة كما في حديث أنس فلا اشكال فيما يراه في نومه عليه السلام فقد رآه في أحسن صورة ووضع كفه بين كتفيه حتى وجد بردها بين ثدييه رواه الترمذي من طريق معاذ في حديث طويل ولما كانت هذه رؤيا لم ينكرها أحد من اهل العلم ولا استبشعها وقد بينا آنفا ان حديث الاسراء كان رؤيا ثم كان يقظة فان كان قوله فتدلى الجبار في المرة التي كان فيها غير نائم وكان الاسراء بجسده فيقال فيه من التأويل ما يقال في قوله ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا فليس بابعد منه في باب التأويل فلا نكارة فيه كان في نوم أو يقظة وقد اشرنا الى تمام هذا المعنى في شرح ما تضمنه لفظ القوسين من قوله قاب قوسين في جزء أمليناه في شرح سبحان الله وبحمده تضمن لطائف من معنى التقديس والتسبيح فلينظر هنالك وأملينا أيضا في معنى رؤية الرب سبحانه في المنام وفي عرصات القيامة مسئلة لقناع الحقيقة في ذلك كاشفة فمن أراد فهم الرؤية والرؤيا فلينظرها هنالك ويقوي ما ذكرناه من معنى اضافة التدلي الى الرب سبحانه كما في حديث البخاري ما رواه ابن سنجر مسندا الى شريح بن عبيد قال لما صعد النبي صلى الله عليه وسلم الى السماء فأوحى الى عبده ما أوحى فلما احس جبريل بدنو الرب خر ساجدا فلم يزل يسبح سبحان رب الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة حتى قضى الله الى عبده ما قضى قال ثم رفع رأسه فرأيته في خلقه الذي خلق عليه منظوما أجنحته بالزبرجد واللؤلؤ والياقوت فخيل الى ان ما بين عينيه قد سد الافقين وكنت لا أراه قبل ذلك الا على صور مختلفة وكنت أكثر ما أراه على صورة دحية بن خليفة الكلبي وكان أحيانا لا يراه قبل ذلك الا كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغربال

﴿ فصل ﴾ ومما سئل عنه من حديث الاسراء وتكلم فيه لقاؤه لآدم في السماء الدنيا ولابراهيم في السماء

طيب واذا مرت به روح الكافر منهم أنف منها وكرهها وساءه ذلك وقال روح خبيثة خرجت من جسد خبيث قال ثم رأيت رجالا لهم مشافر كمشافر الابل فى أيديهم قطع من نار كالافهار يقذفونها فى أفواههم فتخرج من أدبارهم فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء أكلة أموال اليتامى ظلما قال ثم رأيت رجالا لهم بطون لم أر مثلها قط بسبيل آل فرعون يمرون عليهم كالابل المهيومة حين يعرضون على النار يطؤونهم لا يقدرون على أن يتحولوا من مكانهم ذلك قال قلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء أكلة الربا قال ثم رأيت رجالا بين أيديهم لحم سمين طيب الى جنبه لحم غث منتن ياكلون من الغث المنتن ويتركون السمين الطيب قال قلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ويذهبون الى ماحرم الله عليهم منهن قال ثم رأيت نساء معلقات بثديهن فقلت من هؤلاء ياجبريل قال هؤلاء اللاتى أدخلن على الرجال من ليس من أولادهم * قال ابن اسحق وحدثنى جعفر بن عمرو عن القاسم بن محمد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اشتد غضب الله على امرأة أدخلت على قوم من ليس منهم فأكل حرائبهم واطلع على عوراتهم * قال ابن اسحق ثم رجع الى حديث أبى سعيد الخدرى قال ثم أصعدنى الى السماء الثانية فاذا فيها ابنا الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكريا قال ثم اصعدنى الى السماء الثالثة فاذا فيها رجل صورته كصورة القمر ليلة البدر قال قلت من هو ياجبريل قال هذا أخوك يوسف بن يعقوب قال ثم اصعدنى الى السماء الرابعة فاذا فيها رجل فسألته من هو فقال هذا ادريس قال يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعناه مكانا عليا قال ثم اصعدنى الى السماء الخامسة فاذا فيها كهل أبيض الرأس واللحية عظيم العثنون لم أر كهلا أجمل منه قال قلت من هذا ياجبريل قال هذا المحبب فى قومه هرون بن عمران قال ثم اصعدنى الى السماء السادسة فاذا فيها رجل آدم طويل أقنى كانه من رجال شنوءة فقلت له من هذا ياجبريل قال هذا أخوك موسى بن عمران

السابعة وغيرهما من الانبياء الذين لقيهم فى غير هاتين السماءين والحكمة فى اختصاص كل واحد منهم بالسماء التى رآه فيها وسؤال آخر فى اختصاص هؤلاء الانبياء باللقاء دون غيرهم وان كان رأى الانبياء كلهم فما الحكمة فى اختصاص هؤلاء الانبياء بالذكر وقد تكلم أبو الحسن بن بطال فى شرح البخارى على هذا السؤال فلم يصنع شيئا ومغزى كلامه الذى أشار اليه ان الانبياء لما علموا بقدومه عليهم ابتدروا الى لقائه ابتدار أهل الغائب للغائب القادم فمنهم من أسرع ومنهم من أبطأ الى هذا المعنى أشار فلم يزد عليه والذى أقول فى هذا ان مأخذ فهمه من علم التعبير فانه من علم النبوءة وأهل التعبير يقولون من رأى نبيا بعينه فى المنام فان رؤياه تؤذن بما يشبه حال ذلك النبى من شدة أو رخاء أو غير ذلك من الامور التى أخبر بها عن الانبياء فى القرآن والحديث وحديث الاسراء كان بمكة وهى حرم الله وأمنه وقطانها جيران الله لان فيها بيته فأول مارأى عليه من الانبياء آدم الذى كان فى أمن الله وجواره فاخرجه عدوه ابليس منها وهذه القصة تشبهها الحالة الاولى من أحوال النبى صلى الله عليه وسلم حين أخرجه أعداؤه من حرم الله وجوار بيته فكربه ذلك وغمه وأشبهت قصته فى هذا قصة آدم مع ان آدم تعرض عليه أرواح ذريته البر والفاجر منهم فكان فى السماء الدنيا بحيث يرى الفريقين لان أرواح أهل الشقاء لا تلج فى السماء ولا تفتح لهم أبوابها كما قال الله تعالى ثم رأى فى الثانية عيسى ويحيى وهما الممتحنان باليهود أما عيسى فكذبته اليهود وآذته وهموا بقتله فرفعه الله وأما يحيى فقتلوه ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعد انتقاله الى المدينة صار الى حالة ثانية من الامتحان وكانت محنته فيها باليهود آذوه وظاهروا عليه وهموا بالقاء الصخرة عليه ليقتلوه فنجاه الله تعالى كما نجى عيسى منهم ثم سموه فى الشاة فلم تزل تلك الاكلة تعاوده حتى قطعت أبهره كما قال عند الموت وهكذا فعلوا بابنى الخالة عيسى ويحيى لان أم يحيى أشياع بنت عمران أخت مريم أمهما حنة وأما لقاؤه ليوسف فى السماء الثالثة فانه يؤذن بحالة ثالثة تشبه حال يوسف وذلك ان يوسف ظفر باخوته بعدما أخرجوه من بين ظهرانيهم فصفح عنهم وقال لا تثريب عليكم الآية وكذلك نبينا عليه السلام أسر يوم بدر جملة من أقاربه الذين أخرجوه فيهم عمه العباس وابن عمه عقيل فمنهم من أطلق ومنهم من قبل فداءه ثم ظهر عليهم بعد ذلك عام الفتح فجمعهم فقال لهم أقول ما قال أخى يوسف لا تثريب عليكم اليوم ثم لقاؤه لادريس فى السماء الرابعة وهو المكان الذى سماه الله مكانا عليا وادريس أول من آتاه الله الخط بالقلم فكان ذلك مؤذنا بحالة رابعة وهى علو شأنه عليه السلام حتى أخاف الملوك وكتب اليهم يدعوهم الى طاعته حتى قال أبو سفيان وهو عند ملك الروم حين جاءه كتاب النبى عليه السلام ورأى ما رأى من خوف هرقل لقد أمر أمر ابن أبى كبشة حتى أصبح يخافه ملك بنى الاصفر وكتب عنه بالقلم الى جميع ملوك الارض فمنهم من اتبعه على دينه كالنجاشى وملك عمان ومنهم من هادنه وأهدى اليه وأتحفه كهرقل والمقوقس ومنهم من تعصى عليه فاظهره الله عليه فهذا مقام علىّ وخط بالقلم كنحو ما أوتى ادريس عليه السلام ولقاؤه فى السماء الخامسة لهارون المحبب فى قومه يؤذن بحب قريش وجميع العرب له بعد بغضهم فيه ولقاؤه فى السماء السادسة لموسى يؤذن بحالة تشبه حالة موسى حين أمر بغزو الشام فظهر على الجبابرة

الجبابرة الذين كانوا فيها وأدخل بني اسرائيل البلد الذي خرجوا منه بعد اهلاك عدوهم وكذلك غزى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك من أرض الشام وظهر على صاحب دومة حتى صالحه على الجزية بعد أن أتى به أسيرا وافتتح مكة ودخل أصحابه البلد الذي خرجوا منه ثم لقاؤه في السماء السابعة لابراهيم عليه السلام لحكمتين احداهما انه رآه عند البيت المعمور مسندا ظهره اليه والبيت المعمور حيال مكة واليه تحج الملائكة كما ان ابراهيم هو الذي بنى الكعبة وأذن في الناس بالحج اليها والحكمة الثانية ان آخر أحوال النبي صلى الله عليه وسلم حجه الى البيت الحرام وحج معه نحو من سبعين ألفا من المسلمين ورؤية ابراهيم عند أهل التاويل تؤذن بالحج لانه الداعي اليه والرافع لقواعد الكعبة المحجوجة فقد انتظم في هذا الكلام الجواب عن السؤالين المتقدمين احدهما السؤال عن تخصيص هؤلاء بالذكر والآخر السؤال عن تخصيصهم بهذه الاماكن من السماء الدنيا الى السابعة وكان الحزم ترك التكلف لتاويل مالم يرد فيه نص عن السلف ولكن عارض هذا الغرض ما يجب من التفكر في حكمة الله والتدبر لآيات الله وقول الله تعالى «ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون» وقد روي ان تفكر ساعة خير من عبادة سنة مالم يكن النظر والتفكر مجردا من ملاحظة الكتاب والسنة ومقتضى كلام العرب فعند ذلك يكون القول في الكتاب والسنة بغير علم عصمنا الله تعالى من ذلك وجعلنا من الممتثلين لامره حيث يقول فاعتبروا يا أولي الابصار وليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب ولولا اسراع الناس الى انكار ما جهلوه وغلظ الطباع عن فهم كثير من الحكمة لابدينا من سر هذا السؤال وكشفنا عن الحكمة في هؤلاء الانبياء المسمين في هذه المراتب أكثر مما كشفنا

﴿فصل﴾ وذكر البيت المعمور وانه يدخله كل يوم سبعون ألف ملك روى ابن سنجر عن علي رحمه الله قال البيت المعمور بيت في السماء السابعة يقال له الضراح واسم السماء السابعة عريباء وروى أبو بكر الخطيب باسناد صحيح الى وهب بن منبه قال من قرأ البقرة وآل عمران يوم جمعة كان له نور يملأ ما بين عريباء وجريباء وجريباء هي الارض السابعة وذكر عن عبد الله بن أبي الهذيل قال البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف دحية عند كل دحية سبعون ألف ملك رواه عنه أبو التياح قال أبو سلمة قلت ما الدحية قال الرئيس وروى ابن سنجر أيضا من طريق أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في السماء السابعة بيت يقال له المعمور بحيال مكة وفي السماء السابعة نهر يقال له الحيوان يدخله جبريل كل يوم فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة يخر عنه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كل قطرة ملكا يؤمرون أن ياتوا البيت المعمور ويصلوا فيه فيفعلون ثم يخرجون فلا يعودون اليه أبدا يولى عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم من السماء موقفا يسبحون الله الى أن تقوم الساعة

﴿فصل﴾ وأما فرض الصلاة عليه هنالك ففيه التنبيه على فضلها حيث لم تفرض الا في الحضرة المقدسة ولذلك كانت الطهارة من شأنها ومن شرائط أدائها والتنبيه على انها مناجاة الرب وان الرب تعالى مقبل بوجهه على المصلي يناجيه يقول حمدني عبدي أثنى علي عبدي الى آخر السورة وهذا مشاكل لفرضها عليه في السماء السابعة حيث سمع كلام الرب وناجاه ولم يعرج به حتى طهر ظاهره وباطنه بماء زمزم كما يتطهر المصلي للصلاة واخرج عن الدنيا بجسمه كما يخرج المصلي عن الدنيا بقلبه ويحرم عليه كل شيء الا مناجاة ربه وتوجهه الى قبلته في ذلك الحين وهو بيت المقدس ورفع الى السماء كما يرفع المصلي يديه الى جهة السماء اشارة الى القبلة العليا وهي البيت المعمور والى جهة عرش من يناجيه ويصلي له سبحانه

﴿فصل﴾ وأما فرض الصلوات خمسين ثم حط منها عشرا بعد عشر الى خمس صلوات وقد روى أيضا

ثم أصعدني الى السماء السابعة فاذا فيها كهل جالس على كرسي الى باب البيت المعمور يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون فيه الى يوم القيامة لم أر رجلا أشبه بصاحبكم ولا صاحبكم اشبه به منه قال قلت من هذا يا جبريل قال هذا أبوك ابراهيم قال ثم دخل بي الى الجنة فرأيت فيها جارية لعساء فسألتها لمن أنت وقد أعجبتني حين رأيتها فقالت لزيد بن حارثة فبشر بها رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم زيد ابن حارثة * قال ابن اسحق ومن حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغني ان جبريل لم يصعد به الى سماء من السموات الا قال له حين يستأذن دخولها من هذا يا جبريل فيقول محمد صلى الله عليه وسلم فيقولون أوقد بعث اليه فيقول نعم فيقولون حياه الله من أخ وصاحب حتى انتهى به الى السماء السابعة ثم انتهى به الى ربه ففرض عليه خمسين صلاة كل يوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقبلت راجعا فلما مررت بموسى بن عمران ونعم الصاحب كان لكم سألني كم فرض عليك من الصلاة فقلت خمسين صلاة كل يوم فقال ان الصلاة ثقيلة وان أمتك ضعيفة فارجع الى ربك فاسأله ان يخفف عنك وعن أمتك فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي فوضع عني عشرا ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي فوضع عني عشرا ثم انصرفت فمررت على موسى فقال لي مثل ذلك فرجعت فسألت ربي

انها حطت خمسا بعد خمس وقد يمكن الجمع بين الروايتين لدخول الخمس فى العشر فقد تكلم فى هـذا النقص من الفريضة أهو نسخ أم لا على قولين فقال قوم هو من باب نسخ العبادة قبل العمل بها وأنكر ابوجعفر النحاس هذا القول من وجهين أحدهما البناء على أصله ومذهبه فى ان العبادة لا يجوز نسخها قبل العمل بها لان ذلك عنده من البداء والبداء محال على الله سبحانه الثانى ان العبادة ان جاز نسخها قبل العمل بها عند من يرى ذلك فليس يجوز عند أحد نسخها قبل هبوطها الى الارض ووصولها الى المخاطبين قال وانما ادعى النسخ فى هذه الصلوات الموضوعة عن محمد وأمته القاشانى ليصحح بذلك مذهبه فى أن البيان لا يتأخر ثم قال أبوجعفر انما هى شفاعة شفعها رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته ومراجعة راجعها ربه ليخفف عن أمته ولا يسمى مثل هـذا نسخا (قال المؤلف) اما مذهبه فى ان العبادة لا تنسخ قبل العمل بها وان ذلك بداء فليس بصحيح لان حقيقة البداء ان يبدو للآمر رأى يتبين له الصواب فيه بعد أن لم يكن تبينه وهذا محال فى حق من يعلم الاشياء بعلم قديم وليس النسخ من هـذا فى شىء انما النسخ تبديل حكم بحكم والكل فى سابق علمه ومقتضى حكمته كنسخه المرض بالصحة والصحة بالمرض ونحو ذلك وأيضا بان العبد المأمور يجب عليه عند توجه الامر اليه ثلاث عبادات الفعل الذى أمر به والعزم على الامتثال عند سماع الامر واعتقاد الوجوب ان كان واجبا فان نسخ الحكم قبل الفعل فقد حصلت فائدتان العزم واعتقاد الوجوب وعلم الله ذلك منه فصح امتحانه له واختباره اياه وأوقع الجزاء على حسب ما علم من نيته وانما الذى لا يجوز نسخ الامر قبل نزوله وقبل علم المخاطب به والذى ذكر النحاس من نسخ العبادة بعد العمل بها فليس هو حقيقة النسخ لان العبادة المأمور بها قد مضت وانما جاء الخطاب بالنهى عن مثلها لا عنها وقولنا فى الخمس والاربعين صلاة الموضوعة عن محمد وأمته أحد وجهين اما أن يكون نسخ ما وجب على النبى صلى الله عليه وسلم من أدائها ورفع عنه استمرار العزم واعتقاد الوجوب وهذا قد قدمنا انه نسخ على الحقيقة ونسخ عنه ما وجب عليه من التبليغ فقد كان فى كل مرة عازما على تبليغ ما أمر به وقول أبى جعفر انما كان شافعا ومراجعا ينفى النسخ فان النسخ قد يكون عن سبب معلوم فشفاعته عليه السلام لامته كانت سببا للنسخ لا مبطلة لحقيقته ولكن المنسوخ ما ذكرنا من حكم التبليغ الواجب عليه قبل النسخ وحكم الصلوات الخمس فى خاصته وأما امته فلم ينسخ عنهم حكم اذ لا يتصور نسخ الحكم قبل بلوغه الى المأمور كما قدمنا وهذا كله أحد الوجهين فى الحديث والوجه الثانى أن يكون هذا خبرا لا تعبدا واذا كان خبرا لم يدخله النسخ ومعنى الخبر انه عليه السلام أخبره ربه ان على أمته خمسين صلاة ومعناه انها خمسون فى اللوح المحفوظ وكذلك قال فى آخر الحديث هى خمس وهى خمسون والحسنة بعشر أمثالها فتأوله رسول الله صلى الله عليه وسلم على انها خمسون بالفعل فلم يزل يراجع ربه حتى بين له انها خمسون فى الثواب لا بالعمل (فان قيل) فما معنى نقصها عشرا بعد عشر (قلنا) ليس كل الخلق يحضر قلبه فى الصلاة من أولها الى آخرها وقد جاء فى الحديث انه يكتب له منها ما حضر قلبه فيها وان العبد يصلى الصلاة فيكتب له نصفها ربعها حتى انتهى الى عشرها ووقف فهى خمس فى حق من كتب له عشرها وعشر فى حق من كتب له أكثر من ذلك وخمسون فى حق من كملت صلاته وأداها بما يلزمه من تمام خشوعها وكمال سجودها وركوعها

﴿ فصل ﴾ وذكر انه عليه السلام لم يلقه ملك من الملائكة الا ضاحكا مستبشرا الا مالكا خازن جهنم وذلك انه لم يضحك لاحد قبله ولا هو ضاحك لاحد ومصداق هذا فى كتاب الله تعالى قال الله سبحانه «عليها ملائكة غلاظ شداد» وهم موكلون بغضب الله تعالى فالغضب لا يزايلهم أبدا وفى هذا الحديث معارضة

فوضع عنى عشرا ثم رجعت فمررت على موسى فقال لى مثل ذلك فرجعت فسألته فوضع عنى عشرا فمررت على موسى ثم لم يزل يقول لى مثل ذلك كلما رجعت اليه قال فارجع فاسأل حتى انتهيت الى ان وضع ذلك عنى الا خمس صلوات فى كل يوم وليلة ثم رجعت الى موسى فقال لى مثل ذلك فقلت قد راجعت ربى وسألته حتى استحييت منه فما انا بفاعل فمن أداهن منكم ايمانا بهن واحتسابا لهن كان له أجر خمسين صلاة صلوات الله على محمد صلى الله عليه وسلم

للحديث

للحديث الذي في صفة ميكائيل انه ماضحك منذ خلق الله جهنم وكذلك يعارضه ما خرج الدارقطني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبسم في الصلاة فلما انصرف سئل عن ذلك فقال رأيت ميكائيل راجعا من طلب القوم وعلى جناحيه الغبار فضحك الي فتبسمت اليه واذا صح الحديثان فوجه الجمع بينهما أن يكون لم يضحك منذ خلق الله النار الى هذه المدة التي ضحك فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون الحديث عاما يراد به الخصوص أو يكون الحديث الاول حدث به رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل هذا الحديث الاخير ثم حدث بعد بما حدث به من ضحكه اليه والله أعلم ولم ير مالكا على الصورة التي يراه عليها المعذبون في الآخرة ولو رآه على تلك الصورة ما استطاع ان ينظر اليه وذكر أكلة الربا وأنهم بسبيل آل فرعون يعرون عليهم كالابل المهيومة وهي العطاش والهيام شدة العطش وكان قياس هذا الوصف ألا يقال فيه مهيومة كما لا يقال معطوشة انما يقال هائم وهيمان وقد يقال هيوم ويجمع على هيم ووزنه فعل بالضم لكن كسر من اجل الياء كما قال تعالى « فشاربون شرب الهيم » ولكن جاء في الحديث مهيومة كانه شئ فعل بها كالمحمومة والمجنونة وكالمنهوم وهو الذي لا يشبع وكان قياس الياء أن تعتل فيقال مهيمة كما يقال مبيعة في معنى مبيوعة ولكن صحت الياء لانها في معنى الهيومة كما صحت الواو في عور لانه في معنى أعور كما صحت في جتوروا لانه في معنى تجاوروا وانما رءاهم منتفخة بطونهم لان العقوبة مشاكلة للذنب فآكل الربا يربو بطنه كما أراد ان يربو ماله باكل ما حرم عليه فمحقت البركة من ماله وجعلت نفخا في بطنه حتى يقوم كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس وانما جعلوا بطريق آل فرعون يمرون عليهم غدوا وعشيا لان آل فرعون هم أشد الناس عذابا يوم القيامة كما قال سبحانه «أدخلوا آل فرعون أشد العذاب» فخصوا بسبيلهم ليعلم أن الذين هم أشد الناس عذابا بطؤنهم فضلا عن غيرهم من الكفار وهم لا يستطيعون القيام ومعنى كونهم في طريق جهنم بحيث يمر بالكفار عليهم ان الله سبحانه قد أوقف امرهم بين ان ينتهوا فيكون خيرا لهم وبين لان يعودوا ويصروا فيدخلهم النار وهذه صفة من هو في طريق النار قال الله تعالى « فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى » الى آخر الآية وفي بعض المسندات انه رأى بطونهم كالبيوت يعني أكلة الربا وفيها حيات ترى من خارج البطون (فان قيل) هذه الاحوال التي وصفها عن أكلة الربا ان كانت عبارة عن حالهم في الآخرة فآل فرعون في الآخرة قد أدخلوا أشد العذاب وانما يعرضون على النار غدوا وعشيا في البرزخ وان كانت هذه الحال التي رآهم عليها في البرزخ فأي بطون لهم وقد صاروا عظاما ورفاتا ومزقوا كل ممزق (فالجواب) انه انما رآهم في البرزخ لانه حديث عما رأى وهذه الحال هي حال أرواحهم بعد الموت وفيها تصحيح لمن قال الارواح أجساد لطيفة قابلة للنعيم والعذاب فيخلق الله في تلك الارواح من الآلام ما يجده من انتفخ بطنه حتى وطئ بالاقدام ولا يستطيع من قيام وليس في هذا الحديث دليل على انهم أشد عذابا من آل فرعون ولكن فيه دليل على انهم بطؤهم آل فرعون وغيرهم من الكفار الذين لم يأكلوا الربا ما داموا في البرزخ الى ان يقوموا يوم القيامة كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ثم ينادي منادي الله « ادخلوا آل فرعون أشد العذاب » وكذلك ما رأى من النساء المعلقات بثديين يجوز أن يكون رأى ارواحهن وقد خلق فيها من الآلام ما يجده من هذه حاله ويحتمل أيضاً أن يكون مثلت له حالهن في الآخرة وذكر الذين يدعون ما أحل الله من نسائهم ويأتون ما حرم عليهم وهذا نص على تحريم اتيان النساء في اعجازهن وقد قام الدليل على تحريمه من الكتاب والسنة والاجماع وقد ذكرنا المواضع التي يقوم منها التحريم على هذه المسئلة من كتاب الله ومن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكرنا ما جاء في ذلك

عن ابن عباس من قوله هو الكفر وقول ابن عمر هي اللوطية الصغرى وأما الاجماع فان المرأة ترد بداء الفرج ولو جاز وطؤها في المسلك الآخر ما أجمعوا على ردها بداء الفرج وقد مهدنا الادلة على هذه المسئلة مفردة فى غير هذا الاملاء بما فيه شفاء والحمد لله ＊ وقوله فا كل حرائبهم الحربية المال وهو من الحرب وهو السلب يريد أن الولد اذا كان لغير رشدة نسب الى الذى ولد على فراشه فيا كل من ماله صغيرا و ينظر الى بناته من غير أمه والى اخوانه ولسن بعمات له والى أمه وليست بجدة له وهذا فساد كبير وانما قدم ذكر الا كل من حريته وماله قبل الاطلاع على عوراته وان كان الاطلاع على العورات أشنع لان نفقته عليه أول من حال صغره ثم قد يبلغ حد الاطلاع على عوراته أولا يبلغ وأيضاً فان الام ان أرضعته بلبانها ولم تدفعه الى مرضعة كان الزوج أباله من الرضاعة وكان حكمه حكم الابن من الرضاعة وفى ذلك نقصان من الشناعة فان بلغ الصبي وتابت الام وأعلمته انه لغير رشدة ليستعف عن ميراثهم و يكف عن الاطلاع على عوراتهم أو علم ذلك بقرينة حال وجب عليه ذلك وان كان شر الثلاثة كما جاء فى الحديث فى ابن الزنى وقد تؤول حديث شر الثلاثة على وجوه هذا أقربها الى الصواب لقوله عليه السلام أ كل حرائبهم واطلع على عوراتهم ومن فعل هذا عن عمد وقصد فهو شر الناس وان لم يسلم فا كله واطلاعه شر عمل وأبواه حين زنيا فارقا ذلك العمل الخبيث لحينهما والابن فى عمل خبيث من منشئه الى وفاته فعمله شر عمل وفى هذا الحديث من الفقه أيضاً أن حكم الحاكم لا يحل حراما وذلك ان الولد فى حكم الشريعة للفراش الا ان ينفى باللعان فاذا حكم الحاكم بهذا او علم الولد عند بلوغه خلاف ما حكم به الحاكم لم يحل له بهذا الحكم ما حرم الله عليه من أ كل الحرائب والاطلاع على العورات وفى هذا رد لمذهب أبى حنيفة من قوله ان حكم الحاكم قد يحل ما يعلم انه حرام مثل ان يشهد شاهدان على رجل انه طلق وهما يعلمان انه لم يطلق فيقبل القاضى شهادتهما فيطلق المرأة على الرجل فاذا ابانت منه كان لاحد الشاهدين ان ينكحها مع علمه بانه قد شهد زوراً ولم يقل أبو حنيفة بهذا القول فى الاموال لقول النبي عليه السلام لعل أحدكم ان يكون ألحن بحجته من صاحبه فاقضى له على نحو ما أسمع فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من النار ففى هذا الحديث مع الذى تقدم رد لمذهبه ولا حجة له فى ان يقول ذلك مخصوص بالاموال من وجهين ＊ أحدهما ان القياس أصل من أصوله وقياس المسئلتين واحد ＊ الثانى انه قال من حق اخيه ولم يقل من مال أخيه وهذا اللفظ يعم الحقوق كلها

﴿قال المؤلف﴾ وعندى ان أبا حنيفة رحمه الله انما بنى هذه المسئلة على أصله فى طلاق المكره فانه عنده لازم فاذا أكره الرجل على الطلاق وقلنا بلزوم الطلاق له فقد حرمت المرأة عليه واذا حرمت عليه جاز ان ينكحها من شاء فالاثم انما تعلق فى هذا المذهب بالشهادة دون النكاح وقد خالفه فقهاء الحجاز فى طلاق المكره وقولهم يعضده الاثر وقول أبى حنيفة يعضده النظر والخوض فى هذه المسئلة يصدنا عما نحن بسبيله

﴿فصل﴾ وذكره لادريس فى السماء الرابعة مع قوله تعالى «ورفعناه مكاناً علياً» مع انه قد رأى موسى وابراهيم فى مكان أعلى من مكان ادريس فذلك والله أعلم لما ذكر عن كعب الاحبار ان ادريس خص من جميع الانبياء ان رفع قبل وفاته الى السماء الرابعة ورفعه ملك كان صديقاً له وهو الملك الموكل بالشمس فيما ذكر وكان ادريس سأله ان يريه الجنة فاذن له الله فى ذلك فلما كان فى السماء الرابعة رآه هنالك ملك الموت فعجب وقال أمرت ان أقبض روح ادريس الساعة فى السماء الرابعة فقبضه هنالك فرفعه حياً الى ذلك المكان العلى خاص له دون الانبياء

﴿فصل﴾ وذكر من قول الانبياء له فى كل سماء مرحباً بالاخ الصالح وقول آدم وابراهيم بالابن الصالح

* قال ابن اسحق فاقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر الله تعالى صابرا محتسبا مؤديا الى قومه النصيحة على ما يلقى منهم من التكذيب والاذى وكان عظماء المستهزئين كما حدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير خمسة نفر من قومه وكانوا ذوى أسنان وشرف فى قومهم * من بنى أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب الاسود بن المطلب بن أسد أبو زمعة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى قد دعا عليه لما كان يبلغه من أذاه واستهزائه به فقال اللهم أعم بصره واثكله ولده * ومن بنى زهرة بن كلاب الاسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ومن بنى

سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب العاص بن وائل بن هشام «قال ابن هشام» العاص بن وائل بن هاشم ابن سعيد بن سهم ومن بنى خزاعة الحرث بن الطلاطلة بن عمرو بن الحرث بن عبد عمرو بن ملكان فلما تمادوا فى الشر وأكثروا برسول الله صلى الله عليه وسلم الاستهزاء أنزل الله تعالى عليه فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله إلها آخر فسوف يعلمون * قال ابن اسحق فحدثنى يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير أو غيره من العلماء ان جبريل أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يطوفون بالبيت فقام وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه فمر به الاسود بن المطلب فرمى فى وجهه بورقة خضراء فعمى ومر به الاسود بن عبد يغوث فاشار الى بطنه فاستسقى فمات منه حبنا ومر به الوليد بن المغيرة فاشار الى أثر جرح باسفل كعب رجله كان أصابه قبل ذلك بسنين وهو يجر سبله وذلك انه مر برجل من خزاعة وهو يريش نبلا له فتعلق سهم من نبله بازاره فخدش فى رجله ذلك الخدش وليس بشئ فانتقض به فقتله ومر به العاص بن وائل فاشار الى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبرقة فدخلت فى أخمص رجله شوكة فقتلته ومر به الحرث بن الطلاطلة فاشار الى رأسه فامتخض قيحا فقتله * قال ابن اسحق فلما حضر الوليد الوفاة دعا بنيه وكانوا ثلاثة هشام بن الوليد والوليد بن الوليد وخالد بن الوليد فقال لهم أى بنى أوصيكم بثلاث فلا تضيعوا فيهن دمى فى خزاعة فلا تطلنه والله انى لأعلم أنهم منه

وقد ذكرنا فى أول هذا الكتاب حجة لمن قال ان ادريس ليس بجد لنوح ولا هو من آباء رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه قال مرحبا بالاخ الصالح ولم يقل بالابن الصالح وأما اعتناء موسى عليه السلام بهذه الامة والحاحه على نبيها ان يشفع لها ويسئل التخفيف عنها فلقوله والله أعلم حين قضى اليه الامر بجانب الغربى ورأى صفات أمة محمد عليه السلام فى الالواح وجعل يقول انى أجد فى الالواح أمة صفتهم كذا اللهم اجعلهم أمتى فيقال له تلك أمة احمد وهو حديث مشهور فكان اشفاقه عليهم واعتناؤه بامرهم كما يعتنى بالقوم من هو منهم لقوله اللهم اجعلنى منهم والله أعلم * ومما جاء فى حديث الاسراء مما لم يذكره ابن اسحق فى مسند الحارث بن أبى اسامة انه عليه السلام ناداه مناد وهو على ظهر البراق يا محمد فلم يعرج عليه ثم ناداه آخر يا محمد يا محمد ثلاثا فلم يعرج عليه ثم لقيته امرأة عليها من كل زينة ناشرة يديها تقول يا محمد يا محمد حتى تغشته فلم يعرج عليها ثم سأل جبريل عما رأى فاخبره فقال أما المنادى الاول فداعى اليهود لو أجبته لتهودت أمتك وأما الآخر فداعى النصارى لو أجبته لتنصرت امتك واما المرأة التى كان عليها من كل زينة فانها الدنيا لو اجبتها لآثرت الدنيا على الآخرة

﴿ فصل ﴾ وذكر حديث المستهزئين الذين أنزل الله فيهم «انا كفيناك المستهزئين» وذكر فيهم الحارث بن الطلاطلة والطلاطلة أمه قاله أبو الوليد الوقشى والطلاطلة فى اللغة الداهية * قال أبو عبيد كل داء عضال فهو طلاطلة وذكر فى نسبه عبد عمرو بن ملكان وملكان بالضبطين جميعا وفى حاشية كتاب الشيخ الحافظ أبى بحر قال قد تقدم من قول ابن حبيب النحوى ان الناس ليس فيهم ملكان بفتح الميم واللام الا ملكان بن جرم بن زبان بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة وملكان بن عباد بن عياض بن عقبة بن السكون بن اشرس واخوة عدى هم تجيب عرفوا بامهم تجيب بنت دهم بن ثوبان وهم من كندة وكل من فى الناس وغيرهما ملكان مكسور الميم ساكن اللام وقال مشايخ خزاعة فى خزاعة ملكان بفتح الميم قال القاضى يعنى ابن حبيب ملكان بن أفصى بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر وقال غير ابن حبيب كالذى يخرج من عبارته ان الذى فى خزاعة انما هو ملكان بن أفصى مثل ملكان بن عدى بن عبد مناة من الرباب الذين منهم ذو الرمة الشاعر ومثل ملكان بن عبد مناة من الرباب أيضا رهط سفيان بن سعيد الثورى وذكر فى المستهزئين الاسود بن عبد يغوث الزهرى روى انه لما أنزل الله تعالى «انا كفيناك المستهزئين» نزل جبريل عليه السلام فحناظهر الاسود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خالى خالى فقال له جبريل خل عنك ثم حناه حتى قتله ذكره الدارقطنى

﴿ فصل ﴾ وذكر وفاة الوليد بن المغيرة وقوله لبنيه وعقرى عند أبى ازيهر الدوسى لاتدعوه والعقر دية

برآه ولكني أخشى أن تسبوابه بعد اليوم ور باى فى ثقيف فلا تدعوه حتى تاخذوه وعقرى عنـد أبى أز يهر الدوسى فلا يفوتنكم به وكان أبو أز يهر قد زوجه بنتا ثم أمسكها عنه فلم يدخلها عليه حتى مات فلما هلك الوليد بن المغـيرة وثبت بنو مخزوم على خزاعة يطلبون منهـم عقل الوليد وقالوا انمـا قتله سهم صاحبكم وكان لبنى كعب حلف من بنى عبد المطلب بن هاشم فابت عليهم خزاعة ذلك حتى تقاولوا أشعارا وغلظ بينهم الامر وكان الذى أصاب الوليد سهمه رجلا من بنى كعب بن عمرو من خزاعة فقال عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم

انى زعيم أن تسـيروا فتهربوا * وان تتركوا الظهران تعوى ثعالبه

وأن تتركوا ماء بجرعة أطرقا * وأن تسألوا أى الاراك أطايبه

فانا أناس لا تطل دماؤنا * ولا يتعاطى صاعـدا من نحار به

وكانت ظهران والاراك منازل بنى كعب من خزاعة * فاجابه الجـون بن أبى الجون أخـو بنى كعب بن عمرو الخزاعى فقال

والله لا نؤتى الوليد ظلامة * ولما تروا يوما تزول كواكبه

و يصرع منكم مسمن عند مسمن * و يفتح بعـد الموت قسرا مشاربه

اذا ما أكلتم خبزكم وخزيركم * فكلكم باكى الوليد ونادبه

ثم ان الناس تراد وا وعرفوا انمـا يخشى القـوم السبة فاعطتهم خزاعة بعض العقل وانصرفوا عن بعض فلما اصطلح القوم قال الجون بن أبى الجون

وقائلة لما اصطلحنا تعجبا * لما قـد حملنا للوليـد وقائل

ألم تقسموا تؤتوا الوليـــد ظلامة * ولما تروا يوما كثير البلابل

فنحن خلطنا الحرب بالسلم فاستوت * فام هواه آمنا كل راحـل

ثم لم ينته الجون بن أبى الجون حتى افتخر بقتل الوليد وذكر انهم أصابوه وكان ذلك باطلا فلحق الوليد بولده وقومه من ذلك ما حذر فقال الجون بن أبى الجون

ألا زعم المغيرة ان كعبا * بمكة منهم قدر كبير

فلا تفخر مغيرة أن تراها * بها يمشى المعلهج والمهير

بها آباؤنا و بها ولدنا * كما أرسى بمثبته ثبير

وما قال المغـيرة ذاك الا * ليعلم شأننا أو يستثير

فان دم الوليـد يطل أنا * نطل دماء أنت بها خبير

كساه الفاتك الميمون سهما * زعافا وهو ممتلئ بهير

فخر ببطن مكة مسلحبا * كأنه عند وجبته بعـير

صحت

الفرج المغصوب وأصله فى البكر من اجل التدمية ومنه عقر السرج الفرس اذا أدماه و بيضة العقر منه لانهم كانوا يقيسون البكر بالبيضة ليعرفوا بكورتها وقيل عقر بضم العين لانه بمعنى بضع وذكر قتل هشام بن الوليد لابى أز يهر وخبر أم غيلان مع ضرار حين أجارته ومن تمـام الخبران دوسا لمـا بلغها مقتل أبى أز يهر الدوسى وثبت على رجال من قريش كانوا عندهم فقتلوا منهم بجير بن العوام أخا الزبير وأرادوا قتل ضرار بن الخطاب فاجارته أم غيـلان وابنها عوف قال ضرار لقـد أدخلتنى بين درعها و بدنهـا حتى انى لاجـد تسبيد ركبها والتسبيد موضع الحلق من الشعر وكان الذى قتل بجيرا صبيـح بن سعد أو مليـح بن سعد جد أبى هريرة لامه لان امه أميمة بنت مليح أو صبيح

﴿ فصل ﴾ وذكر شعر عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة وفيه * وان تتركوا ماء بجزعة أطرقا * والجزعة والجزع بمعنى واحد وهو معظم الوادى * وقال ابن الاعرابى هو ما انثنى منه وأطرقا اسم علم لموضع سمى بفعل الأمر للاثنين فهو محكى لا يعرب وقيـل ان أصـل تسميته بذلك ان ثلاثة نفر مروا بها خائفين فسمع أحدهم صوتا فقال لصاحبيه أطرقا اى انصتا حتى نرى ما هذا الصوت فسمى المكان باطرقا والله أعلم وذكر شعر الجون بن أبى الجون * وفيه ألم تقسموا تؤتوا الوليد ظلامة أراد ان تؤتوا ومعناه ان لا تؤتوا كما جاء فى التنزيل «يبين الله لـكم ان تضلوا» فى قول طائفة ومعناه عندى كره لـكم ان تضلوا وقد قدمنا فى الجزء قبل هـذا كلاما على ان ومقتضاها وشيئا من أسرارها فيـه غنيـة واذا كان الكلام محمولا على معناها فالنصب جائز والرفع جائز أيضا كما أنشدوا * ألا أيها ذا الزاجرى أحضر الوغا * بنصب احضر ورفعه وأنشد سيبويه * ونهنهت نفسى بعدما كدت أفعله * يريد ان أفعله واذا رفعت فى هذا الموضع لم يذهب الرفع معنى ان فقد حكى سيبويه مره يحفرها وقدره تقـديرين أحدهمـا ان يريد الحال أى مره حافرا لها والثانى ان يريد مره ان يحفرها وارتفع الفـعل لمـا ذهبت ان من اللفظ و بين ابن جنى الفرق بين التقديرين وقال اذا نويت ان فالفعل مستقبل واذا لم تنوها فالفعل حاضر وههنا مسئلة من العرب ذكرها الطبرى قال العرب تقول لمن توجه فى أمر تصنع ماذا وتفعل ماذا على تقدير تريد ان تصنع ماذا فاذا قالوا تريد ماذا لم يكن الا رفعا لان المعنى الذى يجلب معنى ان الناصبة ليس فى قوله تريد اذ لا يستقيم ان تقول تريد ان تريد ماذا يعنى أن الارادة لا تراد وذكر شعر الجون أيضا وفيه * بها يمشى الملهج والمهير * المهير ابن المهورة الحرة والملهج المتردد فى الاماء كانه منحوت من أصلين من العلج لان الامـة علجة ومن اللهج كان واطئ الامة قد لهج بها فنحت لفظ الملهج من هـذين اللفظين وفيه * كما ارسى بمثبته ثبير * كذا

سيكفيني مطال أبي هشام * صغار جعدة الاوبار خور «قال ابن هشام» تركنا منها بيتا واحدا أقذع فيه * قال ابن اسحق ثم عدا هشام بن الوليد على أبي أزيهر وهو بسوق ذي المجاز وكانت عند أبي سفيان بن حرب بنت أبي أزيهر وكان أبو أزيهر رجلا شريفا في قومه فقتله بعقر الوليد الذي كان عنده لوصية أبيه اياه وذلك بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأصيب به من أصيب من أشراف قريش من المشركين فخرج يزيد بن أبي سفيان فجمع بني عبد مناف وأبو سفيان بذي المجاز فقال الناس اخفر ابو سفيان في صهره فهو ثائر به فلما سمع ابو سفيان بالذي صنع ابنه يزيد وكان ابو سفيان رجلا حليما منكرا يحب قومه حبا شديدا انحط سريعا الى مكة وخشي أن يكون بين قريش حدث في ابي ازيهر فأتى ابنه وهو في الحديد في قومه من بني عبد مناف والمطيبين فاخذ الرمح من يده ثم ضرب به على رأسه ضربة هده منها ثم قال قبحك الله أتريد ان تضرب قريشا بعضها ببعض في رجل من دوس سنؤتيهم العقل ان قبلوه واطفأ ذلك الامر فانبعث حسان بن ثابت يحرض في دم أبي أزيهر ويعير أباسفيان خفرته ويجبنه فقال

غدا أهل ضوجي ذي المجاز كليهما * وجار ابن حرب بالمغمس ما يغدو

كساك هشام بن الوليد ثيابه * فابل وأخلف مثلها جددا بعد

قضى وطرا منه فاصبح ماجدا * واصبحت رخوا الخب وما تعدوا

فلو ان أشياخا ببدر يشاهدوا * لبل نعال القوم معتبط ورد

ولم يمنع العير الضروط ذماره * وما منعت مخزاة والدها هند

فلما بلغ اباسفيان قول حسان قال يريد حسان ان يضرب بعضنا ببعض في رجل من دوس بئس والله ما ظن * ولما اسلم اهل الطائف كلم رسول الله صلى

الله عليه وسلم خالد بن الوليد في ربا الوليد الذي كان في ثقيف لما كان ابوه اوصاه به * قال ابن اسحق فذكر لي بعض اهل العلم أن هؤلاء الآيات من تحريم ما بقي من الربا بايدي الناس نزلن في ذلك من طلب خالد ذلك الربا يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ان كنتم مؤمنين الى آخر القصة فيها ولم يكن في ابي ازيهر ثار نعلمه حتى حجز الاسلام بين الناس

الا ان ضرار بن الخطاب بن مرداس الفهري خرج في نفر من قريش الى ارض دوس فنزلوا على امراة يقال لها ام غيلان مولاة لدوس وكانت تمشط النساء وتجهز العرائس فارادت دوس قتلهم بابي ازيهر فقامت دونهم ام غيلان ونسوة كن معها حتى منعتهم فقال ضرار بن الخطاب في ذلك

جزى الله عنا ام غيلان صالحا * ونسوتها اذهن شعث عواطل

فهن دفعن الموت بعد اقترابه * وقد برزت للثائرين المقاتل

دعت دعوة دوسا فسالت شعابها * بعز وادتها الشراج القوابل

وعمرا جزاه الله خيرا فما ونى * وما بردت منه لدى المفاصل

فجردت سيفي ثم قمت بنصله * وعن اى نفس بعد نفسي اقاتل

«قال ابن هشام» وحدثني ابو عبيدة ان التي قامت دون ضرار ام جميل ويقال ام غيلان قال ويجوز ان تكون ام غيلان قامت مع ام جميل فيمن قام دونه فلما قام عمر بن الخطاب أتته ام جميل وهي ترى انه اخوه فلما انتسبت له عرف القصة فقال اني لست باخيه الا في الاسلام وهو غاز وقد عرفت منتك عليه فاعطاها على انها ابنة سبيل قال الراوي «قال ابن هشام» وكان ضرار لحق عمر بن الخطاب يوم احد فجعل يضربه بعرض الرمح ويقول انج يا ابن الخطاب لا اقتلك فكان عمر يعرفها له بعد اسلامه * قال ابن اسحق وكان النفر الذين يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته ابو لهب * والحكم بن العاص بن امية * وعقبة بن ابي معيط * وعدي بن حمراء الثقفي * وابن الاصداء الهذلي وكانوا جيرانه لم يسلم منهم احد الا الحكم بن أبي العاص وكان احدهم فيما ذكر لي يطرح عليه صلى الله عليه وسلم رحم الشاة وهو يصلي وكان احدهم يطرحها في برمته اذا نصبت له حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجرا يستتر به منهم اذا صلى فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا

تحت الرواية في رسي بالتخفيف وهو زحاف داخل على زحاف لان تسكين اللام من مفاعلتن في الوافر زحاف ولكنه حسن كثير فلما كثر شبهه هذا الشاعر بمفاعيل لانه على وزنه ومفاعيلن يحسن حذف الياء منها في الطويل فيصير فعولن مفاعيل فلذلك أدخل هذا الشاعر الزحاف على مفاعلتن لانه بعد السكون في وزن مفاعيلن التي تحذف ياؤها حذفا مستحسنا فتدبره فانه مليح في علم العروض

﴿ فصل ﴾ وأنشد لحسان بن ثابت * غدا أهل ضوجي ذي المجاز بسحرة * ضوج الوادي جانبه وذو المجاز سوق عند عرفة كانت العرب اذا حجت أقامت بسوق عكاظ شهر شوال ثم تنتقل الى سوق مجنة فتقيم فيه عشرين يوما من ذي القعدة ثم تنتقل الى سوق ذي المجاز فتقيم فيه الى أيام الحج وكانوا يتفاخرون في سوق عكاظ شهر شوال اذا اجتمعوا ويقال عكظ الرجل صاحبه اذا فاخره وغلبه بالمفاخرة فسميت عكاظ لذلك * وذكر * لبل نعال القوم معتبط ورد * يعني الدم العبيط

﴿ فصل ﴾ وذكر ما أنزل الله في الربا الآيات من سورة البقرة وقد قدمنا في حديث بنيان الكعبة من قولهم لا تنفقوا فيها ربا ولا مهر بغي وان في ذلك دليلا على قدم تحريمه عليهم في شرع ابراهيم عليه السلام او في غيره

من الانبياء صلوات الله عليهم أجمعين وذلك أنه من أقبح الاعمال لما فيه من هدم جانب المروءة وايثار الحرص مع بعد الامل ونسيان بغتة الاجل وترك التوسعة وحسن المعاملة ومن تأمل أبواب الربا لاح له شر التحريم من جهة الجشع المانع من حسن المعاشرة والذريعة الى ترك القرض وما فيه وفي التوسعة من مكارم الاخلاق ولذلك قال سبحانه «فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله» غضبا منه على أهله ولهذه النكتة قالت عائشة لام محبة مولاة زيد بن أرقم ابلغي زيدا انني زيد بن أرقم ان قد أبطل جهاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكرت لها عنه مسئلة من البيوع تشبه الربا فقالت أبطل جهاده ولم تقل صلاته ولا صيامه لان السيئات لا تحبط الحسنات ولكن خصت الجهاد بالابطال لانه حرب لاعداء الله وآكل الربا قد أذن بحرب من الله فهو ضده ولا يجتمع الضدان وهذا معنى ذكره أبو الحسن بن بطال في شرح الجامع وتلك المسئلة مذكورة في المدونة لكن اسنادها الى عائشة ضعيف

﴿ وفاة أبي طالب ﴾

ذكر ابن اسحق وفاة أبي طالب الى آخر القصة وفيها قال العباس والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته بها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع (قال المؤلف) شهادة العباس لابي طالب لو أداها بعد ما أسلم لكانت مقبولة ولم يرد بقوله لم أسمع لان الشاهد العدل اذا قال سمعت وقال من هو أعدل منه لم أسمع أخذ بقول من أثبت السماع لان عدم السماع يحتمل أسبابا منعت الشاهد من السمع ولكن العباس شهد بذلك قبل أن يسلم مع أن الصحيح من الاثر قد أثبت لابي طالب الوفاة على الكفر والشرك وأثبت نزول هذه الآية فيه «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين» وثبت في الصحيح أيضا ان العباس قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبا طالب كان يحوطك وينصرك ويغضب لك فهل ينفعه ذلك قال نعم وجدته في غمرات من النار فاخرجته الى ضحضاح وفي الصحيح أيضا من طريق أبي سعيد انه عليه السلام قال لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من النار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه وفي رواية أخرى كما يغلي المرجل بالقمقم وهي مشكلة وقال بعض أهل العلم القمقم هو البسر الاخضر يطبخ في المرجل استعجالا لنضجه يفعل ذلك أهل الحاجة وفي رواية يونس عن ابن اسحق زيادة وهي انه قال يغلي منه دماغه حتى يسيل على قدميه ومن باب النظر في حكمة الله ومشاكلة الجزاء للعمل ان أبا طالب كان مع رسول الله بجملته متحزبا له الا انه مثبت لقدميه على ملة عبد المطلب حتى قال عند الموت أنا على ملة عبد المطلب فسلط العذاب على قدميه خاصة لتثبيته اياهما على ملة آبائه ثبتنا الله على الصراط المستقيم وذكر قول الله تعالى «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين» وقد استغفر عليه السلام يوم أحد فقال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وذلك حين جرح المشركون وجهه وقتلوا عمه وكثيرا من أصحابه ولا يصح أن تكون الآية نزلت في عمه ناسخة لاستغفاره يوم أحد لان وفاة عمه كانت قبل ذلك بمكة ولا ينسخ المتقدم المتأخر وقد أجيب عن هذا السؤال باجوبة ان قيل استغفاره لقومه مشروط بتوبتهم من الشرك كانه أراد الدعاء لهم بالتوبة حتى يغفر لهم ويقوي هذا القول رواية من روى اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وقد ذكرها ابن اسحق رواها عنه بعض رواة الكتاب بهذا اللفظ وقيل مغفرة تصرف عنهم عقوبة الدنيا من المسخ والخسف ونحو ذلك ووجه ثالث وهو أن تكون الآية تأخر نزولها فنزلت بالمدينة ناسخة للاستغفار للمشركين فيكون سبب نزولها متقدما ونزولها متأخرا لا سيما وهي في سورة براءة وبراءة من آخر ما نزل فتكون على

طرحوا عليه ذلك الأذى كما حدثني عمر بن عبدالله بن عروة بن الزبير عن عروة بن الزبير يخرج به رسول الله صلى الله عليه وسلم على العود فيقف به على بابه ثم يقول يا بني عبد مناف أي جوار هذا ثم يلقيه في الطريق * قال ابن اسحق ثم ان خديجة بنت خويلد وابا طالب هلكا في عام واحد فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب بهلاك خديجة وكانت له وزير صدق على الاسلام يشكو اليها وبهلاك عمه ابي طالب وكان له عضدا وحرزا في امره ومنعة وناصرا على قومه وذلك قبل مهاجره الى المدينة بثلاث سنين فلما هلك ابوطالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذى ما لم تكن تطمع به في حياة ابي طالب حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابا * قال ابن اسحق فحدثني هشام بن عروة عن ابيه عروة بن الزبير قال لما نثر ذلك السفيه على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك التراب دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته والتراب على راسه فقامت اليه احدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها لا تبكي يا بنية فان الله مانع اباك قال ويقول بين ذلك ما نالت مني قريش شيئا أكرهه حتى مات ابوطالب * قال ابن اسحق ولما اشتكى ابوطالب وبلغ قريشا ثقله قالت قريش بعضها لبعض ان حمزة وعمر قد اسلما وقد فشا أمر محمد في قبائل قريش كلها فانطلقوا بنا

هذا

الى ابى طالب فليأخذ لنا على ابن اخيه وليعطه منا والله ماتامن ان يبتزوتا امرنا * قال ابن اسحق فحدثنى العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض اهله عن ابن عباس قال فمشوا الى ابى طالب فكلموه وهم أشراف قومه عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وابوجهل بن هشام وامية بن خلف وابو سفيان بن حرب فى رجال من اشرافهم فقالوا يااباطالب انك منا حيث قد علمت وقد حضرك ماترى وتخوفنا عليك وقد علمت الذى بيننا وبين ابن أخيك فادعه فخذ له منا وخذ لنا منه ليكف عنا ونكف عنه وليدعنا وديننا وندعه ودينه فبعث اليه أبو طالب فجاءه فقال يا ابن أخى هؤلاء أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليعطوك وليأخذوا منك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعم كلمة واحدة يعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم قال فقال أبوجهل نعم وأبيك وعشر كلمات قال تقولون لا اله الا الله وتخلعون ماتعبدون من دونه قال فصفقوا بايديهم ثم قالوا أتريد يامحمد أن تجعل الآلهة الها واحدا ان أمرك لعجب ثم قال بعضهم لبعض انه والله ماهذا الرجل بمعطيكم شيأ مما تريدون فانطلقوا وامضوا على دين آبائكم حتى يحكم الله بينكم وبينه قال ثم تفرقوا قال فقال أبو طالب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والله يا ابن أخى ما رأيتك سألتهم شططا قال فلما قالها أبوطالب طمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اسلامه فجعل يقول له أى عم فانت فقلها أستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة قال فلما رأى حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه قال يا ابن أخى والله لولا مخافة السبة عليك وعلى بنى أبيك من بعدى وان تظن قريش أنى انما قلتها جزعا من الموت لقلتها لاأقولها الالاسرك بها قال فلما تقارب من أبى طالب

هذا ناسخة للاستغفارين جميعا وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على أبى طالب عند موته وعنده أبوجهل وعبد الله بن أبى أمية فقال ياعم قل لا اله الا الله كلمة أشهد لك بها عند الله فقال له أبو جهل وابن أبى أمية أترغب عن ملة عبد المطلب فقال أنا على ملة عبد المطلب وظاهر الحديث يقتضى ان عبد المطلب مات على الشرك ووجدت فى بعض كتب المسعودى اختلافا فى عبد المطلب وانه قد قال فيه مات مسلما لما رأى من الدلائل على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وعلم انه لايبعث الا بالتوحيد فالله أعلم غير أن فى مسند البزار وفى كتاب النسوى من حديث عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة وقد عزت قوما من الانصار عن ميتهم لعلك بلغت معهم الكدى ويروى الكرى بالراء يعنى القبور فقالت لا فقال لوكنت معهم الكدى أو كما قال مارأيت الجنة حتى يراها جد أبيك وقد خرجه أبوداود ولم يذكر فيه حتى يدخلها جد أبيك وكذلك لم يذكر فيه مادخلت الجنة وفى قوله جد أبيك ولم يقل جدك يعنى اباه توطئة للحديث الضعيف الذى قدمنا ذكر ان الله أحيا أمه وأباه وآمنا به فالله أعلم ويحتمل أن يكون أراد تخويفها بقوله حتى يدخلها جد أبيك فتتوهم انه الجد الكافر ومن جدوده عليه السلام اسمعيل وابراهيم لان قوله عليه السلام حق وبلوغها معهم الكدى لايوجب خلودا فى النار فهذا من لطيف الكناية فافهمه وحكى عن هشام بن السائب أو ابنه انه قال لما حضرت أباطالب الوفاة جمع اليه وجوه قريش فاوصاهم فقال يامعشر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب فيكم السيد المطاع وفيكم المقدم الشجاع والواسع الباع واعلموا انكم لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبا الا أحرزتموه ولا شرفا الا أدركتموه فلكم بذلك على الناس الفضيلة ولهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حزب وعلى حربكم الب وانى أوصيكم بتعظيم هذه البنية فان فيها مرضاة للرب وقواما للمعاش وثباتا للوطأة صلوا ارحامكم ولا تقطعوها فان فى صلة الرحم منسأة فى الاجل وسعة فى العدد واتركوا البغى والعقوق ففيهما هلكت القرون قبلكم أجيبوا الداعى واعطوا السائل فان فيهما شرف الحياة والممات عليكم بصدق الحديث وأداء الامانة فان فيهما محبة فى الخاص ومكرمة فى العام وانى أوصيكم بمحمد خيرا فانه الامين فى قريش والصديق فى العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وقد جاء بامر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وأيم الله كانى انظر الى صعاليك العرب وأهل البر فى الاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابا ودورها خرابا وضعفاؤها أربابا واذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده قد محضته العرب ودادها وأصفت له فؤادها وأعطته قيادها دونكم يامعشر قريش ابن أبيكم كونوا له ولاة ولحزبه حماة والله لا يسلك أحد منكم سبيله الا رشد ولا يأخذ أحد بهديه الا سعد ولو كان لنفسى مدة ولاجلى تاخير لكففت عنه الهزاهز ولدافعت عنه الدواهى ثم هلك

﴿ فصل ﴾ وذكر ما أنزل الله تعالى فى قولهم « ان امشوا واصبروا على آلهتكم » وذكر بعض أهل التفسير ان قولهم امشوا من المشاء ولا من المشى والمشاء نماء المال وزيادته يقال مشى الرجل وأمشى اذا نما ماله قال الشاعر

وكل فتى وان أمشى وأثرى * ستخلجه عن الدنيا منون

الموت قال نظر العباس اليه يحرك شفتيه قال فاصغى اليه باذنه قال فقال يابن أخي والله لقد قال أخي الكلمة التي أمرته أن يقولها قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم أسمع قال وأنزل الله تعالى في الرهط الذين كانوا اجتمعوا اليه وقال لهم ما قال و ردوا عليه ما ردوا ص والقرآن ذي الذكر بل الذين كفروا في عزة وشقاق الى قوله تعالى أجعل الآلهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وانطلق الملا منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم ان هذا الشيء يراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة يعنون النصارى لقولهم ان الله ثالث ثلاثة ان هذا الا اختلاق ثم هلك أبو طالب * قال ابن اسحق ولما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاذى مالم تكن تنال منه في حياة عمه أبي طالب فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه و رجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل فخرج اليهم وحده * قال ابن اسحق فحدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال لما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف عمد الى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم وهم اخوة ثلاثة عبد ياليل بن عمرو بن عمير ومسعود بن عمرو بن عمير وحبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن ثقيف وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح فجلس اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاهم الى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه فقال له أحدهم هو يمرط ثياب الكعبة ان كان الله أرسلك وقال الآخر أما وجد الله أحدا يرسله غيرك وقال الثالث والله لا أكلمك ابدا لئن كنت رسولا من الله كما تقول لانت اعظم خطرا من ان ارد عليك الكلام ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي ان أكلمك فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندهم وقد يئس من خير ثقيف وقد قال لهم فيما ذكر لي اذا فعلتم ما فعلتم فاكتموا عني وكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ قومه عنه فيذئرهم ذلك عليه «قال ابن هشام» وقوله فيذئرهم يعني يحرش بينهم قال عبيد بن الابرص

ولقد اتاني عن تميم انهم * ذئروا لقتلى عامر وتعصبوا

فلم يفعلوا وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه و يصيحون به حتى اجتمع عليه الناس والجؤه الى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه و رجع عنه من سفهاء ثقيف من كان يتبعه فعمد الى ظل حبلة من عنب فجلس فيه وابنا ربيعة ينظران اليه و يريان ما لقي من سفهاء اهل الطائف وقد لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لي المرأة التي من بني جمح فقال لها ماذا لقينا من احمائك فلما اطمان رسول الله صلى الله عليه وسلم

يذهب

وقال الراجز * والشاة لا تمشي على الهملع * أي لا تكثر والهملع الذئب وقاله الخطابي في معنى الآية كأنهم أرادوا أن المشاء والبركة في صبرهم على آلهتهم وحملها على المشي أظهر في اللغة والله أعلم * وذكر تتابع المصائب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بموت خديجة ثم بموت عمه وذكر الزبير في حديث أسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل على خديجة وهي في الموت فقال تكرهين ما أرى منك يا خديجة وقد يجعل الله في الكره خيرا أشعرت ان الله قد أعلمني انه سيزوجني معك في الجنة مريم ابنة عمران وكلثوم أخت موسى وآسية امرأة فرعون فقالت آلله أعلمك بهذا يا رسول الله فقال نعم فقالت بالرفاء والبنين * وذكر أيضا في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعم خديجة من عنب الجنة

﴿ خروج النبي صلى الله عليه وسلم الى الطائف ﴾

وسنذكر السبب في تسميتها بالطائف وان الدمون رجل من الصدف من حضرموت نزلها فقال لاهلها ألا أبني لكم حائطا يطيف ببلدتكم مبناه فسميت الطائف وقيل غير ذلك مما سنذكره * وقوله فيذئرهم عليه قد فسره ابن هشام وأنشد * ذئروا لقتلى عامر وتعصبوا * وفي الحديث لما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ضرب النساء قال ذئر النساء على أزواجهن وفسره أبو عبيد بالنشوز على الازواج وأنشد البيت الذي أنشده ابن هشام ومعنى كلامهما واحد وذكر ما لقي من أشراف ثقيف وذكر موسى ابن عقبة زيادة في الحديث حين أغروا به سفهاءهم قال وكان يمشي بين سماطين منهم فكلما نقل قدما رجموا عراقيبه بالحجارة حتى اختضب نعلاه بالدماء وذكر التيمي كما ذكر ابن عقبة و زاد قال كان اذا أذلقته الحجارة قعد الى الارض فيأخذون بعضديه فيقيمونه فاذا مشى رجموه وهم يضحكون حتى انتهى الى الموضع الذي ذكره ابن اسحق من حائط عتبة وشيبة * قال ابن اسحق فجلس الى ظل حبلة والحبلة الكرمة اشتق اسمها من الحبل لانها تحمل بالعنب ولذلك فتح حمل الشجرة والنخلة فقيل حمل بفتح الحاء تشبيها بحمل المرأة وقد يقال فيه حمل بالكسر تشبيها بالحمل الذي على الظهر ومن قال في الكرمة حبلة بسكون الباء فليس بالمعروف وقد قال أبو الحسن بن كيسان في نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن بيع حبل الحبلة أنه بيع العنب قبل أن يطيب كما جاء في الحديث الآخر من نهيه عن بيع الثمر قبل أن يبدو صلاحه وهو قول غريب لم

يذهب اليه احد فى تأويل الحديث وقد قال عمر بن الخطاب فى الارضين التى افتتحت فى زمانه وقد قيل له اقسمها على الذين افتتحوها فقال والله لادعنّها حتى يجاهد بها حبل الحبلة يريد أولادها فى البطون ذكره ابو عبيد فى كتاب الاموال والقول الذى ذكره أبو الحسن فى حبل الحبلة وقع فى كتاب الالفاظ ليعقوب وانما أشكل عليه وعلى غيره دخول الهاء فى الحبلة حتى قالوا فيه أقوالا كلها هباء فمنهم من قال انما قال الحبلة لانها بهيمة أو جنينة ومنهم من قال دخلت للجماعة ومنهم من قال للمبالغة وهذا كله ينعكس عليهم بقوله حبل الحبلة فانه لم تدخل التاء الا فى أحد اللفظين دون الثانى وتبطل أيضاً على من قال أراد معنى البهيمة بحديث عمر المتقدم وانما النكتة فى ذلك ان الحبل مادام حبلا لا يدرى أذكر هو أم أنثى لم يسم حبلا فاذا كانت أنثى و بلغت حد الحمل فحبلت فذاك الحبل هو الذى نهى عن بيعه والاول قد علمت أنوثته بعد الولادة فعبر عنه بالحبلة وصار معنى الكلام انه نهى عن بيع حبل الجنينة التى كانت حبلا لا يعرف ماهى ثم عرف بعد الوضع وكذلك فى الآدميين فاذاً لا يقال لها حبلة الا بعد المعرفة بانها أنثى وعند ذكر الحبل الثانى لان هذه الانثى قبل أن تحبل وهى صغيرة رخل وتسمى أيضاً حائلا وأشباه ذلك وقد زال عنها اسم الحبل فاذا حبلت وذكر حبلها وازدوج ذكره مع الحالة الاولى التى كانت فيها حبلا فرق بين اللفظين بتاء التأنيث وخص اللفظ الذى هو عبارة عن الانثى بالتاء دون اللفظ الذى لا يدرى ما هو أذكر أم أنثى وقد كان المعنى قريبا والمأخذ سهلا لا يحتاج الى هذه الاطالة لولا ماقدمناه من تخليطهم فى تأويل هذا الكلام الفصيح البليغ الذى لا يقدر قدره فى البلاغة الا عالم بجوهر الكلام

﴿ فصل ﴾ وذكر دعاءه عليه السلام عند الشدة وقوله اللهم انى أشكوا اليك ضعف قوتى وقلة حيلتى الى آخر الدعاء وفيه أعوذ بنور وجهك الكريم الذى أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ويسئل عن النور هنا ومعنى الوجه واشراق الظلمات أما الوجه اذا جاء ذكره فى الكتاب والسنة فهو ينقسم فى الذكر الى موطنين موطن تقرب واسترضاء بعمل كقوله تعالى « يريدون وجهه » وكقوله « الا ابتغاء وجه ربه » فالمطلوب فى هذا الموطن رضاه وقبوله للعمل واقباله على العبد العامل وأصله ان من رضى عنك أقبل عليك ومن غضب عليك أعرض عنك ولم يرك وجهه فاذا قوله بوجهك هاهنا معنى الرضى والقبول والاقبال وليس بصلة فى الكلام كما قال أبو عبيدة لان قوله ذلك هراء من القول ومعنى الصلة عنده انها كلمة لا تفيد الا تأكيد الكلام وهذا قول من غلظ طبعه و بعد بالعجمة عن فهم البلاغة قلبه وكذلك قال هو ومن قلده فى قوله تعالى « و يبقى وجه ربك » أى يبقى ربك وكل شىء هالك الا وجهه أى الا اياه فعلى هذا قد خلا ذكر الوجه من حكمة وكيف تخلو كلمة منه من الحكمة وهو الكتاب الحكيم ولكن هذا هو الموطن الثانى من مواطن ذكر الوجه والمعنى به ماظهر الى القلوب والبصائر من أوصاف جلاله ومجده والوجه لغة ماظهر من الشىء معقولا كان أو محسوسا تقول هذا وجه المسئلة و وجه الحديث أى الظاهر الى رأيك منه وكذلك الثوب ماظهر الى بصرك منه والبصائر لا تحيط باوصاف جلاله وما يظهر لها من ذلك أقل مما يغيب عنها وهو الظاهر والباطن تعالى وجل وكذلك فى الجنة نظر أهلها الى وجهه سبحانه انما هو نظر الى ما يرون من ظاهر جلاله اليهم عند تجليه ورفع الحجاب دونهم وما لا يدركون من ذلك الجلال أكثر مما أدركوا «وقوله سبحانه «كل من عليها فان و يبقى وجه ربك» لما كانت السموات والارض قد أظهرت من قدرته وسلطانه ما أظهرت أخبر تعالى ان فناءها لا يغير ما علم من سلطانه وظهر الى البصائر من جلاله فقد كان ذلك الجلال قبل أن يخلقها وهو باق بعد فنائها

قال فبماذكر لى اللهم اليك اشكو ضعف قوتى وقلة حيلتى وهوانى على الناس ياأرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى الى من تكلنى الى بعيد يتجهمنى أم الى عدو ملكته أمرى ان لم يكن بك على غضب فلا أبالى ولكن عافيتك هى أوسع لى أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بى غضبك أو يحل على سخطك لك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة الا بك

قال فلما رآه ابنا ربيعة عتبة وشيبة وما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاما لهما نصرانيا يقال له عداس فقالا له خذ قطفا من العنب فضعه في هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له يأكل منه ففعل عداس ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له كل فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده قال بسم الله ثم أكل فنظر عداس في وجهه ثم قال والله ان هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أهل أي البلاد أنت يا عداس وما دينك قال نصراني وأنا رجل من أهل نينوى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرية الرجل الصالح يونس بن متى فقال له عداس وما يدريك ما يونس بن متى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك أخي كان نبيا وأنا نبي فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه وقدميه قال يقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه أما غلامك فقد أفسده عليك فلما جاءهما عداس قالا له ويلك يا عداس مالك تقبل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه قال يا سيدي ما في الارض شيء خير من هذا لقد أخبرني بأمر ما يعلمه الا نبي قالا له ويحك يا عداس لا يصرفنك عن دينك فان دينك خير من دينه

قال

كما كان في القدم فهو ذو الجلال والاكرام قال الحسن معناه تجلل بالبهاء وأكرم من شاء بالنظر الى وجهه أما الاشعري فذهب في معنى الوجه الى ما ذهب فيه من معنى العين واليد وانها صفات لله تعالى لم تعلم من جهة المعقول ولا من جهة الشرع المنقول وهذه عجمة أيضاً فانه نزل بلسان عربي مبين فقد فهمته العرب لما نزل بلسانها وليس في اتيان الوجه صفة ولا اشكال على المؤمن منهم ولا على الكافر في معنى هذه الآي التي احتيج آخر الزمان الى الكلام فيها مع العجمان لان المؤمن لم يخش على عقيدته شكا ولا تشبيها فلم يستفسر أحد منهم رسول الله عليه السلام ولا سأله عن هذه الآية التي هي اليوم مشكلة عند عوام الناس ولا الكافر في ذلك الزمان لم يتعلق بها في معرض المناقضة والمجادلة كما فعلوا في قوله تعالى انكم «وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» ولا قال أحد منهم يزعم محمد ان الله لا يشبهه شيء من خلقه ثم يثبت له وجها ويدين الى غير ذلك تدل على انهم لم يروا في الآية اشكالا وتلقوا معانيها على غير التشبيه وعرفوا من سمانة الكلام وملاحة الاستعارة أنه معجز فلم يتعاطوا له معارضة ولا توهموا فيه مناقضة وقد أملينا في معنى اليدين والعين مسئلة بديعة جدا فلتنظر هنالك وأما النور فعبارة عن الظهور وانكشاف الحقائق الالهية وبه أشرقت الظلمات أي أشرقت حالها وهي القلوب التي كانت فيها ظلمات الجهالة والشكوك فاستنارت القلوب بنور الله وقد قال المفسرون في قوله تعالى «مثل نوره» أي مثل نوره في قلب المؤمن كمشكاة فهو اذا نور الايمان والمعرفة المجلي لكل ظلمة وشك قال كعب المشكاة مثل لفمه والمصباح مثل للسانه والزجاجة مثل لصدره أولنابه أي قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال أعوذ بنور وجهك ولو قال بنورك لحسن ولكن توسل اليه بما أودع قلبه من نوره فتوسل الى نعمته بنعمته والى فضله ورحمته بفضله ورحمته وقد تكون الظلمات هاهنا أيضاً الظلمات المحسوسة واشراقها جلاؤها على خالقها وكذلك الانوار المحسوسة الكل دال عليه فهو نور النور أي مظهره ومنور الظلمات أي جاعلها نوراً في حكم الدلالة عليه سبحانه وتعالى

﴿ فصل ﴾ وذكر خبر عداس غلام عتبة وشيبة ابني ربيعة حين جاء بالقطف من عندهما الى آخر القصة وفيه قبول هدية المشرك وان لا يتورع عن طعامه وسيأتي استقصاء ذلك ان شاء الله تعالى وزاد التيمي فيها ان عداسا حين سمعه يذكر يونس بن متى قال والله لقد خرجت منها يعني نينوا وما فيها عشرة يعرفون ما متى فمن أين عرفت أنت متى وأنت أمي وفي أمة أمية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو أخي كان نبيا وانا نبي وذكروا أيضاً ان عداسا لما أراد سيداه الخروج الى بدر أمراه بالخروج معهما فقال لهما أقتال ذلك الرجل الذي رأيته بحائطكما تريدان والله ما تقوم له الجبال فقالا له ويحك يا عداس قد سحرك بلسانه وعند ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل الطائف ما لقي ودعا بالدعاء المتقدم نزل عليه جبريل ومعه ملك الجبال كما روى البخاري عن عبد الله بن يوسف عن يونس عن ابن شهاب قال حدثني عروة ان عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حدثته انها قالت للنبي عليه السلام هل أتى عليك يوم كان أشد عليك من يوم أحد فقال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة اذ عرضت نفسي على ابن عبد يا ليل بن عبد كلال فلم يجبني الى ما أردت فانطلقت على وجهي وأنا مهموم فلم أستفق الا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي فاذا أنا بسحابة قد أظلتني فنظرت فاذا فيها جبريل فناداني فقال ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد بعث اليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم فناداني ملك الجبال فسلم علي فقال يا محمد ذلك لك ان شئت أطبق عليهم الاخشبين فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أرجو ان يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً هكذا

* قال ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف من الطائف راجعا الى مكة حين يئس من خير ثقيف حتى اذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلى فمر به النفر من الجن الذين ذكرهم الله تبارك وتعالى وهم فيما ذكر لى سبعة نفر من جن أهل نصيبين فاستمعوا له فلما فرغ من صلاته ولوا الى قومهم منذرين قد آمنوا وأجابوا الى ما سمعوا فقص الله خبرهم عليه صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون القرآن الى قوله تعالى ويجركم من عذاب أليم وقال تبارك وتعالى قل أوحى الى انه استمع نفر من الجن الى آخر القصة من خبرهم فى هذه السورة

﴿عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه على القبائل﴾

* قال ابن اسحق ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وقومه أشد ما كانوا عليه من خلافه وفراق دينه الا قليلا مستضعفين ممن آمن به فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض نفسه فى المواسم اذا كانت على قبائل العرب يدعوهم الى الله ويخبرهم انه نبى مرسل ويسألهم أن يصدقوه ويمنعوه حتى يبين عن الله ما بعثه به * قال ابن اسحق فحدثنى من أصحابنا من لا أتهم عن زيد بن أسلم عن ربيعة بن عباد الدولى ومن حدثه أبو الزناد عنه «قال ابن هشام» ربيعة بن عباد * قال ابن اسحق وحدثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس قال سمعت ربيعة بن عباد يحدثه أبى فقال انى لغلام شاب مع أبى بمنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب فيقول يا بنى فلان انى رسول الله اليكم يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيأ وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الانداد وأن تؤمنوا بى وتصدقوا بى وتمنعونى حتى أبين عن الله ما بعثنى به قال وخلفه رجل أحول وضئ له غديرتان عليه حلة عدنية فاذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وما دعا اليه قال ذلك الرجل يا بنى فلان ان هذا انما يدعوكم الى أن تسلخوا اللات والعزى من أعناقكم وحلفاءكم من الجن من بنى مالك ابن أقيش الى ما جاء به من البدعة والضلالة فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه قال فقلت لابى يا أبت من هذا الذى يتبعه ويرد عليه ما يقول قال هذا عمه عبد العزى ابن عبد المطلب أبو لهب «قال ابن هشام» قال النابغة

كأنك من جمال بنى أقيش * يقعقع خلف رجليه بشن

قال فى الحديث ابن عبد كلال وهو خلاف ما نسبه ابن اسحق

﴿فصل﴾ وذكر حديث وفد جن نصيبين وما أنزل الله فيهم وقد أملينا أول المبعثين من هذا الكتاب طرفا من أخبارهم وبيناهنالك أسماءهم ونصيبين مدينة بالشام أثنى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم روى انه قال رفعت الى نصيبين حتى رأيتها فدعوت الله أن يعذب نهرها وينضر شجرها ويطيب ثمرها أو قال ويكثر ثمرها وتقدم فى أسمائهم ما ذكره ابن دريد قال هم منشى وماشى وشاصر وماصر والاحقب ولم يزد على تسمية هؤلاء وقد ذكرنا تمام أسمائهم فيما تقدم وفى الصحيح أن الذى أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة الجن شجرة وانهم سألوه الزاد فقال كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع فى يد أحدهم أوفر ما يكون لحما وكل بعر علف لدوابهم زاد ابن سلام فى تفسيره ان البعر يعود خضرا لدوابهم ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالعظم والروث وقال انه زاد اخوانكم من الجن ولفظ الحديث فى كتاب مسلم كما قدمناه كل عظم ذكر اسم الله عليه ولفظه فى كتاب أبى داود كل عظم لم يذكر اسم الله عليه وأكثر الاحاديث تدل على معنى رواية أبى داود وقال بعض العلماء رواية مسلم فى الجن المؤمنين والرواية الاخرى فى حق الشياطين منهم وهذا قول صحيح تعضده الاحاديث الا انا نكره الاطالة وفى هذا رد على من زعم ان الجن لا يأكل ولا يشرب وتأولوا قوله عليه السلام ان الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله على غير ظاهره وهم ثلاثة أصناف كما جاء فى حديث آخر صنف على صور الحيات وصنف على صور الكلاب سود وصنف ريح طيارة أو قال هفافة ذو أجنحة وزاد بعض الرواة فى الحديث وصنف يحلون ويظعنون وهم السعالى ولعل هذا الصنف الطيار هو الذى لا يأكل ولا يشرب ان صح القول المتقدم والله أعلم وروينا فى حديث سمعته يقرأ على الشيخ الحافظ أبى بكر بن العربى بسنده الى جابر بن عبد الله قال بينا أنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نمشى اذ جاءت حية فقامت الى جنبه وأدنت فاها من أذنه وكانت تناجيه أو نحو هذا فقال النبى صلى الله عليه وسلم نعم فانصرفت قال جابر فسألته فأخبرنى انه رجل من الجن وانه قال له مر أمتك لا يستنجوا بالروث ولا بالرمة فان الله جعل لنا فى ذلك رزقا

﴿فصل﴾ وذكر عرضه نفسه صلى الله عليه وسلم على القبائل ليؤمنوا به ولينصروه قبيلة قبيلة فذكر بنى حنيفة واسم حنيفة أثال بن لجيم ولجيم تصغير اللجم وهى دويبة قال قطرب وأنشد

لها ذنب مثل ذيل العروس * الى سبة مثل جحر اللجم

ابن صعب بن على بن بكر بن وائل وسمى حنيفة لحنف كان فى رجليه وقيل بل حنيفة أمهم وهى بنت كاهل

* قال ابن اسحق حدثنا ابن شهاب الزهرى انه أتى كندة فى منازلهم وفيهم سيد لهم يقال لهم مليح فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين انه أتى كلبا فى منازلهم الى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه حتى انه ليقول لهم يا بنى عبد الله ان الله عز وجل قد أحسن اسم أبيكم فلم يقبلوا منه ماعرض عليهم * قال ابن اسحق وحدثنى بعض أصحابنا عن عبد الله بن كعب ابن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بنى حنيفة فى منازلهم فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه فلم يكن أحد من العرب أقبح عليه ردا منهم * قال ابن اسحق وحدثنى الزهرى انه أتى بنى عامر بن صعصعة فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم نفسه فقال له رجل منهم يقال له بيحرة بن فراس «قال ابن هشام» فراس بن عبد الله بن سلمة بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة والله لو أنى أخذت هذا الفتى من قريش لأكلت به العرب ثم قال له أرأيت ان نحن تابعناك على أمرك ثم أظهرك الله على من خالفك أيكون لنا الامر من بعدك قال الامر الى الله يضعه حيث يشاء قال فقال له أفتهدف نحورنا للعرب دونك فاذا أظهرك الله كان الامر لغيرنا لا حاجة لنا بأمرك فأبوا عليه فلما صدر الناس رجعت بنو عامر الى شيخ لهم قد كانت أدركته السن حتى لا يقدر أن يوافى معهم ومحاسن المواسم فكانوا اذا رجعوا اليه حدثوه بما يكون فى ذلك الموسم فلما قدموا عليه ذلك العام سألهم عما كان فى موسمهم فقالوا جاءنا فتى من قريش ثم أحد بنى عبد المطلب يزعم انه نبى يدعونا الى أن نمنعه ونقوم معه ونخرج به الى بلادنا قال فوضع الشيخ يديه على رأسه ثم قال يا بنى عامر هل لها

ابن أسد عرفوا بها وهم أهل اليمامة وأصحاب مسيلمة الكذاب وقد أملينا فى أول الكتاب سبب نزولهم اليمامة وأول من نزلها منهم * وذكر بيحرة بن فراس العامرى وقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم أفتهدف نحورنا للعرب دونك نهدف أى نجعلها هدفا لسهامهم والهدف الغرض * وذكر قول الشيخ هل لها من تلاف أى تدارك وهو تفاعل من تلافيتهم وهل لذنابها من مطلب مثل ضرب لما فات منها وأصله من ذنابا الطائر اذا أفلت من الحبالة فطلبت الاخذ بذناباه وقال ما تقولها اسماعيلى قط أى ما ادعى النبوة كاذبا أحد من بنى اسمعيل

﴿فصل﴾ وذكر عرضه نفسه على كندة وهم بنو ثور بن مرة بن أدد بن زيد بن مهسع بن عمرو بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبا على أحد الاقوال بين النسابين فى كندة وسمى كندة لانه كند أباه أى عقه وسمى ابنه مرتعا لانه كان يجعل لمن أتاه من قومه مرتعا فهم بنو مرتع بن ثور وقد قيل ان ثورا هو مرتع وكندة أبوه

﴿فصل﴾ وذكر غير ابن اسحق ما لم يذكر ابن اسحق مما رأيت املاء بعضه فى هذا الكتاب تتمة لفائدته ذكر قاسم ابن ثابت والخطابى عرضه نفسه على بنى ذهل بن ثعلبة ثم على بنى شيبان بن ثعلبة فذكر الخطابى وقاسم جميعا ما كان من كلام أبى بكر مع دغفل بن حنظلة الذهلى زاد قاسم تكملة الحديث فرأينا ان نذكر زيادة قاسم فانها مما تليق بهذا الكتاب قال ثم دفعنا الى مجلس آخر عليهم السكينة والوقار فتقدم أبو بكر فسلم قال على وكان أبو بكر مقدما فى كل خير فقال ممن القوم فقالوا من شيبان بن ثعلبة فالتفت أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بأبى أنت وأمى هؤلاء غرر فى قومهم وفيهم مفروق بن عمرو وهانئ بن قبيصة ومثنى بن حارثة والنعمان بن شريك وكان مفروق بن عمرو قد غلبهم جمالا ولسانا وكانت له غديرتان تسقطان على تريبتيه وكان أدنى القوم مجلسا من أبى بكر فقال له أبو بكر كيف العدد فيكم قال له مفروق انا لنزيد على الالف ولن تغلب الف من قلة فقال أبو بكر كيف المنعة فيكم فقال مفروق علينا الجهد ولكل قوم جد فقال أبو بكر كيف الحرب بينكم وبين عدوكم فقال مفروق انا لاشد ما نكون غضبا لحين نلقى وانا لاشد ما نكون لقاء حين نغضب وانا لنؤثر الجياد على الاولاد والسلاح على اللقاح والنصر من عند الله يديلنا مرة ويديل علينا اخرى لعلك أخو قريش فقال أبو بكر أوقد بلغكم انه رسول الله فها هو ذا فقال مفروق قد بلغنا انه يذكر ذلك فالى من تدعو اليه يا أخا قريش فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أدعو الى شهادة أن لا إله الا الله وحده لا شريك له وانى رسول الله والى ان تؤوونى وتنصرونى فان قريشا قد ظاهرت على أمر الله وكذبت رسوله واستغنت بالباطل على الحق والله هو الغنى الحميد فقال مفروق والى من تدعو أيضا يا أخا قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا ولا تقتلوا أولادكم من املاق نحن نرزقكم واياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون» فقال مفروق والى من تدعو أيضا يا أخا قريش فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون فقال مفروق دعوت والله يا أخا قريش الى مكارم الاخلاق

من تلاف هل لذنابها من مطلب والذى نفس فلان بيده ما قولها انها على قط وانها لحق فأين رأيكم كان عنكم * قال ابن اسحق فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك من أمره كلما اجتمع له الناس بالموسم أتاهم يدعو القبائل الى الله والى الاسلام ويعرض عليهم نفسه وما جاء به من الله من الهدى والرحمة وهو لا يسمع بقادم يقدم مكة من العرب له اسم وشرف الا تصدى له فدعاه الى الله وعرض عليه ما عنده * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة الانصارى ثم الظفرى عن أشياخ من قومه قالوا قدم سويد بن صامت أخو بنى عمرو بن عوف مكة حاجا أو معتمرا وكان سويد انما يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشرفه ونسبه وهو الذى يقول

ألا رب من تدعو صديقا ولو ترى * مقالته بالغيب ساءك ما يفرى
مقالته كالشهد ما كان شاهدا * وبالغيب مأثور على ثغرة النحر
يسرك باديه وتحت أديمه * نميمة غش تبترى عقب الظهر
تبين لك العينان ما هو كاتم * من الغل والبغضاء بالنظر الشزر
فرشنى بخير طالما قد بريتنى * وخير الموالى من يريش ولا يبرى

وهو الذى يقول ونافر رجلا من بنى سليم ثم احد بنى زعب بن مالك مائة ناقة الى كاهنة من كهان العرب فقضت له فانصرف عنها هو والسلمى ليس معهما غيرهما فلما فرقت بينهما الطريق قال مالى يا أخا بنى سليم قال أبعث اليك به قال فمن لى بذلك اذا فتنى به قال أنا قال كلا والذى نفس سويد بيده لا تفارقنى حتى أوتى بمالى فاتحدا فضرب به الارض ثم أوثقه رباطا ثم انطلق به الى دار بنى عمرو بن عوف فلم يزل عنده حتى بعث اليه سليم بالذى له فقال فى ذلك

لا تحسبنى يا ابن زعب بن مالك * كمن كنت تردى بالغيوب وتختل
تحولت قرنا اذ صرعت بعزة * كذلك ان الحازم المتحول
ضربت به ابط الشمال فلم يزل * على كل حال خده هو أسفل

فى أشعار كثيرة كان يقولها قال فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به فدعاه الى الله والى الاسلام فقال له سويد فلعل الذى معك مثل الذى معى فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذى

ومحاسن الاعمال والله لقد أفك قوم كذبوك وظاهروا عليك وكأنه أراد أن يشركه فى الكلام هانئ بن قبيصة فقال وهذا هانئ بن قبيصة شيخنا وصاحب ديننا فقال هانئ قد سمعت مقالتك يا أخا قريش وانى أرى ان تركنا ديننا واتباعنا اياك على دينك لمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر زلة فى الرأى وقلة نظر فى العاقبة وانما تكون الزلة مع العجلة ومن ورائنا قوم نكره أن نعقد عليهم عقدا ولكن ترجع ونرجع وتنظر وننظر وكأنه أحب أن يشركه فى الكلام المثنى فقال وهذا المثنى بن حارثة شيخنا وصاحب حربنا فقال المثنى قد سمعت مقالتك يا أخا قريش والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة فى تركنا ديننا واتباعنا اياك لمجلس جلسته الينا ليس له أول ولا آخر وانا انما نزلنا بين صريان اليمامة والسماوة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذان الصريان فقال أنهار كسرى ومياه العرب فاما ما كان من أنهار كسرى فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول وأما ما كان من مياه العرب فذنبه مغفور وعذره مقبول وانما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى ان لا نحدث حدثا ولا نؤوى محدثا وانى أرى هذا الامر الذى تدعونا اليه هو مما تكرهه الملوك فان أحببت ان نؤويك وننصرك مما يلى مياه العرب فعلنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أسأتم فى الرد اذ أفصحتم بالصدق وان دين الله لن ينصره الا من حاطه من جميع جوانبه أرأيتم ان لم تلبثوا الا قليلا حتى يورثكم الله أرضهم وأموالهم ويفرشكم نساءهم أتسبحون الله وتقدسونه فقال النعمان بن شريك اللهم لك ذا فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم «انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا» ثم نهض النبى صلى الله عليه وسلم فاخذ بيدى فقال يا أبا بكر يا أبا حسن أية أخلاق فى الجاهلية ما أشرفها بها يدفع الله بأس بعضهم عن بعض وبها يتحاجزون فيما بينهم قال ثم دفعنا الى مجلس الاوس والخزرج فما نهضنا حتى بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم وكانوا صدقاء صبراء وروى فى حديث مسند الى طارق قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتين رأيته بسوق ذى المجاز يعرض نفسه على القبائل يقول يا أيها الناس قولوا لا إله الا الله تفلحوا وخلفه رجل له غديرتان يرجمه بالحجارة حتى أدمى كعبيه يقول يا أيها الناس لا تسمعوا منه فانه كذاب فسألت عنه فقيل هو غلام عبد المطلب قلت ومن الرجل يرجمه فقيل لى هو عمه عبد العزى أبو لهب وذكر الحديث بطوله خرجه الدارقطنى ووقع أيضا فى السيرة من رواية يونس

﴿ فصل ﴾ ذكر حديث سويد بن صامت وشعره وفى الشعر * وبالغيب مأثور على ثغرة النحر * يعنى

معك قال مجلة لقمان يعني حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها على فعرضها عليه فقال له ان هذا الكلام حسن والذى معى أفضل من هذا قرآن أنزله الله تعالى على هو هدى ونور فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف عنه فقدم المدينة على قومه فلم يلبث أن قتلته الخزرج فان كان رجال من قومه ليقولون انا لنراه قد قتل وهو مسلم وكان قتله قبل يوم بعاث * قال ابن اسحق وحدثنى الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن محمود بن لبيد قال لما قدم أبو الحيسر أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بنى عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قومهم من الخزرج سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجلس اليهم فقال لهم هل لكم فى خير مما جئتم له قال فقالوا له وما ذاك قال أنا رسول الله بعثنى الى العباد أدعوهم الى أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئاً وأنزل على الكتاب قال ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال فقال اياس بن معاذ وكان غلاما حدثا أى قوم هذا والله خير مما جئتم له قال فيأخذ أبو الحيسر أنس بن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس بن معاذ وقال دعنا منك فلعمرى لقد جئنا لغير هذا قال فصمت اياس وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة وكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج قال ثم لم يلبث اياس بن معاذ أن هلك قال محمود بن لبيد فاخبرنى من حضره من قومى عند موته انهم لم يزالوا يسمعونه يهلل الله تعالى ويكبره ويحمده ويسبحه حتى مات فما كانوا يشكون أن قد مات مسلما لقد كان استشعر أنتم الاسلام فى ذلك المجلس حين سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سمع * قال ابن اسحق فلما أراد الله عز وجل اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الموسم الذى لقى فيه النفر من الانصار فعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم فبينما هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا * قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال من موالى يهود قالوا نعم قال أفلا

السيف ومأثور من الاثر وهو فرند السيف يقال فيه أثر وأثر قال الشاعر * خفافا كلها يتقى بأثر * أراد يتقى وسويد هو الكامل وهو ابن الصامت بن حوط بن حبيب بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس وأمه ليلى بنت عمرو النجارية أخت سلمى بنت عمرو أم عبد المطلب بن هاشم فسويد هذا ابن خالة عبد المطلب وبنت سويد هى أم عاتكة أخت سعيد بن زيد امرأة عمر بن الخطاب فهو جدها لامها واسم أمها زينب وقيل جليسة بنت سويد هكذا ذكره الزبير بن أبى بكر

﴿ فصل ﴾ وذكر مجلة لقمان وهى الصحيفة وكانها مفعلة من الجلال والجلالة أما الجلالة فمن صفة المخلوق والجلال من صفة الله تعالى وقد أجاز بعضهم أن يقال فى المخلوق جلال وجلالة وأنشد

فلا ذا جلال هبنه لجلالة * ولا ذا ضياع هن يتركن للفقر

ولقمان كان نوبيا من أهل ايلة وهو لقمان بن عنقاء بن سرور فيما ذكروا وابنه الذى ذكر فى القرآن هو ثاران فيما ذكر الزجاج وغيره وقد قيل فى اسمه غير ذلك وليس بلقمان بن عاد الحميرى

﴿ فصل ﴾ وذكر قدوم أبى الحيسر أنس بن رافع يطلب الحلف وذلك بسبب الحرب التى كانت بين الاوس والخزرج وهى حرب بعاث المذكورة ولهم فيها أيام مشهورة هلك فيها كثير من صناديدهم وأشرافهم وبعاث اسم أرض بها عرفت

﴿ بدؤ إسلام الانصار ﴾

ولم يكن الانصار اسمالهم فى الجاهلية حتى سماهم الله به فى الاسلام وهم بنو الاوس والخزرج والاوس الريح الباردة وقال بعضهم هى الجنوب خاصة ودخول الالف واللام فى الاوس على حد دخولها فى التيم جمع تيمى وهو من باب رومى وروم لان الاوس هى العطية أو العوض ومثل هذا اذا كان علما لا يدخله الالف واللام ألا ترى ان كل أوس فى العرب غير هذا فانه بغير ألف ولام كاوس بن حارثة الطائى وغيره وكذلك أوس وأويس الذئب قال الراجز

ياليت شعرى عنه والامر عمم * مافعل اليوم أويس بالغنم

وأبوهم حارثة بن ثعلبة وهو أيضا والد خزاعة على أحد القولين وأمهم قيلة بنت كاهل بن عذرة قضاعية ويقال هى بنت جفنة واسمه علبة بن عمرو بن عامر وقيل بنت سبيع بن الهون بن خزيمة بن مدركة قاله الزبير بن أبى بكر فى كتاب أخبار المدينة له والانصار جمع ناصر على غير قياس فى جمع فاعل ولكن على تقدير حذف الالف من ناصر لانها زائدة فالاسم على تقدير حذفها ثلاثى والثلاثى يجمع على أفعال وقد قالوا فى نحوه صاحب وأصحاب وشاهد واشهاد وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم للنفر من الانصار أمن موالى يهود

تجلسون أكلمكم قالوا بلى فجلسوا معه فدعاهم الى الله عز وجل وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله لهم به فى الاسلام ان يهود كانوا معهم فى بلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا هم أهل شرك وأصحاب أوثان وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا لهم ان نبيا مبعوث الآن قد أظل زمانه نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم الى الله قال بعضهم لبعض ياقوم تعلموا والله انه للنبي الذى توعدكم به يهود فلا تسبقنكم اليه فاجابوه فيما دعا اليه بأن صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام وقالوا انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم وعسى أن يجمعهم الله بك فسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ونعرض عليهم الذى أجبناك اليه من هذا الدين فان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا * قال ابن اسحق وهم فيما ذكر لى ستة نفر من الخزرج * منهم من بنى النجار وهو تيم الله ثم من بنى مالك بن النجار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار وهو أبو امامة * وعوف بن الحرث ابن رفاعة بن سواد بن مالك ابن غنم بن مالك بن النجار وهو ابن عفراء « قال ابن هشام » وعفراء بنت عبيد ابن ثعلبة بن عبيد بن ثعلبة غنم بن مالك بن النجار * ومن بنى زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج رافع بن مالك ابن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق « قال ابن هشام » ويقال عامر بن الازرق * قال ابن اسحق ومن بنى سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ثم من بنى سواد بن غنم بن كعب بن سلمة * قطبة بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم بن سواد « قال ابن هشام » وعمرو بن سواد ليس لسواد ابن يقال له غنم * قال ابن اسحق ومن بنى حرام ابن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة عقبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حرام * ومن بنى عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة جابر بن عبد الله بن رئاب بن النعمان بن سنان بن عبيد فلما قدموا المدينة الى قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا فلقوه بالعقبة وهى العقبة الاولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض عليهم الحرب * منهم من بنى النجار ثم بنى مالك بن النجار أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار وهو أبو امامة * وعوف ومعاذ ابنا الحرث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار

أتم أى من حلفائهم والمولى يجمع الحليف وابن العم والمعتق والمعتق لانه مفعل من الولاية وجاء على وزن مفعل لانه مفزع وملجأ لوليه فجاء على وزن ماهو فى معناه * وذكر النفر القادمين فى العام الثانى الذين بايعوه بيعة النساء وقد ذكر الله تعالى بيعة النساء فى القرآن فقال « يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئا » الآية فاراد ببيعة النساء انهم لم يبايعوه على القتال وكانت مبايعته للنساء أن يأخذ عليهن العهد والميثاق فاذا أقررن بالسنتهن قال قد بايعتكن وما مست يده يد امرأة فى مبايعة كذلك قالت عائشة وقد روى انهن كن يأخذن بيده فى البيعة من فوق ثوب وهو قول عامر الشعبى ذكره عنه ابن سلام فى تفسيره والاول أصح وقد ذكر أبو بكر محمد بن الحسن المقرى النقاش فى صفة بيعة النساء وجها ثالثا أورد فيه آثارا وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يغمس يده فى اناء وتغمس المرأة يدها فيه عند المبايعة فيكون ذلك عقد البيعة وليس هذا بالمشهور ولا هو عند أهل الحديث بالثبت غير ان ابن اسحاق أيضا قد ذكره فى رواية عن يونس عن أبان ابن أبى صالح وذكر أنساب الذين بايعوه وسنعيد فى بيعة العقبة وغزاة بدر وهناك يقع التنبيه على ما يحتاج اليه بعون الله * وذكر فى أنساب المبايعين له فى العقبة الاولى فى بنى سلمة منهم ساردة بن تزيد بن جشم وتزيد بتاء منقوطة باثنتين من فوق ولا يعرف فى العرب تزيد الا هذا وتزيد بن الحاف بن قضاعة وهم الذين تنسب اليهم الثياب التزيدية واما سلمة بكسر اللام فهم من الانصار سمى بالسلمة واحدة السلام وهى الحجارة قال الشاعر

ذاك خليلى وذو يعاتبنى * يرمى ورائى بالسهم والسلمة

وفى جعفى سلمة بن عمرو بن ذهل بن مران بن جعفى وفى جهينة سلمة بن نصر بن غطفان قاله ابن حبيب النسابة وفى الصحابة عمرو بن سلمة أبو بريدة الجرمى الذى أم قومه وهو ابن ست سنين أو سبع وفى الرواة عبد الله بن سلمة وينسب الى بنى سلمة هؤلاء سلمى بالفتح كما ينسب الى بنى سلمة وهم بطنان من بنى عامر يقال لهم السلمات يقال لاحدهم سلمة الخير وللآخر سلمة الشر ابنا قصير بن كعب بن ربيعة بن عامر واما بنو سليمة بياء فى دوس وهم بنو سليمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس وسليمة هذا هو أخو جذيمة الابرش وهو الذى قتل أخاه مالكا بسهم قتل خطأ ويقال فى النسب اليه سلمى أيضا وهو القياس وقد قيل سليمى كما قيل فى عميرة عميرى * وذكر بنى جدارة من بنى النجار وجدارة وخدارة اخوان وغيره يقول فى

وهما ابناء عفراء * ومن بنى زريق بن عامر رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق * وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق «قال ابن هشام» ذكوان مهاجرى أنصارى قال * ومن بنى عوف بن الخزرج ثم من بنى غنم بن عوف بن عمرو ابن عوف بن الخزرج وهم القواقل عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم * وأبو عبد الرحمن وهو يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة من بنى غصينة من بلى حليف لهم «قال ابن هشام» وانما قيل لهم القواقل لانهم كانوا اذا استجار بهم الرجل دفعوا له سهما وقالوا له قوقل

به بيثرب حيث شئت «قال ابن هشام» القوقلة ضرب من المشى * قال ابن اسحق ومن بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ثم من بنى العجلان بن يزيد بن غنم بن سالم * العباس ابن عبادة بن نضلة بن مالك ابن العجلان * قال ابن اسحق ومن بنى سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج ثم من بنى حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة * عقبة بن عامر بن نابى بن زيد بن حرام * ومن بنى سواد بن غنم بن كعب بن سلمة قطبة بن عامر بن حديدة ابن عمرو بن غنم بن سواد * وشهدها من الاوس بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ثم من بنى عبد الاشهل ابن جشم بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس * أبو الهيثم ابن التيهان واسمه مالك «قال ابن هشام» التيهان يخفف ويثقل كقوله ميت وميت * ومن بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس عويم بن ساعدة * قال ابن اسحق وحدثنى يزيد بن أبى حبيب عن مرثد بن عبد الله اليزنى عن عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحى عن عبادة بن الصامت قال كنت فيمن حضر العقبة الاولى وكنا اثنى عشر فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل ان يفترض علينا الحرب على أن لا نشرك بالله شيا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك شيا فأمركم الى الله عز وجل ان شاء غفر وان شاء عذب * قال ابن اسحق وذكر لى ابن شهاب الزهرى عن عائذ الله بن عبد الله الخولانى أبى ادريس أن عبادة بن الصامت حدثه أنه قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة الاولى على أن لا نشرك بالله شيا ولا نسرق ولا نزنى ولا نقتل أولادنا ولا نأتى ببهتان نفتريه بين أيدينا وأرجلنا ولا

جدارة خدارة بالخاء المضمومة وهكذا قيده أبو عمر وكذلك ذكره ابن دريد فى الاشتقاق وهو أشبه بالصواب لانه أخو خدرة وكثيرا ما يجعلون أسماء الاخوة مشتقة بعضها من بعض * وذكر القواقل وهم بنو عمرو بن غنم بن مالك وذكر تسميتهم القواقل وان ذلك لانهم اذا أجاروا أحدا قالوا قوقل حيث شئت وفى الانصار القواقل والجعادر وهما بطنان من الاوس وسبب تسميتهما واحد فى المعنى اما الجعادر فكانوا اذا أجاروا أحدا أعطوه سهما وقالوا له جعدر به حيث شئت كما كانت القواقل تفعل وهم بنو زيد ابن عمرو بن زيد بن مالك بن ضبيعة يقال لهم كسر الذهب وهم جميعا من الاوس قال الشاعر

فان لنا بين الجوارى وليدة * مقابلة بين الجعادر والكسر

متى تدع فى الزيدين زيد بن مالك * وزيد بن عمرو تاتها عزة الخفر

وذكر فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولم ينسبه ولا نسبه فى أهل العقبة الثانية ولا فى غزوة بدر وهو مالك بن التيهان واسم التيهان أيضا مالك بن عتيك بن عمرو بن عبد الاعلم بن عامر بن زعور بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس الانصارى حليف بنى عبد الاشهل كان أحد النقباء ليلة العقبة ثم شهد بدرا واختلف فى وقت وفاته فأصح ما قيل فيه أنه شهد مع على صفين وقتل فيها رحمه الله وأحسب ابن اسحاق وابن هشام تركا نسبه على جلالته فى الانصار وشهوده هذه المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لاختلاف فيه فقد وجدت فى شعر عبد الله بن رواحة حين أضاف أبو الهيثم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منزله ومعه أبو بكر وعمر فذبح لهم عناقا وأتاهم بقنو من رطب الحديث بطوله فقال ابن رواحة فى ذلك

فلم أر كالاسلام عزا لاهله * ولا مثل اضياف الاراشى معشرا

فجعله اراشيا كما ترى والاراشى منسوب الى اراشة فى خزاعة أو الى اراش بن لحيان بن الغوث فالله أعلم أهو انصارى بالحلف أم بالنسب المذكور قبل هذا ونقلته من قول أبى عمر فى الاستيعاب وقد قيل انه بلوى من بنى اراشة بن فاران بن عمرو بن بلى والهيثم فى اللغة فرخ العقاب والهيثم أيضا ضرب من العشب فيما ذكر أبو حنيفة وبه سمى الرجل هيثما أو بالمعنى الاول وأنشد

رعت بقران الحزن روضا منورا * عميما من الظلاع والهيثم الجعد

ذكر بيعتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء الا يسرقوا ولا يزنوا الى آخر الآية وقيل فى قوله عز وجل خبرا عن بيعة النساء «ولا يأتين ببهتان» أنه الولد تنسبه الى بعلها وليس منه وقيل هو الاستمتاع بالمرأة

بالمرأة فيما دون الوطء كالقبلة والجسة ونحوها والاول يشبه أن يبايع عليه الرجال وكذلك قيل فى قوله تعالى «ولا يعصينك فى معروف» انه النوح وهذا أيضا ليس من شأن الرجال فدل على ضعف قول من خصه بالنوح وخص البهتان بالحاق الولد بالرجل وليس منه وقيل يفترينه بين أيديهن يعنى الكذب وعيب الناس بما ليس فيهم وأرجلهن يعنى المشى فى معصية ولا يعصينك فى معروف أى فى خير تأمرهن به والمعروف اسم جامع لمكارم الاخلاق وما عرف حسنه ولم تنكره القلوب وهذا معنى يعم الرجال والنساء وذكر ابن اسحق فى رواية يونس فيما أخذه عليه السلام عليهن ان قال ولا تغششن أزواجكن قالت احداهن وما غش أزواجنا فقال ان تأخذى من ماله فتحابى به غيره

﴿ فصل ﴾ وذكر هجرة مصعب بن عمير وهو المقرى وهو أول من سمى بهذا أعنى المقرى يكنى أبا عبد الله كان قبل اسلامه من أنعم قريش عيشا وأعطرهم وكانت أمه شديدة الكلف به وكان يبيت وقعب الحيس عند رأسه يستيقظ فيأكل فلما أسلم أصابه من الشدة ما غير لونه وأذهب لحمه ونهكت جسمه حتى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر اليه وعليه فروة قد رقعها فيبكى لما كان يعرف من نعمته وحلفت أمه حين أسلم وهاجر الا تأكل ولا تشرب ولا تستظل بظل حتى يرجع اليها فكانت تقف للشمس حتى تسقط مغشيا عليها وكان بنوها يحشون فاها بشجار وهو عود فيصبون فيه الحساء لئلا تموت وسنذكر اسمها ونسبها عند ذكره فى البدريين ان شاء الله تعالى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكره فيقول ما رأيت بمكة أحسن لمة ولا أرق حلة ولا أنعم نعمة من مصعب بن عمير ذكره الواقدى وذكر أيضا باسناد له قال كان مصعب بن عمير فتى مكة شبابا وجمالا وسمتا وكان أبواه يحبانه وكانت امه تكسوه احسن ما يكون من الثياب وكان اعطر اهل مكة يلبس الحضرمى من النعال وذكر ان منزله كان على أسعد بن زرارة منزل بفتح الزاى وكذلك كل ما وقع فى هذا الباب من منزل فلان على فلان فهو بالفتح لانه أراد المصدر ولم يرد المكان وكذا قيده الشيخ أبو بحر بفتح الزاى وأما أم قيس بنت محصن المذكورة فى هجرة بنى أسد فاسمها آمنة وهى أخت عكاشة وهى التى ذكرت فى الموطأ وانها أتت بابن لها صغير لم يأكل الطعام الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ فصل ﴾ وذكر اول من جمع بالمدينة وهو ابو امامة وذكر غيره ان اول من جمع بهم مصعب بن عمير لانه أول من قدم المدينة من المهاجرين ثم قدم بعده ابن أم مكتوم وقد ذكرنا فى أول الكتاب من جمع فى الجاهلية بمكة فخطب وذكر وبشر بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم وحض على اتباعه وهو كعب بن لؤى ويقال انه أول من سمى العروبة الجمعة ومعنى العروبة الرحمة فيما بلغنى عن بعض أهل العلم وكانت قريش تجتمع اليه فيها فيما حكى الزبير بن بكار فيخطبهم فيقول أما بعد فاعلموا وتعلموا انما الارض لله مهاد والجبال أوتاد والسماء بناء والنجوم معلا[1] ثم يأمرهم بصلة الرحم ويبشرهم بالنبى صلى الله عليه وسلم ويقول حرمكم يا قوم عظموه فسيكون له نبأ عظيم ويخرج منه نبى كريم ثم يقول فى شعر ذكره

على غفلة يأتى النبى محمد * فيخبر أخبارا صدوق خبيرها

صروف رأيناها تقلب أهلها * لها عقد ما يستحيل مريرها

ثم يقول

يا ليتنى شاهد نجواء دعوته * اذا قريش تبغى الحق خذلانا

وأما أول من جمع فى الاسلام فهو من ذكرنا * وذكر ابن اسحق انه جمع بهم أبو امامة عند هزم النبيت فى بقيع قال له بقيع الخضمات بقيع بالباء وجدته فى نسخة الشيخ أبى بحر وكذلك وجدته فى رواية يونس عن ابن

(١) كذا بالاصل فليحرر

لمصيبة فى معروف فان وفيتم فلكم الجنة وان غشيتم من ذلك فأخذتم بحده فى الدنيا فهو كفارة له وان سترتم عليه الى يوم القيامة فأمركم الى الله عز وجل ان شاء عذب وان شاء غفر * قال ابن اسحق فلما انصرف عنه صلى الله عليه وسلم القوم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصى وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم فى الدين فكان يسمى المقرىء بالمدينة مصعب وكان منزله على أسعد بن زرارة بن عدس أبى أمامة * قال ابن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أنه كان يصلى بهم وذلك ان الاوس والخزرج كره بعضهم أن يؤمه بعض * قال ابن اسحق وحدثنى محمد بن أبى أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه أبى أمامة عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال كنت قائد أبى كعب بن مالك حين ذهب بصره فكنت اذا خرجت به الى الجمعة فسمع الاذان بها صلى على أبى أمامة اسعد بن زرارة قال فمكث حينا على ذلك لا يسمع الاذان للجمعة الا صلى عليه واستغفر له قال فقلت فى نفسى والله ان هذا بى لعجز ألا أسأله ماله اذا سمع الاذان بالجمعة صلى على أبى أمامة اسعد بن زرارة قال فخرجت به فى يوم جمعة كما كنت أخرج فلما

اسحق وذكره البكري في كتاب معجم مااستعجم من أسماء البقع انه نقيع بالنون ذكره في باب النون والقاف وقال هزم النبيت جبل على بريد من المدينة وفي غريب الحديث انه عليه السلام حمى غرز النقيع قال الخطابي النقيع القاع والغرز شبه الثمام وسيأتي تفسيره فيما بعد ان شاء الله تعالى ومعنى الخضمات من الخضم وهو الاكل بالفم كله والقضم باطراف الاسنان ويقال هو أكل اليابس والخضم أكل الرطب فكانه جمع خضمة وهي الماشية التي تخضم فكانه سمي بذلك لخصب كان فيه وأما البقيع بالباء فهو أقرب الى المدينة منه بكثير وأما بقيع الخبجبة بخاء وجيم وباءين فجاء ذكره في سنن أبي داود والخبجبة شجرة عرف بها

﴿ فصل ﴾ وتجميع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الجمعة وتسميتهم اياها بهذا الاسم وكانت تسمى العروبة كان عن هداية من الله تعالى لهم قبل ان يؤمروا بها ثم نزلت سورة الجمعة بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة فاستقر فرضها واستمر حكمها ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة أضلته اليهود والنصارى وهدانا الله اليه ذكر الكشي وهو عبد بن حميد قال نا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين قال جمع أهل المدينة قبل ان يقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وقبل ان تنزل الجمعة وهم الذين سموا الجمعة قال الانصار لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلم فلنجعل يوما نجتمع فيه ونذكر الله ونصلي ونشكر أو كما قالوا فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الاحد للنصارى فاجعلوا يوم العروبة كانوا يسمون يوم الجمعة يوم العروبة فاجتمعوا الى أسعد بن زرارة فصلى بهم يومئذ ركعتين فذكرهم فسموا الجمعة حين اجتمعوا اليه فذبح لهم شاة فتغدوا وتعشوا من شاة وذلك لقلتهم فانزل الله عز وجل في ذلك «اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله» ﴿قال المؤلف﴾ ومع توفيق الله لهم اليه فيبعد ان يكون فعلهم ذلك عن غير اذن من النبي صلى الله عليه وسلم لهم فقد روى الدارقطني عن عثمان بن أحمد بن السماك قال نا أحمد بن محمد بن غالب الباهلي قال نا محمد بن عبد الله أبو زيد المدني قال نا المغيرة بن عبد الرحمن قال حدثني مالك عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال اذن النبي صلى الله عليه وسلم بالجمعة قبل أن يهاجر ولم يستطع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمع بمكة ولا يبدي لهم فكتب الى مصعب ابن عمير أما بعد فانظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم فاجمعوا نساءكم وأبناءكم فاذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة فتقربوا الى الله بركعتين قال فأول من جمع مصعب بن عمير حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فجمع عند الزوال من الظهر وأظهر ذلك ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم أضلته اليهود والنصارى وهدانا الله اليه فيما ذكر أهل العلم ان اليهود أمروا بيوم من الاسبوع يعظمون الله فيه ويتفرغون لعبادته فاختاروا من قبل أنفسهم السبت فالزموه في شرعهم وكذلك النصارى أمروا على لسان عيسى بيوم من الاسبوع فاختاروا من قبل أنفسهم الاحد فألزموه شرعا لهم ﴿قال المؤلف﴾ وكان اليهود انما اختاروا السبت لانهم اعتقدوه اليوم السابع ثم زادوا الكفرهم ان الله استراح فيه تعالى الله عن قولهم لان بدء الخلق عندهم الاحد وآخر الستة الايام التي خلق الله فيها الخلق الجمعة وهو أيضا مذهب النصارى فاختاروا الاحد لانه أول الايام في زعمهم وقد شهد الرسول صلى الله عليه وسلم للفريقين باضلال اليوم وقال في صحيح مسلم ان الله خلق التربة يوم السبت فبين ان أول الايام التي خلق الله فيها الخلق السبت وآخر الايام الستة اذا الخميس وكذلك قال ابن اسحق فيما ذكر عنه الطبري وفي الآثار يوم الجمعة سمي الجمعة لانه جمع فيه خلق آدم روى ذلك عن سلمان وغيره وقد قدمنا في حديث الكشي ان الانصار سموه جمعة لاجتماعهم فيه فهداهم الله الى التسمية وهداهم الى اختيار اليوم وموافقة الحكمة ان الله تعالى لما بدأ فيه خلق أبينا آدم وجعل

سمع الاذان بالجمعة صلى عليه واستغفر قال فقلت له ياأبت مالك اذا سمعت الاذان بالجمعة صليت على أبي امامة قال اي بني كان أول من جمع بنا بالمدينة في هزم النبيت من حرة بني بياضة يقال له نقيع الخضمات قال قلت وكم أنتم يومئذ قال أربعون رجلا * قال ابن اسحق وحدثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقيب وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الاشهل ودار بني ظفر وكان سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل ابن خالة اسعد بن زرارة فدخل به حائطا من حوائط بني ظفر

فيه بدء هذا الجنس وهو البشر وجعل فيه أيضاً فناءهم وانقضاءهم اذ فيه تقوم الساعة وجب ان يكون يوم ذكر وعبادة لانه تذكرة بالمبدأ وتذكرة بالمعاد وانظر الى قوله تعالى « فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع » وخص البيع لانه يوم يذكر باليوم الذى لا بيع فيه ولا خلة مع انه وتر الايام التى قبله فى الاصح من القول والله يحب الوتر لانه من أسمائه فكان من هدى الله لهذه الامة ان ألهموا اليه ثم أقروا عليه لما وافقوا الحكمة فيه فهم الآخرون السابقون يوم القيامة كما قال عليه السلام كما ان اليوم الذى اختاروه سابق لما اختارته اليهود والنصارى ومتقدم عليه ولذلك كان يقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة السجدة فى صبح يوم الجمعة رواه سعيد بن ابراهيم عن الاعرج عن أبى هريرة ورواه مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كلاهما عن النبى صلى الله عليه وسلم ورواه عن سعيد بن جبير أيضاً عروة بن عبد الرحمن ذكره البزار ورواه الترمذى فى كتاب العلل له عن الاحوص ورواه البزار أيضا عن أبى الاحوص وعن علقمة عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فيه من ذكر الستة الايام واتباعها بذكر خلق آدم من طين وذلك فى يوم الجمعة تنبيها منه عليه السلام على الحكمة وتذكرة للقلوب بهذه الموعظة وأما قراءته « هل أتى على الانسان حين من الدهر » فى الركعة الثانية فلما فيهما من ذكر السعى وشكر الله لهم عليه بقول وكان سعيهم مشكورا مع ما فى أولها من ذكر بدء خلق الانسان وأنه لم يكن قبل شيأ مذكورا وقد قال فى يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله فنبه بقراءته اياها على الذاهب للسعى المشكور عليه والله أعلم ألا ترى انه كان كثيراً ما يقرأ فى صلاة الجمعة أيضاً بهل أتاك حديث الغاشية وذلك ان فيها لسعيها راضية كما فى سورة الجمعة فاسعوا الى ذكر الله فاستحب عليه السلام ان يقرأ فى الثانية ما فيه رضاهم بسعيهم المأمور به فى السورة الاولى ولفظ الجمعة مأخوذ من الاجتماع كما قدمنا وكان على وزن فعلة وفعلة لانه فى معنى قربة وقربة والعرب تأتى بلفظ الكلمة على وزن ما هو فى معناها وقالوا عمرة فاشتقوا اسمها من عمارة المسجد الحرام وبنوه على فعلة لانها وصلة وقربة الى الله ولهذا الاصل فروع فى كلام العرب ونظائر لهذين الاسمين يفيتنا تتبعه عما نحن بسبيله وفيما قدمناه ماهو أكثر من لمحة دالة وقالوا فى الجمعة جمع بتشديد الميم كما قالوا عيد اذا شهد العيد وعرف اذا شهد عرفة ولا يقال فى غير الجمعة الا جمع بالتخفيف وفى البخارى أول من عرف بالبصرة ابن عباس والتعريف انما هو بعرفات فكيف بالبصرة ولكن معناه انه رضى الله عنه اذا صلى العصر يوم عرفة أخذ فى الدعاء والذكر والضراعة الى الله تعالى الى غروب الشمس كما يفعل أهل عرفة وليس فى تسميته هذه الايام والاثنين الى الخميس ما يشد قول من قال ان أول الاسبوع الاحد وسابعها السبت كما قال أهل الكتاب لانها تسمية طارئة وانما كانت أسماؤها فى اللغة القديمة شيار واول واهون وجبار ودبار ومونس والعروبة وأسماؤها بالسريانية قبل هذا أبو جاد هوز حطى الى آخرها ولو كان الله تعالى ذكرها فى القرآن بهذه الاسماء المشتقة من العدد لقلنا هى تسمية صادقة على المسمى بها ولكنه لم يذكر منها الا الجمعة والسبت وليسا من المشتقة من العدد ولم يسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاحد والاثنين الى سائرها الا حاكيا للغة قومه لا مبتدئا لتسميتها ولعل قومه ان يكونوا أخذوا معانى هذه الاسماء من أهل الكتاب المجاورين لهم فألقوا عليها هذه الاسماء اتباعا لهم والا فقد قدمنا ما ورد فى الصحيح من قوله عليه السلام ان الله خلق التربة يوم السبت والجبال يوم الاحد الحديث والعجب من الطبرى على تبحره فى العلم كيف خالف مقتضى هذا الحديث وأعنق فى الرد على ابن اسحق وغيره ومال الى قول اليهود فى ان الاحد هو الاول ويوم الجمعة سادس لا وتر وانما الوتر فى قولهم يوم السبت مع ما ثبت من قوله عليه السلام أضلته اليهود والنصارى وهدانا الله اليه وما

*قال ابن اسحق واسم ظفر كعب بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس قالا على بئر يقال لها بئر مرق فجلسا فى الحائط واجتمع اليهما رجال ممن أسلم وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما من بنى عبد الاشهل وكلاهما مشرك على دين قومه فلما سمعا به قال سعد بن معاذ لاسيد بن حضير لا أبالك انطلق الى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانههما عن أن يأتيا دارينا فانه لولا أن أسعد بن زرارة منى حيث قد علمت كفيتك ذلك هو ابن خالتى ولا أجد عليه مقدما قال فاخذ أسيد بن حضير حربته ثم اقبل اليهما فلما رآه اسعد بن زرارة قال لمصعب بن عمير هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه قال مصعب ان يجلس اكلمه قال فوقف عليهما متشتما قال ما جاء بكما الينا تسفهان ضعفاءنا اعتزلانا ان كانت لكما بانفسكما حاجة فقال له مصعب او تجلس فتسمع فان رضيت امرا قبلته وان كرهته كف عنك ما تكره قال أنصفت ثم ركز حربته وجلس اليهما فكلمه مصعب بالاسلام وقرأ عليه القرآن فقالا فيما يذكر عنهما والله لعرفنا فى وجهه الاسلام قبل ان (٢٧٢) يتكلم به فى اشراقه وتسهله ثم قال ما احسن هذا الكلام وأجمله كيف تصنعون اذا اردتم ان تدخلوا فى هذا الدين قالا له تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وشهد شهادة الحق ثم قام فركع ركعتين ثم قال لهما ان ورائى رجلا ان اتبعكما لم يتخلف عنه احد من قومه وسارسله اليكما الآن سعد بن معاذ ثم اخذ حربته ثم انصرف الى سعد وقومه وهم جلوس فى ناديهم فلما نظر اليه سعد بن معاذ مقبلا قال أحلف بالله لقد جاءكم اسيد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف على النادى قال له سعد ما فعلت قال كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأسا وقد نهيتهما فقالا نفعل ما أحببت وقد حدثت ان بنى حارثة قد خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه وذلك انهم قد عرفوا انه ابن خالتك ليحقروك قال فقام سعد مغضبا مبادرا تخوفا للذى ذكر له من بنى حارثة فاخذ الحربة من يده ثم قال والله ما اراك اغنيت شيأ ثم خرج اليهما فلما رآهما سعد مطمئنين عرف سعد ان اسيدا انما اراد منه ان يسمع منهما فوقف عليهما متشتما ثم قال لاسعد بن زرارة يا ابا امامة لولا ما بينى وبينك من القرابة ما رمت هذا منى أتغشانا فى دارينا بما نكره وقد قال اسعد بن زرارة لمصعب بن عمير اى مصعب جاءك والله سيد من وراءه من قومه ان يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان قال فقال له مصعب أو تقعد فتسمع فان رضيت أمرا ورغبت فيه قبلته وان كرهته عزلنا عنك ما تكره قال سعد أنصفت ثم ركز الحربة وجلس فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه القرآن قالا فعرفنا والله فى وجهه الاسلام قبل أن يتكلم لاشراقه وتسهله ثم قال لهما كيف تصنعون اذا أنتم أسلمتم ودخلتم فى هذا الدين قالا تغتسل فتطهر وتطهر ثوبيك ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلى ركعتين قال فقام فاغتسل وطهر ثوبيه وتشهد شهادة الحق ثم ركع

رفع

احتج به الطبرى من حديث آخر فليس فى الصحة كالذى قدمناه وقد يمكن فيه التأويل أيضا فتفقه بقلبك على حكمة الله تعالى فى تعبد الخلق به لما فيه من التذكرة بانشاء هذا الجنس ومبدئه كما قدمنا ولما فيه أيضا من التذكرة باحدية الله سبحانه وانفراده قبل الخلق بنفسه فانك اذا كنت فى الجمعة وتفكرت فى كل جمعة قبله حتى يترقى وهمك الى الجمعة التى خلق فيها أبوك آدم ثم فكرت فى الايام الستة التى قبل يوم الجمعة وجدت فى كل يوم منها جنسا من المخلوقات موجودا الى السبت ثم انقطع وهمك فلم تجد فى الجمعة التى تلى ذلك السبت وجودا الا للواحد الصمد الوتر فقد ذكرت الجمعة من تفكر بوحدانية الله وأوليته فوجب ان يؤكد فى هذا اليوم توحيد القلب للرب بالذكر له كما قال تعالى «فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع» وان يتأكد ذلك الذكر بالعمل وذلك بان يكون العمل مشاكلا لمعنى التوحيد فيكون الاجتماع فى مسجد واحد من المساجد والى امام واحد من الائمة ويخطب ذلك الامام فيذكر بوحدانية الله تعالى وبآلائه فيشاكل الفعل للقول والقول للمعتقد فتأمل هذه الاغراض بقلبك فانها تذكرة بالحق وقد زدنا على ما شرطنا فى أول الكتاب معانى لم تكن هنالك وعدنا بها ولكن الكلام يفتح بعضه باب بعض ويحدو المتكلم قصد البيان الى الاطالة ولا بأس بالزيادة من الخير والله المستعان

﴿ اسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير ﴾

وسمع أهل مكة هاتفا يهتف ويقول قبل اسلام سعد

فان يسلم السعدان يصبح محمد * بمكة لا يخشى خلاف المخالف

فحسبوا انه يريد بالسعدين القبيلتين سعد هذيم من قضاعة وسعد بن زيد مناة بن تميم حتى سمعوه يقول

فيا سعد سعد الاوس كن أنت ناصرا * ويا سعد سعد الخزرجيين الغطارف

أجيبا الى داعى الهدى وتمنيا * على الله فى الفردوس منية عارف

فعلموا حينئذ أنه يريد سعد بن معاذ وسعد بن عبادة *وذكر فيه اغتسالهما حين أسلما بامر مصعب بن عمير لهما بذلك فذلك السنة فى كل كافر يسلم ثم اختلف فى نية الكافر اذا أسلم باغتساله فقال بعضهم ينوى به

ركعتين ثم أخذ حربته فاقبل عامدا الى نادى قومه ومعه أسيد بن حضير فلما رآه قومه مقبلا قالوا نحلف بالله لقد رجع اليكم سعد بغير الوجه الذى ذهب به من عندكم فلما وقف عليهم قال يا بنى عبد الاشهل كيف تعلمون أمرى فيكم قالوا سيدنا وأفضلنا رأيا وأيمننا نقيبة قال فان كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تؤمنوا بالله و برسوله قالوا فوالله ما أمسى فى دار بنى عبد الاشهل رجل ولا امرأة الا مسلما أو مسلمة ورجع أسعد ومصعب الى منزل أسعد بن زرارة فأقام عنده يدعوان الناس الى الاسلام حتى لم تبق دار من دور الانصار الا وفيها رجال ونساء مسلمون الا ما كان من دار بنى أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف وتلك أوس الله وهم من الاوس بن حارثة وذلك أنه كان فيهم أبو قيس بن الاسلت وهو صيفى وكان شاعرا لهم قائدا يسمعون منه و يطيعونه فوقف بهم عن الاسلام فلم يزل على ذلك حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة ومضى بدر وأحد والخندق وقال فيما رأى من الاسلام وما اختلف الناس فيه من أمره

أرب الناس أشياء ألمت * يلف الصعب منها بالذلول

أرب الناس اما أن ضللنا * فيسرنا لمعروف السبيل

فلولا ربنا كنا يهودا * وما دين اليهود بذى شكول

ولولا ربنا كنا نصارى * مع الرهبان فى جبل الجليل

ولكنا خلقنا اذ خلقنا * حنيفا ديننا عن كل جيل

نسوق الهدى ترسف مذعنات * مكشفة المناكب فى الجلول

« قال ابن هشام » أنشدنى

قوله فلولا ربنا وقوله ولولا ربنا وقوله مكشفة المناكب فى الجلول رجل من الانصار أو من خزاعة

﴿ البيعة الثانية الكبرى بالعقبة ﴾

* قال ابن اسحق ثم ان مصعب بن عمير رجع الى مكة وخرج من خرج من الانصار المسلمين الى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة فواعدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق حين أراد الله بهم ما أراد من كرامته والنصر لنبيه واعزاز الاسلام وأهله واذلال الشرك وأهله * قال ابن اسحق وحدثنى معبد بن كعب بن مالك بن أبى كعب ابن القين أخو بنى سلمة ان أخاه عبد الله بن كعب وكان من أعلم الانصار حدثه ان أباه كعبا حدثه وكان كعب ممن شهد العقبة و بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها قال خرجنا فى حجاج قومنا من المشركين وقد صلينا وفقهنا ومعنا البراء بن معرور سيدنا وكبيرنا فلما وجهنا لسفرنا

رفع الجنابة عن نفسه وقال بعضهم ينوى التعبد ولا حكم للجنابة فى حقه لان معنى الامر به استباحة الصلاة والكافر لا يصلى وان كان مخاطبا فى أصح القولين ولكنه أمر مشروط بالايمان فاذا لم يكن الايمان وهو الشرط الاول فاجدر بان يكون الشرط الثانى وهو الغسل من الجنابة غير مفيد بشىء فاذا أسلم هدم الاسلام ما كان قبله فلم يجب عليه اعادة صلاة مضت واذا سقطت الصلوات سقطت عنه شروطها واستأنف الاحكام الشرعية فتجب عليه الصلوات من حين يسلم بشروط أدائها من وضوء وغسل من جنابة اذا أجنب بعد اسلامه وغير ذلك من شروط صحة الصلاة و رأيت لبعض المتأخرين ان اغتساله سنة لا فريضة وليس عندى بالبين لان الله سبحانه يقول « انما المشركون نجس » وحكم النجاسة انما يرفع بالطهارة ولم يحكم عليهم بالتنجيس لموضع الجنابة لانه قد علق الحكم بصفة الشرك والحكم المعلل بالصفة مرتبط بها فاذا ارتفع حكم الشرك بالايمان لم يبق للجنابة حكم كما اذا كان المسلم جنبا ثم بال فالطهور من الجنابة يرفع عنه حكم الحدث الاصغر وهو حدث الوضوء لان الطهارة الصغرى داخلة فى الكبرى وتطهره من تنجيس الشرك بايمانه هو أيضا بالاضافة الى الطهر من الجنابة الطهارة الكبرى فينبغى أن تكون مغنية عنها كما كانت الطهارة من الجنابة مغنية عن الطهارة من الحدث اذ ليست واحدة من هذه الطهارات مزيلة لعين نجاسة فيها فينبغى بعد هذا ان أمره بالاغتسال تعبد والحكم بانه غير فرض تحكم والله أعلم غير ان الترمذى خرج حديث قيس بن عاصم حين أسلم فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغتسل قال الترمذى وعلى هذا العمل عند أهل العلم يستحبون للكافر اذا أسلم أن يغتسل و يغسل ثيابه فقال يستحبون وجعلها مسئلة استحباب

﴿ فصل ﴾ وذكر شعر أبى قيس بن الاسلت وفيه قوله

ولولا ربنا كنا يهودا * وما دين اليهود بذى شكول

أراد جمع شكل وشكل الشىء بالفتح هو مثله والشكل بالكسر الدل والحسن فكأنه أراد أن دين اليهود بدع فليس له شكول أى ليس له نظير فى الحقائق ولا مثيل يعضده من الامر المعروف المقبول وقد قال الطائى

وقالت أخى قالوا أخ من قرابة * فقلت لهم ان الشكول أقارب

قريبى فى رأيى ودينى ومذهبى * وان باعدتنا فى الخطوب المناسب

وقال فيه مع الرهبان فى جبل الجليل الجليل بالجيم اسم وهذا الجبل من جبال الشام معروف بهذا الاسم

﴿ ذكر البراء بن معرور وصلاته الى القبلة ﴾

وخرجنا من المدينة قال البراء لنا يا هؤلاء انى قد رأيت رأيا والله ما أدرى أتوافقونى عليه أم لا قال قلنا وماذاك قال قد رأيت أن لا أدع هذه
البنية منى بظهر يعنى الكعبة وأن أصلى اليها قال فقلنا والله ما بلغنا ان نبينا صلى الله عليه وسلم يصلى الا الى الشام وما نريد أن نخالفه قال فقال
انى لمصل اليها قال فقلنا له لكنا لا نفعل قال فكنا اذا حضرت الصلاة صلينا الى الشام وصلى الى الكعبة حتى قدمنا مكة قال وقد كنا عبنا عليه
ماصنع وأبى الا الاقامة على ذلك فلما قدمنا الى مكة قال لى يا ابن أخى انطلق بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أسأله عما صنعت فى
سفرى هذا فانه والله لقد وقع فى نفسى منه شئ لما رأيت من خلافكم اياى فيه قال فخرجنا نسأل عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم وكنا لا نعرفه
لم نره قبل ذلك فلقينا رجلا
من أهل مكة فسألناه عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال هل تعرفانه فقلنا
لا قال فهل تعرفان العباس
بن عبد المطلب عمه قال قلنا
نعم قال وقد كنا نعرف
العباس كان لا يزال يقدم
علينا تاجرا قال فاذا دخلتما
المسجد فهو الرجل الجالس
مع العباس قال فدخلنا
المسجد فاذا العباس رضى
الله عنه جالس ورسول الله
صلى الله عليه وسلم جالس
معه فسلمنا ثم جلسنا اليه
فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم للعباس هل تعرف
هذين الرجلين يا أبا الفضل
قال نعم هذا البراء بن معرور
سيد قومه وهذا كعب بن
مالك قال فوالله ما أنسى
قول رسول الله صلى الله
عليه وسلم ألشاعر قال نعم
فقال البراء بن معرور يانبى
الله انى خرجت فى سفرى هذا وقد هدانى الله للاسلام فرأيت أن لا أجعل هذه البنية منى البزار
بظهر فصليت اليها وقد خالفنى أصحابى فى ذلك حتى وقع فى نفسى من ذلك شئ فماذا ترى يارسول الله قال قد كنت على قبلة لو صبرت عليها
قال فرجع البراء الى قبلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى معنا الى الشام قال وأهله يزعمون انه صلى الى الكعبة حتى مات وليس
ذلك كما قالوا نحن أعلم به منهم « قال ابن هشام » وقال عون بن أيوب الانصارى

ومنا المصلى أول الناس مقبلا * على كعبة الرحمن بين المشاعر

يعنى البراء بن معرور وهذا البيت فى قصيدة له

ذكر حديث كعب بن مالك حين حج فى نفر من قومه مع البراء بن معرور وقد كانوا يصلون الى بيت المقدس
وكان البراء يصلى الى الكعبة الحديث الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كنت على قبلة لو صبرت عليها
فقه قوله لو صبرت عليها انه لم يأمره باعادة ما قد صلى لانه كان متأولا وفى الحديث دليل على أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان يصلى بمكة الى بيت المقدس وهو قول ابن عباس وقالت طائفة ما صلى الى بيت المقدس
الا مذ قدم المدينة سبعة عشر شهرا أو ستة عشر شهرا فعلى هذا يكون فى القبلة نسخان نسخ سنة بسنة ونسخ
سنة بقرآن وقد بين حديث ابن عباس منشأ الخلاف فى هذه المسألة فروى عنه من طرق صحاح أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى بمكة استقبل بيت المقدس وجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس فلما كان
عليه السلام يتحرى القبلتين جميعا لم يبن توجهه الى بيت المقدس للناس حتى خرج من مكة والله أعلم
قال الله تعالى له فى الآية الناسخة «ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام» أى من أى جهة
جئت الى الصلاة وخرجت اليها فاستقبل الكعبة كنت مستدبرا البيت المقدس أو لم تكن لانه كان بمكة
يتحرى فى استقباله بيت المقدس ان تكون الكعبة بين يديه وتدبر قوله تعالى «ومن حيث خرجت فول
وجهك» وقال لامته «وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره» ولم يقل حيثما خرجتم وذلك انه كان عليه السلام
امام المسلمين فكان يخرج اليهم الى كل صلاة ليصلى بهم وكان ذلك واجبا عليه اذ كان الامام المقتدى به
فاذ ذكر الخروج فى خاصته هذا المعنى ولم يكن حكم غيره هكذا يقتضى الخروج ولا سيما النساء ومن لا جماعة
عليه وكرر البارى تعالى الامر بالتوجه الى البيت الحرام فى ثلاث آيات لان المنكرين لتحويل القبلة كانوا
ثلاثة أصناف من الناس اليهود لانهم لا يقولون بالنسخ فى أصل مذهبهم وأهل الريب والنفاق اشتد
انكارهم له انه كان أول نسخ نزل وكفار قريش قالوا ندم محمد على فراق ديننا فسيرجع اليه كما رجع الى قبلتنا
وكانوا قبل ذلك يحتجون عليه فيقولون يزعم محمد انه يدعونا الى ملة ابراهيم واسمعيل وقد فارق قبلة ابراهيم
واسمعيل وآثر عليها قبلة اليهود فقال الله له حين أمره بالصلاة الى الكعبة «لئلا يكون للناس عليكم حجة الا
الذين ظلموا منهم» على الاستثناء المنقطع أى لكن الذين ظلموا منهم لا يرجعون ولا يهتدون وقال سبحانه
«وانه للحق من ربك فلا تكونن من الممترين» أى من الذين شكوا وامتروا ومعنى هو الحق من ربك أى الذى
أمرتك به من التوجه الى البيت الحرام هو الحق الذى كان عليه الانبياء قبلك فلا تمتر فى ذلك وقال «وان الذين
أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق» وقال «وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون» أى يكتمون ما علموا
من ان الكعبة هى قبلة الانبياء وروى أبو داود السجزى فى كتاب الناسخ والمنسوخ له وهو فى روايتنا عنه
بسند رفيع حدثنا به الامام الحافظ أبو بكر بن العربى قال أنا أبو الحسن على بن الحسين بن على بن أيوب

* قال ابن اسحق حدثني معبد بن كعب ان أخاه عبد الله بن كعب حدثه ان أباه كعب بن مالك حدثه قال كعب ثم خرجنا الى الحج وواعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة من أوسط أيام التشريق قال فلما فرغنا من الحج وكانت الليلة التي واعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لها ومعنا عبد الله بن عمرو بن حرام أبو جابر سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا أخذناه معنا وكنا نكتم من معنا من قومنا من المشركين أمرنا فكلمناه وقلنا له يا أبا جابر انك سيد من ساداتنا وشريف من أشرافنا وانا نرغب بك عما أنت فيه أن تكون حطباً للنار غداً ثم دعوناه الى الاسلام وأخبرناه بميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ايانا العقبة قال فأسلم وشهد معنا العقبة وكان نقيباً قال فنمنا تلك الليلة مع قومنا في رحالنا حتى اذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم نتسلل تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن ثلاثة وسبعون رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا نسيبة بنت كعب أم عمارة أحد نساء بني مازن بن النجار وأسماء بنت عمرو بن عدي ابن نابي احدى نساء بني سلمة وهي أم منيع قال فاجتمعنا في الشعب ننتظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جاءنا ومعه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه الا انه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له فلما جلس كان أول متكلم العباس بن عبد المطلب فقال يا معشر الخزرج قال وكانت العرب انما يسمون هذا الحي من الانصار الخزرج خزرجها وأوسها ان محمداً منا حيث قد علمتم وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه فهو في عز من قومه ومنعة في بلده وانه قد أبى الا الانحياز اليكم واللحوق بكم فان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فانتم وما تحملتم من ذلك وان كنتم ترون انكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم فمن الآن فدعوه فانه في عز ومنعة من قومه و بلده قال فقلنا له قد سمعنا ما قلت فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت قال فتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلا القرآن ودعا الى الله و رغب في الاسلام ثم قال أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم قال فأخذ البراء بن معرور بيده ثم قال نعم والذي بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه ازرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابراً قال فاعترض القول والبراء يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو الهيثم بن التيهان فقال يا رسول الله ان بيننا و بين الرجال حبالاً وانا قاطعوها يعني اليهود فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ان

البزار قال أنا أبو علي بن شاذان قال أنا أبو بكر الفقيه النجار احمد بن سلمان عنه قال نا أحمد بن صالح قال نا عنبسة عن يونس عن ابن شهاب قال كان سليمان بن عبد الملك لا يعظم ايلياء كما يعظمها أهل بيته قال فسرت معه وهو ولي عهد قال ومعه خالد بن يزيد بن معاوية قال سليمان وهو جالس فيه والله ان في هذه القبلة التي صلى اليها المسلمون والنصارى لعجبا قال خالد بن يزيد أما والله اني لأقرأ الكتاب الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم وأقرأ التوراة فلم يجدها اليهود في الكتاب الذي أنزله الله عليهم ولكن تابوت السكينة كان على الصخرة فلما غضب الله تعالى على بني اسرائيل رفعه فكانت صلاتهم الى الصخرة عن مشاورة منهم ورَوى أبو داود أيضاً ان يهودياً خاصم أبا العالية في القبلة فقال أبو العالية ان موسى عليه السلام كان يصلي عند الصخرة و يستقبل البيت الحرام فكانت الكعبة قبلة وكانت الصخرة بين يديه وقال اليهودي بيني و بينك مسجد صالح النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو العالية فاني صليت في مسجد صالح وقبلته الكعبة وأخبر أبو العالية انه رأى مسجد ذي القرنين وقبلته الكعبة ورَوى أيضاً ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول لجبريل وددت ان الله حولني عن قبلة اليهود فيقول له جبريل انما أنا عبد مأمور ورَوى غيره انه كان يتبعه بصره اذا عرج الى السماء حرصاً على ان يأمره بالتوجه الى الكعبة فانزل الله تعالى «قد نرى تقلب وجهك في السماء» الآية *وذكر بيعة العقبة وذكر عدة أصحاب بيعة العقبة وانهم كانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين وهما أم عمارة وهي نسيبة بنت كعب امرأة زيد بن عاصم شهدت بيعة العقبة و بيعة الرضوان وشهدت يوم اليمامة و باشرت القتال بنفسها وشاركت ابنها عبد الله في قتل مسيلمة فقطعت يدها وجرحت اثنا عشر جرحاً ثم عاشت بعد ذلك دهراً وكان الناس يأتونها بمرضاهم لتستشفي لهم فتمسح بيدها الشلاء على العليل وتدعو اله فقل ما مسحت بيدها ذا عاهة الا برئ والاخرى أسماء بنت عمرو أم منيع وقد رفع في نسبها ونسب الاخرى ابن اسحق ويروى ان أم عمارة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرى كل شئ الا للرجال وما أرى للنساء شيأ فانزل الله تعالى «ان المسلمين والمسلمات» الآية *وذكر قول البراء بن معرور وهو أول من ضرب بيده على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيعة على اختلاف في ذلك قد ذكره ابن اسحق فقال نبايعك على ان نمنعك مما نمنع منه أزرنا أراد نساءنا والعرب تكني عن المرأة بالازار وتكني أيضاً بالازار عن النفس وتجعل الثوب عبارة عن لابسه كما قال

رموها بأثواب خفاف فلا ترى * لها شبها الا النعام المنفرا

ترجع الى قومك وتدعنا قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال بل الدم الدم والهدم الهدم أنا منكم وأنتم مني أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم «قال ابن هشام» ويقال الهدم الهدم أي ذمتي ذمتكم وحرمتي حرمتكم قال كعب وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجوا الى منكم اثنى عشر نقيبا ليكونوا على قومهم بما فيهم فاخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الاوس

﴿ أسماء النقباء الاثنى عشر وتمام خبر العقبة ﴾ «قال ابن هشام» من الخزرج فيما حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي * أبو امامة أسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج * وسعد ابن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث بن الخزرج * وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج ابن الحرث بن الخزرج * ورافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر ابن زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم ابن الخزرج * والبراء ابن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج * وعبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج * وعبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم ابن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج «قال ابن هشام» هو غنم بن عوف أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج * قال ابن اسحق وسعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج * والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج «قال ابن هشام» ويقال ابن خنيس * ومن الاوس أسيد بن حضير بن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل ابن جشم بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس * وسعد بن خيثمة بن الحرث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الاوس * ورفاعة بن عبد المنذر بن زنبر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن

أي بأبدان خفاف فقوله مما تمتع أزر ربما يحتمل الوجهين جميعا وقد قال الفارسي في قول الرجل الذي كتب الى عمر من الغزو يذكره بأهله

ألا أبلغ أبا حفص رسولا * فدى لك من أخي ثقة ازاري

قال الازار كناية عن الاهل وهو في موضع نصب بالاغراء أي احفظ ازاري وقال ابن قتيبة الازار في هذا البيت كناية عن نفسه ومعناه فدى لك نفسي وهذا القول هو المرضي في العربية والذي قاله الفارسي بعيد عن الصواب لانه أضمر المبتدا وأضمر الفعل الناصب للازار ولا دليل عليه لبعده عنه وبعد البيت ما يدل على صحة القول المختار وهو

قلائصنا هداك الله مهلا * شغلنا عنكم زمن الحصار

فنصب قلائصنا بالاضمار الذي جعله الفارسي ناصبا للازار والبراء بن معرور يكنى أبا بشر بابنه بشر بن البراء وهو الذي أكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشاة المسمومة فمات ومعرور اسم أبيه معناه مقصود يقال عره واعتره اذا قصده والبراء هذا ممن صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره بعد موته وكبر أربعا وفي هذا الحديث الصلاة على القبر وقد رويت عن ست طرق عن النبي صلى الله عليه وسلم قاله احمد بن حنبل وذكرها كلها أبو عمر في التمهيد وزاد ثلاث طرق لم يذكرها ابن حنبل فهي اذا تروى من تسع طرق أعني ان تسعة من الصحابة رووا صلاته عليه السلام على القبر فتهم ابن عباس وأنس بن مالك وبريدة وابو هريرة وزيد بن ثابت وعامر بن فهيرة [ربيعة] وأبو قتادة الانصاري وسهل بن حنيف وعبادة بن الصامت وحديثه مرسل وأصحها اسنادا حديث ابن عباس وأبي هريرة * وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم للمبايعين له بل الدم الدم والهدم الهدم وقال ابن هشام الهدم بفتح الدال قال ابن قتيبة كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار دمي دمك وهدمي هدمك أي ما هدمت من الدماء هدمته أنا ويقال أيضا بل اللدم اللدم والهدم الهدم وأنشد * ثم الحقي بهدمي ولدمي * فاللدم جمع لادم وهم أهله الذين يلتدمون عليه اذا مات وهو من لدمت صدره اذا ضربته والهدم قال ابن هشام الحرمة وانما كنى عن حرمة الرجل وأهله بالهدم لانهم كانوا أهل نجعة وارتحال ولهم بيوت يستخفونها يوم ظعنهم فكلما ظعنوا هدموها والهدم بمعنى المهدوم كالقبض بمعنى المقبوض ثم جعلوا الهدم وهو البيت المهدوم عبارة عما حوى ثم قال هدمي هدمك أي رحلتي مع رحلتك أي لا اظعن وأدعك وأنشد يعقوب * كانها هدم في الجفر منقاض *

﴿ فصل ﴾ وذكر الاثنى عشر نقيبا وشعر كعب فيهم الى آخره وليس فيه ما يشكل وانما جعلهم عليه السلام

عمرو بن عوف بن مالك بن الاوس «قال ابن هشام» وأهل العلم يعدون فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولا يعدون رفاعة * وقال كعب بن مالك يذكرهم فيما أنشدني أبو زيد الانصاري

* أبلغ أبيا أنه فال رأيه * وحان غداة الشعب والحين واقع
أبى الله ما منتك نفسك انه * بمرصاد أمر الناس راء وسامع
وأبلغ أبا سفيان ان قد بدا لنا * بأحمد نور من هدى الله ساطع
فلا ترغبن فى حشد أمر تريده * وألب وجمع كل ما أنت جامع
ودونك فاعلم ان نقض عهودنا * أباه عليك الرهط حين تبايعوا
أباه البراء وابن عمرو كلاهما * وأسعد يأباه عليك ورافع
وسعد أباه الساعدى ومنذر * لانفك ان حاولت ذلك جادع
وما ابن ربيع ان تناولت عهده * بمسلمه لا يطمعن ثم طامع
وأيضا فلا يعطكيه ابن رواحة * واخفاره من دونه السم ناقع
وفاء به والقوقلى ابن صامت * بمندوحة عما تحاول يافع
أبو هيثم أيضا وفى بمثلها * وفاء بما أعطى من العهد خانع
وما ابن حضير ان أردت بمطمع * فهل أنت عن أحموقة الغى نازع
وسعد أخو عمرو بن عوف فانه * ضروح لما حاولت ملأمر مانع
أولاك نجوم لا يغبك منهم * عليك بنحس فى دجى الليل طالع

فذكر كعب فيهم أبا الهيثم بن التيهان ولم يذكر رفاعة * قال ابن اسحق فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للنقباء أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم وأنا كفيل على قومى

يعنى المسلمين قالوا نعم * قال ابن اسحق وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة أن القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العباس بن عبادة بن نضلة الانصارى أخو بنى سالم ابن عوف يامعشر الخزرج هل تدرون علام تبايعون هذا الرجل قالوا نعم قال انكم تبايعونه على حرب الاحمر والاسود من الناس فان كنتم ترون انكم اذا نهكت أموالكم مصيبة وأشرافكم قتلا أسلمتموه فمن الآن فهو والله ان فعلتم خزى الدنيا والآخرة وان كنتم ترون انكم وافون له بما دعوتموه اليه على نهكة الاموال وقتل الاشراف فخذوه فهو والله خير الدنيا والآخرة قالوا فانا نأخذه على مصيبة الاموال وقتل الاشراف فما لنا بذلك يارسول الله ان نحن وفينا قال الجنة قالوا ابسط يدك فبسط يده فبايعوه فاما عاصم بن عمر بن قتادة فقال والله ما قال ذلك العباس الا ليشد العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعناقهم وأما عبد الله بن أبى بكر فقال ما قال ذلك العباس الا ليؤخر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبى ابن سلول فيكون أقوى لامر القوم فالله أعلم أى ذلك كان «قال ابن هشام» سلول امرأة من خزاعة وهى أم أبى بن مالك بن الحرث بن عبيد بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج * قال ابن اسحق فبنو النجار يزعمون ان أبا امامة أسعد بن زرارة كان أول من ضرب على يده وبنو عبد الاشهل يقولون بل أبو الهيثم بن التيهان * قال ابن اسحق قال الزهرى حدثنى معبد بن كعب بن مالك فحدثنى فى حديثه عن أخيه عبد الله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك قال كان أول من ضرب على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم البراء بن معرور ثم بايع بعد القوم فلما بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صرخ الشيطان من رأس العقبة بانفذ صوت سمعته قط ياأهل الجباجب والجباجب المنازل هل لكم فى مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أزب العقبة هذا ابن أزيب «قال ابن هشام» ويقال ابن أزيب اسمع أى عدو الله اما والله لافرغن لك قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارفضوا الى رحالكم قال فقال له العباس بن عبادة بن نضلة والذى بعثك بالحق ان شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا قال فقال

السلام اثنى عشر نقيبا اقتداء بقوله تعالى فى قوم موسى وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا وقد سمينا أولئك النقباء باسمائهم فى كتاب التعريف والاعلام فلينظر هنالك ورُوى عن الزهرى أنه قال قال النبى عليه السلام للاوس والخزرج حين قدم عليهم النقباء لا يغضبن أحدكم فانى أفعل ما أومر وجبريل عليه السلام الى جنبه يشير اليهم واحدا بعد واحد وروى فى المعيطى عن مالك بن أنس انه روى حديث النقباء عن شيخ من الانصار قال مالك وكنت أعجب كيف جاء هذا رجلان من قبيلة ورجل من أخرى حتى حدثت بهذا الحديث وان جبريل هو الذى ولاهم وأشار على النبى صلى الله عليه وسلم بهم * وذكر ان الشيطان صرخ من رأس العقبة بانفذ صوت قال الشيخ أبو بحر هكذا وقع فى الامهات وأصلحناه عن القاضى أبى الوليد بابعد «قال المؤلف» ولا معنى لهذا الاصلاح لان وصف الصوت بالنفاذ صحيح هو أفصح من وصفه بالبعد وقد مضى فى حديث عمر مع الكاهن قال لقد سمعت من صوت العجل صوتا ما سمعت أنفذ منه وفى الصحيح ان الله تعالى يحشر الخلق يوم القيامة فى صرح واحد فينفذهم البصر ويسمعهم الداعى وكذلك وجدته فى رواية يونس بن بكير عن ابن اسحق بانفذ صوت كما كان فى الاصل * وقوله ياأهل الجباجب يعنى منازل منى وأصلها ان الاوعية من الادم كالزبيل ونحوه يسمى جبجبة فجعل الخيام والمنازل لاهلها كالاوعية وقوله عليه السلام حين صرخ ابليس ياأهل الجباجب هذا أزب العقبة هذا ابن أزب قال ابن هشام ويقال ابن أزيب كذا تقيد فى هذا الموضع أزب العقبة وقال ابن ماكولا أم كرز بنت الازب بن

رسول الله صلى الله عليه وسلم لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا الى رحالكم قال فرجعنا الى مضاجعنا فنمنا عليها حتى أصبحنا فلما اصبحنا غدت علينا جلة قريش حتى جاؤنا فى منازلنا فقالوا يا معشر الخزرج انه قد بلغنا انكم قد جئتم الى صاحبنا هذا تستخرجونه من بين أظهرنا وتبايعونه على حربنا وانه والله مامن حى من العرب أبغض الينا أن تنشب الحرب بيننا وبينهم منكم قال فانبعث من هنالك من مشركى قومنا يحلفون بالله ما كان من هذا شئ وماعلمناه قال وقد صدقوا لم يعلموه قال وبعضنا ينظر الى بعض قال ثم قام القوم وفيهم الحرث بن هشام بن المغيرة المخزومى وعليه نعلان له جديدان قال فقلت له كلمة كأنى أريد أن أشرك القوم بها فيما قالوا يا أبا جابر أما تستطيع أن تتخذ وأنت سيد من سادا تنا مثل نعلى هذا الفتى من قريش قال فسمعها الحرث فخلعهما من رجليه ثم رمى بهما الى فقال والله لتنتعلنهما قال يقول أبو جابر مه أحفظت والله الفتى فاردد اليه نعليه قال قلت لا والله لا أردهما فأل والله صالح والله لئن صدق الفأل لاسلبنه * قال ابن اسحق وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنهم أتوا عبد الله بن أبى ابن سلول فقالوا له مثل ما قال كعب من القول فقال لهم ان هذا الامر جسيم ما كان قومى ليتفوتوا على بمثل هذا وما علمته كان قال فانصرفوا عنه قال ونفر الناس من منى فتنطس القوم الخبر فوجدوه قد كان وخرجوا فى طلب القوم فادركوا سعد بن عبادة باذاخر والمنذر بن عمرو أخا بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج وكلاهما كان نقيبا فاما المنذر فاعجز القوم وأما سعد فاخذوه فربطوا يديه الى عنقه بنسع رحله ثم أقبلوا به حتى أدخلوه مكة يضربونه ويجذبونه بجمته

عمرو بن بكيل من همدان جدة العباس أم أمه سيلة وقال لا يعرف الازب فى الاسماء الا هذا وأزب العقبة وهو اسم شيطان ووقع فى هذه النسخة فى غزوة أحد ازب العقبة بكسر الهمزة وسكون الزاى وفى حديث ابن الزبير ما يشهد له حين رأى رجلا طوله شبران على بردعة رحله فقال ما أنت فقال ازب قال وما ازب قال رجل من الجن فضربه على رأسه بعود السوط حتى باص أى هرب وقال يعقوب فى الالفاظ الازب القصير وحديث ابن الزبير ذكره العتبى فى الغريب فالله أعلم أى اللفظين أصح وابن أزيب فى رواية ابن هشام يجوز أن يكون فعيلا من الازب أيضاً والازيب البخيل وأزيب اسم ريح من الرياح الاربع والازيب الفزع أيضاً والازيب الرجل المتقارب المشى وهو على وزن افعل قاله صاحب العين ويحتمل أن يكون ابن ازيب من هذا أيضاً وأما البخيل فازيب على وزن فعيل لان يعقوب حكى فى الالفاظ امرأة أزيبة ولو كان على وزن افعل فى المذكر لقيل فى المؤنث زيباء الا ان فعيلا فى أبنية الاسماء عزيز وقد قالوا فى ضهياء وهى التى لا تحيض من النساء فعلى جعلوا الهمزة زائدة وهى عندى فعيل لان الهمزة فى قراءة عاصم لام الفعل فى قوله تعالى يضاهون والضهياء من هذا الا انها تضاهى الرجل أى تشبهه ويقال فيه ضهياء بالمد فلا اشكال فيها انها التأنيث على لغة من قال ضاهيت بالياء وقد يجوز أن يكون أزيب وأزيبة مثل أرمل وأرملة فلا يكون فعيلا وروى أبو الاشهب عن الحسن قال لما بويع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمنى صرخ الشيطان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا أبو لبينى قد أنذر بكم فتفرقوا

﴿ فصل ﴾ وذكر الحارث بن هشام حين رمى بنعليه الى جابر قال وكان عليه نعلان جديدان والنعل مؤنثة ولكن لا يقال جديدة فى الفصيح من الكلام وانما يقال ملحفة جديد لانها فى معنى مجدودة أى مقطوعة فهى من باب كف خضيب وامرأة قتيل قال سيبويه ومن قال جديدة فانما أراد معنى حديثة أراد سيبويه أن حديثة بمعنى حادثة وكل فعيل بمعنى فاعل يدخله التاء فى المؤنث * وذكر قول سعد حين أسرته قريش فأتانى رجل وضئ شعشاع والشعشع والشعشعانى الطويل من الرجال وكذلك السلهب والصقعب والشرقب والشرجب والخبق والشوذب الطويل مع رقة فى أسماء كثيرة * وقوله أوى اليه رجل أى رق له يقال أوى أية ومأوية * وقوله فتنطس القوم الخبر أى أكثروا البحث عنه والتنطس تدقيق النظر قال الراجز

وقد أكون عندها نقريسا * طبا بادواء النسا نطيسا

وكان ذا شعر كثير قال سعد فوالله انى لفى أيديهم اذ طلع على نفر من قريش فيهم رجل وضئ أبيض شعشاع حلو من الرجال «قال ابن هشام» الشعشاع الطويل الحسن قال رؤبة * يمطوه من شعشاع غير مودن * يعنى عنق البعير غير قصير يقول مودن اليد أى ناقص اليد يمطوه من السير شعشاع حلو من الرجال قال فقلت فى نفسى ان يك عند أحد من القوم خير فعند هذا قال فلما دنا منى رفع يده فلكمنى لكمة شديدة قال قلت فى نفسى لا والله ما عندهم بعد هذا من خير قال فوالله انى لفى أيديهم يسحبوننى اذ أوى لى رجل ممن كان معهم فقال ويحك أما بينك وبين أحد من قريش جوار ولا عهد قال قلت بلى والله لقد كنت أجير لجبير بن مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف تجارة وأمنعهم ممن أراد ظلمهم ببلادى وللحرث بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف قال ويحك فاهتف باسم الرجلين

وذكر

واذكر ما بينك وبينهما قال ففعلت وخرج ذلك الرجل اليهما فوجدهما في المسجد عند الكعبة فقال لهما ان رجلا من الخزرج الآن يضرب بالابطح ليهتف بكما ويذكر ان بينه وبينكما جوارا قالا ومن هو قال سعد بن عبادة قالا صدق والله ان كان ليجير لنا تجارنا ويمنعهم أن يظلموا ببلده قال فجاءا فخلصا سعدا من أيديهم فانطلق وكان الذي لكم سعدا سهيل بن عمرو أخو بني عامر بن لؤي «قال ابن هشام» وكان الرجل الذي أوى له ابا البختري بن هشام * قال ابن اسحق وكان أول شعر قيل في الهجرة بيتين قالهما ضرار بن الخطاب بن مرداس أخو بني محارب بن فهر

تداركت سعدا عنوة فأخذته * وكان شفاء لو تداركت منذرا

ولو نلته طلت هناك جراحه * وكانت حريا ان يهان ويهدرا

«قال ابن هشام» ويروى * وكان حقيقا ان يهان ويهدرا * قال ابن اسحق فاجابه حسان بن ثابت فيهما فقال

لست الى سعد ولا المرء منذر * اذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا

فلولا أبو وهب لمرت قصائد * على شرف البرقاء يهوين حسرا

أتفخر بالكتان لما لبسته * وقد تلبس الانباط ريطا مقصرا

فلا تك كالوسنان يحلم انه * بقرية كسرى أو بقرية قيصرا

ولا تك كالثكلى وكانت بمعزل * عن الثكل لو كان الفؤاد تفكرا

ولا تك كالشاة التي كان حتفها * بحفر ذراعيها فلم ترض محفرا

ولا تك كالعاوي فاقبل نحره * ولم يخشه سهما من النبل مضمرا

فانا ومن يهدي القصائد نحونا * كمستبضع تمرا الى أهل خيبرا

وذكر قول ضرار بن الخطاب * وكان شفاء لو تداركت منذرا * وضرار كان شاعر قريش وفارسها ولم يكن في قريش أشعر منه ثم ابن الزبعرى وكان جده مرداس رئيس بني محارب بن فهر في الجاهلية يسير فيهم بالمرباع وهو ربع الغنيمة وكان أبوه أيام الفجار رئيس بني محارب بن فهر أسلم ضرار عام الفتح * وذكر قول حسان يجيبه

لست الى عمرو ولا المرء منذر * اذا ما مطايا القوم أصبحن ضمرا

يعني بعمرو عمرو بن خنيس والد المنذر يقول لست اليه ولا الى ابنه المنذر أي أنت أقل من ذلك والمنذر بن عمرو هذا يقال له أعنق ليموت هو أحد النقباء كما ذكر ابن اسحق وذكر ابن اسحق في المواخاة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين أبي ذر الغفاري وأنكر ذلك الواقدي محمد بن عمر وقال انما آخى بينه وبين طليب بن عمرو قال وكيف يواخي بينه وبين أبي ذر والمواخاة كانت قبل بدر وأبو ذر كان اذ ذاك غائبا عن المدينة ولم يقدم الا بعد بدر وقد قطعت بدر المواخاة ونسخها قوله سبحانه «وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض» وللمنذر بن عمرو حديث واحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس له غيره يرويه عبد المهيمن ابن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه عن جده عن المنذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد عن السهو قبل التسليم وعبد المهيمن ضعيف وقول حسان

ولا تك كالشاة التي كان حتفها * بحفر ذراعيها فلم ترض محفرا

تقوله العرب في مثل قديم فيمن أثار على نفسه شرا كالباحث عن المدية وأنشد أبو عثمان عمرو بن بحر

وكان يجير الناس من سيف مالك * فاصبح يبغي نفسه من يجيرها

وكان كعنز السوء قامت بظلفها * الى مدية تحت التراب تثيرها

﴿فصل﴾ في اسلام عمرو بن الجموح وذكر صنمه الذي كان يعبده واسمه مناة وزنه فعلة من منيت الدم

فلما قدموا المدينة أظهروا الاسلام بها وفي قومهم بقايا من شيوخ لهم على دينهم من الشرك منهم عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب ابن غنم بن كعب بن سلمة وكان ابنه معاذ بن عمرو شهد العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها وكان عمرو بن الجموح سيدا من سادات بني سلمة وشريفا من أشرافهم وكان قد اتخذ في داره صنما من خشب يقال له مناة كما كانت الاشراف يصنعون تتخذه إلها تعظمه وتطهره فلما أسلم فتيان بني سلمة معاذ بن جبل وابنه معاذ بن عمرو في فتيان منهم ممن أسلم وشهد العقبة كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك فيحملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سلمة وفيها عذر الناس منكسا على رأسه فاذا أصبح عمرو قال ويلكم من عدا على آلهتنا هذه الليلة قال ثم يغدو يلتمسه حتى اذا وجده غسله وطهره وطيبه ثم قال أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لاخزينه فاذا أمسى ونام عمرو غدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الاذى فيغسله ويطهره ويطيبه ثم يغدون عليه اذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك فلما أكثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوما فغسله فطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له اني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك فلما أمسى ونام عمرو غدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بحبل ثم ألقوه في بئر من

آبار بنى سلمة فيها عذر من عذر الناس وغدا عمرو بن الجموح فلم يجده فى مكانه الذى كان به فخرج يتبعه حتى وجده فى تلك البئر منكسا مقرونا بكلب ميت فلما رآه أبصر شانه وكلمه من أسلم من قومه فاسلم برحمه الله وحسن اسلامه فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره ويشكر الله تعالى الذى أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة فقال

والله لو كنت الهالم تكن * أنت وكلب وسط بئر فى قرن
أف لملقاك الها مستدن * الآن فتشناك عن سوء الغبن
الحمد لله العلى ذى المنن * الواهب الرزاق ديان الدين
هو الذى أنقذنى من قبل أن * أكون فى ظلمة قبر مرتهن

* بأحمد المهدى النبى المرتهن * قال ابن اسحق وكان فى بيعة الحرب حين أذن الله لرسوله فى القتال شروطا سوى شرطه عليهم فى العقبة الاولى كانت الاولى على بيعة النساء وذلك ان الله تعالى لم يكن أذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحرب فلما أذن له فيها وبايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العقبة الآخرة على حرب الاحمر والاسود أخذ لنفسه واشترط على القوم لربه وجعل لهم على الوفاء بذلك الجنة * قال ابن اسحق فحدثنى عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت عن أبيه الوليد عن جده عبادة بن الصامت وكان أحد النقباء قال بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الحرب وكان عبادة من الاثنى عشر الذين بايعوا فى العقبة الاولى على بيعة النساء على السمع والطاعة فى عسرنا ويسرنا ومنشطنا ومكرهنا وأثرة علينا وأن لا ننازع الامر أهله وأن نقول بالحق أينما كنا لا نخاف فى الله لومة لائم * قال ابن اسحق وهذه تسمية من شهد العقبة وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بها من الاوس والخزرج وكانوا ثلاثة وسبعين رجلا وامرأتين * شهدها من الاوس بن حارثة بن ثعلبة ابن عمرو بن عامر ثم من بنى عبد الاشهل بن جشم ابن الحرث بن الخزرج ابن عمرو بن مالك بن الاوس أسيد بن حضير ابن سماك بن عتيك بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الاشهل نقيب لم يشهد بدرا * وأبو الهيثم بن التيهان واسمه مالك شهد بدرا * وسلمة بن سلامة بن وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الاشهل شهد بدرا ثلاثة نفر «قال ابن هشام» ويقال ابن زعوراء بفتح العين * قال ابن اسحق ومن بنى حارثة بن الحرث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الاوس * ظهير بن رافع بن عدى بن زيد بن جشم بن حارثة * وأبو بردة بن دينار واسمه هانئ بن دينار بن عمرو بن عبيد بن كلاب بن دهمان بن غنم بن ذبيان بن هميم بن كاهل بن ذهل بن هنى بن بلى بن عمرو بن الحاف بن قضاعة حليف لهم شهد بدرا * ونهير بن الهيثم من بنى نابى بن مجدعة بن حارثة ثلاثة نفر * ومن بنى عمرو بن عوف ابن مالك بن الاوس سعد بن خيثمة بن الحرث بن مالك بن كعب بن النحاط بن كعب بن حارثة بن غنم بن السلم بن امرئ القيس بن مالك بن الاوس نقيب شهد بدرا فقتل به مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيدا «قال ابن هشام» ونسبه ابن اسحق فى بنى عمرو بن عوف «قال ابن هشام» وهو من بنى غنم بن السلم لانه ربما كانت دعوة الرجل فى القوم أو يكون فيهم فينسب اليهم * قال ابن اسحق ورفاعة بن عبد المنذر بن زنبر بن زيد بن أمية بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو نقيب شهد بدرا وعبد الله بن جبير بن النعمان بن أمية بن البرك واسم البرك امرؤ القيس بن ثعلبة بن عمرو شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة ويقال أمية بن البرك فيما قال ابن هشام * قال ابن اسحق وممن بن عدى بن الجد بن العجلان بن ضبيعة حليف لهم من بلى شهد بدرا واحدا والخندق ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها قتل يوم اليمامة شهيدا فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه * وعويم بن ساعدة شهد بدرا واحدا والخندق

وغيره اذا صبته لان الدماء كانت تمنى عنده تقربا اليه ومنه سميت الاصنام الدمى وفى الحديث لا والدمى لا أرى عمنا تقول بأساوكذلك مناة الطاغية التى كانوا يملون الها بقديد والحظ من هذا المطلع ما فى قوله تعالى «ومناة الثالثة الاخرى» من الفائدة جعلها ثالثة للات والعزى وأخرى بالاضافة الى مناة التى كان يعبدها عمرو بن الجموح وغيره من قومه فهما منا تان واحداهما عن الاخرى بالاضافة الى صاحبتها * وقوله * الآن فتشناك عن سوء الغبن * الغبن فى الرأى يقال غبن رأيه كما يقال سفه نفسه فنصبوا الآن المعنى خسر نفسه وأوبقها وأفسد رأيه ونحو هذا * وقوله الها مستدن من السدانة وهى خدمة البيت وتعظيمه * وقوله ديان الدين الدين جمع دينة وهى العادة ويقال لها دين أيضا قال ابن الطبرية واسمه يزيد

أرى سبعة يسعون للوصل كلهم * له عند ليلى دينة يستدينها
فالقيت سهمى بينهم حين أوخشوا * فما صار لى فى القسم الا ثمينها

ويجوز أن يكون أراد بالدين الاديان أى هو ديان أهل الاديان ولكن جمعها على الدين لانها ملل ونحل كما قالوا فى جمع الحرة حرائر لانهن فى معنى الكرائم والعقائل وكذلك مرائر الشجر وان كانت الواحدة مرة ولكنها فى معنى فعيلة لانها عسيرة فى الذوق وشديدة على الآكل وكريهة اليه

﴿فصل﴾ وذكر ابن اسحق تسمية من حضر العقبة وذكر أنسابهم الا أبا الهيثم بن التيهان وقد ذكرنا اسمه

خمسة نفر فجميع من شهد العقبة من الاوس أحد عشر رجلا * وشهدها من الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ثم من بني النجار وهو تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج أبو أيوب وهو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها مات بأرض الروم غازيا في زمن معاوية بن أبي سفيان * ومعاذ بن الحرث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك ابن النجار شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها وهو ابن عفراء وأخوه عوف بن الحرث شهد بدرا وقتل به شهيدا وهو الذي قتل أبا جهل بن هشام بن المغيرة وهو لعفراء ويقال رفاعة بن الحرث بن سواد فيما قال ابن هشام * وعمارة بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف بن غنم بن مالك بن النجار شهد بدرا وأحدا والخندق والمشاهد كلها قتل يوم اليمامة شهيدا في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه * وأسعد بن زرارة بن عدس بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار نقيب مات قبل بدر ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم يبنى وهو أبو أمامة ستة نفر * ومن بني عمرو بن مبذول ومبذول عامر بن مالك بن النجار سهل بن عتيك بن النعمان بن عمرو بن عتيك بن عمرو شهد بدرا رجل * ومن بني عمرو بن مالك بن النجار وهو بنو جديلة «قال ابن هشام» جديلة بنت مالك بن زيد الله بن حبيب بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج * أوس بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك شهد بدرا * وأبو طلحة وهو زيد بن سهل بن الاسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك شهد بدرا رجلان * ومن بني مازن بن النجار قيس بن أبي صعصعة واسم أبي صعصعة عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن شهد بدرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعله على الساقة يومئذ * وعمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن رجلان فجميع من شهد العقبة من بني النجار أحد عشر رجلا «قال ابن هشام» عمرو بن غزية بن عمرو بن ثعلبة بن خنساء هذا الذي ذكره ابن اسحق انما هو غزية بن عمرو بن عطية بن خنساء * قال ابن اسحق ومن بلحرث بن الخزرج سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث نقيب شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا * وخارجة بن زيد بن أبي زهير بن مالك بن امرئ (٢٨١) القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا * وعبد الله بن رواحة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث نقيب شهد بدرا وأحدا والخندق ومشاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها الا الفتح وما بعده قتل يوم موتة شهيدا أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم * وبشير بن سعد بن ثعلبة بن جلاس بن زيد بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث أبو النعمان بن بشير شهد بدرا * وعبد الله بن زيد بن ثعلبة بن عبد ربه بن زيد بن الحرث بن الخزرج بن الحرث شهد بدرا وهو الذي أري النداء للصلاة فجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به * وخلاد بن سويد بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحرث شهد بدرا وأحدا والخندق وقتل يوم بني قريظة شهيدا طرحت عليه رحا من أطم من آطامها فشدخته شدخا شديدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكرون ان له لأجر شهيدين * وعقبة بن عمرو بن ثعلبة بن يسيرة بن عسيرة بن جدارة بن عوف بن الحرث وهو أبو مسعود وكان أحدث من شهد العقبة سنا مات في أيام معاوية لم يشهد بدرا سبعة نفر * ومن بني بياضة بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج زياد بن لبيد بن ثعلبة بن سنان بن عامر بن عدي بن أمية بن بياضة شهد بدرا * وفروة بن عمرو بن ودفة بن عبيد بن عامر بن بياضة شهد بدرا «قال ابن هشام» ويقال ودفة * قال ابن اسحق وخالد بن قيس بن مالك بن العجلان بن عامر بن بياضة شهد بدرا ثلاثة نفر * ومن بني زريق بن عامر بن زريق بن عبد حارثة بن مالك بن غضب بن جشم بن الخزرج رافع بن مالك بن العجلان بن عمرو بن عامر بن زريق نقيب * وذكوان بن عبد قيس بن خلدة بن مخلد بن عامر بن زريق وكان خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان معه بمكة فهاجر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة فكان يقال له مهاجري انصاري شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا * وعباد بن قيس بن عامر بن خالد بن عامر بن زريق شهد بدرا * والحرث بن قيس بن خالد بن مخلد بن عامر بن زريق وهو أبو خالد شهد بدرا أربعة نفر * ومن بني سلمة بن سعد بن علي بن أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج ثم من بني عبيد بن عدي بن غنم بن كعب بن سلمة البراء بن معرور بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدي بن غنم نقيب وهو الذي تزعم بنو سلمة انه كان أول من ضرب على يد رسول الله

اسمه واسم أبيه وما قيل في نسبه في ذكر العقبة الاولى * وذكر قطبة بن عامر والقطبة فيما ذكر أبو حنيفة واحدة القطب وهي شوكة مدحرجة فيها ثلاث شويكات وهي تشبه حسك السعدان وقد بان بنعت أبي حنيفة له أنه الذي نسميه ببلادنا حمص الامير والقطابة طرف النصل * وذكر ذكوان بن عبد قيس ونسبه الى عامر بن زريق بن عامر بن زريق بن رواحة بن غضب بن جشم والغضب في اللغة الشديد الحمرة

صلى الله عليه وسلم وشرط له واشترط عليه ثم توفى قبل مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وابنه بشر بن البراء بن معرور شهد بدرا وأحدا والخندق ومات بخيبر من أكلة أكلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشاة التى سم فيها وهو الذى قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سأل بنى سلمة من سيدكم يابنى سلمة فقالوا الجد بن قيس على بخله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأى داء أكبر من البخل سيد بنى سلمة الابيض الجعد بشر بن البراء بن معرور * وسنان بن صيفى بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد شهد بدرا * والطفيل بن النعمان ابن خنساء بن سنان بن عبيد شهد بدرا وقتل يوم الخندق شهيدا * ومعقل بن المنذر بن سرح بن خناس بن سنان بن عبد شهد بدرا * ويزيد ابن المنذر بن سرح بن خناس بن سنان بن عبيد شهد بدرا * ومسعود بن يزيد بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عبيد * والضحاك بن حارثة بن زيد بن ثعلبة بن عبيد شهد بدرا * ويزيد بن خذام بن سبيع بن خنساء بن سنان بن عبيد * وجبار بن صخرة بن أمية بن خنساء بن سنان بن عبيد شهد بدرا «قال ابن هشام» ويقال جبار بن صخر بن أمية بن خناس * قال ابن اسحق والطفيل بن مالك بن خنساء بن سنان بن عبيد شهد بدرا احدى عشر رجلا * ومن بنى سواد بن غنم ابن كعب بن سلمة ثم من بنى كعب بن سواد كعب بن مالك بن أبى كعب من القين بن كعب رجل * ومن بنى غنم بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة سليم ابن عمرو بن حديدة بن عمرو بن غنم شهد بدرا * وقطبة بن عامر بن حديدة بن غنم بن عمرو شهد بدرا * ويزيد بن عامر بن حديدة بن عمرو بن غنم وهو أبو المنذر شهد بدرا وأبو اليسر واسمه كعب بن عمرو بن عباد بن عمرو بن غنم شهد بدرا * وصيفى بن سواد بن عباس بن عمرو بن غنم خمسة نفر «قال ابن هشام» صيفى بن أسود بن عباد بن عمرو بن سواد وليس لسواد ابن يقال له غنم * قال ابن اسحق ومن بنى نابى بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة * ثعلبة بن غنمة بن عدى بن نابى شهد بدرا وقتل بالخندق شهيدا * وعمرو بن غنمة بن عدى بن نابى وعبس بن عامر بن عدى بن نابى شهد بدرا * وعبد الله بن أنيس حليف لهم من قضاعة * وخالد بن عمرو بن عدى بن نابى خمسة نفر * قال ابن اسحق ومن بنى حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة * عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام نقيب شهد بدرا وقتل يوم أحد شهيدا وابنه جابر بن عبد الله * ومعاذ بن عمرو بن الجموح ابن زيد بن حرام شهد بدرا * وثابت بن الجذع والجذع ثعلبة بن زيد بن الحرث بن حرام شهد بدرا وقتل بالطائف شهيدا * وعمير بن الحرث بن ثعلبة بن زيد بن الحرث بن حرام شهد بدرا «قال ابن هشام» عمير بن الحرث بن لبدة بن ثعلبة

وجشم معدول عن جاشم وهو من جشمت الامر كما عدلوا عمر عن عامر وقد أملينا جزءا فى أسرار ماينصرف ومالا ينصرف شرحنا فيه فائدة العدل عن فاعل الى فعل وما حقيقة العدل والمقصود به ولم لم يعدل عن أسماء الاجناس ولم لم يكن الا فى الصفات ولم لم يكن من الصفات الا فى مثل عامر وزافر وقاسم ولم يكن فى مالك وصالح وسالم ولم خص فعل هذا البناء بالعدل اليه وهل عدل الى بناء غيره أم لا ولم منع الخفض والتنوين اذا كان معدولا الى هذا البناء فمن اشتاق الى معرفة هذه الاسرار فلينظر ها هنالك فان ابن جنى قد حام فى كتاب الخصائص على بعضها فما ورد وصاص فما نقع * وذكر فى بنى بياضة عمرو بن وذفة بذال معجمة وقال ابن هشام ودفة بدال مهملة وهو الاصح والودفة الروضة الناعمة سميت بذلك لانها تقطر ماء من نعمتها والاداف الذكر وأصله وداف سمى بذلك الوضع قطر الماء الذى منه ويقال للروضة الناعمة الدقرى وعمرو بن ودفة هذا هو البياضى الذى روى عنه مالك فى كتاب الصلاة ولم يسمه وفى الانصار بنو النجار وهم تيم الله بن ثعلبة سمى النجار فيما ذكروا لانه نجر وجه رجل بقدوم وقيل كان نجارا وثعلبة فى العرب كثير فى الرجال وقل ما يسمون بثعلب وان كان ذلك هو القياس كما يسمون بنمر وسبع وذئب ولكن الثعلب اسم مشترك اذ يقال ثعلب الرمح وثعلب الحوض وهو مخرج الماء منه وفى الحديث حتى قام أبو لبابة يشد ثعلب مربده بردائه فكأنهم عدلوا عن التسمية بثعلب لهذا الاشتراك مع أن الثعلبة أحمى لادراصها وأغير على أجرائها من الثعلب * وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لبنى سلمة من سيدكم فقالوا جد بن قيس على بخل فيه فقال وأى داء أكبر من البخل بل سيدكم الابيض الجعد بشر بن البراء وروى عن الزهرى وعامر الشعبى انهما قالا فى هذا الحديث عن النبى عليه السلام بل سيدكم عمرو بن الجموح وقال شاعر الانصار فى ذلك

وقال رسول الله والحق قوله * لمن قال منا من تعدون سيدا
فقالوا له جد بن قيس على التى * نبخله فيها وما كان أسودا
فسود عمرو بن الجموح لجوده * وحق لعمرو عندنا ان يسودا

(فصل)

* قال ابن اسحق وخديج بن سلامة بن أوس بن عمرو بن الفرافر حليف لهم من بلى ومعاذ بن جبل بن عمرو بن أوس بن عائذ بن عدى بن كعب بن عمرو بن أد بن سعد بن على بن أسد ويقال أسد بن ساردة بن تزيد بن جشم بن الخزرج وكان فى بنى سلمة شهد بدرا والمشاهد كلها ومات بعمواس عام الطاعون بالشام فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وانما ادعته بنو سلمة انه كان أخا سهل بن محمد بن الجد بن قيس بن صخر بن خنساء بن سنان بن عبيد بن عدى بن غنم بن كعب بن سلمة لامه سبعة نفر «قال ابن هشام» أوس بن عباد بن عدى بن كعب بن عمرو بن ادى بن سعد * قال ابن اسحق ومن بنى عوف بن الخزرج ثم من بنى سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج * عبادة ابن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن سالم بن عوف نقيب شهد بدرا والمشاهد كلها «قال ابن هشام» وهو غنم بن عوف أخو سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج * قال ابن اسحق والعباس بن عبادة بن نضلة بن مالك بن العجلان بن زيد بن غنم بن سالم بن عوف وكان ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة فأقام معه بها فكان يقال له مهاجرى أنصارى وقتل يوم أحد شهيدا * وأبو عبد الرحمن بن يزيد بن ثعلبة بن خزمة بن أصرم بن عمرو بن عمارة حليف لهم من بنى غصينة من بلى * وعمرو بن الحرث بن لبدة بن عمرو ابن ثعلبة أربعة نفر وهم القواقل * ومن بنى سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج وهم (٢/١٣) بنو الحبلى «قال ابن هشام» الحبلى سالم ابن غنم بن عوف وانما سمى الحبلى لعظم بطنه * رفاعة بن عمرو بن زيد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك بن سالم بن غنم شهد بدرا وهو أبو الوليد «قال ابن هشام» ويقال رفاعة بن مالك ومالك أبو الوليد بن عبد الله بن مالك بن ثعلبة بن جشم بن مالك بن سالم * قال ابن اسحق وعقبة بن وهب بن كلدة بن الجعد بن هلال بن الحرث بن عمرو بن عدى بن جشم بن عوف بن بهثة ابن عبد الله بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان حليف لهم شهد بدرا وكان ممن خرج الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مهاجرا من المدينة الى مكة فكان يقال له مهاجرى أنصارى «قال ابن هشام» رجلان * قال ابن اسحق ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج * سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبى خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة نقيب * والمنذر بن عمرو بن خنيس بن حارثة بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن جشم بن الخزرج بن ساعدة نقيب شهد بدرا وأحدا وقتل يوم بئر معونة أميرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذى كان يقال له أعنق ليموت رجلان * قال ابن اسحق فجميع من شهد العقبة من الاوس والخزرج ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان منهم يزعمون انهما قد بايعا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصافح النساء انما كان يأخذ عليهن فاذا أقررن قال اذهبن فقد بايعتكن * ومن بنى مازن بن النجار نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبذول بن عمرو بن غنم بن مازن وهى أم عمارة كانت شهدت الحرب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهدت معها أختها وزوجها زيد بن عاصم بن كعب وابناها خبيب بن زيد وعبد الله ابن زيد وابنها خبيب الذى أخذه مسيلمة الكذاب الحنفى صاحب اليمامة فجعل يقول له أتشهد أن محمدا رسول الله فيقول نعم فيقول أفتشهد انى رسول الله فيقول لا أسمع وجعل يقطعه عضوا عضوا حتى مات فى يده لا يزيده على ذلك اذا ذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم آمن به وصلى عليه واذا ذكر له مسيلمة قال لا أسمع فخرجت الى اليمامة مع المسلمين فباشرت الحرب بنفسها حتى قتل الله مسيلمة ورجعت وبها

﴿فصل﴾ وذكر خديج بن سلامة البلوى وهو خديج بخاء منقوطة مفتوحة ودال مكسورة كذا ذكره الدارقطنى وغيره وذكره الطبرى وقال شهد العقبة ولم يشهد بدرا وقال يكنى أبا رشيد * وذكر معاذ بن جبل ونسبه الى أدى بن سعد بن على أخى سلمة وقد انقرض عقب أدى وآخر من مات منهم عبد الرحمن بن معاذ ابن جبل ويقال فى أدى أيضا أذن فى غير رواية ابن اسحق وابن هشام * وذكر أن معاذ بن جبل مات فى طاعون عمواس هكذا تقيد فى النسخة عمواس بسكون الميم وقال فيه البكرى فى كتاب المعجم من أسماء البقع عمواس بفتح الميم والعين وهى قرية بالشام عرف الطاعون بها لانه منها بدا وقيل انما سمى طاعون عمواس لانه عم وآسى أى جعل بعض الناس اسوة بعض * وذكر يزيد بن ثعلبة بن خزمة بسكون الزاى كذا قال فيه ابن اسحق وابن الكلبى وقال الطبرى فيه خزمة بتحريك الزاى وهو بلوى من بنى عمارة بفتح العين وتشديد الميم ولا يعرف عمارة فى العرب الا هذا كما لا يعرف عمارة بكسر العين الا أبى بن عمارة الذى يروى حديثا فى المسح على الخفين وقد قيل فيه عمارة بضم العين وأما سوى هذين فعمارة بالضم غير أن الدارقطنى ذكر عن محمد بن حبيب عن ابن الكلبى فى نسب قضاعة قال مدرك بن عبد الله القمقام بن عمارة بن ذويد بن مالك وفى النساء عمارة بنت نافع وهى ام محمد بن عبد الله بن عبد الرزاق وفى الانصار خزمة سوى هذا المذكور بفتح الزاى كثير * وذكر بنى الحبلى والنسب اليه حبلى بضم الحاء والباء قاله سيبويه على غير قياس النسب وتوهم بعض من ألف فى العربية أن سيبويه قال فيه حبلى بفتح الباء لما ذكره مع جذمى فى النسب الى جذيمة

اثنا عشر جرحا من بين طعنة وضربة * قال ابن اسحق حدثني هذا الحديث عنها محمد بن يحيى بن حبان عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة * ومن بني سلمة أم منيع واسمها أسماء بنت عمرو بن عدي بن نابي بن عمرو بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن اسحق المطلبي قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تحلل له الدماء انما يؤمر بالدعاء الى الله والصبر على الاذى والصفح عن الجاهل وكانت قريش قد اضطهدت على من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوهم من بلادهم فهم من بين مفتون في دينه ومن بين معذب في أيديهم وبين هارب في البلاد فرارا منهم منهم من بأرض الحبشة ومنهم من بالمدينة وفي كل وجه فلما عتت قريش على الله عز وجل وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة وكذبوا نبيه صلى الله عليه وسلم وعذبوا ونفوا من عبده ووحده وصدق نبيه واعتصم بدينه أذن الله عز وجل لرسوله صلى الله عليه وسلم في القتال والامتناع والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم فكانت أول آية أنزلت في أذنه له في الحرب واحلاله له الدماء والقتال لمن بغى عليهم فيما بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء قول الله تبارك وتعالى أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوي عزيز الذين ان مكناهم في الارض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور أي اني انما أحللت لهم القتال لانهم ظلموا ولم يكن لهم ذنب فيما بينهم وبين الناس الا أن يعبدوا الله وأنهم اذا ظهروا أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر يعني النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين ثم أنزل الله تبارك وتعالى عليه وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة أي حتى لا يفتن مؤمن عن دينه ويكون الدين لله أي حتى يعبد الله لا يعبد معه غيره * قال ابن اسحق فلما أذن الله تعالى له صلى الله عليه وسلم في الحرب

وتابعه هذا الحي من الانصار على الاسلام والنصرة له ولمن اتبعه وأوى اليهم من المسلمين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج الى المدينة والهجرة اليها واللحوق باخوانهم من الانصار وقال ان الله عز وجل قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها فخرجوا ارسالا وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة الى المدينة فكان أول من هاجر الى المدينة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش من بني مخزوم * أبو سلمة بن عبد الاسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم واسمه عبد الله هاجر الى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة وكان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة من أرض الحبشة فلما آذته قريش وبلغه اسلام من أسلم من الانصار خرج الى المدينة مهاجرا * قال ابن اسحق فحدثني أبي اسحق بن يسار عن سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة عن جدته أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت لما أجمع أبو سلمة الخروج الى المدينة رحل لي بعيره ثم حملني عليه وحمل معي ابني سلمة بن أبي سلمة في حجري ثم خرج بي يقود بي بعيره فلما رأته رجال بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم قاموا اليه فقالوا هذه نفسك غلبتنا عليها أرأيت صاحبتنا هذه علام نتركك تسير بها في البلاد قالت فنزعوا خطام البعير من يده فأخذوني منه قالت وغضب عند ذلك بنو عبد الاسد رهط أبي سلمة فقالوا لا والله لا نترك ابننا عندها اذ نزعتموها من صاحبنا قالت فتجاذبوا بني سلمة بينهم حتى خلعوا يده وانطلق به بنو عبد الاسد وحبسني بنو المغيرة عندهم وانطلق زوجي أبو سلمة الى المدينة قالت ففرق بيني وبين زوجي وبين ابني قالت فكنت أخرج كل غداة فأجلس بالابطح فما أزال أبكي حتى أمسي سنة أو قريبا منها حتى مر بي رجل من بني عمي أحد بني المغيرة فرأى ما بي فرحمني فقال لبني المغيرة ألا تخرجون من هذه المسكينة فرقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها قالت فقالوا لي الحقي بزوجك ان شئت قالت ورد بنو عبد الاسد الي عند ذلك ابني قالت فارتحلت بعيري ثم أخذت ابني فوضعته في حجري ثم خرجت أريد زوجي بالمدينة قالت وما معي أحد من خلق الله قالت فقلت أتبلغ بمن لقيت حتى أقدم على زوجي حتى اذا كنت بالتنعيم لقيت عثمان بن طلحة بن أبي طلحة أخا بني عبد الدار فقال لي الى أين يا بنت أبي أمية قالت فقلت أريد زوجي بالمدينة قال أوما معك أحد قالت فقلت لا والله الا الله وبني هذا قال والله مالك من مترك فأخذ بخطام البعير فانطلق معي يهوي بي فوالله ما صحبت رجلا من

ولم يذكره سيبويه معه لانه على وزنه ولكن لانه شاذ مثله في القياس الذي ذكرنا عن سيبويه من تقييده بالضم ذكره أبو علي القالي في البارع وقال هكذا اتقيد في النسخ الصحيحة من سيبويه وحسبك من هذا أن جميع المدنيين يقولون أبو عبد الرحمن الحبلي بضمتين لا يختلفون في ذلك فدل هذا كله على غلط من نسب الى سيبويه بانه فتح الباء

﴿فصل﴾ وذكر هجرة أم سلمة وصحبة عثمان بن طلحة لها وهو يومئذ على كفره وانما أسلم عثمان في هدنة الحديبية

العرب قط أرى انه كان أكرم منه كان اذا بلغ المنزل اناخ بى ثم استأخر عنى حتى اذا نزلت عنه استأخر ببعيرى فحط عنه ثم قيده فى الشجر ثم تنحى الى الشجرة فاضطجع تحتها فاذا دنا الرواح قام الى بعيرى فقدمه فرحله ثم استأخر عنى فقال اركبى فاذا ركبت فاستويت على بعيرى أتى فأخذ بخطامه فقادنى حتى ينزل بى فلم يزل يصنع ذلك بى حتى أقدمنى المدينة فلما نظر الى قرية بنى عمرو بن عوف بقباء قال زوجك فى هذه القرية وكان أبو سلمة بها نازلا فادخليها على بركة الله ثم انصرف راجعا الى مكة قال فكانت تقول والله ما أعلم أهل بيت فى الاسلام أصابهم ما أصاب آل أبى سلمة ومارأيت صاحبا قط أكرم من عثمان بن طلحة * قال ابن اسحق ثم كان أول من قدمها من المهاجرين بعد أبى سلمة عامر بن ربيعة حليف بنى عدى بن كعب معه امرأته ليلى بنت أبى حثمة بن غانم بن عبد الله بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب * ثم عبد الله بن جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة حليف بنى أمية بن عبد شمس احتمل باهله وباخيه عبد بن جحش وهو ابو احمد وكان ابو أحمد رجلا ضرير البصر وكان يطوف مكة اعلاها واسفلها بغير قائد وكان شاعرا وكانت عنده الفرعة ابنة أبى سفيان بن حرب وكانت أمه أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم فغلقت دار بنى جحش هجرة فمر بها عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبو جهل بن هشام بن المغيرة وهى دار أبان بن عثمان اليوم التى بالردم وهم مصعدون الى أعلى مكة فنظر اليها عتبة بن ربيعة تخفق ابوابها يبابا ليس فيها ساكن فلما رآها كذلك تنفس الصعداء ثم قال

وكل دار وان طالت سلامتها * يوما ستدركها النكباء والحوب

«قال ابن هشام» وهذا البيت لابى دؤاد الايادى فى قصيدة له والحوب التوجع * قال ابن اسحق ثم قال عتبة اصبحت دار بنى جحش خلاء من أهلها فقال أبو جهل وما تبكى عليه من قل ابن قل «قال ابن هشام» القل الواحد قال لبيد بن ربيعة كل بنى حرة مصيرهم * قل وان اكثرت من العدد * قال ابن اسحق ثم قال هذا عمل ابن أخى هذا فرق جماعتنا وشتت أمرنا وقطع بيننا فكان منزل أبى سلمة بن عبد الاسد وعامر بن ربيعة وعبد الله بن جحش وأخيه أبى احمد بن جحش على مبشر بن عبد المنذر بن زنبر بقباء فى بنى عمرو بن عوف * ثم قدم المهاجرون ارسالا وكان بنو غنم بن دودان أهل اسلام قد أوعبوا الى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم هجرة رجالهم ونساءهم عبد الله بن جحش وأخوه ابو احمد بن جحش وعكاشة بن محصن وشجاع وعقبة ابنا وهب واربد بن جميرة «قال ابن هشام» ويقال ابن حميرة

الحديبية وهاجر قبل الفتح مع خالد بن الوليد وقتل يوم أحد اخوته مسافع وكلاب والحارث وأبوهم وعمه عثمان بن أبى طلحة قتل أيضا يوم أحد كافرا وبيده كانت مفاتيح الكعبة ودفعها رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح الى عثمان بن طلحة بن أبى طلحة والى ابن عمه شيبة بن عثمان بن أبى طلحة وهو جد بنى شيبة حجبة الكعبة واسم أبى طلحة جدهم عبد الله بن عبد العزى وقتل عثمان رحمه الله شهيدا باجنادين فى أول خلافة عمر

﴿ فصل ﴾ وذكر هجرة بنى جحش وهم عبد الله وأبو أحمد واسمه عبد وقد كان أخوهم عبيد الله أسلم ثم تنصر بارض الحبشة وزينب بنت جحش أم المؤمنين التى كانت عند زيد بن حارثة ونزلت فيها «فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها» وأم حبيب بنت جحش التى كانت تستحاض وكانت تحت عبد الرحمن بن عوف وحمنة بنت جحش التى كانت تحت مصعب بن عمير وكانت تستحاض أيضا وقد روى ان زينب استحيضت أيضا ووقع فى الموطا ان زينب بنت جحش التى كانت تحت عبد الرحمن بن عوف وكانت تستحاض ولم تك قط زينب عند عبد الرحمن بن عوف ولا قاله أحد والغلط لا يسلم منه بشر وانما كانت تحت عبد الرحمن أختها أم حبيب ويقال فيها أم حبيبة غير ان شيخنا أبا عبد الله محمد بن نجاح أخبرنى ان أم حبيب كان اسمها زينب فهما زينبان غلبت على احداهما الكنية فعلى هذا لا يكون فى حديث الموطا وهم ولا غلط والله أعلم وكان اسم زينب بنت جحش برة فسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب وكذلك زينب بنت أم سلمة ربيبته عليه السلام كان اسمها برة فسماها زينب كانه كره ان تزكى المرأة نفسها بهذا الاسم وكان اسم جحش بن رئاب برة بضم الباء فقالت زينب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله لو غيرت اسم ابى فان البرة صغيرة فقيل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها لو أبوك مسلما لسميته باسم من أسمائنا أهل البيت ولكنى قد سميته جحشا والجحش أكبر من البرة ذكر هذا الحديث مسندا فى كتاب المؤتلف والمختلف أبو الحسن الدارقطنى

﴿ فصل ﴾ ذكر البيت الذى تمثل به أبو سفيان حين مر بدار بنى جحش تخفق أبوابها وهو قوله

وكل بيت وان طالت سلامته * يوما ستدركه النكباء والحوب

كل امرىء بلقاء الموت مرتهن * كانه غرض للموت منصوب

والشعر لابى دؤاد الايادى واسمه حنظلة بن شرقى وقيل جارية بن الحجاج ذكر دار بنى جحش وانها عند دار أبان بن عثمان بالردم والردم حفر ردم بالقتلى فى الجاهلية فسمى الردم وذلك فى حرب كانت بين بنى جمح و بين بنى الحارث بن فهر وكانت الدبرة فيها على بنى الحارث ولذلك قل عددهم فهم أقل قريش عددا * وذكر ابن اسحق شعر أبى احمد بن جحش وفيه

الى الله وجهى والرسول ومن يقم * الى الله يوما وجهه لايخيب

هكذا روى بكسر الباء على الاقواء ولو روى بالرفع لجاز على الضرورة ويكون تقديره فلايخيب باضمار الفاء فى مذهب أبى العباس وفى مذهب سيبويه يجوز أيضاً لا على اضمار الفاء ولكن على نية التقديم للفعل على الشرط كما أنشدوا * انك ان يصرع أخوك تصرع * وهو مع ان أحسن لان التقدير انك تصرع ان يصرع أخوك وأنشدوا أيضاً * من يفعل الحسنات الله يشكره * على هذا التقدير وفى الشعر أيضاً * ولاقرب للارحام اذلاتقرب * وتأول ابن هشام اذ هنا بمعنى اذا وهو خطأ من وجهين أحدهما ان الفعل المضارع لايحسن بعد اذا مع حرف النفى وانما يحسن بعد اذ كقوله سبحانه « اذ يقول المنافقون » ولو قلت سآتيك اذا تقول كذا كان قبيحا اذا أخرتها أو قدمت الفعل لما فى اذا من معنى الشرط وانما يحسن هذا فى حروف الشرط مع لفظ الماضى تقول سآتيك ان قام زيد واذا قام زيد و يقبح سآتيك ان يقم زيد لان حرف الشرط اذا أخر ألغى واذا ألغى لم يقع الفعل المعرب بعده غيرانه حسن فى كيف نحو قوله سبحانه « ينفق كيف يشاء و يبسطه فى السماء كيف يشاء » لسر بديع لعلنا نذكره ان وجدنا الشفرتنا محزا ويحسن الفعل المستقبل مع اذا بعد القسم كقوله تعالى « والليل اذا يسرى » لانعدام معنى الشرط فيه فهذا وجه والوجه الثانى ان اذ بمعنى اذا غير معروف فى الكلام ولاحكاه ثبت وما استشهد به من قول رؤبة ليس على ماظن انما معناه ثم جزاه الله ربى ان جزى أى من أجل ان نفعنى وجزى عنى كما قال تعالى « يوم لاتجزى نفس عن نفس شيئاً » ففاعل جزى مضمر عائد على الرجل الممدوح واذ بمعنى ان المفتوحة كذا قال سيبويه فى سواد الكتاب و يشهد له قوله سبحانه « بعد اذ أنتم مسلمون » وعليه يحمل قوله سبحانه ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتم وغفل الفسوى عما فى الكتاب من هذا وجعل الفعل المستقبل الذى بعد لن عاملا فى الظرف الماضى فصار بمنزلة من يقول سآتيك اليوم أمس وهذا هراء من القول وغفلة عما فى كتاب سيبويه وليت شعرى مايقول فى قوله سبحانه « واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم » فان جوز وقوع المستقبل فى الظرف الماضى على أصله الفاسد فكيف يعمل ما بعد الفاء فيما قبلها لاسيما مع السين وهو قبيح ان تقول غدا اسآتيك فكيف ان قلت غدا فسآتيك فكيف ان زدت على هذا وقلت أمس فسآتيك واذ على أصله بمنزلة أمس فهذه فضائح لاغطاء عليها ﴿فان قال قائل﴾ فكيف الوجه فى قوله سبحانه « ولوترى اذ وقفوا » وكذلك « ولوترى اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم » أليس هذا كما قال ابن هشام بمعنى اذا التى تعطى الاستقبال ﴿قيل له﴾ وكيف تكون بمعنى اذا واذا لايقع بعدها الابتداء والخبر وقد قال سبحانه « اذ المجرمون ناكسوا رؤسهم » وانما التقدير ولوترى ندمهم وحزنهم فى ذلك اليوم بعد وقوفهم على النار فاذ ظرف ماض على أصله ولكن بالاضافة الى حزنهم وندامتهم بالحزن والندامة واقعان بعد المعاينة والتوقيف فقد صار وقت التوقيف ماضيا بالاضافة الى ما بعده والذى بعده هو مفعول ترى وهذا نحو مما يتوهم فى قوله سبحانه « فانطلقا حتى اذا ركبا فى السفينة خرقها » فيتوهم ان اذا ههنا بمعنى اذ لانه حديث قد مضى وليس كما يتوهم هى على بابها والفعل بعدها مستقبل بالاضافة الى الانطلاق لانه بعده والانطلاق قبله

* قال ابن اسحق ومنقذ بن نباتة وسعيد بن رقيش ومحرز بن نضلة و يزيد بن رقيش بن جابر وعمرو بن محصن ومالك بن عمرو وصفوان بن عمرو وثقف بن عمرو وربيعة بن أكثم والزبير بن عبيدة وتمام بن عبيدة وسخبرة بن عبيدة ومحمد بن عبد الله بن جحش * ومن نسائهم زينب بنت جحش وأم حبيب بنت جحش وجدامة بنت جندل وأم قيس بنت محصن وأم حبيب بنت ثمامة وآمنة بنت رقيش وسخبرة بنت تميم وحمنة بنت جحش فقال أبو احمد بن جحش بن رئاب وهو يذكر هجرة بني أسد بن خزيمة من قومه الى الله تعالى والى رسوله صلى الله عليه وسلم وايعابهم في ذلك حين دعوا الى الهجرة

ولو حلفت بين الصفا أم احمد * ومروتها بالله برت يمينها
لنحن الاولى كنا بها ثم لم نزل * بمكة حتى عاد غثا سمينها
بها خيمت غنم بن دودان وابتنت * وما ان غدت غنم وخف قطينها
الى الله تغدو بين مثنى وواحد * ودين رسول الله بالحق دينها

وقال أبو احمد بن جحش ايضا *

لما رأتني أم أحمد غاديا * بذمة من أخشى بغيب وأرهب
تقول فاما كنت لا بد فاعلا * فيمم بنا البلدان ولنأ يثرب
فقلت لها بل يثرب اليوم وجهنا * وما يشا الرحمن فالعبد يركب
الى الله وجهي والرسول ومن يقم * الى الله يوما وجهه لا يخيب
فكم قد تركنا من حميم مناصح * وناصحة تبكي بدمع وتندب
ترى ان وترا نائيا عن بلادنا * ونحن نرى أن الرغائب نطلب
دعوت بني غنم لحقن دمائهم * وللحق لما لاح للناس ملحب
أجابوا بحمد الله لما دعاهم * الى الحق داع والنجاح فاوعبوا
وكنا وأصحابا لنا فارقوا الهدى * أعانوا علينا بالسلاح وأجلبوا
كفوجين أما منهما فموفق * على الحق مهدي وفوج معذب
طغوا وتمنوا كذبة وأزلهم * عن الحق ابليس فخابوا وخيبوا
ورعنا الى قول النبي محمد * فطاب ولاة الحق منا وطيبوا
نمت بارحام اليهم قريبة * ولا قرب بالارحام اذ لا تقرب
فأي ابن أخت بعدنا يأمننكم * وأية صهري بعد صهري يرقب
ستعلم يوما أينا اذ تزايلوا * وزيل أمر الناس للحق أصوب

«قال ابن هشام» قوله ولنأ يثرب وقوله اذ لا تقرب عن غير ابن اسحق «قال ابن هشام» يريد بقوله اذا اذا كقول الله عز وجل اذ الظالمون موقوفون عند ربهم قال أبو النجم العجلي

ولولا حتى ما جاز أن يقال الا انطلقا اذ ركبا ولكن معنى الغاية في حتى دل على ان الركوب كان بعد الانطلاق واذا كان بعده فهو مستقبل بالاضافة اليه وكذلك مسئلتنا الحزن وسوء الحال الذي هو مفعول لترى وان كان غير مذكور في اللفظ فهو بعد وقت الوقوف فوقت الوقوف ماض بالاضافة اليه واذ لم يكن بد من حذف فكذلك تقدر حذفا في قوله تعالى «واذ لم يهتدوا به» ونحوه لانها وان كانت بمعنى ان فلا بد لها من تعلق كانه قال جزيتم بهذا من أجل ان ظلمتم أو من أجل ان لم يهتدوا به ضلوا * وذكر في نساء بني جحش جدامة بنت جندل وأحسبه أراد جدامة بنت وهب بن محصن وهي المذكورة في حديث الرضاع في الموطا وقال فيها خلف بن هشام البزار جذامة بالذال المنقوطة هكذا ذكر عنه مسلم بن الحجاج والمعروف جدامة بالدال وقد يقال فيها جدّامة بالتشديد والجدامة قصب الزرع وأملى علينا أبو بكر الحافظ وكتبت عنه بخط يدي قال المبارك بن عبد الجبار عن أبي اسحق البرمكي عن محمد بن زكريا بن حبوية عن أبي عمر الزاهد المطرز قال الجدامة بتشديد الدال طرف السعفة وبه سميت المرأة وكانت جدامة بنت وهب تحت أنيس بن قتادة الانصاري وأما جدامة بنت جندل فلا تعرف في آل جحش الاسديين ولا في غيرهم والله أعلم وقع في الكتاب وانها بنت وهب بن محصن بنت أخي عكاشة بن محصن كما قدمنا والله أعلم * وذكر في بني أسد ثقف بن عمرو ويقال فيه ثقاف شهد هو وأخوه مدلاج بدرا وقتل يوم أحد شهيدا وقال موسى بن عقبة قتل يوم خيبر قتله أسير اليهودي * وذكر فيهم أم حبيب بنت ثمامة وهي مما أغفله أبو عمر في كتابه وأغفل أيضا ذكر تمام بن عبيدة وهو ممن ذكره ابن اسحق في هذه الجملة المذكورين من بني أسد * وذكر ابن اسحق في هذه الجملة أربد بن جميرة الاسدي بالجيم وقاله ابن هشام حميرة بالحاء ورواه ابراهيم بن سعد عن ابن اسحق بخلاف ما رواه البكائي وابن هشام فقال فيه ابن حميّر بتشديد الياء كانه تصغير حمار * وذكر فيهم محرز بن نضلة ولم يرفع نسبه وهو ابن نضلة بن عبد الله بن مرة بن غنم بن دودان بن أسد قتل في غزوة ذي قرد شهيدا وكان قد شهد بدرا وكان يعرف بالاخرم ويلقب فهيرة وقال فيه موسى بن عقبة محرز بن وهب ولم يقل ابن نضلة * وذكر ابن اسحق أيضا يزيد بن رقيش وبعضهم يقول فيه اربد ولا يصح وهو ابن رقيش بن رئاب بن يعمر بن كبير بن غنم بن دودان ذكر فيهم ربيعة بن أكثم ولم ينسبه وهو ابن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن نعير بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد يكنى أبا يزيد وكان قصيرا دحداحا قتل يوم خيبر بالنطاة قتله الحارث اليهودي

ثم جزاءالله عنا اذجرى * جنات عدن فى العلالى والعلا قال ابن اسحق ثم خرج عمر بن الخطاب وعياش بن أبى ربيعة المخزومى حتى قدما المدينة فحدثنى نافع مولى عبدالله بن عمر عن عبدالله بن عمر عن ابيه عمر بن الخطاب قال اتعدت لما أردنا الهجرة الى المدينة أنا وعياش ابن أبى ربيعة وهشام بن العاصى بن وائل السهمى التناضب من اضاءة بنى غفار فوق سرف وقلنا أينا لم يصبح عندها فقد حبس فليمض صاحباه قال فاصبحت أنا وعياش بن أبى ربيعة عند التناضب وحبس عنا هشام وفتن فافتتن فلما قدمنا المدينة نزلنا فى بنى عمرو بن عوف بقباء وخرج أبو جهل بن هشام والحرث بن هشام الى عياش بن أبى ربيعة وكان ابن عمهما وأخاهما لامهما حتى قدما علينا المدينة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة فكلماه وقالا ان أمك قد نذرت ان لا يمس رأسها مشط حتى تراك ولا تستظل من شمس حتى تراك فرق لها فقلت له ياعياش انه والله ان يريدك القوم الا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم فوالله لو قد آذى أمك القمل لامتشطت ولو قد اشتد عليها حر مكة لاستظلت قال فقال أبر قسم أمى ولى هنالك مال فآخذه قال فقلت والله انك لتعلم انى لمن أكثر قريش مالا فلك نصف مالى ولا تذهب معهما قال فأبى على الا أن يخرج معهما فلما أبى الا ذلك قال قلت أما اذ قد فعلت ما فعلت فخذ ناقتى هذه فانها ناقة نجيبة ذلول فالزم ظهرها فان رابك من القوم ريب فانج عليها فخرج عليها معهما حتى اذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل والله يا أخى لقد استغلظت بعيرى هذا أفلا تعقبنى على ناقتك هذه قال بلى قال فاناخ وأناخا ليتحول عليها فلما استووا بالارض عدوا عليه فاوثقاه وربطاه ثم دخلا به مكة وفتناه فافتتن * قال ابن اسحق فحدثنى به بعض آل عياش بن أبى ربيعة انهما حين دخلا به مكة دخلا به نهارا موثقا ثم قالا ان يا أهل مكة هكذا فافعلوا بسفهائكم كما فعلنا بسفيهنا هذا * قال ابن اسحق وحدثنى نافع عن عبدالله بن عمر عن عمر فى حديثه قال فكنا نقول ما الله بقابل ممن افتتن صرفا ولا عدلا ولا توبة قوم عرفوا الله ثم رجعوا الى الكفر لبلاء أصابهم قال وكانوا يقولون ذلك لانفسهم فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفى قولنا وقولهم لانفسهم يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل ان يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون قال عمر بن الخطاب فكتبتها بيدى فى صحيفة وبعثت بها الى هشام بن العاصى قال فقال هشام فلما أتتنى جعلت أقرؤها بذى طوى أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها حتى قلت اللهم فهمنيها قال فالقى الله تعالى فى قلبى انها انما أنزلت فينا وفيما كنا نقول لانفسنا ويقال فينا قال فرجعت الى بعيرى فجلست عليه فلحقت برسول الله صلى الله عليه وسلم «قال ابن هشام» فحدثنى من أثق به ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو بالمدينة من لى بعياش بن أبى ربيعة وهشام بن العاصى فقال الوليد بن الوليد بن

﴿ هجرة عمر وعياش ﴾

ذكر فيها تواعدهم التناضب بكسر الضاد كانه جمع تنضب وهو ضرب من الشجر تألفه الحرباء قال الشاعر

انى أتيح له حرباء تنضبة * لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا

ويقال لثمره المتع وهو فتعال أدغمت النون فى الميم وظاهر قول سيبويه أنه فعلل وانه مما لحقته الزيادة بالتضعيف والقول الاول يقويه ان مثله الهندلع وهو نبت وتتخذ من هذا الشجر القسى كما تتخذ من النبع والشوحط والشريان والسراء والاشكل ودخان التنضب أبيض ذكره أبو حنيفة فى النبات وقال الجعدى

كأن الغبار الذى غادرت * ضحيا دواخن من تنضب

شبه الغبار بدخان التنضب لبياضه وقال آخر

وهل أشهدن خيلا كأن غبارها * باسفل علكد دواخن تنضب

وأضاة بنى غفار على عشرة أميال من مكة والاضاة الغدير كانها مقلوب من وضاة على وزن فعلة واشتقاقه من الوضاءة بالمد وهى النظافة لان الماء ينظف وجمع الاضاة اضاء قال النابغة * وهن اضاء صافيات الغلائل * وهذا الجمع يحتمل أن يكون غير مقلوب فتكون الهمزة بدلا من الواو المكسورة فى وضاء وقياس الواو المكسورة تقتضى الهمز على أصل الاشتقاق ويكون الواحد مقلوبا لان الواو المفتوحة لا تهمز مع ان لام الفعل غير همزة وقد يجوز أن يكون الجمع محمولا على الواحد فيكون مقلوبا مثله ويقال اضاءة بالمد وقد يجمع اضاة على اضين قاله أبو حنيفة وأنشد * محافرها كأسرية الاضين * الاسرية جمع سرى وهو الجدول ويقال له أيضا السعيد

﴿ فصل ﴾ وذكر نزول الآية «قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله» الآية فى المستضعفين بمكة وقول هشام بن العاص فقال جاءتنى وأنا بذى طوى طوى مقصور موضع بأسفل مكة ذكر

المغيرة أنا لك يارسول الله بهما فخرج الى مكة فقدمها مستخفيا فلقي امرأة تحمل طعاما فقال لها أين تريدين يا أمة الله قالت أريد هذين المحبوسين تعنيهما فتبعها حتى عرف موضعهما وكانا محبوسين في بيت لا سقف له فلما أمسى تسور عليهما ثم أخذ مروة فوضعها تحت قيديهما ثم ضربهما بسيفه فقطعهما فكان يقال لسيفه ذو المروة لذلك ثم حملهما على بعيره وساق بهما فعثر فدميت أصبعه فقال

هل أنت الا أصبع دميت * وفي سبيل الله مالقيت

ثم قدم بهما على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة * قال ابن اسحق ونزل عمر بن الخطاب حين قدم المدينة ومن لحق به من أهله وقومه وأخوه زيد بن الخطاب وعمرو وعبد الله ابنا سراقة المعتمر وخنيس ابن حذافة السهمي وكان صهره على ابنته حفصة بنت عمر فخلف عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وواقد بن عبد الله التميمي حليف لهم وخولي بن أبي خولي ومالك بن أبي خولي حليفان لهم (٢٨٩) «قال ابن هشام» أبو خولي من بني عجل بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل * قال ابن اسحق وبنو البكير أربعتهم اياس ابن البكير وعاقل بن البكير وعامر بن البكير وخالد بن البكير وحلفاؤهم من بني سعد بن ليث على رفاعة بن عبد المنذر بن زنبر في بني عمرو بن عوف بقباء وقد كان منزل عياش بن أبي ربيعة معه عليه حين قدما المدينة ثم تتابع المهاجرون فنزل طلحة بن عبد الله بن عثمان وصهيب بن سنان على خبيب بن اساف أخي بلحرث بن الخزرج بالسنح «قال ابن هشام» ويقال ساف فيما أخبرني عنه ابن اسحق ويقال بل نزل طلحة بن عبيد الله على أسعد بن زرارة أخي بني النجار «قال ابن هشام» وذكر لي عن أبي عثمان النهدي انه قال بلغني ان صهيبا حين أراد الهجرة قال له كفار قريش أتيتنا صعلوكا حقيرا فكثر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ثم تريد أن تخرج بمالك ونفسك والله لا يكون ذلك فقال لهم صهيب أرأيتم ان جعلت لكم مالي أتخلون سبيلي قالوا نعم قال فاني جعلت لكم مالي قال فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ربح صهيب ربح صهيب * قال ابن اسحق ونزل حمزة بن عبد المطلب وزيد بن حارثة وابو مرثد كناز بن حصن «قال ابن هشام» ويقال هو ابن حصين * قال ابن اسحق وابنه مرثد الغنويان حليفا حمزة بن عبد المطلب وأنسة وابو كبشة موليا رسول الله صلى الله عليه وسلم على كلثوم بن هدم أخي بني عمرو بن عوف بقباء ويقال بل نزلوا على سعد بن خيثمة ويقال بل نزل حمزة بن عبد المطلب على أسعد بن زرارة أخي بني النجار كل ذلك يقال * ونزل عبيدة بن الحرث بن المطلب وأخواه الطفيل ابن الحرث والحصين بن الحرث ومسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب وسويبط بن سعد بن حرملة أخو

(٣٧ - روض ل)

ان آدم لما أهبط الى الهند ومشى الى مكة وجعل الملائكة تنظره بذي طوى وانهم قالوا له يا آدم ما زلنا ننتظرك ههنا منذ ألفي سنة وروى ان آدم كان اذا أتى البيت خلع نعليه بذي طوى وأما ذو طواء بالمد فموضع آخر بين مكة والطائف هكذا ذكره البكري وأما طوى بضم الطاء والقصر المذكور في التنزيل فهو بالشام اسم للوادي المقدس وقد قيل ليس باسم له وانما هو من صفة التقديس أي المقدس مرتين

﴿ فصل ﴾ وذكر نزول طلحة وصهيب على خبيب بن اسامة ويقال فيه يساف بياء مفتوحة في غير رواية الكتاب وهو اساف بن عتبة ولم يكن حين نزول المهاجرين عليه مسلما في قول الواقدي بل تأخر اسلامه حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر قال خبيب فخرجت معه أنا ورجل من قومي وقلنا انه نكره ان يشهد قومنا مشهدا لا نشهده معهم فقال أسلمتما فقلنا لا فقال ارجعا فانا لا نستعين بمشرك وخبيب هو الذي خلف على بنت خارجة بعد أبي بكر الصديق واسمها حبيبة وهي التي يقول فيها أبو بكر عند وفاته ذو بطن بنت خارجة أراها جارية وهي بنت خارجة بن أبي زهير والجارية أم كلثوم بنت أبي بكر مات خبيب في خلافة عثمان وهو جد خبيب بن عبد الرحمن الذي يروي عنه مالك في موطئه * وذكر أنسة وأبا كبشة في الذين نزلوا على كلثوم بن الهدم فاما أنسة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من مولدي السراة ويكنى أبا مسروح وقيل أبا مشرح شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات في خلافة أبي بكر وأبو كبشة اسمه سليم يقال انه من فارس ويقال من مولدي أرض دوس شهد بدرا والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومات في خلافة عمر في اليوم الذي ولد فيه عروة بن الزبير وأما الذي كانت كفار قريش تذكره وتنسب النبي عليه السلام اليه وتقول قال ابن أبي كبشة وفعل ابن أبي كبشة فقيل فيه أقوال قيل انها كنية أبيه لامه وهب بن عبد مناف وقيل كنية أبيه من الرضاعة الحارث بن عبد العزى وقيل ان سلمى أخت عبد المطلب كان يكنى أبوها أبا كبشة وهو عمرو بن لبيد وأشهر من هذه الاقوال كلها عند الناس انهم شبهوه برجل كان يعبد الشعرى وحده دون العرب فنسبوه اليه لخروجه عن دين قومه * وذكر الدارقطني اسم أبي كبشة هذا في المؤتلف والمختلف فقال اسمه وجز بن غالب وهو خزاعي وهو من بني غبشان وذكر نزولهم بقباء وهو مسكن بني عمرو بن عوف

بنى عبد الدار وطليب بن عمير اخو بنى عبد بن قصى وخباب مولى عتبة بن غزوان على عبد الله اخى بلحرث بن الخزرج فى دار بلحرث ابن الخزرج * ونزل الزبير بن العوام وأبو سبرة بن أبى رهم بن عبد العزى على منذر بن محمد بن عقبة بن احيحة بن الجلاح بالعصبة دار بنى جحجبى ونزل مصعب بن عمير بن هاشم أخو بنى عبد الدار على سعد بن معاذ بن النعمان أخى بنى عبد الاشهل فى دار بنى عبد الاشهل ونزل أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وسالم مولى أبى حذيفة «قال ابن هشام» سالم مولى أبى حذيفة سائبة لثبيتة بنت يعار بن زيد بن عبيد بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو

بن عوف بن مالك بن الاوس سيبة فانقطع الى أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة فتبناه فقيل سالم مولى أبى حذيفة ويقال كانت ثبيتة بنت يعار تحت أبى حذيفة بن عتبة فأعتقت سالما سائبة فقيل سالم مولى أبى حذيفة * قال ابن اسحق ونزل عتبة بن غزوان بن جابر على عباد بن بشر بن وقش أخى بنى عبد الاشهل فى دار عبد الاشهل * ونزل عثمان بن عفان على أوس بن ثابت بن المنذر أخى حسان بن ثابت فى دار بنى النجار فلذلك كان حسان يحب عثمان ويبكيه حين قتل وكان يقال نزل العزاب من المهاجرين على سعد بن خيثمة وذلك انه كان عزبا فالله أعلم أى ذلك كان * وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له فى الهجرة ولم يتخلف معه بمكة أحد من المهاجرين الا من حبس أو فتن الا على بن أبى طالب وأبو بكر بن أبى قحافة الصديق رضى الله عنهما وكان أبو بكر كثيرا ما يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الهجرة فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبا فيطمع أبو بكر أن يكونه

ذكر خبر دار الندوة

* قال ابن اسحق ولما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم عرفوا انهم قد نزلوا دارا وأصابوا منهم منعة فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم وعرفوا انه قد أجمع لحربهم فاجتمعوا له فى دار الندوة وهى دار قصى بن كلاب التى كانت قريش لا تقضى أمرا الا فيها يتشاورون فيها ما يصنعون فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خافوه

وهو على فرسخ من المدينة وهو يمد ويقصر ويؤنث ويذكر ويصرف ولا يصرف وأنشد أبو حاتم فى صرفه

ولا يغنيكم قبا وعوارضا * ولاقبلن الخيل لابة ضرغد

وكذلك أنشده قاسم بن ثابت فى الدلائل قبا بضم القاف والباء وهو عند أهل العربية تصحيف منهما جميعا وانما هو كما أنشده سيبويه قنا وعوارضا لان قنا جبل عنده عوارض يقال له ولجبل آخر معه قنوان وبينهما وبين قباء مسافات وبلاد فلا يصح أن يقرن قباء الذى عند المدينة مع عوارض وقنوين وكذا قال البكرى فى معجم ما استعجم وأنشد

كأنها لما بدا عوارض * والليل بين قنوين رابض

وقباء ماخوذ من القبو وهو الضم والجمع قاله أبو حنيفة وقال القوابى هن اللواتى يجمعن العصفر واحدتهن قابية قال وأهل العربية يسمون الضمة من الحركات قبوا وأنشد قولهم لا والذى أخرج قوبا من قابية يعنون الفرخ من البيضة فمن قال فيه قابية بتقديم الباء فهو القبو الذى تقدم ومن قال فيه قائبة فهو من لفظ القوب لانها تقوب عنه أى تتقشر قال الكميت يصف النساء

لهن وللمشيب ومن علاه * من الامثال قائبة وقوب

وفى حديث عمر فكانت قائبة قوب عامها يعنى العمرة فى أشهر الحج وقد ذكر أن قباء اسم بئر عرفت القرية بها

﴿ فصل ﴾ وذكر سالما مولى أبى حذيفة الذى كان أبو حذيفة قد تبناه كما تبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا وكان سائبة أى لا ولاء عليه لاحد وذكر المرأة التى أعتقته سائبة وهى قتيبة بنت يعار وقد قيل فى اسمها ثبيتة ذكره أبو عمر وذكر عن الزهرى انه كان يقول فيها بنت تعار وقال ابن شيبة فى المعارف اسمها سلمى ويقال فى اسمها أيضا عمرة وقد أبطل التسييب فى العتق كثير من العلماء وجعلوا الولاء لكل من أعتق أخذا بحديث النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك وحملا له على العموم ولما روى أيضا عن ابن مسعود أنه قال لا سائبة فى الاسلام ورأى مالك ميراث السائبة لجماعة المسلمين ولم ير ولاءه لمن سيبه فكان التسييب والعتق عنده حكمان مختلفان وسالم هذا هو الذى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم سهلة بنت سهيل أن ترضعه ليحرم عليها فارضعته وهو ذو لحية (فان قيل) كيف جاز له ان ينظر الى ثديها فقد روى فى ذلك انها حلبت له فى مسعط وشرب اللبن ذكر ذلك محمد بن حبيب

﴿ اجتماع قريش للتشاور فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم ﴾

* قال ابن اسحق فحدثنى من لا أتهم من أصحابنا عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد بن جبر أبى الحجاج وغيره ممن لا اتهم عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال لما أجمعوا لذلك واتعدوا أن يدخلوا فى دار الندوة ليتشاوروا فيها فى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم غدوا فى اليوم الذى اتعدوا له وكان ذلك اليوم يسمى يوم الزحمة فاعترضهم ابليس لعنه الله فى هيئة شيخ جليل عليه بتلة فوقف على باب الدار فلما رأوه واقفا على بابها قالوا من الشيخ قال شيخ من أهل نجد سمع بالذى اتعدتم له فحضر معكم ليسمع ما تقولون وعسى أن لا يعدمكم رأيا منه ونصحا قالوا أجل فادخل فدخل معهم لعنه الله وقد اجتمع فيها أشراف قريش * ومن بنى عبد شمس عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب * ومن بنى نوفل بن عبد مناف طعيمة بن عدى وجبير بن مطعم والحرث بن عامر بن نوفل * ومن بنى عبد الدار بن قصى النضر بن الحرث بن كلدة * ومن بنى اسد بن عبد العزى ابو البخترى بن هشام وزمعة بن الاسود بن المطلب وحكيم بن حزام * ومن بنى مخزوم ابو جهل بن هشام * ومن بنى سهم نبيه ومنبه ابنا الحجاج * ومن بنى جمح أمية بن خلف ومن كان معهم وغيرهم ممن لا يعد من قريش فقال بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيتم فانا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا فأجمعوا فيه رأيا قال فتشاوروا ثم قال قائل منهم احبسوه فى الحديد وأغلقوا عليه بابا ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيرا والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم فقال الشيخ النجدى لا والله ما هذا لكم برأى والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه الى أصحابه فلأوشكوا أن يثبوا عليكم فينزعوه من أيديكم ثم يكاثروكم به حتى يغلبوكم على أمركم ما هذا لكم برأى فانظروا فى غيره فتشاوروا عليه ثم قال قائل منهم نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا أخرج عنا فوالله ما نبالى أين ذهب ولا حيث وقع اذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا والفتنا كما كانت قال الشيخ النجدى لا والله ما هذا لكم برأى ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم فى بلادكم بهم فيأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد دبروا فيه رأيا غير هذا قال فقال أبو جهل بن هشام والله ان لى فيه لرأيا ما أراكم وقعتم عليه بعد قالوا وما هو يا أبا الحكم قال أرى أن نأخذ من كل قبيلة شابا فتى جليدا نسيبا وسيطا فينا ثم نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبائل جميعا فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعا فرضوا منا بالعقل فعقلناه لهم قال يقول الشيخ النجدى القول ما قال الرجل هذا الرأى لا رأى غيره فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له فأتى جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا تبت هذه الليلة على فراشك الذى كنت تبيت عليه قال فلما كانت عتمة من الليل اجتمعوا على بابه يرصدونه متى ينام فيثبون عليه فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلى بن أبى طالب نم على فراشى وتسج ببردى هذا الحضرمى الاخضر فنم فيه فانه لن يخلص اليك شىء تكرهه منهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينام فى برده ذلك اذا نام

ذكر فيه تمثل ابليس حين أتاهم فى صورة شيخ جليل وانتسابه الى أهل نجد * قوله فى صورة شيخ جليل يقال جل الرجل وجلت المرأة اذا أسنت قال الشاعر * وما حظها أن قيل عزت وجلت * ويقال منه جللت يا رجل بفتح اللام وقياسه جللت لان اسم الفاعل منه جليل ولكن تركوا الضم فى المضاعف كله استثقالا له مع التضعيف الا فى لببت فانت لبيب حكاه سيبويه بالضم على الاصل وانما قال لهم انى من أهل نجد فيما ذكر بعض أهل السيرة لانهم قالوا لا يدخلن معكم فى المشاورة أحد من أهل تهامة لان هواهم مع محمد فلذلك تمثل لهم فى صورة شيخ نجدى وقد ذكرنا فى خبر بنيان الكعبة انه تمثل فى صورة شيخ نجدى أيضا حين حكموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمر الركن من يرفعه فصاح الشيخ النجدى يا معشر قريش أقد رضيتم ان يليه هذا الغلام دون أشرافكم وذوى أسنانكم فان صح هذا الخبر فلمعنى آخر تمثل نجديا وذلك ان نجدا منها يطلع قرن الشيطان كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قيل له وفى نجدنا يا رسول الله قال هنالك الزلازل والفتن ومنها يطلع قرن الشيطان فلم يبارك عليها كما بارك على اليمن والشام وغيرها وحديثه الآخر انه نظر الى المشرق فقال ان الفتنة ههنا من حيث يطلع قرن الشيطان وفى حديث ابن عمر انه حين قال هذا الكلام وقف عند باب عائشة ونظر الى المشرق فقاله وفى وقوفه عند باب عائشة ناظرا الى المشرق تحذير من الفتن وفكر فى خروجها الى المشرق عند وقوع الفتنة تفهم من الاشارة واضمم الى هذا قوله عليه السلام حين ذكر نزول الفتن أيقظوا صواحب الحجر والله أعلم * وذكر تشاورهم فى أمر النبى صلى الله عليه وسلم وان بعضهم أشار بان يحبس فى بيت وبعضهم باخراجه عليه السلام من بين أظهرهم ونفيه ولم يسم قائل هذا القول وقال ابن سلام الذى أشار بحبسه هو ابو البخترى بن هشام والذى أشار باخراجه ونفيه هو أبو الاسود ربيعة بن عمرو أحد بنى عامر بن لؤى وقول أبى جهل نسيبا وسيطا هو

* قال ابن اسحق فحدثنى يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى قال لما اجتمعوا له وفيهم أبوجهل بن هشام فقال وهم على بابه ان محمدا يزعم انكم ان تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الاردن وان لم تفعلوه كان له فيكم ذبح ثم بعثتم من بعد موتكم ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها قال وخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذ حفنة من تراب فى يده ثم قال نعم أنا اقول ذلك أنت أحدهم وأخذ الله تعالى على أبصارهم عنه فلا يرونه فجعل ينثر ذلك التراب على رؤسهم وهو يتلو هؤلاء الآيات من يس والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين على صراط مستقيم تنزيل العزيز الرحيم الى قوله فأغشيناهم فهم لا يبصرون حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من هؤلاء الآيات ولم يبق منهم رجل الا وقد وضع على رأسه ترابا ثم انصرف الى حيث أراد أن يذهب فاتاهم آت ممن لم يكن معهم فقال ما تنتظرون ههنا قالوا محمدا قال خيبكم الله قد والله خرج عليكم محمد ثم ما ترك منكم رجلا الا وقد وضع على رأسه ترابا وانطلق لحاجته أفما ترون ما بكم قال فوضع كل رجل منهم يده على رأسه فاذا عليه تراب ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليا على الفراش متسجيا ببرد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقولون والله ان هذا لمحمد نائما عليه برده فلم يبرحوا كذلك حتى أصبحوا فقام على رضى الله عنه عن الفراش فقالوا والله لقد صدقنا الذى حدثنا

* قال ابن اسحق وكان مما أنزل الله عز وجل من القرآن فى ذلك اليوم وما كانوا أجمعوا له واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين وقول الله عز وجل أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فانى معكم من المتربصين «قال ابن هشام» المنون الموت وريب المنون ما يريب ويعرض منها قال أبو ذؤيب الهذلى

أمن المنون وريبها تتوجع * والدهر ليس بمعتب من يجزع

وهذا البيت فى قصيدة له

من السطة فى العشيرة وقد تقدم فى باب تزويجه خديجة معنى الوسيط وأن يكون مدحا * وأما قوله على بابه يتطلعون فيرون عليا وعليه برد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيظنونه اياه فلم يزالوا قياما حتى أصبحوا فذكر بعض أهل التفسير السبب المانع لهم من التقحم عليه فى الدار مع قصر الجدار وانهم انما جاءوا لقتله فذكر فى الخبر انهم هموا بالولوج عليه فصاحت امرأة من الدار فقال بعضهم لبعض والله انها للسبة فى العرب ان يتحدث عنا انا تسورنا الحيطان على بنات العم وهتكنا ستر حرمتنا فهذا هو الذى أقامهم بالباب حتى أصبحوا ينتظرون خروجه ثم طمست أبصارهم عنه حين خرج وفى قراءة الآيات الاول من سورة يس من الفقه التذكرة بقراءة الخائفين لها اقتداء به عليه السلام فقد روى الحارث بن أبى اسامة فى مسنده عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذكر فضل يس انها ان قرأها خائف أمن او جائع شبع او عار كسى أو عاطش سقى حتى ذكر خلالا كثيرة * وذكر ابن اسحق ما أنزل الله فى ذلك وشرح ابن هشام ريب المنون وأنشد قول أبى ذؤيب * أمن المنون وريبه تتفجع * والمنون يذكر ويؤنث فمن جعلها عبارة عن المنية او حوادث الدهر أنث ومن جعلها عبارة عن الدهر ذكر وريب المنون ما يريبك من تغير الاحوال فيه سميت المنون لنزعها من الاشياء أى قواها وقيل بل سميت منونا لقطعها دون الامال من قولهم حبل منين أى مقطوع وفى التنزيل قوله تعالى « فلهم أجر غير ممنون » أى غير مقطوع

تم الجزء الاول من كتاب الروض الانف

مع سيرة الامام ابن هشام

ويليه ان شاء الله تعالى الجزء الثانى وأوله

﴿ اذن الله لنبيه بالهجرة ﴾



الجزء الاول

﴿ من كتاب الروض الأنف شرح السيرة النبويه لابن هشام ﴾

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة

﴿ تمت الفهرست ﴾

﴿ تنبيه ﴾ المطالب التى فى آخرها نجمة (*) هى من أصل السيرة وما عداها من الروض